خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠





من ١٣٨٦هـ
الى ١٣٨٧هـ

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

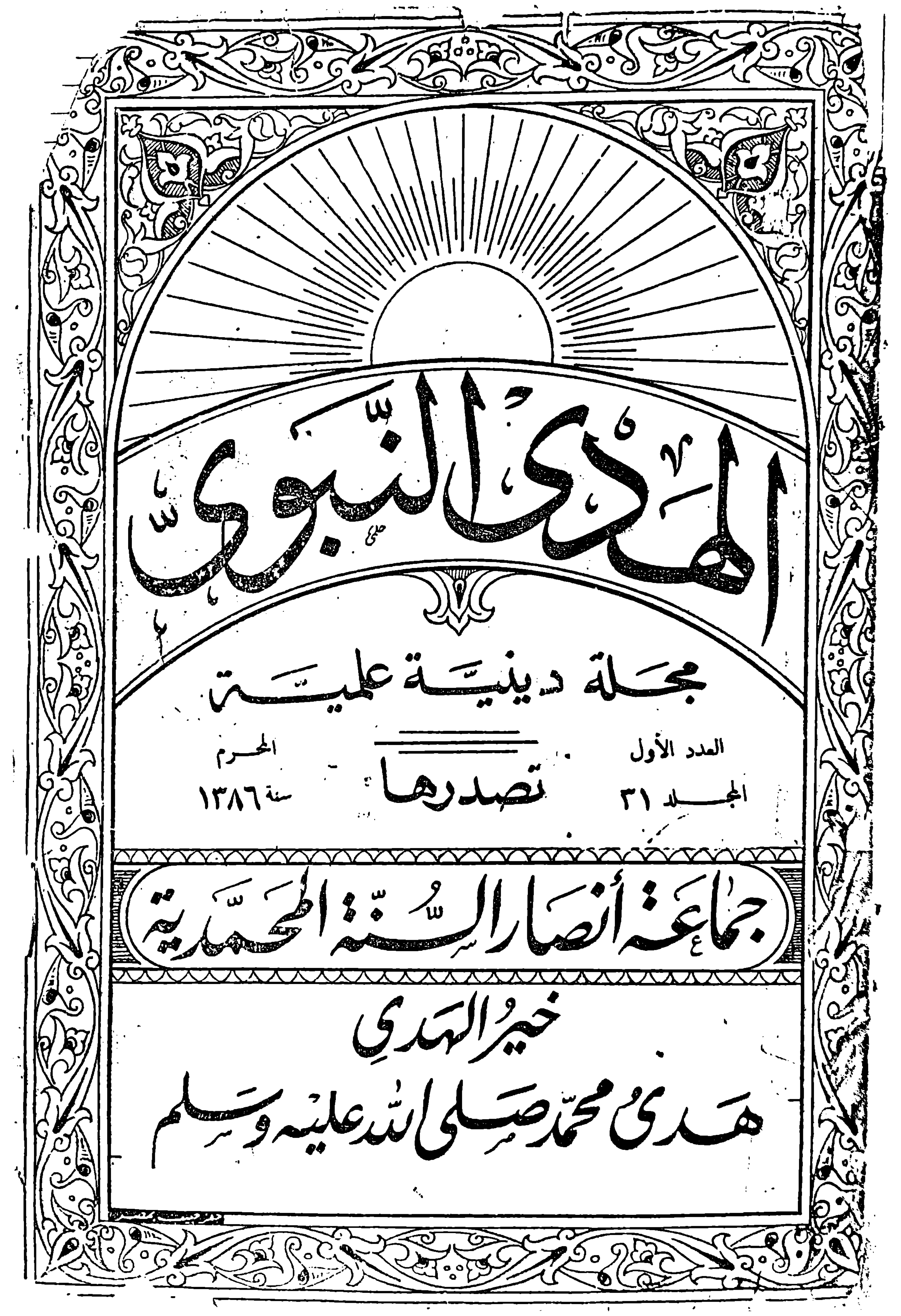
الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت: ٣٥٨٦٤٢٤٠١


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الأول
المجلد ٣١
تصدرها
المحرم
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الهدى النبوى
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان حسونه
الاشتراك السنوى
٤٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ - في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٠ ، ٩٠١٥

العـــدد ١ — المحرم سنة ١٣٨٦ — المجـــلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ . قَالُوا : يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ، وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ؟ ! ﴾ .

« معـــانى المفردات »

« أتت » قال ابن فارس إن أصل الكلمة يدل على مجىء الشىء وإصحابه وطاعته ، والأَتْوُ : الاستقامة فى السير ، يقال أتا[1] البعير يأتو . وتقول العرب : أتوت فلاناً : بمعنى : أتيته . وفى الراغب : الإتيان : مجىء بسهولة ، والإتيان : يقال للمجىء بالذات ، وبالأمر ، وبالتدبير ، ويقال فى الخير ، وفى الشر ، وفى الأعيان والأعراض . يقال : أتيته ، وأتوته .

---

(١) كتبت ألفا باعتبار أصل ألفها الأخير واوا .

« قوم » : للكلمة أصلان عند ابن فارس . يدل أحدهما على جماعة ناس ، وربما استعير في غيرهم . ويقال إن كلمة القوم تخص الرجال لا النساء[١] ، والأصل الآخر : الانتصاب .

« تحمله » : أصل الكلمة يدل على إقلال الشيء .

« جئت » قال الراغب : المجيء كالإتيان ، لكن المجيء أعم ؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة ، والإتيان قد يقال : باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصوص ، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول ، ويقال جاء في الأعيان والمعاني ، ولما يكون مجيئه بذاته ، وبأمره ، ولمن قصد مكاناً أو عملاً .

« فَرِيًّا » الإفراء : الإفساد ، والافتراء : الإصلاح والإفساد ، ولكن في الثاني أكثر ، وكذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلمة . و « شيئاً فرياً » عظيماً عجيباً مصنوعاً .

« هرون » : يرى اليهود والنصارى أن هرون هو أول رؤساء الكهنة وأنه كان بكر عمرام « أي عمران » ابن لاوى ويقولون : « وأما تسميته : قدوس الرب ، ففيها إشارة إلى وظيفته لا إلى سيرته ، ومع كل ضعفه كان محبوباً أكثر من موسى ، وبعد موته حزن عليه شعب إسرائيل ، وكان اليهود المتأخرون يصومون تذكاراً له في اليوم الأول من الشهر الخامس أي آب « أغسطس » وابتدأت رئاسة كهنوت الإسرائيليين في هرون وتسلسل في بيت ابنه العازار » ويبهت اليهود والنصارى هرون في سفر الخروج من العهد القديم « أو أحد أسفار التوراة في زعمهم » بأنه هو الذي صنع عجل بني إسرائيل ، ورضي لهم بأن يعبدوه « قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا .

---

(١) يستشهدون بالآية القرآنية « لا يسخر قوم من قوم ـ ولا نساء من نساء » وبيت زهير :

وما أدري ، وسوف إخال أدري = أقوم آل حصن أم نساء .

فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب . . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل . . فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى هرون وقال : غداً عيد للرب » إصحاح ٣٢ من سفر الخروج .

والأولى أن يبرىء هرون ، ويدفع السامرى بهذا . أما الحلى ، فكان قد أخذها بنو إسرائيل قبل عبور البحر من القبط « أى المصريين » وما نقلت ما نقلت إلا لأبين مكانة هرون عند اليهود وعند النصارى ، لنفقه قولهم لمريم الذى قصه الله : « يا أخت هرون » .

« امْرَأً » : هى تذكير امرأة ، ويقول ابن فارس : المروّة كمال الرجولية ، وهى مهموزة مشددة ، ولا يبنى منه فعل ، والْمَرَاءَة : مصدر الشىء .

« سَوْء » : أصل الكلمة يدل على القبح ، رجُلٌ أَسْوَأُ ، وامرأة سَوْءاء أى قبيحة . وعند الراغب : السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية ، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة ، من فوات مال وجاه ، وفقد حميم . وقال ابن الأثير عن السوأة : كل ما يستحيا منه إذا ظهر من قول ، أو فعل .

« بَغِيًّا » : سبق تفسيرها فى نفس السورة ، وهى المرأة إذا فجرت لتجاوزها إلى ما ليس لها .

« المهد » : أصل الكلمة يدل على توطئة ، وتسهيل للشىء .

« صبيًّا » : للكلمة عند ابن فارس ثلاثة أصول صحيحة الأول : صِغر السِّنِّ ، والثانى : ريح من الرياح ، والثالث : الإمالة . وقال الراغب : الصبى : من لم يبلغ الحُلُم أقول : ولم تستعمل كلمة صبى فى القرآن إلا مع عيسى ويحيى وفى المعجم الوسيط : الصبى : الصغير دون الغلام ، أو من لم يفطم بعد .

« المعـــنى »

أسلمَتْ الصِّدِّيقة القدِّيسة الحَصَان ـ مريم ـ قلبها وأمرها ووجهها للرحمن الرحيم ، فما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .

لقد هَدْهَدَتْ الآية الإلٰهية أحزانها ، واستقرت مشاعرها فى سكينة من الله ورحمة ، وأحالت خوفها وقلقها هدوءاً وطمأنينة وبهجة تنير الدنيا أمامها بنور الجنة ، وتثير فى نسائمها عطور الجنة .

تدبر : قوله تعالى : « فكلى ، واشربى ، وقرى عينا » تدبرها بالروح والقلب والفكر ، تشعر الياءات فى : كلى واشربى وقرى عينا ، وعند تأمل الترتيب البديع تشعر بطمأنينة تنتقل إلى روحك من مجرد التلاوة المتدبرة رغم أن الأمر غير موجه إليك ، ثم تدبر قهر القدرة ورحمتها وكبرياء الألوهية فى قوله سبحانه (فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً ، فلن أكلم اليوم إنسياً) لا ريب فى أن الصديقة استلهمت هذه الأوامر سمواً على أولئك الذين تعلم أنهم يتربصون بها الدوائر من اليهود ، وقوة روحية قضت على كل ما كان يخيل إليها أنه نصب وعذاب .

إن هذا النفى البات الجازم المقتدر « لن أكلم اليوم إنسياً » لا يقوله إلا من يستند إلى أعظم قوة ، وأعز اقتدار . من ذا الذى يَجْبَهُ اليهودية الطاغية الظالمة الموتورة الغبية الأحقاد بهذه القوة الرائعة التى تُرْغِم من يشعر بها على أن يُذْعِن .

لقد مَنَّ الله عليها بهذا قبل أن تلقى عدوها الجاحد . أتى بها إلى هذا المكان القصى ، لتخلُص له بكل ما فطرت عليه ، وبكل مالها من سمع وبصر وحسن شعور وعاطفة ووجدان وفكر وقلب وإيمان ، فسَلَّحها بسلاح لا يَفُلُّهُ شئ أبداً . ونحن حين نتصور حشود اليهود فى سلاطة سفاهتهم ، وجهامة وجوههم وألسنتهم تلوك فواحشَ السباب ، وفواسقَ الكلمات ، وقد احتشدوا ، ليبطشوا بالصديقة الرقيقة المؤمنة الطيبة ، ثم نتصورها ، وقد قالت ، وجبينها يلمع بالإشراق والجلال ، وفمها

يلمع بالبسمة الحانية التي نعرفها على أفواه المنتصرين . وهي تقول لهم : « لن أكلم اليوم إنسياً » حين نتصور هذا نستطيع إدراك أية قوة عالية قاهرة غالبة استمدتها مريم من قول الله سبحانه ، ولعرفنا كيف كانت ، وهي تحمل عيسى ذاهبة إلى قومها . ما انتظرت حتى يعثروا بهـا ، حملته في تحدٍّ سافر نبيل . تحدى الحق للباطل ، والخير للشر ، والإيمـان للـكفر ، والصدق للـكذب ! ! تحدى الملائـكة للأبالسة .

(فأتت به قومهـا تحمله) التعبير « بأتت » يدل على مدى اليُسْر النفسى ، والانطلاق الروحى اللذين كانا يفيضان فى نفسها وروحها . ويدل على أنها كانت تسير إلى غايتها دون خوف أو قلق أو تعثر ، وأنها استقامت على طريقتها فى السير ، وكبرياء الإيمان تحدو لها الطريق .

وجاءت « تحمله » دليلاً على أنه كان لمَّا يَزَلْ يُحْمَل . أى لم يكن يستطيع السير ويدل على أنها كانت ذات قوة على هذا ، وأنها لم تـكن فى قلق أو خوف .

لـكن هنا سؤال يُسْأَل : متى جاءت إلى قومها ؟ .

إن نظم الآية يدل على أن مريم لم تمـكث بعد الوضع كثيراً ، بدليل الفاء الموجودة فى « فأتت » التى تفيد التعقيب .

(قالوا : يا مريم لقد جئت شيئاً فريًّا) عدم وجود إن حذف الفـاء من الفعل « قالوا » يدل على أنه قد حدث هرج ومرج ، وعلى أنه أصاب الناس ذهول عميق ،

ثم أفاقوا منه ليقولوا ما قالوا : وإن القول الذى بهتوا به مريم — رغم وقاحته — يدل على مدى ما كان لمريم الصديقة من مكانة سامية ، ويدل رغم ذلك أيضاً — على أن للفضيلة القداسة والمـكانة فى القلوب حتى بين الدُّعَّار الفسقة . أما الأول ، فلأن المرأة التى تأتى لقومها بطفل تحمله لا يقال لها هذا ، فحسب بل يقال لها ما هو أشد شناعة ونُـكراً . غير أن مكانة مريم فى القلوب جعل القول من هؤلاء اليهود ينزع شيئاً ما إلى غير ما يستحقه الموقف من قلوب قوم سفهاء تأخذ بهم وثنية صَمَّاء فلم يفحشوا

إخفائهم مع غيرها . أما الأمر الآخر ، فيؤخذ من مجرد استنكارهم لحال مريم . رغم أنهم كانوا خطاة ماجنين .

ونطقهم باسمها يدل على أنهم كانوا يثقون فى أن هذه الإنسان[١] التى اسمها مريم ما كان يصح منها ما يرون . لم يقولوا مثلا : أيتها الخاطئة ، أو الزانية وإنما نادوها باسمها ، ليذكروها بما لهذا الاسم فى قلوبهم من مكانة وإجلال ، ولتبدو الجريمة المزعومة فى نظرهم أشد نكارة وفحشاً لأنها تسند إلى مريم . لا إلى امرأة أخرى .

ولست أدرى كيف استساغ أبو حاتم أن يروى هنا حديثاً يناهض القرآن ، وهو يرويه عن نوف البكالى . قال : وخرج قومها فى طلبها . قال : وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يُحِسُّوا منها شيئاً ، فلقوا راعى بقر ، فقالوا : رأيت فتاة كذا وكذا نعتها ، قال : ولكنى رأيت الليلة من بَقَرى ما لم أره منها قط . قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادى . قال عبد الله بن أبى زياد : وأحفظ عن سيّار أنه قال : رأيت نوراً ساطعاً ، فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم ، فلما رأتهم قعدت ، وحملت ابنها فى حجرها ، فجاءوا حتى قاموا عليها و (قالوا : يامريم لقد جئت شيئاً فريًّا) أمراً عظيما .

تدبر الحديث عن سجود البقر نحو المكان الذى فيه ولد عيسى . أليست فيه النزعة إلى تأليه الوليد ؟ ! .

ثم قارن بين ما قيل عن مريم ، وبين ما قال القرآن من أن مريم هى التى أتت قومها بابنها تحمله ! ! .

(يا أُخت هٰرون) لقد قدمت بيان ما كان لهٰرون عند اليهود من قدسية ومكانة تسمو عن مكانة موسى . فهم إذن يذكرون مريم بأنهم كانوا يرونها أختاً لهٰرون

---

(١) إنها تطلق هكذا على المذكر والمؤنث .

هى سيرته ومكانته ، لا أنها أخته حقيقة من أمه وأبيه . فكم بين موسى ومريم من حِقَبٍ أو أجيال . ونلخص عن ابن جرير الطبرى رأى المفسرين فى هذا .

قال بعضهم : قيل لها (يا أخت هارون) نسبةً منهم لها إلى الصلاح ؛ لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون : هارون وليس بهارون أخى موسى .

وقال بعضهم : عنى به هارون أخو موسى ، ونُسبت مريم إلى أنها أخته ؛ لأنها من ولده ، يقال للتميمى : يا أخا تميم ، وللمضَرِىّ : يا أخا مُضَر .

وقال آخرون : بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً ، مُعْلِن الفسق ، فنسبوها إليه .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه ، وأنها نسبة إلى رجل من قومها .

أما الخبر الذى يعنيه ابن جرير الطبرى ، فهو ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن إدريس : سمعت أبى يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة ابن شعبة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران ، فقالوا : أرأيتَ ما تقرءون (يا أخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال :

« ألا أخبرتَهم أنهم كانوا يُسَمُّونَ بالأنبياء والصالحين قبلهم » . وقد انفرد بإخراجه مسلم والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس . وقد نقل عن محمد بن كعب القرظى أنه قال عن مريم : هى أخت هارون لأبيه وأمه ، وهى أخت موسى أخى هارون التى قصت أثر موسى ، فبصرت به عن جُنُبٍ ، وهم لا يشعرون .

ولعل الذى دعاه إلى هذا القول ما ورد فى الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج « أحد أسفار التوراة كما يزعم اليهود » بعد أن نجى الله موسى وقومه من فرعون :

« فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها ، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ، وأجابتهم مريم : رنموا للدف ، فإنه قد تعظم؛ الفرس وراكبه طرحهما البحر» فقرة ٢٠ ، ٢١ .

وهو خطأ بين من القرظى ، فالله يقول عن عيسى بعد أن ذكر أنبياء بنى إسرائيل (وَقَفَّيْنَا على آثارهم بعيسى بن مريمَ مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) المائدة : ٤٦ .

وبين عيسى وموسى كثير من أنبياء بنى إسرائيل منهم داود وسليمان، وفى البخارى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنا أولى الناس بابن مريم ليس بينى وبينه نبى » فهى إذن ليست أخت هرون بالمعنى الذى ذهب إليه القرظى .

وقد روى ابن جرير حديثاً لا أعلم حاله ، ولكنه - إن ثبتت صحته . يدل على مبلغ اعتزاز الصحابة بدينهم وتوقيرهم لكل ما يرد عن الرسول ، ورفضهم عن يقين وطاعة كل قول يخالف قوله أيًا كان قائله .

خلاصة الحديث أن كعباً قال عن هارون فى هذه الآية ليس بهارون أخى موسى ، فقالت له عائشة : كذبت ، فقال . ياأم المؤمنين إن كان النبى صلى الله عليه وسلم قاله ، فهو أعلم وأخبر ، وإلا فإنى أجد بينهما ستمائة سنة قال : فسكتت . . وتحديد المدة بستمائة سنة لا يستند إلى دليل لكن الذى دعانى إلى روايته ما ورد فيه « إن كان النبى صلى الله عليه وسلم الخ » .

« ما كان أبوك امرأ سوء . وما كانت أمك بغيا » جىء بكان لإفادة أن هذا المعنى الذى ورد . بعدها حادث من قبل ، وأنه ثابت ثبوت الذى حدث فى الماضى [1].

---

(١) عجيب أن يقال : إن كان « حشو » لا تعطى فائدة ! ! وكلام الله لن يكون فيه أبداً حشو لا فائدة فيه إنما هو تقديس النحو لعلماء النحو يهوى بهم إلى النيل من الله لا من قواعد النحو .

ولقد قيل لها هذا لإبراز شناعة فاحشتها ، ولكبت كل همسة عذر تحاول أن تصعد إلى شفتيها ، لأن بيئتها بيئة طهر وإيمان ، هذا لأن الابن فى ظن الكثيرين يرث صفات أبويه (١) .

وقد يفهم من تفهيم السَّوْء من الأب هنا أنهم يريدون من ذلك أن يقولوا إن أباك لم يفعل بامرأة ما فُعِل بك ، حتى نظن أنه جوزى فيك بمثل مافعله هو ببنات الآخرين أما نفى البغاء عن الأم فظاهر معناه ، وهو من أين تعلمت هذا ، أو كيف فعلته وأمك لم تقترفه ؟! وفى هذا مافيه من لوم وتقريع شديد بأسلوب يبدو وكأنه ليس كذلك .

« فأشارت إليه » المعنى واضح ، غير أننا نريد تصوره تصور القِدِّيسة الصالحة ، وقد سمعتْ ما سمعت ، ثم تصورها وهى تشير فى يقين ووثوق وسكينة وتعالٍ يغمرها عن الإيمان القوى العظيم . وهنا تبدو عظمة رحمة الله وحكمته فى أمره لها بالصوم ، وبنائه فوق أكرم المعانى والقيم كرامة هذه المؤمنة . فهذا موقف لا ينفع فيه جدل ، إنما هى آية لا يُبَرهَنُ عليها إلا بآية مثلها . إنه ولد آيةً فكان من أم من دون أب ، فأعطاها الله برهانها آية أخرى من عنده هى أن يوحىَ إلى الصبى بالكلام البين .

« قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً » لا توجد « فاء » فى الفعل « قالوا » مما يدل مرة أخرى على حدوث هرج ومرج ودهشة عقب إشارتها إليه مما جعل كلامهم يبدو وكأنه كلام مستأنف من جديد . وكلمة « كيف » توحى منهم بالدهشة والعجب والاستهزاء والسخرية . ولا سيا وقد جيء بعدها بما يبدو وكأنه دليل يوحى بأن لهم الحق فى العجب والسخرية . وهى « فى المهد صبيا » فالواقع والسنة المفهومة أن من كان هذا حاله ، فإنه لا يُكَلَّم أو يتكلم .

---

(١) أشرت إلى هذه القاعدة فى تفسير سورة الكهف عن الغلام . خشى أن يرهق والديه طغيانا وكفرا .

مع أن الله قد أثبت هاتين الحقيقتين لمعنى فى قوله سبحانه (ويكلم النـاس فى المهد وكهلا ، ومن الصالحين) آل عمران ٤٦ .

وليست الـكهولة هى الشيخوخة كلا ، إذ يقال : اكتهل النبت إذا تم طوله ، وظهر نوره ، واكتهلت الروضة : عَمَّها نبتُها ونورَها وكلة « كهل » لم تذكر فى القرآن سوى مرتين ولم تُذْكَر إلا وصفاً لعيسى .وتلك إحدى الآيتين أما الأخرى (إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك ، وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تـكلم الناس فى المهد وكهلا) المائدة . هذا هدى الله الحق عن هذا .

أما فى الأناجيل المطبوعة ، فقد تـكلمتْ عن مولده بما يأتى :

لم يذكر متى شيئاً عن مولده سوى أنه ولد فى « بيت لحم » اليهودية فى أيام « هيرودس »[1] الملك (ص ٢ متى) .

وأما لوقا ، فذكر مولده باستفاضة :

وفى تلك الأيام صدر أمر من « أوغسطس قيصر » بأن يكتب كل المسكونة .. فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته ، فصعد يوسف[2] أيضاً من الجليـل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى : بيت لحم لـكونه من بيت داود وعشيرته ، ليـكتتب مع مريم المخطوبة وهى حُبلى وبينما هما هناك ، تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر . وقمطته ، وأضجعته فى المِذْوَد ، إذ لم يكن لها موضع فى المنزل » إصحاح رقم ٢ وقال برنابا فى الفصل الثالث :

(١) كان هيرودس فى ذلك الوقت ملـكا على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس ، وكان « بيلاطس » حاكما فى زمن الرياسة الـكهنوتية لحنان وقيافا فعملا بأمر قيصر ،

---

(١) هو لقب لـكل ملك يهودى تولى فى ذلك العهد كما قال بوست

(٢) يعنى يوسف النجار الذى قيل إنه كان خطيباً لمريم .

اكتتب جميع العالم ، فذهب إذ ذاك كلٌّ إلى وطنه ، وقدموا أنفسهم بحسب أسباطهم ليكتتبوا فسافر يوسف من الناصرة إلى إحدى مدن الجليل مع امرأته ، وهى حُبلى ذاهباً إلى بيت لحم لأنها كانت مدينة وهو من عشيرة داود ، ليكتتب عملا بأمر قيصر ، ولمابلغ بيت لحم لم يجد فيها مأوى إذ كانت المدينة صغيرة وحشد جماهير الغرباء كثيراً ، فنزل خارج المدينة فى نزل جعل مأوى للرعاة وبينما كان يوسف هناك ، تمت أيام مريم ، لتلد فأحاط بالعذراء نور شديد التألق ، إذ لم يوجد موضع فى النزل فجاء جوق غفير من الملائكة إلى النزل بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفى الله ، (وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع . وقاما على تربيته بأعظم سرور) . لكن الله سبحانه جعل للقرآن الهيمنة على كل كتاب الهى . فضلا عن كل كتاب غير الهى ، فالحق مافى القرآن . وإن حدثنا أهل الكتاب بشىء ليس فى القرآن ، فلنقف على حياد القلب والفكر ، فلا نصدق ، ولا نكذب . وأكرر . وأكرر : إذا لم يكن فى قولهم مخالفة للقرآن . والحديث الصحيح .

هدانا الله إلى الحق والصواب . . وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد .

عبد الرحمن الوكيل

العام الهجرى الجديد

تستقبل مجلة ﴿ الهدى النبوى ﴾ بهلال المحرم لسنة ١٣٨٦ عامها الحادى والثلاثين وتقدم خالص تهنئتها بهذا العام الجديد للمسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يجعله الله عام خير وبركة ويمن عليهم جميعاً ، كما نذكر السادة المشتركين الذين انتهت اشتراكاتهم بانتهاء العدد الماضى أن يبادروا بتسديد اشتراكاتهم مشكورين .

بيان هـــام

تنظيما للعمل ننبه على فروع جماعة أنصار السنة المحمدية أن يقتصر نشاط كل فرع على منطقته ولا يتعدى إلى أية جهة أخرى بأى حال من الأحوال وذلك حتى لا يقع اختلال فى العمل أو إثارة شحناء أو خلاف ؟

ركن السنة :

التحذير من الفتن

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال كنا عند عمر فقال أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن ؟ فقال قوم نحن سمعناه فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره ؟ قالوا أجل، قال تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة . ولكن أيكم سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التى تموج موج البحر ؟ قال حذيفة فأسكت القومُ فقلت أنا قال أنت ؟ لله أبوك قال حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » .

قال حذيفة وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر قال عمر أكسرا ؟ لا أبالك ، فلو أنه فتح لعله كان يعاد ، قلت لا بل يكسر وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت ، حديثاً ليس بالأغاليط .

« شرح المفردات »

حذيفة بن اليمان صحابى جليل كان أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنافقين حتى إنهم كانوا يعرفون نفاق الرجل إذا لم يصل عليه حذيفة وكان عمر الفاروق رضى الله عنه على جلالة قدره وسابقته فى الإسلام يسأل حذيفة هل تجد فى خصلة نفاق ؟ فيقول له لا ، ولا أزكى أحداً بعدك .

توفى رضى الله عنه عام ست وثلاثين من الهجرة فى السنة التى وقعت فيها موقعة الجمل المشهورة .

يذكر الفتن : أصل الفتنة فى كلام العرب الابتلاء والامتحان وهو مأخوذ من فتنة الذهب ونحوه على النار لتخليصه وتنقيته مما يخالطه من أتربة وأوضار ثم صارت فى العرف لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء . يقال فتن الرجل يفتن فتوناً إذا وقع فى الفتنة وتحول من حال حسنة إلى حال سيئة .

فتنة الرجل فى أهله وجاره : قيل أن معنى ذلك هو أن يفرط فى محبتهم والاشتغال بهم حتى يشغلوه عن كثير من أبواب الخير كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) وكما قال سبحانه (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) .

وقيل المراد بذلك التفريط فى بعض مايلزمه القيام به من حقوقهم باعتباره راعياً لهم .

التى تموج موج البحر : أى تضطرب ويدفع بعضها بعضاً شبهها بموج البحر فى شدتها وكثرة شيوعها واختلاطها وتدافعها .

فأسكت القوم : قال أهل اللغة سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت ، وفرق الأصمعى بينهما فقال سكت بمعنى صمت وأسكت بمعنى أطرق . وإنما أسكتوا لأنهم كانوا لايحفظون ماقاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك النوع من الفتنة .

لله أبوك : كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها لأن الإضافة إلى العظيم تشريف فإذا فعل الرجل ما يحمد عليه قيل له لله أبوك يعنى حيث أتى بمثلك .

تعرض الفتن على القلوب : المراد بالعرض هنا التعرض والظهور كأن الفتنة تعرض نفسها على القلوب أن تظهر لها فتنة بعد أخرى .

كالحصير عوداً عوداً : الحصير معروف والعود هو بضم العين والدال المهملة واحد الأعواد شبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها لأنه كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه ووجه الشبه الكثرة والتلاحق وسهولة التناول .

فأى قلب أشربها : معناه دخلت فيه دخولا تاماً وتمكنت منه كأنها حلت منه محل

الشراب ومنه قوله تعالى « وأشربوا فى قلوبهم العجل » يعنى تمكن حبه من نفوسهم .

نكت فيه نكتة سوداء : أى نقط فيه نقطة قال ابن دريد وغيره كل نقطة فى شىء بخلاف لونه فهو نكت .

وأى قلب أنكرها : يعنى ردها ولم يقبلها ولم يتلبس بها .

أبيض مثل الصفا : الصفا هو الحجر الأملس كالصفوان والمراد أن هذه القلوب لم تعلق بها الفتنة ولم تؤثر فيها كأنها حجر أملس لايعلق به شىء وهو كناية عن استمساكها بعقد الإيمان وسلامتها من الضعف واللين فلم تستطع الفتن أن تغيرها أو تؤثر فيها .

أسود مربادا : الاربداد شىء من بياض يسير يخالط السواد يقال أربد يربد فهو مربد كمحمر ومصفر والمراد أن هذا القلب تعلوه النكت بسبب تشربه الفتنة وقبولها إياها حتى يسود كله ولا يبقى فيه إلا خيوط ضئيلة من بياض .

كالكوز مجخيا : يعنى أنه نكس وقلب حتى لايستقر به خير ولاحكمة كما لايستقر الماء بالكوز المقلوب قال القاضى عياض شبه القلب الذى لايعى خيراً بالكوز المنحرف الذى لايثبت الماء فيه .

« المعنى الإجمالى للحديث »

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن لايدع الناس هكذا يختلط شرارهم بخيارهم ولا يعرف مؤمن من منافق ولا يتميز صادق عن كاذب بل هو سبحانه يبتليهم بأنواع من الابتلاء التى تظهر مطاوى القلوب وخفايا النفوس كما قال تعالى من سورة آل عمران « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » وكما قال من سورة العنكبوت « الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ».

وحينما تهب ريح الفتنة على القلوب تهزها هزا عنيفا فتتساقط القلوب الهشة الضعيفة كما يتساقط الحشف اليابس وتماع فى الفتنة كما يذوب الملح فى الماء وتركض فيها ركض الجواد فى حلبة السباق .

وأما القلوب المؤمنة التى ذاقت حلاوة الإيمان وخالطتها بشاشته فتثبت وتتماسك وتتشبث بعرى الحق فى قوة وتعتصم بما عرفت من معالم الهدى وتستقيم على النهج الواضح لا تزيغها عنه فتنة ولا تؤثر فيها ضلالة . وقد ضرب الله المثل لقلب المؤمن فى سورة النور بالزجاجة الشديدة الصفاء التى تلمع كما يلمع الكوكب الدرى فى أفق السماء ، فقلب المؤمن جامع لأوصاف ثلاثة هى الصفاء والرقة والصلابة فهو لصفائه ينفذ إليه نور الحق فيشع فى جوانبه ويضىء حناياه وهو لصلابته يرد الباطل ويأباه وهو لرقته رحيم غير قاس ولا غليظ تفيض منه الرحمة على كل من يحتاجه. وأما قلب المنافق فضعيف لين قابل لكل ما يرد عليه من الشهوات أو الشبهات التى تنطبع صورها فيه كما تنطبع صورة الختم فى الطين اللين ثم لا تزال تتراكم عليه وتعلوه وتعشش فيه حتى يربد ويصير كما فى الحديث :

« كالكوز مجخياً لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا »

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن كثير من الفتن التى أعلمه الله بالوحى أنها ستجرى على أمته وقد حذر من الخوض فى لجتها وأمر بالاعتصام عندها بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يأخذ المؤمن ما يعرف ويدع ما ينكر . وفى صحيح البخارى وغيره « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن » ولكن أمر الله كان قدرا مقدورا وفى هذا الحديث يحدث حذيفة عمر عن الفتنة التى تموج موج البحر ويقول له إن بينك وبينها بابا يوشك أن ينكسر وكان عمر رضى الله عنه هو ذلك الباب الذى انكسر فما هو إلا أن قتل بيد الغدر اللئيم حتى تحدرت الفتنة بعده تحدر السيل وهدرت هدير الموج وقيض الله لها من أبالسة الشر ورؤوس المكر والضلالة ممن تغلى مراجل قلوبهم بالحقد على الإسلام من يذكى نارها

ويشب أوارها حتى أكلت فيمن أكلت الخليفة الثالث والشيخ الوقور ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد حصار لداره اتى فيه هو وأهله أشد العناء. وفى هذا الجو الذى يغلى بالفتن والسيوف لا تزال مصلتة بيد الغدرة اللئام لم تجف بعد من هذا الدم الذكى الحرام بويع على بالخلافة وكان فيمن بايعه أخواه الكبيران طلحة والزبير رضى الله عنهما ولكنهما لم يلبثا أن أحسا وخزة الندم لخذلهما عثمان فصمما على المطالبة بدمه ونقضا مافى عنقيهما من بيعة على وقدما البصرة يستنفران أهلها واستقدما إليها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وكانت وقعة الجمل المشهورة ثم احتدم الخلاف بين على ومعاوية وكانت موقعة صفين التى قتل فيها نحو من ثلاثين ألفا من العسكرين ثم كانت مهزلة التحكيم التى انتهت بخروج الخوارج الذين روعوا المجتمع الإسلامى بما ارتكبوه من فظائع حتى قتل بهم على فى معركة النهروان ثم كانت موقعة الحرة زمن يزيد بن معاوية واستباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام يعيث فيه جند يزيد بالفساد بعد أن قتلوا معظم أهلها من أبناء الأنصار والمهاجرين ، ثم استشهاد الحسين بكربلاء على يد جند عبيد الله بن زياد ثم كان حصار مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير وجنوده على يد الحجاج بن يوسف الثقفى فى خلافة عبد الملك بن مروان الخ ما حفظه التاريخ من فتن وأحداث تموج بالناس موج البحر وتتتابع تتابع القطر . واستتبع هذا الخلاف السياسى خلاف من نوع آخر حول تفسير بعض العقائد الدينية فقال الخوارج بكفر مرتكب الكبيرة وحكموا عليه بالخلود فى النار وشاركهم المعتزلة فى الأمر الثانى، ولكنهم لم يسموه كافرا بل جعلوه فى منزلة بين المنزلتين ثم ظهرت بدعة القدرية الذى حمل لواءها غيلان الدمشقى ومعبد الجهنى ونسب إليها بعض السلف كالحسن البصرى . ثم ظهرت بدعة الإرجاء يعنى تأخير الأعمال عن الإيمان واعتقاد أنه لايضر مع الإيمان ذنب . وقد اتهم بها بعض الأئمة كأبى حنيفة رحمه الله بسبب رأيه فى الإيمان وهو أنه لا يزيد ولا ينقص ثم ظهرت بدعة الجعد بن درهم فى نفى الصفات وقد ضحى به خالد بن عبد الله القسرى فى يوم عيد الأضحى حيث خطب الناس وقال لهم (إذهبوا إلى أضحياتكم

يتقبل الله منكم فإنى مضح اليوم بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى تكليما) ثم نزل فذبحه. ثم تبعه الجهم بن صفوان الترمذى وغلا فى النفى، وقال بخلق القرآن. وذهب إلى الجبر المحض وزعم أن العبد لا فعل له ولا اختيار، ثم ظهرت بدعة المعتزلة ، حمل لواءها واصل بن عطاء وتبعه عمرو بن عبيد فقالا بقول القدرية ونفوا الصفات وأوجبوا على الله بعقولهم أشياء وأنكروا رؤية الله يوم القيامة ، وخرجوا على مقتضى النصوص الصريحة ، وحكموا العقل وحده فى مسائل العقيدة . ثم ترجمت كتب الفلسفة اليونانية وحكمة الهنود وآداب الفرس زمن بنى العباس فزاد الطين بلة واتسع الخرق على الراقع وجنحت بالناس الأهواء وركبوا متن كل عمياء. وجاءت الصوفية بألغازها وإشاراتها وقالت بالحلول ووحدة الوجود ، وزعمت الكشف والشهود ولبست على الناس بأنواع من المخاريق ، وابتدعت فى دين الله من البدع ما لا يحصيه إلا الله. ثم كانت فى العصور المتأخرة بدع البهائية والقاديانية والماسونية التى طال شرورها فى كثير من الأقطار الإسلامية . وهكذا تلاحقت الفتن على هذه الأمة ولا تزال حتى تكون فتنة المسيح الدجال التى هى شرها وأشدها ،نسأل الله أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، إنه العلى الأعلى الكريم الوهاب وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

الفتن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم . والقائم فيها خير من الماشى . والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرّف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذبه » رواه البخارى .

الغفـلة . . الغفـلة

بقلم السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا رحمه الله

الغفلة ذهول العقل وانصرافه عن شيء إلى غيره ، وضدها الانتباه أو الفطنة .

وهى غيبوبة تذهب بالإدراك والتمييز فتوقع المرء فى الضلال والإهمال وسوء التصرف، وعدم التبصر فى أمور الدنيا والآخرة ، فلا يتحرى الخير ولا يتوقى الشر ، ولا يعرف الحق من الباطل ، ولا يذكر ربه ولا يشكر نعمته ، ولا يسمع عبرة ، ولا يبصر آية . [فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور]

والغفلة عن الله واليوم الآخر تنشأ عن الجهل والتهالك على أمور الحياة ، والانغماس فى اللذات ، فمواصلة اللهو والتمتع بملاذ الدنيا والتفانى فى السعى لها ، لاتترك للمرء فرصة ليفكر فى غيرها ، لأن من المحال أن يوزع التفكير إلى ناحيتين ، وأن يتجه وجهتين فى وقت واحد ، ومن انصرف بكليته إلى زينة الحياة الدنيا ومفاتنها ومشاغلها ، وكرس لها كل وقته وجعلها كل همه ، لابد أن ينسى الله واليوم الآخر كما أكد تعالى فى قوله : [ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر] .

أى ألهاكم التكاثر ، وصرفتكم زينة الحياة الدنيا عن الآخرة ، فغفلتم عن أنكم مفارقون كل ماتجمعون وكل ماتحبون ، وظللتم فى غفلتكم تعملون دائبين وترتعون هائمين ، ولم تستعدوا ليوم الدين ، حتى أتاكم اليقين .

ألهاكم هذا الجشع وهذا التكاثر عن ذكر الله والتأهب لليوم الآخر . فلم تنتبهوا حتى زرتم المقابر . فياله من غنى جلب لكم كل فقر . وياله من خير توصلتم به إلى كل شر . ويالها من دوامة عشتم فيها باستمرار . لم تكف عن الدوران بكم فظللتم فى دوار حتى ألقى بكم فى القبر جارف التيار . فما أقوى إغراء التكاثر ولذة الربح والادخار .

إن فى هذه الآية الكريمة لبلاغة لايفهمها الغافل الجاهل ، ففى تشبيه الله تعالى ،

للمدة التي يمكثها الإنسان فى القبر حتى يوم الحشر بالزيارة ، إشارة إلى البعث وتأكيد أن الميت فى قبره ما هو إلا زائر سيعود إلى ربه حتما لأن الزيارة لابد من انتهائها مهما طالت مدتها .

ومن غفل عن الله واليوم الآخر فلا بد أن يغفل كذلك عن آياته لأنه أعرض عنها لانصرافه إلى عمله وربحه وانغماسه فى شهواته ولهوه ، قال تعالى [وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون] وقال [إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون] .

فإن الغافل عن آيات ربه الذى لا يرجو لقاءه . أى لا يرغب فيه ولا يتمناه، لأنه لم يرد إلا الحياة الدنيا واطمأن بها ، تزيده نعم الله عليه غفلة وضلالا وعصيانا ، إذ كلما انتشى برحيق متع الحياة ، تخدر فاستغرق فى عميق نوم اللذات ، وكلما أسرف فى عب كؤوسها كما اشتهى ، ودان لأهوائه واستسلم لها ، وأفرط فى ملذاته ولعب ولها ، فرط فى أمور الآخرة ولم يسع لها . قال تعالى :

[ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا] .

فما ضعفت إرادة المرء وعمى قلبه فاتبع هواه وفرط وأفرط فى أمره ، إلا بالغفلة عن الله فإن نسيان الرب سبحانه يوجب نسيان العبد نفسه — وما فيه خيرها فيفسق عن أمر ربه كما أخبر تعالى فى قوله :

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ،ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون] .

وبين لنا الله تعالى أن من ألهته دنياه عن أخراه ، وانصرف عن ذكر ربه إلى هواه، سيجزيه من جنس عمله ، قال تعالى [نسوا الله فنسيهم] وقال [الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا] وقال

[فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون] .

ولو لم تكن الغفلة اختيارية تنشأ عن التغافل والإعراض والاستخفاف ، لما غضب الرحمن الرحيم على الغافل عن الله واليوم الآخر ، وتوعده بشديد العقاب ، وذلك لأنه من المحال أن ينسى المرء مايهمه وما يخشاه ، كما أنه من المحال أن يغفل عما يحبه ويتمناه ، ولذا ترى الناس يحرصون على تذكر أوامر الملوك فى حذر ودقة ، إذ يخافون عقابهم ويرجون عطاءهم ، وفى ذلك برهان واضح ، على أن النسيان دليل الاستخفاف وعدم الاكتراث ، وآية عدم الخشية والاحترام .

وليس بعد الاستخفاف بأمر الله وحقوقه ، وعدم خشيته والاستهانة بما أعد فى الآخرة من ثواب وعقاب ، جريمة تستحق انتقامه وأليم عقابه ، ولذا توعد تعالى الغافلين فى قوله [ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون] .

فانظر كيف لم يكتف الله سبحانه بتشبيه الغافل بالأنعام ، بل وصفه بأنه أضل منها وذلك لأن الأنعام لم تضل ولم تغفل عما خلقت له كالإنسان، إذليس لها عقل كعقله ثم لم تنتفع به ، فأعرضت عن خيرها باختيارها ، أما هؤلاء الغافلون فإنهم تغافلوا عن الحق فلم يفهموه . وتعاموا عن نور الهدى فلم يبصروه ، وتصاموا عن داعى الله فلم يسمعوه ، فلم ينتفعوا بعقولهم وحواسهم إلا بمقدار كالأنعام ، وعاشوا بأجسادهم حياة بهيمية ، وكانوا من أهل جهنم باختيارهم ، إذ تغافلوا متعمدين ، ثم خضعوا لغفلتهم صاغرين ، فمن تغافل غفل عن شر عواقب الغفلة ، كمن تناوم فنام وغاب عن وعيه .

وكم من نائم أعمق النوم وهو يتكلم ويمشى ويعمل ، فلا يعجبك بعد ما بين جفنيه ، واتساع حدقتيه ، [وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون] .

ترى العيون مفتحة محملقة ، والثغور ضاحكة متشدقة ، والأيادى عاملة حاذقة ، والجسوم متزينة متأنقة ، أما القلوب فهى فى عميق النوم مستغرقة ، فإنها لا تنام العيون، ولكن تنام القلوب التى فى الصدور ، ونوم العين لا يستغرق من الوقت إلا القليل ، أما نوم القلب ، فربما استغرق العمر الطويل ، وما أصدق قوله تعالى [ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر] .

وما أجمل وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لمن غفل عن ربه فى قوله ، [مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ، مثل الحى والميت] نعم وصدق رسول الله ، فكم استحوذت زينة الحياة الدنيا على قلب الجاهل فرانت الغفلة على قواه العاقلة وجردته من رشده وحياته وتمييزه وتقديره ، فمات موتا أدبيا إذ فقد شعور قلبه ، وذهل عن ذكر ربه ، والإنسان بشعوره لا بوجوده إنسان . فلولا شعور قلب المؤمن بالجميل وذكره له ما كان شكورا . ولولا شعوره بالغضب والحزن ما كان حليما ولا صبورا . ومن نسى الجميل كان كنودا . ومن غفل عن الإهانة تصيبه كان بليدا . ومن نسى الإساءة انقطع حلمه . وكف صبره من كف ألمه . أما من ظل شاعرا بالجميل وبالقبيح وذاكرا للحسنة وللسيئة فإنه صبار شكور. ومن ظل شاعرا بالغيظ وظل كاظما له فهو حليم غفور. فلا بد لقلب المرء أن يستيقظ ليشعر ويقدر فيصبر ويشكر ، ويجاهد فى سبيل الله خوفا وطمعا . إذ كيف يخاف نائم عقاب الله ويطمع فى حسن جزائه .

وكيف يصبر ذاهل لم يرض بحكم الله وقضائه . وكيف يشكر غافل عن فضل ربه وآلائه . وكيف يستغفر ربه من لم يشعر بذنوبه وأخطائه . ؟ ؟

إن الغافل لا يشعر بوجوده حتى يفكر فيمن أوجده ولماذا أوجده ، ولا يبصر قلبه الذاهل آيات ربه حتى يؤمن به ويقدره حق قدره ، بل يعيش كالأنعام ، تسوقه الغرائز إلى ما يتطلبه البدن ، ولا يقوده القلب إلى ما تتطلبه الإنسانية ، وما يفرضه

الرب سبحانه ، وذلك لأن القلب الذاهل غير موجود كما أشار تعالى فى قوله .

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب) ، فإن القلب الواعى هو حياة الإنسان ومالك عنانه ومركز رشده ، إذ هو الذى يؤمن بالله ، وهو الذى يذكره ويخشاه فيتقيه ، وهو الذى يقود البدن إلى عبادة الله والجهاد فى سبيله ، فإذا غاب القلب وذهل ، أصبح البدن جثة تتحرك على غير هدى ، وكتلة لا تشعر إلا بما يلذ ويؤلم لحمها ، فتتقاذفها الأهواء والشهوات كما شاء لها الشيطان ، وقد بين لنا تعالى أن الغافل عن ربه ، ينقاد فى سهولة كالبهيمة إلى قرين السوء ويستحوذ عليه الشيطان ، فيضلانه عن السبيل ويوقعانه فى الهلاك فى قوله .

(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وقوله ، (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

وما أصدق قول ابن القيم ، والله ما عدا عليك العدو ، إلا بعد أن تولى عنك الولى . فلا تحسبن الشيطان غلب . ولكن الحافظ أعرض .

فلا يعرض الله تعالى إلا عمن أعرض عنه ولا ينسى إلا من نسيه كما أكد تعالى ذلك بقوله [نسوا الله فنسيهم] .

وما استطاع أن يغويه عدوه إلا بعد ما تخلى عنه وليه كما أكد تعالى بقوله [إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون] .

والغفلة عن الله تعالى تحبط كل حسنة وتبطل كل عبادة وكل عمل . لأن الغافل لا يعمل الخير ابتغاء وجه ربه . فهو لا يذكره حتى ينوى الإحسان فى سبيله وحبا فى رضاه . قال الرسول صلى الله عليه وسلم [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى] .

فلا بد للمحسن المتعبد أن يكون ذا كراً لله مجاهداً فى سبيله خوفا وطمعاً حتى يتقبل صدقاته وحسناته وعباداته . قال تعالى [الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله] وقال [ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين] وقال [والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم] .

وكلما كان الحافز على عمل الخير فى حب الله وحده . كانا الأجر عليه أعظم ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم [خير الصدقة أن تتصدق وأنت شحيح صحيح تخاف الفقر وترجو الحياة] .

فما أعظم وأحكم معنى هذا الحديث الشريف . فإن صحة البدن والتعلق بالحياة وبعد الأمل كثيراً ما ينسى المرء ربه ويدعوه إلى البخل فى سبيله كما يدعوه إليه شح نفسه وخوف الفقر . أما المرض واليأس من الحياة فإنهما يذكران المرء بالله ويدفعانه إلى التصدق تزلفا إليه ، خوفا من الممات وطمعاً فى الشفاء ، فربما لو لم يدفعه المرض والجزع إلى التصدق ، لما تصدق ولا تزلف إلى الله ، ولكان من الغافلين كما قال تعالى [وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ، ثم إذا خوله نعمة منه ، نسى ما كان يدعو إليه من قبل] .

ولذا كانت هذه الصدقة التى حفز عليها غيرُ حب الله ، أحط قدراً وأقل عند الله أجرا ، أما الصدقة التى لم تذكرْ بها وتدفعْ إليها دوافع من أغيار وأكدار ، ولم تله عنها وتمنعها موانع من مشاغل وهموم أو نعم ومتع ، بل يقدمها المؤمن فى السراء بالرغم من صحة بدنه وبعد أمله وتعلقه بالحياة ، وفى الضراء ، بالرغم من شدة حاجته إلى المال وخوفه الفقر ، فهى خير صدقة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الدافع إليها شعور المؤمن بحب الله وطلب رضاه ، والثقة بوعده وكرمه وحسن جزائه . لا شعوره بالجزع والمرض والخوف من الموت ، وهكذا كانت يقظة القلب وذكره لله ، سبباً فى عظيم الأجر ، كما أن غفلته عن ذكر الله ، إلا عند الشدة والجزع ، كانت سبباً فى بخس الأجر ، أو حبوط

الأعمال وذهابها هباء منثورا ، ألم تر كيف هدد الله تعالى الغافل عن صلاته فقال [فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون] ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم [قد يصلى المرء وليس له من صلاته إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها إلى أن قال : وقد يصلى وليس له من صلاته شيء] أى على قدر غفلة القلب عن الله ، تكون الخسارة وذهاب العمل سدى .

وقد حذر الله تعالى من الغفلة عن ذكره فقال [واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ، ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين] .

وحذر كذلك من الانصراف عن ذكره إلى فتن الدنيا ولهوها من أموال وأولاد فقال [يا أيها الذين آمنوا ، لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون] .

فاحذر أيها المسلم غفلة قلبك ، التى تبعدك عن كل خير وعن رحمة ربك ، والتى تجردك من عقلك ولا تجردك من ذنبك ، فكم من هفوة ، سببها غفوة ، وكم من زلة ، سببها غفلة .

للمقال بقية

٢٤ - نظرات في التصوف

التصوف والمثل الإسلامى الأعلى

يوم الخرائب والمثل الأعلى : يقول جولدزيهر عن أثر التصوف فى تغيير المثل الأعلى : « تغير النظر إلى المثل الأعلى للحياة ، الإسلامية ، فأصبح يُنظَر إليه من وجهة تخالف تلك التى أقرتها تعاليم المذاهب السنية . وهكذا أثَّر الصوفيون تأثيراً قوياً على الجماهير الخاضعة لنفوذهم ، فَقَلَّ إعجاب الناس بتلك السِّمة العسكرية التى كانت لأبطال الإسلام وكُماته — والشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئة المجاهدين — فانصرفوا عنها وولوا وجوههم نحو صور الزُّهَّاد الشاحبة ، وأجسام العباد المهزيلة والرهبان المنقطعين فى الصوامع ، بل إن الأبطال الأقدمين فى عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثالا يحتذى ، صار لزاماً أن يحصلوا على صفات البطولة الجديده ، أى أنهم جُرِّدوا من سيوفهم ، وألبسوا أردية التصوف »[1] .

وقد كشف المستشرق بفقرته الأخيرة عن جناية مؤرخى الصوفية على تاريخ أبطال الإسلام السالفين ، فبدلا من أن يبرزوا خصائصهم البطولية النادرة راحوا يصورونهم زوراً وبهتاناً فى صورة المجاذيب ذوى الخرق القذرة النتنة والأجساد الضاوية الهزيلة والهمم الخابية الخائرة ، والخيالات التى تجمح بها الأساطير عن حقائق الدين والحياة والوجود ، وقضايا العقل الصحيحة ، ومن خلال هذا التصوير الزائف يدعون إلى اتخاذهم مثلا علياً — لما صورهم التصوف فى تاريخهم الآبق — لا كما هُمْ فى حقيقتهم التى تركت آثارها فى الحياة أروع أمجاد البطولة والاستشهاد أى يريدون أن نكون يوم خرائب .

---

(١) ص ١٥٤ العقيدة والشريعة ط ١ .

وما قاله جولدزيهر حَقٌّ تؤيده الأدلة والشواهد من كتب التصوف ، فإننا نجد فى كتب تراجم الصوفية أسماء صفوة الصحابة ، وقد ضمتهم أقلام الصوفية الباغية إلى زمر الصوفية، وصورتهم تصويراً يجعلك تظن أن أبا بكر كان شيخ طريقة ، كما صوَّر الصوفية أولياءهم تصويراً يثير فى النفس الوحشة والكآبة ، ولا يحملها إلا إلى خرابات زكمتها جثث عفنة ، أو أدغال تفح فيها الرقط وتعوى دونها الذئاب . تصويراً لا يشيع فى النفس ريا تفاؤل أو بهجة ، أو بشاشة أمل أو هشاشة رجاء . إنها صورة الفناء الموحش والعدم الرهيب . صورة أشباح تنساب فى مغاور جن تحت ظلمات الليل ، صورة كهوف طامسة يترصد فيها المجرمون لكل طارق ليل ولكل ساع إلى مسجد .

فأولياؤهم بُلْهٌ شعث غبر صفر الوجوه أو سودها وثيابهم مراقع خلقة دنسة نتنة يتخذ منها القمل له مغدى ومراحا يعيشون فى الصحارى ، أو فى الخرائب ، أو فى مغاور الجبال . أو فوق تلال الرمال المحرقة ، وأولياؤهم مجرمون خربو الذمم ، ينتهكون كل ستر ، وينهبون كل محرم .

يصف لنا الشعرانى أحد أوليائه ، فيقول : « كان عامة نهاره وليله واقفاً على كوم عال ومعه طوق حجر طاحون يحركه بين رجليه ، وهما مفترقتان ، وكانت له عمامة نحو قنطار يجمعها من شراميط الكيمان[1] » ويصف آخر بقوله : « وكان رضى الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى ، وكان دكانه منتنا قذرا ؛ لأن كل كلب وجده ميتا أو قطا أو خروفا يأتى به ، فيضعه داخل الدكان ، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده » ثم يقص عن قديسه هذا أنه توجه مرة إلى المسجد فوجد فى الطريق مسقاة الكلاب ، فتطهر فيها ، ثم وقع فى مشخة حمير . ويصف آخر بقوله : كان رضى

---

(١) ص ١٦٩ جـ ٢ الطبقات ط صبيح .

الله عنه من أهل الكشف التام وكان له كلب قدر الحمار لم يزل واضعاً بوزه على كتفه[١] ويصف « البدوى » وهو قائم على سطح غرفته بقوله : « وكان طول نهاره وليله قائما شاخصا ببصره إلى السماء ، وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر ، وكان يمكث الأربعين يوما وأكثر لا يأكل ، ولا يشرب ، ولا ينام » ويقص الشعرانى أن البدوى نزل بعد هذا إلى الشارع ، فتبعه الأطفال . وعينه متورمة ، وأنه طلب من الطفل عبد العال أن يحضر له بيضة مقابل جريدة خضراء فذهب الطفل إلى أمه ، فرفضت ، فلما أخبر البدوى بهذا ، أغراه البدوى بإحضار بيضة له من الصومعة ، فأحضرها له دون علم أمه !! أى أغراه بالسرقة ثم يقول : « وكان إذا لبس ثوبا أو عمامة لا يخلعها لغسل ولا لغيره حتى تذوب » وقد مات البدوى قبل الشعرانى بقرون ، ولكن رغم هذا يقول : « وأردت التخلف سنة من السنين ـــ أى عن مولد البدوى ـــ فرأيت سيدى أحمد ، ومعه جريدة خضراء ، وهو يدعو الناس من سائر الأقطار . والناس خلفه ويمينه وشماله أمم خلائق لا يحصون ، فمر على وأنا بمصر ، فقال . أما تذهب ؟ . فقلت : بى وجع ، فقال : الوجع لا يمنع المحب . ثم أرانى خلقاً كثيراً من الأولياء وغيرهم الأحياء والأموات من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ، ويزحفون معه يحضرون المولد ، ثم أرانى جماعة من الأسرى جاءوا من بلاد الإفرنج متقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم »[٢] .

---

(١) ص ١٣٠ المصدر السابق ، ويجعل من كراماته تحويل لحم الضأن إلى حمام بمجرد توجه شهوته إلى ذلك .

(٢) انظر ترجمة السيد البدوى فى الجزء الأول من طبقات الشعرانى ولا بد أن يكون للشعرانى مع كل ولى قصة ـ وإلا فكيف يكذب لهم ، ولا يكذب لنفسه ـ فقد زعم قبل هذا أن يد البدوى امتدت من قبره إليه ، وأن البدوى ـ حين تخلف الشعرانى عن مولده ـ كان يشق جدار قبره ، ويرفع ستره ويقول للناس : لماذا أبطأ الشعرانى ؟ ا ص ٦١ ج ١ طبقات ، وقد أثبت الشعرانى لنفسه أنه سمع تسبيح الجمادات والحيوانات ، وسمع من يتكلم فى أطراف =

هل يستوعب الخيال هذه الصورة الرهيبة ؟ صورة ميت هلك من قرون ينشق عنه قبره ، وللوتى يزحفون — وكلهم ذوا عاهات وراءه بأكفانهم ، والأسرى يزحفون بأغلالهم ومقاعدهم ؟

وأى نتن خبيث يمكن أن تشمه حين تقرأ أن البدوى كان لا يخلع ثوبه الصوفى وعمامته من على جسده إلا بعد أن يبليا ؟ . وهما ملتصقان بجسمه الضخم فى قيظ الصيف ؟ !

ويصور لنا القشيرى أحد أوليائه فى صورة شبح أسود فقير يأوى إلى الخرابات بيد أن هذا الشبح الخرب يشير إلى الأرض الخربة ، فتصبح كلها ذهباً يلمع وآخر فى صورة قزم يرتدى قميصاً من الكتان ، فحسب ، ويمشى ونعله فى أصابعه وآخر فى صورة رجل أشعث أغبر بين يديه قطعة فحم مشتعلة يقلبها بيديه ، وقد لوث سواد الفحم ذراعيه ، وتحمل إليه خادمته الخبز واللبن ، فيسيل اللبن من شدقيه على ذراعيه ، الملوثتين بسواد الفحم ، فيختلط هذا بذاك ، فيثير هذا المنظر الكريه فى نفس خادمته تقززاً — وحق لها أن تفعل — وتطوى نفسها على اتهامها له بالقذر ! !

ولكى يغلق القشيرى فى وجهنا كل باب ، ويثير فى أنفسنا الرهبة ، ويتوعدنا بسوء الخاتمة والمصير التعس إن حاولنا نقد هذا المنظر الكريه . يزعم أن الخادمة كان نصيبها أن تتهم بالسرقة جزاء اشمئزازها من هذا المنظر الكريه ، ثم يزيدنا إرهاباً فيزعم أن الشيخ توجه ، وأنقذ خادمته من يد الشرطة ، ثم قال لها : لاتقولى بعدها : ما أقذر الأولياء[1] ! ! يعنى أن الشيخ — ومثله كثير — يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ! ! فهو قد علم ما كان فى نفس الخادمة ! !

= مصر ، بل فى سائر أقاليم الأرض ، وسمع تسبيح السمك فى البحر المحيط ٣ ص ١٧١ ج ٣ لطائف المنن « نقلا عن التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك » وأثبت أيضاً أنه اجتمع بإبليس على ساحل النيل ، وجادله كما جاء فى الطبقات .

(١) أنظر نص الرسالة القشيرى من ص ١٦٣ إلى ص ١٣١ ، ص ١٢٩ ج ٢ الطبقات .

ويصور لنا الشعرانى ولياً آخر فى صورة قزم أعرج يمشى وفى يده عصا فيها حلق وشخاشيخ ؟

أما ابن عربى ، فيصور لنا قطب الزمان فى صورة رجل أشل اليد . وقطب الزمان عندهم هو سيد الأولياء ، يتحمل أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها !

والغزالى : وقد استمات فى سبيل أن يخلع تاج القطبانية الكبرى وطيلسان الولاية العظمى على نفسه يشرد نفسه فى البرية ، ويرتدى مرقعة ، ويحمل على عاتقه[1] ركوة —

---

(١) وصفه بهـــذا القاضى أبو بكر بن العربى أنظر ص ٦١ الحقيقة فى نظر الغزالى ٢ ص ٩٢ المنقذ من الضلال ، وكان لابن الفارض ـــ كما جاء فى الدرر الكامنة قصر فى البهنسة ملىء بالجوارى والعبيد والمغنيات ، وقد جاءه ـ وهو فى سمره بين ندمان ـ نبأ موت إحداهن ، وهو يرقص . فما همه ذلك . وقد قصت علينا الصحف من مدة ليست بعيدة أنباء التركة التى خلفها الشعرانى ويتقاتل عليها ورثته من القاهرة ودمشق وبيروت . وللدكتور زكى مبارك كلمة دقيقة يفرق بها بين تصوف الشعرانى ، وتصوف ابن عربى نصها : « فالذى يؤمن بكل ما أشار به الشعرانى يخرج ، وهو مخبول ، والذى يؤمن بكل ما أشار به ابن عربى يخرج وهو زنديق والفرق بعيد بين الزندقة والخبالة » ص ٣٠٥ ج ٢ التصوف الإسلامى . والتصوف مشدود بين هذين الطرفين ، فهو ينتهى بالسالك إما إلى الخبل ، وإما إلى الزندقة ولا وسيط . ويقول الدكتور أيضاً عن الكرامات ، «والاعتقاد فى الكهان عزاء كبير للفقراء ، فهم يخلقون لأنفسهم دنيا من المجد الموهوم يعوضون بها ماضاع عليهـم من حظوظ الحياة ، ومن المؤكد أن هذه الوساوس لاتسود إلا فى عصور الضعف السياسى والاقتصادى حين تصبح الأمة ، وهى فارغة الأيدى من سلطان الجاه والمال ، ومن ذلك رأينا المسلمين فى عصور قوتهم لايعرفون غير الواقع ، مع أن الصلاح كان من أغلب الصفات عليهم ، ثم رأيناهم فى عصور الانحطاط يصدقون كل شىء ويلقون زمامهم إلى كل مخلوق عساهم ينسون ماهم فيه من شظف العيش . ونكد الشقاء . والتصوف نفسه من مظاهر الضعف » ثم يقول « إن الشعرانى وأصحابه وجدو فى مصر تربة خصبة ، فأثبتوا فيها ماشاءوا من صنوف الخيال ، وكان شيوع الشعوذة الصوفية فى هذه البلاد يسير جنبا لجنب مع ما اصطفاه نصارى مصر من النحلة =

آنية ماء — وأحياناً كان يرقى فى مغارة مسجد دمشق ، ثم يغلق بابها على نفسه ، أو يلج مكان الصخرة فى بيت المقدس ، ويوصد بابها عليه . وقد ظل هكذا — أحد عشر عاما بعيداً عن المجتمع ، دون أن يقدم له عملا سوى هذا التشرد المذهول ! ! ترى هل تسمو الأمة الإسلامية ، أو تشرف بأن قادتها فى مثل هذه الصور ؟

ولقد رويت أمثال هذه القصص على بعض الفقهاء — كما يروى الأصمعى — فقال : « ما علمت أن القذر من الدين » .

على أن الذى يثير الدهشة والعجب أن أكثر الذين يقدمون لنا هذه الصور ويسبغون عليها الغامر من العطف والإعجاب ويجعلونها من سمات المثل العليا للقديسين ويناقضون هذه الصور فى معايشهم مناقضة حادة متوترة . فحياتهم بذخ مسرف ورفهنية ناعمة ، والليالى بين أيديهم نغم وجوار وشراب ، وكأس ورنين ذهب ، وميسر[1] ! !

فما الهدف ؟ إنه تجريد الأكثرية حتى مما يسد الأرماق ، وسلب أموال الناس بالباطل ، لتسيطر على الدنيا فئة باغية يصرف المجتمع هواها الظلوم ، ويشترى المستعمرون ذممهم الخربة . إنه القضاء على روح الكفاح فى المجتمع الإسلامى ، بل تدمير أمة الإسلام تدميراً لا يبقى منها آثاره ! !

« العـــوالم »

قسم الصوفية العالم إلى أربعة عوالم هى عالم الملك ، وهو من السماء إلى الأرض ، وهو

= الأرثوذكسية فإن اصطفاء نصارى مصر للمذهب الأرثوذكسى لم يقع إلا بفضل ماهم عليه من الضعف لأنه مذهب مشبع بالخرافات ، والخرافات هى السند لكل مخلوق ضعيف » ص ٢٨٤ ج ٢ التصوف الإسلامى . إن وراء نشر الخرافات التى سميت كرامات كيد دنىء ضد الإسلام ، رغم أن الدكتور كان شديد الحنو على التصوف .

(١) ص ٨٣ ج ٢ اليواقيت والجواهر .

عالم الناسوت والتجلى بالأجسام الكثيفة ، وأهل عالم الملك من العارفين بالله وقوة كل فرد منهم تساوى قوة ثلثمائة رجل ! ! ، وعالم الملكوت وهو من السماء الأولى إلى السماء السابعة وهو عالم الأنوار والتجلى بصور الأجسام اللطيفة ، ولكل واحد من أهله قوة خمسمائة رجل ، وعالم الجبروت وهو من السماء السابعة إلى الكرسى وهو عالم الأسرار والتجلى بصور الأجسام القدسية من الكروبيين ومن ضاهام ، ولكل واحد من أهله قوة سبعمائة رجل ، وعالم الأمر ، وهو التجلى بصور الروحانية القدسية المنزهة عن المادة والطبيعة ، ولكل واحد من أهله قوة ألف رجل . وفوق هؤلاء جميعاً قطب الأقطاب الذى يتجلى فى كل عالم من هذه العوالم بنسبة من نسب الحضرة الإلهية .

هل فهمت ـ وأنت الأديب اللبيب ـ شيئاً من هذا ؟ وهل لما ذكروه هنا سند من الكتاب ، وقد تدبرته ، أو من السنة وقد فقهتها ؛ أو من العقل الصحيح الذى يسد سمعه عن كل خرافة . ورغم أنك لا تجد لمحة نور ، ولا نفحة هدى ، ولا شفاعة حق فيما ذكروه ، فإنهم يحذرونك من أن تعترض عليهم ، لأن أساطيرهم حقائق مستمدة من الكشف الصوفى . ويتوعدون من يعترض عليهم بلعنة الله ، والحرمان من بركات قطب الوقت .

غير أنا ـ رغم هذا الوعيد الرهيب ـ نقول لأرباب الكشف . إن أعظم منة من الله بها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم تتجلى فى قوله جل شأنه : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) . وهذه قاصمة قصمت ظهور أعداء الله ، فقد بقى نور هداه العظيم يبدد ظلام هذا الكشف ، أو ظلام هذا العمى والضلالة .

أما ابن الفارض فيرى أن العوالم أربعة هى . عالم الشهادة ، وعالم الغيب ، وعالم الملكوت ، وعالم الجبروت . أما عالم الشهادة ، فهو ما يشاهد بالحس ، وأما عالم الغيب ، فهو المحدثات الغائبة عن الحس . وأما عالم الجبروت ، فهو ذات الله سبحانه ، وأما عالم الملكوت ، فهو صفات الله الجسمية .

وأرفع العوالم شأنا عند ابن الفارض هو عالم الجبروت ؛ لأنه عالم الذات المجردة ومستقرها ، أما وجودها فى غيرها من العوالم ، فلا يكون إلا عن طريق التنزلات ، فتنزل أولا إلى عالم الملكوت من جهة اتصافها بالصفات ، وثانياً إلى عالم الغيب من جهة إبداعها الروحانية وانخلاعها عليها ، وثالثاً فى عالم الشهادة من جهة تكوينها الجسمانيات وظهورها فيه[١] . وقد أقام ابن الفارض رأيه فى العوالم على أساس عقيدته فى الوحدة التامة بين الخالق والخلق ، فالخالقية ، والخلقية وصفان أو وجهان لحقيقة واحدة هى الذات الألهية . وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(١) هذا وما قبله ص ٢٨ ج ٢ جواهر المعانى . « للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

من وصايا القرآن

(ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن ، ولا تلمزو أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنو اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ، فكرهتموه ، واتقوا الله ، إن الله غفور رحيم)

(ياأيها الذين آمنوا كونو اقوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجْرمنَّكم شَنَآنُ قوم على ألاَّ تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)

آية المنافق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ :« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب : وإذا وعد أخلف . وإذا أتمن خان ».

التوسل مرة أخري

للأستاذ الكبير مصطفى بهجت بدوى
رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر ورئيس تحرير جريدة الجمهورية

أعتقد أننى فى حياتى الصحفية التى بدأتها متأخرا - فلم يجاوز انتظامها الآن عشر سنوات - أننى لم أتلق عددا من الرسائل والتعليقات على رأى أبديته أكثر مما تلقيت عن سؤالى « لماذا نعقد الأمور[1] ؟ » ، واعتراضى على التوسل بالأولياء والشفاعة لله عز وجل فى حياتنا الدنيا بغير الدعاء المباشر الموجه لذاته سبحانه ، وبغير النية الصافية والعمل الصالح .

عشرات وعشرات من الخطابات لاحقتنى ، ولا تزال ، تتناول مسألة الوسيلة وتؤكد تمسكها بالتوحيد الخالص الذى لا تشوبه شائبة مناداة غير الله أو التشفع بالأولياء الصالحين ، وأخرى تعلن فى نقد ذاتى حميد أنها كانت ضحية أوهام التوسل والتبرك والوساطة ثم زالت عن أعينها الغشاوة فبصرها اليوم حديد وبصيرتها أحد !

وما أحسبنى كنت أثير الموضوع مرة أخرى أو أعرض لهذه الرسائل لو كانت شخصية غير موضوعية ، ولكنها قضية عامة وهامة فى بلد أومن على سبيل القطع أن الدين الاسلامى يعتز بأبنائه فيه أكثر ما يعتز . .

ولقد أورد هؤلاء الأعزاء فى نصحهم للذين يتوسلون بجاه الأنبياء والأولياء ويتشفعون ، ويسألون نظرة من السيدة زينب رضى الله عنها وشيئا لله من السيد البدوى ، ويقدمون النذور لغير الله تبارك وتعالى ، أوردوا من محكم التنزيل آيات بينات كأنما أقرؤها لأول مرة !.

---

(١) تحت هذا العنوان نشر الهدى النبوى للأستاذ الكاتب الكبير كلمته الأولى حول هذا الموضوع . وذلك بالعدد الثانى عشر . (ذى الحجة ١٣٨٥) .

« ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم . تالله لتُسألن عما كنتم تفترون » .

« ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار » .

« أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » .

وكثير . . كثير . . ولنقرأ القرآن الكريم كله فلا تكاد تخلو سورة واحدة من الدعوة للتوحيد والتنديد بالشرك ومشتقاته !

هى إذن قضية واضحة جدا ، ما كان ينبغى أن يثور حولها خلاف ، لولا أنه يحلوا لبعض الناس أن يعقدوا الأمور فى مغالاتهم ورفعهم أقدار الصالحين إلى درجة التقديس فشبهات التأليه ! .

على أنى أدخر لختام كلمتى مفاجأة سارة ! .

لقد بادرت بإبداء رأيى فى التوسل منذ أربعة أسابيع إثر فتوى نشرها « الملحق الدينى » للجمهورية ، فى رد منسوب لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى على سؤال عن التوسل بقوله : « التوسل بأولياء الله الصالحين أمر لاشىء فيه مادام لم يؤد إلى ارتكاب محرم ، وذلك باعتبار الأولياء الصالحين أعظم عند الله شأناً وأقرب إليه من غيرهم » ! وقد عارضت هذا الرأى الذى جرى عليه بعض الناس كبدع دخيلة على ديننا عليها تصورات لايقاس عليها من واقع دنيانا فى الشفاعات والوساطات !

وقد أجاب فضيلة الشيخ السبكى على كلمتى برسالة جاءتنى منذ أيام نفى فيها أن تلك الفتوى صدرت باسمه ، وأضاف أنها ربما كانت أعدت ولم تقرر بصفة نهائية ، وأن رأيه فى التوسل واضح وصريح فى كتابه « نفحات القرآن » .

والفتوى حصل عليها السيد المحرر المختص من كراسة لجنة الفتوى . . هذه حقيقة .

غير أنني سعدت بخطاب الشيخ السبكي كل السعادة، ورجعت إلى كتابه القيم «من نفحات القرآن» فأثلج صدري بيانه العذب عن الوسيلة، إذ يقول «وقد تحدثنا عن مشروعية الدعاء وثمراته في الدارين، وهذا مقام يتحدث فيه القرآن عن الأبرار وتوسلت إلى الله بما سمعوا وبما أطاعوا . . فالعمل وسيلة [1] والمثوبة غاية وقد نادانا ربنا أن نأخذ بالوسيلة ووعدنا من فضله بتحقيق الغاية . . «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون»، وقد عرف الأبرار – أولا – أن يستجيبوا لربهم، فساغ لهم أن يبتهلوا إليه بما قدموا، ويطمعوا فيما وعدهم، والله يحب أن يسمع الدعاء من أحبابه، وهو بهم رحيم وبر كريم، فلن يضن عليهم بالعطاء ولن يفوت عليهم الرجاء».

بيان – كما ترى – جميل وواضح وحاسم، ولا سبيل فيه لإباحة التوسل بالأولياء.

هل كانت القضية إذن زوبعة في فنجان ؟!

أبداً . كانت واجبة، كدعوة التوحيد، وشكراً لفضيلة الشيخ السبكي الذي كان قوله مسك الختام!

---

(١) «العمل وسيلة». نعم . . العمل الذي يقدمه الإنسان هو وسيلته الوحيدة إلى الله تعالى لقضاء حاجاته ورفع كرباته . وليس شد الرحال إلى أضرحة الأولياء لالتماس شفاعتهم. ورجاء وساطتهم، إذ أن هذه اعتقادات باطلة قائمة على الأوهام والتصورات الخيالية الخاطئة أورثتها لنا البيئات التي شبت وعاشت وفنيت على التقليد الأعمى والحرص على إحياء البدع والخرافات.

ولقد كان إعلان فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي لرأيه الصريح في التوسل والوسيلة توضيحا للأمر الذي عاد — بعد ذلك — إلى حقيقته المشرقة وطبيعته الخيرة. فالإقرار بالحق فضيلة تعلو بقدر الإنسان وتسمو بشخصيته . . وأخيرا نتوجه بالشكر والتقدير لأخينا الأستاذ الكبير «مصطفى بهجت بدوي» السلفي الموحد على إثارته للموضوع على صفحات الملحق الديني للجمهورية . ووقفته المشرفة الجريئة حيال هذا الموضوع العقائدي الحساس . فأراح ضميره . وأرضى الله . ونال إعجاب القراء وتأييدهم «ولينصرن الله من ينصره».

«الهدى النبوي»

دراسات إســــلامية :

المعجزات فى القرآن

تناول حديثنا عن المعجزات فى العدد الماضى من مجلة الهدى النبوى النقاط الآتية :

« آراء علماء الأجناس فى نشأة العقيدة الدينية عند الإنسان البدائى ــ الرأى الأرجح من جملة هذه الآراء ــ صلة المعجزات بالدعوات ــ تنوع المعجزات وتفوقها » .

ونبدأ هذا المقال بمواصلة الكلام فيما وقفنا عنده من أن الآيات الخارقة للعادة جاءت للأقوام متنوعة حسب ما يناسب حال كل قوم : وأنها جاءت على مستوى أعلى مما كانوا يمارسونه من فنون وعلوم فى مضمار الحياة . لتؤدى وظيفة التحدى والإفحام لأولئك الأقوام . وفى ذلك دليل ورودها من الله القوى الغالب . . وإلى القارىء نورد نماذج من آيات الله الخارقة للعادة التى جاءت لنصرة الرسل . لنبين تنوعها وتفوقها .

فعلى سبيل المثال . كان قوم فرعون أهل علوم رياضية وطبيعية . وأولى سحر وصناعة . فجاء لهم موسى — عليه السلام — من عند الله بآيات يتحداهم بها . من صنف هذه العلوم .. بل وتفوقها صنعاً وأداء .

وكان الرومانيون أهل علم واسع . وباع طويل بالطب . فأمد الله تعالى نبيه عيسى — عليه السلام — بإمكانية إبراء الأكمه والأبرص . وإحياء الموتى . . الخ . فأعيتهم هذه الآيات وأعجزتهم .

ولما كانت العرب قد ارتقت فى لغتها فصاحة وبلاغة إلى درجة لم تتفق لغيرها من الأمم — إذ كان أذكياؤها قد وجهوا جميع قواهم العقلية والخيالية إلى إتقانها . وامتلاك نواصى فنونها — فقد جعل الله تعالى آية محمد — صلوات الله عليه — الكبرى إلى العرب كتاباً معجزاً هو القرآن[١] .

---

(١) سيأتى الكلام عن ذلك بالتفصيل فى حديثنا عن معجزات الرسل كل على حدة إن شاء الله .

هكذا جاءت معجزات الرسل خالية من عناصر الجمود والجفاء . بل جاءت نابضة بالحركة . مفعمة بالحيوية . لتؤازر الدعاة إلى دين الله أمام خصومهم . وتظهر صدق دعواتهم .

هدف دعوات الرسل : على أن الآيات الخارقة للعادة لم تأت للأقوام بقصد جلب مصلحة لذات الله من وراء إيمانهم بالرسالات .. تعالى الله عن أن تتعلق ذاته . أو ترتبط إرادته بشيء نافع من البشر . . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فهو تعالى غير محتاج إلى أحد من عباده . بل الناس كلهم فقراء إليه فى جميع أحوالهم وشئونهم . فهو خالقهم ورازقهم من يوم أن خلقهم حتى تقوم الساعة (يا أيها النّاس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد — فاطر : ١٥) .

ولم يخلق الله تعالى عباده إلا لإظهار كمال قدرته . وعظيم صنعه . وجمال خلقه . ولكى يعلن الناس دينونتهم له ، لأنه وحده المستحق للعبادة . الجدير بإفراد بالألوهية له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون — الزاريات : ٥٦) .

وحين طلب سبحانه من الجن والإنس أن يعبدوه لم يكن محتاجا إلى عبادتهم له . فإن إعراضهم عن عبادته لن ينقص من ذاته شيئاً . كما أن عبادتهم له لا ولن تزيد فى ملكه مثقال ذرة من شيء . فهو تعالى غنى عن العالمين (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد — إبراهيم : ٨) (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين — الزاريات : ٥٧ — ٥٨) .

كذلك لم يكن الأنبياء ينتظرون من أقوامهم جزاء دنيوياً نظير تبليغ رسالات الله إليهم . وقد ذكر القرآن ما جاء على لسان الرسل لأقوامهم بقوله تعالى (إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين — الشعراء : ١٠٧ / ١٠٩) .

وبقوله تعالى (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد — سبأ : ٤٧) .

من هذا يتبين لنا أن دعوات الرسل لم تكن فيها نفع لله — جل شأنه وتعالى عن ذلك — وكذلك لم يتطلع الأنبياء إلى أجر . ولم ينتظروا من أقوامهم عبارة شكر . وإنما كانت المصلحة كلها . وكان الخير كله عائداً على المرسل إليهم أنفسهم . فلو أنهم كانوا قد بارزوا بالإيمان بالله وبرسله . وأقبلوا على عمل الصالحات . وترك المنكرات . وأصلحوا فى دنياهم لأمدهم الله بأسباب الاستقرار والأمن والرزق الوفير . والنعيم المقيم . وكل ما فيه سعادة الدنيا . ثم الفوز فى الآخرة . والنجاة من عذابها . وفى هذا ورد قوله تعالى فى مقالة نوح — عليه السلام — لقومه (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا — نوح : ٩ — ١٢) كما ورد قوله تعالى فى شأن غيرهم (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون — الأعراف : ٩٦) (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير — هود : ٣) (فلولا كانت قرية آمنة فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين — يونس : ٩٨) .

طلب أقوام الرسل للآيات : دفعت عوامل الشك والارتياب والجحود فى دعوات الرسل . الأقوام إلى أن يقترحوا على الأنبياء والرسل أن يأتوا بأمور ليست فى مقدور البشر تحصيلها . والإتيان بها . . اقترحوا على أنبيائهم أن يثبتوا صحة ما يدعونهم إليه من الحق والهـــدى بآيات بينات عساها أن تكون مقنعة لهم بالإيمان بالرسل . وتصديق نبوتهم .

طلب اليهود من نبيهم موسى — عليه السلام — أن يأتى لهم ببينة ليؤمنوا به .

ويصدقوه تصديق إذعان واتباع . فذكر القرآن حاكياً على لسان اليهود (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة — البقرة : ٥٥) .

ولما كانت رؤية الله تعالى جهرة لا يمكن أن تتحقق للمرسل إليهم ولا لمن هم أعلا منهم مرتبة ومنزلة عند الله فى الدنيا . فقد عاقب سبحانه من قال من بنى اسرائيل بذلك بالمحق والسحق والهلاك . وذلك كما قال تعالى (. . فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون — البقرة : ٥٥) .

ويروى فى تفسير هذه الآية أن هذا المحق حدث بأن أخذ موسى من اقترحوا عليه رؤية الله إلى خيمة . فانشقت الأرض وابتلعت طائفة منهم . ثم جاءت نار من الجهة الأخرى وأخـــذت الباقين منهم . وهذه النار هى المعبر عنها فى الآية الكريمة بالصاعقة[1] . وقيل : إنهم سمعوا صوتاً من السماء فصعقوا[2] .

وفى الطريق إلى فلسطين — بعد خروج بنى اسرائيل من مصر — أصابهم الظمأ فى أودية صحراء سيناء . فسألوا موسى — عليه السلام — أن يغيثهم من الظمأ . ولاموه على إخراجهم من مصر — أرض الخصب والنعيم — فاستغاث موسى بربه . واستسقاه لقومه . فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه حجراً من أحجار الصحراء . . ففعل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشربوا منه جميعا[3] . وذلك كما قال تعالى (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا : اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل إناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين — البقرة : ٦٠)

---

(١) راجع تفسير الآية فى المنار ص ٣٢١ ج ١ .

(٢) راجع تفسير بن كثير ص ٩٣ ج ١ ط الحلبى .

(٣) كان ذلك عقب خروج موسى ببنى اسرائيل قاصداً فلسطين تخلصا من فرعون وبطشه . راجع « قصة العقائد » : سليمان مظهر ص ٢٩٩ وراجع « اليهودية » فى سلسلة مقارنة الأديان د . أحمد شلبى ص ٤٧ .

(وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى[1] كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون — الأعراف : ١٦٠) .

ومع أن بنى اسرائيل قد اغتبطوا بما منحهم الله من العيش الرغد فى مهاجرهم . بإخراج الماء من الصخر . وأنزال المن والسلوى من السماء . والتظليل عليهم بالغمام لحمايتهم من قيظ الحر . . مع الاغتباط بهذا كله . وعلى الرغم من كثرة الآيات التى شاهدوها من قبل على صدق النبوة . وسمو الرسالة . إلا أن البطر قد ملك أهواءهم . واستولى النزق على طباعهم . فلم يؤمنوا . بل وأبوا إلا إعنات نبيهم موسى — عليه السلام — وأكثروا من الطلب إمعانا فى الجحود والكفر .

وكذلك نجد قوم عيسى — عليه السلام — « الحواريين » لم يكفهم ما أجراه الله — جلت قدرته — على يد نبيهم عيسى من معجزات لها دلالات قوية كخلق طير من الطين وغيره من الآيات البينات . فراحوا يتشككون فى نبوته وصدق دعوته . فطلبوا منه أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء . كدليل يقدمه عيسى على قدرة الله . . دليل يقوم على الإدراك بحواس المشاهدة واللمس والتذوق . والآية الكريمة تبين ما قاله الحواريون لعيسى — عليه السلام — (إذ قال الحواريون : ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين — المائدة ١١٢ — ١١٣) .

وسرعان ما اتجه عيسى — عليه السلام — إلى ربه بمشاعره وضراعته وقلبه .

---

(١) المن : قيل إنه طيور السمان . أما السلوى : فقيل إنه غذاء يشبه العسل . راجع المصادر السابقة .

أن ينزل عليهم مائدة تكون لهم عيداً تبعث فيهم الغبطة والسرور . وتكون كذلك برهانا على أنها آية من آيات قدرته تعالى (قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين — للمائدة : ١١٤) .

واستجاب الله — جلت قدرته — لنبيه عيسى وأنزل المائدة . فكانت آية باهرة . وحجة قاطعة على صدق النبوة . ونبالة الدعوة . وروعة الحق الذى دعاهم إليه (قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين — للمائدة : ١١٥) .

ويروى أن المائدة نزلت تحملها الملائكة . وعليها سبعة أحوات . وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم . فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم .

وعن عمار بن ياسر عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال « نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد . فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير »(١) .

« للبحث بقية »

سعد صادق محمد

« اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » دعاء علمه الرسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر الصديق رضى الله عنه .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ص ١١٦ — ١١٧ ج ٢ ط الحلبي .

من كفر القاديانية

انتهى الأخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيس الجماعة من تأليف كتاب عن القاديانية وعقيدتها وصلتها الوثيقة بالإنجليز مستمداً ما كتب من نفس كتبهم ولاسيا أقوال منشئها « غلام أحمد القاديانى الذى ظهر فى قاديان من إقليم البنجاب قبل تقسيم الهند إلى « الهند وباكستان » . وقد اخترنا من الكتاب ما يُبين للمسلمين الصلة الوثيقة بين القاديانيين والإنجليز ؛ ليحذر العرب والمسلمون وقد زعم الغلام أنه المسيح الموعود :

فرضه الولاء للانجليز وتحريمه الجهاد : منذ سيطر الاستعمار الصليبى على الشرق ، وهو يجد فى عمله لأمرين : تجريد قلب المسلم من عقيدته ، أو تشكيكه فى دينه . الأمر الآخر نزع سلاحه من يده ، أو تبغيض حمل السلاح فى سبيل الله إلى هذه اليد ، أو إضعافها حتى لاتستطيع حمل سلاح ، ولهذا نجد البهائية التى ظهرت فى إيران ، ثم استقرت فى فلسطين — وكانت تعاصر القاديانية — تحرم الجهاد ، وتجعل من تحريمه أول بشارة صدرت من معبودها الخائن ميرزا حسين على الملقب بالبهاء ، وعلى هذا المنوال نسج عنكبوت القاديانية ، فحكم غلامها بأن الله أرسله بنسخ الجهاد ، ووجوب الولاء للانجليز ، ولست بحاجة إلى أن أقيم الدليل على أن هذا الوحى الدنىء وحى استعمارى صليبى لعبيده ! ! وإذا كانت البهائية قد أكلت سحت الإنجليز والروس فى إيران ، ثم ربطت مصيرها بالصهيونية فى فلسطين ، أو اتخذت لها الصهيونية سنداً وديناً ، وكانت بالغة الصراحة فى صهيونيتها ، حتى لقد جعلت أن من آيات ربها سيطرة اليهود على العالم كله بعد أن يعود إليهم كل ما كان يملك سليمان ! ! إذا كان ذلك كذلك فإن القاديانية قد ربطت مصيرها بالصليبية الاستعمارية ، أو بالإنجليز ! ! وإنك لتجد الدعوة إلى الإيمان بانجلترا ، ووجوب الجهاد معها والحفاظ على كيان أمبراطوريتها وسلطانها وإيجاب الولاء لها وتحريم الجهاد ضدها . . إنك لتجد كل هذا فى المكانة الأولى من دعوة الغلام .

هكذا فى زمن واحد يسلط الاستعمار على المسلمين فى الهند وغيرها القاديانية ، ويسلط عليهم فى إيران وغيرها البهائية . ثم استقر بها فى فلسطين وكانت كما يرجو من المعاول التى هدمت كيان فلسطين ! ! فهل يعتبر المسلمون ! !

هل يعتبر حلفاء القاديانية ، وحلفاء البهائية من أبناء هذا الشرق ؟ وهل يسأل كل واحد منهم نفسه هذا السؤال فى هدوء ليجيب عنه فى هدوء : لماذا قامت القاديانية والبهائية فى عصر واحد ؟ كان الغرب يسعى فيه لتقسيم العالم الشرقى كله ؟ ؟

وإنك لترى الغلام — وهو يتكلم عن وجوب الولاء لإنجلترا — يغرق فى الإطناب ويسرف فى التفصيل القاديانى والتكرار المخل المخجل ، ويستعين بكل مؤكد وقسم يعرفه فى كل لغة يعرفها فى سبيل إثبات أن لانجلترا الفضل الأكبر على المسلمين ، واليد الطولى والمنن البيض على الإسلام ، وفى سبيل الإفصاح عما يكنه لانجلترا من حب أو عبودية .

وإليك عديداً من النصوص التى تثبت وتؤكد ولاءه للانجليز وأنه يرى الجهاد منسوخا ! ! .

« جرت عادة هذه الحكومة[1] أن تفعل — كما تفعل — بكمال الحزم والتؤدة ، وأنها تتعهد رعاياها كالأبناء ، ولا ترضى بأمر فيه مظنة الإيذاء ؛ ولذلك وجب شكرها بما تساعد مساعدة الأمهات ، وأين كمثل هذه الحكومة ، فاطلبوا فى الأقطار والجهات ، وأرى كل عاقل يثنى عليها لمنتها ، ويفديها بمهجته ، وذلك لإحسانها ، وكثرة حسناتها ، فالحمد لله على هذه النعمة ولذلك وجب على كل مسلم ومسلمة شكر هذه الدولة فإنها تحفظ نفوسنا وأعراضنا وأموالنا بالسياسة والنصفة . وحرام على كل مؤمن أن يقاومها بنية الجهاد ، وماهو جهاد بل هو أقبح أقسام الفساد . وهل من شأن فتوة الإسلام أن نعتاض إحسان المحسن بالحسام ؟ »

ويقول : « أخذت على عاتقى ، وفرضت على نفسى أن أرسل حتما إلى البلاد

(١) يعنى الحكومة البريطانية التى كانت حاكمة الهند قبل أن تنقسم إلى : هند وباكستان

الإسلامية تلك الكتب التى عارضت فيها فكرة الجهاد ، وخالفت فيها تلك الفكرة ، لذلك اشتهرت فى البلاد العربية تلك الكتب » .

ويقول : « لا أزال منذ حداثة سنى أنشر بالحماسة القلبية كتباً باللغة الفارسية والعربية والإنكليزية والأردية تكرر فيها مرة بعد مرة أن المسلمين من واجبهم الذى يكونون آثمين عند الله إن تركوه أن يكونوا أولياء مخلصين وفيين لهذه الحكومة ، ويكفوا أيديهم عن الجهاد والانتظار للمهدى السفاك للدماء . . وإنهم إن أبوا الاقلاع عن هذا الخطأ ، فمن واجبهم على الأقل ألا يكونوا كافرين لنعمة هذه الحكومة المحسنة » .

« يمر بخاطرى أيضاً هذا الطيف اللطيف مراراً من غير شعور واختيار هو أننى ألفت بضعة كتب فى منع الجهاد ومخالفته ، ووجوب طاعة الحكومة البريطانية ناوياً الخدمة لها ونشرتها فى العالم ، وكسبت كفراً عوضاً عنها . . أى اتهمونى بالكفر ، ومع الأسف الشديد أن الحكومة لاتعترف الآن ما أخدمها ليلاً ونهاراً به » .

« أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعى وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد إلا أنه يلزم عن الإيمان بأنى مسيح[١] ، أو مهدى إنكار الجهاد » .

« أخذ يخفف الله تعالى شدة الجهاد — أى الحروب الدينية — رويداً رويداً بعد أن كانت شدة القتل وحدته فى عهد موسى على نبينا وعليه السلام بدرجة لم يكن الإيمان ينقذ المؤمن من القتل الذريع ، وكان الرضيع أيضاً يقتل . ولما جاء عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — فحرم قتل الأولاد والشيوخ والنساء ، ثم قبلت الجزية بدل الإيمان ، وفى عهد المسيح الموعود أوقف حكم الجهاد مطلقاً للأبد » .

يقول : « كل من سل السيف على الكافر ، ويصف نفسه بالغازى فهو يخالف أمر

---

(١) زعم أنه المسيح الذى ينزل آخر الزمان ، بل زعم أنه خاتم النبيين ، بل زعم أنه هو روح الله سبحانه أو هو هو ، كما بين الأخ فى كتابه .

ذلك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أخبر قبل ثلاثة عشر قرناً بأن جميع الجهاد ـ الجهاد بالسيف سينتهى بعد مجىء المسيح الموعود : لذلك بعد ظهورى لم يكن الجهاد بالسيف ، ورفع من جانبى العلم الأبيض » وبهذا فضح نفسه وسريرته وبين لماذا زعم أنه هو المسيح الموعود ، وكشف القناع عن أولئك الذين دفعوه إلى هذا ، ورفع العلم الأبيض كناية عن الاستسلام ! ! استسلام المسلمين للانجليز وهذا ما يريده القاديانيون!.

ويقول : « إن دينى الذى أنا أبديه للناس مرة بعد مرة، هو أن الإسلام منقسم قسمين . الأول : أن نطيع الله تعالى ، والثانى أن نطيع الحكومة التى أقامت الأمن ، وأظلتنا بظلها ، وحمتنا من الظالمين ، وهذه الحكومة ، هى الحكومة البريطانية » . أرأيتم أية هوة سحيقة تردى فيها القاديانيون حتى ليجعل نبيهم المزعوم طاعة الإنجليز شطرا من شطرى الإسلام ؟

القاديانية جواسيس الإنجليز وجنودهم :

إن تاريخ القاديانية يؤكد لنا أنهم جواسيس الإنجليز القذرون فى هذا الشرق ، فمن الحقائق التاريخية التى يؤمن القاديانيون بصحتها أن انجلترا أرسلت إلى الأفغان جاسوسها القذر « صاحب زاده عبد اللطيف القاديانى » ، ومضى الأفعوان الخبث يدعو إلى لإيمان بنسخ فريضة الجهاد ، ونشط فى دعوته نشاطا محموما بالأحقاد حتى أفزع حكومة الأفغان . إذ رأت فى دعوته الخبيثة قضاء على روح الجهاد ، فأصدر الأمير حبيب الله خان أمرا بإعدامه .

وفى سنة ١٩٢٥ م أعلن وزير داخلية أفغانستان القبض على جاسوسين قاديانيين هما : الملا عبد الحليم الجهار آسيانى ، والملا نور شلبى دوكاندار الحانوتى ، إذ تبين أنهما كانا يدبران مؤامرة ضد حكومة الأفغان بوحى من الإنجليز ـ ومنها اغتيال الملك ـ وقد عثر معهما على رسائل تثبت أن لهما بالإنجليز صلة وثقى .

ومما قاله أحد الجواسيس الذين أرسلت بهم انجلترا إلى روسيا « كنت كلما دعوت

الناس إلى فرقتى أرى من الواجب على نفسى أن أخدم الحكومة البريطانية » وقد نشر هذا فى صحيفة الفضل الصادرة بتاريخ ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٢٢ بتوقيع « محمد أمين القاديانى » كما نشرت هذه الصحيفة فى أول نوفمبر سنة ١٩٣٤ خطبة للخليفة القاديانى جاء فيها : ترى الدنيا فينا أننا وكلاء للانجليز ، عندما اشترك أحد وزراء ألمانيا فى افتتاح البناء الأحمدى بألمانية سألته حكومته : لماذا اشتركت فى مناسبة تخص جماعة هم وكلاء للانجليز » وكان هذا الوزير وزيرا للمعارف فى ألمانية ، وقد أثار مافعله الشعب الألمانى ، ودفعه إلى اتهامه بأنه تعاون مع فرقة معروف عنها أنها تعمل للانجليز .

وحينما استولت انجلترا على العراق فى أثناء الحرب العالمية الأولى بجيش هندى عبر القاديانيون عن بهجتهم بما يأتى : « قال المسيح الموعود : إنى المهدى ، و الحكومة البريطانية سيفى المسلول الذى لا يقف أمامه أولئك العلماء المعروفون . فالآن وقد جاء مقام التفكير والجد ، فإننا نحن الأحمديين ـ لماذا لا نبتهج بهذا الفتح المبين سواء أكان ذلك الفتح فى عراق العرب ، أو الشام ، وأنا أريد أن أرى بريق السيف فى كل مكان . عند فتح بغداد دخلت جيوشنا من المشرق . فكروا متى ينبىء بهذا الفتح والانتصار ! حكومتنا البريطانية التى هاجمت من جهة البصرة وأرست الجيوش من هذه الناحية بعد أن جندتهم من أفراد الأمم المختلفة ، وكان محرك هذا الإرسال ، وذلك التجنيد فى الحقيقة تلك الملائكة التى أنزلها الله تعالى ، لكى تهيىء لتقديم جميع أصناف المساعدة مستميلين قلوب الناس نحو هذه الحكومة فى حينه » أخبار الفضل قاديان المجلة السادسة

---

(١) يحرم الجهاد على المسلمين ، ويقدس بريق السيف الإنجليزى الذى خضبته دماء الأيتام والأيامى والشيوخ من المسلمين !!

رقم ٤٢ بتاريخ ١٩١٨/١٢/٧ م أو صدق مسلم أن الملائكة تقاتل فى نصر انجلترا ؟

وهل يقترف هذه الكبيرة الآثمة مسلم فى قلبه لمحة نور من إيمان ؟

وقال خليفة الغلام : « أراق الأحمديون دماءهم فى فتح العراق ، وجندوا آلافاً مؤلفة ، وذلك بناء على تشجيعى إياهم ، وسافروا إلى ساحة القتال معى شاهرين سلاحهم، وشاركوا فيه » من خطبة جمعة ألقاها خليفة الغلام وقد نشرتها صحيفة أخبار الفضل المجلة الحادية عشرة بتاريخ ١٩٢٣/٨/٣١ .

ولقد أسفّت القاديانية فى وضاعتها حتى جعلت من نفسها عيناً للصليبية ضد المسلمين خاصة ، وإليك نص ما قاله الغلام : « حيث إن العلاقة الخاصة بالمصلحة والأمنية للحكومة تقتضى أن نضع قائمة جدول أسماء أولئك المسلمين الأغرار الذين يؤمنون سراً بأن الهند البريطانية دار حرب ؛ لذلك أنشئت هذه القائمة بأمرى ، لكى يحفظ فيها أسماء أولئك الذين لا يقدرون الحق ، ولا يعرفونه ، وللذين جبلوا على إثارة الفتنة ـ وإن كان من حسن حظ الحكومة ـ أنه يمكن أن يعرف بعض المسلمين الذين لهم إرادة خفية أشد الخفاء ضد الحكومة البريطانية فى الهند البريطانية ، لذلك أردت أن يضبط أسماءأولئك الأشرار الذين يكتبون على أنفسهم أحوالا مفسدة مبينة على عقيدتهم الفاسدة بهذه المناسبة المباركة الأمينة السياسية لحكومتنا المحسنة ، غير أننا نقدم لحكومتنا بأدب واحترام .

إن مثل هذه القائمة تكون محفوظة لدينا كسر من الأسرار السياسية إلى أن تطالب منا ، ولذلك نرجو من حكومتنا الرشيدة ، أن تحافظ على هذه الأسرار كسر سياسى فى مكان محفوظ » « إقتراح من الغلام أدرج فى الرسالة التبليغية أنظر المجلة الخامسة ص ١٨ لمير قاسم القاديانى .

وجاء فى نفس الصحيفة أخبار الفضل « ولما اشتعلت نار حرب الأفغان ساعدت جماعتنا فوق طاقتها علاوة على ذلك ، فقدمت للحكومة طابوراً مزدوجاً لأداء أصناف من الخدمات ، وقد أوقف تجنيدها لأجل المدنة ، وإلا فقد كانت قدمت طلبات من المتطوعين أكثر من ألف طلب — المجلة التاسعة رقم ١ بتاريخ ١٩٢١/٧/٤ قادياني .

الهدى النبوى :

ما رأى الذين شتموا الأخ الأستاذ عبد الرحمن من أجل كلمة حق قالها عن القاديانية فى بعض أعداد هذه الصحيفة ، هل يجرؤ أحد أن ينسب القاديانية إلى المسلمين ، وهذا بعض ما ذكره الأخ الكريم عنهم من حقائق ؟

مناجاة

بقلم محمد عبد الكريم أحمر

مولاى قد سكن الكرى فى أعين كانت كليلةْ
كم أسهدت « يا ويحها » سهداً لآمادٍ طويلةْ
فتنتَ إذ أوسعتَها بُرْءا وكم باتت عليلةْ
وبقيتُ وحدى حائراً أرِقاً وما فى الوسع حيلةْ

مولاى أنت وضعتَنِى فى ذلك الكون الرهيبْ
والمغرياتُ تحيط بى لا تنأى عنى أو تغيبْ
تنتابُنى وتشـــدنى وتهزنى كى أستجيبْ
لكننى أخشى الوقوع وأنت من فوقى رقيبْ

مولاى تنهال الدموع من العيون ولا أنامْ
والخوف منك يذيبنى وأخاف من يوم الزحامْ
يوم يشيب له الوليـــد ويصعق الليث الهُمامْ

لكن لى فى دينك المَنْجَى ولى حصن السلامْ

مولاى إذْ لم تَرْضَ أن تحيا البريةُ فى وَبَالْ
زَوَّدْتَهُمْ بالرُّسْلِ حتى يصبحوا فى خير حالْ
وحبوتهم بالخـــــير منك وبالعطايا والنوالْ
وبرغم ذا يأبَوْن إلا أن يظلوا فى ضلالْ

مولاى إن النـاس قد عَاثوا وعاشوا فى فسادْ
وإذا دعاهم للهـــدى داعٍ يَلجُّوا فى العنادْ
لا يقبلون النصح ـ لا ـ لم يسلـكوا سبل الرشادْ
فاجعل هداك يَحُفُّهُمْ ـ يا ربنا ـ فى كل وادْ

مولاى هذى صرخةٌ من قلب مكلومٍ حزينْ
أشقاهُ ظلم النـاس عبر الدهر آلاف السنينْ
فامح الشقاء عن العباد فأنت خـير الراحمينْ
وهب الورى منك السداد وهب لهم نور اليقينْ

مولاى إذ عزَّ الهـدى لم يبق لى إلا هداكْ
أدعوك يا رب السماء فليس لى رب سـواكْ
يا رب جنّبنا الخطايا والمعــــاصى والهلاكْ
وإليك نضرع كلنـا ـ لا نبتغى إلا رضـاكْ

مولاى كن عونى لـكى أدعو إلى الدين الحنيفْ
ويكون لطفك شاملى والعدل حتى لا أحيفْ
مستمسكاً بالسنة المثلى وقـــرآن شريفْ
كى أستضىء بنور وجهك فى رحابك يا لطيفْ

الخميس { ٢٣ ذو الحجة سنة ١٣٨٥ هـ
{ ١٤ إبريل سنة ١٩٦٦ م

محمد عبد الكريم أحمد

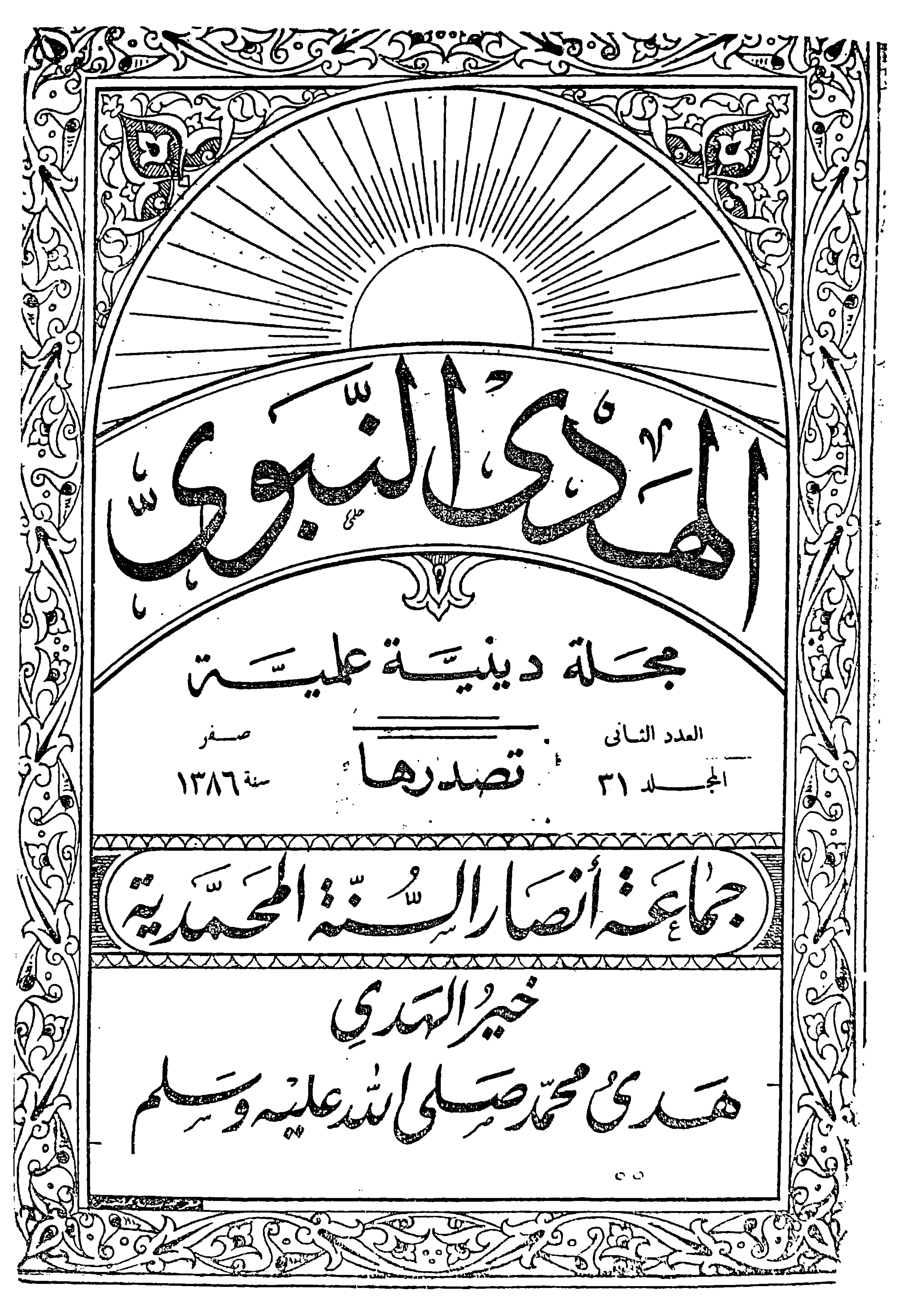


مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثانى
المجلد ٣١
تصدرها
صفر
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان حسونه

الاشتراك السنوى
٤٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العــدد ٢ صـفر سنة ١٣٨٦ المجــلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — : ﴿ قال : إنِّى عبدُ الله آتانِىَ الكِتابَ ، وجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وجعلنى مُبارَكًا أينما كنتُ ، وأوصانى بالصلاة والزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا ، وبَرًّا بوالدتى ، ولم يجعلنى جَبَّارًا شَقِيًّا ، والسلامُ عَلَىَّ يومَ وُلِدْتُ ، ويَوْمَ أموتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم : ٣٠ — ٣٣ .

« معـــانى المفردات »

« مباركا » : قال الراغب : البركة ثبوت الخير الإلٰهى فى الشىء . . وسمى بذلك :لثبوت الخير فيه ثبوت الماء فى البِرْكَة . والمبارك ما فيه ذلك الخير . ويرى ابن الأثير فى مفرداته أن البركة أصلها : من برك البعير ، إذا ناخ فى موضع ، فلزمه . وتطلق البركة أيضا على الزيادة . وابن فارس يقول : أن الكلمة لها أصل واحد ، وهو : ثبات الشىء .

« أوصانى » الوصية : التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ من قولهم : أرض واصية متصلة النبات .

« الصلاة » : عند ابن الأثير أن الدعاء هو أصلها فى اللغة ، فسميت العبادة المخصوصة صلاة من باب تسمية الشىء ببعض أجزائه . وقيل إن أصلها : التعظيم لما فيها من تعظيم الرب تعالى . ويقول الراغب عن كثير من أهل اللغة: أصلها هو الدعاء والتبريك والتمجيد . والصلاة من العبادات التى لم تنفك شريعة الله عنها ، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع .

« الزكاة » أصل الزكاة : النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية . يقال : زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة . وقرن الله الزكاة بالصلاة فى القرآن . ويذكر ابن الأثير فى مفرداته أن أصل الزكاة فى اللغة : الطهارة والنماء والبركة والمدح ، وأن كل ذلك قد استعمل فى القرآن والحديث وهى من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل . فتطلق على العين ، وهى الطائفة من المال المزكى بها ، وعلى المعنى وهو : التزكية .

« شقيا » الشقاوة خلاف السعادة . والشقاوة دنيوية وأخروية ثم هى بدنية ونفسية وخارجية وقال ابن فارس : إن أصل الكلمة يدل على المعاناة وخلاف السهولة والسعادة .

« المعـــــنى »

قلت فى العدد السابق : « نحن حين نتصور حشود اليهود فى سَلَاطة سفاهتهم ، وجهامة وجوههم . وألسنتُهم تلوك فواحِش السباب ، وفواسق الكلمات ، وقد احتشدوا ؛ ليبطشوا بالصِّدِّيقة الرقيقة المؤمنة الطيبة ، ثم نتصورها ، وقد قالت ـ وجبينها يلمع بالإشراق والجلال ، وفمها يلمع بالبسمة الحانية التى نعرفها على أفواه السمحاء المنتصرين ـ : (لن أكلم اليوم إنسياً) . حين نتصور هذا نستطيع إدراك أية قوة عالية قاهرة غالبة استمدتها مريم من قول الله سبحانه . ولعرفنا كيف كانت ،

وهى تحمل عيسى ذاهبة إلى قومها . ما انتظرت حتى يعثروا بها ، بل حملته فى تحد سافر نبيل ، تحدى الحق للباطل ، والخير للشر ، والإيمان للكفر ، والصدق للكذب . تحدى الملائكة للأبالسة » .

ثم قلت فى تفسير قوله سبحانه : (فأشارت إليه) ما يأتى : « المعنى واضح غير أننا نريد تصويره . تصورَ القِدِّيسة الصالحة ، وقد سمعت ما سمعت ، ثم تصورها ، وهى تشير فى يقين ووثوق وسكينة وتعالٍ يغمرها من الإيمان القوى العظيم ، وهنا تبدو عظمة رحمة الله وحكمته فى أمره لها بالصوم ، وبنائه فوق أكرم المعانى والقيم كرامة هذه المؤمنة ، فهذا موقف لا ينفع فيه جدل ، إنما هى آية لا يُبَرْهَنُ عليها إلا بآية مثلها . إنه وُلِد آيةً ، فكان من أم من دون أب ، فأعطاها الله برهانها آية أخرى من عنده ، هى أن يوحى إلى الصبى بالكلام البين » .

وقال الجاحدون — كما يقص الله سبحانه : (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) .

وحدثت الآية ، حدوث البرق المتلألىء فى الليلة الداجية ، أو حدوث الصبح الوضىء بعد ليلة من ظلام وعذاب وقلق رهيب . جاءت القدرة الإلهية بغتة تلطم جحود هؤلاء لطمة جبارة ، لطمة حكيمة لا يمكن مقاومة مالها من قوة وجلال وكبرياء . تكلم الصبى فى مهده . وتكلم غير متلعثم ، ولا هائب ، ولا وجل ، ولا بحصَرَ ولا بِعِىٍّ . وإنما تكلم ببيان يرِفُّ فصاحة ويشرق نوراً هادياً ، وحكمة ملهمة ، وهدى يسطع بالخير والبركة ، ونُبُوَّة عظيمة ستكون .

(قال : إنى عبد الله) نطق بالحقيقة التى يؤمن بها كل مسلم ، ويعتز بأن يوصف بها كل مسلم ، وتعبر تعبيراً صادقاً عن حقيقة الخلق جميعاً رسلهم وأنبيائهم وأوليائهم وغيرهم وملائكتهم وجنهم . إنها الحقيقة التى يدين بجلالها قلب كل مسلم وفكر كل مسلم .

إنما هى الحقيقة الأولى التى يستنبطها الفكر، ويفقهها القلب حين يذكر الله، ويذكر خلقه. ثم هى رد سابق وآتٍ على الذين زعموا — بعد — أنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة يكونون إلهاً واحداً(١).

ولقد نطق عيسى بالحقيقة التى أثبتها الله لكل رسله فى القرآن، فالله يقول عن قوم نوح: (كذَّبت قبلهم قومُ نوح، فكذبوا عبدنا، وقالوا: مجنونٌ وازدُجِر)(٢) القمر: ٩. وعن إبراهيم وأبنائه وأحفاده: (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار) ص: ٤٥. وعن موسى وهرون: (إنهما من عبادنا المؤمنين) الصافات: ١٢٢.

وعن عيسى: (لن يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقرَّبون، ومن يَسْتَنْكِفْ عن عبادته، ويستكبِر، فسيحشرهم إليه جميعاً) النساء: ١٧٢. وفى الآية وصف الملائكة المقربين بالعبودية، كما وصف القرآن محمداً صلى الله عليه وسلم وعلى رسله بالعبودية فى أسمى مقاماته وأحواله. فى الدعوة إلى الله. فى التحدى بالقرآن، فى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، فى الإسراء. فى إنزال الكتاب.

---

(١) جاء فى رسالة المطران بطرس المسماة «شرح التعليم المسيحى فى قواعد الإيمان الكاثوليكى» والتى رتبها على طريقة السؤال والجواب — ورد فيها ما يأتى: سؤال، لماذا قلت بإله واحد أب؟ جواب: لدلالته على أن الله يلد منذ الأزل ابنا الذى هو إله نظيره بهذا إشارة إلى سر الثالوث الأقدس. سؤال: ما هو سر الثالوث الأقدس؟ جواب: وجود ثلاثة أقانيم: أب وابن: وروح القدس فى إله واحد وهو الله. سؤال: من هو الأقنوم الثالث؟ جواب: الروح القدس؛ لكونه تعالى مصدر الأب والابن مكون مبدأ. واحد. سؤال: هل كل من هذه الأقانيم إله؟ جواب: نعم كل منهم إله؛ لأن لكل الطبيعة الإلهية نفسها وصفاتها» والعجيب أن ينشر أصحاب هذه العقيدة رسالة ينكرون فيها أنهم يدينون بالتثليث الذى أدانه القرآن. ويزعمون أن القرآن إنما يحكم بكفر أصحاب ثالوث آخر غير ثالوثهم. ثم يزعمون فى جرأة أن (قل هو الله أحد) تؤيد ثالوثهم الذى لا يكفر القرآن أصحابه!

(٢) من الزجر، وهو الانتهار.

وبهذه الحقيقة أنطق الله عيسى ؛ وجعلها أول كلمة يقولها . كما كانت أول ما يطالبه الله من موسى نبياً : (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذِكرى) طه : ١٤ .

(آتانى الكتاب ، وجعلنى نبياً) ثم جاء بالحقيقة الثانية التى لا تصح العبودية بدونها ، وهى أن الله آتاه الكتاب . وكل مسلم هو من الذين آتاهم الله الكتاب ، فلولا كتاب الله الذى نزل على رسله ما عرف مسلم كيف يعبد ربه ، ولا كانت عبودية صحيحة . وأدل دليل على هذا أن أقطاب الفلاسفة الذين يقدسهم أحلاس الفلسفة ، ويسجدون لترهاتهم ، ويرونهم آلهة العقل والفكر لم يصلوا بهذا العقل المؤله ، والفكر المسجود له ـ فى دين عبيدهم ـ إلى شىء يسكن إليه قلب مسلم دون قلق . إنما أتوا فى المعتقدات بما يشهد بأنهم ليسوا آلهة عقل أو فكر ، وإنما هم إفك تفتريه خرافة ، ومفتريات تنزو بها شهوات ، أو نزوات شياطين وأبالسة .

فكان نص عيسى على أن الله آتاه الكتاب إيحاء لكل مسلم بأنه لا عبودية بدون كتاب . إن الكتاب هو الهادى إليها ، والمضىء لها السبيل . ومن يعبد الله سبحانه بدون كتاب ، فهو ضال لا يعرف شيئاً من إيمان . حسبنا أن الله سبحانه يقول لخاتم أنبيائه ـ وهو أهدى البشر جميعاً ـ (ووجدك ضالاً فهدى) الضحى : ٧ (ما كنت تدرى ما الكتابُ ولا الإيمانُ) الشورى : ٥٢ .

اعترفْ بالحقيقة ، ثم بين الوسيلة التى بها تتحقق هذه العبودية ، وبتحقق العبودية تتحقق السعادة فى الدنيا والآخرة . ثم بين الحقيقة الثالثة التى يصطفى الله سبحانه لها من يشاء من خلقه ، وهى النبوة . وبالنبوة التى من الله بها كانت الهداية ، وكانت السعادة ، وكانت الحياة ، وكان النور : يأَيُّها الذين آمنوا استَجِيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحْيِيكم) الأنفال : ٢٤ (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم الذى اختلفوا فيه ، وهُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون) النحل : ٦٤ (أَوَمَنْ كان مَيْتًا ،

فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) الأنعام ١٢٢ . ذاك هو الكتاب . كل كتاب أنزله الله . وما عرفت البشرية طريقاً إلى هدى أو خير أو قوة أو سعادة إلا بالكتاب ولكن أي كتاب ؟ الكتاب الذي يوحى به إلى نبي ، ويبلغه النبي ، أو يدعو إليه ؛ لأنه من الله كما كان يفعل أنبياء بني إسرائيل مع التوراة .

(وجعلني مباركا أينما كنت) وفي هذه يبين أثر العبودية والكتاب والنبوة في حياته العامة والخاصة . إنها البركة التي تلازمه . الكلمة أو الخطوة منه تلازمها بركة الله ، فتصل إلى غايتها التي أراد الله أن تصل إليها . كل حركاته ، سكناته ، كل أفعاله وأقواله .

والبركة التي تلازم الشيء من الله تكون بحسبه . تدبر معي هذه الآيات : (إن أول بيت وُضِع للناس للذي ببَكّةَ مُبارَكًا وهدى للعالمين) آل عمران : ٩٦ (وهذا كتاب أنزلناه مُبارك ، فاتبعوه ، واتقوا لعلكم تُرْحمون) الأنعام ١٥٥ . (وقل : ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً ، وأنت خير المنزلين) المؤمنون : ٢٩ (ونزّلنا من السماء ماء مباركاً ، فأنبتنا به جنات وحَبَّ الحصيد) ق : ٩ (فَسَلِّموا على أنفسكم . تحية من عند الله مباركة طيبة) النور : ٦١ (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادِ الأيمن في البقعة المبارَكة من الشجرة) القصص : ٣٠ (إنا أنزلناه في ليلة مُبارَكة) الدخان : ٣ .

هذه الآيات تؤكد أن البركة ليست من ذات الشيء ، أو هي من صنعه وخلقه وإنما من الله سبحانه وحده . إن الذي جعل الكعبة مباركة إنما هو الله ، والذي جعل القرآن مباركاً هو الله . فكلمة « مبارَك » تدل على أن هذه الأشياء ليست هي مصدر البركة ، وإنما مصدرها ربها ، ورب البركة هو الله القدير سبحانه . فأين من يستمدون البركة من غير الله ؟ألا يعقلون ؟

ثم إن الآيات تؤكد لنا أن بركة كل شيء بحسبه ، والبركة تكون حسية ومعنوية ، أو مادية وروحية ، وجميعها من الله وحده .

(وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) لم تخل شريعة من هاتين . فبالأولى تستقيم العقيدة والخلق والسلوك ، وبالأخرى يستقيم المجتمع والمحبة بين أفراده . يقول الله سبحانه عن إبراهيم ومن بعده من أبنائه ، وعن لوط (وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة) الأنبياء : ٧٣ .

وعن إسماعيل : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مرضياً) مريم : ٥٥ .

والله يفرض على من يمكنهم فى الأرض مافى قوله سبحانه (الذين إنْ مَكَّنَّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) الحج : ٤١ .

إذن كانت الصلاة والزكاة من قوام الإسلام الذى أرسل الله به الرسل جميعاً . لكن الذى لا يستطيع أحد منا أن يجزم به هو كيفية الصلاة ، ومقدار الزكاة فى الشرائع السابقة . ولكن نستطيع أن نجزم بأن الصلاة السابقة كان فيها ركوع وسجود وقنوت .

وقوله سبحانه : (ما دمت حياً) يؤكد لنا أن كل امرىء مكلف بما شرعه الله — ما دام قادراً عليه — حتى يموت كقوله جل شأنه.. (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . فهل يعتبر دعاة الإفك الذين يزعمون أن من الأولياء من يُرْفع عنهم التكليف ؟ أين هذا الضلالُ من هدى القرآن .

هكذا أوحى الله سبحانه إلى الصبى عيسى : إقرار بالعبودية ؛ لتكون حجة ضد الذين ألهوه وغيره ، وحمد الله لأنه آتاه الكتاب ، وجعله نبياً ، وفى هذين — فوق ما بينت — رد على إفك الذين رموا أمه الصديقة بالبهتان ، فالله لا يعطى النبوة لابن زانية فى مهده الزانى ! ! والله قد وصف هذ البهتان فى هذه الآية : (وبكفرهِمْ وقولِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهتَاناً عظيما) النساء : ١٥٦ .

ثم بين أن كل بركة في الوجود إنما هي من الله سبحانه ، وأنها لا تكون في فاسق[1] وإنما يمن الله بها على عباده المؤمنين ، وأن الله وصاه — كما وصى كل مسلم — بالصلاة التي تصل العبد ببركات ربه ورضوانه ، وبالزكاة التي توثق الصلة بينه وبين إخوانه ، وتطهر بها نفسه ، ويطهر ماله ، ولكل عبد وظيفة ، ومن وظيفة عبد الله الصلاة والزكاة .

إنه مع الله بصلاته وزكاته ، ومع الناس والخلق بهذه البركة الإلهية .

(وَبَرًّا بوالدتي ، ولم يجعلني جباراً شقياً) تكلمت عن البر عند الحديث عن يحيى عليه الصلاة والسلام . وأقول : لقد بين أنه مع الله بالصلاة والزكاة ، ومع كل شيء بما من الله به عليه من بركة ، ومع والدته بالبر ، وليعتبر الذين مات آباؤهم ، ثم كبروا ! ! إنهم أحياناً — وهي كثيرة — لا يحترمون الأم ، ولا يوقرونها ، بل ربما يحسون بغصة ، لأن لهم أماً ، أو ينتسبون إلى أم . . هذا عيسى عليه الصلاة والسلام يعلمنا الله على لسانه أن يكون البر منا بالأب وبالأم ، وأن ذكر الأم والبر بها إنما يعتبر آية من آيات الإسلام الصادقة .

وبعد البر بالأم أكد أنه ليس هكذا مع أمه فقط ، بل هو كذلك مع الناس جميعاً . وهذا في قوله سبحانه الذي يقص به قول عيسى : (ولم يجعلني جباراً شقياً) . إذن كل امرىء لا يكون لله عبداً ، فهو جبار شقي ـ نجانا الله سبحانه من هذه الشقوة ـ

تدبر قول الله سبحانه : (فمن اتبع هداى فلا يضل ، ولا يشقى) طه : ١٢٣ .

والعبودية اتباعٌ صادق لهدى الله . وتدبر قول الله سبحانه عمن خفت موازينهم (ألم تكن آياتي تُتْلَى عليكم ، فكنتم بها تكذبون ؟ قالوا : رَبَّنَا غلبت علينا شِقْوَتُنا وكنا قوماً ضالين) المؤمنون : ١٠٥ ، ١٠٦ أعاذنا الله القدير .

---

(١) أنص على هذا لأن الشعراني وأحزابه يؤكدون أن أولياءهم يكونون فساقاً ودعاراً ، ومع ذلك يفيضون على الوجود البركة « اقرأ ما أكتبه في نظرات في التصوف » .

(والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ، ويوم أُبعث حياً) تحدثتُ عن مثلها عند الكلام عن يحيى عليه الصلاة والسلام ، وهذه الأوقات هى أشد أوقات حياة الإنسان . فالميلاد ترك حياة ألفها إلى حياة لم يألفها ، فيستهل صارخاً ، ثم هو بالموت ينتقل أيضاً من حياة ألفها ، وأحبها إلى حياة لم يألفها . إنها البداية والنهاية ، ثم البداية التى ليس لها نهاية . إنها أطوار كل نفس بشرية على وجه الأرض ، ميلاد ، ثم موت ، ثم بعث . ونلحظ أن الله هو الذى أخبر بهذا عن يحيى فقال جلّ شأنه : (وسلام عليه يوم وُلد ، ويوم يموت ، ويوم يُبْعَثُ حياً) . أما عيسى فهو الذى دعا الله أن يهب له السلام . كما نلحظ أن كلمة « سلام » ذكرت نكرة مع يحيى ومعرفة مع عيسى . فيكون هذا ليس عين ذاك ، وإنما يحويه ، ويزيد عنه ، ونفس الأطوار مع يحيى هى نفسها مع عيسى بنفس اللفظ .

وثمت سؤال : أكان عيسى طفلا وهو يقول هذا ؟ يقول الشيخ رشيد رضا فى تفسيره .. « والكلام فى المهد يصدق بما يكون فى سن الكلام ، وهى سنة فأكثر ، وما يكون قبل ذلك ، وهو آية على كل تقدير ، لأن تعديته إلى الناس تفيد أنه يكلمهم كلام التفاهم ، وكلامُ الأطفال فى المهد لا يكون كذلك عادة » . لكنى أميل إلى أنه كان طفلاً لا يعرف الكلام . ففى الآيات قرائن على هذا ، منها قوله سبحانه : (فأتت به قومها تحمله) عقب الكلام عن ولادته وهذا يعطى هذا المعنى ، وأضف « تحمله » وكذلك النص على أنه « فى المهد » ولا تعطى الآيات أن مريم لبثت بعيدة عن قومها بعد الحمل سنة وأكثر .

وسؤال آخر : كيف جاء الحديث ، وكأنه حديث عن ماض ، وكيف يقرر أن الله جعله نبياً ، وهو لما يزل صبياً فى المهد ؟ ! .

إنه يتحدث ويتكلم كما يتكلم الرجل الذى اكتهل ، فيتحدث عما سيكون كأنه قد كان . . . لقد انتقل بهذا البيان المشرق الذى أفصح به عن هذه الحقائق

إلى سنٍّ كبيرة جملته يتحدث كأصحاب هـذه السن ، ثم هو يخبر بوحى من الله ، والله وصى بالصلاة والزكاة قبله ، وكتب أنه سيكون نبياً قبل أن يولد ، والحديث عن المستقبل بالماضى كثير فى القرآن ، وهو يأتى كذلك — والله أعلم — لنتأكد من وقوعه كما نتأكد من وقوع شيء وقع فى الماضى . (أتى أمر الله) هذه تفيد أنه أتى (فلا تستعجلوه) تفيد أنه لم يأت بعد ، لـكنه لثبوته وتحقق وقوعه فى المستقبل صار كأنما قد وقع فعلا ، فلا يجوز ارتيابٌ ما فيه .

أسأل الله أن يهب لنا السداد والتوفيق ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد .

عبد الرحمن الوكيل

من هداية القرآن

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صـديقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنّى يؤفـكون . قل : أتعبدون من دون الله ما لا يملك لـكم ضرًّا ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم) « الآيات : ٧٢ — ٧٥ من سورة المائدة » .

تعاطف المؤمنين وتراحمهم

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

شرح المفردات

مَثل المؤمنين — المثل بفتح أوله وثانيه معناه الحال والصفة والشأن العجيب ، ومنه قوله تعالى : (مثل الجنةِ التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) . وكذلك كل كلمة مثل ذكرت فى القرآن أو فى الحديث هى بمعنى ذلك . وأما المِثل بكسر فسكون فمعناها الشبيه والنظير . والمؤمنين : جمع مؤمن وهو اسم فاعل من آمن بمعنى صدق ، ومصدره الإيمان بمعنى التصديق ، واشتقاقه من الأمن ، لأن من صدقك فيما تقول فقد أمنت تكذيبه لك ومخالفته إياك .

وأما حقيقته الشرعية فهو تصديق القلب التام مع الإذعان والرضى بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم مما علم مجيئه به من الدين بالضرورة ، وهو متناول بإطلاقه كذلك للإقرار باللسان وللعمل بالجوارح .

فالإيمان المطلق أى الكامل لابد فيه من هذه الثلاثة فهو قول وعمل واعتقاد . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

ومع أن الإيمان المطلق مركب من الأقوال والأعمال والاعتقادات ، فهى ليست كلها بدرجة واحدة بل العقائد أصل فى الإيمان فمن أنكر شيئاً مما يجب اعتقاده فى الله

أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الزنا والقتل ، فهو كافر قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار .

وأما الفاسق الملى الذى يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها فأهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية ولا يوجبون عليه الخلود فى النار ، كما تقول الخوارج والمعتزلة ، بل هو عندهم مؤمن ناقص الإيمان قد نقص من إيمانه بقدر معصيته فلا يعطونه اسم الإيمان المطلق ولا يسلبونه مطلق الإيمان .

فى توادهم : هو بتشديد الدال وأصله توادد فأدغم ، والتواد تفاعل فهو دال على المشاركة والمبادلة كأنه قال مثل المؤمنين فى مودة بعضهم لبعض ، وتقرب كل منهم إلى أخيه بما يجب .

وتراحمهم وتعاطفهم : هذه الكلمات الثلاث أعنى : توادهم وتراحمهم وتعاطفهم . وإن كانت متقاربة فى المعنى إلا أن بينها فرقا لطيفا كما يدل على ذلك عطف بعضها على بعض ، فإن العطف يؤذن بالمغايرة فالتراحم معناه أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا لسبب آخر . كما قال القرآن (رحماء بينهم) . وفى الحديث الصحيح « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » .

والتواد المراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزوار والتهادى والمشاطرة فى المسرات والأحزان ، والتعاطف أن ينعطف بعضهم على بعض أو يعينه ويقويه كما يعطف طرف الثوب عليه لتقويته .

مثل الجسد الواحد : الجسد والجسم والجثمان بمعنى واحد وهو ذلك المؤلف من أعضاء مختلفة ، وقيل الجسم أعم لأنه يكون للحى وغيره بخلاف الجسد والجثمان فلا يكونان

إلا للحى . أى مثلهم كمثل الجسد بالنسبة إلى أعضائه ، ووجه الشبه هو التوافق فى الراحة والتعب ولهذا قال .

إذا اشتكى منه عضو : العضو واحد الأعضاء وهو الجزء المتميز من الجسم كالمفصل، والمراد إذا تعب وألم .

تداعى له سائر الجسد : أى دعى باقى الأعضاء بعضها بعضاً إلى مشاركة ذلك العضو فى الألم .

بالسهر والحمى: السهر هو الأرق وقلة النوم ، والتداعى بالسهر لأن الألم من شأنه يمنع النوم . وأما الحمى فهى ارتفاع درجة الحرارة وهى أنواع مختلفة باختلاف الأسباب المهيجة لها والتداعى بالحمى لأن قلة النوم تثيرها . وتأمل هذا التشبيه الرائع حيث شبه عليه السلام سريان الألم إلى بقية الأعضاء ، وتأثرها بما حصل للعضو المريض ومقابلتها له بالسهر والحمى بقوم يتداعون لدفع شر نزل بهم .

المعنى الإجمالى للحديث

يصور الرسول صلى الله عليه وسلم الأخوة الإيمانية التى تربط بين المؤمنين وتقوم وشيجتها بينهم ، مقام صلات النسب ووشائج القرابة هذا التصوير الأخاذ بمجامع القلوب لروعته وجماله ، فيشبه الجماعة الإسلامية فى تضامنها ووحدة مشاعرها وأحاسيسها وتجاوب آمالها وآلامها واتفاق أهدافها ومقاصدها واشتراك المنافع والمصالح بين أفرادها ، يشبهها فى ذلك كله وفى أكثر من ذلك كله بجسد واحد له أعضاء مختلفة إلا أنها مترابطة ومشدود بعضها إلى بعض . فكلما ألم من هذه الأعضاء عضو شاركته سائر الأعضاء فى ألمه فأرقت لأرقه وثارت بها الحمى من أجله وسارعت إلى نجدته ودرء الخطر عنه ، فلا تكاد تذوق طعم الراحة حتى يسترد ذلك العضو عافيته ويزول عنه ما ألم به .

فكذلك يجب أن تكون حال الجماعة بالنسبة الى كل فرد منها يفرح بعضهم لفرح بعض ويحزن لحزن بعض ، ويتقاسمون الهموم والآلام ويتواسون فى المصائب

والملمات . وذلك لأنهم يحسون بأن حياة الجماعة وسلامتها رهن بسلامة كل فرد من أفرادها . فإذا وقع بأحدهم شر أو نزل به مكروه لم يعتبروه أمراً يخص ذلك الفرد وحده ولكنه أمر يمس كيان الجماعة كلها ويتهددها بالخطر فهبوا ، جميعاً لنجدته ودرء الخطر عنه .

فانظر إلى روعة ذلك التشبيه الذى لا يخرج إلا من مشكاة النبوة ، حيث شبه الأمة بالجسد الواحد وشبه أفرادها بأعضاء ذلك الجسد ، وشبه ما بينهم من روابط الإيمان وعلائق الإسلام بما يكون من أوتار ورباطات تشد بعض الأعضاء إلى بعض وتصل بينها ، ثم شبه ما يجب أن يكون بينهم من تواد وتعاطف وتراحم بما يكون بين الأعضاء من مشاركة فى الراحة والتعب .

ومن محاسن هذا التشبيه أن الأمة فيه قد شبهت بالجسد ، وأعضاء الجسد مختلفة ، فمنها أعضاء رئيسية كالدماغ والقلب ونحوهما ، ومنها ماهو دون ذلك فى الرتبة . وكذلك الأمة فيها العلماء والأمراء الذين ينزلون منها منزلة الرأس المدبر ، وفيها كذلك جند وصناع يشبهون من الجسد الساق والذراع .

ومن محاسنه أيضاً أن أعضاء الجسد على اختلاف وظائفها . متضافرة على درء الخطر عن أى عضو منها لشعورها بأن سلامتها جميعاً مرتبطة بسلامته ، وأن الفساد الحاصل فيه قد يسرى إليها جميعاً فيتلف الجسم كله ويختل نظامه ويتداعى بناؤه .

وهكذا الأمة إذا لم تعمل على سلامة أفرادها جميعاً من غوائل الفقر والجهل والمرض وعلى حمايتهم من الانحراف والشذوذ والأخلاق الضارة والعادات السيئة ، فانها تعرض نفسها لخطر الانحلال والفناء .

وتأمل رحمك الله — على ضوء هذا الحديث — فى حال من لا يألو الجماعة المؤمنة تصدعا وفرقة ، ولا يبغى أمرها إلا عوجا ، ويعمل جاهداً على توهين بنائها وإشاعة البغضاء بين أفرادها ، وتقطيع ما بينهم من رحم الإيمان وأخوة الإسلام بالدس

والوقيعة ونشر قالة السوء عن رؤوسها ، ولا هم له إلا أن يشفى غيظه وينفس عن الحقد الذى أكل قلبه .

أليس هو بمنزلة العضو الفاسد الذى نغل وأعضل به الداء ، واشتدت عليه العلة فيجب بتره واستئصاله ليستريح الجسم كله ؟

وأخيراً ندعو الله بما دعاه به كليمه موسى عليه السلام « اللهم إليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

نظرات فى المجتمع والشريعة :

٥ – السلبية [١]

بين الإيجابية والسلبية :

قد يقف الدارس لشريعة الإسلام ، الباحث فى قصص القرآن على أحداث تسترعى النظر ، وتثير الفكر ، ويحار فيها العقل ، أهى إيجابية أم سلبية ؟ وإذا كانت سلبية ، فما مبرراتها ؟ على أى حال سنعالج جانباً من هذه الأحداث ، وسنلمس على ضوء الأهداف القرآنية مالها من مبررات تجعلها أمس ما تكون بالإيجابية ، أو سلبية اضطر إليها بعد كفاح وإعذار ، وإليك الأمثلة :

١ – موقف يونس عليه السلام من قومه : دعا قومه إلى الله فأعرضوا عنه فغضب وانصرف عنهم ، ولقنته العناية الإلهية درساً فى الصبر والتحمل، يعده لمهمة خطيرة تنتظره قال تعالى فى سورة الأنبياء : (وذو النون [٢] إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه . فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) ، وأما الدرس الإلهى فيحكيه القرآن الكريم فى سورة الصافات : (إذا أبق [٣] إلى الفلك المشحون فساهم [٤] فكان من المدحضين [٥] فالتقمه الحوت وهو مليم) ثم أدرك خطأه الناشىء عن

---

(١) سبق أن قدمنا تحت هذا العنوان أربع مقالات تحدثت عن معنى السلبية ، وأضرارها ، وتفصيل موقف الإسلام منها والآن نصل من الحديث ما انقطع ، فنحلل بعض الأحداث التاريخية التى قد يظن فيها اتجاها سلبيا .

(٢) صاحب الحوت أى يونس .

(٣) هرب .

(٤) إشترك فى القرعة .

(٥) كان ممن أصابتهم القرعة .

موقفه السلبى ، فتاب وندم ، فعفا الله عنه : (فلولا أنه كان من المسبحين. للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) بل إن الله تعالى كرمه بالرسالة (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فتمتعناهم إلى حين) .

وفى موقف آخر من مواقف هذه القصة فى القرآن يحذر الله رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الموقف السلبى فيقول فى سورة القلم : (فاصبر لحكم ربك، ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه [1] ربه فجعله من الصالحين) .

هذا الموقف ليونس عليه السلام وإن كان فيه سلبية امتحن بسببها ، إلا أنه لا يدل على أن يونس عليه السلام فيه نفسية السلبى بما فيها من خمول وقعود وأنانية ، وانحراف غرزى ، بدليل أنه دعا ، غير أنه لم يصبر ولم يتحمل ، ثم إنه شعر بذنبه ، والسلبى قليل الشعور ، متبلد الإحساس .

٢ ــ أهل الكهف : جماعة من المؤمنين المخلصين ، فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ، تمسكوا بدينهم الحق وسط فتن تموج كموج البحر ، ولما وجدوا أن بقاءهم فى هذا المجتمع الفاسد قد يفتنهم ، أو يزعزع عقيدتهم ، وأن لا فائدة ترجى سوى الشر والخسران والتعذيب والاضطهاد ، عند ذاك آثروا الفرار بدينهم قال تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) . وهذا الوضع وإن كان فيه سلبية إلا أن منطق الضرورة حينما تضيق السبل بالمؤمن . ويستنفد كل أسباب الإيجابية ، حتى يصبح أثرها ضاراً وتصير السلبية خيراً لدينه وعقيدته منها ، إنها الظروف العصيبة التى تعم فيها الجهالة ، ويشتد ساعد الباطل ، فلا تمكن الداعى من نشر دعوته فحسب بل تمسى خطراً على عقيدته نفسها ، وماعليه

---

(١) اختاره لرسالته .

إذ ذاك إلا أن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله . ومن هنا فأهل الكهف أبرياء من كل سلبية تتنافى مع الدين والعقيدة .

٣ — فترة التحنث التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل البعثة . هذه الفترة التي عزل فيها نفسه عن المجتمع المكي ، وظل يقيم في خلوته يتعبد الليالي ذوات العدد ، ثم يعود لأهله فيتزود لمثلها ، وهكذا حتى نزل عليه الوحي وهو في متعبده بالآيات الأولى من القرآن الكريم . (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) .

وكان هذا التصرف السلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالنسبة للمجتمع المكي ليس معناه التخلي عن ذلك المجتمع المكي ، وعدم المبالاة به ، ولكن الهدف منه فترة إعداد روحي ونفسي للمهمة الخطيرة المنتظرة ، ولا يتناسب مع جلال الشخصية وشرف المهمة أن يعيش الرسول المنتظر فترة نضجه واكتماله في ذلك المجتمع الملوث الذي يموج بالرذيلة ، ويضطرب بالمفاسد ، وقد تخلخلت فيه القيم السامية ، وانهارت منه العقيدة الصحيحة من أساسها .

على أن رسول الله لم يكن يبتعد عن ذلك المجتمع إذا كان بصدد موقف نبيل . فقد تدخل بسداد رأيه ، ونفاذ حكمه ، وعمق بصيرته ، وقوة فطنته في فض الخلاف الذي كاد يعصف بأمن القبائل في مكة غداة اختلفوا فيما بينهم وقد أعادوا بناء البنية المباركة ـ الكعبة ـ التي نال منها سيل جارف ، ووقفوا عند وضع الحجر الأسود في مكانه . إنه عمل عظيم استشرفت نفس كل زعيم منهم إليه ، وفاز بالعمل العظيم الرجل العظيم الذي تستكن عظمته في ضمير المستقبل ؟ إذ وضع محمد الحجر بردائه ، وأمسك كل زعيم بطرف ، وفي مكان الحجر حمله محمد بين يديه ووضعه في مكانه . وعند ذاك سكنت النفوس الثائرة ، وهدأت المشاعر المضطربة .

كما اشترك الرسول عليه السلام في هذه الفترة في حرب الفجار التي كانت في ذلك

الوقت بمثابة صحوة إنسانية فى ظلم الجاهلية وظلماتها . ويتحدث عن دوره فيها فيقول : كنت أنبل لأعمامى - أى يعطيهم النبال - وهو فى الرابعة عشرة من عمره .

واشترك أيضاً فى حلف الفضول وكان هو الآخر من فلتات المجتمع الجاهلى ، ويقول عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت مع عمومتى فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت .

وهكذا يتضح لنا فى جلاء أن تعبد محمد بن عبد الله قبل البعثة لم يكن سلبية وإنما كانت فترة من التهذيب والإعداد لإيجابية ستملأ العالم نوراً وعدلاً وهداية .

٤ — الهجرة : أسلوب فى الدعوة حبَّذَه الإسلام ، ومقتضاه الخروج من بلدة فسد مجتمعها ، وطمست معالم الحق فيها إلى بلدة أخرى أكثر تقبلا ، وأكثر انطباعا له ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه[1] » ويقول تعالى : (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . .)

وهكذا ترفع الآية مقام المهاجرين إلى أرفع الدرجات ، وتسمو بهم إلى أعلى المنازل . لإيجابيتهم التى دفعتهم إلى التضحية بالمال والوطن ، والهجرة إلى مجتمع آخر يكونون فيه أكثر فاعلية وأبلغ تأثيراً . ولذا فمن قصر النظر أن نرى فى الهجرة مظهراً للسلبية الذميمة . ولقد كانت أسلوباً ارتضاه الرسول عليه الصلاة والسلام كعمل مقاوم لموجات الضغط والتعذيب التى وجهت للمسلمين أيام الضعف والمحنة . فهاجر المسلمون للحبشة فراراً بدينهم من العذاب ، ثم تلتها هجرة أخرى إلى الحبشة أكبر منها - وأخيراً كانت الهجرة الحاسمة إلى يثرب تلك الهجرة التى غيرت وجه التاريخ ، وحولت مسير الدعوة الإسلامية شطر النصر المؤزر ، والفتح المبين . وعلى أثرها توطدت فى المدينة أركان الدعوة الإسلامية ، وقامت فى رحابها للإسلام دولة سارت فى طريق النمو والانتشار

(١) رواه البخارى ومسلم .

قوية نشطة ، وكانت هذه الهجرة ، وهي في مظهرها عمل سلبي من أعظم الأعمال الإيجابية ، بل كانت السر العجيب فيما أحرزته الدعوة من نجـــاح واسع المدى عميق الأثر . .

٥ — مشورة عمر رضي الله عنه : تلك التي أشار بها على أبي بكر بشأن حروب الردة . وكان من رأى أبي بكر أن يحارب المرتدين حتى يعودوا لدينهم الحق ، ولـكن عمر رضي الله عنه قال لأبي بكر : أرى أن تلزم بيتك ومسجدك فلا طاقة لك بقتال العرب كلها . فهل كان رأى عمر أن يقف أبو بكر من هذه الأحداث موقفاً سلبياً ؟ ! لا ، ولـكن عمر رضي الله عنه يريد أن يؤكد أن الفتنة عارمة ، وأى موقف إيجابي منها قد تـكون نتيجة خطيرة أو قاضية ، على أن أبا بكر رضي الله عنه أصر على موقفه الإيجابي ، وكان هذا هو الاتجاه الأمثل وكان النجاح حليفه وعاد عمر يعتذر للصديق بعد أن تبين له صواب رأيه وسداده .

٦ — وهذه سلبيات أقرها الإسلام :

فحين تجتاح المجتمع فتن هوجاء ، يختلط فيها الحق بالباطل يكون البعد عنها أصلح للمجتمع من أن يكون الإنسان أحد طرفيها . فعند ما اجتاحت المجتمع الإسلامي الأول الفتنة الـكبرى آثر كثيرون من أتقياء الصحابة هذا المسلك أمثال سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وغيرهما كثير ، ثم يذهب عمر بن سعد إلى أبيه في معتزله غاضباً ، وهو يقول أنت هنا والناس يخوضون في أمر عظيم ، فيضرب به سعد على صدره ويقول له ياعمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد الخفى التقى » .

ولم تـكن هذه سلبية الضعيف المتهاون الذى لا يبالى بأحداث مجتمعه ، وإنما هى تنفيذ لتوجيهات نبوية سديدة يحسن الحرص عليها في مثل هذه الظروف . يقول عليه الصلاة والسلام : «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن[1] .

(١) رواه البخارى .

وفى مثل هذه الظروف ينصح الرسول عليه الصلاة والسلام للمسلم بقوله : إلزم بيتك ومسجدك ولو أن تعض بأصل شجرة » .

وهناك مجتمعات تـكون السلبية بالنسبة لها أكثر نبلا وأسمى أثراً يقول تعالى . (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) . (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) . (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) .

على أن هذه السلبية لابد أن تسبقها إيجابية ويكون العدول عنها نتيجة لانعكاس آثارها وانقلاب نتائجها ؟.

البحث موصول

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

تعليق على السلبية

الهدى النبوى : أجاد ولدنا الأستاذ الشاب فيما كتب ، فالإسلام أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وجهاد وصوم أى إيجابية وسلبية ، بالإيجابية يفعل الخير ، بالسلبية يمتنع عن الشر . والمسلم الحق هو من يكون فيه هذا وذاك ، والمؤمن الحق من يعمل ، ويمتنع عن العمل ، يعمل الخير ، ويمتنع عن الشر . وهو فيما يعمل عظيم الأمل فى العفو عن الخطأ إن حدث منه ، لأن الله وعده بهذا تشجيعاً له على العمل . والإسلام فى شرعة محمد صلى الله عليه وسلم يوائم بين الإيجابية والسلبية فى حكمة بالغة وهدى عظيم .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

« قرآن كريم »

٤٣ — نظرات في التصوف

المملكة الباطنية

تدين الصوفية فى كل عهودها القديمة أو الحديثة بأن لكل نص دينى ظاهراً وباطناً ، وقد زعم الصوفية الذين رزئ بهم المسلمون أن لكل آية قرآنية أو حديث نبوى معنى ظاهراً هو ما فهمه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبينه ، وعمل بمقتضاه ، ودعا إليه أمته ، ومعنى باطناً كتمه ، فلم يَبُح به إلا لعلىٍّ رضى الله عنه ، وقد توارثه عنه إمام بعد إمام ، أو قطب بعد قطب ، أو بطريق بعد بطريق . ولم يكن أبو بكر وعمر وعثمان إلا من طائفة الظاهر ، أما علىٌّ فقد جمع وحده بين المعرفتين معرفة الظاهر ، ومعرفة الباطن ، وهذا ما يؤكد الصلة الوثيقة بين التشيع وبين التصوف .

ولهذا كان الدين عند هؤلاء شريعة وحقيقة ، أما الشريعة فهى تلك التى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل بما توجبه ، وقام عليها بعده صفوة أصحابه وأقاموها قولاً وعملاً واعتقاداً وخلقاً وسلوكا مع الناس .

وأما الحقيقة فهى تلك التى كتمها محمد صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه — وهو بالمؤمنين رءوف رحيم — أن يكتم شيئاً عن أمته لهم فيه خير وصلاح .

والداعون إلى الشريعة بوحى وحدها هم الرسل أو يسمون رسلا . أما الداعون إلى الحقيقة فهم الأقطاب ، أو يسمون أقطاباً ، وإذا دعا واحد إلى الأمرين سمى بالإسمين : قطبٍ ورسول . وكما من الله على الشريعة بحواريين وأنصار ومهاجرين وأنصار ، فإنه — كذلك — مَنَّ على الحقيقة أو وكل بها قوماً غير ظاهرين للخلق ، أو غير معروفين لهم قد يكونون فى المساجد ، وقد يكونون فى الكنائس . وقد يكونون ممن يتهجدون فى المحاريب ، وقد يكونون ممن يعربدون فى المواخير . هؤلاء هم أهل

الباطن الذين بأمر القطب الغوث يأتمرون ، وبمشيئته يصرِّفون أقدار الله ، ويتصرفون !! ويوزعون بركاته على الخلق ، وهؤلاء هم الأوتاد والأبدال والأنجاب .

بهذا تدين الصوفية ، وإليه تدعو ، ودونه تجالد حتى لا يستمع الناس إلى هدى الشريعة أو يعملوا بها ، أو يجاهدوا دونها ، أو يشع نور يبدد عن القلوب ران الضلالة ، ولكي يظل أسارى الوهم الصوفى مشدودى الوثاق إلى طواغيت الشهوات .

ومملكة الباطن مملكة أسطورية تثير دهشة من لا يستفزه دهش ، وعجب من لا يأخذ به عجب .

وقد افترى كهان هذه الأسطورة — شأنهم شأن كل ذى ضلالة يريد أن يبيعها — أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا استطاعت هذه المفتريات أن تجد طريقاً إلى بعض القلوب التى خبا نور الإيمان الحق فيها ، وجعلوا بينهم وبين القرآن حجاباً وسداً ، ولا سيما حين اشترى الكهان بعض الأسماء التى أذهلتنا عن تحقيرها ، وبعض الألقاب التى سحرتنا عن السخرية بها . فإذا من دعاة هذه المفتريات أناس كان لهم فى عصرهم مكانة ، ومشى التاريخ المخدوع يمجد من قيمة هذه المكانة ، حتى استطاعوا أن يزكوا الأفق بالصيت البعيد ، وبادعاء أنهم أئمة أهل السنة ، كالغزالى والسيوطى[1] . وقد ألف هذا الأخير كتاباً فى هذا الشأن سماه : « الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال » . وكذلك فعل كثير من الذين زعموا أنهم من أئمة الحديث كالبيهقى ، وقد تلقف عشاق الأساطير وكهانها هذا الكتاب وهذه الفتاوى المأفونة من أولئك الشيوخ ، تلقف السفاح آلات الدمار ، وحاولوا أن يأتوا الإسلام من القواعد .

والذى يثير ويوجع ، أن يتوِّج التاريخ المكذوب أولئك الذين حاولوا القضاء على

---

(١) ولد الغزالى سنة ٤٥٠ وتوفى سنة ٥٠٥ . والسيوطى ولد سنة ٨٤٩ وتوفى سنة ٩١١ .

على الإسلام بألقاب مجدد الإسلام، حجة الإسلام، إمام الأئمة، إمام أهل الحديث، إمام الفتيا فى مصر وكل مصر ! ! ، وأن يلقب دعاة الحق وأبطال ميادينه بألقاب تنزو بغياً وحقداً كما فعل — مثلاً للأولى — مع الغزالى ، وكما فعل — مثلا للأخرى — مع الإمام ابن تيمية .

غير أننا لن نمل أبداً من تكرار ذكر الحقيقة التى يؤمن بها المسلمون ، وهى أن كتاب ديننا هو القرآن ، وأن نبى الإسلام الخاتم هو محمد — صلى الله عليه وسلم — فليأت المفترون بعشرات السيوطيين ، والغزاليين وكتبهم وفتاويهم ، ليحشدوا معهم كهانهم وأحبارهم وشياطينهم ، وليملأوا الجو صخباً وهتافاً يعربد على نداء الحق النبيل ، فإنهم لن يخدعوا بكل هذا مسلماً ينتسب قلبه وفكره إلى القرآن ، ولن يستطيعوا بكل ما افتروا من أباطيل أن يصرفوا مسلماً عن آية واحدة من القرآن .

ولنعرض عليك بعض ما نقله السيوطى من مفتريات أبت إلا أن تنتسب زوراً وبهتاناً إلى صحابى جليل هو عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — فقد بهتوه بأنه قال : « إن لله ـ عز وجل ـ فى الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب نوح عليه السلام ، ولله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، ولله فى الخلق خمسة ، قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذ امات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، فبهم يُحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع » . وعبد الله بن مسعود الذى ينسب إليه هذا الحديث هو القائل : « لأن أحلف بالله كاذباً خير من أن أحلف بغيره صادقاً ، لأن الحلف بغير الله شرك ، والله لا يغفر أن يشرك به » . فكيف ـ وهذه

روحه فى تقديس التوحيد - يروى هـذه الوثنية ؟ . على أن هذا الحديث الموضوع لا يوجد فى كتاب من كتب السنة المعتبرة . وبعد هذا نفصل رأى الصوفية فى أهل هذه المملـكة .

القطب : فى دين القوم كما يشرح الـكاشانى ، نوعان : قطب قديم أو معنوى(١) ، وقطب حادث أو حسى ، والأول يكون قطباً بالنسبة إلى جميع المخلوقات فى عالم الغيب -

---

(١) كان كثير من الصوفية ينسب إلى نفسه أنه قطب قديم منذ الأزل ، فيحكى لنا الشعرانى فى الطبقات ما يأتى : « كان سهل بن عبد الله التسترى يقول : أعرف تلامذتى من يوم . (ألست بربكم) ، وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ، ومن كان عن شمالى ، ولم أزل منذ ذلك اليوم أربى تلامذتى وهم فى الأصلاب لم يحجبوا عنى إلى وقتى هذا .

وكان ابن عربى يقول : « أشهدنى الله تعالى ما فى العلى وأنا ابن ست سنين ، ونظرت فى اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين ، وفـكـكت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، ورأيت فى السبع المثانى حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته . وحركت ما سكن وسكنت ما حرك وأنا ابن أربع عشرة سنة .

والنص الأول من كتاب الطبقات يفيد أن التسترى قطب الأقطاب ، لأنه قديم منذ أخذ العهد . ولذلك كان يتولىّ رعاية تلامذته وهم فى أصلابهم . . . وهكذا كل واحد يزعم لنفسـه أنه بلغ المرتبة ، ومن عجب أن يتوقح الشعرانى فى جرأته فيقول تعليقاً على مثل هذا الـكلام حين يحكى عن الدسوقى قوله : « وقد كنت أنا وأولياء الله أشياخاً فى الأزل بين يدى قديم الأزل ، وبين يدى رسول الله ، وأن الله عز وجل خلقنى من نور الرسول والتفت إلىّ رسول الله وقال : يا إبراهيم سر إلى مالك وقل له : يغلق النيران ، وسر إلى رضوان . وقل له يفتح الجنان » يقول الشعرانى تعليقاً على هذا ما يأتى « وهذا الـكلام من مقام الاستطالة . تعطى الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق ، وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلى فلا ينبغى مخالفته إلا بنص صريح .

الدسوقى شيخ الأزل ، الدسوقى خلق من نور الرسول ، الدسوقى أغلق النار ، الدسوقى يفتح الجنان ، الدسوقى شاهد ربه فى السماء . . . كل هذا عند الشعرانى جائز لا يصح لنا مخالفته فيه إلا بنص صريح ! ! . . أرأيت أيها القارىء الـكريم تلك الاستطالة الوقحة =

والشهادة ، ولا يستخلف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ، وهو قطب من الأقطاب المتعاقبة فى عالم الشهادة ، لا يسبقه قطب ، ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوى ، أو هو كما يقول الكاشانى « عين الله وعين العالم ، الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى » .

أما القطب الحادث ، فهو أكمل إنسان متمكن فى مقام الفردية « أى تحققت وحدته مع الذات » ويعتبر قطباً بالنسبة إلى ما فى عالم الشهادة من المخلوقات يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال[1] .

وهذا التقسيم يقوم على أساس من إيمان الصوفية بوحدة الوجود ، ولنأت بالضلالة من جذرها الغائر ؛ لنفهم مرادهم من هذا .

= على مقام الله عز وجل ، وعلى مقام كتاب الله عز وجل ، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! . النص الصريح يا شعرانى خمس كلمات من القرآن الحكيم قول الله للرسول صلى الله عليه وسلم — وشسع نعله بالدسوقى وأضرابه — (ليس لك من الأمر شىء) هذا خطاب الله تعالى لسيد الخلق ، وخاتم رسله . ولمن قال له (وإنك لعلى خلق عظيم) ولمن وصفه بأنه (بالمؤمنين رءوف رحيم) . أفيقول لنا قائل بعد ذلك : حذار من مهاجمة الأقطاب ، حذار من كرامات الشعرانى ! ! . . حذار أنتم أيها القائلون لنا ذلك ! ! . فإن الشعرانى وأضرابه يضعون أقدامكم على شفا الهاوية السحيقة الأغوار من سقر ! . فالشعرانى بلغت به الجرأة أن يقول : لا تجوز مخالفة هذا ، وأبى أن يصفها : بأنها شطحات ! ! . . أقول ذلك لكى يعلم ضحايا الصوفية أنها ليست شطحات ، وإنما هى وثنيات يصرح بها القوم ، وهم فى أقوى دوافع الشعور بما يقولون . وهذا هو الشعرانى لا ينكرها ولا يردها . بل يدعوا إلى التصديق بها ، يدعونا إلى الإيمان بأن الدسوقى وغيره بلغوا مرتبة القطبانية الكبرى ، فهم يتصرفون فى الكون وأقداره وأقضيته بما يشاءون . . . فويل الصوفية من الشعرانى ! ! .

(١) ص ١٣ جـ ٢ كشف الوجوه الغر .

يرى الصوفية أن الله كان وجوداً مطلقاً أو عماء مُبْهَما مجرداً عن الأسماء والصفات وقد أراد هذا الوجود أن يتعين، ليعرف نفسه ، فتعين فى الحقيقة المحمدية . هذه الحقيقة المحمدية هى القطب القديم الذى يتحدث عنه الكاشانى .

وكان للحقيقة المحمدية تعينات وتنزلات وتجسدات . والإنسان الذى تتجسد فيه الحقيقة المحمدية بكل صفاتها وأسمائها التى هى صفات الله وأسماؤه يكون هو القطب لنسبته إلى مافى عالم الشهادة . وهذا هو القطب الحادث الحسى . وهذا القطب الحادث هو فى حقيقته القطب القديم ، غير أنه سمى حادثا باعتبار جسده الذى تعينت فيه الحقيقة المحمدية التى هى القطب القديم ، وهذا القطب الحادث هو فى حقيقته أيضاً الذات الإلٰهية أليست الحقيقة المحمدية المتعينة فى هذا القطب الحادث هى الحقيقة الإلٰهية ؟ !

يقول الشعرانى فى اليواقيت نقلا عن ابن عربى : « وأما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حين النشأ الأنسانى إلى يوم القيامة فهو روح محمد [١] » أما الأقطاب الحسية المتعاقبة ، فهى تعينات للقطب القديم .

ويقول الجيلى : « الإنسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود منَ أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع فى ملابس ويظهر فى كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلى الذى هو له : محمد . وكنيته أبو القاسم ، ولقبه شمس الدين ، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام ، وله فى كل زمان اسم يليق بلباسه فى ذلك الزمان ، فقد اجتمعت به صورة الجبرتى. قال الشبلى لتلميذه : أشهد أنى رسول الله ، فقال : أشهد أنك رسول الله [٢] » فالإنسان الكامل هو قطب الأقطاب ، ولا يوجد عند الجيلى قطبٌ ، وقطبُ أقطاب بل كل إنسان كامل — وهو الذى تتعين فيه الحقيقة المحمدية — هو قطب أقطاب . وقوله

---

(١) ص ٨٣ جـ ٢ اليواقيت والجواهر .

(٢) ص ٥ جـ ٢ الانسان الكامل

تنوع فى ملابس يفيد أن قطب الأقطاب يظهر فى صور مختلفة . ولـكنه واحد فى حقيقته مختلف فى صوره ، وقوله : يظهر فى كنائس يفيـد أن هذا القطب قد يكون قسيساً . أو أسقفاً نصرانياً أو حبراً يهودياً . وهذه إشارة منه إلى وحدة الأديان . ومن الإنسان الـكامل ؟ أنه الله عند الجيلى فهو يقول : « والله هو الولى يعنى الإنسان الـكامل » ويقول عنه فى مكان آخر : « عليه يدور أمر الوجود . وبه يكون الركوع والسجود . وبه يحفظ الله العالم ، وهو المعبر عنه بالمهدى وبالخاتم [1] وقد زعم ابن الفارض أنه هو القطب القديم ، فما قبله قطب ، ولا بعده قطب . لأنه هو الأول والآخر . وهاك مايقول فى تائيته الـكبرى »

فَبِى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها الـــمحيط بها والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبـــلى عن ثلاث خلفته وقطبية الأوتاد عن بدلية

يقول إنه الوجود الذى به دارت الأفلاك ، وأنه القطب القـديم الذى لم يسبقه قطب ، ولا يأتى بعده قطب . أما الأقطاب الحادثة ، فمسبوقة بأقطاب ، ومخلوفة بأقطاب فـكلما انقضى واحد اختير بدلا منه قطب آخر من ثلاثة الأبدال . أما هو ، فهو القطب الدائم السرمدى للمد لجميع الأقطاب أزلا وأبداً . فهو فى آن دائم .

علم القطب : يعلم « علم ماقبل وجود الـكون ، وما وراءه ، ولا نهاية له ، ويشهد الذات بعـين الذات ، ويعلم علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وهى الأسماء العالية ، ويخصص بأسرار دائرة الإحاطة . وجميع الفيوض الإلهية . ويقول الجيلى عن علمه « علم العوالم بأجمعها على ماهى عليه من تعاريفها من المبدأ إلى المعاد .

وعلم كل شىء كيف كان ، وكيف هو كائن ، وكيف يكون ، وعلم مالم يكن

---

(١) ص ٥١ جـ ١ المصدر السابق

ولم لا يكون ، مالم يكن ، ولو كان مالم يكن كيف كان يكون كل ذلك علماً أصلياً حكميا كشفياً ذوقيا من ذاته لسريانه فى المعلومات علما إجمالياً تفصيلياً كليا جزئياً » هذا علم من تجلى الله عليه بصفة العلم ، فما بالك بالقطب ؟ وتدبر قول الله : (قل : لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون) . فكيف يفترى المبطلون أن قطبهم يعلم غيب السموات والارض . بل يعلم كل ما كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ؟ ! .

حقيقة القطبانية أو خلافته عن الله : يقول التيجانى الكبير : « القطبانية هى الخلافة العظمى عن الحق تبارك وتعالى مطلقاً فى جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من عليه ألوهية لله تعالى ، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق ، فلا يصل إلى الخلق شىء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، وتوليه نيابة عن الحق فى ذلك ، وتوصيله كل قسمة إلى محلها ، ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً ، فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها ، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا ، وقيامه فيها فى أرواحها وأشباحها ، ثم تصرفه فى مراتب الأولياء ، فيذوق مختلفات أذواقهم ، فلا تكون مرتبة فى الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرف فى جميعها ، والممد لأربابها ، وله الاختصاص بالسر المكتوم الذى لا مطمع لأحد فى دركه » .

وتدبر قول الله سبحانه لخاتم النبيين : (ليس لك من الأمر شىء) . فهذا الجزء من آية واحدة يقضى على هذه الأسطورة الكافرة وأقطابها ، ولقد نسبوا إلى الجنيد قوله : « لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صِدِّيق أنه زنديق » ومالى على هذا تعليق ، فهو وحده شهيد على أربابه بالزندقة .

للنظرات إن شاء الله بقايا — عبد الرحمن الوكيل

لا تذبحوا لغير الله

بلغنى أن أهل قرية من قرى جبل العلم تسمى « سريف » لما قحط المطر أمرهم أحد الدجاجلة بذبح فرس وكتابة آية من القرآن العظيم ، وهى قوله تعالى فى سورة الشورى (٢٨ — وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد) على جبهته بعد قطع رأسه وتعليقه فى شجرة عالية استنزالا للمطر بزعمه ، ففعلوا ما أمرهم به وخيب الله سعيهم ، فلم تنزل عليهم قطرة واحدة ، وذلك فى سنة ١٣٦٤ هـ ، فقلت فى ذلك القصيدة التالية :

بكى قوم على جاه ومال ... وأعدل آخرون من الهزال
وبعضهم بكى فى إثر خِل ... بعيد الأنس آذن بارتحال
وبعضهم ينوح على شباب ... تولى ثم بدل باعتلال
ودين الله أصبح فى ضياع ... ولا باك عليه ولا مبال
بدهر صار فيه العرف نكرا ... ونور الحق غُطى بالضلال
وسنة خير خلق الله أضحت ... تنادى أين أنتم يارجالى ؟
طغى ، وبغى عليها ذو ابتداع ... خبيث سالك سُبل الخبال
ولما شاهد الغرباء هبوا ... لنصرتها توعد بالقتال
وغرته جموع وافرات ... حواليه توالى من يوالى
وساعده عموم الجهل حتى ... لقد شمل الأسافل والأعالى
وحزب الله يغلب كل حزب ... وينصره المهيمن ذو الجلال
فَيُصْلِت من كتاب الله بيضاً ... مُهَنَّدةً تضىء دجى الليالى
ومن سنن الرسول له سهام ... ومن حجج الأصول له عوالى
وأهل الرأى كلهم بغاث ... يتامى فى الحديث ، ذوو اختبال

ومن يعرض عن السنن العوالى يذق ذل الهزيمة فى النزال
ويكسى الخزى فى دنياه دوما وفى أخراه يقرى بالنكال
ومن سنن الرسول ومقتفيه سؤال الغيث من مولى النوال
من الرحمن لا يدعون شيئاً سواه مخلصين فى الابتهال
إلى أن جاء بعدهم خلوف دعوا أهل المقابر باحتفال
وقد ذبحوا لهم بَقَراً وشاء وقد ذبحوا السِّمان من الجمال
ومن يذبح لغير الله يلعن مقال المصطفى خير المقال (١)
وأعجب بدعة فيما سمعنا وأعرق فى الجهالة والخبال
أموراً عن «سريف» قد أتتنا تواتر نقلها بين الرجال
فقد عمدوا إلى مهر كريم من الخيل المطهمة الغوالى
فحزوا رأسه بالسيف ظلماً ولم يذنب إلى أحد بحال
وقد كتبوا بجبهته سطوراً من القرآن يالك من ضلال
وتلك إهانة للذكر جلت صفات الله عن هذى الخلال
ولو تبعوا الكتاب وعظموه مع السنن المطهرة العوالى
لأسقاهم إله الناس ريا بلا ذبح لخيل أو بغال
ومن يعرض عن القرآن يسلك عذابا (٢) قول ربك ذى المعالى
والاستسقا بذبح الخيل بدع غريب لم نرى له من مثال
أأهل سريف اتئدوا وتوبوا إلى الرحمن من هذا المحال

---

(١) الاشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله من ذبح لغير الله » ـ الهدى النبوى .
(٢) الاشارة إلى قوله تعالى «ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعداً» ـ الهدى النبوى

وفى السنة نفسها نادى المنادى فى مدينة القصر الكبير بشمال المغرب بأمر من الحاكم ، وكان يدعى القائد البلالى ؟ أيها الناس ، اسمعوا ، ولا تسمعون إلا خيراً إن شاء الله ، إن القائد ـ يعنى الحاكم المتصرف فى المدينة ـ قد عين باتفاق مع القاضى يوم كذا وكذا للخروج لطلب الغيث والذبح على « سيدى على بو غالب » وغيره من الأولياء ، فلا يتخلف أحد عن الخروج .

فلما كان ذلك اليوم خرج الحاكم المذكور والقاضى وجميع أهل المدينة حفاة حاسرى الرؤوس تتقدمهم الثيران ، وأكبرها الثور الذى سيقدم لأكبر الأوثان ، « على أبى غالب » والأوثان الصغار الذين لا يستحقون العجول ذبح على كل منهم كبش ، وخرجوا خاشعين متذللين يقولون : (جئنا قاصدين ، لا تردونا خائبين ، ياأولياء الله الصالحين) ومع ذلك ردهم الله خائبين .

وأناس آخرون قاموا باستسقاء عجيب ، وذلك أن بعض الجهلة من الذين يدعون العلم أخبره أنه رأى فى كتاب أن الناس إذا قحط عليهم المطر فجمعوا سبعين ألف حصاة ، وقرأوا الآية السابقة (وهو الذى ينزل الغيث من بعد قنطوا) الخ الآية ، ثم جمع الحصا وجعل فى كيس وربط بحبل وأنزل إلى قعر أحد الانهار الجارية ، وربط طرف الحبل بشجرة لا يكاد الكيس يستقر فى قعر النهر حتى يأخذ المطر فى النزول ويبقى كذلك نازلاً بغزارة حتى ينزع الكيس من قعر النهر ، فإن لم ينزع بقى المطر كذلك أبدا حتى يغرق كل شىء ، ويكون طوفان مدمر . فجمعوا جماعة من القراء ووزعوا عليهم الحصا فقرأوا على كل حصاة الآية المذكورة ، وأنزلوا الكيس إلى قعر النهر ، وكنت أقول لكل من يزورنى : آمنا بالله وكفرنا بأحجارهم . وكنت كلما رأيت سحاباً فى السماء أخاف أن يمطروا فيصدقوا باطلهم فأدعو الله أن لا يمطرهم . وبعد ما مضى على ذلك شهر زارنى جماعة من أهل تلك المدينة وقالوا لى : نريد أن نغسل هذا العار الذى صنع أهل بلدنا بأن نصلى صلاة الاستسقاء ، ونريد أن تؤمنا فيها .

وأخبرنى بعضهم أن من العقائد الفاسدة التى شاعت فى المغرب أنه متى صليت صلاة الاستسقاء يموت السلطان ، ويموت الإمام الذى صلى بالناس ، ولذلك لا يستطيع أحد منهم أن يتقدم للإمامة ، لأن زوجته وأولاده يتعلقون به ويبكون ، فقلت لهم أنا غريب ومريض ، وليس لى هنا أولاد فدعونى أموت ، وخرجنا ، وكان عدد المصلين (٤٠) رجلاً ، وكان أحدهم معلماً للصبيان فأخرجهم معه من الكتاب ، وكان عددهم (٥٠) صبياً فخرجنا إلى مصلى العيد ، وصليت بهم صلاة الاستسقاء كما جاءت فى كتب السنة ، فجاء المطر بإذن الله . ولا يزال بعض أولئك القوم أحياء فى مدينة القصر الكبير يشهدون بهذا كله .

وكل قوم تركوا كتاب الله وسنة رسوله وعبدوا الأوثان لا بد أن يقعوا فى أنواع الجهالة والضلالة ، فنسأل الله أن يحيينا مسلمين ويتوفانا مسلمين .

مكناس — الدكتور محمد تقى الدين الهلالى

مفاتح الغيب

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مفاتح الغيب خمس : إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير »

رواه البخارى

٢ – الغفـــلة

للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا .

ولينقذ الله المرء من خطر الغفلة . أتى بكثير من العبادات ، فتلاوة القرآن والتفكر في خلق الله وإقامة الصلاة خمس مرات كل يوم وليلة والتصدق والصوم وكل جهاد في سبيل الله ، يطرد الغفلة عن الله ، وينقذ المرء من شرها ، وأمر كذلك كل مسلم بأن يحارب الغفلة بالنصح والإرشاد وأن يوقظ قلب أخيه الإنسان ، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر لينتبه ويستفيق ويأوب إلى ربه .

* * *

وحث تعالى المؤمن على كثرة ذكره ، لأن المداومة عليه أمان من نسيانه الذى هو شقاء العبد فى الدارين ، فعلى قدر ذكر الله يكون القرب منه ، وعلى قدر الغفلة عنه يكون البعد عنه .

ولذلك أمرنا تعالى بذكره فى كل وقت لا فى الصلاة وحسب كما فى قوله (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) ويبين لنا أن كثرة ذكره وسيلة الفلاح ومرجاة المغفرة والأجر العظيم فى قوله (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً) .

وكما حث تعالى على ذكره ذكراً كثيراً ، نهى عن كل ما يدعو إلى الغفلة عنه . فحرم الخمر والميسر وكل المخدرات التى تذهب بالوعى ، بل وكره الإسراف فى أى عمل أو لهو أو متعة . ونهى عن الإفراط فيما يذهب بعقل المرء ووقته ويصرفه عن ذكر ربه ويلهيه عن واجباته فقال (إنه لا يحب المسرفين) .

وكما أن الغفلة تدفع صاحبها إلى ظلم نفسه وتوقعه فى الخطأ وفى الهلاك ، فذكر الله

تعالى أعظم رادع للمؤمن عن كل سوء ، وأقوى باعث له على التوبة والندم كما أكد تعالى بقوله : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) ولذلك قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وأكد لنا سبحانه أن ذكره أكبر ناهٍ للمؤمن عن الفحشاء والمنكر فى قوله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) فلا يجسر على اقتراف الفحشاء والمنكر ويصر على المعاصى إلا غافل عن الله واليوم الآخر ، لم يذكر فيقدر شديد عقابه وعظيم ثوابه .

والذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره ، لأن الشكر ينشأ عن يقظة القلب وشعوره بالنعمة وتذكره للفضل الحاضر والماضي ، إذ كيف يشكر المنعم من لم يشعر بالنعمة من غفل عن الاثنين معاً ؟ .

وكلما ذكر العبد ربه وشكر نعمه ، كلما ذكره الله بنعمه كما وعد سبحانه فى قوله (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) .

وأمر تعالى بذكر نعمته فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء الأرض ، لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون) وقال : (وأما بنعمة ربك فحدث) .

* * *

ووصف الله المؤمن بأنه لا ينى عن ذكره ولا يغفل عن شكره ، وأنه كثير الأوبة إليه ، لا تصرفه ولا تلهيه عنه أمور الحياة الدنيا فإذا ماهى شغلته عنه برهة سرعان ما يعود إليه ذاكراً ، وكلما مسه طائف من الشيطان تذكر وثاب إليه مستغفراً ، وكلما ألهته عنه ومتعته نعمه أثاب إليه شاكراً ، وكلما أصابته وآلمته محنة آب إليه صابراً ، ولذا لقب الله تعالى المؤمن بالأواب والمنيب فقال (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) وقال (هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) .

ووعد تعالى الأواب إليه بالهدى فقال (الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من

يبيب) فما أسعد من يؤوب إلى ربه فى كل أحواله ولا ينساه ، فيذكره ويشكره فى سرائه وضرائه وفقره وغناه ، ولا يلهيه عن ذكره كثرة عمله ولا سطوة هواه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

وما أبلغ قول الأستاذ أحمد أمين :

إن المداومة على ذكره تعالى غذاء الروح المؤمنة وراحتُها وسعادتها لأنه يبعث الأمل ويقوى العزيمة والصبر ، ويشعر المرء بأن له سنداً قوياً يعتمد عليه فى الشدائد ، ويركن إليه فى الملمات ، وشتان فى الحياة بين متسلح وأعزل ، وبين من يستند على ركن شديد ومن ليس وراءه إلا فراغ وخلاء فإن فى ذكر الله تعالى اطمئنانَ القلب وصبره وقوته (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

والتفكر فى ملكوت الله من دعائم الإيمان وهو تقربٌ إلى الله بالروح وذلك أعظم عبادة بل هو شرط وأساس لكل عبادة وأعظم تنبيه للقلب إلى خالقه ، فلا عبادة ولا أجر ولا فلاح لِقلبٍ غافل عن الله وآياته وعن يوم الحساب ، لا يعمل ابتغاء وجه الله ولا يجاهد فى سبيل رضاه ، ناسٍ للجحيم فلا يخشاه غافل عن النعيم فلا يتمناه مستخف بجسيم ما جنت يداه .

إنما الأجر والفلاح فى الدارين للقلب الصاحى الذاكر لعظمة الله وصفات جلاله ، الشاكر لجزيل نعمه ، المراقب لحرامه وحلاله ، النابه المتفكر فى إتقان صنعه وبديع جماله (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) .

فكلما تفكر المؤمن فى خلق السماوات والأرض أحيا قلبه وكلما شاهد ببصره وبصيرته آيات الله شعر بخشوع ورهبة ، فهتف قلبه ضارعاً يستغفر ويسبح ربه (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

وذلك لأن فى إبداع السماوات والأرض آيات تهدى المفكر إلى وجود المبدع

وتريه عظيم قدرته وحكمته وجزيل نعمته وواسع رحمته . (إن فى خلق السماوات والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولى الألباب) .

فيبهرُ فكره وبصرَه ما يتجلى له من بديع الصنع وسعة الملك وقوة السلطان ، فينزهه جل وعلا أن يخلق هذا باطلًا ، بل لا بد أن يكون لهذا الخلق غرضاً سامياً وغايةً من جزاء عادل ، كما أكد تعالى فى قوله (وخلق الله السماوات والأرض بالحق ، ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ولذلك مجد تعالى المفكر واعتبره فطناً حكيما يعرف خالقه فيتقيه ويعرف واجبه فيؤديه ، فوجه إليه الكلام فى كثير من آياته فقال (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقال (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) .

لأن من لا يفكر فى بديع صنع الله فكيف يقدره ؟ ومن لا يفكر فى جزيل نعمه فكيف يشكره ؟ ومن لا يفكر فى أليم عقابه فكيف يحذره ؟ ومن لا يفكر فى عصيانه ربه ، فكيف يستغفره ، ومن لا يفكر فى الحق ويبحث عنه فكيف يبصره ، ولذلك قال تعالى (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

والمفكر يسوح بخياله فى عالم الغيب ، فيرى بعين فكره يوم الحشر والجنة وجهنم كما وصفها تعالى فى كتابه الكريم ، كما يسوح بخياله كذلك فى بدائع الكون ويحلق فى أقطار السماوات ويجوب الآفاق ، فيرى بفكره إحسان خلق الله ، وكما يسوح فى ماضيه فيرى ما قدم وأخر فيستغفر على ما جنت يداه ، ويرى ما أسبغه الله عليه من نعم فيشكره على عظيم ما أعطاه . فالسائحون هم الذين يتفكرون فى خلق السماوات والأرض وهم الذين يؤمنون بالغيب بعد تفكير فى وصفه ، ولذلك أكد تعالى أن سياق الفكر صفة من صفات المؤمنين فى هذه الآية الكريمة فقال (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين) .

هكذا نفهم من آى الذكر الحكيم أن سبب هدى المرء وسعادته فى الدارين ، ذكره لله ويقظة قلبه وفطنته ، وأن سبب ضلاله وشقوته فى الدارين ، ذهوله عن ذكر الله وغفلته ، فلا يستوى الغافل عن ربه الذى يتخذ سبيل الغى فيؤدى به إلى الجحيم . واليقظ الحذر الذاكر لله الذى يتخذ سبيل الرشد ليصل إلى النعيم (أفمن يمشى مكبًا على وجهه أهدى ؛ أمن يمشى سويًا على صراط مستقيم) نعم وصدق الله العظيم أفمن يمشى مكبًا غافلا عما يصطدم به من عقبات يتعثر ويكبو ولا يرى ما سبب له كثرة الزلات كمن يمشى سويًا حذراً فيرى ما يتهدده من أخطار منتبهاً حريصاً يفطن إلى ما يعترضه فيتفادى العثرات (مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، هل يستويان مثلا ، أفلا تذكرون) ؟ أفمن يمشى مكبًا على وجهه ، ناظراً إلى ما تحت قدميه فلا يرى إلا يومه ولا يبالى بغده كمن يمشى سويًا منتصب القامة يرى بنظره إلى أبعد الآفاق فيرى ما هو مقبل عليه فى المستقبل وفى الآخرة (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب) .

ألا فلينتبه العاقل وليحاذر سكرة النشوة ، وليكافح غمرة الشهوة ، وليقاوم ما للهوى من سطوة ، وليوقظ قلبه بذكر الله والتفكر فى خلقه وتدبر آى القرآن ، ليخرج من ظلام الغفلة والجهل إلى نور الهدى والإيمان فيميز الحق من الباطل ويتقى شر العصيان ، فطوبى لمن نجا من عمى قلبه ، وشر عواقب النسيان (ومن أعرض عن عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنْسَى) .

٤ — دراسات إسلامية

المعجزات فى القرآن

وقفنا فى حديثنا السابق عند بيان ما مَنَّ الله تعالى به على رسله من آيات عند استجابته تعالى لدعوات رسله لما كان يطلبه أقوامهم بقصد الإعجاز والإيغال فى الجحود والعناد . ثم إعنات رسلهم لتقديم الدليل المادى الحاسم على صدق رسالاتهم . . فحدثنا عما طلبه أقوام موسى وعيسى — عليهما السلام — منهما وفى هذا الحديث تتمة الموضوع بذكر ما كان من موقف قريش من رسولنا عليه الصلاة والسلام .

النبى مع قريش : أما رسول الله محمد — صلوات الله عليه — فقد سمع من قومه — مشركى قريش . نفس ما سمعه مَنْ سبقوه من الأنبياء من أقوامهم . فقد أبت روح الغطرسة والعناد إلا أن يطلبوا منه أشياء يقصرُ عنها جهده — صلى الله عليه وسلم — اجتمع له نفر من قومه المعاندين . واقترحوا أن يرسلوا له ليعرضوا عليه أمراً . . وعند ماجاءته الدعوة لبَّاها مسرعاً — إذ كان عليه السلام — يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، فأغروه بالمال الوفير . . والسيادة الكبيرة . والملك العريض[1] لكنه رفض كل هذا العَرَض الزائل ، ورد عليهم رداً قوياً قطع عليهم الأمل[2] ، وعند ماخاب ظنهم برفضه هذه العروض المغريات تقدموا إليه بهذه الطلبات شرطاً لإيمانهم بدعوته (وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيتٌ من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمنْ لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل : سبحان ربى هل كنت إلا بشراً

(١ ، ٢) راجع تفسير ابن كثير ص ٦٣ ج ٣ ط الحلبى .

رسولا — الإسراء : ٩٠ — ٩٣) وقد حكى القرآن عن هذا الطلب فى موضع آخر بقوله تعالى (وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه . . الآية — الأنعام : ٣٧) .

كما كان السخف يقودهم إلى مطالبة النبى بقرآن غير الذى كان يتلوه عليهم أو يأتى لهم ببديل عنه . (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلىَّ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم — يونس : ١٥) .

وطبيعى أنه لم يكن فى مقدور النبى — صلى الله عليه وسلم — تحقيق ما طلبوا منه ، فكان لا بد أن يرد عليهم بقوله « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم[1] » كما جاء الرد عليهم أيضاً فى سياق الآية فى تساؤل وتعجب (قل : سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا ـ الإسراء : ٩٢) ؟! .

هكذا رد رسول الله على أولئك النفر من قومه ، ذلك لأن وظيفته لم تكن تلبية مطالبهم من تلقاء نفسه أو بمحض إرادته ، بل كانت وظيفته لا تتعدى التبليغ والتعليم المنقسم إلى : التبشير والإنذار ، حسب ما أمره الله به من السير فى طريق محدد والقيام بعمل معين ، كما كان ذلك شأن مَنْ سبقه من الأنبياء والرسل (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ الأنعام : ٤٨) .

---

(١) كان — صلى الله عليه وسلم — غنياً بنفسه وإيمانه ونبوته ورضا ربه عنه . روى عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عرض على ربى عز وجل ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً . فقلت : يا رب ولكنى أشبع يوماً وأجوع يوماً — أو نحو ذلك — فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك . وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » راجع تفسير ابن كثير ص ٦٤ جـ ٣ ط الحلبى[1] .

(١) الهدى النبوى : نرجو من الأخ الكريم ، ومن كل أخ يكتب لنا أن يذكر مصادر الأحاديث من كتب الأحاديث نفسها .

وبما لا شك فيه أن الله تعالى كان يسيراً عليه أن يجيب أولئك القوم إلى ما سألوا وطلبوا من نبيهم بسرعة وعلى وجه أكمل . كما قال تعالى (وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه ، قل : إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ـ الأنعام : ٣٧) لكنه تعالى سبق فى علمه المحيط بكل شىء أنهم لن يذعنوا أو يهتدوا . لذلك لم يجبهم إلى طلبهم ، فقال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ـ يونس : ٩٦ ـ ٩٧) وقال وقوله الحق (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ـ الأنعام : ١١١) (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين . فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون — الأنعام : ٤ ، ٥) .

لقد كان ينبغى عليهم الإيمان بكثرة ما رأوا من الآيات الكونية ، و يرها من الآيات البينات المنزلة والحافلة بالإعجاز العلمى واللفظى والدلة على أن الرب الذى يدعوهم إلى معرفته نبيهم هو الواحد الذى بيده ملكوت كل شىء ، الحقيق بالألوهية ، للستحق للعبودية دون سواه ، لكنهم أعرضوا عن الإيمان بهذه الآيات ورغبوا عن التأمل فيها وفى معانيها رغم وثوقهم بصحتها واستيفائهم بوجاهتها ، وإيمانهم بدلالاتها الحقيقية التى تؤكد لهم أنها من عند الله . أعرضوا عن الإيمان الحقيقى العارى من الشوائب بآيات الله حرصاً على الجمود والتقليد والسير فى ضروب الجهل والضلال ، وقد عبَّر القرآن عن إيمانهم هذا بقوله تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين — النمل : ١٤) .

لم يجب الله تعالى المعاندين من قريش إلى طلبهم حين اقترحوا على نبيهم إنزال الآيات الكونية لا عجزاً منه — تعالى الله عن ذلك — بل إن سنته فى الأقوام مضت بأن يعاقب المعجزين للرسل المعاندين له بطلب الآيات بعذاب الاستئصال والمحق ، وعلى ذلك ، فإن تنزيل آية مقترحة لا يكون فى صالح قريش ، ولا خيراً لهم ، بل هو نقمة عليهم وشر لهم ، ولكنهم حينما يجهلون حكمة الله تعالى فى أفعاله ، ولا يعلمون سننه فى خلقه كما غاب عن أذهانهم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أرسل

رحمة للعالمين ، وأنه لا يأتى على يديه استئصال أمته بسبب إجابة المعاندين من قومه إلى ما اقترحوا ، وعدم إيمانهم بها ، وذلك كما فُعل بالأقوام السابقة التى عَجَّل الله بعقوبتهم بالاستئصال والسحق عقب أن أجيبوا إلى ما طلبوا ثم لم يؤمنوا ، وفى هذا نزل قوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ـ الإسراء : ٥٩) .

القرآن أكبر الأدلة على نبوة الرسول : على أن أولئك المعاندين من قريش ما كان لهم أن يستمروا فى عنادهم ويتمادوا فى جحودهم وإصرارهم على عدم تصديق الدعوة المحمدية ، وهم يرون كيف أن القرآن الذى اشتمل على العلوم الإلهية والاجتماعية والتاريخية ، والحكم التفصيلى للعقائد والشرائع وعلوم البلاغة والفصاحة . . ينزل على رجل أمّى لم يكن يدرك شيئاً ـ من قبل ـ من هذه العلوم جميعها بدليل قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم — الشورى : ٥٢) (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون — العنكبوت : ٤٨) .

وبالإضافة إلى ذلك فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعيش بين ظهرانى قريش حتى جاوز سن الأربعين من عمره ، فلم يصدر منه قبل هذه السن — وهو فى نضوجه العقلى واكتماله الفكرى شىء مما جاء بالقرآن من علوم ، ولا مما أخبر به من الغيب ولا أتى به من فصاحة وأسلوب وبلاغة ونَظْم . (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون — يونس : ١٦) .

نقول : إن نزول القرآن بما اشتمل عليه من علوم وتشريع وتاريخ وفصاحة على رجل أُمِّىّ من قريش لهو من أكبر الدلائل ، وأوضح الآيات والبراهين على أن هذا القرآن وما دعى إليه من دين إصلاحى فى كافة مجالات الحياة هو من عند الله وحده ، لا من عند محمد أو غيره من البشر ممن كانوا يفوقونه فصاحة وبلاغة وبيانا .

« للبحث بقية »

سعد صادق محمد

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبة

س ١ — ما رأى الدين فى الغناء والموسيقى ، هل حرّما ؟ .

س ٢ — ما رأى الدين فى التصوير (النحت ، الرسم ، التصوير الشمسى ، والآلات الحديثة ؟) .

س ٣ — ما رأى الدين فى تنظيم الأسرة ، ويقال تنظيم النسل ، وأيضاً تحديد النسل ؟ . أرجو الإفادة بالدليل والبرهان .

حمدى إسماعيل الفرماوى

بالمدرسة السعيدية — بالجيزة

جـ ١ — وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تفيد تحريم الغناء والموسيقى وجميع أنواع اللهو ، فمن الكتاب قوله تعالى فى مدح عباد الرحمن (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً) والمعنى : لا يحضرون مجالس اللهو الباطل ، بل يمرون عليها مرًّا كريما .

وقوله تعالى فى مدح مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) ولا شك أن الغناء والمزامير داخلان فى ذلك .

وقوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) . وقد فسر كثير من السلف كابن مسعود وغيره (لهو الحديث) فى الآية بأنه الغناء .

وقوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ، قل : ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) .

نزلت هذه الآية توبخ الصحابة رضى الله عنهم على انفضاضهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يخطب يوم الجمعة لما سمعوا صوت الطبول وقدوم العير بالتجارة ، حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا .

وأما من السنة فكثير منها :

١ — ما ورد فى الصحيح عن أبى مالك الأشعرى « ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير، والمعازف» (آلات الطرب).

٢ — ما رواه أحمد من حديث أبى أمامة : « إن الله أمرنى أن أمحق المزامير والكبارات » .

٣ — ما رواه نافع مولى ابن عمر قال : « مشيت مع ابن عمر فسمع زمارة راع فسد أذنيه بأصبعيه وعدل عن الطريق وأسرع السير ، ثم قال : يانافع انقطع صوت الزمارة ؟ فقلت نعم ، فأخرج أصبعيه وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع » .

٤ — ما رواه مسلم فى صحيحه « لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس ، إن الجرس من مزامير الشيطان » .

٥ — ما رواه الطبرانى فى الكبير ، وابن أبى الدنيا فى الملاهى من حديث أبى أمامة « مارفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك » .

وبالجملة فعلى المرء المسلم أن ينزه سمعه عن ذلك كله ، فهو إما حرام أو مفض إليه ، وكما قيل « الغناء بريد الزنا » .

جـ ٢ — كذلك وردت أحاديث كثيرة تفيد تحريم تصوير الحيوان بصورة يمكن أن تحل فيها الروح . منها :

١ — عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الذين يصنعون هـذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » متفق عليه .

٢ — عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوّن وجهه وقال : « ياعائشة : أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين » متفق عليه .

٣ — عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مصور فى النـار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه فى جهنم » ثم قال ابن عباس : فإن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روح فيه » متفق عليه .

٤ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » متفق عليه .

٥ — وعن أبى الهياج حيان بن حصين الأسدى قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » رواه مسلم .

وأما التصوير الشمسى بالآلات الحديثة ففيه خلاف بين العلماء ، والأولى التنزه عنه فيستعمل بقدر الضرورة .

جـ ٣ — وأما تنظيم الأسرة أو تنظيم النسل فهو أمر قد أشبع الناس الكلام فيه ما بين محرم ومجوز ، والذى نميل إليه أن يترك أمره لكل أسرة تعالجه بحسب ما ترى أن فيه مصلحتها وبحسب ما يتفق مع حالتها الصحية والاجتماعية .

كما أفتى بذلك فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

هداية القرآن الكريم

لا شيء يعيد للأمة الإسلامية مجدها الآفل وسيادتها التامة الماضية ، ويوصلها إلى ما وصلت إليه فى عصرها الأول ، عصر ازدهارها البهيج وعزها المنيع إلا رجوعها إلى القرآن العظيم ، والاهتداء بهديه ، والعمل بأوامره (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) فهو الشمس الوضاءة على مدى الدهور والعصور (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وهو البدر المنير فى حلك الأجيال المتعاقبة . لا يشقى من تمسك به ، ولا يضل من اتبع هداه (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)

أنزله الله سبحانه على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لينقذ به العالم من أنياب الضلالات والفتن إلى حياة العز الدائم والسعادة الخالدة . لم يترك وجهاً من أوجه الحياة الاجتماعية ، ولا ناحية من نواحى الاصلاح الشامل إلا تناولها على أتقن طريقة وأحكم نظام ، فهو الذى أصلح أطوار الخليقة فى ترقيها ، وبعث أنوار المدنية فى كافة نواحيها .

* * *

أنزله العليم الحكيم لإرشاد الناس به إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وليكون لهم قانوناً متبعاً فى حياتهم يسيرون بنوره ، ويسترشدون ببيانه ، فيصلح فاسدهم ويقيم معوجهم ويهدى ضالهم . ففيه نظام الحكومات وأساس الجماعات ، وملاك حياة الأسر والعيال ، ودعامة علم الأطباء ونبراس عمل التجار ، ومبدأ الاقتصاد ، وطرق الرعاية والسياسة ، وهو منشأ الأخلاق والآداب ومصدر الفضائل والمحامد ؛ يجد الحاكم فيه بغيته ، والعالم حكمته ، والطبيب غايته ، والتاجر ضالته ، والمؤرخ حوادثه ، والمعلم طريقته ، والزارع منهاجه ؛ فهو دستور معالم الحكم ، ونظام حياة الشعوب والأمم ؛ وفيه خبر الماضى وحكم الحاضر ونبأ المستقبل . روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتاب الله فيه خبر ماقبلكم

وحكم ما بينكم ؛ هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم » هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ؛ ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه »

ثم إن الغاية من نزوله هى أن يحظى الناس بفضل التحلى بهداه ، ويدركوا شرف الفلاح والسعادة بالعمل به والسير على مقتضاه ، فلم يكن نزوله لأجل التعبد بتلاوته فحسب بحيث يمر التالى بالآيات مر الريح ، ثم لا يستفيد من ذلك تقويماً فى العقيدة ، ولا أدباً فى النفس ؛ ولا استرشاداً إلى أمور واجبة قل عليه أن يتدبر . يقول تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ؛ أم على قلوب أقفالها ؟) فليت شعرى ؛ أى فائدة تعود على التالى وهو غير متدبر للآيات ولا متعظ بالعبر ؟ بل أى تأثير للقرآن فى نفسه وهى غافلة إلا عن التغنى بالألفاظ المجردة ؟

* * *

يقول ابن مسعود رضى الله عنه : « لا تهذوا بالقرآن هذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل (سيىء الرطب) وقفوا عند عجائبه ؛ وحركوا به القلوب ؛ ولا يكن هم أحدكم آخر السورة »[(١)] وقال أيضاً : « إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأصخ لها سمعك . فانه خير تؤمر به ، أو شر تصرف عنه » .

وقال بعض السلف: « ما جالس أحد القراء فقام سالما ، إما أن يربح وإما أن يخسر ، ثم تلا قوله تعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)

فالمؤمنون يشفى القرآن صدورهم من الأوهام والشكوك ، ويطهر قلوبهم من الأباطيل والمثالب ، والظالمون لا ينتفعون بآياته ولا يستفيدون من عظاته . فيبوؤن بالخيبة وسيكون حجة عليهم يوم القيامة . قال تعالى (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً . وما يضل به إلا الفاسقين)

للقرآن المجيد جاذبية عظيمة ووقع حسن فى الأسماع وتأثير سريع فى النفوس العاقلة ، فكم من مشرك فى العصر النبوى البهى قد شاب على الضلال الموروث عن آبائه حتى امتزج بلحمه ودمه ، ثم سمع من النبى صلى الله عليه وسلم بعض الآيات ، فأنارت قلبه بنور

(١) أى يتعجل فى قراءته ليختم السورة .

الهداية ؛ وعرف أنه في ظلمات من الكفر حالكة . فأفلع عنها ناطقاً بكلمة الشهادة ؟ وكم من كافر مكابد معاند شب على الدين الباطل يصونه بماله ويحميه بروحه ، فلما سمع القرآن فاضت عيناه من الدمع مما عرف من الحق وأسلم (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) ذلك لتدبر آياته الباهرة ، وفهم معانيه الجذابة التي تملك على الإنسان فؤاده وإحساسه .

* * *

ان الذين يتلون القرآن أو يسمونه ولا يؤثر في نفوسهم ولا تنجذب إليه أفئدتهم ، ولا يعملون بأوامره ، ولا يجتنبون مناهيه ، ولا يتأدبون بآدابه العالية : هم أشبه شيء بأصحاب التوراة الذين قال الله في حقهم (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) شبه الله أصحاب التوراة الذين يتلونها ويحفظونها ولا يعملون بما فيها بالحمار الذي يحمل كتباً ولا ينتفع بما فيها من علم وخلق ودين .

فلكي تبعد عن هذا المثل يجب أن تعمل بالقرآن وتحذر كل الحذر مخالفته في أمره أو نهيه كي لا تفوت الغاية الشريفة التي نزل من أجلها وبنيت عليها العقيدة الإسلامية المقدسة .

قال بعض السلف : نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً !

إننا إذا سرحنا النظر في المسلمين وتأملنا في شؤونهم تجاه القرآن الكريم نجدهم يتلونه وتمر بهم آيات الحث على التوحيد وإخلاص العبادة لله والطاعة لرسوله والاستمساك بعروة سنته الوثقى وعلى الصدق والوفاء والاخلاص والعدل والرحمة والمعونة ، فلا تحرك منهم ساكناً ولا تردهم عن خرافات وثنية غرقوا فيها لأذقانهم ؛ ولا عن أخلاق ذميمة طرحتهم في الحضيض ، ولا عن شهوات قتلت كل فضيلة فيهم ، كما تمر بهم آيات الزجر عن المعاصي وارتكاب ما ظهر منها وما بطن فلا ينزجرون بها ولا تحدث في نفوسهم أي تأثير. ومنشأ ذلك اهتمامهم بتجويد ألفاظه واتقان تلاوته ، دون أن يكون مع ذلك تدبر لمعانيه أو تفكر في مراميه .

أجل : إن القرآن بلا تدبر كجسد بلا روح ، وشجر بلا ثمر ؛ وإن قراءة آية واحدة بفهم جيد وعمل مطابق خير بكثير من قراءة القرآن كله بدون فهم ولا انتفاع ولا عمل ، فما أحوجنا اليوم إلى ذلك التدبر وذلك التفهم والله ولي التوفيق .

إعلان هام

من إدارة (الهدى النبوى)

نرجو أن يكون معلوماً لدى السادة مشتركى مجلة (الهدى النبوى) أنه أصبح قيمة الاشتراك السنوى فيها ٤٠ صـ أربعين قرشاً . وذلك فى جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة .

* * *

وأما فى الخارج فقيمة الاشتراك السنوى فيها هو ٥٠ صـ خمسون قرشاً

* * *

كذلك فإننا نرجو من السادة المتعهدين بتوزيع المجلة أن يتفضلوا فيرسلوا إلينا ما تبقى لديهم من ذممات المجلة لعام ١٣٨٥ لإمكان تسديد سجلاتنا . مع العلم بأن ثمن النسخة الواحدة من المجلة للمتعهدين جميعاً هو ثلاثون مليماً .

* * *

هذا ونرجو من السادة الذين لم يسددوا قيم اشتراكاتهم أن يتفضلوا بتسديدها ولهم شكرنا .

* * *

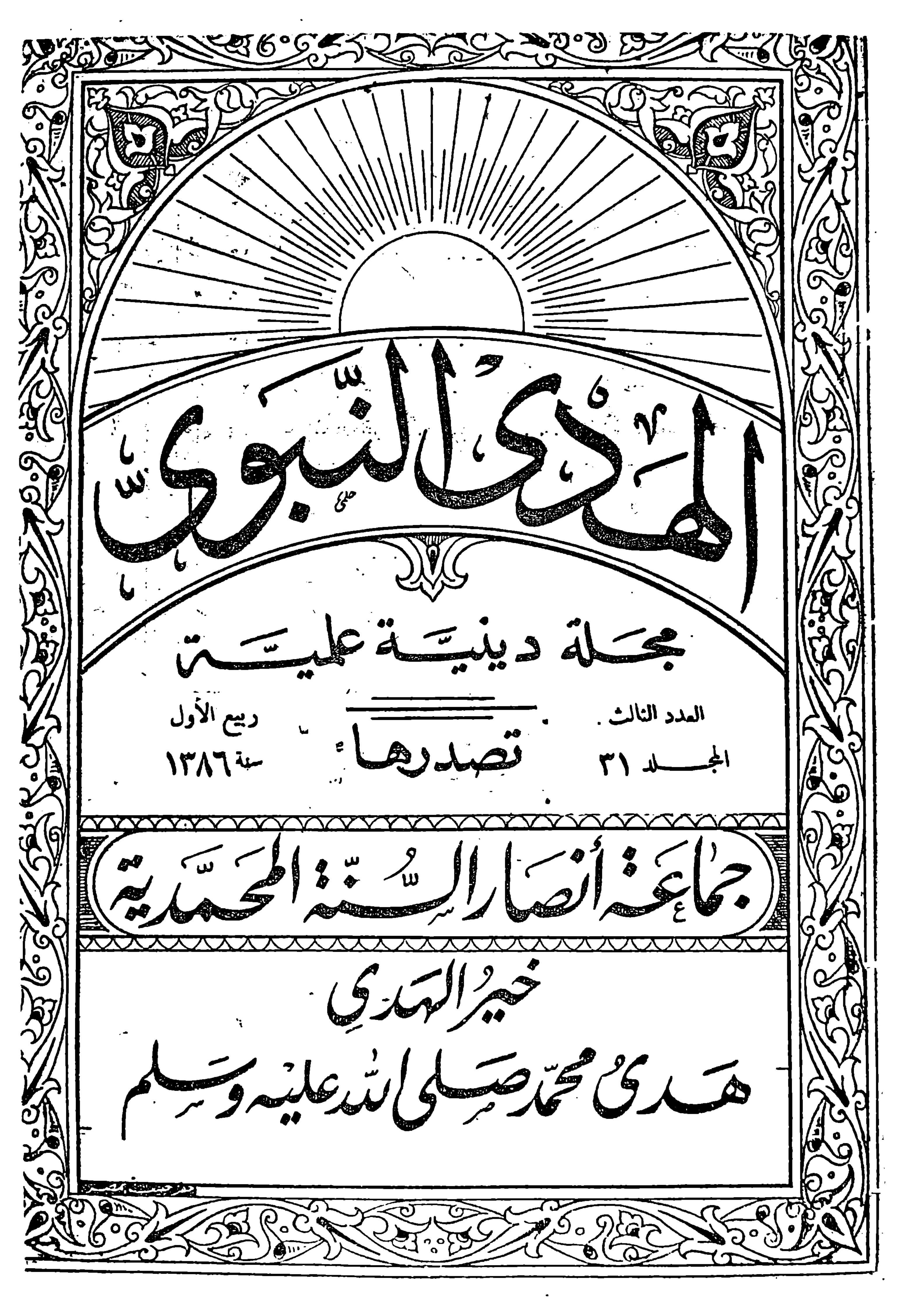
ترسل الاشتراكات وغيرها باسم : محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة بالمركز العام ٨ شارع قوله بعابدين — ج . ع . م

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثالث
المجلد ٣١
تصدرها
ربيع الأول
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صدرت :

المجموعة الأولى من كتاب

« نور من القرآن »

صفحات مشرقة مضيئة منتقاة من محاضرات وتفسيرات

أستاذنا الراحل الشيخ محمد حامد الفقى

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

رحمه الله

جمعها : محمد رشدى خليل

الثمن ١٥ خمسة عشر قرشا وأجرة البريد المسجل ٥ خمسة قروش

وترسل باسم محمد رشدى خليل

٨ شارع قوله — عابدين — القاهرة



خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان حسونه

الاشتراك السنوى
قرش
٤٠ – فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ٣ — ربيع الأول سنة ١٣٨٦ — المجلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جلَّ ذكره — : ﴿ ذلكَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحقِّ الذى فيه يَمْتَرُون . ما كان لِلهِ أنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلدٍ سُبْحَانَهُ . إذا قضى أَمْرًا فإنَّما يَقولُ له : كُنْ ، فَيَكُونُ . وإنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم ﴾ مريم : ٣٤ — ٣٦ .

« معـــانى المفردات »

« سبحانه » قال الراغب : « التسبيح تنزيه الله تعالى . وأصلُه : المَرُّ السريع فى عبادة الله تعالى ، وجعل ذلك فى فعل الخير . . وجعل التسبيح عاماً فى العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية . . . وسُبحان . أصله مَصْدَرٌ نحو غفران » ويقول ابن الأثير فى النهاية : « أصل التسبيح : التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص ، ثم استعمل فى مواضع تقرب منه . ومعنى سبحان الله : تنزيه الله ، وهو نصْبٌ على المصدر بفعل

مضمر . كأنه قال : أبرىء الله من السوء براءة . وقيل معناه : التسرع إليه والخفة فى طاعته . وقيل معناه : السرعة إلى هذه اللفظة » .

« يمترون » : قال الراغب : « المِرْية : التردد فى الأمر ، وهو أخص من الشك » والامتراء والمماراة : المحاجّة فيما فيه مرية » وعبر ابن الأثير عن هذا تعبيراً فصيحاً فقال : « التمارى والمماراة : المجادلة على مذهب الشك والريبة . ويقال للمناظرة : مماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمترى الحالب اللبن من الضرع » .

« ولد » قال ابن فارس فى معجمه عن أصل الكلمة : « هو دليل النَّجْل والنسل ثم يقاس عليه غيره . من ذلك الولد ، أوهو للواحد والجميع ، ويقال للواحد . وُلْدٌ أيضاً » وفى الراغب : « قال أبو الحسن : الولَد : الابن والابنة . والوُلْدُ : هم الأهل والوَلد » .

« قضى » قال ابن فارس عن أصل المادة : « يدل على إحكامِ أمرٍ وإتقانه ، وإنفاذه لجهته » وقال الراغب : « القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً ، كل واحد منهما على وجهين إلهى وبشرى » .

وقال ابن الأثير : « قضاء الشىء : إحكامُه ، وإمضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق » وقال الزهرى : القضاء فى اللغة على وجوهٍ مرجعها إلى انقطاع الشىء وتمامه ، وكل ما أحكم عمله ، أو أُتم ، أو خُتم ، أو أُدى ، أو أُوجِب أو أُعلِم ، أو أُنفِذ ، أو أُمْضِى ، فقد قُضِى » .

« أمرا » عن الراغب : « الأمرُ : الشأن . . وهو لفظ عام فى الأفعال والأقوال كلها . . . ويقال للإبداع : أمرٌ .

« صراط » يجوز فيه أيضاً : سراط وهو الطريق المستقيم المُسْتَسْهَل أصلُه من : سَرَطْت الطعام ، وزردته تصورا أنه يبتلعُه سالكه ، أو يبتلع سالكَه .

« المعـــــنى »

ذكر الله من قصة عبده عيسى ـ عليه السلام ـ ما أكد لنا به بشريته وعبوديته . فهو كان فى بطن أمه ، ثم هو كان يأكل ، ويشرب ، ويمشى فى الأسواق ، ويكلم الناس ويقوم بما فرضه الله من شعائر ، ويقيم فى خشوع وحب ورجاء وخوف حق ربه عليه من تبليغ للكتاب ، وعمل بما فيه ، وإقامة للصلاة وإيتاء للزكاة طيلة حياته . والرَّبُّ يأمُر ولا يُؤمر ، ويُعْبَد ؛ ولا يَعبُد ، ويَسْجُد له كلُّ شيء . ولا يسجد هو ـ جل شأنه ـ لشىء لأنه رب كل شىء وخالقه ورازقه ومليكه .

كما ذكر معه مِنْ قصة أمه الصِّدِّيقة الطهور التى صبرت على بلاء ربها صبراً كريماً لم يطِش لها فيه حِلْم ، ولم ينزُ بها تمرد ، ولم يمل بها عن الجادّة خوف من أحد ، لأنها كانت بالله تؤمن الإيمان الذى يملأ حياتها نوراً وثقة وشجاعة وسكينة .

وقد كان ما قصه الله سبحانه هو الحق الذى لا مرية فيه . بل إن ما قصه الله سبحانه يُحْضِر فى ذهن كل مسلم ، وفى قلبه ، وفى تصوراته التى تُنْتزع من حقائق ثابتة صورة عيسى عليه السلام .

صورة الأم يفاجئها المَلَكُ الكريم بالبشارة ، ثم صورتها ، وقد أجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، ثم صورتها ، وقد وضعت الطفل ، ثم وقد أتت به قومها تحمله ، ثم يكلم الناس فى مهده .

هذه الصور المتتابعة المتلاحقة للأم ولطفلها بالبيان الإلهى المعجز بفصاحته وبلاغته كلَّ بليغ وفصيح عن الاستشراف إلى أفقه الأعلى . هذه كلها لأمٍّ وطفل ، وإنك لتحس بشىء لا تستطيع أن تخلى خاطرك منه . تحس بالأم إذا ذكرتَ الابن وتحس بالابن إذا ذكرتَ الأم ، فهما متضايفان متلازمان فى الذكر وفى الذهن وفى الشعور لا ينفصل أحدهما عن الآخر . ولعل فى هذا الأمر النفسى البرهان القوى على أن عيسى لا يمكن أن يكون رباً ، لأن الذهن لا يتصور إلا أن الله واحد ،

لا شريك له ، لا يتصور أبداً مع الله أمًّا حملته ، ثم وضعته ، ثم أتت به قومها تحمله ، ثم وهى يقال لها . كلى واشربى وقرى عينا . فإن الرب لا يمكن أن يكون كذلك فى تصور عقل رشيد . لا يتصور العقل أن الرب يكون ابناً عاش بعيداً عن عرشه ووجوده القيُّوم فى بطن امرأةٍ تسعة أشهر ! ! وتحتاج أم الرب إلى طعام وشراب وقرة عين ! ! .

هذا الشعور الذى لا يمكن دفعه حتى عن قلب النصرانى شهيدٌ بكذب من يزعم أن عيسى هو الله ، أو ابن الله .

هذا الشعور بالاثْنَيْنيَّة المركبة من ذكر وأنثى ، أو ولد وأمه هما عيسى ومريم ، هذا الشعور قاهر لكل شعور آخر فى نفس الإنسان يثيره تذكُّر عيسى ومريم . فحين يخطر ببالك همسةُ خاطرةٍ حول عيسى ، تخطر نفس الهمسة فى بالك عن مريم . فأين هو الواحد ، والله هو الأحد ؟ ! أين الوحدانية ، ونحن لا نذكر عيسى إلا ومعه أمه ، ولا نذكر مريم إلا ومعها ابنها ؟ ! ثم تدبر ما قصه الله عنهما فى السورة ، وستشعر كأنما ترى عيسى كما كان . ولهذا قالت الآية :

(ذلك عيسى بن مريم) أى ذلك الذى بَيَّنْت لكم صفاتِه ، وأعلمتكم بأنبائه هو عيسى بن مريم . فالإشارة إلى ماقاله الله . . وجَعْل عيسى خبراً عن قول الله ذلك يُراد به توكيد أن ما قيل هو عين الحق وأن التطابق تام بين الاسم والمسمى ، أو الصفة والموصوف أو الخبر والمخبَر عنه ، كأنما يراد القول بأن الكلام السابق هو عين ذات عيسى وصفاته ، تأمل قوله سبحانه مرة أخرى تجد صدق ما أقول : لقد ذكرت الآياتُ السابقةُ قصة عيسى ، وذكرت صفاته وأسماءه فى بيان يَفقَهُ كلُّ امرىء معناه ، وفى إحكام لا يأذن أبدا لوجود أدنى تشابك يكون بين صفات موصوفين . حتى ليشعر القارىء غير المتعصب لهوًى أو ضلالة أنه يرى أمامه إنساناً ، فتأتى الآية فتقول : « ذلك عيسى بن مريم » أى ذلك الذى تراه ، وصوَّرته لك الآيات هو عيسى

نفسه ، وهذا يبين لك ويؤكد أن كلام الله عن عيسى لا يزيد أو ينقص شيئاً ، ألم تره كيف جعل عيسى نفس القول الذى قيل ؟ .

فمن يفتر قولًا آخر ، فقد بهت الله بالكذب وحسبه إثماً وخسراناً مبيناً .

« قولَ(١) الحق الذى فيه يمترون » وقد امترى فيه المبطِلون امتراءاً سوّل لهم فيه الشيطان أن يجعلوا من عيسى نِدًّا لله ، أو هو الله ، أو هو ابن الله ، والله يقول : (لن يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أن يكون عبدًا لله ولا الملائكةَ الْمُقَرَّبُونَ) وسيأتى — إن شاء الله — بيان واف عن اختلاف الصليبيين حول عيسى العبد الذى جعلوا منه إلهـًا ، ومن يحاول التقريب بين ما يعتقده النصارى فى عيسى ، وبين ما فى القرآن ، إنما يحاول التقريب بين الباطل اللَّجْلَجَ ، والحق الأبلج ، أو بين العدم والوجود .

ولقد نشر الصليبيون فى مصر كتيباً صغيراً جاءوا فيه بآيات قرآنية تحت عنوانات خاصة وصفوها هم ، وهدفهم من وراء هذا بيان أن القرآن يؤيد المسيحية التى ابتدعها اليهودى « بولس » يؤيد ما فى هذه الأناجيل التى بأيدى الْمُثَلِّثة . يؤيد دعوى ربوبية عيسى وألوهيته ونبوته لله ، حتى ليجرُؤ هذا الناعق الذى نشر هذا الكتيب أن سورة « قل هو الله أحد » تؤيد الثالوث الذى به يدين النصارى ، وأن فى القرآن آيات تثبت أن عيسى سينزل وتدين الأحياء والأموات به ، ولهذا قص الله قصة عيسى ، وذكر بعدها : « ذلك عيسى بن مريمَ قول الحق الذى فيه يمترون » حتى يكون المسلم على بينة من أمر عيسى ، وعلى حذر بالغ من أن يزيد على ما قال الله أو ينقص شيئاً .

« ما كان لله أن يتخذ من(٢) ولدٍ سبحانه » هذا النفى حقيقة يسكن إليها العقل

---

(١) أكثر القراء على رفع كلمة « قول » وقد اختاره ابن جرير ، ثم قال عمن جعلها منصوبة : وكأنهم أرادوا بذلك المصدر : ذلك عيسى بن مريم قولا حقاً ، ثم أدخلت فيه الألف واللام .

(٢) من هنا زائدة ، وفائدتها توكيد المعنى ، أو ليشمل النفى كل نوع من أنواع الولد .

والقلب ، فإنما كان الولد لبقاء النوع والجنس ، والله تعالى قيُّوم السموات والأرض ، وهو الأول والآخر ، والذى يبقى ، ويهلك كل من على الأرض .

« ما كان » ولن يكون . وقد نفى اتخاذ الولد من قبل ، وهو يشمل أيضاً نفى اتخاذ الولد فى المستقبل . لقد كان هناك إبداع للكون ، وقضاء وتقدير لما يقيمه ، ويحقق إرادة الحى القيوم ومشيئته ، وهو فى هذا حين كان يبدأ الخلق لم يكن بحاجة ما إلى ولدٍ ما ليخلفه فيما يملك .

فالأب إنما يثيره عدم وجود الولد ، لأنه يخشى على ما يملك من أن يرثه وارث آخر ، والله سبحانه هو الذى يرث الأرض ومن عليها ، وهو المالك ليوم الدين .

ثم هو الخالق لكل شىء بكلمة « كن » ، فكيف يخشى عدوان غيره على ما يملك ؟! .

ثم كيف — وهو العلى الكبير — يرضى أن يحصره رحم امرأة ليتحول ابناً فيه بعد أن كان أباً ؟ .

ثم من كان القيوم على الوجود ، وهو فى رحم امرأة خلقها هو من قبل ؟ .

إن الصليبية حماقة من الوثنية ، لأنها بتصورها أن الله سبحانه ينزل عن ملكوته وجبروته وقَيُّومِيَّتِه ، وكونه الواحد ، ليعيش تسعة أشهر فى ضيق رحم امرأة . إنها بهذا التصور تبهت الله بشناعات فاحشة ، وتحكم على نفسها بما لا تحب . . فهى لا تستطيع أن تزعم أن الرب الجنين الذى كان فى رحم مريم يُدَبِّرُ ملكوت السموات والأرض ، فَمَنْ إذن ؟؟ أليس هذا نفياً لوجود الله مدة تسعة أشهر وأكثر ؟ .

بل فيه بَهْتٌ لله بأن رحم امرأة كان هو الذى يدبر أمر حياته ؟ .

على أن هذا التصوير للوجود الإلهى معروف الضلالة من قبل ، وقد استمد منه « بولس » اليهودى هذه المسيحية التى نعرفها !! .

ولا نعرف أمة من الأمم — سوى الأمة الضالة — تحتاج إلى مجمع ليضع لها عقيدتها فى الله وقد جاءها نبى كريم ! ! .

والصليبيون لا يزعمون أنه نبى ، وإنما هو الله ، فكيف احتاجوا إلى « مجمع نيقية » ليبين لهم العقيدة التى يجب عليهم اعتناقها فى شأن يسوعهم ؟ ؟ .

ولو أنهم رجعوا إلى الحق الذى نزل الله ، وكان بأيدى بعضهم ، ما كان لهم من حاجة إلى شأن هذا المجمع الذى عَمَّق الضلالة وجعلها رسمية ! ! .

وسيأتى — إن شاء الله — بسط لهذا .

وقد نَزَّه الله نفسه عن الولد بقوله « سبحانه » .

« إذا قضى أمراً ، فإنما يقول له كن فيكون » وقضاء الله عن مشيئة حكيمة هادية تقهر هى كل مشيئة ، ولا تنال منها أية مشيئة ، فإذا شاء أمراً ، وقضاه ، فإنما يقول له كن ، فيكون . وهذا هو الدليل الأعظم على أنه لا يحتاج إلى ولد . لا يعوزه شىء ، ولا يحتاج إلى بذل جهد فى الإبداع ، فكلٌّ بكلمته هو وحده .

فما قيمة الولد ؟ وكُلُّ من فى السموات والأرض عبيدٌ له . ولو أن لله ولداً ماعشنا طرفة عين فى سكينة نفس ، فمن جِبِلَّة الوالديَّة أنها تورث ولدها كل ما تملك ، ولا تعطى سواه إلاّ ما كان من صدقة أو فضلٍ غير كبير .

فهل يجوز هذا على الله سبحانه ؟ أيجوز أن نبهته بأنه أعطى بشراً من خلقه كل شى ، وحرمنا نحن من كل شىء ؟ .

ثم أسائل : ألم يكن الله قادراً على أن يجعل نفسه ابناً بغير هذه الطريقة التى حبسته تسعة أشهر فى جوف امرأة ؟ ؟ سبحانه وتعالى عما يزعم الباغون عُلُوًّا كبيرا .

« وإن الله[1] ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » وبكسر همزة « إن »

(١) عامة قراء المدينة والبصرة على فتح همزة إن ، ووجه بعضهم فتح الهمزة بجعل تقدير القول هكذا « ذلك عيسى بن مريم ، وذلك أن الله ربى وربكم » أو بتقدير « وقضى أن الله ربى وربكم » .

=

يكون القول لعيسى ، والله يقصه ، لقد أخبرهم بأنه عبد الله ، ثم بأن الله ربه وربهم .

ولقد بدأ بنفسه فقال « ربى » . وذكرها هكذا يؤدى أيضاً إلى أنه ربهم ، فإذا ذكرت كلمة « ربكم » بعدها كان ذكرها توكيداً لما اتجه إليه الذهن واستقر فيه من ذكر كلمة « ربى » فهو النبى الرسول ، والإتيان بجملة « فاعبدوه » يبين أن الله إنما استحق العبادة لكونه هو الرب ، رب كل شىء كان ، أو هو كائن أو يكون. ويبين أن من وَجَّه إلى غير الله نوعاً من أنواع العبادة ، فقد جعل له من هذا الغير رَبًّا له ! ! كأولئك الذين يدعون الموتى ، ويطلبون منهم الغوث والْمَدَد ، أولئك الذين يلوذون بأضرحة الموتى ، ويتلمسون من مقصوراتها المصنوعة بأيدى الكفرة إيماناً وهداية وحياة ! ! .

تدبر مجىء جملة « فاعبدوه » بعد قوله : « وإن الله ربى وربكم » . فبهذا التدبر نؤمن بأن لله وحده الربوبية ، وأنه بهذه الربوبية تجب له وحده العبادة ، وأن من يرفع إلى غير الله نوعاً ما من عبادة ما ، فقد تردَّى فى الشرك الأعظم .

ولهذا قال مشيراً إلى نصحه هذا بقوله :

« هذا صراط مستقيم » أى عبادة الله وحده سبحانه .

اللهم وجه قلوبنا إلى الإيمان الحق بك ، والتوكل الصادق عليك ، والرجاء المؤمن فيك ، والخوف الحق منك ، اللهم اجعل عبادتنا لك عبادة خالصة يشهد لها ما نقول وما نعتقد ، وما نتخلَّق به ، وما نسلُكه من سلوك ، يشهد لها ما نخفى وما نعلن ، وما نبطن وما نظهر إنك أنت السميع العليم .

عبد الرحمن الوكيل

= وعامة قراء الكوفة على كسر همزة إن بتقدير عطف الكلام على قوله سبحانه « فإنما يقول له كن فيكون » واختار ابن جرير كسر همزة إن ولكن على الابتداء لا على العطف على قول سابق ، وجوز أن يكون القول معطوفاً على « إنى عبد الله » .

تنبيـــه هام

أرجو مرة أخرى من الذين يتفضلون بالكتابة إلينا أن يذكروا المصدر الذى استمدوا منه الأحاديث النبوية حتى يمكن مراجعتها دون مشقة .

وقد سئلت عن مقالات بعث بها إلينا فضيلة الأخ الشيخ أحمد على حسن رئيس فرع الجماعة فى سوهاج . وأقول : لقد نشرت فى أعداد سبقت منذ أكثر من عام . فلتراجع الأعداد .

عبد الرحمن الوكيل

٤٤ - نظرات في التصوف

المملكة الباطنية

فى العدد السابق تكلمت عن دين الصوفية فى المملكة الباطنية ، وقلت إن على رأس هذه المملكة القطب ، وبينا بعضاً من دين الصوفية فيه . وأتابع القول عن القطب ثم عن بقية أساطير المملكة الباطنية :

تصرف القطب : يقول أبو الحسن الشاذلى : « له التصرف العام والحكم الشامل التام فى جميع المملكة الإلهية وله بحسب ذلك الأمر والنهى والتعزير والتوبيخ والحمد والذم على حسب ما يقتضيه مراد الخليفة سواء كان نبياً أو ولياً مستوون فى هذه المرتبة والرسول ليس له عموم الأمر والنهى إلا ما سمعه من مرسله لا يزيد وراء ذلك شيئاً . فالخليفة الولى أوسع دائرة فى الأمر والنهى والحكم من الرسول الذى ليس بخليفة . وله تحريك الجمادات وكل حى والإمارة على كل شىء . والتعظيم على كل شىء ؟ . ولا يصل إلى الخلق شىء كائناً ما كان من الله إلا بحكم القطب (١) .

مدده : ومن القطب يتفرع جميع الأمداد الإلهية على جميع العالم العلوى والسفلى .

من خصائصه : ومن خصائصه أنه يختلى وحده بالله تعالى .

علامة القطبية : سئل الشعرانى : ما علامة القطب ، فإن جماعة فى عصرنا قد ادعوا القطبية ؟ فأجاب عن هذا السؤال بقوله : « ذكر أبو الحسن الشاذلى أن للقطب خمس عشرة علامة : أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ، ومدد حملة العرش

---

(١) النصوص السابقة ص ٤٠ ، ٥٠ بغية المستفيد ص ٧٩ وما بعدها جـ ٢ جواهر المعانى ، ص ٧٩ وما بعدها جـ ٢ اليواقيت .

العظيم ، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ، ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين للوجودين وانفصال الأول عن الأول ، وما انفصل عنه إلى منتهاه ، وما ثبت فيه ، وحكم ما قبل وما بعد ، وحكم من لا قبل له ولا بعد ، وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم وما بدا من السر الأول إلى منتهاه ، ثم يعود إليه » وينقل عن ابن عربى بعض علامته أيضاً : وهى التحقق بمعانى جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة هو مرآة الحق تعالى ، ومجلى النعوت المقدسة،ومحل المظاهر الإلهية ، وصاحب الوقت ، وعين الزمان ، وصاحب علم سر القدر ، وله علم دهر الدهور كثير النكاح راغب فيه محب للنساء .

عوالم القطب : له – كما ذكر الجيلانى – ستة عشر عالماً إحاطيا . الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم[1] .

تعقيب : يقول الإمام الجليل ابن تيمية عن مذاهب الصوفية : (اعلم هداك الله وأرشدك – أن تصور مذهب هؤلاء كاف فى بيان فساده ، ولا يحتاج مع حسن تصوره إلى دليل آخر) . ثم يقول : « وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين . إما جاهل بحقيقة أمرهم ، وإما ظالم يريد علواً فى الأرض وفساداً أو جامع بين الوصفين . وهذه حال أتباع فرعون وحال القرامطة مع رؤسائهم وحال الكفار والمنافقين فى أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون[2] » .

وحق ما يقوله الإمام الكبير ، فالأمر لا يحتاج إلى دليل تثبت به فساد وضلال مختلقى أسطورة القطب ، لأن مجرد قراءة ما كتبوه عنه يكفى فى بيان أنها أسطورة الزندقة !! .

---

(١) ص ١٤٠ بغية المستفيد .

(٢) ص ٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

أسماء القطب : واسم القطب فى كل زمان عبد الله وعبد الجامع [١] . أما الأقطاب الذين تولوا القطبانية من آدم إلى محمد ، فقد لقيهم ابن عربى فى مدينة قرطبة ، وهم خمسة وعشرون . وهذه هى أسماؤهم « المفرق . مداوى الكلوم . البكاء ، المرتفع ، الشفاء ، للاحق ، العاقب ، المنحور ، شجر الماء ، عنصر الحياة ، الشريد ، المراجع الصائغ ، الطيار ، السالم ، الخليفة ، المقسوم الحى . الرامى ، الواسع ، البحر ، الملصق الهادى ، المصلح ، الباقى [٢] » .

مبايعة القطب : يقول الشعرانى : « فإن قلت : فهل يحتاج القطب فى توليته إلى مبايعة فى دولة الباطن كما هى الخلافة فى الظاهر ؟ فالجواب : نعم ، كما قاله الشيخ : فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة [٣] وعبارته « اعلم أن الحق تعالى لا يولى قط عبداً مرتبة القطابة إلا وينصب له سريراً فى حضرة المثال يقعده عليه . . فإذا نصب له ذلك السرير ، فلا بد أن يخلع عليه جميع الأسماء الذى يطلبها العالم وتطلبه . . فإذا قعد عليه قعد بصورة الخلافه [٤] وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعه ، واعلم

---

(١) ص ٨٢ جـ ٢ اليواقيت .

(٢) ص ١٠ الكبريت الأحمر للشعرانى المطبوع على هامش اليواقيت جـ ١ وانظر ص ٨٣ جـ ٢ من اليواقيت. وهل كان من أمة محمد أقطاب ؟ كل فرقة نسبت إلى شيخها أنه كان كذلك . وكل شيخ نسب إلى نفسه هذا كابن عربى وابن الفارض والتيجانى والجيلانى ويوسف العجمى وأبى السعود وغيرهم . أما الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فقد أبى هؤلاء أن يلحقوه بمقام هؤلاء ، فقالوا عنه إنه وتد فحسب . وأما أحمد بن حنبل رضى الله عنه فصديق فقط ! ! يفترى هذا ابن عويس زاعما أن الذى علمه ذلك هو الخضر حينما اجتمع به ص ٨١ جـ ٢ يواقيت .

(٣) يعنى من الفتوحات المكية .

(٤) نص تعبير ابن عربى فى الفتوحات « فإذا قعد عليه بالصورة الإلهيــة » . وقد قال ابن عربى من قبل فى نفس الموضوع « واعلم ـ أيدك الله » أن المبايعة العامة لا تكون إلا لواحد الزمان خاصة وأن واحد الزمان هو الذى بالصورة الإلهية فى الأكوان . هذا علامته فى نفسه ، ليعلم أنه هو ، ثم له الخيار فى إمضاء ذلك الحكم أو عدم إمضائه » أنظر صـ ١٨٠ وما بعدها جـ ٣ المجلد الأول من الفتوحات المكية.

أن أول من يدخل عليه الملأ الأعلى على مراتبهم الأول فالأول ، فيأخذون بيده على السمع والطاعه ... وأول من يبايعه العقل الأول . ثم النفس ، ثم المقدمون من عمار السموات والأرض من الملائكة المسخرة ، ثم الأرواح المدبرة للهيا كل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ، ثم سائر ماسبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه[1] » .

مكان القطب : يقول الشعرانى : « فإن قيل : هل يكون محل إقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور ؟ فالجواب : هو بجسمه حيث يشاء الله لا يتقيد بالمكث فى مكان بخصوصه ، ومن شانه الخفاء ، فتارة يكون حداداً ، وتارة تاجراً ، وتارة يبيع الفول ، ونحو ذلك[2] » وغير الشعرانى يزعم أن مكان القطب الأصلى هو مكة .

ذوات القطب . يذكر الخواص أن للقطب ستا وستين وثلثمائة ذات . واحدة منهن بمكة لا تبرح منها مادام حياً . أما الذوات الترابية فحيث أراد الله تعالى من

(١) ص ٨ وما بعدها جـ ٢ اليواقيت . وقد راجعت مانقله الشعرانى عن الفتوحات .فوجدته ينقص من الكلمات أو يزيد ، حتى لا يظهر عوار شيخه ابن عربى فابن عربى يقول مثلا . « أعلم أن الله سبحانه إذا ولى من ولاه النظر فى العالم المعبر عنه بالقطب وواحد الزمان والغوث والخليفة نصب له سريراً فى حضرة المثال » فراجع أول ما نقلت عن الشعرانى بهذا وراجع النص كله فى الفتوحات يتجلى لك مدى التزييف فى نقول الشعرانى عن شيوخه ليصوب لهم دينهم بهذا التزييف . ونقل صاحب بغية المستفيد عن ابن عربى ما يأتى « جرت السنة الإلهية فى القطب إذا ولى المقام أن يقوم فى مجلس من مجالس القربة والتمكين . وينصب له فيه تخت عظيم لو نظر الخلق إلى بهائه لطاشت عقولهم . فيقعد عليه ويقف بين يديه الإمامان . ويمد يده للمبايعة . وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحانى بمبايعته .. ومن جملة المبايعين له النباتات » ص ١٤٠ بغية المستفيد .

(٢) ص ٨٣ جـ ٢ اليواقيت .

البلاد[1]. أى ذوات بعدد أيام السنة الشمسية فى بعض الأحوال ؟ !

مقاماته ودرجاته :له مائة ألف مقام واثنتان وأربعون ألف درجة [2]

هل يعرف الأولياء القطب ؟ قالوا : أكثر الأولياء لا يعرفون [3] .

هل يموت القطب ؟! أما القطب القديم .. وهو الحقيقة المحمدية ، فأزلى أبدى ، أو هو الأول والآخر ، لأنه هو الله سبحانه !! أما القطب الحادث فيموت ، يعنون : يهلك جسمه . وتنتقل الحقيقة المحمدية التى كانت متعينة فيه إلى بدل آخر ، فيصبح هو القطب ولهذا قالوا . القطبية لا تورث [4]

مدة القطبية : قال الشعرانى : « ليس للقطبية مدة معينة ، فقد يمكث القطب فى قطبيته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة ، فإنها مقام ثقيل تحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها [5] » .

أقطاب الأمة المحمدية : يذكر ابن عربى أن أقطاب هذه الأمه اثنا عشر[6] ، اختص كل واحد منهم بنبى وهؤلاء الأنبياء الذين اختص بهم الأقطاب هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وأيوب وإلياس ولوط وهود وصالح وشعيب . ومدار هذه الأمة على هؤلاء الأقطاب . ولكل قطب سورة من القرآن فللأول سورة يس ، ومنازله على عدد آيات هذه السورة ، وللثانى سورة الإخلاص ، وللثالث سورة إذا جاء نصر الله ، وللرابع سورة الكافرون ، وللخامس سورة إذا زلزلت ، وللسادس

---

(١) ص ١٣٩ بغية المستفيد

(٢) ص ٥١ المصدر السابق

(٣) ص ٨٢ جـ ٢ اليواقيت

(٤) ص ٨٣ المصدر السابق

(٥) ص ٨٣ المصدر السابق .

(٦) أى فرق بين قوله الرافضة فى زعمهم أن الاثنى عشر إماما الذين يدينون بهم لهم بالعصمة المطلقة .

سورة البقرة . وللسابع سورة المجادلة أو الواقعه وله التأثير فى العالم ظاهراً وباطناً وللثامن سورة آل عمران ، وللتاسع : سورة الكهف وهو الذى يقتله الدجال ، ويدرك عيسى ، وللعاشر سورة الأنعام . وللحادى عشر سورة طه ، وهذا القطب هو نائب الحق تعالى . وللثانى عشر سورة الملك[1] .

هذه خلاصة ما ذكروه عن القطب ، ولا يعنينا هنا إثبات أن هذه الأساطير تشبه رأى الصليبية فى الكلمة ، والأفلوطينية فى « اللوغرس » ، فلهذا كتاب آخر إن شاء الله إنما يهمنا إثبات أن ما يقوله هؤلاء يناقض روح الإسلام ، ويشاقها بالعداوة والبغضاء ، ويدفع الصوفية ـ وعلى رأسهم ابن عربى ـ بأنهم أشد الناس عداوة للإسلام .

الإمامان : وبعد القطب الإمامان . وهما بمنزلة الوزيرين له واسم الأيسر منهما عبد الملك واسم الأيمن عبد ربه[2] . ومهمة القطب حفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد ، ومهمة الإمامين حفظ عالمى الغيب والشهادة ، وهو ما أدركه الحس[3] . ونظر الذى على يمين القطب يكون إلى الملكوت ، وهو مرآة ما يتوجه من الركن القطبى إلى العالم الروحانى من الإمدادات التى هى مادة الوجود والبقاء. ونظر الذى على يسار القطب يكون إلى عالم الملك ، وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية ، وهو أعلى من الأول ، فيخلف القطب إذا مات[4] ، ومن مهمتهما أيضاً تحمل البلاء الثابت الذى يرى القطب فى الألواح ـ وعددها ستون وثلثمائة ـ أنه لابد من نفاذه[5] .

---

(١) ص ٩٦ وما بعدها ج ٤ المجلد الأول الفتوحات .
(٢) ص ١٣٩ بغية المستفيد .
(٣) ص ٨٣ ج ٢ اليواقيت .
(٤) ص ١٤٠ بغية المستفيد .
(٥) ص ١٤٠ وما بعدها بغية المستفيد .

الأوتاد : وهم أربعة من أعوان القطب واحد باليمن ، وواحد بالشام ، وواحد بالمغرب ، وواحد بالمشرق . ويدور القطب فى أربعة الآفاق من أركان الدنيا دوران الفلك فى أفق السماء . ومهمتهم حفظ الشمال والجنوب والمشرق والمغرب ، وبالأول يحفظ الله الإيمان وبالثانى يحفظ الله الولاية ، وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة (١) .

الأبدال : وبعد الأوتاد الأبدال ، وهم سبعة أبدال (٢) ، وهم طائفة من أهل الكشف والمشاهدة والحضور ، رحم الله بوجودهم العباد والبلاد ، ويدفع عن الناس بهم البلاء والفساد (٣) ، وكل بدل يمثل صفة من صفات الله السبع ، وهى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وكل بدل يتنزل منه مدد يوم من أمداد أيام الأسبوع . ومن شأنهم العلم بما أودع الله فى الكواكب السيارة من الأمور والأسرار وقد جعل الله الأرض — هكذا يقولون — سبعة أقاليم . وجعل الله لكل إقليم بدلا يمسك الله به وجود ذلك الإقليم . والبدل الأول على قلب الخليل إبراهيم ويتنزل الأمر إليه من السماء السابعة والثانى على قلب موسى . والثالث على قلب هرون ويحيى والرابع على قلب إدريس ، والخامس على قلب يوسف والسادس على قلب عيسى والسابع على قلب آدم ، ولكل منهم سماؤه التى يتنزل الأمر منها إليه . ويزعم بن عربى فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات أنه اجتمع بهؤلاء الأبدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة وتحدث معهم (٤) وقد سموا أبدالا ؛ لأن كل واحد منهم إذا فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته لا يشك الرائى أن ذلك بدل (٥) .

والنجباء : وهم المشتغلون بحمل أثقال الخلق ، وهم بمصر وعددهم سبعون وقيل ثلثمائة (٦)

---

(١) صـ ٨٣ جـ ٢ اليواقيت (٢) يقول الكاشانى فى كشف الوجوه الغر إن عددهم أربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق . وكذلك قال أبو بكر الكتانى

(٣) صـ ١٠٤ جـ ٢ كشف الوجوه الغر (٤) صـ ٨٤ جـ ٢ اليواقيت . وانظر صـ ١١ . الكبريت الأحمر للشعرانى جـ ١ (٥) صـ ٨٤ جـ ٢ اليواقيت

(٦) صـ ٢٣٥ مشتهى الخارف الجانى لمحمد الخضر بن عبدالله بن مايأبى الشنقيطى صـ ٤٩ بغية المستفيد ، صـ ٢٢٩ نور الابصار .

مثل المؤمن والـكافر

عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج . ومثل الـكافر كمثل الأرزة المجذية على أصلها لا يفيئها شىء حتى يكون انجعافها » . رواه مسلم .

« شرح المفردات »

الخامة من الزرع : الحزمة الرطبة منه ، والجمع خام وخامات ، والخام من الثياب الذى لم يقصر أى لم يبيض .

تفيئها الريح : يقال فاء الرجل يفيء فيئاً ، بمعنى رجع ، وفى التنزيل (حتى تفيء إلى أمر الله) أى حتى ترجع إلى الحق — ويقال فاء الظل يفيء فيئاً ، رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق ، وجمع فيء : فيوء وأفياء ، مثل بيوت وأبيات ، ومعنى تفيئها الريح تميلها ، فهو من أفاءه بمعنى أماله .

تصرعها مرة : هذه الجملة جاءت مبينة لما قبلها ، ولهذا فصلت عنها ولم تعطف عليها ، ومعنى تصرعها : تغلبها وتهوى بها حتى تـكاد لشدة إناخة الريح لها أن تمس الأرض .

وتعدلها أخرى : أى تقيمها وتنهضها ، يقال عدل العود يعدله أى نصبه وأقامه ، ومنه قوله تعالى : (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الـكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك) أى نصب قامتك .

حتى تهيج : يقال هاج الزرع يهيج هيجاناً إذا اصفر ويبس وبلغ إبان حصاده كما قال تعالى (ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاما) .

ومثل الكافر كمثل الأرزة : هى واحدة الأرز ، وهو شجر الصنوبر ، وقيل شجر آخر يشبهه ، وهو معروف بقوته وشدة رسوخه فى الأرض ويكثر وجوده فى لبنان — ويقال أرز يأرز مثلث الراء فى المضارع أروزاً كجلوس بمعنى انقبض ، وتجمع ويقال أرزت الحية : لاذت بجحرها وثبتت فيه .

وجاء الحديث « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ويقال كذلك أرزت الليلة إذا اشتد بردها ، والآرزة من الإبل الشديدة القوية ، والأريز الصقيع واليوم البارد .

وأريزة القوم عميدهم ، والمأرز كمجلس الملجأ ، والحاصل أن مادة أرز تدل على معنى القوة والشدة .

المجذية على أصلها : أى الثابتة المتمكنة فى أرضها فلا تنال منها العواصف ، ولا تؤثر فيها الأعاصير .

حتى يكون انجعافها : يقال جعفه جعفاً فانجعف ، بمعنى صرعه وضرب به الأرض فانصرع ، ومنه الحديث « أنه مر بمصعب بن عمير وهو منجعف » أى مقتول وكان حامل لواء المسلمين يوم أحد .

ويقال جعف الشيء جعفاً قلبه ، وجعف الشجرة يجعفها جعفاً فانجعفت بمعنى قلعها .

والمراد تشبيه الكافر فى بقائه على حاله من النعمة والصحة وكثرة المال والولد غير مرزوء فى نفسه وأهله وماله وولده حتى يموت فيلقى الله بذنوبه وافرة كشجرة الأرز فى ثباتها على حالها حتى يأتيها من يقلعها .

« المعنى الإجمالى للحديث »

يرسم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الكريم لكل من المؤمن والكافر صورة صادقة تنطبق على حاله وتفسر موقف كل منهما حيال المصائب والأحداث التى تنوبه فى هذه الحياة ومدى استجابته لها وتأثره وانتفاعه بها .

فهو يشبه المؤمن إذ لا يزال البلاء يلم به الفينة بعد الفينة ، تارة فى نفسه بالمرض والآلام ، أو بتسلط بعض السفلة واللئام من الناس يؤذونه ويكيدون له بأنواع الكيد ويشيعون عنه قالة السوء ، وتارة فى ماله بالآفات والجوائح التى تذهب بكله أو بعضه ، وتارة فى أهله وولده بالموت ، أو بأن يراهم على حالة تسوءه وتحزنه إلى غير ذلك من أنواع المصائب التى يفتن بها المؤمن كما يفتن الذهب على النار ، إلى أن يستوفى أجله الذى كتب له فى هذه الحياة ، ولكنه فى خلال هذه المحن وبين نوبات هذه المصائب يجد من عناية الله ولطفه ما يجبر كسره ويقوى عزمه وينعش نفسه ويرده من البلاء إلى العافية ، ومن جهد الشقاء إلى بحبوحة الرخاء ، فالحديث يضرب لهذا المؤمن المتردد بين نوائب الخير والشر مثلا بالخامة من الزرع ، لا تزال الريح تداعبها وتميلها عن استقامتها ، فتارة تصرعها فتهوى بها منخفضة ذاهبة ذات اليمين وذات الشمال ، وتارة تسكن عنها فتعود سيرتها الأولى من الاستواء والاعتدال ، ويظل هذا شأنها حتى تيبس وينضب ماؤها ويجىء أوان حصادها وتبلغ أجلها المحتوم .

ومما تضمنه هذا التشبيه من الأسرار والدقائق أن البلاء فيه بالنسبة للمؤمن شبه بالريح بالنسبة للخامة ، والريح من شأنها أن تصلح الزرع وتساعد على نموه ونضوجه لأنها تقلبه ذات اليمين وذات الشمال فى صعود وهبوط فتواجهه أشعة الشمس وتتغلغل فى ثناياه فتكسبه الحياة والقوة حتى يستوى قائماً على سوقه ثم يهيج فى عاقبة أمره . فكذلك البلاء للمؤمن يصهره ويصفى جوهره ويكسبه قوة ومناعة ويزيد من تجاربه وخبرته ، فهو له كالنُّذُر المتوالية والمواعظ المتعاقبة صادفت قلباً واعياً وضميراً حياً مستجيباً فأفادته وأثرت فيه ، ولا يزال المؤمن على ذلك حتى يوافيه أجله الذى كتب له ، فيلقى الله عز وجل وهو قرير العين منشرح الصدر بما كسب فى الدنيا من خير وبما أعد له فى الآخرة من أجر .

وإنه لا مؤدب للمؤمن كالمحنة التى تنزل به فتمحص قلبه وتطهره مما ألم به من

سنة الهوى ورقاد الغفلة وتزعجه عما قد يكون متلبساً به من أحلام المنى وضلالِ الشهوة وتفيقه من سكره فإذا هو آيب إلى ربه تائب من ذنبه ، آخذ في الاستعداد والتأهب ليوم المعاد ، فما أعظم المحنة حين تبدل حال المؤمن من ضعف إلى قوة ، ومن قسوة إلى رحمة ، ومن غرة إلى صحوة ومن عوج وغى إلى استقامة ورشاد ، ومن اغترار وتفريط إلى حذر ومبادرة .

وفى الحديث « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وأهله وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » . وفى الحديث الآخر « إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه حتى يوافيه بذنبه يوم القيامة » .

وأما الكافر أو المنافق فما أشنع حاله وما أسوأ عاقبته يترك كالبهيمة السائمة يرتع فى مراتع اللهو ويخوض فى بؤر الفسق ويكرع من المشارب الآسنة ويرد الموارد المنتنة وهو سادر فى غيه ، غافل عن عاقبة أمره لا يتأثر لحادث ولا يرق لموعظة ولا ينتفع بما يمر عليه من محن وأرزاء ، ولا يزال هكذا فى جموده وتبلده حتى تقرعه قارعة الموت وتنزل بساحته المنون فيموت ميتة جاهلية لا تعقبه إلا الندامة والحسرة وسوء المصير ، وما أشبهه فى ذلك بالأرزة الثابتة فى أرضها المجذية على أصلها الصلبة الجذع والساق والفروع ، لا تنال منها الزعازع ولا تؤثر فيها العواصف ، ولا تزال هكذا حتى تنقلع من جذورها فإذا هى خشبة ممدودة على الأرض قد فارقها ما كان لها من شموخ وقوة ، فانظر كيف يصور لنا هذا الحديث العظيم حال كل من الفريقين تلك الصورة الرائعة التى تأسر الألباب وتأخذ بمجامع القلوب .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

نظرات فى المجتمع والشريعة :

- ٦ - السـلبية

بواعث الاتجاه ومظاهره :

الدارس للمجتمع الإسلامى فى فترات التاريخ المختلفة يجد أن السلبية قد انتابته فى أحيان كثيرة ، وإن كانت قد استقرت ، وألقت عصاها فى العصور الوجيزة ، ولو حللت البواعث ، وتتبعت الأسباب التى نمت هذا الاتجاه السلبى لوجدت أنها كثيرة ومتنوعة .

١ — فى مقدمتها سمة سوء الفهم لحقائق الإسلام ، وأهداف تشريعه مما يصور لهم خطأ أن الإسلام تنظيم للصلة بين العبد وربه ، ولا شأن له بأمور الدنيا ، ولا بنظم المجتمع ، وتدبير أمور الناس ، ورسم الطريقة المثلى لهم فى كل مناحى حياتهم ، مع أن الحقيقة التى تنطق بها النصوص الصريحة غير ذلك ، وقد سجلها القرآن الكريم فى مناسبات شتى ، منها حديثه عن قارون ، ونصيحة قومه له ؛ إذ يقول تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .

ومن مظاهر سوء الفهم الخلط بين التوكل والتواكل بأن يتسرب إلى الأذهان الساذجة أن التوكل على الله الذى حثت عليه النصوص الإسلامية معناه : التراخى ، والكسل ، والقعود ، والاتكالية المهينة ، مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام حذر من ذلك الخلط تحذيراً واضحاً ؛ إذ قال للأعرابى الذى ترك ناقته على باب المسجد ، زاعماً أنه بهذا التصرف قد توكل على الله ، قال له « اعقلها وتوكل » .

وإذا تمسك المتواكلون بقوله عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على الله حق

توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً » . . فإن هذا الحديث ضد وجهتهم ؛ إذ أمر الله يرزق الطير إذا غدت ، وتحركت ، من أعشاشها لا إذا نامت متراخية فى وكناتها .

ومن مظاهر سوء الفهم الانحراف إلى الرهبانية ، وهى نوع من السلبية تحدثنا عنها ، وبينا مدى محاربة الإسلام لها ورأيه فيها .

٢ — العقائد الوافدة على المجتمع الإسلامى من المجتمعات الشرقية ذات الوجهة السلبية ، نتيجة لإغراقها فى روحانيات منحرفة .

منها فكرة « الجبر » التى تقول : إن العبد مجبر فى تصرفه ، مسيَّر فى عمله ، ليس له فى شئونه أمر أو إرادة ، وإنما هو أمام المشيئة العليا على نحو ما يقول القائل :

كريشة فى مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

وهذه الفكرة وإن كان ظاهرها الإيمان المطلق ، وهو أمر تطمح إليه النفس وتجد فى الوصول إليه ، لكنه فى باطنه سم زعاف يحطم حدود الدين ، ويمحو معالم الشريعة ويعطل وظيفتها فى الحياة ، وسياسة البشر . إذ الجبر يعنى الاستسلام ، والقعود ، وإهمال الأسباب . . وتلك العقيدة الخاطئة هى التى أوحت بمثل قول القائل :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيَّان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

فبمثل هذا المنطق المعكوس ، والمغالطة السافرة يحطم الشاعر قيمة من أسمى قيم الحياة ، وهى العمل .

وعلى لسان أرباب عقيدة الجبر يقول قائلهم :

ألقاه فى اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وهذه السلبية المشينة وراءها ضعف المجتمع وتخاذله ، وتخلفه عن ركب الحياة السائر إلى الأمام ، ولهذا كان دعاة هذه الفكرة من ألد الأعداء الأمة ممن آمنوا

على دخن ، وأسلموا على دخل ، وهم يرجون بهذا أن يمسخوا معالم ذلك المجتمع الناهض ، ويبددوا بهذه الفكرة الهدامة ما للشريعة السمحة من آثار بناءة ، وأهداف سامية ، وحياة « غيلان الدمشقى » رائد هـذه الفكرة تكشف عن حقيقة ما يهدف إليه(١) .

٣ — التصوف : وقد ظهر فى المجتمع الإسلامى بتأثير العقائد الوافدة من الشرق وفى مقدمتها « البرهمية » ، والأفكار الواردة من الغرب وفى مقدمتها « الأفلاطونية الحديثة » ، وهـذه هى أخطر فترات التصوف ، تلك الفترة التى سماها ابن تيمية « تصوف الفلاسفة » وسمى صوفيتها « ملاحدة التصوف » . وحدد مظاهر هـذا التصوف الإلحادى فى كتبه المختلفة فى : وحدة الوجود ، الاتحاد والحلول ، التثليث ، سقوط التكاليف ، وحدة الأديان ونحوها ، كما ذكر من أعلام هـذا النوع من التصوف : ابن عربى ، وابن الفارض ، والحلاج ، والقونوى ، والششترى ، وابن سبعين(٢) .

ولست الآن بصدد تفصيل هـذه المظاهر ، وبيان ما تنطوى عليه من إلحاد ، أو بصدد إرجاعها إلى مصادرها الأجنبية التى اشتقت منها ، أو بصدد تأكيد بعدها عن الإسلام ، فتلك أمور تعالجها المجلة فى غير هذا المكان .

ولكن الذى يتصل ببحثى من هذا كله هو الآثار التى ترتبت على هـذا فى التفكير أو الاعتقاد أو السلوك ، وما أورثه الاتجاه الصوفى المنحرف للعالم الإسلامى من سلبية مهينة ، وأفكار مشينة ، وخمول ذليل ، وفرقة قاتلة ، وإليك البرهان :

---

(١) راجع ما كتبناه تحت عنوان : « التفرق والاختلاف » فى أعداد عام ١٣٧٩ هـ .

(٢) راجع كتب ابن تيمية : الرد الأقوم على ما فى فصوص الحكم ، والرسائل والمسائل ـ ورسالة الفرقان الكبرى .

فى أى مكان ينتشر فيه أصحاب هـذا الاتجاه تجد التـكاسل والخمول ، والدجل والخرافة ، وادعاء المعجزات ، والخوارق ، وابتزاز أموال الناس تحت تأثير هـذه السلطة المزيفة ، وعلق الناس كل آمالهم على أصحاب هذه السـلطة من أقطاب ونقباء وأبدال[1] ، واتبعوا سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وعاشوا مع هذه التبعية المطلقة فى سلبية دينية ودنيوية ، ولم تستطع الأفـكار الأسيرة بحبائل الأقطاب أن تعيد النظر فى سلوكها ؛ لأن الحصار الصوفى كان محكماً على أفـكار الناس ومعتقداتهم .

ويذكر لنا التاريخ ما يؤيد وجود هذه السلبية التى أوجدها التصوف وذلك عند ما لجأ جماعة من العلماء إلى الأزهر يقرءون فى صحيح البخارى ، كعمل مقاوم لحملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ م . ولو أنعموا النظر فيما قرءوا حينذاك لوجدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم لهم طريقاً للمقـاومة أمثل وأهدى من هذا الطريق .

على أن الاستعمار الإنجليزى عند ما أدرك مبعث السـلبية التى تعيش فيها هذه الطوائف من الشعب والتى يمكن أن يعيش معها الاستعمار فى أمان على نفسه وعلى مصالحه ، وجدنا المندوب السامى البريطانى بما كان له من مكان مرموق ومركز مهيب كان يحضر حفلات الصوفية ، ويشهد موالدهم الـكثيرة ، ويأكل معهم فى جفان الثريد طلباً للبركة ! ! .

ولو تتبعت بعض التعبيرات التى جرت على لسان الناس مجرى الأمثال ، وسرت فيهم مسير الحـكمة الصادقة لوجدت مظاهر هذا الاتجاه السـلبى الذى خلفه التصوف

---

(١) هذه الأسماء لأصحاب السلطان الـكونى عند الصوفية : فالأبدال يعلوهم النقباء . وعلى الجميع الأقطاب الأربعة يتم كل شىء مسخر فى الـكون بأمرهم . فأين هذا من الإسلام ؟ وأين سلطان رب العالمين ؟ راجع « الفرقان » .

جلياً واضحاً ، تسمع بعض الناس يقولون : وضع العباد فيما أراد ، كما يرددون عن سوء فهم قوله تعالى : (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)[١] .

ومن هنا يقف الفرد فى المجتمع الإسلامى المعاصر مكتوف الأيدى أمام المفاسد التى ترتكب على صعيد المجتمع ، وكأنها أمر لا يعنيه ، وتمر به أحداث العالم الإسلامى وكأنها أحاديث للسلوى لا تهمه فى شىء .

على أن معنى الآية التى أشرنا إليها — من سورة المائدة — يهدف إلى تأكيد نصرة الله للمؤمنين ، وأن قوى الضلال لا تستطيع أن تؤثر فيهم ، أو أن تنحرف بهم عن السبيل السوى ، فهى كمعنى الآية الواردة فى سورة النساء : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .

للبحث بقية

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

من هدى القرآن

يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) المائدة .

ويقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) النساء .

---

(١) والمفسرون على أن معنى الآية : إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلا يضركم بعد ذلك من ضل إذا اهتديتم . راجع تفسير المنار جـ ٧ .

واجبنا نحو الشباب

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد

لو شعر كل منا بثقل التبعة الملقاة على عاتقه كمسئول عن أسرة أو مرب فى مدرسة أو داعية أو مصلح فى مجتمع ، لما تهاون فى واجبه ولما قصر وتقاعس عند الأخذ بالتزاماته بالدقة التى يجب أن تكون ، ولما تنصل متلمساً أوهى الأعذار وأتفهها ؛ منفلتاً ومتهربا من مواجهة الواقع الأليم بشجاعة ، ثم علاجه بأناة وحكمة وصبر . وهذه مشكلة كبرى قد تفاقم شرها واستشرى ضررها ونحن عنها غافلون و متغافلون . وتلك المشكلة الشائكة هى مشكلة الشباب الحائر التائه فى بيداء الحياة المعقدة ، والذى لا يجد من يأخذ بيده وينتشله من ظلمة الماديات إلى نور الروحيات ، والذى لا يكاد يفقه من دينه إلا القشور ، والذى ما كان يتصور مطلقاً أن يكون الدين الإسلامى الحنيف علاجاً لأمراضه وإرواء لظمئه وإسعاداً لروحه .

وكثيراً ما تصدينا لمسألة المراهقة ، فقتلناها بحثاً وتمحيصاً فى الكتب والصحف والمجلات والمحاضرات والإذاعة والتليفزيون . . حتى اختمرت تلك الكلمة فى أذهان الشباب وأصبحت ذريعة يتعلل بها الشباب مبرراً ارتكابه للمنكرات بحجة المراهقة . وهناك كثير من الكبار وهم المفتونون بكل جديد يروجون كذلك لهذا المنطق المعكوس فيشتد ساعد الشباب فى الإثم ويقوى على المنكر ، وكأن الله لم يخلق شبابا إلا فى عصرنا هذا .

لقد كان فى عصر الرسالة شباب مراهق ، وكذلك بعد عصر صدر الإسلام بل وفى كل العصور ، ما الذى عصمهم من الزلل وجنبهم الخطل وما الذى وقاهم من الانحراف والإسفاف ، إنه ولا شك الدين الإسلامى والتعاليم الإسلامية التى تأخذ بيد الحائر الضال فى رقة وتلطف وحنو حتى تسلس قياده وتقوده بكل يسر وسهولة إلى الصراط السوى .

وشبابنا ما علمناه من الإسلام إلا القشور ، فإذا ما انحرف لجهله ولعدم الاهتمام بتوجيهه بكينا وصرخنا وولولنا وألقينا كل اللوم على الشباب .

وهذا شبابنا قد شغل الآن بلعبة كرة القدم بدرجة منقطعة النظير وبصورة جاوزت الاعتدال المألوف ، حتى أصبح يقتتل من أجلها ، وقد يحتج البعض — إن ناقشته الحساب على حماسه المتدفق — بأنها رياضة ، فنقول : صحى يا أخى ، فالإسلام يرحب برياضة الجسم وصحته وله فى ذلك مناهج سامية كشف النقاب عنها هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن كثيرة قد نعود إلى التحدث عنها ببعض التفصيل . ولكن الذى يحدث الآن أن أصبح الشباب يقامر ويراهن على الفريق الفائز أو المنهزم

المقامرة والمراهنة حرام ورجس من عمل الشيطان ، عليه أن يجتنبه كما أمره القرآن الكريم ، حرصاً على عقيدته وماله وأخلاقه وكرامته فى مجتمعه ، ولما شوه الشباب الجانب الرياضى — كما يدعون — بالقمار وما يجلبه من مشاحنات وعداوات تنشب حتما بين الغارم والغانم .

* * *

وشبابنا اليوم أحد ثلاثة : ١ — إما مفتون بمباهج الحياة وزخارفها . جرفه التيار فانقاد وأصبح الرجوع فى نظره من الصعوبة بمكان ٢ — وإما حائر يتلمس السبيل للخروج من وهدته ، فهو دوماً فى صراع تتنازعه عوامل الدنيا من ناحية ، وتعاليم الدين التى وصلت إلى مسامعه فى يوم ما ولها رواسب من الماضى ما زالت باقية من ناحية أخرى ، وهذا الفريق أقل عدداً من سابقه لأن الأول هو فريق الكثرة الساحقة

٣ — أما الفريق الثالث والأخير فهو أقل الثلاثة عدداً ولكنه أرفعها قدراً وأزكاها نفساً ، هو الذى عرف دينه عن قرب فانفعل به وطبق تعاليمه السامية التى صاحبته منذ مبدأ نشأته فى بيئته الإسلامية المستقيمة ، ووجد فيها ماجبر كسره ولم شعثه ورأب صدعه فمضى فى طريق مرضاة ربه آمناً مطمئناً .

وقد تثور الغرائز بسبب التبرج الفاضح فيشغل الشباب بالفتنة الصارخة والجمال الخداع ، فينسى نفسه ومستقبله ويجرى وراء الحسان إلى نهاية الشوط ، وتأتى لحظة الإفاقة والتنبه من الغفلة ولـكن بعد فوات الأوان ، إذ يتلفت المسكين حوله فيري نفسه صفر اليدين من البيضاء والصفراء فلا هو أدرك العلم الذى يحصه ، ولا مارس عملا يتقنه ويحسنه ، ويرى الناس من حوله يفرون منه فرار السليم من الأجرب فيضطر إلى قبول أخس الأعمال حتى يعيش ويضمن لنفسه البقاء .

فلو احتشمت الفتاة واستقام الفتى ووضع كل منهما نصب عينه خوف ربه وسعى جاهداً لتوطيد دعائم حياته ومستقبله لحظى بالسعادة الزوجية والروحية والمادية على السواء ، وهنا تتجلى روعة الإسلام إذ تقدم له البلسم الشافى ملخصاً فى قليل من الصبر وذلك فى قوله تعالى : « وليستعفف الذين لا يجدون نـكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله » الآية

وكم كان الرسول صلى الله عليه وسلم حصيفاً عند ماقال . . « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

إنها باقة ناضرة من التوجيهات النفيسة التى يزخر بها الإسلام والتى هى فى متناول كل يد لو رغبت حقاً فى الانتفاع .

* * *

كنت مع أخ من أنصار السنة فى مجتمع ما وصحبنا فيه بعض الشيوخ والشبان ودار الحديث بيننا عن الدين فأسهم فيه بعض الشيوخ ولمست من الشباب عزوفا عن الدين وعن الخوض فيه فتألمت وحاولت جذبهم إلى الحديث فنجحت بعد لأى ثم علمت أن الدين عندهم لا يعدو أكثر من الصلاة والصيام والحج .

يالللأسف .. عشرة من الشباب الأنيق الثائر فى طريق العلم ، أمل الغد وعدة المستقبل على هذا القدر الشنيع من الجهل بدينهم !!

وهكذا انبريت وصديقى وأعاننا الله سبحانه وتعالى على إبراز جوهر الدين الساطع ورواته الأخاذ مستعملين اللين تارة والشدة أخرى والترهيب آونة والترغيب أخرى

فإذا بالشباب وقد تملكتهم الحيرة فبهتوا وقالوا أهذا هو الدين وتلك هى روعته ؟ .

وطال بنا الحديث وامتد وما شعرنا بمرور الوقت ، وبعدها انصرفنا وفى النفس فرحة غامرة فقد عاهدنا الشباب على العمل بدين الله منذ تلك الليلة . ومضت سنوات ولم ألتق بأحد منهم حتى الآن . وأرجو أن يكونوا قد وفوا بعهدهم لله . وما زالت ذكرى هذه الجلسة الطيبة فى نفسى تتمثل لى بين والحين فتعود الفرحة تغمرنى إذ لو انحرف هؤلاء لا قدر الله فإن شرهم سيمتد إلى غيرهم بحكم أنهم أساتذة المستقبل وكذلك فإن استقامتهم تنقذ غيرهم من شر مستطير لنفس السبب السابق .

* * *

وقصارى القول : هذه كلمة ختامية أوجهها إلى كل مسلم فى مجتمعنا :

افتحوا عيون الشباب على شريعة الإسلام السمحة ، فبين شبابنا كثيرون . يحسبون أن الإسلام يقف حائلا دون تقدمهم ، وأنه لا حل لمشاكلهم إلا بالتنكر للدين أو تجاهله وعدم التقيد به ؛ وسبب هذه الأفكار الخاطئة هو :

أولا — القدوة السيئة من الأساتذة والآباء .

ثانياً — المجتمع والبيئة إذ لو كان المجتمع حريصاً على دينه لشب أبناؤه على نفس الغرض .

ثالثا — بث سموم الثقافة الغربية المنحلة المدنسة وتلك تسرى فى الشباب سريان النار فى الهشيم ، ونحن لا نمانع مطلقاً فى التزود من الثقافات الأجنبية بالصالح النافع المفيد ذى الثمرة المرجوة لخيرنا وخير أمتنا الاسلامية ، وإلا فنحن بديننا وعقيدتنا فى غنى وفى إسلامنا الكفاية ، وأخيراً وليس آخراً : الجهل بشريعة الإسلام . والأمر يحتاج منا إلى روية وتصبر وحكمة فى معالجة جموح الشباب وتمرده واسلاس قيادة وعرض الدين عليه بطريقة جذابة شيقة ، نقيا من خرافات الصوفية وأحزابهم ، خالصاً كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وإذ ذاك يجنى المرء ثمار مازرع ، هذا وبالله التوفيق .

محرم بك — اسكندرية　　　　محمد عبد الكريم أحمد

٥ — دراسات إسلامية

المعجزات فى القرآن

انتهت مقالاتنا السابقة حول معجزات الأنبياء عند بيان ما طلبه الأقوام المعاندون من الرسل من الآيات الخارقة للمادة . والدالة على صدق ما دعوهم إليه من دين الله ، وما يهدف إليه هذا الدين من مبادىء ومثل وقيم .

وسنبين فيما يلى مواقف الضالين والمفسدين من هؤلاء الأقوام حيال الآيات والأدلة التى قدمها رسلهم من حيث إيجابية هذه المواقف أو سلبيتها . كما سنتحدث عن مصائر هؤلاء الأقوام الذين تحدوا الرسل وكذبوهم .

وأول من واجه عداء مستحكما سافراً عنيداً من قومه : نوح ـ عليه السلام ـ إذ كان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض . فدعاهم إلى عبادة الله وحده . وإفراده بالشكر والضراعة . وترك ما هم عليه من عبادة الموروثات الباطلة . وأفرغ عليهم من طيب كلامه . ليستميلهم إليه . ويذعنوا لدعوته . ويؤمنوا بها . . وكان نوح رجلاً فتيق اللسان عظيم الأناة . صابراً على الجدل . بصيراً بمسالك الإقناع . قادراً على تصريف الحجج . لكن الضلال والتقليد المتسلطة على المعاندين المستكبرين من قومه أبت عليهم أن يعرفوا طريق الهداية . وتحجرت قلوبهم . فلم تلن لدعوته . ولم تنقد لرجائه . . كان كلما دعاهم إلى الله أعرضوا . وإذا أنذرهم بالعذاب والويل عموا وصموا وإذا رغبهم فى ثواب الله ورضائه استهانوا وسخروا منه واستكبروا ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ورغم ذلك كله . فقد صابرهم وطاولهم ومدّلهم فى حبل صبره وأناته.وناضلهم وأخذ فى الدعوة ـ من غير يأس ولا ملل ـ دعاهم ليلاً ونهاراً . . وسراً وعلانية . ووجه نظرهم إلى ما أودع الله فى الكون من خلق بديع . ونظام رائع . وإلى ما يدل عليه من قدرة باهرة ليدلل بذلك على أن الذى يدعوهم إليه خليق

بالعبادة الخالصة . أهل لأن يؤله وحده . لعلهم ينصرفون عن مناجاة غيره . وينبذون الضراعة لمخلوقاته . فيكونوا أهلاً للإنسانية التى كرمهم الله بها وفضلهم بها على كثير ممن خلق تفضيلاً . ولكنهم لم يدركوا هذه الغايات السامية وغفلوا عما فى دعوة نبيهم من فلاح وخير ونجاة . فأوغلوا فى الجحود . وتمالأوا عليه . وظاهر بعضهم بعضاً على الاستهزاء به . وتسفيه رأيه . فقالوا : أنت بشر مثلنا . وواحد منا . ومن طبقتنا . ولا فضل لك علينا فى شىء من الكثرة والعلم والجاه والرأى . بل نحن السادة والزعماء وذووا الرأى السديد . فلماذا ـ إذن نطيعك وندعن لك . ونأتمر بأمرك . وننتهى عما تنهانا (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا) ـ الآية ٢٧ هود كما خاطبوا غيرهم زاعمين أن نوحاً يريد أن يترفع عليهم . فقالوا (فقال الملؤ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) الآية ٢٤ : المؤمنون .

ثم أردفوا يقولون : ولو أن الله أراد أن يبعث لنا نبياً لبعثه ملكاً من عنده . لا بشراً مثلنا إننا ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . . ولا شك قد فقدت عقلك . فذهبت تدعى لنفسك النبوة . وتزعم أن الله اختصك بالوحى من دوننا . لتتعاظم بذلك علينا . وتكون لك الغلبة والسلطان على القوم (. . ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) الآيتان ٢٤ / ٢٥ : المؤمنون .

ثم قالوا : إن دعوتك لنا دعوة باطلة وليس أدل على ذلك من أن الذين اتبعوك هم : الأراذل من طَغَام الناس . وحثالة القوم . وأهل الصناعات والحرف الحقيرة الذين ليس عندهم فكر ناضج . ولا عقل راجح . استمعوا لك فأعجبهم بادى الرأى ـ أى لأول وهلة ـ فأسرعوا وآمنوا به دون أن يفكروا وينظروا فيما وراءه ويغوصوا فى أعماقه . فيمحصوه ليتبينوا أحق هو أم باطل . ولو كان حقاً ما تناوله

لـكننا نحن ـ طبقة الأشراف وفئة الأكابر ـ أول مَنْ آمن به . واتبعناك فيه . لأننا أصحاب عقل راجح وأولى فطنة . ورأى سديد . نأخذ الأمر بعد التأمل فى حقيقته . لا بالنظر فى ظاهره . ويحكى القرآن على لسان هؤلاء الأشقياء قولهم (. . وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى . وما نرى لـكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) الآية ٢٧ : هود . ولـكن نوحاً لم تخرجه سفاهةهؤلاء عن حلمه . ولم تغير من مألوف عقله واتزانه . فأبان لهم أنه لا يستطيع أن يحملهم على الإيمان بدعوته قسراً . ولا أن يلزمهم باذعان لها كُرْها طالما أن أهدافها السامية قد عميت عليهم . فحاولوا ستر ضوء رسالته بأكفهم . وحجب شمسها الوضاء عن أنفسهم بجهالاتهم فقال لهم (قال يا قوم : أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) الآية : هود .

ثم لجوا فى الجدل . واشتدوا فى المراوغة وقالوا : إنه قد تأكد لدينا ضلالك عن الحق حين تريد أن تصرفنا عن عبادة آلهتنا المقدسة : ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر . وهم شفعاؤنا عندا لله ووسيلتنا الوحيدة إليه (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وَدّا ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق ونَسْرا) الآية ٢٣ : نوح . فمن لنا غيرهم نستمد منهم البركة . وتقضى حوائجنا بجاههم . ويرد الله عنا الشدائد ؟ ! . . إنه لضلال ـ أى ضلال ـ أن تطلب منا الابتعاد عن المقام الأقدس . والجو الروحانى لنعيش ـ شاذين عن أسلافنا ـ بلا وساطات من أوليائه وأحبائه (قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين) الآية ٦٠ الأعراف .

ورد عليهم نوح ـ عليه السلام ـ مكررا النداء باسم القومية التى يشترك معهم بها فى المجتمع والدم والعرق ليصل إلى قلوبهم بهذه الناحية العاطفية . كما نفى عن نفسه الضلال . وأوضح لهم أنه لم يأت بشىء من عنده ولـكنه يبلغهم رسالة ربه . وينصحهم ويعظهم بالترغيب والترهيب . وقال (يا قوم ليس بى ضلالة

ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون) الآيتان ٦١/ ٦٢ : الأعراف .

ولما استبدت بهم الشقوة ولج بهم العناد طالبوه بما يتسم بالغرابة والجهل والإمعان فى المراوغة . فقالوا له : إن كنت تبتغى لنا الصلاح والهداية . وترتجى منا النصرة والإعزاز . فينبغى عليك أولاً : أن تقصى عن حظيرتك أولئك الأراذل الذين اتبعوك . وأن تنبذهم عن حماك ، لأن كبرياءنا يرفض أن نسير معهم جنباً إلى جنب . ويأبى أن نجرى نحن فى عنانهم وكيف نستجيب لدين يستوى فيه الملوك بالسوقة . والأشراف بالدهماء ؟ ! . ويحكى القرآن قولهم فى هذا (قالوا : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الآية ١١١ : الشعراء) فيقول لهم نوح : إن دعوتى شاملة عامة يستوى فيها الغنى والفقير والرئيس والمرءوس . والمشهور والمغمور وهو ليس دين طبقة تستعلى على أخرى . ولو أنى أجبتكم إلى ما طلبتم . فطردتهم . وحققت بذلك مرادكم . فمن يؤازرنى فى نشر الدعوة . وتأييد الرسالة ؟ ! وهل يقبل العقل أن أطرد قوماً استجابوا لى وتابعونى ونصرونى . بينما لم أجد منكم سوى الجحود والنكران . والغطرسة والكفران . ثم إنهم قائمون بالدعوة إلى الله ونصرة دينه . فكيف أقابل إحسانهم بالإساءة . وخيرهم بالكنود ؟ ! . إننى إن فعلت ذلك فإن الله سينتقم لهم منى . وسيكون عذابى عند الله شديداً . ويعبر القرآن عن مقالة نوح لقومه بقوله تعالى (وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ؟) الآية ٣٠ هود . وبقوله سبحانه (وما أنا بطارد المؤمنين) الآية ١١٤ : الشعراء .

وعند ما اشتد بهم الجدل . واتسعت شقة الخلاف . واستحكم أمره . واستحال إقناعهم بشتى الطرق والوسائل ، ملوه وسئموا محاجته . وضاقت لذلك صدورهم وقالوا (يا نوح : قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) الآية ٣٢ : هود .

قال لهم نوح : يا لكم من قوم تسرفون فى الجهل ، وتوغلون فى الحماقة ! ! ، وهل بيدى الأمر حتى آتيكم بالعذاب ، فما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلىّ فأبشركم مرة ، وأنذركم بعذاب الله أخرى ، والله هو الذى بعثنى إليكم لتعبدوه وحده وهو الذى بيده الأمر كله ، إن شاء ألان قلوبكم للهدى ، وإن شاء عجل لكم العذاب ، وإن شاء أمد لكم فى حبل الغواية ليزيد فى عقابكم ، ولن تستطيعوا رد ما تنفذه مشيئته ، (قال . إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين — الآية ٣٣ : هود) .

ثم قالوا مهددين متوعدين إياه بالرجم والإيذاء (قالوا : لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) الآية ١١٦ : الشعراء . ونوح — عليه السلام — كان من أولى العزم من الرسل ، رزقه الله الصبر وطول الأناة ووسّع له فى حلمه ، وهذه صفات مَنّ الله بها على الأنبياء والرسل كى يقوموا بوظيفة تبليغ دين الله للناس على خير وجه ، وأكمل بيان ، فتنقطع بذلك حجة الناس على الله ، ولا يكون لهم عذر بعد ذلك .

مكث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثابتاً صامداً كالطود أمام سخرياتهم ، صابراً على إساءاتهم ، تتوق نفسه كل حين ، إلى بارقة أمل فيهم ، ويرجو أن تلوح منهم بوادر إيمان ، ولكن الشقوة غلبت عليهم ، فما ازدادوا على الأيام إلا طغياناً وكفراً ، وما أثمرت دعوته فيهم إلا نفوراً ، فانقطع حبل أمله فيهم ، واستحال نور الرجاء إلى ظلام كثيف ، ففزع إلى الله مستغيثاً مستهدياً طالباً النجاة ، ورفع أكف الشكوى إلى الله من هؤلاء الذين لم تجد معهم حِيَله ، وانقطع فيهم أمَلُه (قال : رب إن قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين ، فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون — الآيات ١١٧ ، ١١٩ : الشعراء) .

ثم طلب من الله أن ينصره عليهم حيث كذبوه : لأنه لا رجاء ، ولا أمل فيهم (قال : رب انصرنى بما كذبون — الآية ٢٧ : المؤمنون) .

ثم أوحى الله إليه بقوله تعالى (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يعملون — الآية ٣٦ : هود) .

وعند ما تأكد لنوح أنه لن يتبعه من قومه أحد أكثر ممن آمن به ، وأنه قد طبع على قلوب للمعاندين منهم . ولن يخضعوا بعد لبرهان ، أو يصدعوا للإيمان ، وأن كلمة الله قد حقت عليهم بالعذاب ، دعا ربه بقلب مفعم بالأسى والغضب والسخط (وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ نوح .

وسرعان ما استجاب الله لدعاء نوح ، وأوحى إليه (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) الآية ٣٧ : هود .

ويصدع نوح — عليه السلام — لأمر الله (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم . حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا : احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول وَمَنْ آمن ، وما آمن معه إلا قليل) الآيات ٣٧ ، ٤٠ هود .

وانهمر الماء من السماء ، وتفجرت الأرض عيوناً ، وبلغ السيل الزبى . . عند ذلك هرع نوح إلى السفينة وحمل معه ما أمر الله بحمله من الإنسان والحيوان والنبات (وقال : اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) الآية ٤١ : هود . وتسير السفينة الزاخرة وسط أمواج تتلاطم وتشتد في ارتفاعها وهبوطها ، وتفتح بين طياتها للكافرين المعاندين قبوراً . . فيقاومون الموت وهو يصرعهم ويغالبون الموج وهو يطويهم ويهلكهم ، ويلمح نوح ابنه « كنعان » وكان قد غلب عليه الضلال فرغب عن دين أبيه واعتزله — يلمحه وهو يخوض اللجج ، ويدفع الموج ، ويحاول الهروب من الموت المطبق عليه من كل جانب بالاعتصام بجبل ينجيه ، أو مكان عال يأويه ، ولكن . . هيهات فالغرق منه يدنو ، والموت يقترب . . ويَرِقُّ نوح لابنه ، وتهيج في نفسه عاطفة الإشفاق والحب فيناديه أن يركب معه السفينة لينجو من الهلاك ، ولكن الإبن لم تحرك وجدانه كلمات أبيه الحانية ولم تلمس شغاف قلبه ،

واعتقد — واهماً — أنه قادر على الإفلات من يد القدر ، والنجاة بنفسه ولكن أباه يهمه أمره ويشجيه ، فيطلب من الله أن ينجي ابنه ، لأنه من أهله ، وتأبى عدالة الله أن تستجيب لندائه ، فقد عصى الله ورسوله ، وجحد دينه ، وأصر على البقاء على ضلاله ، لحقت عليه كلمة الكفر ، ولم يعد واحداً من أهل أبيه ، ولا مستحقاً لشفاعته ، وقد سجل القرآن حوار نوح مع ابنه بقوله تعالى (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل ، يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا مَنْ رحم) الآيتان ٤٢ ، ٤٣ : هود . وعاتب الله نوحاً على شفاعته لابنه ، وأمره ألا يسأله عن شىء لا يعلمه (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) الآية ٤٦ : هود .

حينئذ أدرك نوح أن العاطفة قد غلبت عليه فأنسته الحق ، وسترت عنه الصواب ، فالتجأ إلى ربه مستغفراً من ذنبه ، مستعيذاً من سخطه (قال : رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) الآية ٤٧ : هود . ثم حال الموج بين نوح وابنه فكان من المغرقين .

وعند ما بلغت السفينة مرساها ، وطويت صحيفة القوم الظالمين ، كفت السماء وابتلعت الأرض ماءها (وقيل : يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودىّ[1] وقيل : بعداً للقوم الظالمين) الآية ٤٤ : هود .

أما نوح والمؤمنون به فقد نجاهم الله من ظلم المشركين وعدائهم ، وهبطوا جميعاً حيث شاء الله أن يهبطوا فى أرض السلام محوطين برعاية الله ورحمته ، ليعيشوا فى سعة من الرزق والحياة والأمن . (قيل : يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) الآية ٤٨ : هود .

للحديث بقية — سعد صادق محمد

(١) قيل إن الجودى جبل بالجزيرة ، وقيل بالبصرة ، وقيل هو الطور وقيل غير ذلك .

الصلاة عبادة وقيادة

الصلاة عبادة : تصل المخلوق بالخالق ، والإنسان بربه ، حيث يقف بين يديه خاشعاً ، ولأمره ممتثلاً ، لايهيمن على نفسه عرض زائل أو أمل خاتل ، لكنها حلاوة الإيمان تصبو إليها النفوس ، وتميل إليها القلوب ، وتنشرح لها الصدور .

أليس المملوك يقف بين يدى مالكه الذى يدبر أمره ، ويحصى عليه أنفاسه ، ويكتب ويسجل عليه أقواله ، وخلجات ضميره ، وهواجس نفسه ؟ فيسلم قياده إليه ؟ بلى ، هو الذى خلقه فأحسن خلقه ، وصوره فأحسن تصوره ، وأحاطه بصنوف النعم والآلاء ، ومد له أسباب الرزق ، وخلع عليه خلعة الإيمان ، وتوج رأسه بتاج الإسلام ، فتنطق جوارحه : « الله أكبر » فلا عزة للعبد إلا من عزته ، ولا قوة للعبد إلا من سطوته وجبروته ، ولا ملك فى الدنيا إلا من ملكه وسلطانه . تفرد بالكبرياء والعظمة والبهاء ، فمن نازعهُ فى شىء من عظمته وجلاله ، قصم ظهره ، وشتت شمله ، وطرح به إلى الهلاك ، ونادى فى الناس مناديه (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً . . والعاقبة للمتقين) .

كم من عروش ثُلّت ، وكم من تيجان سُلبت ، وكم من عظمة زائفة قوضت ، وكم من معبودات انهارت ، وبقى للمؤمن حلاوة الإيمان ، ونور اليقين ، وعزة التمسك بالدين (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) .

عند ذلك هتفت القلوب المؤمنة ، قبل الألسنة الناطقة : (إياك نعبد . . وإياك نستعين . .) فكل ما فوق التراب إلى التراب يعود . . وكل مخلوق إلى فناء ، فلا تعنو الوجوه إلا لعظمتك ، ولا تسجد الجوارح إلا لك . المذلة لعبوديتك عز ، والمذلة لغيرك ذل ، والاستعانة بجلالك قوة ، والاستعانة بالمخلوقين عجز ومهانة . .

عبدك العابدون فتشرفوا بعبوديتك ، فصاروا بها أقوياء بعد ضعف ، وسعداء بعد شقاء ، وأغنياء بعد فقر ، وأعزاء بعد ذل . . . تحررت عقولهم ، واستنارت قلوبهم ، ونُصِروا على أعدائهم ، وملكوا بها الأرض ، وقامت لهم عروش العزة والسلطان ، وجاءتهم الدنيا صاغرة . . .

واستعان بك المؤمنون ، غير متخذين دونك الشفعاء والنصراء ، فهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً . . . وقد قلتُ :

* * *

يقربنا بالصالحات ومصدر   من القلب بالإيمان ، والصدق أنفع
فليس على أبوابه من وسائطٍ   تقرب من تبغى وأخرى تمنِّعُ
وسيلتنا للقرب دين وطاعة   وحب وإيمان وحق يشرَّع
كتاب جليل فيه طب وحكمة   وآى من الرحمن تتلى وتُسْمَعُ
حكمنا به فوق البسيطة حقبة   فكان لنا عرش من العز أرفع
سلكنا به نهجاً من العدل واضحاً   فأشرق نور الدين للأرض يطلع
يشق سبيل الحق للناس هادياً   فيسعد بالخيرات من فيه يُهْرَع
ومن يبتغ الأنوار من غير هديه   يضل ، ومن وردِ المذلة يجْرَعُ

* * *

استعانوا بك ، فآزرتهم بقوتك وجبروتك ، وجاءهم مدد السماء يقاتل إلى جانبهم ، فخافهم العدو ، ورغب فيهم المظلوم متحرراً من ظلم الظالمين ، واستعباد المجرمين ؛ فعز جانبهم ، وقويت شوكتهم ، وسارت إلى جانبهم عدالة الإسلام يحمل لواءها المجاهدون الصابرون ، فطلع على الناس فجر الحرية والسعادة . . وصدق جل شأنه : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى) .

وهى قيادة : إمام اختاره المصلون ، يتقدم الصفوف ، يتجه بقلبه وجسمه وروحه ، إلى قبلة واحدة يتجهِ إليها جميع المسلمين فى أنحاء المعمورة ، فهى رمز وحدتهم ، وشعار

ارتباطهم بدينهم . واتجاه إلى مكان الدعوة الذى طلع منه فجرها ، وانبثق نورها ، وتطلع إلى مهبط الوحى ، وملتقى الأرواح المؤمنة فى صلاتهم وحجهم . يوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفاً ، فيتبعونه فى اتجاهه ، ويتبعونه فى حركاته وأقواله : يكبرون إذا كبر ، وينصتون مستمعين إذا قرأ ، ويؤمنون مع تأمينه ، ويركعون مع ركوعه ، ويسجدون مع سجوده ، ويجلسون مع جلوسه ، ويرفعون ويتشهدون إذا رفع أو تشهد ، فإن أصاب فله ولهم ، وإن أخطأ فعليه ولهم . يستخلفون غيره إذا أصابه طارئ ، ويسددون أعماله إذا نسى أو أخطأ ، فى صفوف سدت بها الفرج ، وتزاحمت فيها المناكب ، يقف غنيهم إلى جانب فقيرهم ، وحاكمهم إلى جانب محكومهم ، أكرمهم عند الله أكثرهم تقى ، وأقربهم إليه أعظمهم خشوعاً . إشارة إلى المجتمع الصالح ، يرشدهم فيه أصلحهم ، فلا يطيعونه إلا فى معروف ، لانه : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » يسددون أعماله وحركاته بما أفاض الله عليهم من فقه ومعرفة ، وهو فى حاجة إلى إرشادهم وتذكيرهم شأن الراعى الصالح فى الرعية الصالحة ، ينصح وينتصح ، ويرشد ويسترشد ، فلا طغيان ولا استبداد ، ولكنها مشاركة روحية ، يتساوى فيها الرئيس والمرءوس ، والراعى والرعية ، التى يمثلها الإمام والمأموم (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . . ولذكر الله أكبر . . والله يعلم ما تصنعون) .

(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ترفرف عليهم السعادة فى صلواتهم خمس مرات فى اليوم والليلة ، فتشعرهم بالخشية والخشوع لخالقهم ، وتطهر أبدانهم وقلوبهم من أقذار الجسد وأدران المعاصى . حقاً هى عمود الإسلام ، ودعامة الإيمان ، من تركها فقد كفر بنعمة ربه وفاته نور اليقين ، ووقع فى ظلمات الإثم والعدوان (إنه لا يفلح الكافرون)

عمرو محمد حسن الندرى
إمام وخطيب المسجد المجيدى بعلوى

ومرة أخرى: مِنْ كفر القاديانية

كتبت فى العدد السالف مقالاً عن القاديانية تحت عنوان « من كفر القاديانية ». وقد نقلته كما هو من كتاب ألفته عن هذه النحلة ولم يطبع بعد ، وأضرع إلى الله أن يعين على طبعه حتى يتبين المسلمون ما وراء القناع الزائف من وَجْهٍ يسجد صاحبه للشيطان ، غير أن ما نشرته من الحق أثار قاديانياً يعيش فى « الدانمارك » وقد كتب لى مراراً من قبل ، وفى أحد خطاباته يتهمنى بالضلالة والجهالة وغيرها . وكان الأخ الكريم الفاضل الدكتور « أمين رضا » الأستاذ المساعد بكلية الطب بجامعة الإسكندرية قد التقى بهذا القاديانى فى إحدى رحلاته ودار بينهما مناقشة ومراسلة ، فكان أن أرسل إلى الأخ العزيز كتاباً يشكو فيه مما كتبت زاعماً أنه كله أخطاء .

ويشهد الله منذ كتبت عن الضلالات أننى لم أُبح لنفسى رَمْيها بغير ما فيها ، فما استطاع صوفى واحد مثلا — على تحفزهم واحتشادهم لإبطال ما أقول — أن يجد لى نقيصة تزوير قول عليهم ، أو افتراء شيء لم يقولوه ، لقد رمونى بسوء فهم ما يقولون ، لكن لم يرمنى أحدهم بافتراء ما أقول ، أو أنسب إليهم شيئاً لم يقولوه ، وكذلك فعلت بالبهائية ، وكذلك فعلت بالقاديانية وعندى كثير من كتبها .

وجماعة أنصار السنة أحرص ما تكون على وحدة المسلمين ، ولكن أى مسلمين ؟ ؟ .

للسلمون الأعزة الأبرياء الذين لا يرتبطون بعجلة الاستعمار ، ولا يكونون أبواقاً للاستعمار ، ولا يعيشون على الفتات القذر من نفايات الاستعمار . وإذا كان القاديانى الدانمركى يقول« لقد جاء الإنجليز إلى الهند وخلصوا المسلمين من حكم السيخ والهندوس الاستبدادى ، وضمنوا الحرية الدينية أفلا يجب عليه — أى على غلام أحمد — وعلى كل مسلم نزيه أن يكون شاكراً » أكاد أجزم أن هذا القاديانى يوقن فى طوايا نفسه

أنه يكذب ، فالإنجليز لم يضطهدوا قوماً فى الهند كما اضطهدوا المسلمين الحقيقيين ، وسنبرز فى كتابنا الأدلة الدامغة على ذلك ، ثم متى كان المبلهون يحسبون أنفسهم مسلمى بقاع معينة لا صلة لهم بالمسلمين فى بقاع أخرى ، فنى الوقت الذى كان فيه الإنجليز يطعمون غلام أحمد القاديانى كُبُود أرامل المسلمين وأيتامهم ويزعمون أنهم بهذا يبرون المسلمين فى شخص غلام أحمد ، كان الإنجليز يبغون على المسلمين فى كل بلد استعمروها ، وساموا أهلها الخسف والهوان .

ثم لِيُرِنى القاديانى الدانماركى آية من قرآن أو قطعة من حديث توجب شكر عبدة الصليب والخنازير ؟ ثم متى كان « النبى » مستضعفاً هكذا حتى يفرض على نفسه وعلى أتباعه شكر أمة قامت على البغى والعدوان واستنزاف دماء الشعوب ؟ ! ، اقرأ تاريخ النبى محمد ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ وموقفه من كسرى وقيصر وغيرهما ؛ لتعرف كيف تكون رجولة الأنبياء ، لا خنوثة صاحبك الذى ما عاش إلا ليمجد الإنجليز ! ! ولقد زادنى خطاب القاديانى الدانماركى ثقة فى أن هؤلاء القوم حمائل استعمار إنجليزى خبيث تحاول أن تلبس أقنعة تتراءى بها أنها مسلمة .

ولهذا ينشط الأحمدية أو القاديانية فى كل مكان لعلهم يستطيعون إيجاد أمة تسمى « مسلمة » وتدين بالولاء الخالص للإنجليز ؟ فهل يعرف المسلم لماذا ينشط القاديانيون ، وهذا أحدهم دانماركى يفرض علينا الشكر للإنجليز ؟ لنقرأ ضحايا الانجليز من المسلمين لنقرأ الخسف والهوان الذى أوقعه الإنجليز بالمسلمين فى مصر وفى العراق ، لنقرأ ما فعل الإنجليز بفلسطين وتمكينهم منها حثالة الدنس والبغى والنجس ، ظناً من الإنجليز أن الصهيونية إذا سيطرت على فلسطين ثم من الفرات إلى مصب النيل ، فإن يسوع سينزل ، وحينئذ يؤمن الصهيونيون بشارة الإنجيل ، ويكرزون به فى أنحاء المعمورة ! ! .

أنشكر هؤلاء ؟ ؟ .

هل يذكر الكاتب ضراوات الصليبية وأحقادها حينما اقتحمت بيت المقدس ؟ أذَكِّرك برتشارد ملك الإنجليز الملقب بقلب الأسد ، وبالمؤرخ الأمريكى الكبير ول ديورانت فهذا يقول عن ذاك فى كتابه الكبير « قصة الحضارة الجزء الخامس عشر من الطبعة العربية من ص ٢٥ ، ٤٢ » : « أمر رتشارد أن تضرب رءوس ٢٥٠٠ من الأسرى المسلمين أمام أسوار المدينة لينبه بذلك الأهلين إلى وجوب الإسراع فى تنفيذ الشروط » وإنى لأرجو أن يقارن القاديانى بين فريضة الجهاد فى الإسلام وبين ما هو مذكور فى شرعة اليهود والنصارى عن القتال : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً ، فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك » الإصحاح المتمم للعشرين من سفر التثنية ، هؤلاء هم سادة الغلام فى شريعتهم ، أفيجب علينا شكرهم ؟ .

إن للنبى ـ أيها القاديانى ـ كرامته وعزته وشممه وإباء نفسه ورجولته وبطولته وفدائيته . إن النبى إيمان ورجولة وبطولة وفدائية يقودها إلى المثل الأعلى وحى من الله سبحانه ، لا يفرض عليه شكر كافر ، ولا مداهنة غاصب ظلوم .

وحينما استولى الإنجليز على العراق فى أثناء الحرب العالمية الأولى بجيش هندى عبر القاديانيون عن فرحتهم بما نصه : « قال المسيح الموعود : إنى المهدى والحكومة البريطانية سيفى المسلول الذى لا يقف أمامه أولئك العلماء المعروفون . فالآن وقد جاء مقام التفكير والجد ، فإننا — نحن الأحمديين — لماذا لا نبتهج بهذا الفتح المبين . سواء أكان ذلك الفتح فى عراق العرب أو الشام ، وأنا أريد بريق السيف فى كل مكان ، عند فتح بغداد دخلت جيوشنا من المشرق ، فكروا متى تُنُبِّىء بهذا الفتح

والانتصار ؟ حكومتنا البريطانية التى هاجمت من جهة البصرة وأرسلت الجيوش من هذه الناحية بعد أن جندتهم من أفراد الأمم المختلفة ، وكان محرك هذا الإرسال وذلك التجنيد فى الحقيقة تلك الملائكة التى أنزلها الله تعالى ، لكى تهيء لتقديم أصناف المساعدة مستميلين قلوب الناس نحو هذه الحكومة فى حينه » أخبار الفضل قاديان . المجلة السادسة رقم ٤٢ بتاريخ ١٩١٨/١٢/٧ .

أيصدق مسلم أن الملائكة تقاتل فى سبيل انجلترا ؟ .

وهل يقترف هذه الكبيرة الخاطئة مسلم ؟ وهل يباح الغزو الحقود والفتك والتدمير للانجليز ، ويحرم الجهاد على المسلمين ؟ .

ظفر الله خان : ويزعم القاديانى — دفاعاً عن القاديانيين أن ظفر الله خان القاديانى دافع عن فلسطين فى هيئة الأمم المتحدة وهو — الذى كان وزيراً لخارجية الباكستان حين استقلت وزكم الوزارة والسفارات والمفوضيات بالقاديانيين ، وجعلهم يتغلغلون فى جيش الباكستان .

وأقول : دافع لأن الباكستان تريد هذا ، أما هو فكان ستاراً يريد به جعل الباكستان كلها قاديانية ، وإليك ما تقوله عنه صحيفة قاديانية : « أوفدت الفرقة القاديانية الأحمدية وفداً لاستقبال وتبريك وتهنئة حضرة صاحب الفخامة الحاكم العام للهند « اللورد رودريك » فى قصره فى ١٩٢١/٦/٢٣ ميلادية ، شرف حضرة صاحب الفخامة الحاكم العام أعضاء الوفد بعد أن جلسوا فى أماكنهم ، ثم قدم السكرتير الخاص لفخامته سكرتير الوفد الشودرى ظفر الله خان ، ثم قام سكرتير الوفد بتقديم أعضاء الوفد لفخامته ، ثم ألقى الشودرى خطاب التمجيد بين يديه ذكر فيه أن هذه التهنئة من الجماعة الأحمدية القاديانية ، وبين فيه أحوال أسرة المسيح الموعود وتعاليمه ، ثم لفت نظر فخامته إلى ما قامت به الجماعة والفرقة من الخدمات لأجل إقرار السلام والنظام والأمن العام » أخبار الفضل قاديان المجلة الثامنة فى ١٩٢١/٦/٢٧ .

موقف القاديانيين من المسلمين : لا يحقد القاديانيون على أمة حقدهم على المسلمين ، لا لشيء إلا لأن المسلمين أخذتهم الغيرة الصادقة على كتاب الله ، فثاروا على فتنة الغلام ، ودمغوه بصفاته ، وجاهدوا ضلالاته .

أما الإنجليز فى صليبيتهم وخنزيريتهم وبغيهم السفيه على القرآن ، فلم ينالوا من القاديانية سوى التقديس والتمجيد . ألم تر إلى الغلام يحرم الجهاد تحت ظلال سيوف الله ، ويفرضه تحت سيوف الإنجليز ، ويستحث أتباعه على هذا . ألم تر إلى القاديانيين يصبون نقمتهم على كل مسلم ، ويستحث بعضهم بعضاً على قطع كل صلة ، وفصم كل عروة بينهم وبين المسلمين ، وإليك النصوص : « إن جميع المسلمين الذين لم يشتركوا فى مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون عن دائرة الإسلام ، ولو كانوا لم يسمعوا باسم المسيح الموعود » « كل رجل يؤمن بمحمد ، ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فما هو بكافر فحسب ، بل هو راسخ فى الكفر ، وخارج عن دائرة الإسلام » « كل رجل من غير الأحمديين كافر إذ أن الكفر ولو بنبي واحد هو الكفر[1] » « قال المسيح الموعود : إن إسلامهم غير إسلامنا ، وإلههم غير إلهنا ، وحجهم غير حجنا ، وهكذا نخالفهم فى كل شيء » « من الخطأ بأننا لا نخالف المسلمين إلا فى مسألة وفاة المسيح ، أو غيرها من المسائل الأخرى . إننا نخالفهم فى ذات الله تعالى ، وفى الرسول ، وفى القرآن والصلاة والحج والزكاة » ولهذا لم يُصَلِّ ظفر الله خان على محمد على جناح الرئيس الأول لدولة الباكستان ، والذى أرغمه الإنجليز على أن يكون ظفر الله خان وزيراً لخارجيته ! ! « النصوص ص ٣٥ مرآة الصدق » ص ١١٠ ريويرآف ريلجنز ، الفضل ٢٦ ، ٢٧ يونية سنة ١٩٢٢ ، الفضل ٣٠ يولية سنة ١٩٣١ . وهو من كلام الغلام وولده .

---

(١) هذه حقيقة . ولكنهم يريدون من ورائها إثبات أن غلام أحمد القاديانى نبى ، ولهذا يكون كافراً من لا يصدق بنبوته . أى أن تكون أمة القرآن كلها كافرة ماعدا الأحمديين ! ! .

هذا بعض من بعض ما عند القاديانيين . ولقد بذلت بعض ما يجب فى سبيل إقناع من يحسن الظن بهؤلاء وجئته بالأدلة من كتب غلام أحمد . وحسب القاديانيين خطيئة أن يحيا نبيهم المزعوم على الولاء للطغاة البغاة ـ أكلة أكباد الشعوب ـ الإنجليز وهم بعض من قال الله فيهم (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) .

ولست من الذين يمقتون أن يدخل الناس فى الإسلام بل ممن يحبون أن يصير العالم كله أمة مسلمة ، ولست أسعى أبداً إلى التفريق بين مسلم ومسلم ، أو ألعن مسلماً ، أو أكفره . ولكننا نحارب البدع والنفاق وأن يدخل الناس فى الإسلام بغية القضاء عليه وعلى أمته . لقد علمنا الرسول بوحى من الله أن نقيم وجوهنا لله ونحن حنفاء . ولكن غلام أحمد يريد منا أن نقيم القلب والوجه والسيف للإنجليز . ومن يقرأ ما كتبه غلام أحمد للإنجليز يتبين له جيداً ما كان عليه الغلام من خسة ووضاعة ودناءة زلفى . حسبنا الكتاب الذى أرسل به إلى فيكتوريا ملكة الإنجليز . إن هذا الكتاب وحده يدمغه بأنه دَعِىّ لا نبى . وقد نشره فى كتابه التبليغ تحت عنوان « ذكر الدولة البريطانية وقيصرة الهند جزاها الله عنا خير الجزاء » ومما جاء فيه عن الملكة « اللهم بارك لنا وجودها ، واحفظ ملكها من مكائد الروس ، ومما يصنعون ، قد رأينا الإحسان الكثير ، والعيش النضير ، فإن فرطنا فى جنبها ، فقد فرطنا فى جنب الله . . . . . . ومن عصاهم منا ، أو خرج عليهم ، وحاربهم فأولئك الذين اعتدوا حدود الله ، ورسوله ، وأولئك هم الجاهلون » .

خاتمة : هذا بعض ما عندكم ـ أيها القاديانى ـ وإنه لعزيز على نفسى ، أن يخدعك القاديانيون ـ وأنت فى الدانمارك ، فتظن بالإسلام ظنهم . وإنه ليسعدنى اليوم الذى أراك فيه متدبراً للقرآن ، آخذاً بهداه فاتحاً له قلبك ، متدبراً فى وعيٍ تام سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لترى كيف تكون حقيقة النبوة فى إيمانها وكبريائها النفسى العظيم الذى يستعصى على كل شائبة من ذلّ لغير الله .

أدعوك باسم الله إلى تدبر القرآن بفهمك لا بفهم قاديانى ، ولعلك ترى حقيقة

النور وبهاءه وجماله ، أنا لا أحقد عليك ، وإنما والله أحب أن أراك على طريق محمد صلى الله عليه وسلم طريق الحق والخير والكرامة . أو كان القرآن فى حاجة إلى نبى آخر يأتى به ؟ أو كان المسلمون فى حاجة بعد القرآن إلى كتاب آخر ؟ .

ثم بوعى تام أرجو أن تبين لى : الجديد الذى جاء به غلام أحمد القاديانى ؟

أولاً : أنه المسيح الموعود ، أو غير ذلك مما ادعاه .

ثانياً : بل هو الهدف كله من دعواه : وجوب الولاء للإنجليز .

ثالثاً : وهو مرتبط بما قبله : الحكم بنسخ الجهاد إلا تحت علم الإنجليز .

تدبر قليلاً بهدوء بسكينة ، وأنت غير متعصب إلا للحق ، وأنت غير ناقم منى شيئاً . تدبر جيداً وقارن بين دعوة القرآن وبين دعوة غلام أحمد . أضرع إلى الله أن يبين لك طريق الحق .

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله)

عبد الرحمن الوكيل

العلم وعدوله

« يحمل هذا العلم من كل خَلَف عُدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »

حديث شريف

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبة

س — ١ — اقترضت أربعة أشولة من القمح وبذرتها فلم تخرج الأرض غير أربعة أشولة فقط . فهل أسدد بها القرض ولا أخرج عنها زكاة أم لابد من إخراج الزكاة ؟
أحمد سراج — حلفا الجديدة

ج ١ — لا بد من إخراج الزكاة أولا قبل سداد أى دين أو قرض لقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) ذلك إذا بلغ النصاب وهو خمسة أوسق ، لقوله عليه الصلاة والسلام « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » ويقدر بمكاييلنا خمسين كيلة .

فيكون الجواب فى موضوع السؤال أنه ليس على الأربعة أشولة زكاة لا لتقديم الدين ولكن لأنها لم تبلغ النصاب.

س ١ — ما حكم الدين فى إقامة المساجد على الأضرحة ؟ .

وهل تصح الصلاة فى هذه المساجد ؟ .

وهل تصح الصلاة فى مسجد أقيم لعبادة الله ثم بعد مدة من الزمن أقيم به ضريح ؟ .

وهل تصح الصلاة فى المسجد إذا هدم الضريح ؟ .

وهل تصح الصلاة فى الزاوية التى بالمسجد الذى يوجد به ضريح لأن بينهم (حائطاً) ؟ أرجو الإفادة الواضحة وشكراً .

شعبان عبد المجيد
كفر طهرمس — جيزه

ج ١ — لا يجوز بحال من الأحوال أن يجمع بين مسجد وضريح فى الإسلام والحكم للسابق منهما ، فإذا كان المسجد قد بنى أولاً ثم أنشىء فيه الضريح وجب هدم ذلك الضريح وإزالته ونقل الرفات المقبور فيه إلى مقابر المسلمين ، ولا يجوز

أن يصلى فى ذلك المسجد ما دام الضريح باقياً ، بل يصير كمسجد الضرار الذى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه أبداً . وإذا كان المسجد هو الذى بنى على القبر وكان القبر قد اتخذ أولا وجب هدم المسجد وتبطل الصلاة فيه ويكون فاعل ذلك ملعوناً كما نصت على ذلك الأحاديث الكثيرة المتفق عليها .

والسبب فى ذلك أن المساجد يجب أن تكون خالصة لعبادة الله عز و جل وذكره كما قال تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) واتخاذ المساجد على القبور أو بناء القبور فى المساجد هو مفض إلى تعظيم أصحابها وعبادتهم ، فهو ذريعة من ذرائع الشرك ومناف لما بنيت له المساجد من إخلاص العبادة لله .

أما إذا أزيل الضريح من المسجد ولم يبق له أثر فيه جازت الصلاة فى المسجد بلا كراهة ، وكذلك إذا أزيل القبر وبنى مكانه مسجداً جازت الصلاة فيه . ففى حديث أنس أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى مكانه قبور للمشركين وخرب ونخل فنبشت قبور المشركين وأخرجت عظامهم وسويت الخرب وقطع النخل وجعل فى قبلة المسجد الخ الحديث .

والحاصل أن الإسلام قد احتاط للتوحيد أعظم الحيطة ولهذا نهى عن كل ما يفضى إلى الشرك . كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، وقد قطع عمر شجرة الرضوان لما علم أن أناساً يتحرون الصلاة عندها ، وكما نهى الدين عن إشراف القبور وصنع التماثيل وغير ذلك .

أما إذا وجدت زاوية بالمسجد الذى يوجد به ضريح ، وكانت هذه الزاوية مفصولة عن المسجد بحائط ، بحيث يمكن اعتبارها مسجداً مستقبلاً فأرجو ألا يكون فى الصلاة بها بأس والله تعالى أعلم .

س ١ — رجل جامع زوجته عند الرواح إلى صلاة الجمعة هل عليه غسل واحد أم ماذا ؟ .

س ٢ — زوجة جامعها زوجها ، وقبل أن تغتسل نزل عنها دم الحيض ، وعند انقطاع الحيض غسّلت أختها المتوفاة وجاء وقت صلاة الجمعة بعد ذلك ، هل عليها غسل واحد يكفيها أم ماذا ؟ .

أبو بكر محمد أحمد طه
القضارف — سودان

ج ١ — عليه غسل واحد يكفيه للجنابة والجمعة وعليه أن ينويهما معاً ليكتب له أجر كل منهما ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اغتسل من الجنابة يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الخ الحديث » فدل هذا على أنه إذا اغتسل يوم الجمعة من الجنابة أجزأه غسل واحد ولا يجب عليه غسل لكل منهما .

ج ٢ — كذلك يكفى المرأة غسل واحد من الجنابة والحيض إذا هى نزل عليها دم الحيض بعد الجماع وقبل الغسل فتتربص حتى ينقطع عنها دم الحيض ثم تغتسل غسلاً واحداً ، وأما إذا غسّلت أختها المتوفاة فلا يجب عليها الغسل ، وحديث « من غسّل ميتاً فليغتسل » غير صحيح . وقد ورد أن أسماء بنت عميس حين غسلت أبا بكر رضى الله عنه خرجت فسألت من بحضرتها من الصحابة فقالت لهم إنى غسلت أبا بكر وإنى صائمة ، فهل على من غسل ؟ فقالوا : لا .

وكذلك لا يجب على المرأة غسل الجمعة لأنها ليست ممن يجب عليهم شهود الجمعة . والله تعالى أعلم .

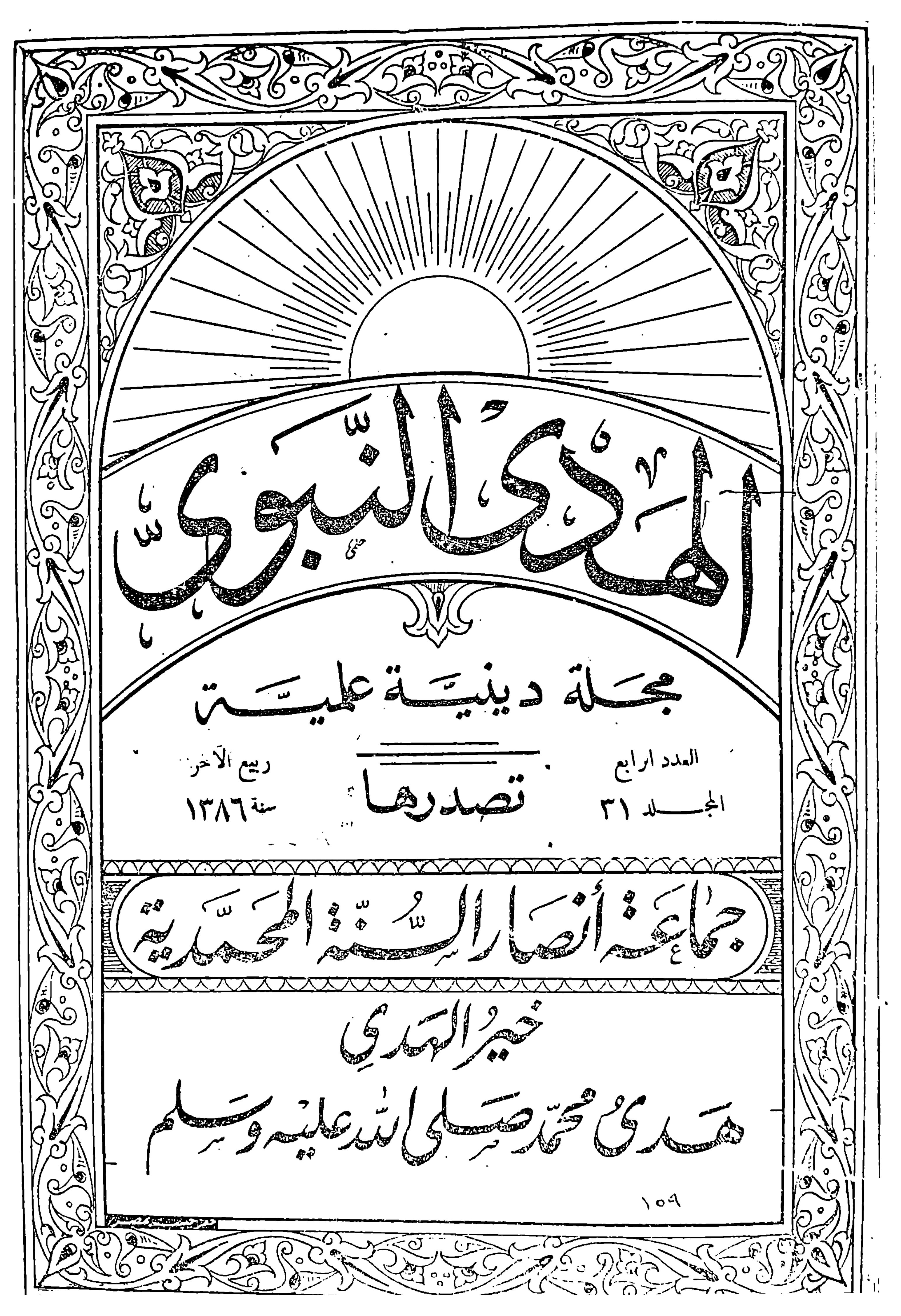
محمد خليل هراس

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الرابع
المجلد ٣١
تصدرها
ربيع الآخر
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان حسونه
الاشتراك السنوى
٤٠ قرشاً فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ٤ — ربيع الآخر سنة ١٣٨٦ — المجلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — ﴿ فَاخْتَلَفَ الأحزابُ مِنْ بينهم ، فَوَيْلٌ لِلَّذِين كَفَروا من مَشْهَدِ يومٍ عظيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ ، وأَبْصِرْ يوم يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظالمون اليوم فى ضَلالٍ مُبينٍ * وأَنْذِرْهُمْ يومَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ الأَمْرُ ، وهُمْ فى غَفْلَةٍ ، وهُمْ لا يُؤْمنون * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرضَ ومَنْ عليها ، وإلينا يُرْجَعُون ﴾ مريم : ٣٧ – ٤٠ .

« معانى المفردات »

« اختلف » الاختلاف والمخالفة : أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر فى حاله أو قوله . . . ويتمم الراغب قوله بما يأتى : ولما كان الاختلاف بين الناس فى القول قد يقتضى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة .

« الأحزاب » قال ابن فارس عن أصل الكلمة وهي « حزب » أنه يدل على تجمع الشيء ، فمن ذلك الحزبُ : الجماعة من الناس . والطائفة من كل شيء حزب . وقال الراغب : الحزب جماعة فيها غلظ .

« وَيْلٌ » في مفردات ابن الأثير . الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب . وقد يرد الويل بمعنى التعجب . ونقل الراغب عن الأصمعي : ويل : قبح . وقد يستعمل على التحسر ، وَوَيْس : استصغار ، وويح : تَرَحُّم . ومن قال : ويل : واد في جهنم ، فإنه لم يرد أن ويلا في اللغة هو موضوع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه ، فقد استحق مقرا من النار .

« مَشْهَد » الحضور ، وما يشاهَد ، والمجتمع من الناس ، ومكان الشهود ، والشهود نفسه .

« أَسْمِعْ[1] بهم وأَبْصِرْ » مجيء هذين الفعلين على هذه الصورة يدل على أن أسماعهم وأبصارهم يوم القيامة ستكون في قوة جديرة بأن يتعجب منها ؛ إذ كانوا في الدنيا صُمًّا وعُمْيانا . سيرون ما كانوا عنه عمين ، ويسمعون ما كانوا يسدون أسماعهم دونه .

« الحسرة » أصل الحسْر : كشف الملبس عما عليه . والحسرة : الغم على ما فاته والندم عليه ، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه ، أو انحسر قواه من فرط غمٍّ ، أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه .

---

(١) على وَزْنِ أَفْعِل بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر العين وهي إحدى الصيغ الموضوعة للتعجب الذي يعرفه علماء النحو بأنه « شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمراً نادراً أو لا مثيل له مجهول الحقيقة ، أو خفي السبب » . وهذا هو تعجب البشر . أما ما يسند إلى الله سبحانه . فإنه لا يمكن أن يكون مثل تعجب البشر ، إذ ليست ذاته مثل ذات أحد ، وليست صفاته كذلك مثل صفات أحد . (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

« قُضِي الأمر » القضاء : فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً . وقضى الأمر أى فصل فيه ، وهذا تنبيه إلى أنه صار بحيث لا يمكن مطلقاً تلافيه .

« غفلة » الغفلة : سَهْوٌ يعترى من قلة التحفظ والتيقظ . وعرفها ابن فارس بقوله : ترك الشيء سهواً ، وربما كان عن عمد .

« نرث » عن الراغب : الوراثة والإرث : انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد ، ولا ما يجرى مجرى العقد ، وسمى بذلك المنتقل عن الميت . وعبر ابن فارس عن معنى الميراث بقوله : هو أن يكون الشيء لقوم ، ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب .

« المعــنى »

بين سبحانه وتعالى فى آياته المحكمات بياناً هادياً شافياً أمرَ عيسى عليه السلام . وهو بيان يسجد له الفكر والقلب فى خشوع وإيمان . بيان يهدى العقلَ نوره ، ويشفى النفسَ عبيرُه .

وفى أولى هذه الآيات يبين الله سبحانه اختلاف الأحزاب فى شأن عيسى من بعده : « فاختلف الأحزاب من بينهم » الإتيان بكلمتى « من بينهم » يدل على أن الأحزاب كانت من بنى إسرائيل ، أى : كانت من اليهود ، ومن النصارى ، ويدل على أن الاختلاف أخذ بأعِنَّة أوساط القوم أو مَلَئِهم . فقومٌ بهتوه بالسوء ، ورموه بالشناعات من النقائص وهم اليهود(١) ؛ لأنه جاء يذكرهم بالتوراة التى نبذوها ، وبأنهم ليسوا شعب الله المختار ، وإنما هم من خلق الله وعبيده .

---

(١) اليهودية عين الصهيونية : أحقاد مستعرة ، وكفر دنىء خسيس ، ومقت لا تخمد له جحيم لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولعيسى ، فلا يحاولن أحد التفرقة بين يهودى وصهيونى ، فإنما تنزع الصهيونية عن يهوديتها ولهذا سموا فلسطين المغتصبة : إسرائيل . لا فرق إلا فى الاسم الذى كان مرة يهودية ، ومرة ماسونية ، ومرة صهيونية ، ومرة بهائية . وكلها أسماء لفئة واحدة تدين بمقت الله ومقت الإسلام ، ومقت العرب .

وجميل هنا أن ننقل هذه المقارنة عن كاتب إنجليزى هواه مع اليهود بالحب، ومع المسلمين بالبغضاء، حتى يتجلى لمن يقرأ أننا نتزع فى مبالغة إلى الإنصاف الذى قد يسمى إسرافاً فى العدل أو التسامح، إن جاز مثل هذا التعبير.

يقول الكاتب والمؤرخ «هـ. ج. ولز» فى كتابه الكبير «معالم تاريخ الإنسانية» ما يأتى: «كان اليهود على اقتناع بأن الله الرب الأوحد للعالم بأسره رب حق عادل (١)

---

(١) ينسب إلى اليهود أنهم موحدون غير أنهم يصفون الله بصفات لايسكن إليها حس ولا نفس: بل يشمئز منها كل ذى قلب ولب، وأنا أنبه المسلمين إلى هذا. لكى يعتصموا بالقرآن فيما وصف به الله نفسه لا بما نقل علماء الكلام والفلسفة والتصوف، فكل به مس من اليهودية ولكى يتبينوا جانباً من أخلاق اليهود، فعن تصورهم لله تنزع أخلاقهم ومعاملاتهم للناس، وإليك طائفة مما افتروه على الله: (فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال الرب. أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم) تكوين- إصحاح ٦ فقرات ٦، ٧ «وأصعد — أى نوح — محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضى، وقال الرب فى قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته؟ ولا أعود أيضاً أميت كل حى كما فعلت» تكوين - إصحاح ٨ فقرات ٢١ وما بعدها. ما أظنك تشعر إلا بإنسان حزين ضعيف الإرادة غير حكيم هو الذى يتحدث!! والعجيب أن ينسب هذا السفر إلى الله سبحانه فى إصحاحه التاسع أنه أخذ ميثاقا مع نوح وبنيه أنه لا يغرق الأرض بطوفان آخر، ومخافة أن ينسى فإنه جعل لنفسه علامة تذكره بميثاقه مع نوح وبنيه (وقال الله: هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسى فى السحاب، فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاق الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد، فلا تكون أيضاً المياه طوفانا) الإصحاح التاسع من سفر التكوين فقرات ٨ — ١٦ والقوس هو قوس قزح ذو الألوان السبعة الذى يظهر عقيب المطر مستديراً فى الافق.

وفى سفر الخروج ينسب إلى موسى قوله لربه: «ارجع عن حمو غضبك واندم على =

بَيْدَ أنهم حسبوه كذلك رَبًّا مُتَّجراً أتم مع أبيهم إبراهام « إبراهيم » صفقة هم قوامها . وهى لا جرم صفقة طيبة جداً لهم ، وهى أن يرفعهم آخر الأمر إلى مكانة السلطان فى الأرض[1] . ولشد ما كان ارتياعهم وغضبهم عند ما شهدوا يسوع «عيسى» يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات ، إذ يعلم الناس أن الله ليس من المساومين ، وأن ليس هناك شعب مختار ، وأنْ لا أحظياء فى مملكة السماء ، وأن الله هو الأب[2] المحب لكل الأحياء يشملهم كلهم برعايته على السواء ، وأنه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات عدم استطاعة الشمس على ذلك سواء بسواء ، وأن كل الرجال إخوة ، وأنهم خاطئون على السواء ، وأبناء محبوبون على السواء[3] لذلك الوالد[4]

= الشر بشعبك » إصحاح ٣٢ ، وفى نفس السفر إصحاح ٢٥ ينتسب إلى الله «ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة » وفى الإصحاح الثالث والخامس من سفر يونان « يونس » : يقول : « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم . فلم يصنعه » هذا بعض ما وصف به اليهود ربهم . فهل يستحون من شىء ؟؟ .

(١) يدين اليهود بأن مسيحهم لم يأت ، وأنه سيأتى ، وحينئذ يسيطرون على العالم أجمع ويعتقد المسيحيون أن اليهود سيزول كفرهم ويهتدون ويأتون إلى كنيسة المسيح مع جمهور الامم ، حين يعود إليهم ملك سليمان !! وينزل المسيح مرة أخرى وهكذا يلتقى الكيدان والمؤامرتان ونفهم لماذا يعين الصليبيون اليهود فى فلسطين ؟ انظر ص ٤٨٢ مرشد الطالبين الطبعة السادسة ، وقد شرحت هذا الأمر من قبل .

(٢) أعتذر عن نقل هذا . والله لا يوصف بمثل هذا الوصف فإنه لم يرد فى نص صحيح أو صريح .

(٣) ليس لله أبناء وإنما الكل خلقه وعبيده . (وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) المائدة : ١٨ .

(٤) لعل الترجمة قاصرة ، فالله لا يوصف بالوالدية والرجل لا يريد الوالدية الحقيقة وإنما يريد الربوبية . ولا يجوز مطلقا فيما يتعلق بصفات الله أن نصفه إلا بما ورد فى كتبه . وإلا بما وصفه به رسله ونقل إلينا نقلاً صحيحاً بشروطه المعتبرة عند المحققين من أرباب النقل الثابت الصحيح .

للقدس ، وإن عيسى فى ضربه للناس مثل ذلك السامرىّ الطيب قد ازدرى ذلك الليل الطبيعى الذى تخضع له نفوسنا جميعاً ، والذى ننزع به إلى تمجيد شعبنا نحن ، وإلى الحط من شأن ما لدى النِّحَل الأخرى والأجناس الأخرى من خير وبر . وهو فى المثل الذى ضربه عن العمال قد اطرح تلك الدعوى العنيدة التى يدعى بها اليهود بأن لهم ضربا من حق الرهن الأول على الله — جل جلاله — .

كذلك علم الناسَ بأن الله يخدم[1] على السواسية كل أولئك الذين يتلقاهم فى المملكة ، فليس هناك تميز فى معاملته إذ ليس لفضله وطيبه حدود . وهو فضلا عن ذلك — كما يشهد المثل الذى ضربه عن قطعة العملة الدفينة ، وكما تعززه حادثة فلس الأرملة — يطالب بأقصى الأشياء . وليس هناك أية امتيازات . . . ولا خَصْم فى الأسعار ، ولا معاذير فى مملكة السماء . . . ولم يقتصر عيسى على كيل الضربات للوطنية ولروابط الحفاظ العائلى باسم أبوة — يعنى — ربوبية — الله العامة ، وأخوة الجنس البشرى أجمع ، بل إن من الواضح أن تعاليمه كانت تَسِم بالإثم كل طبقات النظام الاقتصادى ، وكل الثروة العامة والمنافع الخاصة . فكل الرجال ينتمون إلى المملكة ، وكل ممتلكاتهم تنتمى إلى المملكة ، والحياة الصالحة البَرّة لكل الناس الحياة البَرّة الوحيدة ، إنما هى فى خدمة إرادة الله بكل ما تملك من قوة . وكان يشهِّر بالثروة الخاصة مرة بعد مرة[2] كما يذم مراراً وتكراراً كل الاحتفاظ بأية حياة خاصة » ص ٥٥٠ ج٣

وكذلك رمى اليهود أمه مريم بالبهتان الأثيم ، وما زال اليهود حتى اليوم

---

(١) تعبير لا يجوز إطلاقه على الله :

(٢) يلمح الكاتب إلى ما ورد فى (مق) منسوبا إلى عيسى وهو قوله لأحد الشباب : « اذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » إصحاح ١٩ رقم ٢٢ لكن الإسلام لا يحرم أبداً الثروات الخاصة إنما يحرم أن يكنز الانسان المال .

يحقدون على عيسى أشر الحقد ، ويرون فيه دجالا اغتصب حق مسيحهم الذى ينتظرونه ، ومما يثير الدهشة أن نرى الصليبيين فى حنو رفيق رقيق على أولئك الذين رموا مريم بما لا ترمى به إلا البغى ، ورموا عيسى بما لا يرمى به سوى الشيطان . ولا يكادون يصبرون على مرارة الحقد على محمد صلى الله عليه وسلم وأتباع دينه .

أما النصارى فاختلفوا فى شأن عيسى اختلافا بينا سنشير إلى أطراف منه ، لكنى آثرت قبل هذا أن أبين شيئاً من هدى القرآن فى شأن عيسى غير ماورد فى فى هذه السورة . وفى الآيات التى سنذكر بها إشارات إلى ما اعتقده المبطلون فى شأن عيسى عليه السلام .

غير أنى سأوجز حتى لا يخرجنى التفصيل عما نحن بصدده والله أسأل ، وإليه أضرع أن يجعلنا من الذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه . وسأكمل إن شاء الله فى العدد القادم ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد .

عبد الرحمن الوكيل

رحمة الله لجميع المخلوقات

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

رواه البخارى ومسلم

« ركن السنة »

مثل البخيل والمنفق

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ـ فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها فلا تتسع » متفق عليه .

شرح المفردات

مثل البخيل والمنفق : المثل بفتحتين معناه الحال والصفة العجيبة ، والبخيل فعيل من البخل وهو الشح وإمساك المال وعدم إنفاقه فيما يجب من أنواع البر ووجوه الخير ، وهو من صار البخل له عادة وسجية . فهو أبلغ من باخل ، يقال بخل الرجل بضم الخاء صار بخيلا .

وأما المنفق فهو اسم فاعل من الانفاق بمعنى البذل والسخاء وإهلاك المال فيما يجب وبالقدر الذى يجب .

كمثل رجلين عليهما جبتان : روى جبتان بالياء تثنية جبة ، وهى الكساء المعروف. وروى جُنتان بالنون تثنية جنة بمعنى الدرع ، وجزم بذلك بعض المحدثين أنه بالنون لا غير، ورد عليه بعضهم بأن رواية النون تصحيف وأن الرواية الصحيحة جبتان بالباء .

ولكن الحق أن رواية النون أقرب إلى المعنى المقصود فإن الدرع لا تسمى جبة بالباء بل بالنون .

من حديد : من ، لبيان الجنس والحديد هو المعدن المعروف ، والحكمة فى إيثاره على غيره قيل : للاعلام بأن القبض والشح من جبلة الإنسان وطبعه كما قال تعالى « وأحضرت الأنفس الشح » ولهذا يضاف إليه كما فى قوله سبحانه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وأما السخاء والجود فهو من فضل الله وتوفيقه يمنحه من يشاء من عباده .

من ثديهما إلى تراقيهما : من هنا لابتداء الغاية يعنى أن الجبتين ممتدتان أو كاسيتان من ثديهما « وهو بضم الثاء وكسر الدال وياء مشددة فى آخره جمع ثدى » إلى تراقيهما وقوله إلى تراقيهما جمع ترقوة بضم التاء والقاف بينهما راء ساكنة وهى العظم الذى يكون بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين وزعم بعضهم أنه خاص بالإنسان فلا يكون لغيره من أنواع الحيوان .

فأما المنفق : هذا تفصيل للتشبيه السابق وبيان حال كل من الرجلين مع جُنته وكأنه كنى بالجنة عن المال الذى يقتنى ليكون درعا واقية من نوازل الدهر وسهام المطاعن ، وبين أن الذى يحسن الانتفاع به فى تلك الوقاية هو المنفق دون البخيل .

فلا ينفق إلا سبغت : يعنى أنه لا ينفق نفقة ولا يخرج شيئاً من ماله إلا سبغت عليه جنته بمعنى امتدت وطالت ، يقال درع سابغة أى طويلة كاسية ، ومنه قوله تعالى « أن اعمل سابغات » وهو كناية عن حمايتها لعرضه ودفعها سهام البلاء عنه ، فلا تبقى لأحد من الطاعنين ثغرة ينفذ منها إليه وترد عنه من البلاء مالا يعلمه إلا الله عز وجل .

أو وفرت : أو هنا شك من الراوى ووفرت بتخفيف الفاء من الوفرة بمعنى الزيادة والكثرة وهو بمعنى سبغت .

حتى تخفى بنانه وتعفو أثره : يعنى أنها تطول من جهة كميها حتى تخفى بنانه وهى أطراف أصابعه وتطول من جهة ذيلها حتى تجر على الأرض فتغطى أثر مشيه ، فحتى هنا غاية لطول الجبة من جميع الجهات . قال الحافظ فى الفتح « والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطى الثوب الذى يجر على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه » .

وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها : هذا بيان لحال البخيل بعد بيان حال المنفق ، فهو لا يهم بنفقة ولو كانت قليلة إلا غلبه شح طبعه وكزازة نفسه فينقبض صدره من ذلك ويرجع عنه ، وكنى عن ضيق صدره بالنفقة بلصوق حلق الدرع على جسده ولزوم كل حلقة منها مكانها . وقد جاء فى رواية « إلا عضت » وفى رواية

لمسلم « إلا انقبضت » والحلقة واحدة الحلق،وهى الحديدة المستديرة المفرغة الوسط وتطلق أيضاً على كل ماهو كذلك .يقال حلقة الدرس وحلقة الذكر ويقال جلسوا حلقاً .

فهو يوسعها فلا تتسع : أى يريد توسيعها بالبذل فتشح نفسه ولا تطاوعه .

« المعنى الإجمالى للحديث »

يعتبر الإسلام بحق أرقى نظام عرفته البشرية وأكمل نموذج للتكافل الاجتماعى والتعاون المثمر بين أفراد الأمة ،فكل فرد فى الإسلام مسئول عن صالح المجموع كله، مطالب بأن يقدم له من كل مايقدر عليه من علم أو قوة أو مال ، وأن لا يعيش لخاصة نفسه ممسكا فضله عن غيره. والإسلام لا يرضى أن يبقى المال حِجْراً محجوراً تمتلىء به خزائن طائفة من الناس ، بينما لا يجد غيرهم ما يمسك الرمق ويقيم الأود ، بل يهيب بأهل الغنى والجدة أن يتعاهدوا إخوانهم المحرومين . وإن المتدبر لآيات القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد بحق أنهما لم يحفلا بشىء من أبواب الخير كما حفلا بالحث على الإنفاق والترغيب فى بذل المال فى كل الوجوه التى يحبها الله عز وجل .

فالقرآن يسمى النفقة قرضاً يقرضه العبد ربه قال تعالى من سورة البقرة « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » وقال من سورة التغابن « فاتقوا الله ما استطعم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح فأولئك هم المفلحون . إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم . عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم » .

ويجعل القرآن إيتاء المال المستحقة من أعظم خصال البر قال تعالى « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب » وقال فى وصف الأبرار من سورة الدهر « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » ويضرب المثل المنفق بمن وضع حبة فى الأرض فأخرجت له سبعمائة حبة ،بل ويعده بما هو أكثر من ذلك. قال عز وجل «مثل الذين

ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

ويجعل القرآن الإنفاق قرين الإيمان ودليلا عليه ، قال تعالى من سورة الحديد « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم ومغفرة وأجر كبير » .

إلى غير ذلك من الآيات التى لا تحصى كثرة فى بيان فضل النفقة وما أعده الله للمنفقين من كريم المثوبة وعظيم المغفرة . وفى بيان ذم البخل وتحقير أهله وما أعده من أنواع الخزى والهوان للباخلين والمانعين . وأما السنة الكريمة فقد أتت فى هذا الباب بما يكفى ويشفى ، مما فيه توضيح وتعضيد لآيات الكتاب ، وحسبك منها قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح « والصدقة برهان » فجعلها هى الدليل على صدق الإيمان وقوله فى حديث أبى هريرة المتفق عليه « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتلقاها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تصير مثل الجبل العظيم » وقوله فى حديث أبى مالك الحارث الأشعرى « وعليكم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أوثقه العدو ثم قدموه ليضرب عنقه ، فقال أنا أفتدى نفسى منكم بالقليل وبالكثير ، فافتدى نفسه منهم » .

ثم تأمل نفيه الإيمان عمن يبيت شبعان وله جار جائع ، وقوله فى الصحيح « شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع » وفى الحديث الذى معنا يضرب النبى صلى الله عليه وسلم لكل من المنفق والبخيل مثلا يصور حاله ويوضح حقيقة نفسه فيشبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعاً يتحصن بها من سهام عدوه فصبها على رأسه ليلبسها والدرع أول ما تقع على الرأس إلى الثديين إلى أن يدخل الإنسان يديه فى كميها .

فجعل المنفق كمن لبس درعاً سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه ، وقد قال بعضهم : إن هذا وعد للمتصدق بالبركة وستر العورة والصيانة من البلاء .

فإن جنة الحديد لا تعد للستر فقط بل له وللصون من الآفات ولهذا ورد الحديث أن الصدقة تدفع البلاء .

وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه فكلما أراد لبسها اجتمعت فى عنقه فلزمت ترقوته وهو معنى قوله فى بعض الروايات «قلت وانقبضت» أى تضامت واجتمعت

والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت بها نفسه وتوسعت فى الإنفاق ، وأما البخيل فإذا حدث نفسه بالصدقة وهم بها شحت بها نفسه وضاق لها صدره وانقبضت يداه ، فيكون ذلك سبباً للقدح فى عرضه والنيل من كرامته كما يكون هدفا لسهام البلاء .

فتأمل هذا المثل الرائع الذى لا يمكن أن يخرج إلا من مشكاة النبوة ، ثم انظر أى الرجلين تحب أن تكون ؟

نسأل الله سبحانه أن يقينا شح أنفسنا حتى نكون من عباده المفلحين ؟

محمد خليل هراس

التحريض على الصدقة والشفاعة

عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال :

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جاءه السائل ، أو طُلبت إليه حاجة ، قال : « اشفعوا تُؤجَروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء » .

رواه البخارى

خطاب مفتـــوح

سيادة وزير الأوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأرجو أن تـكونوا بخير .

وبعد : فقد كنت كتبت لـكم منذ أمد ليس بالطويل بعض ملحوظاتى عما ينشر فى مجلة (منبر الإسلام) عن التصوف وطامَّاته . وذلك استناداً إلى عدد من أعداد هذه المجلة .

واليوم وبعد شهور كثيرة عثرت على عدد من هذه المجلة وهو العدد رقم (١٢) لشهر ذى الحجة عام ١٣٨٥ ، فوجدت — ويا للأسف — الطامات قد تضاعفت ! ! فأحببت — حرصاً على الإسلام — أن أعيد الـكرة ، وأرسل لـكم ملحوظاتى على بعض مقالاته ، وأذكركم بهذه المناسبة بقوله تعالى : (ونـكتب ما قدَّموا وآثارهم) .

وإنه لا يخفى عليـكم موقف المتصوفة من الاستعمار والحـكام الجائرين وخضوعهم للملك فاروق ووضعهم له نسباً زائفاً ليلحقوه بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا مما لايخفى على أحد .

أما موقفهم الإجرامى من الاستعمار فسـجل فى مذكرات المستعمرين . . وإليـكم بعضها :

قال الرئيس فيليب فونداى من رجال الاستعمار الفرنسى :

« لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا فى أفريقيا إلى تنشيط الطرق الدينية الإسلامية ، لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية » (الاستعمار الفرنسى فى أفريقيا السوداء) ص ٥٢ .

وقال مؤلفو كتاب (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) تحت عنوان : « المتعاونون مع فرنسا فى الجزائر » .

« وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا فى المدارس الفرنسية (أ)وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة . يضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع ، وبثوا روح الانهزامية والسلبية فى النضال ، فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس . . . . » (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) ص ٣٧٣ .

وجاء فى كتاب (الجواهر) فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهر (ب) ج ٩ ص ١٣٧ ، ١٣٨ ما ملخصه : « (. . . ذكر الفرنساويون فى صحفهم أن رجال الطرق جميعاً يتمتعون بالعيش الهنىء فى ظلال جهل المسلمين وغفلتهم ، فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم ، فهم يكونون معنا ويشاركوننا فى جميع المغنم ، وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان ، والنسور والعقبان التى تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنموز » !!

أكتفى بهذه الأمثلة القليلة،مستصرخاً ضميركم لوضع حد لانتشار الصوفية وخاصة فى مجلة (منبر الإسلام) الذى يزداد فيها النشاط الصوفى — ويالالأسف—ونحن اليوم على وشك خوض معركة مع إسرائيل ، معركة حياة أو موت ، فما أحوجنا إلى تهيئة السبيل لهذه المعركة بنسف هؤلاء المخدرين للشعب العربى الذين يتصفون بكل حماقة ودناءة مهما تظاهروا بأثواب الصلاح

فقد جاء فى كتاب « تلبيس إبليس » للامام ابن الجوزى ، قال الشافعى « لو أن رجلا تصوف فى النهار ، لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق . وقال أيضاً . (مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً !!)

وعن الامام أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبى فقال لصاحب له : (لا أرى لك أن تجالسهم) وعن سعيد بن عمرو البردعى قال : شهدت أبا زرعة وسئل عن المحاسبى وكتبه ؟ فقال للسائل : « إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات » (تلبيس إبليس ص ٢٧٠ ، ص ١٦٦)

وقد هجر علماء مصر قديماً الصوفي (ذا النون المصرى) لما شاع خبره أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة ، وهكذا فعل أهل بسطام بأبي يزيد فأخرجوه من بلادهم . وقد كان يقول : « إنّ لى معراجاً كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج » .

يا سيادة الوزير :

إن الصوفية هى علة من أهم علل الشرق . فمتى يأتى الوقت لكشف جرائمها بأسلوب موضوع على ؟ ! .

اكتفى الآن بهذا القدر فقد بلغت !

اللهم فاشهد

وأنتقل بعد ذلك إلى العدد المشار إليه من أعداد (منبر الإسلام) لذكر بعض ما جاء فيه من الطامات ، ولو أردت الاستقصاء لاحتجت إلى وقت طويل وكلام كثير يضيق عنه وقتكم الثمين . وتقبلوا سلفاً فائق التحية والاحترام .

دمشق محمود مهدى استانبولى

مدير مدرسة التربية الاستقلالية

* * *

ملاحظات على ما جاء فى مقال « الصوفية فى إلهامهم » ص١٥ :

أولاً : العنوان ، فإنه يعمد إلى قتل كل تفكير ومحاربة كل شريعة ، وتنفير من طلب العلم ، ما دام أن هناك إلهاماً ، والصوفية لا تتقيد بالشريعة ، وتعد علماءها ، وتسميهم علماء الرسوم وعلماء الظاهر ، ويسمون أنفسهم علماء الباطن أو علماء الحقيقة ، فيوسوس لهم الشيطان أموراً يسمونها تأويلاً أو إلهاماً ، فيبتعدون عن الإسلام ويزعمون أنهم أقطاب ، ويتركون صحة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الوسوسة التى يسمونها بالإلهام والكشف ، أو عن طريق المنامات .

قال ابن عربى : « ورب حديث يكون صحيحاً من طريق رواته ، حصل لهذا للكاشف الذى عاين هذا المظهر ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث الصحيح ، فأنكره ، وقال له : لم أقله ولا حكمت به ، فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه (! !) وإن قد عمل به أهل النقل (! !) . . » (الفتوحات المكية جـ ١ ص ١٩٥) .

ثانياً : نقل الكاتب كلام الجنيد ، وقد سأله تلاميذه : « أين نطلب الرزق ؟ فقال : إن علمتم موضعه فاطلبوه (! !) قالوا : نسأل الله فيعطينا . قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه (! !) قالوا : ندخل البيت ونتوكل على الله . قال : التجربة مع الله شك وخطر . قالوا ما الحيلة ؟ ، قال : ترك الحيلة (!) ص ١٦ .

١ — إن هذا الكلام مخالف لقوله تعالى : (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) . وقول رسوله صلى الله عليه وسلم « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .
وقد حاول الكاتب تفسير كلام الجنيد بما يخالف نصه الصريح .

٢ — لقد طلب تلاميذ الجنيد منه — كما جاء فى النص — أن يسألوا الله سبحانه ، فنهاهم قائلا : « إن علمتم أنه ينساكم فذكروه » وهذا نسف لقسم كبير من الشريعة ، والدعاء عبادة كما جاء فى نص الحديث ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ، وقد وصف الله سبحانه أنبياءه فى آيات كثيرة بأنهم كانوا يدعونه ، فهل الصوفية أعلى طبقة من الأنبياء ؟! .

٣ — وقد سأل تلاميذ الجنيد أيضاً ما الحيلة ؟ ، فأجاب : « ترك الحيلة » . فهل رأينا أضر على المسلم من هذا المبدأ فى ترك التدبير والحيلة ؟ ! .

ثالثاً : قال الكاتب : « ومن أروع ما قرأت لهم من الحكم (!) قولهم : « كن كما كنت فى بطن أمك ، مُدَبَّراً غير مُدَبِّر » ! ! وقد حاول هذا الكاتب تفسير ذلك ، فجاء كلامه تحريفاً لكلامهم (ص ١٦ ع ١) .

رابعاً — نقل الكاتب كلام الراهب : « وإنما الزهد تجرد نفسك مما تملك ! » ١٧
فهل رأينا أهدم من هذا المبدأ للفرد والأمة والمجتمع ؟ ! .

خامساً — وقال الكاتب (ص ١٨ ع ٢) : « ولا يتبرم الصوفية من ضيق الرزق ، بل يرونه عطاء من الله ، ويقولون فى هذا المضمار « إذا منعك لم يمنعك من بخل ، وإنما يمنعك من رحمة » .

ولنا على هذه العبارة الملاحظة التالية :

إن الله سبحانه يمنع — فى كثير من الأحيان — الرزق عقوبة لا رحمة ، قال سبحانه : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال تعالى : (ظهر الفساد ـ أى القحط ـ فى البر والبحر[1] بما كسبت أيدى الناس)[2] وكل ذلك يدعو للمؤمن إلى إصلاح نفسه حتى ينال الرزق .

وقال جلّ شأنه : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

وغاية الصوفية من قولهم السابق هو التماوت والكسل . . . مما يؤدى إلى أسوإ النتائج على الفرد والأمة .

سادساً : نقل الكاتب أبياتاً نذكر منها :

لا تمدن اليدين للنـــاس يوماً ومدها للعبــاد بالشرك أحرى
وسؤالك العبــاد شرك خفى قد حفظناه حين ذقنا السرا (! !)

إن هذا الكلام تشريع من الصوفية مخالف للشريعة ، وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على المعطى وجعل يده خيراً من اليد السفلى ، ولم يجعل السائل مشركاً — والعياذ بالله — .

* * *

(١) البلاد الواقعة على البحر . (٢) وقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) — الهدى النبوى .

ملاحظات على مقال « الإسلام بين العقل والنقل »

أولاً : قال الكاتب : « بدأ التصوف فعلاً على صورته البسيطة مؤسساً على الكتاب والسنة (! !) . . فلوحظ على كثير من الصحابة والتابعين ميلهم إلى العبادة والتبتل والزهد ، وإعراضهم عن الدنيا ، بل خطا بعضهم فى هذا السبيل خطوات واسعة ، وبالغ فيها مبالغة واضحة ، فكان منهم من يصوم نهاره ، ويقوم ليله ، ومن يصطلى من الرمضاء ساعات من النهار ، ويشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيباً لروحه ، وفى حياة عبد الله بن عمر وبلال المؤذن وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى وأبى الدرداء كانوا على مثل ذلك » ص ١٠١ ع ١ هكذا جاءت العبارة .

ولنا على هذه العبارة ما يلى من الملاحظات :

١ — صحيح أن بوادر محاولة التصوف بدأت بالظهور فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه سرعان ما استأصلها بحزم ، وذلك معروف مشهور فى قصة الثلاثة الذين استقلوا عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بسبب ما غفر الله من ذنبه ، فعزم أحدهم أن لا يأتى النساء ، وعزم الثانى على أن يصوم ولا يفطر ، وعزم الثالث أن يقوم الليل ولا ينام . وما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بخبرهم حتى لامهم وأخبر بأنه يأتى النساء ، ويصوم ويفطر ، ويقوم الليل وينام ، ثم قال : « فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٢ — أما ما زعمه من أن بعض الصحابة وضع الحجر على بطنه فلم يكن ذلك تدريباً ولكن اضطراراً ، فلم يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين — رضوان الله عليهم — من فعل ذلك بعد حصولهم على الرخاء .

٣ — زعم الكاتب أن بعض الصحابة والتابعين كان يصطلى فى الرمضاء ساعات من النهار . إن هذا كذب وافتراء ، وفعل ذلك هو فعل المجوس ! .

٤ — زعم أن الصحابة الذين ذكرهم سابقاً نهجوا نهجاً صوفياً ، وهذا كذب أيضاً ، وقد حاول أبو الدرداء — رضى الله عنه — البعد عن النساء فنهاه أصحابه .

* * *

ثانياً : قال الكاتب : « وما كان الزهد والعبادة مقصورين على الرجال ، فإنه قد نشأ فى ذلك القرن أيضاً أمثال رابعة العدوية وجويرية ورابعة الدمشقية وغيرهن ، أولئك اللواتى طمعن فى وجه الله وأحببنه ، لا رهبة من عقابه ولا طمعاً فى ثوابه » .

إن صنع رابعة العدوية وأمثالها ليس عبادة ، بل مروقاً من الدين ، فقد وصف الله سبحانه أنبياءه أنهم كانوا يعبدونه خوفاً من ناره ورغبة فى جنته . قال سبحانه متكلماً عليهم : (إنهم كانوا يدعوننا رغباً ورهباً) فهل رابعة وغيرها أكثر عبادة من من هؤلاء الرسل ؟ ! .

إن القول بعدم الرهبة من ناره تعالى ، استخفافاً بها ، ليس هذا من عمل المؤمنين والمؤمنات ! ! .

ثالثاً : وقال الكاتب (ص ١٠١ ع ٢) « ثم يتحدث أبو يزيد البسطامى عن حال الفناء ، تلك التى هى أعلى درجات السلوك ، وهى نظرته فى التصوف تقتضى فناء الخلق فى الحق (! !) » .

هل جاء فى الإسلام فى كتاب الله تعالى أو فى سنة رسوله مثل هذا القول ؟ ! ، إذا لم يكن هذا الفناء تماوتاً ووثنية ، فما هو التماوت وما هى الوثنية ؟ ! مهما حاول المتصوفة تفسير هذا الفناء فلا يخرج عن الهراء والسخف . . .

رابعاً — ثم عدد الكاتب مؤلفات الصوفية : كمنازل السائرين إلى الله ، والرسالة القشيرية ، واللمع ، وعوارف المعارف ، وإحياء علوم الدين ، ص (١٠١ ع ٢)

وفى هذه الكتب من الطامات والمخالفات للشريعة السمحة ما لا يخفى على كل مدقق منصف . ويراجع كتاب « تلبيس إبليس » و «صيد الخاطر» لمعرفة شهادة الإمام ابن الجوزى فى هذه الكتب .

خامساً — ذكر الكاتب أن وجود الخير فى هذه الأمة إلى يوم القيامة ، ويشير بذلك إلى حديث ليس بصحيح : « الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة » وقد علمنا من حديث صحيح أن رسول الله يتبرأ مما أحدث بعض أمته من بدع وانحرافات .

***

ملاحظات على مقال عبد الرحيم القنائى :

أولا : قال الكاتب (ص ١٧٢ ع ١) : « ويمكننا الآن أن نذكر بعض الأقوال التى وردت على لسان أئمة الصوفية فى تفسير التصوف .

وأخذ بعد ذلك يذكر تعاريف التصوف من قبل الصحابة الأجلاء أمثال : الحسن بن على بن أبى طالب . وأبى موسى الأشعرى ، وأبى ذر الغفارى ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جحش ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم .

وكل هذه التعاريف كذب صارخ على هؤلاء الصحابة الكرام ، وما أكثر كذب الصوفية ! وهم — ولله الحمد — يكذب بعضهم بعضاً .

***

وجاء فى مقال الإسلام بين العقل والنقل ص (١٠١ ع ١) « .. بيد أنهم لم يسموا باسم خاص ولم ينتسبوا إلى طائفة معينة . لأنهم كانوا صحابة وتلك أشرف نسبة ، ولم تطلق كلمة « صوفية » على جماعة بعينها إلا فى القرن الثانى للهجرة ، فترى الحسن البصرى يرأس متصوفة البصرة ... »

أولا — إن هذا الكاتب بعد أن كذب كاتب مقال القنائى راح يكذب على التابعى الجليل حسن البصرى ، ويجعله إمام متصوفة البصرة !

ثانياً — قال الكاتب : (ص ١٧٤ ع ٢) قال العارف بالله مولانا قطب وقته الشيخ أحمد رضوان البغدادى فى وصف عبد الرحيم القنائى : « .. كان جامعاً بين

العلمين علم الشريعة وعلم الحقيقة — وصل إلى مقام المشاهدة[١] بعد المجاهدة . . خرق الله له العادات [٢] حتى صار هواه تبعاً لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم .

ولنا على هذه العبارة الملحوظات التالية :

١ — قوله « قطب وقته » يشير بذلك إلى الدعوة الكاذبة بوجود أقطاب وأوتاد و ... يقومون مقام الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً — ويتصرفون فى الكون !! .

٢ — زعمه كما تزعم الصوفية بوجود علم الحقيقة إلى جانب علم الشريعة — وهو مالم يقل به أحد من الصحابة ، وعلم الحقيقة هذا هو علم التصوف الذى يمت إلى الوثنية الهندية واليونانية والفارسية .

ثالثاً — قال الكاتب : « . . . ويحتفل أهل « قنا » والمحافظة بأجمعها ، ويأتى الناس من كل أنحاء الجمهورية زائرين لمقامه فى أول شعبان إلى منتصفه فى كل عام ، لإقامة حفل مولده . . . » (ص ١٧٤ ع ٢) .

مما يؤسف له أن هذا الكاتب يدعو ويحبذ إقامة الموالد حتى فى مجلة (الأوقاف) فى الوقت الذى يدعو فيها المصلحون فى الجمهورية العربية المتحدة لمحاربة هذه الموالد بسبب ما يحدث فيهامن وثنيات وفسق ودعارة . . . وهتك لحرمات الله ، ومخالفة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها شد الرحال إلى هذه القبور . وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم « لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . » الحديث .

وكم ضاعت الأموال ، وكم ضاع الشرف والعرض فى هذه الموالد !! .

***

---

(١) قوله وصل إلى مقام المشاهدة أى شاهد ربه وهذا كذب وافتراء ، فإنه صلى الله عليه وسلم نفسه لم ير ربه ، ولا يراه أحد فى الدنيا كما أشارت الآية القرآنية .

(٢) قوله خرق له الله العادات ، أى غير له النواميس الكونية فياللعجب !!

بعض ملاحظات على مقال (الإسلام والمسلمون فى يوغسلافيا) :

ليت الكاتب قابل بعض المسلمين الفارين بدينهم من يوغوسلافيا ، قبل كتابة مقاله الذى يشتم منه الثناء على حكومة يوغسلافيا وزعامتها للاسلام بواسطة داعيتها العميل المسمى بمفتى يوغوسلافيا ، لو فعل الكاتب ذلك لأرسل دمعة وزفرة على الإسلام والمسلمين فى يوغوسلافيا ! .

***

ملاحظات على مقال السيدة فاطمة النبوية[1] .

أولا — هذا المقال يثير الضغائن والخصومات ، فما أحرانا بطى هذه الحادثة المشؤومة حادثة مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما من تاريخنا وخاصة فى المدارس الابتدائية والإعدادية ، لقد كانت هذه الحادثة من أعظم العوامل فى ضعف الأمة الإسلامية ، ولعل الخليفة « يزيد » برىء من نتائجها ، وقد نصح كبار الصحابة أمثال ابن عباس ، نصحوا الحسين رضى الله عنه بعدم الذهاب إلى العراق ، فلم يصخ إليهم ، فكان ما كان .

ثانياً — لم تكتف الكاتبة بإثارة هذا الموضوع الشائك ، بل راحت تروى القصص الخرافية التى تزيد النار اشتعالا . فكان مما قالته : « قيل بأن فاطمة تخلفت فى فى المدينة ، فجاء غراب وتمرغ فى دم الحسين فى كربلاء ، وطار حتى وقع على جدار فاطمة أى فى المدينة !! فرفعت طرفها ونظرت إليه وبكت وقالت هذه الأبيات !!

هل يليق بمجلة لوزارة الأوقاف الإسلامية ذكر مثل هذه الخرافات المثيرة للأحقاد ؟!

ثالثاً — ذكرت الكاتبة الأبيات ومنها هذا البيت على لسان الغراب .

---

(١) نرجو أن يكون القارىء الكريم على ذكر من أن كل ما ينتقده الكاتب الفاضل هو مما نشرته مجلة (منبر الإسلام) — الهدى النبوى

أبكى الحسين بعـــــبرة ترضى الإله !! مع الثواب

لا أدرى فيا إذا كانت الكاتبة من الرافضة المغالين الذين يكذبون على الله تعالى بمثل هذا البيت ؟!.

رابعاً — قالت الكاتبة : « . . . وهى — أى فاطمة — مدفونة فى مسجدها بالدرب الأحمر ، وعلى المسجد المهابة والجلال . لعظم مكانتها وكراماتها » .

ولى على هذه العبارة الملاحظتان التاليتان :

١ — إنه لا دليل صحيح على قبر فاطمة ، ولا زينب ولا غيرها ، وأن قبر زينب فى مصر وفى دمشق و . . .

ولعل الحكمة الإلهية من إخفاء قبور الصحابة وخاصة آل البيت ، تهافت العامة وأمثال العامة على قبورهم ، ورغم كل ذلك راح الدساسون باختلاق قبور نسبوها إليهم كذبا وزوراً وبهتاناً ،فما أحرى مجلة الأوقاف (منبر الإسلام) بمعالجة هذا الموضوع الخطير

٢ — إن القول بوجود المهابة والجلال على قبر فاطمة وغيرها كذب صارخ ، كل ذلك نتيجة الوهم ، ولما علا أمثال هذه القبور من أقمشة وزخارف وخزعبلات هو الذى جعل العامة وأمثالهم يتخيلون هذه المهابة .

***

ملاحظات على مقال « مختارات من شعر ابن عربى فى التصوف » :

أولا — لقد كنت بعثت منذ شهور إلى مجلة (منبر الإسلام) بعض شهادات كبار علماء المسلمين من القضاة والمفكرين فى تكفير ابن عربى ، وقد ذكر الأستاذ أبو زهرة فى كتابه « ابن تيمية » قول بعضهم ، ومنهم العز بن عبد السلام فقد قال عن بن عربى : « شيخ سوء مقبوح ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً » .

ومن العلماء الذين كفروا بن عربى ، ابن هشام صاحب « المغنى » وقد كتب على نسخة من كتاب الفصوص :

هذا الذى بضلاله ضلت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير هذا فليناً عنى ، فهو كافر

فما أحرى مجلة (منبر الإسلام) إذا لم تتجاسر بالكشف عن كفر ابن عربى ، أن تتجنب الكلام عليه .

ثانياً — نقل كاتب مقال المختارات أبياتاً لابن عربى يقول فيها :

خُصصتُ بعلم لم يخص بمثله سواى من الرحمن ذى العرش والكرسى

ومعنى هذا أنه أطلع على علم لم يطلع عليه حتى الأنبياء ، فهل هناك أكفر من من هذا الكلام ، الذى جاء فى مجلة (الأوقاف الاسلامية) منبر الاسلام ؟

ترى ماهذا العلم الذى خص به ؟ وإلى القارىء نماذج منه :

١ — قال يكذب صريح القرآن : (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم) . فكل ماش ، فعلى صراط مستقيم ، فهو غير المغضوب عليهم من هذا الوجه . ولا الضالين ، فلما كان الضلال عارضاً ، فكذلك الغضب الإلهى عارضاً والمآل إلى الرحمة التى وسعت كل شى) ص ١٠٦ من الفصوص .

٢ قال ابن عربى : (ألا ترى عاداً قوم هود قالوا (هذا عارض ممطرنا) .
فظنوا خيراً بالله ، وهو عند ظن عبده به . . .) الفصوص .

٣ — استدلال ابن عربى بقوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) على أنه قدّر أن لايعبد إلا هو ، وأن عابد الصنم عابد له » الفصوص .

٤ — قال ابن عربى ! إياك أن تتقيد بعقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ماهو عليه ، فكن فى نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها ، فإن الله أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد ، فإنه يقول : (فأينما تولوا فثم وجه الله) الفصوص

وقال فى تفسير : (وخلق منها زوجها) فما نـكح سوى نفسه (!!) فهذه الصاحبة والولد ، والأمر الواحد فى العدد .. » فصوص الحـكم .

* * *

والغريب — والغريب جداً — أن أنصار الصوفية ، لما يفاجئهم المعترض بهذه الأقوال لابن عربى وغيره ، يروحون يقولون : إن لهذا الـكلام الظاهر باطنا لايدركه سوى أهله ، ثم يأخذون بالتأويل والتحريف ، وكل ذلك حاربه العلماء محاربةشديدة .

قال الإمام زين العراقى[1] : « ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول : أردت بكلامى هذا خلاف ظاهره ، ولا نؤول له كلامه ، ولا كرامة » .

وقال أبو حامد العزالى : فى أول (الإحياء) فى كتاب العلم بما حاصله :

« إن كان الـكلام ظاهراً فى الـكفر بالاتحاد ، فقتل واحد ممن يقول : أفضل من إحياء عشرة أنفس ، وإن كان فهمه مشكلا ، فلا يحل ذكره » .

وقال : « والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر » . ثم قال : « وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة !! » .

دمشق

محمود مهدى استانبولى
مدير مدرسة التربية الاستقلالية

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء إلا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلا إنمـــا من يتقى الله البطل

من لامية « ابن الوردى »

---

(١) نقلا عن كتاب (تنبيه الغبي إلى تـكفير ابن عربى) ومصرع التصوف ؟ ! .

فى رحاب السـنة

إذا كان الصحفى الكبير الأستاذ مصطفى بهجت بدوى لم يستنكف ولم ير بأساً من الاعتراف فى شجاعة بالغة بفضل الحاج إسماعيل السكرى عليه ـ الذى كان سبباً فى معرفته لدينه وتوحيد ربه والتزامه بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ـ ولم يخجل وهو فى قمة مجده من إعلان ذلك على الملأ لعامل بسيط ، ولكنه بعمله هذا صار جليل القدر ، فرحمه الله رحمة واسعة بما قدم للإسلام من خير . . وقد ألهب هذا حماسى للكتابة فى موضوعى الذى قد يكون غريباً أكثر . لقد كان الفضل فى اعتناقنا للسنة ـ أنا ووالدى ـ راجعاً إلى « برشامجى » بالسكك الحديدية ، بورش جبل الزيتون بالاسكندرية ، توفى منذ سنوات قلائل ـ كان يسمى « على بدوى » أو كما كنا نلقبه « عم على بدوى » ، كان أميًّا ـ وهذا وجه الغرابة ـ لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه كان حاد الذكاء مستنير الأفق غيوراً على دينه متحمساً له أشد التحمس رحمه الله رحمة واسعة ، ونقف هنا برهة وجيزة ؛ ولنا إليه عودة .

نشأتُ فى بيئة شاذلية تقدس الشيوخ وتشيد بهم ، وكانت تطرق سمعى منذ الطفولة الباكرة كلمات : الشاذلى ، الإخوان الشاذلية ، الحضرة ، النفحة ، حلقة الذكر ، باروكية من الشيخ » وهى طعام يهديه الشيخ إلى أتباعه حيث يُتلقى بالقبول والشوق التماساً لبركة الشيخ . . . . الخ

وكان علىّ بحكم البيئة وحداثة السن أن أسير فى نفس الطريق ونَمَوْتُ وأنا أجد من حولى الخشوع والخضوع المطلق والاستسلام التام للشيخ ، وتقبيل الأيدى والرجوع من لدن الشيخ بظهرى . وكنت استمع إلى الأساطير والأقاصيص التى ينسجها الأتباع حول معجزات وكرامات وخوارق العادات التى يقوم بها الشيخ الأكبر ، مثل : ايقاف القطار المنطلق بأقصى سرعة ، حتى تدور عجلاته على الشريط بسرعة خارقة دون أن ينطلق ، مادام الشيخ واضعاً يده عليه ، وكذا ما وجده أحد الأتباع عند ما كان

يتوضأ ، فبدلاً من أن يفتح الصنبور ، فينزل الماء نزلت عوضاً عنه خيوط من الفضة، فلما رآه الشيخ مرتاعاً قال له سأمنع عنك ذلك إلى أن ترسخ قدمك ، وقد كان . وكثير غير ذلك من الخرافات التى كانت تفتننى من قبل كما فتنت الكثير من الناس . ومن أقوالهم المأثورة التى كنت أسمعها « الكبيرة فيها زيت والصغيرة والله ما فيهاش زيت زيتها الشيخ » ولقد تعشقت الإنشاد والصوت الجميل فى الحضرة ، وساعدنى أن وجدت لدى الوالد فى مكتبته المنزلية نسختين من كتاب ضخم يسمى « قاموس الأناشيد » حوى معظم القصائد التى يتناشدها الصوفية ، فشرعت أحفظ القصائد من الكتاب ، وأصبحت بعد ذلك منشداً فى الحضرة : وكنت إذ ذاك فى نحو الثالثة عشرة من العمر ، وأضحى لى فى هذه الناحية نشاط يذكر ، حتى لقد ذكر لى بعض من انضموا إلى الشاذلية أنهم انضموا إليها إعجاباً بصوتى - وذلك بعد مرور سنوات طوال - وظللت على هذا النسق حتى بلغت الخامسة عشر تقريباً ، وكانت مكتبة الوالد المنزلية عامرة بآلاف الكتب الصوفية ، ولديه أكوام من مجلات « الإسلام، ونور الإسلام. وغيرهما ، حتى جاء عام ١٩٤٤م أو قبله بقليل، بدأت تدخل منزلنا - على يد الوالد طبعاً - كتب لها طابع غريب لم أعهده من قبل . والتى عرفت فيما بعد أنها كتب السنة ، وكان معظمها من مطبوعات الشيخ محمد منير الدمشقى رحمة الله عليه ، مثل :الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم ، طريق الهجرتين ، السنن والمبتدعات ، الإبداع للشيخ على محفوظ . . وكتب كثيرة أخرى من هذا القبيل، . وأقرأ وأسمع ابن تيمية وابن القيم الجوزية وابن رجب الحنبلى وأبا الفرج ابن الجوزى . . وبدأت اسمع من الوالد آراء تتعارض تماماً مع ما كنت اسمعه منه قبلاً ، ثم سمعت منه أيضاً للمرة الأولى اسم مجلة(الهدى النبوى) والثناء عليها . . وأخذت أسمع منه آراء مغايرة تماماً فى علماء أقدمين كانوا من قبل موضع تجلته واحترامه، مثل: الشعرانى والرفاعى والغزالى والبدوى والدسوقى والجيلانى ، وكثير جداً غيرهم تبدل رأيه فيهم تبدلاً كليًا بسبب تلك الكتب الأخيرة . .أعنى كتب السنة ، التى كشفت

عن أخطاء فى العقيدة كانت راسخة فى أذهان وقلوب الناس رسوخ الجذور الممتدة فى باطن الأرض .

ورأيت للمرة الأولى « عم على بدوى » يدخل بيتنا . ثم رأيته بعدئذ وقد انضم إليه شيخ فاضل اسمه الشيخ « عبد السلام أحمد مسلم » رحمه الله . ويتردد الاثنان على البيت ليلة بعد أخرى ؛ ويحلو النقاش ويطول ، ويمتد يد الوالد إلى مكتبته فتأتى بالكتاب تلو الكتاب ، ويطول الاستدلال والاستشهاد ، وما تكاد الجلسة أو السهرة تنقضى حتى أرى من حولى حشداً هائلاً من الكتب متناثراً فوق المقاعد والمناضد ، فيعيد الوالد كل كتاب إلى مكانه من المكتبة . . وتمر الليالى عذبة حلوة على هذا النسق البديع وكنت أحضر أكثرها مستمعاً أو قارئاً . جوٌّ جديد غيّر كل شىء فى البيت ، فتحول كل ما كان يتصل بالعقيدة رأساً على عقب ، وكثيراً ما كان الوالد يستدعينى لأريحه فى القراءة ، أو أريح الشيخ عبد السلام فأقرأ لهم بعض الوقت وهم يستمعون ويناقشون ويعلقون ، ثم يقرأ الوالد حتى يتعب ، فيقرأ الشيخ عبد السلام وهكذا . . كنا ثلاثتنا نقرأ ما عدا « عم على بدوى » الأمى صاحب الفضل الأول بعد الله فى اعتناقنا للسنة .

ومضت سنين طوال قبل أن أسأل الوالد عما كان سبباً فى اعتناقه للسنة . . ثم سألته عن ذلك فقال : جمعتنى الظروف وتعرفت بعم على بدوى ، وكنا نسمر فى المقهى القريب من المنزل ونناقش المسائل الدينية ، وكنت أستدل فى نقاشى له بأقوال مشايخ الطرق وكبار الصوفية ، فكان على بدوى ينتفض صائحاً : ــ « سبحان الله يا أخى ! ! أقول لك قال الله وقال الرسول فتقول لى يقول الشيخ فلان ؟ سبحان الله يا أخى سبحان الله . .

ملحوظة . هذا المعنى قد ضمنته بيتاً من قصيدتى « دعوة إلى الهدى » التى نشرتها الهدى النبوى فى عددها السابع من المجلد الثلاثين وفيه قلت : ــ .

أدعوك قال الله قال رسوله فتجيب شيخى ـ إنه قد قالا

وكان « عم على » يأتى معه بكتب وأدلة مفحمة وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، كما قدمت ـ فقال لى فى أحد الأيام وهو يقدم إلىَّ كتاباً :

اقرأ هذا ، قال الوالد فأخذته وقرأته فإذا بى أسلم تسليماً قاطعاً للسنة وأنبذ ما كنت أعتقده من قبل ، وأحسست بالبون الشاسع بين الحق الواضح وبين ما كنت عليه من الباطل ، ولقد كان عنوان هذا الكتاب مطولاً وغريباً . . كان اسمه « إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم من الابتداع الشائع فى القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار » طبع منير الدمشقى . إلى هنا وانتهى كلام الوالد .

وأقول : ـ ولقد أهدى لى «عم على » بعض الكتب، منها مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية مجلدة وهى ما زالت عندى إلى الآن . ولقد قرأنا بعد ذلك نحن الأربعة كتباً كثيرة : منها « حياة محمد» لهيكل والسنن والمبتدعات ،للشيخ محمد عبدالسلام رحمه الله، وكثيراً من كتب ابن القيم الشهيرة وابن تيمية وغيرها من كتب السنة . وقرأنا مناقشات القصيمى النجدى وهجومه على الشيخ يوسف الدجوى وزاهدى الكوثرى وكذلك جانباً من تفسير المنار وكتب الشيخ محمد عبده ورشيد رضا .

وهكذا رسخت السنة لدى الوالد رسوخاً متيناً لا فكاك منه . وجاء دورى ؛ ولكن كنت مفتوناً بخرافات الكرامات الصوفية وخوارق العادات التى يزعمونها فلم تتركز السنة فى أعماقى بالقدر اللازم . . وهذا بالإضافة إلى أنه مرت بى فترة طيش انقطعت فيها عن أداء الفرائض متعللا بعذر أقبح من الذنب، وهو فورة الشباب وجنونه ـ مما أدى إلى حدوث جفوة بينى وبين الوالد كنت فيها جاحداً ومخطئاً حقاً . . . إلى أن تزوجت فسعيت بعد أن استيقظ ضميرى وعدت إلى أداء الفرائض — سعيت إلى

إرضاء الله وطلب صفحه ورضاه ، فوفقنى الله إلى ذلك بحمده ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٥٦ م تقريباً .

وبحكم عودتى إلى الدين عدت أسترجع فى ذاكرتى معلوماتى الدينية الماضية ، وتأبى رحمة الله إلا أن تضع فى طريقى زميلاً فى العمل هو « هاشم محمد خليل » من أنصار السنة المحمدية . . كان النقاش قد احتدم بينه وبين زملاء العمل من أتباع الطرق والمذاهب فاستشهد بى على صحة حديث « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر » فأكدت له صحته من واقع معلوماتى السابقة . ومن هذه اللحظة بدأ النقاش بينى وبين الجميع حول أحقية السنة أو التصوف وتملكتنى الحيرة الشديدة وعشت فى صراع مدمر سنوات طوالاً وأنا حائر لا أدرى أى النهجين أرجح ، ألتفتُ فأرى كلام الصوفية المعسول ذا العذوبة التى تخلب اللب وتستهوى النفس ولم أكن أدرى كما عرفت بعدئذ أنها السم فى العسل . وكنت ألتفت فأرى كلمات السنة شديدة قوية قارعة على جانب من الصلابة ولم أكن أدرى آنئذ أنها صلابة الحق ـ وكنت استمع إلى الآيات القرآنية وهى تنذر وتحذر ، فكنت أتهم نفسى بالتقصير وبالقصور فى الفهم وأقول لنفسى : كيف لا يكون الأولياء الكبار مع الحق وهم الذين فعلوا كذا وكذا ـ لا ، لابد أننى أنا المخطىء وهم لابد على الحق ، وعاد الصراع بينى وبين الوالد من جديد حول أحقية السنة أو التصوف ، فعاد يحاول أن يثبت لى من جديد أن السنة هى الأحق والأولى ، ولكن لم أقتنع بدرجة كافية حتى يسر الله لى كتاباً كنت أراه فى مكتبة الوالد منذ سنوات وسنوات ، وما كنت أعيره انتباها وهو كتاب « تلبيس إبليس لابن الجوزى » . ووالله الذى لا إله إلا هو لم أكد أبلغ ربع صفحات الكتاب إلا وقد شرح الله صدرى للسنة شرحاً عظيماً فسلمت للسنة تسليماً مطلقاً بعد ما ثبت لدىّ بما لا يدع مجالاً للشك أن الحق فى جانب السنة . وعدت من جديد أنقب فى كتب السنة حتى تشربتها روحى وخالطت السنة لحمى ودمى ، ودعانى زميل العمل إلى المقر

الرئيسي لجماعة أنصار السنة المحمدية بمحرم بك لسماع أحد العلماء الزائرين فذهبت وسمعت وتعرفت وتعارفت وأحببت وتعشقت ، فكررت الزيارة وكثر ترددي حتى أصبحت الدار ومن فيها أحب شيء إلى نفسي . وطلبت عضوية الجماعة وخطبت بها ، وأعلنت أمام الجميع اعتناقي للسنة ، فكرهني المتصوفة وأبغضوني بغضاً لا مزيد عليه . فلم أبال ولقد عوضني الله بمحبة أنصار السنة المحمدية الموحدين خير عوض وأبدلني بعد الظلمة نوراً وبعد الجهالة والضلالة هدىً وبعد الباطل حقاً .

ولقد زاد فضل إخواني أنصار السنة عليّ إذ طلبوا إليّ أن أشترك معهم حمل أمانة الدعوة فاعتذرت بعدم الكفاءة ، فأسبغوا على المزيد من توجيهاتهم الرشيدة السديدة وجهدهم المشكور ، حتى أصبحت بفضل الله سبحانه جندياً أقف إلى جانبهم فى الميدان أدافع عن عقيدتنا عقيدة الحق بروح ووجداني وكياني ، وآخذ نصيبي من حقد الحاقدين وشتائم المخرفين وكراهية المضللين وأنا بذلك جد سعيد . وأشهد الله أنني ما شعرت بفضل الله عليّ ونعمته إلا بعد اعتناقي للسنة ، ووالله ما شعرت بطعم الصلاة إلا فى كنف أنصار السنة ، ووالله ما انشرح صدرى قط وأحسست بعظمة الإسلام إلا فى رحاب السنة وأنصار السنة ، فجزى الله السنة وأنصار السنة عنا خير الجزاء ورحم الله «عم على بدوى» وأجزل مثوبته والحمد لله رب العالمين **محمد عبد الكريم أحمد**

ياصاحب السماحة !!!(١)

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعـد :

فلقد طلعت علينا يا صاحب السماحة بمقالك فى الملحق الدينى « للجمهورية » الجمعة ٥ ربيع الأول واتخذت له عنواناً هو « إن التصوف من الإسلام . . . بل هو الإسلام نفسه » .

ولعلك تذكر ياصاحب السماحة ، جبريل عليه السلام لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ما الإسلام يا محمد . . . . ما الإيمان يا محمد . . . ما الإحسان يا محمد . . . وكيف ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أنه جبريل جاء ليعلمهم أمور دينهم .

ترى ياصاحب السماحة هل نسى جبريل عليه السلام ، أن يسأل « ما التصوف يامحمد ؟ أم أنه ليس من بين الأمور التى جاء جبريل عليه السلام ليعلمها للناس ؟ .

ودعنى أذكرك ياصاحب السماحة ، بما جاء فى كتاب إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة الصوفى وهو شىء أجمعت عليه الصوفية ولا تنكره ، جاء بالنص :

« أما واضع هذا العلم (التصوف) فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله بالوحى والإلهام فنزل جبريل أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض وأول من تكلم فيه وأظهره على بن أبى طالب وأخذه عنه الحسن البصرى » .

هذا ما يقوله أقطاب الصوفية ياصاحب السماحة ، فهل لك إلى أن تسمع ما يقوله على بن أبى طالب فى صحيح مسلم عن أبى الطفيل قال : « قلنا لعلى بن أبى طالب أخبرنا بشىء أسره إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال « ما أسر إلىّ شيئا كتمه الناس .»

فأين ياصاحب السماحة الحقيقة التى خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ؟ .

---

(١) هو شيخ مشايخ الصوفية فى مصر

وهل لك ياصاحب السماحة إلى أن تسمع مايقوله على بن أبى طالب فى صحيح البخارى عن أبى جحيفة قال : سألت علياً هل عندكم شىء من الوحى غير ما فى كتاب الله ؟ قال « لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن . . » .

فأين ياصاحب السماحة الحقيقة التى خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب ؟ .

وأنت بالخيار ياصاحب السماحة لك أن تصدق مايقوله الصوفية عن على بن أبى طالب ولك أن تصدق مايقوله على بن أبى طالب عن نفسه .

ولعلك ياصاحب السماحة لاتقتنع بصحيح البخارى ومسلم ، فاليك ما كتبه صاحب (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث) جاء فى حرف « اللام » تحت عنوان « لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصرى لبسها من على بن أبى طالب»

قال ابن دحية وابن الصلاح إنه باطل ولذا قال ابن حجر إنه ليس فى شىء من طرقها مايثبت ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة الصوفية على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحداً من أصحابه ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك . وكل مايروى فى ذلك صريحا فهو باطل . . . . » .

ويقول صاحب الكتاب :

« . . . فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من على سماعاً فضلا عن أن يلبسه الخرقة »

ولعلك تذكر ياصاحب السماحة أن كتاب الله ذكر المسلمين والمؤمنين والمحسنين والخاشعين والمنيبين والمخبتين ولم يذكر المتصوفين . وأنت تعلم قول الله تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شىء) وقوله (تبياناً لكل شىء)فهل فرط الكتاب فى الصوفية والتصوف ألم يكن الكتاب تبياناً لها ؟ .

وهل لك ياصاحب السماحة إلى أن تذكر لى حديثاً حسناً أو صحيحاً أو ضعيفاً ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة التصوف ؟ وهو المعلم الأول للإسلام . وهل

نطق بها أحد من أصحابه . . ؟ وهل نسى أصحابه أن يصنعوا لأنفسهم الطريقة الأبى بكرية والعمرية والعثمانية والعلوية والمريرية والبلالية ؟ .

لعل المراجع الدينية لا تعجبك يا صاحب السماحة ، فهل لك إلى أن ترجع إلى مراجع اللغة العربية لتعرف أصل كلمة الصوفية . لو رجعنا إلى كلمة الصفاء والصف والصفة ، وجدنا كلمة الصوفية لا تطابق فى إرجاعها إلى هذه الكلمات القياس اللغوى من الناحية اللفظية ، بقيت كلمة واحدة لعلها تطابق. .. هى الصوف ، فهل لسماحتك أن تتفضل مشكوراً فتبين لنا الصلة بين الإسلام وبين الصوف ! ! ؟ ؟

دعنى أذكرك يا صاحب السماحة بالعفن الوثنى فى صورة التوابيت التى جعلت لها الصوفية أعياداً وموالد ، وعكفت عليها وقدمت لها القرابين وطافت حولها تستنجد وتستغيث ، وداست تحت أقدامها بكل توحيد جاء به الإسلام ، ورفعت شعار الجاهلية الأولى فى صورة « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » .

وما ذكرته لك يا صاحب السماحة هو الشىء اليسير ، فقد تغاضيت عامداً عما ورد فى كتب أقطاب التصوف من إلحاد وزيغ وضلال ، لأنك سوف تسارع إلى القول بأنه مدسوس ، لأنه يعز عليك أن تجرح أقطاب التصوف وسادته وكبراءه ، ولعلك يا صاحب السماحة قد تخالف بعض أقطابك الرأى فى تسمية هذا الإلحاد شطحات .

ترى يا صاحب السماحة ، هل تصر على قولك إن التصوف هو الإسلام نفسه ، أم ترى أن الرجوع إلى الكتاب والسنة شىء أقل ما فيه أنه يجردك من المشيخة التى تربعت عليها سنين طوالا ؟ .

إنى أخشى عليك ياصاحب السماحة أن تسلك طريق ذلك الذى وجد فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يسلبه مكانته وزعامته وألقابه ومشيخته على طوائف خاصة ، فلعلك إن عدت إلى الكتاب والسنة يعطك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنما عليك إثم الطرقيين .

وإلى لقاء آخر

والسلام على من اتبع الهدى .

مصطفى عبد اللطيف درويش
رئيس مأمورية الشهر العقارى — سوهاج

حول القاديانية

أرسل لى الأستاذ « حسين محمد الزين » ويلقب نفسه بسكرتير عام رابطة الثقافة الدولية فى اسكندينافيا خطابا يؤكد لى فيه أنه مسلم . وأنه تزوج بسيدة دانماركية أسلمت هى الأخرى . وأنه يسعى إلى توحيد كلة المسلمين وأنه لهذا يتعاون مع القاديانيين فى بناء مسجد فى كوبنهاجن ، وفى سبيل ترجمة القرآن إلى الدانماركية ..

وأقول للأستاذ الفاضل تذكر قول الله سبحانه وتعالى « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون » . كيف مع هذا تتعاون مع قوم يعتقدون أن كل مسلم لا يؤمن بغلام أحمد فهو كافر ، وأن من يرفع السيف فى وجه الانجليز كافر ؟! : راجع ياحضرة السكرتير دين القاديانية لتعرف إلى أى شىء يستدرجونك ؟؟ ونحن أيضاً أنصار السنة أشد الناس إيماناً بأن القرآن هو السبب الأول فى توحيد الكلمة . كما نؤمن إيماناً وثيقاً بأن « القاديانية » منذ نشأتها وهى وليدة انجليزية صليبية هدفها وغايتها ووجودها ودينها أن يكون الصليب فوق القرآن ، وإلا ما حرم (غلامها) الجهاد فى سبيل الله ، وفرضه فى سبيل انجلترا ، وقالت مجلته إن الجنة تحت ظلال سيوف الإنجليز !! .

لا ياسيد حسين ! !

لن نستهدف توحيد كلمة المسلمين هذا الاستهداف الذى غايته خدمة أغراض الاستعمار ، والخنوع الذليل للصليبية . لأن نكون عشرة مسلمين خير من أن نكون ملايين من المنافقين ، والقاديانية سم زعاف من أدنأ نفاق عرفته الإنسانية هى والبهائية فاحذرها ياأخى إن كنت مسلما .

وفقنا الله إلى رضوانه ؟ عبد الرحمن الوكيل

* * *

وكنت قد أشرت إلى الأخ الطيب الكريم الدكتور أمين رضا فى مقال حول القاديانية . وأقول لقد كان الأخ الكريم فى رحلة علمية والتقى بالدانماركى عبد السلام مادسن . ففرح به أعظم الفرح إذ حدثه أنه مسلم ، وحين تأكد أنه قاديانى أرسل إليه هذا الخطاب الذى ننشره بعد باللغة الانجليزية . وقد تفضل الأخ الكريم فأرسل إلى نسخة منه . ثم ترجمة له بالعربية ، ننشرها فيما يلى سائلين الله أن يجعل من الدكتور أمين رضا الأستاذ المساعد بكلية طب جامعة اسكندرية جنديا من خير جنوده .

عبد الرحمن

عزيزى عبد السلام مادسن .

وبعد فيمكنك أن تطمئن إلى أن خطابك وصل للأستاذ عبد الرحمن الوكيل بسلام بعد أن ترجمته ، ويمكنك الاطلاع على الترجمة فى النسخة المرسلة رفق هذا الخطاب .

وفى الحقيقة أن الدهشة التى أصابتنى عند ما علمت أنك أحمدى كانت أكبر من دهشتى السابقة حين عرفت بأنك مسلم . لقد كان مدهشا لى حقاً أن أجد فى هذا الوسط الملحد مسلما مثلك ، كون نفسه تكويناً ثابتاً لدرجة كبيرة ، واعتنق العقيدة الإسلامية بهذه الدرجة الكبيرة فى الحرارة ، لقد أعجبت بشخصيتك حقاً . لقد شعرت بنفسى صغيراً ضعيفاً يحيا معكم فى وسط اسلامى تسهل المعيشة فيه .

وفى أية الأحوال فإننى أتساءل لماذا يقحم المسلم نفسه — بعد أن اعتنق هذه الديانة الإسلامية الحنيفة القوية النقية — بأن يختار إحدى المجموعات التى تسمى نفسها « مذهباً أو طريقة » أو تعاليم ألخ . والسبب أننى لا أعرف إلا الإسلام ولا أعرف له فروعا .

الإسلام هو ذلك الدين الذى فيه الإله المعبود هو نفسه خالق هذا العالم وربه ، هو هذا الدين الذى ينشىء علاقة مباشرة بين العباد و بين الإله من غير وسيط أياً كان ، لا يوجد قديسون يعملون كوسطاء ، لا يمكن أن يكتسب الحجر أو الحديد أو القماش

أية قوة خارقة بتأثير القديسين والأولياء ، كل نفس توزن حسب أفعالها ، والله بناء على علمه بكل ما يحدث ، فحكمه إذاً ليس مبنياً على تقارير أو توصيات أو وساطات بل على علمه

هذا هو ملخص الدين القويم . وإذا أضيف إلى تنظيم النواحي الأخلاقية والاجتماعية وغيرها من الجوانب المختلفة لحياة الإنسان ، فهو يكون أكمل طريقة للسعادة فى الدنيا والآخرة .

ومحمد نبى هذا الدين الكامل بلغ مبادىء هذه الديانة السماوية لأصحابه الذين تمكنوا من إذاعتها فى جميع أنحاء العالم ، وجميع المسلمين عندهم مايثبت أن هذا النبى أدى واجبه كاملا كرسول الله . وهذا معناه أنه لم يترك من شىء إلا وبلغه للمؤمنين جميعاً .

فإذا كان هذا هو أمر النبى العظيم فماذا يمكن لأى رجل من بعده أن يفعل إذا أراد أن يفعل شيئاً . إنه لا يمكنه أن يخترع مبادىء جديدة فليس ذلك بدين ، كما لا يمكنه أن يلغى بعض المبادىء الدينية ، لأن ذلك هو الدين ، إنه يمكنه أن يفعل شيئاً واحداً فقط ، وهو أن يقوم بدعوة الناس باتباع الدين الموجود فعلا ، وهذا واجب على كل مسلم ، وكل مسلم لا يؤدى هذا الواجب ليس مسلماً كما يجب .

فإذا استيقظ مسلم من سباته وجعل يدعو الناس لاتباع الإسلام فهل هذا كاف أن نؤسس له مذهباً ، لمجرد أنه يؤدى واجبه ، إذا كان الأمر كذلك فإن كل مسلم يجب أن يكون له مذهب منفصل ، ويا للفوضى الناشئة عن هذا المبدأ .

إذا تكلمنا عن أى من أئمة المسلمين القدامى أو المستقبلين فقد يكون معقولاً أن نحترمهم وأن ندرس آراءهم وأن نعجب بهم إذا أردنا ذلك . ولكن أن تكون لهم فرقة ، فهذا عين الخطأ فى الإسلام ، وهذا لسببين بسيطين واضحين . إنهم أولاً آدميون خطاؤون ، وفى نفس الوقت فإن تكوين « مذهب » يضطر متبعيه أن

يفعلوا كل شيء عمله الإمام ، وعلى مسئولية من يكون ذلك إذا كان الإمام أخطأ ، والله سيحاسب كلا من الإمام ومتبعيه على حدة ، ولن يتمكن أى شخص من تحمل نتيجة خطايا غيره .

لا ، إننى لا أقبل أن أتبع أى فرقة سابقة أو لاحقة ، لأنه لا توجد ديانات فرعية فى الإسلام . أنا مسلم فقط ، لست شافعياً ولا حنفياً ولا مالكياً ولاحنبلياً ولا أحمدياً « وشتان شتان ما بين الأخير وبين السابقين » .

إننى لا أريد أن أدخل فى تفاصيل رسالتك ، لأنه لا محل للدخول فى تفاصيل مذهب ما ، إذا كان تكوين المذهب لا محل له فى الإسلام قط .

ولكننى أريد أن أوضح لكم أن الأحمديين لا يجوز لهم أن يهتموا باتهام المسلمين لهم أنهم كفار ، فإذا كان الأحمديون يشعرون أنهم على الطريق المستقيم الصحيح فلماذا يعبأون بحكم غيرهم من العباد . إن حكم الله وحده هو الذى يجب أن تعبأوا به ، وعلاوة على ذلك ألا يعتبر الأحمديون غيرهم من المسلمين كفاراً .

أظن أنه من الأوفق أن نتوقف عند هذا الحد ، كل تعليق أكثر مما جاء فى هذا الخطاب لا يمكن أن يكون له نتيجة ، يمكننا أن نناقش أشياء كثيرة ولكن لا يمكن أن يغير كل من الصديقين وجهته ولا عقيدته .

الدكتور أمين رضا

وسؤال صريح أوجهه إلى عبد السلام مادسن :

ما حكم من عاش ومات متبعاً للقرآن والسنة ، مطبقاً لأحكامهما فى دينه ودنياه غير أنه لا يؤمن بغلام أحمد ؟ أرجو أن يكون الجواب صريحاً .

عبد الرحمن الوكيل

ملحوظة : حكم ابن غلام أحمد بالكفر وبالميتة الجاهلية ، لمثل هذا الشخص حتى لو لم يكن قد سمع باسم غلام أحمد وبالتالى لم يؤمن به لأنه لم يسمع به .

سؤاله . لبقاً فى استفساره . فقد أراد أن يستدرج قومه إلى مجادلته . ويجرهم إلى محاورته ليحملهم على الإقرار . بما يتعلقون به من سفه الاعتقاد . وباطل التدين . وكأنه يريد أن يحصر دائرة الجدل . ويُضيِّق شقة الخلاف فى عبارات لا تستغرق وقتاً طويلا ، ثم يُحسم النزاع . فإذا ما تبين لهم بطلال مايعتقدون ألزمهم الحجة فلا يجدون مناصاً بعد ذلك من اتباعه فى دينه أو مفراً من طاعته .

سألهم إبراهيم أسئلة تتمثل فى الآتى : ماذا تعبدون ؟ ماهذه التماثيل التى تصنعونها بأيديكم ثم تعكفون على عبادتها ؟ فيضطرهم واقع حالهم إلى أن ينطقوا بالحقيقة : إنها أصنام نقيم على عبادتها ودعائها .

ويعود إبراهيم فيسألهم بعبارات تفحمهم . وتبين زيف آرائهم : هل لها آذان تسمع بها حين تتوجهون اليها بالدعاء والسؤال لينفعوكم ؟ هل لها أعين تبصر بها عندما تهرعون إلى ساحتهم بالشكوى والضراعة . فيزيلون مابكم من ضر .

الحقيقة أنها لا تسمع دعاءهم ، ولا تبصر ذواتهم حتى تلبى طلباتهم .

تقليد الآباء : وعلى ضوء هذه الحقيقة . المؤسفة يجيب المعاندون المشركون بنفى ما ادَّعوه من أن أصنامهم تنفع وتضر . ولكنهم يقرون بمجاراة أسلافهم فيما كانوا يفعلونه من عبادة الأصنام . وتأليه المخلوق : لقد وجدنا آباءنا قائمين على عبادة هذه الأوثان وسؤالها وتقديسها . والتمرغ على أعتابها . وتقديم القرابين لها . . هكذا أعلنوا فى عبارة واهنة . وكلمة واهية . فقد جعلوا مادرج عليه أسلافهم من الباطل دليلا على إقبالهم على الشرك . وإعراضهم عن التوحيد .. فما أوهن مانطقوا به .. وما أقبح التقليد وعاقبته ! ! !

وإلى القارىء ما سجله القرآن عن هذه المجادلة (واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون . قالوا : نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال : هل يسمعونكم

إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) الآية ٦٩ ، ٧٤ : الشعراء .

إبراهيم يتحدى الأصنام : وعند ما سمع إبراهيم ـ عليه السلام ـ مقالتهم الواهية المتداعية تبريراً لعبادة أصنامهم ، واجههم بحقيقة أخرى ليقنعهم بأن هذه الأصنام حقيرة الشأن . ولا تساوى ما وضعوه عليها من هالة التقدير والتقديس . فهو يقول لهم ، كما حكى القرآن الكريم (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) الآيات ٧٥ ، ٧٧ : الشعراء . ثم أظهر لهم أن الله وحده هو صاحب الفضل فى نعمة الهداية والإطعام والرزق بما سخر له من أسباب . ونعمة الشفاء حين المرض . وأنه وحده الذى يقبضه اليه ثم يحييه . وبيده وحده غفران الذنوب فى الدنيا والآخرة . . أظهر لهم إبراهيم كل ذلك ليدلل على أثر فضل الله عليه وعلى الناس جميعاً . وليثبت لهم الفرق الواضح بين ربه — الذى بيده زمام كل شىء فى الوجود ، والذى يعبده هو ويدعوهم إلى عبادته وبين ما يعبدون هم من أصنام صماء لا تغنى عنهم شيئاً . بل وأعجز من أن تحقق لهم رجاءاً أو تجيب لهم طلباً . وفى هذا يقول الله على لسان خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال :(أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين[1] الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) الآيات ٨٢ ، ٨٥ : الشعراء .

إبراهيم يتلطف مع أبيه : لم يبادر إبراهيم — عليه السلام — بتسفيه معبودات

---

(١) لزم تكرار هذه الثلاث آيات لان المقام هنا يتطلب أن يقف القارىء على بداية خطاب إبراهيم (عليه السلام) لقومه .

أبيه لكى لايشعر بالنفور . فيتهمه بالعقوق . بل خاطبه بأدب البنوة الرحيمة . ومراعاة حقوق الأبوة فرتب الكلام معه فى لين وأدب جميل . : بدأ حديثه معه بذكر بنوته له ليحرك فى قلبه عطفه ومن نفسه حبه . ثم سأله عما يجعله يتشبث بعبادة الأصنام . ويدعو إلى الحرص على دعائها بينما هى لاتسمع رجاء طالب . أو ثناء مادح شاكر . ولا تملك أن تنفعه أو تضره بشىء .

ثم خشى إبراهيم أن يستصغره أبوه . أو يمتهن رأيه . ويسفه فكره ، فقال له ما معناه : يا أبت إنه وإن كنت أنا ولدك . ولم أشارف سنك . إلا إنه قد جاءنى من العلم مالم تعلمه أنت ولا جاءك . فلا تتخلف عن متابعتى . ولا تستكبر عن مسايرتى . ففى اتباعك لخطواتى . وسلوكك سبيلى هداية لك إلى الصراط المستقيم . والطريق القويم . ومنجاة لك من غضب الله ، ثم رجاه وهو يواصل مخاطبته — باسم البنوة الرحيمة الحانية أن يبتعد عن طريق الأوثان ، وأن يكف عن عبادة الشيطان،والانقياد لما يزينه له من باطل القول وسىء العمل ، فانه عدو لايرشد إلى خير . ولا يبتغى إلا إيقاع الناس فى الشر وإهلاكهم . فقد عصى ربه فطرده وأبعده عن رحمته . فتوعد الناس بالإغواء والضلالة . فلا تتبعه ، .. ثم أبان إبراهيم لأبيه — مخوفاً منذراً — ماينتظره من سوء العاقبة وشر المصير باعراضه عن طريق الله واتخاذه الشيطان ولياً له ونصيراً من دون الله تعالى .

لكن أباه آزر كبر عليه أن يتابع ابنه ، وأصر على عناده . وصمم على كفره . وتجاهل بنوته وأنكر إشفاقه به ، ونصحه له .. وبفظاظة العناد والغطرسة ، وغلظة الكفر والجحود ، أقبل آزر على ابنه إبراهيم بوجه متجهم ، وخاطبه فى تعجب واحتقار ان كنت راغباً يا إبراهيم عن آلهتى ، كارهاً لها . حاقداً عليها ، فارجع عن سبها وعيبها انك إن لم تكف عن هذا وتثوب إلى رشدك ، لأرجمنك بالحجارة ، فابتعد يا إبراهيم نى واحذر سخطى ، وتجنب اثارة غضبى واهجرنى قبل أن يصيبك شىء من عقوبتى .

فلن تجد فى قلبي بعد الآن بقية من عطف ، أو أثارة من حب وإحسان .

ورغم كل ما بدا من آزر من إصرار وعناد وتجهم ، فقد قابل إبراهيم تهديد أبيه بصدر رحب ، بنفس مطمئنة . . ثم نجده — يجيبه بما يعبر عن بر البنوة الحانية ، وأنه سيسأل الله له الهداية والغفران من ذنبه ، وأنه سيعتزله وقومه ، ويتبرأ منهم ، ويتجنب معبوداتهم التى أحبوها من دون الله ، ويتجه إلى ربه وخالقه وحده بالدعاء والعبادة الخالصة التى لا تخالطها شوائب شرك لئلا يكون مظاهراً لهم على الكفر ، مشايعاً لهم فى الباطل ، ثم ودّع أباه وهو حزين الفؤاد ، كسير الخاطر ، كاسف البال على دعوته التى لم تجد عند أبيه أذناً مصغية ولا قلباً ملبياً .

إبراهيم يحطم الأصنام : كان قوم إبراهيم قد اعتادوا أن يقيموا عيداً لهم كل عام خارج المدينة ، فيقضون هناك أياماً بعد أن يضعوا الأطعمة فى بيت العبادة لتباركها الآلهة ، وتفيض عليها الخير — بزعمهم — حتى إذا رجعوا مغتبطين من عيدهم أكلوه مباركا .

ولما حان وقت العيد وهموا بالخروج إليه طلب آزر وقومه من ابرهيم أن يرافقهم فى الخروج إلى عيدهم ليشاركهم أفراحهم فأبى أن يصحبهم متظاهراً بالمرض - وما كان معلولاً ولا به مرض - ولكنه كان عليل النفس ؛ ، حزين الفؤاد على إشراك قومه ، وإصرارهم على عبادة آلهتهم ، وعدم الانصياع إلى دعوته ، فتركوه لعلته وانصرفوا .

« للبحث بقية »

سعد صادق محمد

من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون . إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ـ الآيات ٥٤/٥٦ : هود)

وبينما هود يدعو إلى الحق والقوم معرضون لاهون لحوا سحابا أسود يعترض السماء فخفوا سراعاً إلى رؤيته . إذ ظنوه سحابا عارضاً[1] سيمطرهم فتهيأوا لاستقباله . وأعدوا حقولهم لنزول غيثه لكن هود نبههم إلى حقيقة الأمر وقال لهم : ليس هذا سحاباً يحمل بشائر خير كما تتوهمون . وإنما هو ريح بين ذراتها العذاب الذى استعجلتم به . وقد بين القرآن هذا : (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا . بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) ـ الآية ١٤ : الأحقاف .

وبينما هم فى فرح مما حسبوه خيراً إذا بهم يرون رجالهم ودوابهم التى فى الصحراء تحملها الرياح على أجنحتها القوية . وتقذف بها إلى مكان بعيد . فاحتواهم الفزع وداخلهم الهلع . وهرعوا إلى بيوتهم يغلقونها آملين أن تنجيهم . لكن سرعان ما تبدد أملهم . إذ حملت الرياح الديار بمن فيها . وألقت بها فى أماكن متفرقة . وظلت حالهم على هذا سبع ليال وثمانية أيام حتى أصبح القوم بعدها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فعفا ظلهم . واختفى خبرهم . وفى شأن هذه الريح نزل قوله تعالى (تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين) الآية : الأحقاف . وقوله تعالى (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرعاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما . فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية) الآيات ٦/٨ : الحاقة .

أما هود وصحبه المؤمنون به فقد كانت الرياح تمر أمامهم . وتسفى الرمال . وتقذف بأعدائهم وتهلكهم . وهم آمنون مطمئنون . . ثم هدأت الريح . وصفت الحال . ونجاهم الله منها . واستقر بهم المقام حيث أقاموا . ويقال إنهم انتقلوا إلى حضرموت . وأمضوا هنالك البقية الباقية من حياتهم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ) الآية ٥٨ : هود .

سعد صادق محمد

(١) العارض : السحاب الممطر يعترض فى الأفق .

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبة

س ١ — أمرنا الله أن نصلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — فكيف نصلى عليه ، وما مقدار العدد الذى نصلى عليه به ؟ وهل ورد فى الشرع عدد معين عن ذكر الله فى اليوم الواحد . غير الثلاثة والثلاثين التى هى : سبحان الله والحمد لله والله أكبر ؟

س ٢ — بعض الناس يحددون الذكر بعدد مثلا : من قال لا إله إلا الله ألف مرة أو قال الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ألف مرة وجد كذا وكذا أو حرم جسده على النار . فهل أشار الرسول إلى شىء من ذلك ؟ .

س ٣ — هل قال الرسول صلى الله عليه وسلم بأن فى الإسلام بدعة حسنة ، أو أشار إليها ، وإذا لم يقر الرسول البدعة الحسنة فما الحكم فيمن يقول إن فى الإسلام بدعة حسنه : مثل كتابة المصحف والتنبيه الذى قبل الأذان للصلاة ، وصلاة التراويح واستعمال السبحة ؟

س ٤ — إذا سأل زيد من الناس : ما الدليل على وجود الله ، فقال : وجود السموات والأرض وهذا يكفى دليلا على وجود الله ، ويعتبر أنه عرف الله معرفة صحيحة . فما الدليل الكافى شرعاً ؟ .

س٥ — هل يصح شرعاً أن يكلم الرجل امرأة أجنبية خارج منزلها لأنه يريد الزواج منها ؟

س ٦ — رجل قتل زيداً من الناس فجاء أخو زيد هذا وقتل قاتل أخيه ، فهل عليه إثم أو فدية . لعدم وجود من ينفذ حكم الله فيه ؟ .

س ٧ — أراد أحد الناس الحج وسافر من بلده ولكن الدولة الحاكمة منعته : فهل إذا مات فى تلك السنة يعتبر حاجا وله ثواب حجه أم لا ؟ .

عمر الحاج قسم الله — النهود سودان

ج ١ — وردت فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيغ متعددة وكلها صحيحة فيجوز الصلاة عليه بأية واحدة منها ، ونحن نذكر هنا بعض هذه الصيغ بأدلتها .

١ — عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال « لقينى كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ؟ إن النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمنا الله كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك ؟ . فقال قولوا « اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وهذا الحديث أخرجه البخارى فى غير موضع بألفاظ مختلفة ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه .

ج ٢ — روى مالك فى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن أبيه عن عمر ابن سليم الزرقى أنه قال أخبرنى أبو حميد الساعدى أنهم قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك ؟ فقال قولوا اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

ج ٣ — وروى مالك أيضاً عن نعيم بن عبد الله المجمر عن محمد بن عبد الله بن زيد أنه أخبره عن أبى مسعود الأنصارى أنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال « قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد » .

وأما القدر الذى يجب فى الصلاة عليه كل يوم فمن قال بوجوب الصلاة عليه بعد التشهد الأخير كما ذهب إليه الشافعى وأحمد واسحق وابن المواز واختاره الطحاوى من الحنفية وأبو بكر بن العربى من المالكية ،واحتج له الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه « جلاء الأفهام » وكذا اختاره الشوكانى فى شرحه للمنتقى وقال : وإليه ذهب عمر وابنه عبد الله وابن مسعود وجابر بن زيد والشعبى ومحمد بن كعب القرظى وغير هؤلاء ، فعلى هذا الرأى ، وهو الصحيح المعول عليه إن شاء الله : تجب الصلاة عليه سبع عشرة مرة كل يوم وليلة وفيما عدا هذا فالصلاة عليه من أفضل القربات وهى مستحبة بل سنة مؤكدة عقب الأذان وكلما ذكر اسمه أو كتب . وفى الحديث « من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا » .

ج ٢ — وأما الأذكار التى وردت فى الشرع محددة بعدد فهى التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وقولك بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، عشر مرات » وقولك بعدهما « رب أجرنى من النار سبع مرات » وقولك إذا أصبحت وإذا أمسيت « سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، إلى غير ذلك » .

والقاعدة فى هذا أنه إذا ورد الذكر فى الشرع محدداً بعدد وجبت مراعاة ذلك والاقتصار على العدد الذى حدده ، وليس لأحد بعد ذلك أن يحدد من عنده شيئاً من الذكر ولا من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يفعله شيوخ الصوفية مع مريديهم ويسمونها الوظائف ، فكل ذلك بدع محدثة وهى ضلالة فى النار .

ج ٣ — وأما من زعم أن هناك بدعة حسنة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك أو أشار إليه فهو كاذب عليه ، كيف وهو القائل « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وإنما قال عليه السلام « من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجور الناس شيئاً ، ومن سن سنة سيئة كان عليه إثمها وإثم من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً » .

والمراد بالسنة هنا الطريقة من طرق الخير أو الشر التي يقتدى به فيها ، كما يشهد لذلك سبب الحديث ، فقد ورد أن جماعة من مضر جاءوا وعليهم ثياب النمار ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على الصدقة ورغب فيها ، فذهب رجل من الأنصار فأتى بصرة كاد يعجز عن حملها أو قد عجز ، فوضعها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فسر بذلك وتتابع الناس ، حتى وجد كومان من ثياب وطعام ، فقال النبى عليه السلام هذا الحديث ، وليس المراد بذلك البدعة فى العبادة أصلا فإن الله إنما يعبد بما شرع ولا يعبد بالأهواء والبدع .

وأما كتابة المصحف فهو ليس ببدعة بل هو قيام بما أوجبه الله عز وجل علينا من حفظ القرآن وصيانته عن التحريف والتبديل الذى وقع للكتب السابقة ، وكان الرسول عليه السلام يأمر بكتابة كل ما نزل عليه من القرآن ، وكذلك جعل علامة لتدل على قبلة الصلاة أو اتخاذ السبح لضبط عدد الأذكار هو من هذا القبيل .

وأما صلاة التراويح فى جماعة فقد روى البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قام يصلى من الليل فى رمضان فصلى بصلاته أناس ، وأنه فعل ذلك ليلتين أو ثلاثا فلما رآهم كثروا نام ولم يخرج إليهم ، ثم قال لهم « إنه لم يخف علىَّ صنيعكم منذ الليلة ولكنى خشيت أن تفرض عليكم » .

ومعنى هذا أن الذى منعه من مداومة الصلاة بأصحابه هو خوفه من أن تفرض عليهم ، لأن الوحى كان لا يزال ينزل ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم زال ذلك المانع وجاز العود إلى صلاتها جماعة ، فهذا أمر له أصل فى السنة .

ج ٤ — نعم من استدل على وجود الله ووحدانيته وعلمه وحياته وقدرته ورحمته وحكمته وغير ذلك من صفاته بما يشاهد فى السموات وفى الأرض من عجائب الخلقة وبدائع الصنعة ، فإن هذا يكفيه دليلا ويعتبر أنه قد عرف الله معرفة صحيحة فإن هذه هى الطريقة التى أرشد إليها القرآن الكريم ، فهو فى معظم سوره لا سيما المكى منها ، يدعو إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ويسوق الحجج والبراهين من هذه المكونات

التي يشاهدها الناس في الآفاق وفي أنفسهم ، ولعل أجمع آية لذلك قوله تعالى من سورة البقرة « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » وأما الأدلة التي يذكرها علماء الكلام في كتبهم فإنها لا تحصل الإيمان، بل تفسد الإيمان وهي أدلة لا شرعية ولا عقلية، فإن القرآن الكريم لم يرشد إليها ولا نبه عليها وهي مع ذلك لا تتسق مع الفطرة السليمة ولا تتفق مع العقول المستقيمة . وأما أدلة القرآن فهي أشفى وأهدى وهي تلائم جميع العقول فلا يصعب فهمها على أحد ومن ابتغى الهدى في غيرها فلن يجد .

جـ ٥ — يجوز للرجل إذا رغب في الزواج من امرأة أن يفاتحها في ذلك حيث لقيها ، كما يجوز له أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينهما كما ورد الحديث ، ولكن الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل ، فإن كانت بكرا فعليه أن يخطبها من وليها ، وهو من بيده عقدة النكاح مثل أبيها أو أخيها، وعلى وليها أن يستأذنها في ذلك قبل إبرام العقد ، فإن أبت فليس له أن يكرهها على التزوج ممن لا ترضاه ، وإن كانت ثيبا بأن كانت مطلقة أو مات عنها زوجها وانقضت عدتها فهي أحق بنفسها ولها أن تتزوج ممن ترضاه ولا يتوقف ذلك على ولي . وأما إن كانت في عدة الوفاة فلا يجوز له التصريح بالخطبة ولكن يعرض برغبته في الزواج منها كما قال تعالى (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) والقول المعروف أن يقول لها مثلاً إنك على الكريمة وإني فيك لراغب وإن الله لسائق إليك خيراً ونحو ذلك .

جـ ٦ — القصاص حق ولي الدم فمن قتل له قتيل فهو بالخيار إما أن يعفو وإما أن

يرضى بالدية . وإما أن يطلب القصاص فإن أصر على القصاص فليس للحاكم أن يجبره على العفو أو الرضى بالدية ، إلا أن يكون أولياء الدم جماعة فعفا بعضهم أو رضى بالدية فيسقط حق الباقين فى القصاص ، فإذا قامت البينة على أن فلاناً هو قاتل أبيه ولم يأخذ له ولى الأمر بحقه فى القصاص . جاز له أن يأخذ حقه بيده بشرط أن لا يقتل أكثر من القاتل كما قال تعالى (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » والله أعلم .

ج ٧ — إذا خرج من بلده يريد الحج فأحصر بمرض أو نحوه ثم مات من سنته فقد سقطت عنه المطالبة بالفريضة ووقع أجره على الله كما قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما) ولعل هذا هو أحد المواضع التى يثاب فيها العبد بالنية بلا عمل . والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

من هداية القــــرآن

قال الله تعالى :

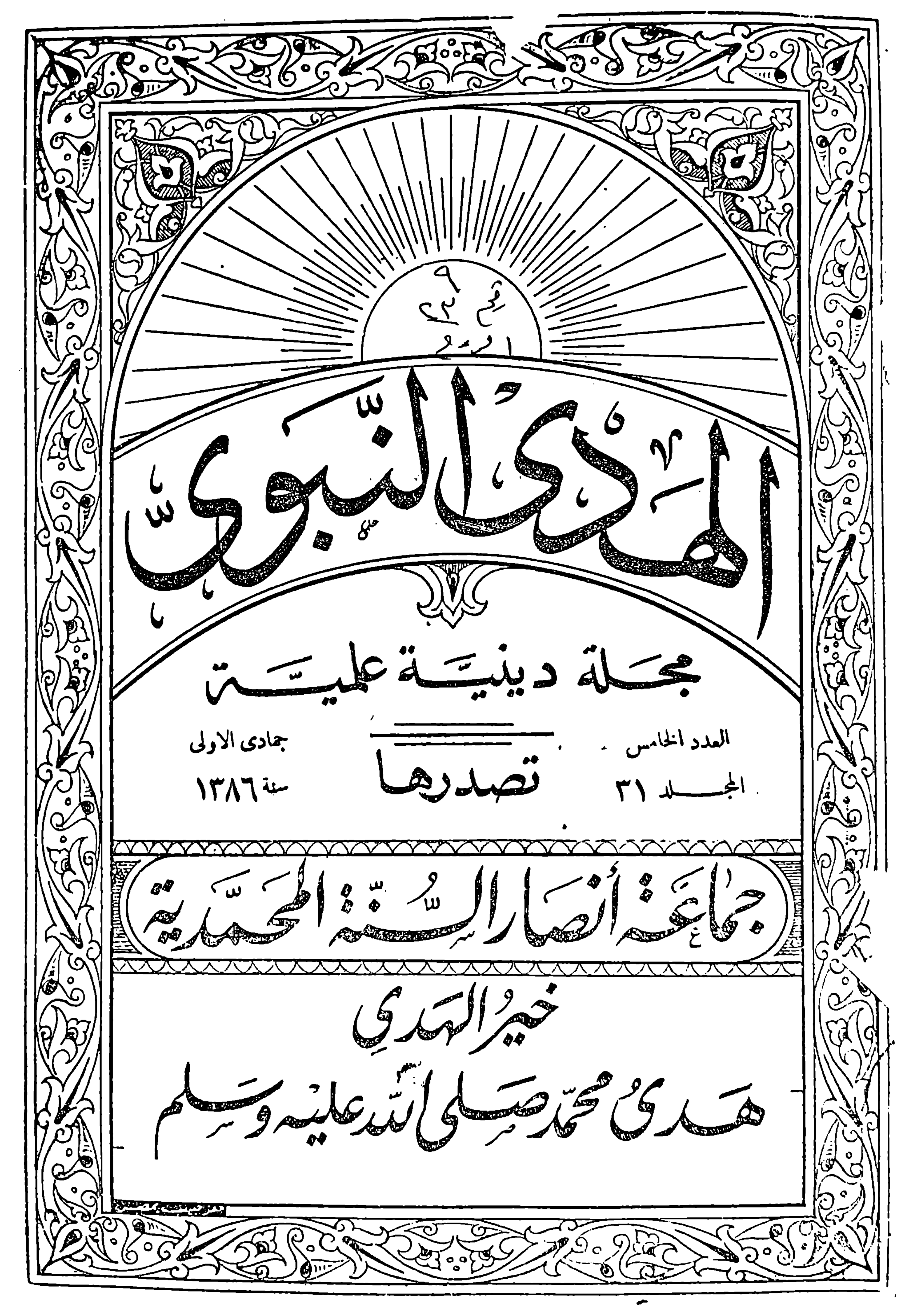
(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يُرىٰ يُجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهىٰ . وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى . وأن عليه النشأة الأُخرى . وأنه هو أغنى وأقنى . وأنه هو رب الشِّعرى وأنه أهلك عاداً الأولى . وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبلُ إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوىٰ فغشاها ما غشىّ . فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الأولى . أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة . أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ؟ فاسجدوا لله واعبدوا) .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الخامس
المجلد ٣١
تصدرها
جمادى الاولى
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان حسونه

الاشتراك السنوى
٤٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ المجـلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْـزابُ مِنْ بينهم ، فَوَيْلٌ لِلَّذين كَفَروا من مَشْـهَدِ يومٍ عظيمٍ * أَسْمِـعْ بِهِمْ ، وأَبْصِرْ يوم يَأْتُونَنَا لَـكِنِ الظالمون اليوم فى ضَلالٍ مُبينٍ * وأَنْذِرْهُمْ يومَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ، وهُمْ فى غَفْلَةٍ ، وهُمْ لا يُؤْمنون . إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرضَ ومَنْ عليهـا ، وإلينا يُرْجَعُون ﴾ مريم : ٣٧ ـ ٤٠ .

المعـــنى

فى العدد السابق تـكلمنا عن معانى المفردات ، وذكرت من رأى اليهود فى عيسى وما افتروه عليه ، ونُذَكِّر هنا ببعض ما ورد فى القرآن عن عيسى عليه السلام ، ليكون عندنا ما قاله القرآن ، وما افتراه اليهود ، وما غالى به النصارى .

من هدى القرآن فى شأن عيسى :

مثل عيسى مثل آدم : بين الله سبحانه فى هذه السورة التى أفسر آياتها قصة خلق عيسى . والذى بينه الله سبحانه هو من دلائل عظمة قدرته التى لا يعجزها شىء ، لأنها تخلق بكلمة « كن » ولقد سوّل الشيطان لمن لا يجعلون للعقل الصحيح قيمة ولا للتفكير السليم مقداراً ، لمن تأخذ بعواطفهم لمسة من خيال ، وهمسة من كلمة ، ولكنه الخيال الذى لا يلتقى بحقيقة ، والكلمة التى لا تدور فى فلك الحق . سول الشيطان لهؤلاء عبادة الظن والهوى ، فنسبوا إلى عيسى — لأنه ولد من غير أب — أنه الله أو ابن الله ! ! .

وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فرد الله عليهم بقوله سبحانه : (إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدمَ خلقه من ترابٍ ، ثم قال له كن ، فيكون) ٥٩ : آل عمران .

والذين يدينون بربوبية عيسى وألوهيته ، لأنه خلق من غير أب . يدينون بأن له أمًّا هى مريم ، وبأنه من نسل داود ، وداود من آدم ، وآدم من تراب .

أفيعجز الذى خلق آدم من تراب ، أن يخلق عيسى من حياةٍ هى أم طيبة طهور ؟ لم يكن لآدم أم ولم يكن له أب . أما عيسى فله أم نفخ فيها الملَك من روح الله . فكيف يجوز عند العقل أن يكون خَلْق عيسى أروع من خلق آدم ؟ .

غلو أهل الكتاب والرد عليه : سيأتى بعد — إن شاء الله — بيان أن الذى أفسد دين الإسلام الذى أرسل به عيسى إنما هو بولس اليهودى الشيطان الذى استطاع أن يطفىء حقده على الإسلام ، بإفساد أهله عليه فى زمن عيسى ، وأحب أن أحذر مرة أخرى غير كثير من المرات السابقة ، من أن نزعم أن الله أرسل عيسى بالمسيحية ، وموسى باليهودية أو الموسوية . فإننا بهذا الزعم الخاطىء المخطىء ونهتف للضلالة ، ونسجد للحماقة الحقود ، والباطل الزنيم . فالمسيحية تدين بربوبية عبد ، واليهودية دين ضلالة وحقد : فلننته عن التعبير بهذا .

أولا : لأن الله سبحانه — كما بينت من قبل — أكد لنا فى القرآن فى عديد من الآيات أنه لم يرسل نبياً إلا بالإسلام ، وأنه ما نزل للبشر ديناً غير دين الإسلام ، وهـذا أهم الأدلة ، بل هو الدليل الذى لا دليل مثله ، ولا قبله ولا بعده ، غير أنى أذكر بأمر آخر . هو أنه لا يجوز أن ينسب الدين إلا ربه ، ولا أن يسمى بغير اسمه . فما كان المسيح رب الإسلام ، وإنما هو رسول من رسله ، وكذلك كان موسى ، وكذلك كان محمد صلوات الله وسلامه عليهم ، ولم يسَمِّ المسيحيون دينهم بالمسيحية إلا لإيمانهم بالارتباط الوثيق بين الدين وربهم المسيح ، أو بتعبير آخر إلا لإيمانهم بربوبية المسيح . أما نحن فمسلمون . فلا يجوز لنا التعبير بكلمة الديانة الموسوية ، أو المسيحية ، أو الديانة المحمدية ، فإن هذا يجرنا شيئاً فشيئاً إلى ما لا يصح أن يكون . أعرف رد الذين سيقولون : إنه تعبير مجازى يراد به الدين الذى نزله الله على محمد . لكننا فى الدين يجب أن نأتى باللفظ المباشر الدلالة على الحقيقة البينة :

قولوا : الإسلام الذى دعا إليه عيسى ، والإسلام الذى دعا إليه موسى ، والإسلام الذى دعا إليه محمد ، وبه ختم أنبياء الإسلام . لنعد إلى التعبير الصحيح نُعَطِّر به بياننا ووجودنا الفكرى والدينى والعاطفى ، ونجبه به هذه التعبيرات التى استطاع المبطلون أن يلووا إليها أقلامنا وألسنتنا كما اعتادوا أن يفعلوا من قبل « لَيًّا بألسنتهم وطعناً فى الدين » .

(يٰأَهْلَ الكتاب لا تَغْلُوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الْحَقَّ ، إنما المسيحُ عيسى بنُ مريم رسولُ الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثةٌ ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إلٰهٌ واحدٌ سُبْحَانَهُ أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكةُ المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر ، فَسَيَحْشُرُهُمْ إليه جميعاً) ١٧١ ، ١٧٢ النساء . (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم

مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هُدًى ونور ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدًى وموعظة للمتقين) المائدة : ٤٦ . هيمنة القرآن عليه بعدها .

رسالته (ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله ، وأطيعون ، إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) الزخرف ٦٣ : ٦٤ (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل : إنى رسول الله إليكم مُصَدِّقًا لما بين يدىَّ من التوراةِ ، ومبشراً برسولٍ يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) : الصف : ٦ (لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بنُ مريم . قل : فمن يملِك من الله شيئاً إن أراد أن يُهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً . ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير) المائدة : ١٧ (لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح : يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالثُ ثلاثة ، وما مِنْ إلٰه إلاَّ إلٰه واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّن الذين كفروا منهم عذابٌ أليم . أفلا يتوبون إلى الله ، ويستغفرونه ، والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صِدِّيقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أَنَّى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضَرًّا ، ولا نَفعًا . والله هو السميع العليم ، قل ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضَلُّوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضَلُّوا عن سوٰاء السبيل) المائدة : ٧٢ ـ ٧٧ . (وقالت اليهود : عزير بن الله ، وقال النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبلُ قاتلهم الله . أَنَّى يُؤْفَكُون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً

من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون) ٣٧٠ التوبة .

فى الآيات من سورة النساء نتدبر قول الله : « وكلمته ألقاها إلى مريم » إنما هى قوله سبحانه « كن » أو إنما هى قوله جل شأنه : (قال كذلك . قال ربك هو على هَيِّنٌ ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمراً مقضياً) ونتدبر الإتيان بكلمة « إلى » إنها وحدها منار هداية . فقد حاول « البولسيون » نسبة إلى بولس . أو الصليبيون أن يزعموا فى كثير من نشراتهم الحمقاء أن القرآن يؤيدهم فى تجسد الكلمة ، كما قال يوحنا فى إنجيله : « البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله[1] » . لو أن القرآن قال وكلمته ألقاها فى مريم لاستطاع الباطل أن يختفى قليلاً تحت ستر كلمة « فى » . لكن جاءت « إلى » لتشير إلى أمرٍ صادر من العلى الكبير إلى أَمَةٍ له هى مريم الصديقة . أما روح منه ، فقد حاول الصليبيون أيضاً الاستدلال بها على صحة دينهم فى عيسى ، من أنه هو الله ، لأنه روح الله ! !

ولا يستطيع من له أدنى ذرة من عقل أن يظن بالقرآن مثل هذا الظن ، لأنه كفر القائلين بهذا فى كثير من آياته ، فكيف يثبت أنه روح الله ، أو هو الله ، ثم يكفر من يقول بهذا ؟ وهل يقع فى مثل هذا التناقض كاتب مبتدىء ؟

---

(١) يستدل كثير من المفكرين بهذا التعبير على أن إنجيل يوحنا هذا إنما وضع حين سادت الأفلاطونية الحدثة . وأحب أن أشير إلى التناقض البين المتوتر فى الفقرة . كيف تكون الكلمة عند الله ، وكيف تكون الكلمة الله معاً فى وقت واحد ؟ ويعنون بالكلمة عيسى الذى هو كلمة الله التى تجسدت . كما أحب أن أشير إلى ذوى الخنوثة الفكرية الذين ترددون ـ وهم منسوبون إلى أمتنا ـ هذه الفكرة ، ويرونها تقديراً عظيما للكلمة .

والروح المرادة هنا بمعنى النفس التى بها قوام بدن الإنسان وحياته ، وقد خلق الله هذه الروح ، ونفخها فيه . وكذلك كل إنسان روحه من الله سبحانه ، والإضافة فى العربية تتحقق بوجود أقل ملابسة . وبهذا أضيف كل روح إلى الله سبحانه لأنه الخالق المدبر لكل شأن من شئون الروح . وما خُصَّ عيسى بهذا إلا تشريفاً له ، وتنبيهاً إلى علو مكانته . وإلاَّ فليقل الصليبيون أن كل شىء هو الله ، لأن كل شىء من الله مثل روح عيسى التى بين أنها روح منه .

وفى آية المائدة يبين الله أنه أرسل عيسى مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وهذا يدل على أنها كانت باقية لم تحرف التحريف الذى يضيعها . غير أننا لا ننسى أن الله ذكر بعد هذا فى نفس السورة بل بعد آية واحدة أن للقرآن الهيمنة على كل كتاب سماوى .

وفى آية الزخرف يبين أن عيسى جاء يفصل بينهم فيما اختلفو فيه . إما فى الفهم أو فى التطبيق فهم مافى التوراة ، وتطبيق ما فيها بالعمل .

وفى آية الصف قررت الآية أنه بشر بنى إسرائيل برسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

وفى آية المائدة الأخرى : حكم الله سبحانه بكفر القائلين بأن الله هو المسيح بن مريم وهذه عقيدة كل فرقة نصرانية ونحلته مسيحية . إنهم على كثرتهم ينسبون جميعاً الألوهية إلى عيسى .

وفى آية المائدة الأخرى قرر عيسى بأمر الله ما قرره كل رسول وهو أنه لا يجوز أن يُعْبَد غير الله ، وأن الله يحرم الجنة على كل مشرك ، ثم هدم بناء العقيدة النصرانية وهو الثالوث ، فالنصارى على تفرقهم شيعاً وأحزاباً يدينون جميعاً بالتثليث « الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم — جمع أقنوم وهو الأصل — إله واحد » . والنصارى يحاولون تبرئة أنفسهم من الشرك ، ويزعمون أنهم يدينون بإله واحد

لا شريك له !! ويحاولون تفسيراً لقولهم بالأقانيم الثلاثة غير أنهم فى كل تفسير يترددون فى التناقض . ولولا أنهم يدينون حقيقة بالثالوث ماذكروه أبداً فى ألفاظهم وصلواتهم، وذكرهم لها يدل على أنهم يدينون بوجود شيئين مع شىء !! ذكرهم لها مع كلمة واحد لا ينفى عنهم أنهم يعتقدون بأن الله ثلاثة ، ولقد أتى القرآن بتعبير حكيم دقيق « ولا تقولوا : ثلاثة » مجرد قول ثلاثة هنا يودى بصاحبه إلى الكفر ، وإن جاء بعدها بكلمة : واحد ، فكلمة ثلاثة إنما تصدر منهم عن اعتقاد راسخ بوجود ثلاثة يكوِّنون شيئاًواحداً كما يزعمون، وهذا هو الكفر والشرك . ولا يمكن مطلقاً أن يكون توحيداً . ولقد جاء القرآن بالحكمة الهادية فى قوله سبحانه «وما من إله إلا إله واحد » وهم يقولون بثلاثةٍ كلٌّ منهم إله . والله ينفى أن تكون الألوهية لثلاثة . ينفى أن يكون الإله ثلاثة .

ويثبت أن الألوهية لا يمكن أن تكون إلا لواحد ، ولهذا جاء بها فى هذه الصورة التقريرية الكاملة المحكمة « وما من إله إلا إله واحد » .

تدبر مجىء كلمة « من » الزائدة بعد كلمة ما النافية ، ثم ورود كلمة إله » نكرة بعد هذه ، كل هذا يوحى إليك بعظمة البيان القرآنى على أن العقل لا يتردد فى الحكم فى هذه القضية بما ذهبت إليه الآية ، ولهذا اضطر المسيحيون إلى القول بالوحدة مع القول بالتثليث . غير أنها وحدة لا تسكن إليها قلوبهم التى ضربها الوهن ، وأتى عليها التقليد . وإلا لو كانوا بها يؤمنون لما همسوا حتى بكلمة تثليث .

ونسبة الآية أكل الطعام إلى عيسى والصِّدِّيقة تصدم صدمة قوية هذا الباطل الأحمق الذى يعترف — على الرغم منه — بهذه الحقيقة . ولكنه رغم هذا يظل أسير التقاليد الباغى ، فيجيب على هذا السؤال الذى يلح على عقله : أيحتاج الإله إلى طعام يقيم به صُلْبَه ؟ يجيب بقوله :

التقاليد تقول : الإله يحتاج إلى طعام أما عقلى : فيقول . لا ... ثم جاءت الآية بحقيقة يسجد لها العقل : (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضَرًّا ولا نَفْعاً والله هو السميع العليم) معناها أن عيسى لا يملك لكم ضراً ، ولا نفعاً ، فكيف يلوذ به منكم الخوف والرجاء والعبودية ؟ إنها لحقيقة يشهد الواقع ويقرر العقل أنها كذلك .

ثم بينت الآيات بعد هذا أن كفر الصليبيين مستمد من كفر قَبْله . وسيأتى إن شاء الله — بيان هذا ، وشهادة المفكرين الاجانب تشهد بهذا . والله الهادى إلى سواء السبيل . وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد .

عبد الرحمن الوكيل

طول الأمل

عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما ـ قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أتخوف على أمتى الهوى وطول الأمل . فأما الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة . وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة . وهذه الآخرة مرتحلة قادمة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فإن استطعتم أن لاتكونوا من بني الدنيا فافعلوا ، فإنكم اليوم فى دار العمل ولا حساب ، وأنتم غداً فى دار الآخرة ولا عمل » .

رواه البيهقى فى شعب الإيمان

« ركن السنة »

عقوق الأمهات

عن أبى عيسى المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاوهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » .

شرح الحديث

عن أبى عيسى المغيرة بن شعبة : ثقفى كوفى أسلم عام الخندق وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم جملة صالحة من الأحاديث . ولاه عمر رضى الله عنه البصرة ثم نقله عنها إلى الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر ، فأقره عثمان عليها ثم عزله ، وشهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه يوم اليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند ، وكان على ميسرة النعمان بن مقرن واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان ومشهد الحكمين ، واستعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها حتى توفى بها سنة ٥٠ من الهجرة وهو أول من وضع ديوان البصرة .

إن الله حرم عليكم : أتى بالجملة مؤكدة مع تقديم لفظ الجلالة لتأكيد الحرمة وإدخال الهيبة فى قلوب السامعين والتصريح بلفظ التحريم يدل على أن هذه الأمور الثلاثة من كبائر الذنوب بل هى من أكبرها ، والضمير فى عليكم للصحابة الذين توجه إليهم الخطاب وهو متناول لجميع من بعدهم إلى يوم القيامة وهكذا كل الخطابات التى وردت فى الكتاب والسنة .

عقوق الأمهات : هذا هو أول المحرمات الثلاثة وإنما قدمه لأهميته وكثرة وقوعه ، وإنما اقتصر على الأمهات مع تحريم عقوق الآباء أيضاً لأن الاستخفاف بهن أكثر لضعفهن وعجزهن بخلاف الآباء ، ولينبه على تقديم برهن على بر الأب . فقد جاء فى بعض الأحاديث أن رجلا قال يارسول من أبر قال: أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك» .

والعقوق مصدر عق أمه يَعُقُّها بالضم عُقُوقاً ومَعَقَّةً فهو عاقٌّ وعُقَق كعمر والجمع عَقَقَة. والمعنى إيذاؤها والإساءة إليها بالقول أو باليد حتى يدخل فيه إغماضة العين وإشاحة الوجه. وقد نهى الله عز وجل عن قول (أف) للوالدين وَعَدَّه عقوقاً فقال تعالى (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً).

ومنعاوهات: روى هكذا منعاً بالتنوين وفى رواية بغير تنوين وهو مصدر منع يمنع والمقصود منع ما وجب أداؤه من الحقوق، وأماهاتِ بكسر التاء فهو أمر من الإيتاء وأصله آت بهمزة ممدودة ثم سهلت بقلبها هاء وقيل أنه اسم فعل أمر، والمشهور الأول للحوق الضمائر به، يقال هات يارجل وهاتى، وهاتيا وهاتوا، وهاتين والمقصود به هنا طلب ما ليس له بحق. قال الحافظ الحاصل من النهى منع ما أمر بأعطائه وطلب ما لا يستحق.

ووأد البنات: أى دفنهن على قيد الحياة يقال وأد البنت يئدها وأداً فهى موؤدة، قال تعالى (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت؟) وإنما خص البنات بتحريم وأدهن لأنه الواقع، فتوجه النهى إليه لا أن الحكم مخصوص بالبنات بل هو حكم عام وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك العادة عند العرب فى سورة النحل حيث يقول «وإذ بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون».

قيل إن أول من فعل ذلك هو قيس بن عاصم التميمى كان أغار عليه بعض أعدائه فأخذ ابنته فاتخذها لنفسه ثم اصطلحا فخيرها فاختارت زوجها على أبيها فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت ألا دفنها حية، فتبعه بعض العرب على ذلك وكانوا فيه فريقين من يئد البنات خشية الفقر ومن يئدهن خشية العار. على أن الفضيلة والعاطفة الحية لا تعدم أن تجد فى كل زمان من يأخذ بناصرها، فقدم قام تميمى آخر وهو صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر المشهور يفدى هؤلاء الموءودات من حرماله ويربيهن وينفق عليهن، وقد بقى كل من قيس وصعصعة إلى أن أدركا الإسلام فأسلما ولهما صحبة.

وكانوا فى الوأد على طريقتين ١ — أولاهما أن يأمر امرأته عند الوضع أن تطلق إلى جانب حفيرة فإن وضعت ذكراً أبقاه وإلا ألقاه فيها ٢ — أن يصبر على البنت إلى أن تبلغ السادسة ثم يأخذها وقد زينتها أمها فيأتى بها إلى حفرة كان قد حفرها قبل فيقول لها انظرى قعرها ويرميها من ورائها ويطمها بالتراب .

وكره لكم قيل وقال : التعبير بلفظ الكراهية هنا دليل على أن هذه الأمور الثلاثة أخف حرمة من سابقتها ، وقيل وقال بفتح اللام بغير تنوين وفى رواية قيلاوقالا بالتنوين والأولى أشهر .واختلف فى قيل وقال، فذهب الجوهرى إلى أنهما اسمان مستدلا بدخول أل عليها حيث يقال كثرة القيل والقال ، وتعقبه ابن دقيق العيد بأنهما لو كانا اسمين كالقول لم يكن لعطف أحدهما على الآخر فائدة ـ وقيل أنهما مصدران كالقول . والمراد من الحديث الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام لأنها مفضية إلى الخطأ ، وكرر المصدر مبالغة فى الزجر . وقد رد ذلك صاحب المصباح حيث قال القيل والقال اسمان من قال يقول لا مصدران قاله ابن السكيت ، ويعربان بحسب العوامل اهـ وقيل هما فى الأصل فعلان ماضيان جعلا اسمين واستعملا استعمال الأسماء وأبقى فتحهما دلالة على الأصل. والمراد به النهى عن حكاية أقوال الناس والبحث عنها ليخبر غيره فيقول قال فلان كذا وقيل لفلان كذا . ولعل هذا الرأى هو أجدر الآراء بالقبول .

وكثرة السؤال : السؤال مصدر سأل يسأل بمعنى طلب وهو هنا اسم جنس محلى بأل ليعم جميع أنواع السؤال فيدخل فيه سؤال المال لنفسه من غير حاجة ، والسؤال عن المشكلات والمعضلات بغير ضرورة إظهاراً للقدرة أو تعجيزاً للمسئول ، والسؤال عما لا يعنيه من أخبار الناس وأحوال الزمان ، وسؤال إنسان بخصوصه عن تفصيل أحواله وقد يكره ذلك . أما السؤال لضرورة فهو جائز ولا كراهة فيه على أن قوله وكثرة السؤال فيه إشارة إلى أصل السؤال ليس مكروها ولكن المكروه هو كثرته والإلحاح فيه :

وإضاعة المال : يعنى تبذيره وانفاقه فى غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الدنيا والآخرة وترك حفظه مع أمكان الحفظ والمنع من إضاعته ، لأن الله تعالى جعل المال قياما لمصالح الناس وفى تبذيره وإضاعته تفويت لتلك المصالح على المبذر وعلى غيره من أصحاب الحقوق فيه. ومن إضاعة المال إنفاقه فى وجوه البذخ وألوان الترف الزائدة وإن كانت مباحة . قال تعالى (والذين أذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

(المعنى الإجمالى للحديث)

يعتبر هذا الحديث من جوامعه صلى الله عليه وسلم فقد تضمن جملة صالحة من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، حيث نهى فيه عن عقوق الأمهات . ولاشك أن للأم حقا كبيراً على ولدها ، فقد حملته كرها ووضعته كرها وسهرت على إرضاعه وتربيته وتكبدت فى سبيل ذلك أعظم المشاق وهذا مما يضاعف حقها فى البر والتلطف والإحسان. فإيذاؤها والأساءة أليها يعتبر نكراناً لهذه الحقوق وهو من أكبر الذنوب بعد الإشراك بالله عز وجل وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة تحت أقدام الأمهات ، ثم نهى عن خصلة أخرى لا تقل عن سابقتها فحشا وشناعة وهى ما يعمد إليه بعض من لاخلاق لهم ممن لا يحسون بتبعة ولا يقدرون مسئولية ولا يحترمون حقوق غيرهم ، فتراهم إذا ندبوا لدفع ما وجب عليهم من حق بخلوا ومنعوا حرصا منهم وكزازة ، فى الوقت الذى يسعون فيه للحصول على ما ليس لهم بحق . وهذا إنما ينشأ عن طبع فاسد وحرص قاتل وأنانيه مستبدة. وأما ثالثة الدّوَا هى :فهى وأد البنات ، وما أدراك ما وأد البنات، تلك العادة الجاهلية التى تدل على منتهى القسوة والوحشية والتى تجافى الخلق الكريم والطبع المستقيم والإنسانية الرحيمة العادلة ،ثم بين الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الأمور التى يكرهها الله من عباده : فأولها ما يعمد إليه بعض الناس من تسقط أخبار الناس ومحاولة إذاعتها ونشرها من غير تثبت ولا تحفظ ، ولا فرق بين ما ينبغى نشره وما لا ينبغى ، يتكلمون فى كل ما لا يعنيهم . ولا شغل لهم فى المجالس إلا أن يقولوا قال فلان وقيل لفلان . وأما الثانى

فهو كثرة السؤال والإلحاح فيه بغير ضرورة داعية ،ولاشك أن كثرة السؤال من أى نوع كان مما يضايق المسئول ويحمله على كراهية السائل . وأما الأمر الثالث فهو تبذير الأموال وإتلافها فى غير مصلحة دينية أود نيوية مما يدل على روح التهاون والاستخفاف بما جعله الله قياما لعباده ، مما لو أنفق فى وجوه الخير وإعداد القوة لعاد على الأمة بالخير العظيم ـ فمتى يلتفت المسلمون إلى هذه المبادئ السامية ، متى يأخذون أنفسهم بها ليعود لهم مافقدوه من سبق وغَلَبٍ والله المستعان؟

محمد خليل هراس

---

٤٥ - نظرات فى التصوف

المحـكمة الباطنية

الديوان أو المحـكمة الباطنية :

ولأقطاب الصوفية محكمة باطنية ،أو ديوان يجتمع فيه القطب ورجاله ، لتصريف أقدار الوجود ، ومكان الديوان غار حراء ، ووقته ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير ورئيس الديوان هو القطب الغوث : ومكان جلوسه خارج الغار [1] وعن يمينه يجلس أربعة أقطاب على مذهب مالك ، وعن يساره ثلاثة أقطاب من كل مذهب واحد ، أما وكيل القطب ، ويسمى قاضى الديوان ، فيجلس أمام القطب . ومن يتكلم نائباً عن جميع أهل الديوان : وهنالك ستة صفوف من وراء الوكيل ، ويتـكون الصف الأول من سبعة الأقطاب . ويحضر الديوان بعض الـكمل من الأموات ، وقد رآهم الدباغ واستقبلوه أحسن استقبال فى الديوان . وكيف يحضر الموتى إلى هذا الديوان ؟ يجيب الدباغ بأنهم يطيرون إليه من البرزخ بطيران الروح حتى إذا شارفوا الديوان هبطوا إلى الأرض ، ومشوا على أقدامهم .

ويشهد جلسات الديوان الملائـكة والجن ؛ ليعينوا أهل الديوان فى تصرفاتهم وأحياناً يحضره النبي صلى الله عليه وسلم ، فيتخذ مكان الغوث ، ويتخذ الغوث مكان الوكيل . ويدخل الملائـكة فى نور النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يظهر منهم ملك .

---

(١) يزعم الدباغ أن الديوان كان أول أمره قبل بعثة محمد معموراً بالملائـكة ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم جعل الله الديوان لأولياء هذه الامة ، فظهر أن أولئك الملائـكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الامة .

أما فى ليلة القدر ، فيشهده جميع الرسل والملائكة والرسول وزوجاته جميعاً ، والصغار من الأولياء يحضرونه بذواتهم ، أما الولى الكبير فيحضره بذات من ذواته ، وتبقى فى البلد الذى هو فيه ذاته لا تغيب عن أهل البلد[١] .

متى يضطرب حال الوجود ؟

يغيب الغوث أحيانا عن الديوان ، فيحدث بين أهله مايوجب اختلافهم ويقتل بعضهم بعضاً . وسبب غياب القطب أحد أمرين :

أحدهما سكره وفناؤه فى مشاهدة الحق . والآخر كونه فى بداية توليته عقب موت الغوث الذى كان قبله ، وقد يحضر الرسول فى غيبة الغوث ، فيجزع أهل الديوان ويخافون لجهلهم عاقبة حضوره . ويغيبون عن حواسهم غيبة لو أنها طالت لتهدمت العوالم !!

عمل أهل الديوان : حين يجتمع الأقطاب يتكلمون فى تصريف أقدار الوجود . وفيما يحفظ عليه بقاءه . وفيما يحتاج إليه أهله فى اليوم المستقبل والليلة التى تليه . ولهم التصرف فى ملكوت السموات والأرض وفى عرش الله وفيما فوقه . وفى خواطر الناس وهواجسهم . إذ لا يمكن أن يهجس فى نفس كائن ماخاطر إلا بإذنهم . ومرة أخرى نتساءل ما ذنب عباد الله حتى يسلط الله عليهم أمثال هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم ؟ وهل لحق بخلاقه العظيم عجز حتى يكل أمره إلى حفنة من خلقه يختلفون ويحقد بعضهم على بعض . ويدمر بعضهم بعضا ؟ ؟ إن ربنا يقول : (. . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وكان يكفى فى تحقيق وجود الفساد أن يكون معه إله واحد . كما جاء فى آية أخرى !! فما بالك ، وقد افترى هؤلاء أن مع الله مئات الآلهة ؟ .

الأسطورة أتفه من أن يبذل الحق جهداً ، ليقضى عليهـا ببرهان ، غير أن وراءها

---

(١) من ص ٢ إلى ص٩ جـ ٢ الإبريز والدباغ .

(٢) رغم هذا فالدباغ يقول : إيش هو الديوان والاولياء الذين يقيمون كلهم فى صدرى وإنما يقام الديوان فى صدرى ص ٨ جـ ٢ الإبريز .

كتبا وكبار شيوخ. والذين عميت بصائرهم . وعقولهم يظنون أنه لايوجد فى الكتب إلا الحق ، وأن كبار الشيوخ لا يكذبون . يظنون أن الأمر مادام فى كتاب فهو حق . وما دام يجرى على لسان شيخ كبير فهو صدق بين . آمنوا بكتب الناس وبالشيوخ . وكفروا بكتاب الله وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا أتى المقلدون فى دينهم وعقولهم .

يقول ربنا سبحانه : (٣٤ : ٥٣٤ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون . يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) : وهؤلاء الشيوخ يحكمون بأن لهم أولياء من دون الله يدبرون الأمر من السماء إلى الأرض ، مما فوق العرش ، وأن الأمر كله يعرج إلى القطب الغوث الذى يعلم الغيب والشهادة !

أسئلة يصيب الجواب عنها المشركون : إن أقوى الأدلة الاعتراف . وبعد هذا تدبر هذه الآية الكريمة : (١٠ : ٣١ قل : من يرزقكم من السماء والأرض أَمَّنْ يملك السمعَ والأبصارَ ، ومن يُخْرِجُ الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون !) اعتراف صريح واضح من المشركين بالربوبية . وتدبر هذه الآيات المحكمات (٢٣ : ٨٤ — ٩٢ قل : لمن الأرض ومن فيها ، إنْ كنتم تعلمون ، سيقولون : لله . قل : أَفَلَا تَذَكَّرُون . قل : من رَبُّ السموات السبع وَرَبُّ العرش العظيم ؟ ! سيقولون لِلهِ . قل : أَفَلَا تَتَّقُون . قل : مَنْ بيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شىء ، وهو يُجير ، ولا يُجار عليه ، إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : فَأَنَّى تُسْحَرُون[1] ؟ بل أتيناهم بالحق ، وإنهم

(١) « ولا يجار عليه » ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء ، فيدفع عنه عذاب الله أو عقابه . « فَأَنَّى تُسْحَرُون » فمن أى وجه يخيل إليكم أن الكذب حق ، وأن الفاسد صحيح ، فتصرفون عن الإقرار بكل الحق الذى يدعو إليه رسوله ؟ ! .

لكاذبون . ما اتخذ الله مِنْ وَلَدٍ ، وما كان معه من إلٰهٍ ، إذًا لذهب كُلُّ إلٰهٍ بما خلق ، ولعلا بعضُهم على بعضٍ . سبحان الله عما يصفون) .

إيمان بأنه سبحانه وحده هو المالك لكل شيء ، والقادر على كل شيء والمدبر وحده لكل أمر .

إيمان بأنه هو الذى يجير عباده وحده . إيمان بأن أحداً لا يتمكن أن يفر من يد الله ولا أن يمنعه سلطان من سلطانه . إيمان بأنه رب ما يرون ، ورب ما لا يرون ، إيمان بأنه سبحانه هو عالم الغيب والشهادة ، وبأنه رب العرش العظيم ، إيمان بأنه يملك سمع كل إنسان ، ورغم هذا الإيمان ، فقد حكم الله عليهم بأنهم مشركون . فلماذا ؟ تدبر قوله تعالى : (٣٩ : ٣ ألا لله الدينُ الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدى مَنْ هو كاذبٌ كفار) واقرأ وتدبر (٣٩ : ٣٦ أليس الله بكافٍ عبدَه ، ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فما له من هاد) وتدبر (٣٩ : ٣٨ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنَّ الله . قل : أفرأيتم ماتدعون من دون الله . إن أرادنىَ الله بِضُرٍّ هل هُنَّ كاشفات ضُرِّه ، أو أرادنى برحمة هل : هُنَّ مُمْسِكَاتُ رحمته . قل : حَسْبِيَ الله عليه يتوكل المتوكلون) وتدبر قوله جل شأنه : (٣٥ : ٤٠ قل : أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شِرْكٌ فى السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه ، بل إن يعد الظالمون بعضُهم بعضاً إلا غُروراً) .

ذلك الإيمان الذى اتصف به المشركون لن ينفعهم عند الله يوم القيامة . لماذا ؟ . لعلك تدبرت الآيات المحكمات ، فعلمت أنهم كانوا يدعون أولياء مع الله ويحبونهم بالخوف والرجاء . بهذا حكم الله عليهم بالشرك الأكبر ، وبالخلود فى جهنم ، فقارن بين إيمان هؤلاء المشركين ، وبين ما يذكره هؤلاء الشيوخ عن أقطابهم وأوتادهم وأنجابهم ونقبائهم ، بل حتى عن صغار أوليائهم . فما نسب مشرك ــ من مشركى الجاهلية ــ إلى وليه التصرف فى شيء

من ملكوت الله ، غير أنه اتخذه شفيعاً له عند الله . أما أرباب تلك الكتب ، فينسبون إلى أوليائهم التصرف فى ملكوت السموات والأرض ، وفى عرش الله ، سبحانه ! ! وأنه لا يصل إلى أحد شيء إلا بعد أن يأذن أولياؤهم والله يقول (٨ : ٢٤ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول . إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون) . وأرباب هذه الكتب يدعوننا إلى الاستجابة لما فيها والذى فيها كفر غليظ . ويخوفوننا بأوليائهم ، لأنهم يملكون حتى خواطرنا وهواجسنا ويحولون بيننا وبين قلوبنا ؟ ! (٤٠ : لا جرم أنما تدعوننى إليه ، ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن مردنا إلى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار) .

فهل تحتاج أسطورة الديوان وأقطابه وهل تحتاج كتبها والشيوخ المؤلفون لها والمؤمنون بها إلى حجة أخرى تثبت لهم أنهم عبدة أساطير (٤٠:٦٩ — ٧٤ ألم تر إلى الذين يُجادِلُون فى آياتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفون . الذين كَذَّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ، فسوف يعلمون . إذ الأغلال فى أعناقهم والسَّلاسِلُ يُسْحَبُون فى الحميم ثم فى النار يُسْجرون . ثم قيل لهم: أين ما كنتم تُشْركون من دون الله ، قالوا : ضلوا عنا . بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يُضِلُّ الله الكافرين[1]) .

« شريعة وحقيقة أو ظاهر وباطن »

هناك ظواهر مميزة لكل فئة قامت لتعارض الكتاب والسنة فى الأصول والفروع . أولاها : دعوى تمسكهم بالكتاب والسنة : ليجدوا لهم بهذه الدعوى أنصاراً وأتباعا ومنافذ لضلالتهم إلى العقول والقلوب ، فلو أنها جهرت بمعارضتها ؛ لسدت دونها الطريق ، ولشحذت الهمم للقضاء على نفسها قبل أن يشتد ساعدها . والثانية تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا لا تجد فيه من هدى الكتاب لمحة ، ولا من عبير

---

(١) أنى يصرفون عقولهم عن الهدى إلى الضلال . « يسجرون » توقد بهم النار بدل لهذا قوله سبحانه عن النار (وقودها الناس والحجارة) ، وأصل السجر تهييج النار .

النبوة نفحة ، تأويلا يجرد الألفاظ من كل معانيها . ويحملها معانى أخر لا تنتسب إلى تلك الألفاظ حتى بأوهن سبب لغوى أو عقلى أو عرفى . يفعلون هذا بغية التمكين لضلاتهم ، والتغلغل بيدعها المنكرة فى الأمة . والثالثة القول باستمداد المعرفة عن طريق ما يسمى « بالذوق » أو الكشف ، حتى يكبحوا بهذا جماح العقل . فلا يحكم على ما بثوه بالفساد والبطلان . حتى يحولوا بين المعقول وبين آرائهم . فلا تقيم الأدلة القاطعة والبراهين الناصعة والحجج الساطعة على أنهم قوم دعاة باطل وخرافة ، حتى يحولوا بين المؤمنين بقداسة النصوص المحكمة أو من الكتاب والسنة ، وبين معارضة دينهم بالآية المحكمة أو الحديث الصحيح الثابت ، والحكم بهذه المعارضة الصحيحة على ما أتوا به أنه مناقض لأصول الكتاب والسنة . وهذه سمات مُمَيِّزة لكل أولئك الذين نصبوا أنفسهم أعداء لكل دين إلٰهى بغية القضاء على هداه ، وستر نوره بحجاب كثيف ؛ ليظل لهم السلطان القاهر ، والهيمنة المطلقة على بقية أفراد الشعب يسخرونهم لأطماع شهواتهم ونزواتهم . فألد عدو للطواغيت والبغاة هو الدين الحق ، وما استقام لأمة قوتها وعزتها وحريتها وكرامتها إلا باستقامة أهلها على الدين الصحيح ، ولنفتش صفحات التاريخ ، لنجد عشرات الأدلة على ما نقول(١) .

وكانت هذه السمات جلية فى اليهود ، فالله تعالى يقول لنبيه وأصحابه عن اليهود :

---

(١) يحلو لبعض الذين لا تعرف قلوبهم سبيلا إلى الدين . والذين لا يفقهون فى الدين شيئا ، الببغاوات الحمقى التى تردد ما تسمع دون أن تعقل ، ولدعاة التجديد الزائف الساخر ، من أقدس القيم أن يتهموا الدين بالرجعية والجمود وعداوة الحضارات العلمية . وكل هؤلاء لا يعرفون الفرق بين الدين الذى يحملون عليه هذه ، وبين الدين الذى نزل الله ، يظنون ؟ أن كل ما يتعبد به الناس يسمى دينا . وأن كل ما يقوله كبار الشيوخ هو من شعائر الدين ويستشهدون على هذا بما حدث من بغى وظلم واضطهاد فى بعض العصور . وما يستشهدون به يقوم حجة لدين الله لا عليه لأسباب أهمها . أن هؤلاء الطغاة البغاة الظلمة لا يمثل واحد منهم =

(٢ : ٧٥ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون) . ومعنى « يحرفونه » يميلونه عن وجهه ومعناه إلى غيره وقال عنهم جل شأنه : (٤ : ٤٦ من الذين هادوا يُحَرِّفون الْكَلِم عن مواضعه. ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسْمَع وراعنا لَيّا بألسنتهم وطعنا فى الدين)

وقال عنهم سبحانه (٥ : ٤١ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك . يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون : إن أوتيتم هذا ، فخذوه ، وإن لم تُؤْتَوه ، فاحذروا) وقال عنهم سبحانه وفى أمثالهم : (٤ : ألم تر إلى الذين أوتو نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)

للنظرات بقايا إن شاء الله عبد الرحمن الوكيل

= رجل الدين الصحيح ، وأن الدين الذى ينافحون عنه دين الهوى والفساد دين البدع والخرافة . دين الشهوات والأطماع لا دين الله . وأن غايات بعض المضطهدين لم تكن شريفة ولا كريمة . بل لم تكن تستهدف إلا زلزلة المجتمع . وإلا فأرونى حاكماً إسلامياً كان يأخذ نفسه بكتاب الله ، جار على فضيلة ، أو ساند بغيا . أو حارب علماً صحيحاً ، أو اضطهد مسلماً صادقاً يسعى بالخير . ليقرأ هؤلاء كتاب الله ، وليتدبروه ، ولينقبوا فى سير المخلصين من دعاته ، لعلهم يوقنون أنهم معاول فى يد الاستعمار والصهيونية وهم لا يشعرون . وأعجب ما يقع فيه هؤلاء من تناقض أنهم يتحرزون من الحكم فى قضية أدبية أو فلسفية إلا بعد استيعاب وتدبر ، أما قضايا الدين . فتستخفهم فيها كلمة خادعة ، أو همسة مسمومة ؛ ليظنوا بعد هذا أنهم أعلم العلماء بكتاب الله وليكتبوا ضد الدين ، وليحكموا عليه بما يحكمون . ونرى كثيراً من هؤلاء يوجبون على الباحث فيما أخذ نفسه به أن يرجع دائماً إلى المصادر الأصيلة التى يستعين بها فى بحثه . وإلا اتهموه بالسطحية والضحالة والتقليد . ولكن هؤلاء أنفسهم لا يلتزمون بهذا إذا تعرضوا لقضية دينية . فهم فيما يكتبون ينقلون عن المستشرقين وأعوانهم ، أو عن تلك المكتب التى وراءها تاريخ قديم وأسماء كبيرة دون أن يكون لها نسب صحيح إلى كتاب الله . مع وجود المصدر الأصيل الحق الذى هو الحجة وحده لدين الله . إنه القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . ماذا لو أمسك أحدهم بمصحف — وما أكثر المصاحف الأنيقة الطبع — ثم تدبر وتدبر ؟ ! هناك سبب يحول بينهم وبينهم هذا هو تقليدهم الباغى على عقولهم لأعداء هذا الدين يزعمون أنه لا خير فيه للحياة وللدنيا وحضارتها . فهم فى الحقيقة أنضاء تقليد أعمى . مهما زعموا أنهم أحرار الفكر .

من علم السنة

استئناف التعقيب على ما ورد فى كتاب الروح لابن القيم رضى الله عنه

— ٩ —

قال ابن القيم : « قال أبو عمرو روى هشام (٦١) بن عمار عن صدقة بن خالد ، حدثنا (٦٢) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : حدثنى عطاء الخراسانى ، قال حدثتنى ابنة ثابت بن قيس بن شماس ، قالت : لما نزلت « ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » دخل أبو هابيته وأغلق عليه بابه ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل إليه يسأله ما خبره ؟ قال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملى . قال : لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير ، قال : ثم أنزل الله : (إن الله لايحب كل مختال فخور) فأغلق عليه بابه ، وطفق يبكى ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فأخبره ، فقال : يارسول الله إنى أحب الجمال وأحب أن أسود قومى . فقال : لست منهم بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا ، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إنى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ، ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله ، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رجل ، فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى أبا بكر الصديق — فقل له : إن علىّ من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان ، فأتى الرجل

خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته ، قال: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله » .

قال محمد نجيب المطيعى :

الحديث بروايته هذه التى رواها ابن عبد البر ، فى إسناده (٦١) هشام بن عمار قال الذهبى : السلمى الإمام ، أبو الوليد خطيب دمشق ومقرئها ومحدثها وعالمها ؛ صدوق مكثر ، له ماينكر .

قال أبو حاتم : صدوق وقد تغير ، فكان كلما لقنه تلقن ، فأظن هذا مما لقن . روى عن مروان بن معاوية عن أبى خالد ، عن قيس ، عن جرير ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يتزود فى الدنيا ينفعه فى الآخرة » قال أبو حاتم . هذا باطل وإنما يروى من قول قيس .

وقال أبو داود : حدث بأربعمائة حديث لا أصل لها .

وقال يحيى بن معين : ثقة ، وقال أيضاً : كيس ، كيس .

وقال النسائى : لا بأس به . وقال الدارقطنى : صدوق كبير المحل ، وقال صالح جزرة : كان يأخذ الدراهم على الرواية ، فقال لى مرة : حدثنى ، فقلت : حدثنا على ابن الجعد ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن ربيع ، عن أبى العالية ، قال : علم مجاناً كما عُلِّمت مجانا ، فقال هشام : تعرضت لى . قلت : بل قصدتك .

وروى أبو بكر الاسماعيلى عن عبد الله بن محمد بن سيار الفرهيانى ، قال : كان هشام يلقن كل شىء ، ما كان من حديثه ويقول : أنا أخرجت هذه الأحاديث صحاحاً وقال الله : فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه . وكان يأخذ على كل ورقتين درهماً ويشارط ، وقلت له : إن كنت تحفظ فحدث ، وإن كنت لا تحفظ فلا تتلقن ما يلقن فاختلط فى ذلك وقال :

أنا أعرف هذه الأحاديث ، ثم قال لى بعد ساعة : إن كنت تشتهى أن تعلم

فأدخل على إسناداً فى إسناد ، فتفقدت الأسانيد التى فيها قليل اضطراب فجملت أسأله ، فكان يمر فيها ويعرفها .

ولد هشام سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وأكبر شيوخه مالك ، وحدث عنه خلق كثير رحلوا إليه فى القراءة والحديث ، وحدث عنه الوليد بن مسلم ، وهو من شيوخه . وقد روى هو بالإجازة عن ابن لهيعة .

قال عبدان : ما كان فى الدنيا مثله : وقال آخر : كان هشام فصيحاً بليغاً ، مفوهاً كثير العلم ، وحسبك أن أبا زرعة الرازى قال : من فاته هشام بن عمار يحتاج أن ينزل فى عشرة آلاف حديث .

وقال أحمد بن الحوارى . وكان من أئمة العلم والزهد : إذا حدثت فى بلد فيه مثل هشام يجب للحيتى أن تحلق !

وقال آخر : كان فى هشام دعابة ، وقال المَرْوَزِى . ذكر أحمد هشاماً فقال : طياش خفيف ، وقال يعنى المروزى — : ورد كتاب من دمشق : سل لنا عبد الله فإن هشام بن عمار قال : لفظ جبريل ومحمد عليهما السلام بالقرآن مخلوق ، فسألت أبا عبد الله ، فقال : أعرفه طياشاً ، قاتله الله ، لم يَجْتَرِ الكرابيسى أن يذكر جبريل ولا محمداً صلى الله عليه وسلم . هذا قد تجهم . وفى الكتاب أنه قال فى خطبته : الحمد لله الذى تجلى لخلقه بخلقه ، فسألت أبا عبد الله ، فقال : هذا جهمى ، الله تجلى للجبال ، يقول هو تجلى لخلقه بخلقه ، إن صلوا خلفه فليعيدوا الصلاة .

قال الحافظ الذهبى : قلت : « لقول هشام اعتبار ومساغ ، ولكن لا ينبغى إطلاق هذه العبارة المجملة ، وقد سقت أخبار أبى الوليد — يعنى هشاماً هذا — رحمه الله فى تاريخى الكبير ، وفى طبقات القراء ، أتيت فيها بفوائد ، وله جلالة فى الإسلام ، وما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم فى بعض بحسب اجتهادهم ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

مات هشام فى آخر المحرم سنة خمس وأربعين ومائتين ، وله اثنتان وتسعون سنة .

٦٢ عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أبو عتبة الأزدى الدارانى الدمشقى ، أحد العلماء الثقات . لم أر أحداً ذكره فى الضعفاء غير أبى عبد الله البخارى (هكذا قال الذهبى) ثم قال : فإنه ذكره فى الكتاب الكبير فى الضعفاء ، فما ذكر شيئاً يدل على ضعفه أصلاً بل قال : سمع مكحولا ، وبسر بن عبيد الله . روى عنه ابن المبارك . قال الوليد : كان عند عبد الرحمن كتاب سمعه ، وكتاب آخر كتبه ، ولم يسمعه . هذا جميع ما قال البخارى .
قلت : والرد على الذهبى حاضر من قول الذهبى نفسه فى ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٥٩٩ قال الفلاس : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ضعيف الحديث . حدث عن مكحول أحاديث مناكير عند أهل الكوفة . وقال الخطيب : روى الكوفيون أحاديث عبد الرحمن بن يزيد بن تميم عن ابن جابر ووهموا فى ذلك فالحمل عليهم ولم يكن ابن تميم ثقة اه .

قلت : اتهام أهل الكوفة — يعنى أهل الحديث فيها — بأنهم نسبوا أحاديث عبد الرحمن بن زيد بن تميم إلى ابن جابر فيه نظر ، لأنه غير مستساغ أن يتهم محدثو مدينة زاخرة بالعلماء من أجل تبرئة رجل واحد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كيف يكون ابن جابر ثقة فيستبدلونه بابن تميم الذى روى له النسائى ثم قال فيه : متروك الحديث مع أنه روى له ، وهذا من غرائب النسائى رحمه الله ، وعلى أية حال فإن الحافظ الذهبى كثيراً ما ينبرى للدفاع عن أناس تناولهم أئمة كبار ، هم فى جلالة أقدارهم وتذوقهم وخوفهم من الله أن يلقوا القول على عواهنه ، مثل البخارى رضى الله عنه ما يجعل المرء يؤثر أن يقدم الجرح على أن يتهم الناقد لمهابته ورسوخ قدمه وإمامته .
قال صدقة بن جابر وابن شابور : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم أبى عبد الرحمن قال : حدثنى عقبة بن عامر ، قال : بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نقب من تلك النقاب إذ قال لى : ألا تركبُ يا عُقْبَ ، فأجللته أن أركب مركبهُ ، ثم أشفقت أن تكون معصية ؛ فنزل وركبتُ هُنيهة ، ثم نزلتُ ، فركب ،

فقُدتُ به ، فقال : ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ قلت : بلى ، فأقرأنى : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس . قال : فلما أقيمت صلاة الصبح قرأ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّ بى فقال : كيف رأيت يا عُقْبَ ؟ اقرأ بهما كلما قمتَ ونمتَ .

والحديث أعنى حديث قيس بن شماس جاء من طرق مختلفة الألفاظ والمعانى . فبينا راوية ابنة قيس تقول : دخل أبوها بيته إذا أخوها محمد بن قيس فى رواية ابن جرير الطبرى قال : لما نزلت هذه الآية : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » قعد أبى فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى بن العجلان فقال ما يبكيك ؟ قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فىّ وأنا صيّت رفيع الصوت ، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا به فقال : أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة ؟ قال : رضيت ، ولا أرفع صوتى أبداً على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « إن الذين يغضون أصواتهم الآية » وفى أسباب نزول هذه الآية قال الإمام البخارىّ : حدثنا بسرة بن صفوان اللخمىّ حدثنا نافع عن بن عمر عن ابن أبى مليكة قال : كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخى بنى مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر رضى الله عنهما : ما أردت إلاّ خلافى ، قال : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله تعالى الآية ، وحديث قيس ابن شماس رواه البخارى بإسناد تفرد به هكذا : حدثنا على بن عبد الله حدثنا أزهر ابن سعد أخبرنا عون أنبأنى موسى بن أنس عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم « افتقد ثابت بن قيس رضى الله عنه فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم ذلك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكساً رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شر كان يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله فهو من أهل النار ،

فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى : فرجع إليه المرة الأخرى ببشارة عظيمة فقال : « اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة » . قال ابن كثير فى التفسير : تفرد به البخارى من هذا الوجه .

والحديث أخرجه أحمد أيضاً فى مسنده عن ثابت عن أنس وزاد أنس: فكان من بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، ورواه ابن جرير من حديث أبى ثابت ابن ثابت بن قيس بن شماس ، حدثنى عمى إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس عن أبيه رضى الله عنه ، وفيه أنه دخل بيته فقال لامرأته جميلة بنت عبد الله بن أُبىّ ابن سلول : إذا دخلت بيت فَرْشِي فشدّى علىّ الضبّة بمسمار ، حتى إذا خرج عطفه ، وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله تعالى أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال : اذهب فادعه لى ، فجاء عاصم إلى المكان فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرش ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك . فقال : اكسر الضبة . قال : فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا ثابت ؟ فقال رضى الله عنه : أنا صيِّت وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة ؟ فقال : رضيت ببشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أرفع صوتى أبداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه الرواية التى رواها ابن عبد البر روى مثلها أبو نعيم وابن منده عن أنس ابن مالك وهى نص الرواية التى رواها عن ابنة ثابت بن قيس بزيادة قليلة وفى آخرها يقول أنس : « ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته سواه » قال ابن القيم : وروى جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق قال : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما ينبغى لنا أن نفارقك فى الدنيا فإذا متّ رفعت فوقنا فلم نرك ، فأنزل الله تعالى

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

قلت : الحديث رواه ابن أبي حاتم عن مسروق مرسلاً وإسناد القول إلى أصحاب محمد لا يفيد أنه سمعهم وهم يقولون لأنه تابعي ولم يرو مسروق الحديث متصلا ، وأخرج ابن جرير مثل ذلك مرسلات عن سعيد بن جبير وقتادة والسدّي والربيع ومسروق . وجرير المذكور في رواية مسروق هو جرير بن عبد الحميد لأن جرير بن أيوب وجرير ابن عبد الله وغيرهما من سميهم لم يرو أحد منهم عن منصور سوى جرير بن عبد الحميد الضبي . عالم أهل الري، قال الذهبي : صدوق يحتج به في الكتب : وقال أحمد بن حنبل : لم يكن بالذكي في الحديث، اختلط عليه حديث أشعث وعاصم الأحول، حتى قدم عليه بهز فعرفه . وقال أبو حاتم :صدوق ، تغير قبل موته وحجبه أولاده ، وكذا نقل أبو العباس البناني هذا الكلام في ترجمة جرير بن عبد الحميد ، وإنما المعروف هذا عن جرير بن حازم ، لكن ذكر البيهقي في سننه في ثلاثين حديثاً لجرير بن عبد الحميد قال : قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ .

قلت : حدث عن عبد الملك بن عمير ومنصور وطبقتهما ، وعنه أحمد ، وابن راهويه ، وابن معين ، ويوسف بن موسى وخلق . قال ابن عمار : كان حجة ،وكانت كتبه صحاحاً . قال سليمان بن حرب : كان جرير وأبو عوانة يتشابهان ، ما كان يصلح إلا أن يكونا راعيين . وقال ابن المديني : كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل ، كان له رسن يقولون : إذا أعيا تعلق به .

وقال ابن عيينة : قال لي ابن شبرمة : عجباً لهذا الراوي ـ يعني جريراً ـ عرضت عليه أن أجري عليه مائة درهم في الشهر من الصدقة ، فقال : يأخذ المسلمون كلهم مثل هذا ؟ قلت : لا قال : فلا حاجة لي فيها .

قال ابن معين : قال جرير :عرضت علي بالكوفة ألفا درهم يعطوني مع القراء فأبيت ، ثم جئت اليوم أطلب ما عندهم . وقال أحمد : جرير أقل سقطا من شريك ، وقال أبو حاتم :

جرير يحتج به . وقال سليمان بن حرب : كان جرير وأبو عوانة يتشابهان فى رأى العين كتبت عنه أنا وابن مهدى ، وشاذان بمكة . وقال أبو الوليد كنت أجالس جريراً بالرى ، وكتب عنى حديثين ، فقلت له : حدثنا ، فقال : لست أحفظ ، وكتبى غائبة ، وأنا أرجو أن أوتى بها ، قد كتبت فى ذاك ، فبينا نحن إذ ذكر يوماً شيئاً من الحديث ، فقلت : أحسب شيئاً من كتبك قد جاءت . قال : أجل . فقلت لأبى داود : إن جليسنا قد جاءته كتبه من الكوفة ، اذهب بنا ننظر فيها . فأتيناه فنظرت فى كتبه أنا وأبو داود . قال يعقوب السدوسى : سمعت إبراهيم بن هاشم يقول : ما قال لنا جرير قط ببغداد : حدثنا ولا فى كلمة . وكان ربما نعس ونام ، ثم يقرأ من موضع نعس . ونزل على بنى المسيب الضبى فلما جاء المد كان بالجانب الشرقى ، فقلت لأحمد بن حنبل : تعبر ؟ فقال : أمى لا تدعنى فعبرت أنا فلزمته ، ولم يكن السندى الأمير يدع أحداً يعبر ، أى لكثرة المد ، فكنت عنده عشرين يوماً فكتبت ألفاً وخمسمائة حديث . ثم قال السدوسى : وذكر لأبى خيثمة إرسال جرير وأنه لا يقول : حدثنا ، فقال : لم يكن يدلس ، لأنا كنا إذا أتيناه فى حديث الأعمش أو منصور ، أو مغيرة ابتدأ فأخذ الكتاب وقال : حدثنا فلان ، ثم يحدث عنه ، متهم فى حديث واحد ، ثم يقول بعد منصور منصور ، والأعمش الأعمش حتى يفرغ . وحدثنى عبد الرحمن سمعت الشاذكونى قال : قدمت على جرير فأعجب بحفظى ، وكان لى مكرماً ، وقد جاء يحيى بن معين والبغداديون الذين معه ، وأنا ثم ، فرأوا موضعى منه ، فقال له بعضهم : إن هذا بعثه يحيى بن القطان ، وعبد الرحمن ، ليفسد حديثك . قال : وكان جرير قد حدثنا عن مغيرة عن إبراهيم فى طلاق الأخرس ثم حدثنا به بعد عن سفيان ، عن مغيرة عن إبراهيم ، قال فبينا أنا عند ابن أخيه إذ رأيت على ظهر كتاب لابن أخيه : عن ابن المبارك عن سفيان بالحديث ، فقلت : عمك يحدث به مرة عن مغيرة ومرة عن سفيان ، ومرة عن ابن المبارك ، عن سفيان ! ينبغى أن تسأله ممن سمعه . قال الشاذكونى : وكان هذا الحديث موضوعاً ، فسألته فقال :

حدثنيه رجل خراسانى عن ابن المبارك ، فقلت له : قد حدثت به مرة عن مغيرة ، ولست أراك تقف على شىء ، ممن الرجل ؟ قال : رجل جاءنا من أصحاب الحديث . قال : فوثبوا بى وقالوا : ألم نقل لك إنما جاء ليفسد حديثك عليك ! قال : فوثب بى البغداديون ، وتعصب لى قوم من أهل الرى حتى كان بينهم شر شديد .

قال عبد الرحمن بن محمد : قلت لعثمان بن أبى شيبة : حديث طلاق الأخرس عمن هو عندك ؟ قال : عن جرير ، عن مغيرة ، قوله ، وإنما كتبنا عنه من كتبه .

مات جرير سنة ١٨٨ وهو فى الثمانين من عمره .

يتبع — محمد نجيب المطيعى

كن ابن من شئت إكتسب أدبا — يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنذا — ليس الفتى من يقول : كان أبى

ياصاحب السماحة ! ! !

— ٢ —

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعـــد :

فلعلك ياصاحب السماحة تتنازل مؤقتاً عن العرش الصوفى المتربع عليه فى ميدان المشهد الحسينى وتأتى لتتجول معى بين الرعية الصوفية فى أحد مهرجاناتها الوثنية، المسماة « موالد » قبل أن تصدر حكمك بأن التصوف هو الإسلام نفسه .

قوم يتمايلون ويتطوحون كالسكارى والمجانين بين أشعار الهوى والغرام ، والغزل الرخيص فى أنثى لعوب ، ووسط هذه الفتن يزجون باسم ملك جبار ورسول كريم ليشعروا الضحايا التى وقعت فى حبائل الشيطان أنه ذكر وصلوات على رسول الله .

وهكذا على أنغام العبث تذكر الصوفية إلهها وفى محراب الشيطان وعلى نغمات « الأرغون » تقدم الصوفية صلواتها .

ولتنتقل معى ياصاحب السماحة إلى مجموعة أخرى لها طريقتها فى الغزل والمدح والصلوات ، ولكل شيخ طريقة . لقداستبدت بها سكرة الضلالة فراحت تهذى: جلجلوت أصباؤوت . . . أهيا شراهيا . . . ثم تصر فى كذب مفضوح وهى فى نشوتها الضالة تصر على أنها تذكر الله بأسمائه السريانية ! ! ! .

ولعلك تتذكر ياصاحب السماحة قول الله تعالى :

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه . . . »

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة ، والله وتر يحب الوتر » رواه الترمذى وذكر التسعة والتسعين اسماً .

ولننتقل ياصاحب السماحة إلى مجموعة أخرى اختلط فيها النساء بالرجال ، ولكل طريقة ذكر وورد، وراحت هذه المجموعة تتهالك على نفسها فى الصخب الصوفى المدعى أنه ذكر .

أظنك يا صاحب السماحة تغضب لو أنهم ذكروك بهذه الطريقة وتثور لكرامتك الجريحة حيث اقترن اسمك بالعبث والتهريج فما بالك ورجالك هؤلاء يدعون أنهم يذكرون ملكا جباراً متكبراً .

« ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى . . . » .

وذكرت فى مقالتك ياصاحب السماحة أنك ترحب بالإصلاح ولعلك تذكر الشكاوى التى قدمت ضدى لجهات متعددة تحمل توقيع سماحتك ذكرت فيها بالحرف الواحد بعد الرجا « . . . منعه من التعرض لشعائر الصوفية وأورادها . . . » .

وذلك لأنى كنت أنشد الإصلاح الذى تزعمه مع صوفية بلدنا .

ترى يا صاحب السماحة هل يمكن أن تأخذك الجرأة وأنت قائم بالإصلاح فتنزل إلى هذه « المهرجانات » الصوفية وتقول لرجالك: هذا عبث لا يرتضيه الإسلام؟ لعل صوتك يكون مسموعاً فى هذا الموج البشرى الضال ، ولا عليك إذا فقدت السماحة والمشيخة فإن رضوان الله وجناته خير وأبقى .

ترى يا صاحب السماحة هل يمكن لك أن ترفع صوت كتاب الله فوق دلائل الخيرات والوظيفة والياقوتية والجلجلوتية واللآلىء السنية ؟

وذكرت يا صاحب السماحة فى وضوح أن التصوف هو الإسلام نفسه .

ترى هل تقديم القرابين إلى النصب والتوابيت لتنحر على مذبح الشيطان هو الإسلام نفسه ؟

ترى هل عبادة التوابيت هى الإسلام نفسه ؟

ترى هل وحدة الوجود والحلول هو الإسلام نفسه ؟

ترى هل جلجلوت وأصباؤوت وأهيا شراهيا هى الإسلام نفسه .

ترى هل أعياد الشيطان فى صورة موالد هى الإسلام نفسه ؟

لعلها يا صاحب السماحة تكون فى نظرك الإسلام الذى جاء به ابن عربى والحلاج وابن عطاء الله السكندرى وتنزلت به الشياطين ، لا الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به الروح الأمين .

مساكين هؤلاء الصحابة وتعساء فى نظرك يا صاحب السماحة لأنهم وهم خير القرون وكالنجوم يقتدى ويهتدى بهم ، ورغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم أنه لو أنفق مسلم مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه . رغم هذه من رسول رب العالمين إلا أنهم وا أسفاه لم يكتشفوا بعد بابا بين أبواب الفضل العظيم فى الإسلام اسمه « التصوف » فجاءت القرون المتأخرة وعصر الأراذال الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « يفشو الكذب » وقال « يفعلون ما لا يؤمرون » جاء هذا العصر فاكتشف الصوفية والتصوف الذى غاب عن خير القرون ! ! ! .

هل يمكن يا صاحب السماحة أن تتفضل مشكوراً فتبين لى بسند ضعيف صحابياً واحداً نطق بكلمة التصوف ، خاصة وأنت ذكرت أن التصوف هو الإسلام نفسه ، وإلا فإن هذا التصوف المزعوم من صنع الذين « شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » .

وقد سميت يا صاحب السماحة تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار حراء تصوفاً ولكن أصحابه سموه تحنثاً وإنى يا صاحب السماحة أحيلك إلى قواميس اللغة العربية لتعرف الفرق بين التصوف وبين التحنث الذى هو تعبد الليالى ذوات العدد واعتزال الأصنام لا العكوف على القبور والتوابيت .

ولعلك يا صاحب السماحة تتذكر الأساس الذى قام عليه التصوف وهو تقسيم الإسلام إلى شريعة وحقيقة ، وأن الأخيرة هى التى خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم البعض دون البعض الآخر .

ترى هل نسيت يا صاحب السماحة قول الله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) ؟

فهل فتن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحقيقة فكتمها وأطلع عليها الخواص ؟ ؟ ! ! ولعلك ياصاحب السماحة تكون قد نسيت أن الصوفية تعتبر التوحيد أوحالا ، وراحت تدعو ربها أن ينشلها من هذه الأوحال ، إذا كنت قد نسيت فارجع يا صاحب السماحة إلى كتاب « اللآلىء السنية من أوراد السادة الخلوتية ض ٢٣ » حيث جاء بالحرف الواحد .

« وانشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة »

وهكذا تريد الصوفية أن تحلق بالدين الذى كَمُلَ فوق آفاق التوحيد الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدخل فيه شيئاً جديداً على الكتاب والسنة وخير القرون، أليفاً عند قدماء الهنود والفرس وفلاسفة اليونان . هذا الشىء اسمه « وحدة الوجود » ولعل عذر الصوفية فى هذا أنها ظهرت فى عصر قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « . . . ثم يفشو الكذب » .

وهل لك يا صاحب السماحة إلى أن تعرف الشبه العجيب بين التصوف وبين النصرانية واليهودية والفارسية والهندوكية والبوذية ؟ ؟ .

فكما أن هذه الديانات لها طقوس ورموز وشكايات ، كذلك الصوفية فى أورادها وأذكارها وزيها الكهنوتى الذى تتوشح به فى أعياد وثنية القبور . وكما أن أهل هذه الديانات يقدسون كهنتهم وأحبارهم ورهبانهم ويعتقدون أنهم حملة الأسرار الإلهية وينبغى ألا يعترض عليهم ، كذلك الصوفية . ولعلك يا صاحب السماحة تكون قد نسيت المبدأ الصوفى المعروف « من اعترض انطرد » و « كن بين يدى شيخك كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء ولا تعترض عليه وإن خالف الشرع ، وسلم له فيما تراه » .

وكما أن رءوس هذه الديانات يطلبون ممن ينضم إليهم التسليم الكامل لكل ما يسمع ويرى ويمنح عهداً مطبوعاً مختوماً بعد أن يدلى باعترافاته وتخلع عليه ثيابا معلومة ، كذلك الأمر بالنسبة للصوفية حيث تخلع الخرقة الصوفية وفق مراسم معينة ويعطى

فى النهاية عهداً مكتوباً يسلبه كل ما يمت إلى الآدمية بصلة، ويجعله تابعاً ذليلاً لا يعترض على شيوخه وإن خالفوا الشرع .

وكما أن أصحاب هذه الديانات يدفنون كهنتهم وأحبارهم ورهبانهم فى أماكن العبادة ويقيمون على قبورهم النصب والهياكل ويجعلون لها الأعياد، كذلك فعلت الصوفية بأقطابها .

واأسفاه واحسرتاه واندماه، تحت ستار مفضوح من الزهد والورع أضاعت الصوفية كل معالم الإسلام وأقامت فوق أنقاضه وحدة الوجود، وحطمت المسلمين إلى فرق وطرق ضاع فيها الإخلاص لله تحت ستار الإخلاص للمشيخة والطريق .

ترى ياصاحب السماحة هل تصر على قولك إن التصوف هو الإسلام نفسه ؟

إن الفرصة ياصاحب السماحة مازالت بين يديك ويمكنك أن تستبدل باللقب والمقعد الموروث مقعد صدق عند مليك مقتدر. وذلك إذا خلعت ثوبا عتيقا باليا اسمه التصوف، نسج خيوطه ابن عربى والحلاج وابن عطاء الله السكندرى والشعرانى بمعونة الشيطان الرجيم ، وتستبدل به ثوبا جاءت خيوطه من فوق السماء السابعة .

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) لامن المتصوفين .

وإلى لقاء آخر والسلام على من اتبع الهدى

مصطفى عبد اللطيف درويش
رئيس مأمورية الشهر العقارى
بسوهاج

٧ — دراسات إسلامية

المعجزات فى القرآن

ثمود بعد عاد : انحرفت عاد ـ قوم هود ـ عن جادة الطريق وكفرت بأنعم الله . وأبت الإذعان لرسولها هود ـ عليه السلام . فأهلكها الله بذنوبها . . فورثت ثمود الأرض من بعدهم . نخلفوهم فيها . وعمروها أكثر مما عمروها . فبنوا القصور . ونحتوا من الجبال بيوتا . ليأمنوا مصائب الدهر . ونوائب الحدثان وكانوا يتقلبون فى ترف من العيش . وبحبوحة من الرزق والنعمة دون أن يحمدوا الله على فضله . أو يشكروا له نعمه . بل زادوا عتواً فى الأرض . وأعملوا فيها الفساد . وبعدوا عن معالم الحق . واستكبروا وعبدوا غير الله من المخلوقين . وأعرضوا عن آياته . وظنوا أنهم فى هذا النعيم خالدون . وفى لهو الحياة متروكون .. وقد حكى القرآن على لسان نبيهم صالح عليه السلام ما كان من شأنهم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) الآية ٧٤ : الأعراف ، كما حكى قوله تعالى (أتتركون فيما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون) الآيات ١٤٧ ـ ١٥٠ : الشعراء .

صالح ينصح قومه : بعث الله إليهم أخاهم صالحا بدين يهديهم إلى عبادة إله واحد . وينصحهم بترك ما هم عليه من عبادة الأوثان ، لأنها لا تملك لهم نفعاً ولا ضرا . ولا تغنى عنهم من الله شيئا وكان أول شىء فعله صالح ـ عليه السلام ـ مع قومه أن ذكرهم بأواصر القربى التى تربطه بهم . نخاطبهم بلفظ « ياقوم » لعل ذلك يلين من قلوبهم المتحجرة . فيؤمنوا لكن ما كاد صالح يدعوهم إلى الحق . حتى أصموا آذانهم . وأنكروا عليه نبوته . وسخروا من دعوته . وزعموا أنها بعيدة عن الحق . بل لاموه على صدورها

منه . وهو الذى كان موضع رجائهم . فى حل معضلات أمورهم . وكان مستشارهم الأمين فيما يعرض لهم من مشكلات . فقد كان عندهم ثاقب الفكر . صائب الرأى . لكنهم انقلبوا عليه فجأة حين أنكر عليهم عبادة آلهتهم التى درجوا عليها . ونشأوا متمسكين بها . . ومن هنا أعلنوا أنهم لايثقون فى دعوته . ولا يطمئنون إلى قوله . وأنهم فى شك مما يدعوهم إليه . وقالوا (ياصالح : قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه إليه مريب) الآية ٦٢ : هود .

لكن صالحا أبان لهم أن حجته[1] على رسالته واضحة لا لبس فيها ولا غموض. وأنه يبتغى نفعهم ولا يتطلع إلى رئاسة فإنه إن ترك دعوتهم إلى الحق بعد مااختاره الله رسولا إليهم فمعنى ذلك أنه يعصى الله . ويكتم رسالته . ويكذب عليهم فمن ينصره من الله . ويدفع عنه عقابه . . وإذن فما دام هو على حق فإنه لن يبالى بماهم عليه من شك فإنه لو حرص على مودتهم وطاوعهم على هواهم مازاده ذلك إلا التعرض لغضب الله ومقته :(قال ياقوم : أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير) الآية ٦٧ . هود .

ثم عادوا يتعجبون من نبوته ، وكبر عليهم أن يبعث الله بشرا منهم رسولا يدعوهم إلى الهدى والحق . وقالوا مامعناه . كيف يأتيه الوحى من بيننا وهو واحد منا يعيش بيننا . . لقد تجاوز صالح حد الرشد والاعتدال بدعواه هذه (فقالوا : أبشراً منا واحدا نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر . أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) الآيتان ٢٤ ـ ٢٥ ، القمر .

المؤمنون برسالة صالح : آمن بعض المستضعفين من قوم صالح بدعوته . وصدقوا برسالته وهذه سنة الله تعالى فى البشر . . فقد مضت على أن يسبق الفقراء المستضعفون من العباد إلى الاستجابة لدعوات الرسل . لأنه يشق عليهم أن يكونوا أتباعا لغيرهم من

---

(١) هى ناقة الله لقوم صالح وسيأتى ذكرها بالتفصيل فى بيان ماأوتى كل نبى من آيات معجزات .

المصلحين ، فقد يصيبهم خير من هذا الإيمان والاتباع . . هذا بعكس أكابر القوم الذين يثقل عليهم أن يكونوا تابعين لغيرهم ، لأن ذلك سيسقطهم من منزلة الرئيس إلى منزلة المرؤوس ، وسيحد من شهواتهم ، ويوقف من إسرافهم ، ثم فيه بعد ذلك زوال لدولتهم ، وذهاب لسلطانهم على الضعفاء من الناس . على هذه السنة جرى خطاب للمستكبرين من قوم صالح للمستضعفين منهم حين قالوا (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم : أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ؟ !) الآية ٧٥ : الأعراف .

ورد المؤمنون بصالح على المستكبرين رداً يترجم عن صدق إيمانهم ، ويدل على اطمئنان قلوبهم بدعوة صالح ، وأنهم أقبلوا عليها بيقين وعلم بعد أن ملأت عليهم شعورهم وأفكارهم (قالوا : إنا بما أرسل به مؤمنون) الآية ٧٥ : الأعراف .

وطبيعى أن هذا الرد من المؤمنين الضعفاء لم يقنع الملأ الذين استكبروا ولم يرقهم إيمانهم بصالح ، فردوا على أبناء قومهم معلنين الكفر والجحود (قال الذين استكبروا : إنا بالذى آمنتم به كافرون) الآية ٧٦ : الأعراف .

طلبهم تعجيل العذاب : ولما أن وجد المعاندون من صالح — عليه السلام — استمساكاً برأيه ، واعتصاماً بحقه وفشلوا فى زعزعة أتباعه عن عقيدتهم ، وأصروا على عنادهم وتمادَوا فى طغيانهم ، واستمسكوا بعبادة آلهتهم ، وأعرضوا عن كل النذر والتحذيرات ثم سألوه — فى استخفاف واستهزاء — أن يعجل بعذابهم . وأن يأتيهم بما وعدهم إن كان مرسلا من الله بحق (وقالوا يا صالح : ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين)الآية ٧٧ : الأعراف .

وعرف صالح أنهم يستعجلون العذاب وهم جاهلون لما يقولون ، غير مدركين لأهوال العذاب ، فأراد — إشفاقاً عليهم — أن يلقى عليهم قولاً ليناً رحيماً لعلهم يثوبون إلى رشدهم ، ويرجعون عن غيهم ، فيسألوا الله الهداية لأنفسهم ، ويتضرعوا

إليه بالتوبة والاستغفار ، عسى أن يرحمهم ويتوب عليهم (قال يا قوم : لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟ ؟) الآية ٤٦ : النمل .

تشاؤم قوم صالح منه : لكن كلمات صالح ذهبت هباء ، فلم تصل إلى أعماق قلوبهم ولم يستجيبوا لها ، بل تمادوا فى الضلال ، واستسلموا لنزوات الشر . . وكان كلما أصاب أحدهم مكروه أرجعوه إلى صالح وأتباعه المؤمنين ، واعتبروهم مصدر شؤم وشرلهم ، وفى هذا يقص القرآن على لسان ثمود قولهم لصالح (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) الآية ٤٧ : النمل .

فرد عليهم رسولهم صالح بما معناه : إن الله قدر عليكم ما تتشاءمون به وإن الأمر لا يعدو أن يكون فتنة من الله لكم على ما أنتم عليه من بهتان وضلال (قال : طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) الآية ٤٧ : النمل .

تآمرهم عليه : ويئس أكابر ثمود من صالح ، وتضايقوا من إصراره على التمسك بدينه ، وثباته على مبدئه ، فخشوا أن يكثر أتباعه وتنتشر دعوته ، وتزدهر مبادئه ، وعز عليهم أن يكون هو المرشد للقوم إذا اشتد الخَطْب ، فينصرفوا عنهم ، فيفقدون بذلك زعامتهم وكهنوتيتهم وينزلوا من عليائهم . . لذلك تحالفوا أن يتسللوا إليه فى جنح الظلام ، ويباغتوه وأهله نيام ، فيوقعوا به فى غفلة من الناس ، كما أجمعوا أمرهم بينهم على أن يكون التخلص من صالح سرًا لا يذيعونه ، ولا يتناقلونه ظناً منهم أن قتل صالح وأهله سيريحهم من عنائه لهم وسيعصمهم من العذاب الذى ينتظرهم ، وقد نزل قول الله تعالى فى شأن تلك المؤامرة (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيِّتَنَّهُ وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون) الآيتان ٤٨ ، ٤٩ : النمل .

لكن الله القوى العزيز حمى صالحاً من كيد أعدائه ، فأحبط مكرهم ورد إليهم كيدهم ، وعكس عليهم أمرهم (ومكروا مكراً ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون) . الآية ٥٠ : النمل .

هلاك ثمود . . ونجاة صالح : عند ما جاءوا ليلاً ليقتلوه أنزل الله بهم عقابه الرادع مظاهرة لنبيه ، وتصديقاً لوعده له ، إذ أنزل عليهم صاعقة مدمرة ، فأهلكتهم بظلمهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كما أرسل الله عليهم صيحة من السماء ، وأصابتهم رجفة شديدة من أسفل ، ففاضت أرواحهم وأصبحوا صرعى . . وفى شأن نهايتهم المؤلمة المفجعة نزلت الآيات بقول الله تعالى (وأخذ الذين ظلموا الصيحة[1] ، فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود) . الآيتان ٦٧ ، ٦٨ هود (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين) الآية ٧٨ : الأعراف (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة[2] العذاب الهون بما كانوا يكسبون) الآية ١٧ : . (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون) الآية ٥٢ : النمل .

هكذا هلك المعاندون من ثمود وطويت صفحتهم ، ولم يمنعهم من العذاب ما شادوا من قصور شامخة ، وما جمعوا من أموال وفيرة ، وما غرسوا من جنات واسعة ، ونحتوا من بيوت آمنة منيعة .

ونجى الله نبيه صالحاً مما أراد المعاندون به ، وأنقذه هو والذين معه من العذاب ، وفى شأنه نزل قوله تعـالى (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الآية ١٨ : فصلت . (فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز) الآية ٦٦ : هود .

ورأى صالح — عليه السلام — ما حَلّ بالسفهاء من قومه — عند ما أصبحت جثثهم هامدة ، وديارهم خاوية ، فتولى عنهم والأسى يملأ نفسه ، والحسرة تقطع نياط قلبه ، والألم يعتصر فكره (فتولى عنهم وقال : ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الآية ٧٩ : الأعراف . « للبحث بقية »

سعد صادق محمد

(١) راجع الآية ٣١ : القمر . (٢) راجع الآية ٤٤ : الذاريات .

الإسلام . . . ذلك الدين المثالى

لو أنصف الناس قاطبة لـكان الإسلام ديناً للعـالم أجمع ، يلتف الجميع حوله ـ وينضوون تحت لوائه ، ويقتطفون من ثماره اليانعة قطوفاً دانية .

فالإسلام هو الدين المثالى الـكامل الذى اختاره الله لعباده مِنّة منه وفضلا ، فأنعم بذلك من اختيار ، ولو أتاح الناس لعقولهم فرصة البحث والتعمق فى كنه هذا الدين وماهيته لأدركوا قيمة مزاياه الساميةوأهدافه النبيلة ولأحلوه من نفوسهم وقلوبهم المـكان الأسمى ، فهو دين لا يحجر على العقول — كما يشيع خصومه — ولـكن يدعو العقول دواماً وبإلحاح مراراً وتـكراراً فى آيات كثيرة من القرآن الـكريم إلى التأمل وإمعان الفـكر فى دقائقه ، ويفتح الباب على مصراعيه داعياً العقول إلى تحليله والمناقشة فى أغواره البعيدة ، بل ويلقى فى وجوه المفـكرين الجهابذة بالقفاز — كما يقول التعبير العصرى الحديث — متحدياً كافة البشر أن يجدوا فيه هنة بسيطة أو ينالوا منه منالا ، أو يأتوا بدين أكمل منه أو حتى يضاهيه ، ولـكن هيهات : إنه لا يأبى عليهم أن يقارنوا بينه وبين كافة الأديان الأخرى السماوية منها والوضعية ، وهو مع هذا كالطود الراسخ ثابت لا يتزعزع ؛ لا تشوبه أدنى شائبة من خوف أو وجل ، وذلك لسلامة بنيانه ومتانة نسيجه وإحكام صياغته ، ولا يخشى أن تزلزل الأرض أو تميد من تحته أويتقوض بناؤه ، لأنه دين الهدى ودين الحق .. وليس بعد الحق إلا الضلال .

إنه دين يقودك أيها الإنسان ـ لو اتبعته بإخلاص ونفذت تعاليمه بكل دقة ـ إلى الخير وإلى طريق السعادة والنعيم فى الدنيا، تمضى فيه متفيئاً ظلال الأمن والاستقرار حتى تصل إلى النهاية ، ويقودك كذلك فى الآخرة إلى الجنة حيث النعيم الأبدى والخلود السرمدى ، يقودك إلى الفردوس الأعلى ـ لا وأنت مغمض العينين ـ ولـكن وأنت على بصيرة وعلى علم وعلى هدى وعلى يقين : ولو تناولنا الأديان السماوية السابقة ـ وهى أديان حقيقية من عند الله ، نؤمن بأصلها الذى لم تنله يد التحريف ، ونؤمن بأن رسلها

وأنبياءها رسل من عند الله ـ لو تناولناها لراعنا أنها مع أحقيتها محدودة الأبعاد والزوايا لا تفى بكل ما تتطلبه البشرية فى مراحل نضجها المستمر وتطورها المتتابع من مستلزمات واحتياجات ، وكذلك الحال فى الأديان الوضعية كالبوذية والكونفوشيوسية وغيرها ـ هذا برغم ما فيها من بعض المزايا الخلقية ، وإلا لما كانت مبدأ يرضاه بعض الناس لنفسه كعقيدة يدين بها ـ ولكن شتان بين هذا كله وبين دين الله ، شتان بين دين يحافظ على النفس ويحنو عليها ويرعاها ويكفل لها السلامة والأمن ، وبين دين كالبوذية يرى أتباعه أن الانتحار وقتل النفس عمل من صميم العقيدة أو على الأقل يعتبر تضحية بالنفس لا تأباها عقيدته ، وهذا فى الحق عمل تأباه الفطرة الإنسانية السليمة مهما كان الغرض الذى يهدفون إليه بهذا الانتحار .

وإذا كانت الكونفوشية يرى فى كونفوشيوس «واضعها» أنه الفيلسوف المبرز والحكيم الأول الذى تمخضت قريحته وجادت من وجهة نظرهم ـ بروائع الحكم ـ ولم يعتقد هؤلاء مثل هذا الاعتقاد إلا لأنهم لم يبحثوا الإسلام أو يدققوا فى نزاهته وعدالته وكماله ، بل وأحسب أن منهم من لم يسمع بالإسلام إطلاقا ، ونحن لهذا مطالبون بلفت الأنظار إليه وتسليط الأضواء عليه والدعوة إليه على أوسع نطاق ممكن ـ إذا اعتقد هؤلاء فى حكمة كونفوشيوس ، فنحن المسلمين ـ ربنا هو الله رب العالمين وهو كذلك أحكم الحاكمين ، وهو بعباده خبير بصير ، وكيف لا وهو الذى خلقهم وهو أعلم بهم وأرحم ، وأدرى باحتياجاتهم وهو كفيل بتوفيرها لهم من خزائنه التى لا تنفد.

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وأوتى كذلك جوامع الكلم . وهذه هى أقواله وأحاديثه النبوية الشريعة مبثوثة فى بقاع العالم وهى خير شاهد على ذلك ، إذ زخرت بروائع الحكم ونفائس الدرر التى لا يدانيها على الإطلاق أحد من سائر البشر ، بل وهؤلاء هم أصحابه الكرام وأتباعه رضى الله عنهم أجمعين قد اقتطفوا من رياضه الناضرة أشهى الثمار واقتنصوا من حكمه القيمة فرائد اللآلى

باستمساكهم بسنته الطاهرة وباغترافهم من مناهله العذبة وتربيته لهم وتعليمه إيام - أصبحوا أئمة للهدى وأعلاماً ، لهم مكانتهم وصاروا أمثلة تحتذى ، وإذا بالمجتمع الذى تألف منهم فى صدر الإسلام يضحى مطمح الأبصار ومحط الأنظار . وتظل مثالية الإسلام والمجتمع الإسلامى آنذاك ملء السمع والبصر . ولن يبلغ الشأو البعيد المثال مجتمع أو فرد إلا إذا تشرف بالانتساب لهذا الدين العظيم .

وكل إنسان منا ولا شك يستشرف ببصره ويرنو إلى التكامل والمثالية . والإسلام بحق هو دين الكمال والمثالية ، إنه يدعو إلى السمو والتسامى بالنفس البشرية بصورة لا يتصورها عقل بشر ، فهذه إحدى الآيات القرآنية الكريمة تقول فى معرض البر بالوالدين الكافرين المشركين : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً . . » الآية رغم كل ما بدا منهما من جحود يوصى الإسلام الابن بالإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف وحسن رعايتهما ، وتبين الآية بعدئذ أن هذا السلوك الحسن إنما يكون سلوك المنيبين إلى الله الطائعين له ، وإلا فالجزاء الوفاق فى انتظار العاق للوالدين . أهناك بعد هذا مثالية إلى هذا الحد فى أمر دين من الأديان ؟ اللهم لا .

وهاك آية أخرى تقول : - « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » الآية . إنها تدعو إلى المقارنة بين السيئة والحسنة - وتفضيل الحسنة وترجيح كفتها والحث على انتهاج منهجها حتى تؤتى أكلها وتؤدى إلى النتيجة المأمولة منها وهى هنا إحلال الصداقة محل العداء . والمحبة والمودة بدلا من البغضاء ، فتسود المسلمين روح الإخاء وتنقشع غيوم الكدر تاركة مكانها للصفاء . وتلك صفة من تحلى بها كما وصفته الآية كان من الصابرين الظافرين ذوى الحظ العظيم .

وكذلك الآية الأخرى التى تقرر الجزاء بالمثل مع تفضيل العفو والصفح ، مثل

قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ـ وقوله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا . بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » . وحتى لا يجعل الإسلام المسلم سبيلا للجور والظلم حتى لو تيسرت له سبل الانتقام من عدوه إن وقع تحت يده ، فالإسلام بمثاليته لم يترك له الحبل على الغارب ، فقال تعالى :« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » الآية . وتلك والله قمة المثالية ، ويؤكد لك الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ألا تجزى السيئة بالسيئة بل تجزيها بالحسنة وتربأ بنفسك عن الهبوط إلى مستوى سوء الخلق فى قوله صلى الله عليه وسلم «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » . وهكذا يمضى الإسلام فى طريق الرشد يعالج الأمور بلطف ولين وحزم حتى يجتث الداء من جذوره ويستل الحقد من مكامنه ، فإذا بالمجتمع الإسلامى وقد برىء من علله وأمراضه وتحرر من قيوده وأصفاده ، ينهض النهضة الكبرى فيعيد للإسلام أمجاده الخالدة الماضية ويربط بينها وبين الحاضر برباط وثيق لا تنفصم عراه . فإلى الذين ينشدون المثالية والكمال نقول : أريحوا أنفسكم فلا مثالية إلا فى الإسلام ولا كمال إلا فيه ، وبالله التوفيق والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

محرم بك : الاسكندرية — محمد عبد الكريم أحمد

المسارعون في الخيرات

يقول الله تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) .

نظرات فى المجتمع والشريعة :

السلبية

— ٧ —

بواعث الاتجاه السلبى ومظاهره :

فى العدد السابق تحدثنا عن باعثين من هذه البواعث هما : سرعة الفهم لحقائق الإسلام : وأهداف تشريعه ، والثانى ، هو التصوف وما أورثه لمجتمعنا من آثار سلبية مشينة ، وموعدنا فى هذا المقال الحديث عن بقية البواعث :

٣ — أساليب الاستعمار وما لها من آثار ملموسة فى إيجاد ودعم هذه السلبية التى يعيش فيها مجتمعنا الإسلامى وذلك عن طريق :

ا — تشجيع الأفكار ، والاتجاهات السلبية التى عرفت طريقها إلى المجتمع الإسلامى ، وقد أسلفنا جانباً منها، ونضيف لذلك فكرة اللامبالاة وخلق انفصالية بين الأمة والقائد ، وبين الشعب والحكومة ، وإبعاد الشعوب المستعمرة عن الأعمال الحيوية التى تشعر الإنسان بكيانه وفاعليته فى مجتمعه ، حتى يصير الشعب بضعفه واستكانته كأنه غريب فى بلده ، ليس له رأى أو أثر فى أمور وطنه .

ب — تشجيع المذاهب التى راجت فى بعض المجتمعات الإسلامية باسم التجديد فى الفكر الإسلامى ، وكان من آثارها تعطيل المبادىء الإسلامية التى تدعو إلى الإيجابية وفاعلية الفرد فى مجتمعه ، مثل : الجهاد فى سبيل الله ، وعدم موالاة أعداء الدين .

وكان مسرح نشاط هذه المذاهب الهند وباكستان ، وذلك مثل « القاديانية »[1] والمذهب الإصلاحى الذى دعا إليه أحمد خان .

١ — القاديانية : نسبة إلى قاديان ، بإقليم البنجاب شمال شبه الجزيرة الهندية ، وقد دعا لهذا المبدأ رجل تربى فى أحضان الاستعمار واسمه : غلام أحمد) ادعى النبوة ، وشجع الاستعمار فى الهند دعوته ؛ لأنها كانت فى خدمة اهدافه

حـ — خلق انفصالية عاطفية بين المجتمعات الإسلامية فى بقاع الأرض المختلفة ، وهذه الانفصالية العاطفية من شأنها أن تخلق فى الرأى العام الإسلامى نوعا من السلبية بالنسبة للشريعة الإسلامية بحيث يضعف سلطانها على نفوس المؤمنين بها ، لأن من شأن شريعة الإسلام أن توجد بين المسلمين وحدة عاطفية ، لا تنفصم عراها ، ويظهر أثرها فى قوله تعالى : «وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر» وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وقوله (مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

فإذا وقع عدوان على أى جزء فى المجتمع الإسلامى وجب على المسلمين فى كل مكان أن ينشطوا لرد العدوان ، تنفيذاً لمبادىء الإسلام .

وللاستعمار أسلوب عجيب فى خلق هذه الانفصالية العاطفية، وذلك بإيقاظ القوميات المحلية ، ولفت نظر الشعوب للتعصب ، وتوجيه مالديهم من طاقة عاطفية لهذه الأفكار العنصرية ، ففى مصر يحيون فيها الاتجاه إلى المصرية الفرعونية ، وفى الشام إلى الآرامية أو السريانية ، وفى الهند إلى الآرية ، وفى تركيا إلى التركية ، وفى العراق إثارة العنصرية بين العرب والأكراد .

ومنذ ربع قرن تقريباً ارتفع فى مصر صوت يعلن أن مصر بتاريخها ، وتقاليدها أقرب إلى أوروبا ودول حوض البحر المتوسط من العروبة والوطن العربى .

ويترتب على إثارة هذه العنصريات ضعف الرابطة العاطفية الناشئة عن وحدة الدين ، بحيث يقع العدوان على بلد إسلامى فلا تتحرك مشاعر البلد الآخر لانعدام العاطفة التى هى وقود الحركة .

وقد تلمس أثر هذه الانفصالية العاطفية التى خلقها الاستعمار ، والتى أورثت السلبية للعالم الإسلامى المعاصر عندما ترى هذه الدول موزعة الأهواء ، تتقاسمها الأحلاف ، وليس لها رأى موحد فى سياستها الخارجية ، فتركيا الإسلامية لا تكاد

تبرح ذيل الركاب الغربى الذى كثيراً ما يصبها صليبية رعناء على العالم الإسلامى فى صورة مقنعة ، والعراق فى عهد نورى السعيد كان يمد طائرات بريطانيا بالوقود لتلقى قنابلها على القاهرة عام ١٩٥٦ ، وباكستان المسلمة قد تخمد عاطفتها إزاء قضية عربية تعتبر من أمانى الشعوب الإسلامية بينما تتوتر عاطفة حكومة الهند أو الصين مناصرة لها .

وللمستشرقين — والاستشراق نشاط على موجه غالباً لخدمة الاستعمار — جهود ضخمة فى هذا الصدد منهم ، يصفون الشعوب الإسلامية بالسلبية ويعللون ذلك بأن الإسلام نفسه هو باعثها ، لأنه دين يقول بالجبرية وينفى اختيار الإنسان ، كما يحملون مشاعل الفرقة فى العالم الإسلامى ، ويتبعون من الناحية الفكرية الاتجاهات الاستعمارية التى أشرنا اليها .

وقد قامت معركة عنيفة فى أواخر القرن الماضى بين المستشرقين من ناحية وزعماء الإصلاح فى العالم الإسلامى من ناحية أخرى وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده حيث انبروا للدفاع بقوة وحماس إسلامى مشكور عن شريعة الإسلام ، وبيان مزاياها وكشف الحقائق التى شوهها الاستعمار ، وفضح الزيف الفكرى الذى صدر عن المستشرقين باسم البحث العلمى .

٤ — الجهل : وهو أمر نسبى ، فقد يكون الإنسان عالما بعدة نواح ، وجاهلا بناحية أخرى ، وعلى قدر الناحية التى يجهلها يكون مدى التأثير فى سلوكه . والثقافة بمفهومها العصرى : أن تعلم شيئاً عن كل شىء . على أن الجهل الذى خلق السلبية المعاصرة . قد يكون هو جهل الناس بتشريعات الاسلام الصحيحه ، وقد يكون جهل الشعب بالحقوق والواجبات التى تنظم علاقة الأفراد فى المجتمع بعضهم ببعض وعلاقتهم بالحكومة .

أما النوع الأول فقد سبق أن تكلمنا عن أثره

وتلمس أثر النوع الأخير من الجهل فى أمرين : الأول عدم احترام المرافق العامة ، وهذا مظهر لسوء التربية الاجتماعية ، فقد يعبث إنسان بالطرق العامة أو بالقناطر ، أو بأسلاك المسرة ، أو بمقاعد السيارات العامة ، وقد يقضى حاجته فى منتزه أو حديقة ، أو ظل يأوى إليه الناس . .. وهكذا أمثلة كثيرة للسلبية الناشئة عن الجهل ، إذ لو علم أحد هؤلاء العابثين أنه يؤذى المجتمع ، ويعرض مصالح المجموع للخطر لما فعل ذلك . ولكنه لسلبيته وجهله لايعرف قدرها ، ولا يدرك أساس ملكيتها ، ولا الخطر الذى يترتب على تعطيلها . والدين الإسلامى وقد عرفنا إيجابيته فى توجيهاته ومبادئه ، ومثله دعا إلى احترام المرافق العامة . يقول عليه الصلاة والسلام : لايبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل فيه . كما بين أيضا أن رجلا أزال حجراً عن الطريق حتى لايؤذى الناس فشكر الله له فغفر له . فهذا الرجل مافعل ذلك إلا لأنه يحترم المرافق العامة ويحافظ عليها ، ولا تعجب من ذلك الجزاء العظيم على عمل قد يكون فى زعمنا يسيرا ، لأن الإسلام كل لايتجزأ ؛ فهذا العمل نتيجة لعقيدة راسخة ، وتطبيق عملى لمبادىء الإسلام السمحة .

الثانى : الأنانية ومعالجة الأمور من خلال منظار المصلحة الشخصية حتى لو كانت هذه المصلحة على حساب الغير ، أو حساب آمال المجتمع وأمانيه ؛ لأن الأنانى قصير النظر ، سطحى التفكير ، لايمكن أن ينفذ فكره إلى أغوار عميقة تفهمه أن مصلحة المجتمع حماية لمصلحة الفرد وتأمين له . وبقدر مايعطى الفرد للمجتمع من حريته بقدر مايصون له المجتمع حريته ، ويحمى مكاسبه ، ولكون الأنانى أبشع مثل للاتجاه السلبى نرى الرسول الرسول عليه الصلاة والسلام يقول مصوراً مدى ما ينبغى أن يكون عليه التعامل فى المجتمع المسلم من عمق وفاعلية : « المسلمون تتكافأ دماؤهم . يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

ثم يصور الآثار الخطرة التى قد تنجم عن الاتجاه السلبى ؛ إذ يقول عليه الصلاة والسلام مثله الرائع الحكيم : « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا

على سفينة . فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فقال الذين فى أسفلها : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا !! فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »

وإلى اللقاء مع نظرة أخرى من نظراتنا فى المجتمع والشريعة .

السيد رزق الطويل

مدرس ثانوى

حول استعمال السبحة

باطلاعى على « الهدى » عدد ربيع الآخر ١٣٨٦ « باب الفتاوى » . وجدت فيها ما يفيد أن السبحة ليست بدعة .

ومع أننى لا أحب التزمت ، ولكن دلت التجارب أن أنصاف الحلول لا تقضى غرضاً ، وعليه إذا وجدتم فضيلتكم كتابى هذا يخدم الحق فإليكم ملخصا عما جاء بخصوص السبحة من كتاب الأحاديث الضعيفة والموضوعة تخريج محمد ناصر الدين الإلبانى (المجلد الأول الجزء الأول)

١ — السبحة بدعة لم تكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فإن قيل : قد جاء فى بعض الأحاديث التسبيح بالحصا ، وأنه صلى الله عليه وسلم أقره ، فلا فرق حينئذ بينه وبين التسبيح بالسبحة كما قال الشوكانى : قلت هذا قد يسلم لو أن الأحاديث فى ذلك صحيحة ، وليس كذلك بل هى ضعيفة .

٢ — روى ابن وضاح القرطبى فى (البدع والنهى عنها) (ص ١٢) مر ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه ، ثم مر برجل يسبح بحصا فضربه برجله ثم قال لقد سبقتم ! ركبتم بدعة ظلما ! ولقد غلبتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما !

٣ – إن السبحة مخالف لهديه صلى الله عليه وسلم . قال عبد الله بن عمر « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه » رواه أبو داود والترمذى وإسناده صحيح .

٤ – السبحة مخالف لأمر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (عليكن بالتسبيح والتهليل ولا تغفلن فتنسين التوحيد (وفى رواية الرحمة) واعقدن بالأنامل فإنهن . مسئولات ومستنطقات) وهو حديث حسن أخرجه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وله شاهد عن عائشة موقوف .

٥ – قد يقول قائل إن العد بالأصابع كما ورد فى السنة لا يمكن أن يضبط به العدد إذا كان كثيرا . فالجواب . إنما جاء هذا الاشكال من بدعة أخرى وهى ذكر الله فى عدد محصور لم يأت به الشارع الحكيم فتطلبت هذه البدعة بدعة أخرى وهى السبحة فإن أكثر ماجاء من العد فى السنة الصحيحة فيما أذكر الآن مائة وهذا يمكن ضبطه بالأصابع بسهولة لمن كان ذلك عادته . ولو لم تكن فى السبحة إلا سيئة واحدة وهى أنها قضت على سنة العد بالأصابع أو كادت مع اتفاقهم على أنها أفضل ، لكفى .

وكل خير فى الاتباع وكل شر فى الابتداع : انتهى

أما بعد . فإنى لا أدعو إلى إعلان الحرب على السبحة وأهلها ونجعلها الشغل الشاغل ، بل على طريقة : اسلك فى الدين برفق .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

أخوكم

عبد الرحمن وهب

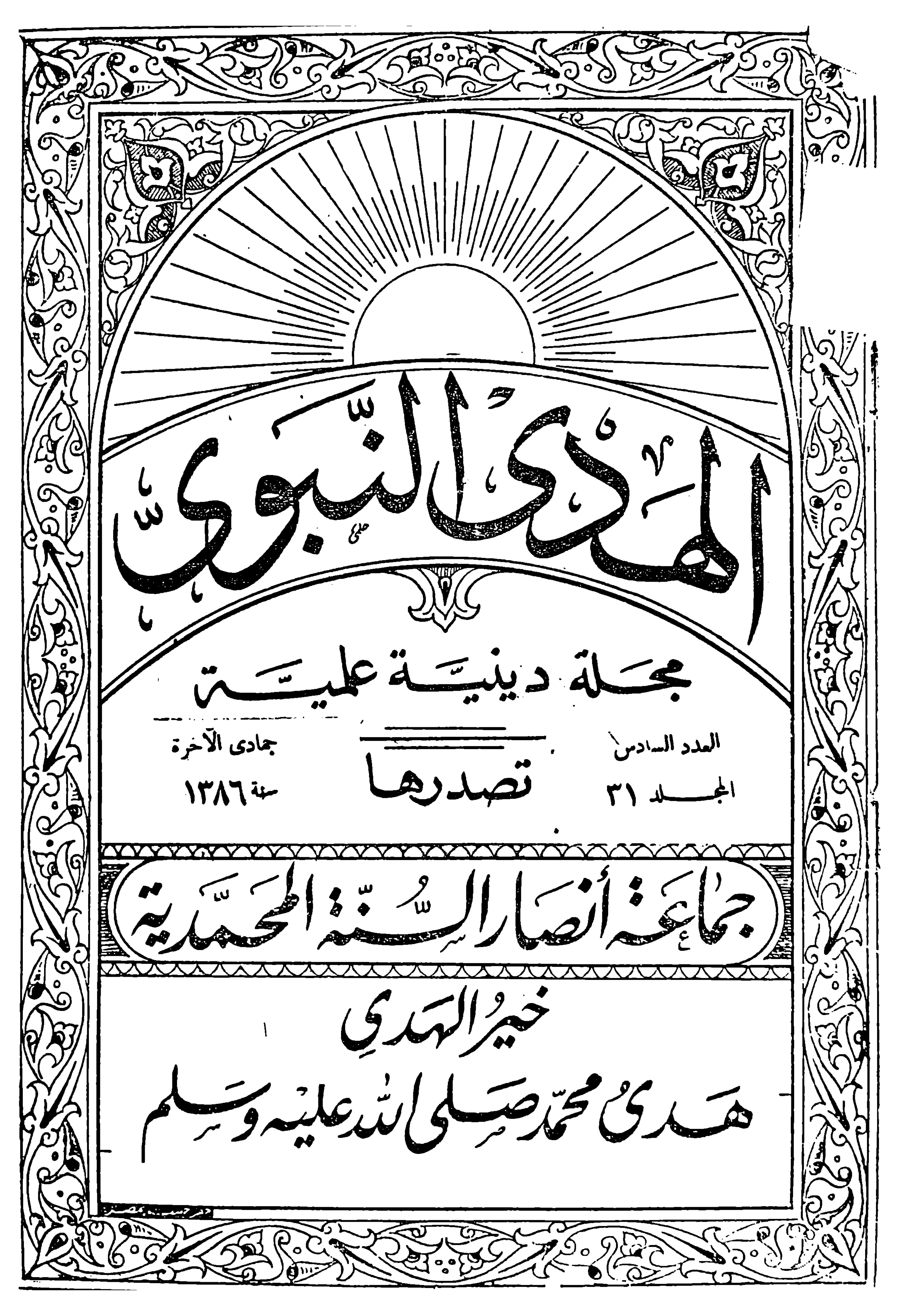
السوكى ـــ سودان

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد السادس
المجلد ٣١
تصدرها
جمادى الآخرة
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

خير الهدى هدى محمد نبي صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

الهدى النبوى

مجـلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد
الاشتراك السنوى
٤٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـدد ٦ — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ — المجلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — (١) ﴿ فاختَلَفَ الأحزابُ مِنْ بينهم ، فَوَيْلٌ لِلَّذين كَفَروا من مَشْهَدِ يومٍ عظيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ ، وأَبْصِرْ يوم يَأْتُونَنَا لَـكِنِ الظالمون اليوم فى ضَلالٍ مُبينٍ * وأَنْذِرْهُمْ يومَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ ، وهُمْ فى غَفْلَةٍ ، وهُمْ لا يُؤْمنون . إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرضَ ومَنْ عليهـا ، وإلينا يُرْجَعُون ﴾ مريم : ٣٧ — ٤٠ .

المعـنى

يقول سبحانه : (وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّه آيَةً ، وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعِين) المؤمنون : ٣٢ :

(١) هذا هو المقال الثالث عن هذه الآيات ، وقد أسلفت القول عن معانى المفردات فى العدد السابق . وفيه كتبت عن موقف اليهود من عيسى عليه السلام ، وعن شيء من هدى القرآن فى شأن عيسى ، ووعدت أن أكتب عما حدث من اختلاف بين النصارى فى شأن عيسى.

نعم جعلهما الله آية فى الخلق . وفى الإيمان القويم . وقد ذكر عيسى باسمه فى القرآن خمسا وعشرين مرة . وبلقب المسيح إحدى عشرة مرة . ذكر فيها جميعها منسوبا إلى أمه ثلاثا وعشرين مرة . ومرتين منسوبا إلى أمه فقط دون ذكر اسمه أو لقبه ومنهما هذه الآية . والأخرى قوله جل شأنه : (ولما ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مثَلاً إذا قَوْمُكَ مِنْه يَصِدُّون) الزخرف : ٥٧

وفى ذكره منسوبا إلى أمه إشراقاتٌ سامية من نور الحكمة والهداية . ففى هذا الذكر دَكٌّ شديد قوى لطاغوت التأليه . إنه زلزال يرعد فرائص الباطل ، بل يأتى على قواعده . فكأنما يقال للذين يؤلهون عيسى : أيكون الإله ابن امرأة ؟ أو إنما إلهكم ابن امرأة . نعم هى امرأة صديقة عظيمة . ولكنها على كل حال امرأة .

وإذا ذكر الإنسان تأليه القوم لعيسى ، ثم ذكر : ابن مريم تجلى له أن بين الحق والباطل أبداً مكانياً ، وزمانياً — إن جاز هذا التعبير — فلا يمكن أن يلتقيا أو يتقاربا ، وتجلى له تفاهة هذا الباطل أيضاً .

كما أن فى ذكره منسوباً إلى أمه تمجيداً لذكر هذه الصديقة ، وتذكيراً بموقفها الأبىّ العظيم من ابتلاء الله الشديد . بل فيه أيضاً تمجيد المرأة المؤمنة . وتسام بمكانتها حيث تذكر هكذا فى القرآن ببيان كريم وذكر كريم .

ثم فيه قضاء على سوء البهتان الفاحش الذى بهت به اليهود — غضب الله عليهم ولعنهم — مريم الصديقة ، إذ تُذْكر فى القرآن بهذا الذكر العظيم ، وقد نسب إليها نبى كريم ، ورسول عظيم .

غير أن هذه الآية العظيمة لم يؤدِّ لها حقّها قلوبُ النصارى وعقولهم . فلم تكن فى نظرهم آية على عظمة قدرة الله . وأنه — وقد خلقَنا من تراب — قادرٌ على أن يخلق سبحانه — بكلمة « كن » وإنما ظنوها آية على أن الله سبحانه قد تجسد فى بطن مريم فصار بهذا التجسد أبا وابنا معا . ويجوز أن يكون الإنسان كذلك . لكن ستختلف

الجهتان اللتان بهما لقب بالأبوة والبنوة ، فهو ابن بنسبته إلى أبيه ، وأب بنسبته إلى ابنه . أما عيسى عند هؤلاء فهو أب بالنسبة إلى نفسه وابن بالنسبة إلى نفسه أيضاً ، فهو الوالد للمولود ، وهو المولود من هذا الوالد نفسه . . تناقض .باطل أحمق البطلان : ومع هذا يدين به ملايين ، مما يدل دلالة قاطعة على تفاهة العقل البشرى فى كثير من أحيانه وأحواله .

نظرة المسيحيين إلى عيسى : لا ريب فى أن المسلمين الحواريين والأنصار قد آمنوا بعيسى كما بين الله ، آمنوا بأنه عبد الله ورسول من صفوة رسله . غير أنا حين نبتلى عقيدة النصارى — على اختلاف نحلهم — لا نرى بينها وبين عقيدة الحواريين والأنصار نسباً ، ولا سبباً . وحين نبتلى مافى الأناجيل التى بأيديهم ، وما فى الرسالات التى ألفها اليهودى « بولس » ونقارن بين ما فيها وبين مافى القرآن ، بل بين ما فيها وبين العهد القديم الذى يقدسه النصارى أيضاً ، فلن نجد بينهما سبباً ، ولا نسباً ! ! وأنا هنا سأذكر نفس مايذكره المسيحيون عن عيسى دون مَسٍ من زيادة ، أو تأويل يُرْمى بأنه لا يشهد له العقل ولا العرف ولا اللغة :

فى مولد عيسى : يرى المسيحيون أن عيسى أزلى قديم كأبيه ، وأن الله سبحانه قد أغضبته خطيئة آدم التى بها أخرج من الجنة والتى كان يستحق بها الإفناء هو وذريته ، وحمى غضبه أيضاً مما اقترفت البشرية من خطايا ، فأراد برحمته أن يمحو هذه الخطيئة عن البشرية ، وأن يفديهم منها حتى لايهلكهم جميعاً بها ، فجعل ابنه أو نفسه يتجسد جنيناً فى بطن مريم ، ثم يولد منها كما يولد البشر ، ثم يترك ابنه ووحيده هذا نفسه ليعطيه اليهود والرومان ، ليكون صَلبُه الكفارة العظمى عن خطيئة البشرية ؟! .

وأقول : نرى من يكفر . عن خطايا البشرية اليوم ؟ ولماذا يقوم القسس بالغفران بعد الاعتراف ، والخطايا مُكَفَّر عنها قبل ذلك .

وخلاصة ماذكره مَتَّي وغيره ، عن مولده أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار[1]

(١) يقول البروتستانات أن يوسف عرف مريم بعد ولادة عيسى وجاء منها يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . ولكن متى يذكر أنهم أبناء مريم أخرى .

الإسرائيلى الصالح : فلما وجدها حبلى أراد أن يسائلها . فظهر له الملاك فى الحلم يخبره أنها حبلى من الروح القدس : وأنها ستلد ابنا ، وسيدعى يسوع لأنه يخلص شعبه من الخطايا . وتم ما أخبر به الملاك يوسف . وحينما ولد المسيح فى بيت لحم فى أيام هيرودس الملك ظهر نجم فى السماء لجماعة من المجوس ، فجاءوا إلى أروشليم - أى بيت للقدس - يسألون عن ملك اليهود الذى وُلِد . كما ظهر لجماعة من الرعاة ملائكة يسبحون « المجدُ لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلامُ ، وبالناس المسرة » فأسرع الرعاة إلى الخان الذى نزل فيه يوسف ومريم ، فرأوا الطفل . وقد وضعته أمه فى مذود البقر .

وقد اضطربت هيرودس حينما قال له مجوس المشرق إنهم رأوا نجم ملك اليهود الذى ولد فى المشرق ، وأنهم أقبلوا : ليسجدوا له ، فطلب منهم البحث عن الصبى ليسجد له معهم - كما زعم - غير أنه كان يريد أن يعرف مكانه ، ليقتله . وقاد منجمُ المجوس إلى مكان الطفل ، ومعه أمه مريم . فسجدوا له . . وقدموا هداياهم له ذهباً ولبانا ومراً ، ثم انصرفوا دون أن يعودوا إلى هيرودس اتباعا لما أمروا به فى حلم من الأحلام .

وظهر الملاك ليوسف النجار ، وأمره بالهروب بالطفل وأمه إلى مصر ، وأن يظل هناك حتى يأمره بأمر آخر ، لأن هيرودوس يبحث عن الطفل لقتله ، وأخذ يوسف الطفل وأمه وهرب بهما إلى مصر . ويزعم المسيحيون أنهم نزلوا حيث يوجد الدير المحرق وحنق هيرودوس من فعلة المجوس ، فقتل كل الصبيان الذين فى بيت لحم (١) ، ممن لا يزيدون عامين فى السن

---

(١) يقول متى أنه بهذا تحققت النبوءة التى وردت فى سفر أرميا التى تقول : « صوت سمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير راحيل تبكى على أولادها ، ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا موجودين » .

وظل يوسف مع مريم والطفل بمصر[١] حتى مات هيرودس . فظهر له الملاك يأمره بالعودة إلى أرض إسرائيل ، فاتجه يوسف إلى اليهودية ، وفى طريقه إليها مر — كما يزعمون — بالمطرية ، واستظل هو ومريم وطفلها بشجرة مازالت حتى الآن تسمى بشجرة العذراء ، غير أن يوسف نزل الناصرة . لأنه خشى من ابن هيردوس الذى ملك بعد أبيه ، وحينما كبر المسيح . وبلغ سنه الثلاثين ـ جاء يوحنا المعمدان ـ أى يحيى ابن زكريا ـ إلى برية اليهود ليكرز ـ أى يعظ ـ فيها قائلا : توبوا ، فقد اقترب ملكوت السموات ، فأتاه عيسى ليعتمد منه فى نهر الأردن[٢] كما كان يفعل . غير أن يوحنا قال له : بل أنا محتاج إلى أن أعتمد منك . ولكن المسيح طلب منه أن يفعل . فعمّده يوحنا فى الأردن ، وبينما هو خارج من الماء ، رأى السماء تنفتح ، وينزل منها روح الله كالحمامة آتياً عليه ، وسمع من السماء صوتا يقول . هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ، ثم أصعد عيسى إلى البرية ليجربه إبليس ، وهناك صام أربعين يوما وأربعين ليلة ، وآخر تجربة لإبليس أنه أرى عيسى جميع ممالك العالم ومجدها . «وقال له : أعطيك هذه إن خررت وسجدت لى ، حينئذ قال له يسوع : اذهب ياشيطان : لأنه مكتوب للرب إلٰهك تسجد ، وإياه تعبد[٣] ، ثم تركه إبليس ، وإذا ملائكته قد جاءت فصارت تخدمه» .

---

(١) يزعم المسيحيون أن أصنام مصر انكفأت حين دخلت مريم وابنها مصر ، وبهذا تحققت نبوءة أشعياء القائلة : «هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر ، فترتجف أوثان مصر من وجهه . ويذوب قلب مصر داخلها» سفر أشعياء الإصحاح التاسع عشر الفقرة الأولى .

(٢) وهذه هى الغطاس التى يحتفل بها المصريون . والتعميد الغطس فى الماء .

(٣) بقية من بقايا الحق والخير . وليت الذين يقرءون هذا من المسيحيين يتدبرون المعنى الواقع الذى هنا . فلا يسجدوا للشيطان !! . ولم يذكر مرقس هذه الكلمات العظيمة . ولكن جاء بقصة التجربة فى إيجاز . أما لوقا فذكرها كما هنا . أما يوحنا فلم يأت لها بذكر .

وظل عيسى يكرز بين القوم فى أرض الجليل لأنه كما جاء فى يوحنا - لم يرد أن يتردد فى اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه ، وفيها خطب خطبة الجبل المشهورة ، وكان يحيي الموتى . ويبرىء الأكمه والأبرص[1] . وحين جاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن أتى إليه الفريسيون ليجربوه ، وجاءه واحد ، وقال له : أيها المعلم الصالح : أى صلاح أعمل ، لتكون لى الحياة الأبدية ، فقال له : لماذا تدعونى صالحا ، ليس أحد صالحا إلا واحد ، وهو الله ، ولكن إن أردت الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا:

ومن مجابهته لطوائف من اليهود قوله ص ٢٨ متى : « أما أنتم فلا تدعوا سيدى ؛ لأن معلمكم واحد ، المسيح وأنتم جميعاً إخوة ، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المُراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قُدَّام الناس ، فلا تَدْخُلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلةٍ تطيلون صلواتكم ؛ لذلك تأخذون دَيْنُونة أعظم . . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحقَّ والرحمة والإيمان ، كان ينبغى أن تعملوا هذه ، ولا تتركوا تلك . . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ؛ لأنكم تشبهون قبوراً مُبَيَّضة تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ، ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ؛ لأنكم تبنون مقابر الأنبياء ، وتزينون مدافن الصِّدِّيقين[2] ، وتقولون : لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم

(١) يعتقد المسلمون أن هذا كان بإذن الله وقدرته .

(٢) هذا نفس ما يقترفه إخوان الكتبة والفريسيين المنبثون فى هذه الأمة تحت أسماء إسلامية .

فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملئوا أنتم مكيال آبائكم ، أيها الحياتُ أولادَ الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ، لذلك هأنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم(١) ، وتطردون من مدينة إلى مدينة ؛ لكى يأتى عليكم كل دم زَكِيٍّ سُفِكَ على الأرض من دم هابيل الصِّدِّيق(٢) ، إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم : إن هذا كله يأتى على هذا الجيل .

يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها ، كم مرةً أردت أن أجمع أولادَكِ ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يُتْرَكُ لكم خراباً ، لأنى أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » متى إصحاح ٢٣ من فقرة ٩ إلى ٣٨ .

ويكشف لنا ما نقلناه عما كان يلقى عيسى من اليهود ، وعن الخلق اليهودى الدنىء الوضيع ، وعن وجود فرق كانت تستحل لنفسها القوامة على الدين ومصاير البشر ، وهم ألد أعداء الدين مثل هاتين الفرقتين اللتين تحدث عنهما كثيراً ، وهم الكتبة والفريسيون . أما الكتبة فهم طائفة كانت مهمتهم القيام بنسخ الكتب المقدسة ، غير أنهم فى أيام موسى أبطلوا كلمة الله بما لديهم من تقاليد ، ولما جاء عيسى كانوا من ألد أعدائه ، لأنه من ألد أعدائهم ، إذ أدخلوا فى دين الله ما ليس منه ،

---

(١) هنا نذكر ونتدبر قول الله سبحانه (ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون ، وقالوا : قلوبنا غُلْفٌ بل لعنهم الله بكفرهم . فقليلا ما يؤمنون) البقرة : ٨٧ ، ٨٨ . وهذا يدل على أن الكلام من بقايا الحير فى (مق).

(٢) يقال هو ابن آدم الذى قتله أخوه قابيل ، وهو أول دم سفك على الأرض .

أما الفريسيون فكانوا أولاً فرقة سياسية تقاوم الدولة الرومانية وحين تولى هيرودس الملك أبوا الخضوع له ، فعاقبهم وبطش بهم ، وكان الفريسيون قادة الشعب فى أمر الدين الذى صار عندهم فى أيام المسيح رياء ، وقد قالوا بوجود تقليد سماعى نقلوه فى زعمهم عن موسى ، وقد تناوله الخلف عن السلف ، وكانوا يرون هذا التقليد معادلاً لشريعة موسى ، بل كانوا يرون هـذا التقليد أهم من شريعة موسى فى التوراة ، وكانوا يأخذون فى الدين بما يتعلق بالظواهر ، أما تقوى القلب فكانوا لا ينزعون إليها .

وهكذا نجد بين أتباع كل نحلة قوماً يشبه بعضهم بعضاً ، مصداق قول الله (أَتَوَاصَوْا به ، بل هم قَوْمٌ طاغون) . فنفس الفريسيين بسماتهم ومآخذهم يوجدون بين من ينتسبون إلى هذه الأمة ! !

والتعشير : أخذ العشر أو إعطاؤه ، ولم يكن يأخذ العشور غير اللاويين ، إذ لم يكن لهم نصيب من الأرض ، وكان العشر من الماشية هو العاشر الذى يمر تحت العصا سواء أكان جيداً أم رديئاً ، ولم يكن العشر من الأعشاب مطلوباً غير أن الفريسيين تظاهراً منهم بالتقوى كانوا يعطون الفقراء عشر ما ينتج لهم من نعناع وشبث وكمون . ويظل إنجيل متى يحدثنا عن حياة عيسى ، وضيق اليهود بدعوته ، ثم يقول : « حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا وتشاوروا لكى يمسكوا بيسوع بمكر ، ويقتلوه ، ثم يذكر أنه قبض على عيسى وذُهب به إلى رئيس الكهنة قيافا ، وأنهم بصقوا فى وجهه ولكموه ولطموه ، كما يحدثنا أن الذى أسلم عيسى إلى أعدائه هو أحد تلاميذه وهو يهوذا الأسخريوطى مقابل ثلاثين قطعة من الفضة . ثم يقص أن بيلاطس الذى أقامه الرومان نائباً أو حاكماً على اليهودية ، حاول إنجاء المسيح من الصلب ، وأن امرأته قالت له : إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله . ويقول : « ولكن رؤساء الكتبة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع » وكان

من عادة الوالى فى العيد إطلاق سراح الأسير الذى يطلب الشعب له ذلك ، وكان قد خيرهم بين إطلاق أسيرهم « باراباس » وبين عيسى ، ولكن اليهود فعلوا ما نقلته عن متى ، وراحوا يصرخون ليصلبْ ، لِيُصْلَب . . ثم تمضى أسطورة الصلب زاعمة أنهم عرّوا عيسى ، وألبسوه رداء قرمزياً ، وضفروا له إكليلا من الشوك ، ووضعوه على رأسه وهم يسخرون به قائلين : السلام عليك يا ملك اليهود[1] ، ويبصقون فى وجهه ، ويضربونه بالقصبة التى كانوا قد وضعوها فى يده ، وعند مكان الصلب المزعوم وهو الجلجثة أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب ، ثم وضعوه على الصليب ، فصرخ بصوت عظيم (إيلى إيلى ، لما شبقتنى ، أى : إلٰهى إلٰهى لماذا تركتنى ؟) . ثم أسلم الروح ، فانشق الهيكل ، وتزلزلت الأرض وتفتحت القبور وخرج منها الكثير من أجساد القديسين الموتى ، وفى المساء جاء رجل غنى اسمه يوسف واستلم من الحاكم جسد عيسى ، ووضعه فى قبره الجديد وسده عليه بحجر كبير ، ثم نزل ملاك من السماء ودحرج الحجر عن الباب بعد حدوث زلزلة عظيمة ، ثم جلس عليه وأخبر مريم المجدلية وصاحبتها اللتين كانتا تجلسان قريباً من القبر أن المسيح قام من قبره . بينما يقول مرقس أن مريم ومعها صاحبتان لها دخلن القبر ، فرأين فيه شاباً هو الملاك ، فأخبرهم بذلك ، ثم ظهر عيسى بعد هذا لمريم وتلاميذه وطلب منهم الذهاب إلى العالم ليكرزوا بالإنجيل ونقرأ فى رسالة أعمال الرسل أنه ظل مع تلاميذه أربعين يوماً ، بعد قيامته من الموت ، وأخبرهم أنه سيعود ويرد الملك إلى إسرائيل ، وبعد هذا ارتفع وهم ينظرون ، وأخذته سحابة عن أعينهم ، ثم رأوا ملاكين يقولان لهم : « إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء » ثم جلس عن يمين الله . وفى اليوم المتمم للخمسين كان تلاميذه مجتمعين فى بيت واحد ، فظهرت لهم

---

(١) كان اليهود يرتجون ظهور المسيح الذى وعدوا به ، ليعيد إليهم ملك سليمان ، ولهذا بهتوا عيسى بأنه الدجال ؛ لأنه لم يأت لهم بملك الطغاة البغاة .

ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، فامتلأ الجميع من الروح القدس ، فابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى !! .

هذا موجز لما عند المسيحيين عن مولد عيسى ونهايته ، وهناك اختلافات واضحة بين الأناجيل فى أمر نسب عيسى ونهايته ، غير أنه يهمنا هنا أن نذكر ونتدبر بإيمان وسكينة ويقين قول ربنا سبحانه عن اليهود ولعنته لهم: (وقولهم : إنا قتلنا المسيحَ عيسَى بن مريم رسولَ الله ، وما قتلوه ، وما صَلَبوه ، ولكن شُبِّهَ لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتِّباعَ الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيما) النساء : ١٥٦ — ١٥٨ .

وصدق الله ، وكذب المبطلون . . والذى نحب أن نشير إليه هو ورود كثير من الفقرات تمجد الله وحده ، وتقرر أن له وحده الألوهية ، وأن عيسى ليس إلا نبياً من أنبياء الله ، ثم الذى يدهشنا هنا أيضاً أن جميع نصوصهم تدين اليهود بسعيهم فى صلب عيسى ، ومع هذا تنعقد المجامع للتبرئة !! وللدعاء لليهود !! .

وفى القصة أساطير ضلالات ، وحماقات شهوات ، ونزَوات باطل وقد أردت بذكرها أن يعلم أهل الحق ما عند أهل الباطل ، ولقد بين الله فى القرآن الكثير من معتقداتهم الباطلة ، لنعلم ونعتبر ونحذر .

وفى العدد القادم — إن شاء الله — أتابع القول فى شأن اختلاف النصارى فى شأن عيسى ، أى فى تفسير قوله سبحانه (فاختلف الأحزاب من بينهم) ولنتدبر بعد قراءة هذا ما ورد فى القرآن عن عيسى لنعيش مع الحق والنور والخير والهداية .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

من هدى القرآن

(وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإمّا ينسينك الشيطان ، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) . من سورة الأنعام

ركن السنة :

الكلمة الطيبة صدقة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه عليها صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة » . رواه البخارى ومسلم

شرح مفردات الحديث

كل سلامى من الناس عليه صدقة : كل بالرفع مبتدأ وسلامى مضاف إليه ، والخبر: عليه صدقة ، والسلامى بضم السين وتخفيف اللام هو العضو وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء ، وقيل جمعه ومفرده واحد وقال ابن الأثير فى « النهاية » .

« السلامى جمع سلامية هى الأنملة من أنامل الأصابع وهى التى بين مفصلين من أصابع الإنسان وقيل كل عظم مجوف من صغار العظام .

وقال النووى فى شرح « مسلم » « أصله عظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل فى سائر عظام البدن ومفاصله » .

وقوله « من الناس » فى محل الصفة لسلامى ، والضمير فى عليه عائد إلى الجنس كما فى قوله عليه السلام « خير نساء ركبن الإبل وأحناه على زوج نساء قريش » ولهذا ورد بصيغة التذكير .

قال السهيلى فى « الروض » الضمير فيه عائد على الجنس أو الضمير عائد على السلامى وذكره باعتبار أنه عضو أو مفصل .

كل يوم تطلع فيه الشمس — هذا ظرف مبين لتجدد وجوب هذه الصدقات على

الإنسان صبيحة كل يوم فى مقابل ما أنعم الله به عليه من خلق تلك السلاميات ودوامها ، ولوشاء لسلبها عنه — وقد ورد أن الصدقة تدفع البلاء فبإخراجها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها ، وظاهر قوله عليه السلام « عليه صدقة » وجوب الشكر بهذه الصدقة كل يوم .

لكن جاء فى رواية أخرى « فإن لم يفعل فليمسك عن الشر فإن له به صدقة » وهو يدل على أنه يكفيه أن لا يفعل شيئاً من الشر فى إسقاط هذا الوجوب .

تعدل بين الاثنين صدقه : هذا بيان لبعض أنواع الصدقات التى يمكن أن يتصدق بها صبيحة كل يوم والجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل بأى شىء نتصدق ؟ فقيل تعدل الخ وهو يدل على أن لا تكون بمال فقط بل تشمل كل مافيه نفع للمسلمين أو دفع أذى عنهم ، كما أنه لا يلزم أن تكون متعدية إلى الغير فإن المشى إلى الصلاة نفعه قاصر على صاحبه . والمراد بالعدل بين الاثنين هو الفصل فيما شجر بينهما من نزاع مع تحرى العدل فى ذلك فلا يحابى أحدهما لنسب أو قرابة أو صداقة ، ويجتهد فى إصلاح ذات بينهما فيكون له ذلك صدقة حيث أزال ما بينهما من إحن ووقاهما مما يترتب على الهجر والخصام من قبيح الأقوال والأفعال .

وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها : هذا هو الأمر الثانى أن يعين الرجل فى شأن دابته فإن كان يريد الركوب عليها أمسكها له حتى يركب أو أعانه على النهوض فوقها وإن كان يريد أن يحمل عليها متاعاً ساعده فى رفعه ، فهو عمل من أعمال المروءة التى يشكرها الله للعبد ويحسبها له صدقة والدابة فى الأصل اسم لكل مايدب على الأرض ثم استعملها العرف فى ذوات الأربع وقد يراد لها خصوص الخيل .

والكلمة الطيبة صدقة : الطيب ضد الخبيث وهو كل مافيه نفع وصلاح مع خلوه من الشر والفساد ، والمراد بالكلمة الطيبة مثل الذكر والدعاء لنفسه أو لغيره وإفشاء السلام ورده والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد ضرب الله المثل للكلمة الطيبة

بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . وفى الحديث « رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم » .

وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة : الخطوة بفتح الخاء اسم للمرة من الخطا وبالضم لما بين القدمين ويلحق بالصلاة فى ذلك مافى حكمها من طلب العلم وصلة الأرحام وزيارة الأخوان وغير ذلك من القربات . وتميط الأذى عن الطريق صدقة . يقال أماط الشيء عن الشيء بمعنى أنه أزاله ونحاه والأذى كل ما يؤذى المارة من حجر وشوك ونحوهما .

وإنما جعل إماطة الأذى آخراً لأنها دون ماقبلها من الخصال فى الأهمية كما يدل عليه الحديث الصحيح « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » .

« المعنى الاجمالى للحديث »

ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث إلى جسيم نعمة الله عز وجل على الانسان حيث بنى هيكله العظمى على تلك الصورة البديعة المتقنة ونسق أعضاءه ومفاصله على هذا النحو العجيب الذى يمكنه من أداء الأعمال والحركات المختلفة ، وكيف أنه سبحانه حفظ هذه الأعضاء من التلف والفساد إلى الأجل الذى قدره لها .

ويبين أن ذلك يقتضى من الانسان المبادرة إلى شكر الله عزوجل على كل سلامى من هذه السلاميات وأن ذلك الشكر واجب متجدد عند بزوغ شمس كل يوم ، ثم يشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعض مظاهر هذا الشكر وصوره على وجه التمثيل لا التعيين إذ هى لاتنحصر فى الأمور التى وردت فى الحديث ، فمنها ـ ١ ـ أن يسعى فى الصلح بين المتخاصمين وإزالة ماعساه أن يقع بينهم من عداوة وشحناء تجر عليهم كثيراً من المصائب والويلات وتدفعهم إلى ارتكاب ما يحرمه الدين ويأباه الخلق الكريم ، وفى الحديث الصحيح « ألا أنبئكم بأفضل من درجات الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا بلى ،

قال : إصلاح ذات البين بين المسلمين ، وفساد ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » وقد أباح الشرع لمن يحاول بين الناس أن يكذب إذا وجد أن ذلك قد يعينه فى الوصول إلى غرضه ، فقد جاء فى الحديث الصحيح « ليس بالكذاب الذى يصلح بين اثنين فيقول خيرا وينمى خيرا » .

وقد نوه القرآن العظيم بشأن الإصلاح بين المتنازعين وبين أن ذلك مما تقتضيه أخوة الإيمان قال تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » وقال تعالى من سورة النساء « لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

٢ — ومن ذلك أيضا أن يعين بعض المسلمين بعضا فى كل مايحتاج فيه إلى معونة وقد مثل النبى عليه السلام لذلك بإعانته على ركوب الدابة أو حمل متاعه عليها . ولا شك أن تقديم المعونة المحتاج إليها من أفضل أعمال المروءة التى يهملها كثير من الناس وفى الحديث الصحيح « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

٣ — ومن مظاهر شكر الله على نعمته أيضا أن يحفظ الإنسان لسانه حتى لا يصدر عنه إلا كل قول جميل فلا يستعمله إلا فى ذكر الله عز وجل وإسداء النصح لكل مسلم وفى مدارسة العلم ونشره ، وليحذر كل الحذر من ان يطلق للسانه العنان فإنه مصدر لكثير من الموبقات كالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والفحش والبذاء وغير ذلك من عظائم الذنوب .

وقد جاء فى حديث معاذ المشهور أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له « ألا أدلك على مِلَاك الأمر كله ؟ قال بلى ، قال : كُفَّ عليك هذا وأخذ بطرف لسانه ، فقال معاذ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يارسول الله ؟ قال ثكلتك أمك وهل يكب

الناس فى النار على مناخرهم أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » .

وفى الحديث الصحيح الآخر « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء تكفر للسان تقول له : اتق الله فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا » .

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أكثر مايدخل الناس النار فقال « الأجوفان الفم والفرج » .

٤ — ومنها كذلك الخطا إلى المساجد لأداء فريضة الله عز وجل . وفى الحديث الصحيح « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا بلى قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط » .

وفى الحديث الآخر « بشر المشائين إلى المساجد فى الظلمات بالنور التام يوم القيامة»

وقد ورد أن بنى سلمة كانت بيوتهم بعيدة عن المسجد فأرادوا أن يبيعوها ويستبدلوا بها بيوتا قريبة من المسجد فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم « ألا تحتسبون آثاركم ؟ » .

ومنها كذلك إزالة كل ما يضر المارة ويؤذيهم من حجارة أو شوك أو قشر موز أو نحوه فهو صدقة لمن يفعله . فحبذا لو تدبر المسلمون هذه المعانى الكريمة التى تضمنها هذا الحديث وأخذوا بها أنفسهم . إذاً لرأينا مجتمعاً سليما متكافلا لا أثر فيه لأنانية ولا موضع لفرقة أو بغضاء والله الموفق .

محمد خليل هراس

قال الله تعالى :

(وإنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أن يكون من المهتدين) « قرآن كريم »

۱۸

۲ – واجبنا نحو الشباب

اختيـــار الرفاق

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد

هناك ناحية أرى أنها تتفوق فى الأهمية على ما عداها من الأسس التربوية اللازمة لإعداد شباب مؤمن على مستوى رفيع دينيًا وخلقياً واجتماعياً ، وهى اختيار الرفاق — رفقاء الشباب — فبجانب ما يجب أن يغرسه المربى فى نفوس الشباب من المبادىء والقيم ، يتحتم كذلك أن تشمل هذه التوجيهات دروسًا عملية فى كيفية اختيار الأصدقاء والرفاق — وذلك من وحى الدين الإسلامى أولاً ، ثم من تجارب الحياة ثانياً ، ثم على ضوء الأساليب التربوية ثالثاً .

فولىّ الأمر الذى يشعر بواجبه وبالتزامه بهذا الواجب لا بد له من التدخل بنفسه وبكل إمكانياته من ثقافة وفراغ من أجل اختيار أصدقاء أبنائه ورفقائهم ، إذ لا يخفى ما للرفاق من أثر فى سلوك الشباب وانطباع بطابعهم ، ومدى التجاوب معهم فى منهجهم وأسلوبهم ، فلو أتينا بثمرة تالفة ولتكن مثلاً (تفاحة) ووضعناها وسط تفاحات أخرى سليمة وتركنا الجميع معاً برهة من الزمن ، ثم ألقينا نظرة عابرة فسوف نجد أن التلف والعطب قد تطرق إلى التفاح كله ، وكذلك الحال فى اختيار الرفاق فإن أحسن الإنسان اختيار رفقائه دلّ ذلك على بعد نظره وحصافته ، لأن صحبة الأخيار لا تأتى إلا بالخير ، كما وأن صحبة الأشرار لا تثمر إلا السوء والشر والضرر ، ويجب ملاحظة أنه لا يمكن أن يتحقق التآلف الكامل والانسجام التام بين النقيضين — وهما هنا ملكتا الخير والشر — ولا يتأيد التفاهم والتلاق بين الخير والشر لتضادهما ، والمُشاهَد أن ملكة الشر إذا قويت وتغلغلت جذورها فى النفس تغلبت على الخير وعطلت قدراته وحالت بينه وبين البروز والظهور بحجاب كثيف ، على

حين أنه إن تمكنت لملكة الخير القوة والمنعة كانت لها الغلبة على الشر فى شتى المناحى فمحقته وبددته ، ومزقته شر ممزق . والمؤمن كما يقول الحديث الشريف « كيس فطن » لا يرضى لنفسه أن يخالط من ليس على شاكلته ، ولا يسمح لنفسه أن يكون ظِلاً لعضوٍ أشل ، ينبغى بتره وتطهير المجتمع من شره ، ولكن الإسلام مع هذا يحاول إصلاحه والأخذ بيده ، وذلك بتشريعه للحدود والكفارات المختلفة باختلاف الوقائع والأحداث ، علاوة على النصح والإرشاد .

* * *

وهذا هو نبينا وأسوتنا الحسنة محمد — صلى الله عليه وسلم — وسيرته العطرة ماثلة أمامنا ، ترينا كيف أحسن اختيار رفيق عمره الصدِّيق أبى بكر الذى كان له نعم الصديق الوفى — وآزره فى الشدة ووقف إلى جانبه فى أحلك الأوقات ، وكان ساعده الأيمن فى أحرج الملمات ، صدّقه إذ كذّبوه ، ورافقه فى هجرته إذ توعدوه وترقبوه ، ولم يبخل بماله كله فى سبيل شد أزره من أجل دعوة الحق ، عرفه قبل البعثة وظلت صداقتهما تنمو وتزدهر وتترعرع وتثمر حتى آتت أُكلها بعد البعثة ، وقدمت للإسلام أينع الثمرات ، ثم ينتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ويتولى الصديق الخلافة فيضحى خير خلف لأكرم سلف .

وبعد أن قدم النبى صلى الله عليه وسلم المثال العملى باختياره الموفق لأكرم رفاقه ، قال قولته المشهورة : « لو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا »(١) .

ثم يقدم إلينا صلى الله عليه وسلم طائفة من التوجيهات القيمة التى تسهل لنا مهمتنا فى اختيار أصدقائنا ورفقائنا فيقول : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »(٢) وذلك لما علمه صلى الله عليه وسلم من تأثير الأخلاء والرفقاء فى نفوس كل منهم ، وتأثير أفعالهم وصداها الذى يتردد بين الجميع ، فيحدث فيهم أبلغ الأثر ، كان هذا منذ نيف وألف عام — أى قبل ظهور التربية الحديثة وعلم النفس بحقب طويلة .

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه أبو داود والترمذى

كان هذا قبل أن يسمع العالم بـ (سيجموں فرويد — وأدلر — وجان جاك روسو — وجون ستيوارت ميل ، وأضرابهم . لقد ظهر هذا التكامل التربوى على يد هذا النبى الأمى — ابن البادية اليتيم — الذى لم يتلق تعاليمه على يد أستاذ أو معلم، ولكن من قبل الله رب العالمين ، فطبقها خير تطبيق فاستفاد وأفاد ، وأنشأ دولة قوية عادلة ، دوّى صيتها فى الخافقين .

أيها المسلم : لدينا الكتب تعلم ، ولدينا المربى المخلص يوجه ، وفينا الأب الراعى يرسم لأبنائه خط السير ويخطط للمستقبل ، ولكن قل من يسمع النداء ، وإن سمع النداء فلا يجيب ، حذار أيها الشباب أن تقترب من حافة الهاوية لئلا تهوى من حالق ، فهذا كتاب الله يحدثنا بأسلوب توجل منه القلوب وترعد منه الصدور ، مشيراً إلى سوء عاقبة الصداقة المدنسة التى نشأت بين شريرين فى صدر الإسلام ، هما : عقبة ابن أبى معيط وأبىّ بن خلف . فيقول تعالى :

« ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا » :

بئس الصحبة والرفقة التى كانت عاقبتها وبالا وخسرا .

استمع أيها الشباب المسلم إلى قوله تعالى ، متذوقا ومتأملا ومتفحصاً : «الأخلاء يومئذ[1] بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» . ثم سل نفسك بعدها . . . ماذا أحسست ؟ وقارن نفسك وانظر إلى أى الفريقين تنسب ؟ وأصلح من موقفك من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال .

ولقد قال شعراء الحكمة قديماً :

---

(١) أى يوم القيامة .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فـكل قرين بالمقارن يقتدى

واختر قرينك واصطفيه تفاخراً إن القرين إلى المقارن ينسب

وتالله إن لم يكن للبيئة والرفاق مثل هذا الأثر الفعال لما كان الأقدمون فى حاجة إلى قولهم « سل عن الجار قبل الدار وعن الرفيق قبل الطريق » .

ولما سئل بعضهم عن خير الأصحاب قال : خير الأصحاب من دلك على الخير ، فاصطحب من ينهضك حاله أو يدلك على الله مقاله ، إذا غفلت ذكرك وإذا ذكرت أعانك.

ومسك الختام هنا ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الذى يقول فيه: « مثل الجليس الصالح والسوء ، كصاحب المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » (١)

كما عبّر صلى الله عليه وسلم فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ، رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه . فعلى المؤمن منا أن يحب لله وفى الله ويكره ويبغض فى الله ويرضى لله ، ويغضب إذا انتهكت حرمات الله ، اعتزازاً بدينه وتثبيتاً ليقينه . والله نسأل أن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إنه نعم المولى ونعم النصير .

محرم بك الاسكندرية محمد عبد الكريم أحمد

---

(١) رواه البخارى .

الأوليـــاء المزعومون !

الأخ الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

يوجد ببلدتنا — بنها الجديدة — « كفر السراى » سابقاً ، مقصورتان تقام إحداهما على من يزعمون أنه ولىّ الله « الشيخ راشد » والثانية لآخر يدعى الشيخ « على المجاهد » وكم كانت تدور حولها كثير من الأساطير الخرافية التى كان يتناقلها العامة من الناس والمغرضون المنتفعون وغيرهم من السذج ، حتى وصلت إلى أن هذين الشيخين يشفيان المرضى ، وبرضاهما تحمل الأنثى التى تأخر حملها ، وكان الرجال والنســاء من المرضى يتمرغون على الأرض حول القبرين المزعومين طالبين الشفاء ، وقضاء الحاجة ، وكانت تقام حول أحدهما حفلات الزار التى يختلط فيها الحابل بالنابل .

وكم نهينا عن ذلك ونصحنا ببث الوعى فى نفوس هؤلاء الروّاد ، ولـكن للأسف دون جدوى ! .

وظل الحال على ذلك والأمور تتزايد إلى أن هيأ الله لمحافظة القليوبية رجلاً عزيزاً على نفوسنا حبيباً إلى قلوبنا هو السيد « أحمد كمال أبو الفتوح » محافظ القليوبية الذى حول مجرى التاريخ فى بنها ، وجعل منها عاصمة صارت بحق فخراً لأهلها ، فأقام بها كثيراً من المنشآت العامة والمرافق العظيمة ، ومن هذه المنشـآت المعهد الدينى الثانوى ، وبجواره ذلك المسجد الـكبير على أحسن ما وصلت إليه يد العمران الحديث من روعة وفن .

ومن حسن الحظ أن جاء بناء المسجد والمعهد فى المنطقة التى بها هذان المقامان

فكان لا بدّ من نقل الرفات إلى مكان آخر وخصصت لذلك مقبرة يضمهما معاً ، وفى اليوم المحدد لذلك اجتمع الناس من كل مكان ، وحضر المسئولون وقام العمال ليهدموا بمعاولهم ذلك البناء الضخم المشيد من الحجارة ، ثم قاموا بالحفر العميق تحت القباب ولكنهم لم يعثروا على شيء مطلقاً ، حتى ولا على أثر يدل على ما يبحثون عنه . وظهرت الحقيقة وهى أن هذا لم يكن إلا لابتزاز أموال الناس بالباطل ، ومع الأسف فإننا لا نزال نسمع من بعض الجهلاء والمتفقهين أن الشيخين غضبا مما فعله السيد المحافظ ، فانتقلا إلى مكان آخر . لذلك رأينا أن نكتب إليك هذه القصة المؤلمة لتلك العقيدة الزائفة ، التى طالما انتشرت وترعرعت بين الجهلاء والسذج بل ويا للأسف بين كثير من المتعلمين ، فى عهد يطلب مناجميعاً أن ننفض عن كاهلنا ، ما قد لقننا إياه الاستعمار من الأفكار السيئة البغيضة .

يا سيدى هذه خرافة من آلاف الخرافات التى تنتشر فى كل مدينة وفى كل قرية ، أكتبها إليك لتفصح للناس وتبين لهم بقلمك على صفحات مجلة الهدى النبوى حقيقة ما هم غارقون فيه من الخرافات والأوهام والعقائد الفاسدة زاعمين أن ذلك من الدين بل هو الدين نفسه .

وكم من قباب ما شيدت إلاّ للتضليل بالناس وتزعزع عقائدهم فإلى متى ؟ .

أسأل الله أن يوفقكم إلى مافيه خير الإسلام والمسلمين .

إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شاكر محمد الجنيدى ، إسماعيل عبد الحليم إسماعيل .

من علم السنة

التعقيب على أحاديث وردت فى كتاب الروح لابن القيم

— ١٠ —

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن يقظة بنت راشد قالت : كان مروان المحلى لى جاراً ، وكان قاضياً مجتهداً قالت : فمات ، فوجدت عليه وجداً شديداً . فرأيته فيما يرى النائم ، قلت : أبا عبد الله ما صنع بك ربك ؟ قال: أدخلنى الجنة ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم رفعت إلى أصحاب اليمين ، قلت : ثم ماذا ؟ قال: ثم رفعت إلى المقربين ، قلت : فمن رأيت من إخوانك ؟ قال : رأيت الحسن ، وابن سيرين ، وميمون بن سياه . قال حماد : قال هشام بن حسان : فحدثتنى أم عبد الله — وكانت من خيار نساء البصرة — قالت : رأيت فيما يرى النائم الخ .

قال محمد نجيب المطيعى :

هشام بن حسان : أبو عبدالله القُردوسى البصرى صاحب الحسن وابن سيرين قال الذهبى : ثقة إمام كبير الشأن .

قال ابن عدى : حدثنا أحمد بن محمد بن شعيب ، حدثنا أحمد بن أسد ، حدثنا شعيب بن حرب ، سمعت شعبة يقول : لو حابيت أحداً لحابيت هشام بن حسان ، كان خَتَنى(١) ، ولم يكن يحفظ . وقال يحيى بن آدم :

حدثنا أبو شهاب : قال لى شعبة : عليك بحجاج ومحمد بن إسحاق فإنهما حافظان ، وا كتم على عند البصريين فى خالد وهشام .

---

(١) الختن بالتحريك الصهر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ والجمع أختان . ومحمد بن الحسن الأسترابادى عرف بالختن لأنه كان ختن أبى بكر الاسماعيلى . القاموس .

قال الحافظ الذهبي : هذا قول مطروح ، وليس شعبة معصوماً من الخطأ في اجتهاده وهذه زلة من عالم ، فإن خالداً الحذاء وهشام بن حسان ثقتان ثبتان، والآخران فالجمهور على أنه لا يحتج بهما ، فهذا هُدبة بن خالد يقول عنك ياشعبة . أنك ترى الإرجاء ، نسأل الله التوبة .

قال عفان : حدثنا وهيب ، قال لى سفيان الثوري : أفدنى عن هشام بن حسان ، فقلت : لا أستحل ذلك ، ولكن أحدثك عن أيوب ، فجعلت أحدثه عن أيوب وهو يسأل عن هشام القُردوسي .

ابن المديني ، سمعت عرعرة بن البِرِنْد . قال : سألت عباد بن منصور عن هشام القردوسي ، قال : مارأيته عند الحسن قط . قال عرعرة : فأخبرت بذلك جرير بن حازم ، فقال : قاعدت الحسن سبع سنين ما رأيت عنده هشاماً قط ، فقلت ياأبا النضر ؛ قد حدثنا عن الحسن بأشياء فمن تراه أخذه ؟ قال : أراه أخذ عن حوشب .

ابن الدورقي ، قال : قال ابن معين : كان شعبة يتّقي هشام بن حسان ، عن عطاء وعكرمة والحسن .

وقال الفلاس : كان يحيي وابن مهدي يحدّثان عن هشام عن الحسن .

وقال نعيم بن حماد : سمعت ابن عيينة [1] يقول : لقد أتى هشام أمراً عظيما بروايته عن الحسن ، فقيل لنعيم : لم ؟ قال : لأنه كان صغيراً . قال الذهبي : بل كان رجلا تاماً ، وقد بلغنا عن نعيم بن حماد أيضاً عن ابن عيينه قال : كان هشام أعلم الناس بحديث الحسن .

---

(١) إذا أطلق ابن عيينة انصرف إلى سفيان وإلا فإن بنى عيينة حدثوا جميعاً وهم : آدم ابن عيينة وعمران بن عيينة ومحمد بن عيينة وسفيان بن عيينة وإبراهيم بن عيينة .

وقال سعيد بن عامر : سمعت هشاماً يقول : جاورت الحسن عشر سنين ، وقال أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن عُلَيَّةَ (١) : كنا لا نعد هشاماً فى الحسن شيئاً . قال الذهبى : لا ريب أنه ثبت فى محمد بن سيرين .

وقال إبراهيم بن المغيرة المروزى : قلت لهشام بن حسان : أخرج إلى بعض كتبك قال : ليس لى كتب . وروى مخلد بن الحسين عن هشام ؛ قال : ما كتبت للحسن وابن سيرين (٢) حديثا قط سوى حديث الأعماق فلما حفظته محوته .

---

(١) هو اسماعيل بن إبراهيم بن مقسم المكنى بأبى بشر الأسدى أسد خزيمة مولاهم البصرى وأصله من الكوفة أحد أئمة الفقه والحديث قال الفيروزابادى فى تحفة الأبيه : « بضم العين المهملة وفتح اللام والياء المثناة التحية المشددة وهى أمه وقيل جدته أم أمه » وكذلك هو مضبوط فى قاموسه كسمية وقال شارح القاموس السيد مرتضى الزبيدى : إنه توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وزاد ابن حجر فى تهذيب التهذيب أنه ولد سنة عشر ومائة وأنه كان يقول : من قال : ابن علية فقد اغتابنى ، وقال الزركشى فى المعتبر فى تخريج أحاديث المنهاج والمختصر فى قسم التعريف بالرجال فى ترجمة ابنه إبراهيم : إن علية هى أم اسماعيل وأنه كان يكره أن يقال له : ابن علية ، أقول : ولماذا يسخط إسماعيل حين اشتهر بنسبته إلى أمه وقد اشتهر كثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم بأمهاتهم كمعاذ ومعوذ وعوذ بنى عفراء ، وأبوهم الحارث ، وبلال بن حمامة وأبوه رباح ، وسهيل وسهل وصفوان بنو بيضاء وأبوهم وهب ، وشرحبيل ابن حسنة ، وأبوه عبد الله بن المطاع ، وابن عيينة أبوه مالك ، ومحمد بن الحنفية أبوه على ابن أبى طالب .

(٢) إذا أطلق ابن سيرين انصرف إلى محمد وإلا فبنو سيرين ستة هم : محمد وأنس ويحيى ومعبد وحفصة وكريمة ذكرهم هكذا عبد الرحمن النسوى ونقله ابن الصلاح من كتاب بخط الدارقطنى فيما يحسب . قال ابن الصلاح : وقد روى عن محمد بن سيرين عن يحيى بن سيرين عن عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقا . وهذه عند المحدثين تعد من الطرائف ، أن يروى ثلاثة إخوة بعضهم عن بعض ،

وقال يحيى بن سعيد القطان : هشام فى محمد ثقة ، وهو عندى فى الحسن دون محمد بن عمرو .

وقال عثمان بن سعيد : سألت يحيى عن هشام فوثقه ، قلت : هو أحب إليك أو جرير بن حازم ؟ قال : هشام .

وقال أبو الوليد : يزيد بن إبراهيم التُّسترى أثبت عندنا من هشام بن حسان .

قلت : يزيد بن إبراهيم هذا أنكروا عليه أحاديث رواها عن قتادة ، وقالوا فى غيره : لا بأس به ـ أعنى فى غير قتادة .

وقال الفلاس : كان هشام من البكائين . قال عبد الرحيم بن هارون : سمعت هشام ابن حسان يقول ، ليت ما حُفظ عنى من العلم فى أخبث تنوُّر بالبصرة ، وليت حظى منه لا لِى ولا عَلَىّ .

وقال ابن عدىّ : هشام عندى أشهر وأكثر حديثاً فلا أحتاج أن أذكر له شيئاً . فإن أحاديثه مستقيمة ، ولم أر فى حديثه منكراً (١) وهو صدوق .

قال ابن المدينى : كان أصحابنا يثبتون هشام بن حسان ، وكان يحيى بن سعيد يضعف حديثه عن عطاء ، وكان الناس يرون أنه أرسل حديث الحسن البصرى عن حوشب (٢)

---

(١) المنكر مثل أن يروى الثقة حديثاً ينفرد به يخالف ماروى الناس فإن خالف ماروى الأوثق منه فمنكر مردود ، وكذا إن لم يكن عدلا ضابطاً ولم يخالف فمنكر أيضاً ، قال شيخاى العلامتان أحمد محمد شاكر ومحمد عبد الرزاق حمزة فى تعليقاتهما على كتاب (الباعث الحثيث للحافظ ابن كثير) مايأتى : يعنى أن ما انفرد به الراوى الذى ليس بعدل ولا ضابط فهو منكر مردود مع أنه لم يخالفه غيره فى روايته ، لأنه انفرد بها ، ومثله لا يقبل تفرده .

(٢) حوشب بن عقيل الجرمى ، أو العبدى ، بصرى عن مهدى الهجرى ، والحسن ، وجماعة ، وعنه ابن المهدى ، وسليمان بن حرب ، « جماعة ، وثقه أحمد والنسائى ، وضعفه الأزدى .

سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد . قال : ذكر لأيوب عن هشام عن محمد قال : سألت عَبِيدة : ماينقض الوضوء ؟ فقال : الحديث وأذى المسلم - فأنكره .

قال سفيان بن عيينة : كان هشام أعلم الناس بحديث الحسن ، وكان حماد بن سلمة لا يختار عليه أحداً فى حديث ابن سيرين . وقيل : كان عنده ألف حديث .

قال مكى بن إبراهيم : مات فى أول صفر سنة ثمان وأربعين ومائة ، وآخر من حدث عنه عثمان بن الهيثم المؤذن .

قال ابن القيم رحمه الله :

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع أخبرنى فضيل بن سليمان النميرى ، حدثنى يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن جده قال : لما مات بشر ابن البراء بن معرور وجدت عليه أمه وجداً شديداً ، فقالت : يارسول الله ، إنه لايزال الهالك يهلك من بنى سلمة . فهل تتعارف الموتى ؟ فأرسل إلى بشر السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم والذى نفسى بيده يا أم بشر ، إنهم ليتمارفون كما تتعارف الطير فى رءوس الشجر ، وكان لا يهلك هالك من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت : يافلان عليك السلام ، فيقول : وعليك ! فتقول : اقرأ على بشر السلام . !

قلت : فضل بن سليمان بن النميرى المصرى عن منصور بن صفية وعمرو بن أبى عمرو وموسى بن عقبة ، وعنه ابن المدينى ، والفلاس ، وعدة ، وحديثه فى الكتب الستة .

قال الذهبى : هو صدوق . وقال أبو حاتم : ليس بالقوى . ويقول ابن معين : ليس بثقة ، رواه عنه عباس الدورى . وقال أبو زرعة : لين ، وساق ابن عدى له أحاديث فيها غرابة .

يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن جده يقول الذهبى :

ابن لبيبة المدنى شيخ وكيع : واسمه يحيى ، عن عبد الله ، عن جده فى الأمر بتزويج الوالد ، كذاب .

«يتبع»

محمد نجيب المطيعى

يا صاحب السماحة[1] !!

- ٣ -

هذا لقاؤنا الثالث والأخير يا صاحب السماحة ثم بعد ذلك فمن شاء فليسلم ومن شاء فليتصوف .

إن الصوفية يا صاحب السماحة أداة سهلة ومطية ذلول استطاع الشيطان الرجيم أن يركبها ليصل بها إلى غرضه الذى أقسم بعزة الله على تحقيقه (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) . ولو عقدنا المقارنة بين الإسلام والصوفية لوجدنا أن الأخيرة هى المعول الذى أمسك به الشيطان الرجيم ليهدم الإسلام .

لقد اتجهت الصوفية يا صاحب السماحة إلى كل أبواب التوحيد فأفسدتها وغيرت معالم الحق فيها .

فى توحيد الربوبية رفضت الصوفية أن تعترف بوجود مستقل للمخلوق عن خالقه ، واعتبرت الكل ذاته ، يقول ابن عربى الصوفى « إن العارف من يرى الحق (تعالى) فى كل شىء بل يراه عين كل شىء » .

وفى توحيد الألوهية رفضت الصوفية مبدأ الإسلام الأساسى « لا إله إلا الله » . واستبدلته بمبدأ آخر هو « لا موجود على الحقيقة إلا الله » .

ثم بعد ذلك اتجهت بالعبادات القلبية والقولية والبدنية والمالية إلى غير الله تعالى ، حيث يرغبون ويرهبون إلى أضرحة الأقطاب التى جعلوها مذبحاً تقدم إليه القرابين ويرجى منه النفع ودفع الضر .

أما توحيد الأسماء والصفات والأفعال فقد شوهت الصوفية معالم الحق فيها كلها

---

(١) هو شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى مصر .

وألحدت فى أسماء الله الحسنى ، وابتكرت «جلجلوت وأهيا شراهيا وأحمى حميثاً وأطمى طميثاً » تحت اسم لسان الحال والسريانية .

ألا تذكر يا صاحب السماحة قول أنس رضى الله عنه « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيها فقال « ما هذان اليومان ؟ » قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال :« إن الله قد أبدلكم خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » فهو يا صاحب السماحة إبدال من الله تعالى فهو الذى شرع لنا يوم الأضحى ويوم الفطر ، وليس لأحد أن يشرع من الدين مالم يأذن به الله ، ولكن الصوفية التى تدعى أنها الإسلام يا صاحب السماحة ، لا يعجبها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله أبدلكم خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر ، ويوم البدوى ويوم الدسوق ، ويوم القناوى . . . وغيرها من أيام الصوفية وأعيادها .

* * *

وشرع الله الطواف بالكعبة فجعلته الصوفية بأضرحة وتوابيت الأقطاب .

وشرع العكوف فى المساجد فجعلته الصوفية فى قبور أوليائها .

وشرع الذبح نسكاً لله تعالى بمنى فى الحج وفى الأضحى فجعلته الصوفية فى ساحات قبور الأقطاب فى أيام أعيادهم .

وشرع حلق الرءوس للتحلل من الإحرام ، فجعلتـه الصوفية تبركاً عند مقامات الأقطاب .

وشرع تقبيل الحجر الأسود فى الكعبة ، فجعلته الصوفية للحجر الأسود فى معبد البدوى بطنطا .

فهل لسماحتك أن تتفضل مشكوراً فتبين لى سنة من سنن الجاهلية لم تتخذها الصوفية فى الإسلام . . ؟؟؟ .

ليس هذا فحسب يا صاحب السماحة ، فكثيراً ما داست الصوفية على الإسلام تحت أقدامها ورفعت شعاراتها هى ! ! .

يقول الله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وتقول الصوفية : وإن من شيء إلا وتجلى فيه ، والكل ذاته ، والعارف من يرى الله تعالى عين كل شيء ! ! .

ويقول الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) . وتقول الصوفية وأن المساجد للبدوى والدسوق والقناوى ، وتفتح فوق أضرحتهم طاقات فى السماء ينفذ من خلالها الدعاء .

ويقول الله تعالى : (ادعونى أستجب لكم) وتقول الصوفية القطب يجيبك من ضريحه ولو فى أقصى الأرض ! .

ويقول الله تعالى (فصل لربك وانحر) وتقول الصوفية انحر للبدوى والدسوقى والقناوى ثم تلتوى فى خبث خلف « النذر لله والثواب للولى » .

ويقول الله تعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور) وتقول الصوفية الأقطاب يسمعون الدعاء ويجيبون .

ويقول الله تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وتقول الصوفية : قل ادعو جلجلوت أو ادعوا أصباءوت ، أياً ما تدعوا فلها الأسماء السريانية .

ويقول الله تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وتقول الصوفية : شاذليون ورفاعيون وسعديون وبرهاميون — وكل شيخ وله طريقة .

* * *

ويصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول (عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم) وتقول الصوفية : خص بعلم الحقيقة البعض من أمته دون البعض الآخر .

ويقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) وتقول الصوفية : الشريعة دين العوام والحقيقة دين الواصلين .

ويقول الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) وتقول الصوفية : المسبعات العشر

تروى عن سيدنا الخضر عليه السلام ، وتروى عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى صاحب دلائل الخيرات ، وجاز أن يكون قد رواها عن الخضر عليه السلام ، وهى من أوراد الطريق (اللآلىء السنية من أوراد السادة الخلوتية ، على الطريقة البيومية ص ٧) .

ويقول الله تعالى (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين[١]) وتقول الصوفية

إلٰهى بأهل الذكر ندعوك ربنا بأهل البقا والصحو والسكر والفنا

وهو يا صاحب السماحة بيت من قصيدة طويلة بعنوان « التوسل برجال الطريقة الخلوتية للشيخ محمد الطاهر الحامدى المدرس بالمعاهد الدينية ! ! .

ويقول الله تعالى (ثم استوى على العرش يدبر الأمر) . وتقول الصوفية : البدوى قطب الأقطاب الغوث يدبر من شئون الكون .

وهذا يا صاحب السماحة جزء يسير من المبادىء التى جاء بها الإسلام وحطمتها الصوفية .

ولعلك تذكر يا صاحب السماحة ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى واقد الليثى لما طلب الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم كما فعل المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة) » .

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لأصحابه الذين يشهدون أن لا إلٰه إلا الله ، وخرجوا ليقاتلوا معه ، ولمجرد أن طلبوا منه أن يخصص لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم كما فعل المشركون بذات أنواط ، قال لهم : « قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة) » .

ترى يا صاحب السماحة ماذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرى

---

(١) على لسان سليمان عليه السلام .

الصوفية ترتمي على اعتاب الأضرحة وتلوذ بها وتطوف حولها وتقدم لها الذبائح والقرابين ، وتجعل لها الأعياد والموالد ؟ ألا يساوى هـذا فى نظرك على الأقل « ذات الأنواط » .

* * *

يا صاحب السماحة : إن الجاهلية الأولى التى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فى وجهها تقل بكثير جداً فى كفرها عن الصوفية ، ولا شك أن نفسك تحدثك أن هذا فجر فى الخصومة ، وإليك الدليل :

يؤمن أصحاب الجاهلية الأولى فى صراحة ووضوح أن الله خلقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ويرفض هذا قطب من أقطابك يا صاحب السماحة ويقولها فى صراحة « أنا المتجلى فى حقيقته لا هو » (الإنسان الكامل) للجيلى ص ٢٢ جـ ١ ط ١٢٩٣ هـ .

وتؤمن الجاهلية الأولى بأن الأرض ومن فيها لله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله) . وترفض الصوفية هذا وتقول « إن العارف من يرى الحق (تعالى) فى كل شىء بل يراه عين كل شىء » الفتوحات المكية لابن عربى ص ٦٠٤ جـ ٢ .

وتؤمن الجاهلية الأولى بأن الله تعالى رب السموات السبع ورب العرش العظيم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله) .

وترفض الصوفية هذا ويقول قطب من أقطابها « وإنى رب للأنام وسيد » . (الإنسان الكامل للجيلى ص ٢٢ جـ ١ ط ١٢٩٣ هـ .

وتؤمن الجاهلية الأولى بأن الله تعالى بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه (قل مَنْ بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله) وتصر الصوفية على أن الأقطاب الأربعة بأيديهم ملكوت كل شىء ، وأن الدسوقى بيده مفتاح الجنة والنار .

ومثل هذا كثير يا صاحب السماحة ، فما تعترف وتنطق به الصوفية شيء تخجل الجاهلية الأولى أن تعترف أو تنطق به رغم أنها حاربت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

لقد آمنت الصوفية يا صاحب السماحة بأن البدوى والدسوقى والقناوى وغيرهم من الأقطاب يتصرفون ويملكون ما لم تملكه اللات والعزى ومناة فى نظر الجاهلية الأولى التى اعتبرتهم مجرد شفعاء عند الله ويقربون إليه زلفى .

وهل تعلم يا صاحب السماحة ماذا قال الذى قالت عنه الصوفية « سيدنا ومولانا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العارف بالله تعالى إمام المحققين وقدوة العارفين ومربى الفقراء والمريدين » وهو الشعرانى الذى جعلت الصوفية من ضريحه كعبة تحج إليها .

قال فى مقدمة كتابه الطبقات الكبرى « طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء » ج ٤ ، ثم بعد ذلك يجعل مراودة المرأة والأمرد ص ١٢٢ والتعرى على المنابر ص ١٢٩ ، وارتكاب الفاحشة مع الحمير ص ١٢٦ يجعل كل هذا من كرامات أولياء الصوفية ، فهل هذه هى الطريق المشيدة بالكتاب والسنة ! ! ؟ ؟ ، وهل هذه هى أخلاق الأنبياء والأصفياء ، كما قال فى المقدمة ؟ ؟ .

ألست معى يا صاحب السماحة فى أن هذا شيء يخجل أبو لهب أو أبو جهل أن يذكره ؟ ؟ ألست معى فى أن هذا شيء تحمر له وجنتا الجاهلية الأولى خجلا ؟ ؟ وإذا كان هذا هو حال قدوة العارفين ومربى المريدين ، فكيف يكون حال العارفين والمريدين ؟ .

وهكذا يا صاحب السماحة تخرج الصوفية على الكتاب والسنة ، وهكذا تعود الصوفية إلى سنن الجاهلية الأولى ، بل هكذا تفوق الصوفية الجاهلية الأولى فى شركها وكفرها وإلحادها وزيغها وضلالها وفجرها ، بل أى دين أو نحلة أو ملة على الأرض تجعل من

التمرى ومراودة المرأة والأمرد والفحش مع الحمير من سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وكرامات الأولياء كما يقول قطبك الربانى وهيكلك الصمدانى ؟؟

وتتعاق الصوفية بشيئين ياصاحب السماحة تبرر بهما هذا الزيغ ، أولهما بأنه مدسوس، وثانيهما بأنها شطحات .

فإذا كان هذا مدسوسا فإننا لم نجد من سماحتك كلمة أو مقالا أو منشوراً تبين فيه للرعية الصوفية أن هذا مدسوس . لم نجد هذا طوال السنين التى تربعت فيها على مشيخة التصوف ، إذا كان هذا على الأقل فى نظرك شيئا يسىء إلى التصوف ، أما عن الشطحات فهى وإن كانت كلمة ملتوية غير صريحة يتستر صاحبها خلفها عن مواجهة الحقيقة . رغم هذا فرب شطحة قذفت بصاحبها إلى قاع الجحيم وأورثت الملايين الضلال .

***

ألا تعلم ياصاحب السماحة أن الصوفية هى دين الشيطان الرجيم الذى رفض الأمر بالسجود لآدم واحتكم إلى ماتسميه الصوفية « الذوق الفردى » .

وهل تعلم ياصاحب السماحة مارواه أحمد والترمذى عن عدى بن حاتم أنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية فقال إنهم لم يعبدوهم قال بلى « إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم » .

ألا ترى ياصاحب السماحة وجه الشبه العجيب بين هذا وبين ماجاء فى العهود المطبوعة التى تسلمها الصوفية لأتباعها ومريديها وفيها بالحرف الواحد « ولا تعترض على شيخك وإن خالف الشرع وسلم له فيما تراه » ومخالفة الشرع ياصاحب السماحة تكون بتحليل الحرام أو تحريم الحلال ، وعدم الاعتراض هو الموافقة الصريحة ، أليست إذن تلك عبادة الصوفية لشيوخها ؟

أليس هذا إذن هو اتخاذ الصوفية شيوخها وأقطابها أربابا من دون الله ، وإلا فماذا يكون ؟ ؟ ؟

لعل شيوخك ياصاحب السماحة الذين لايعترض عليهم ، وإن خالفوا الشرع ، يكونون أحسن حالا من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقد قال الأول للمسلمين « . . . وإن صدقت فقومونى » وقال الثانى « أيها الناس من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقومه » أما الصوفية : « . . فمن اعترض انطرد » .

***

وتقول فى مقالك ياصاحب السماحة « . . . إن كل شيخ ورجاله ومريديه يكونون كتائب اشتراكية » .

إيه أيتها الصوفية اللعوب ، إنك تجيدين الابتسام لكل عاشق وتفتحين الأذرع لكل دهر وزمان ، وما نرى منك الصدود والعبوس والاعتراض إلا عندما يرن فى أذنيك صوت الحق تحمله الفرقة الناجية . . . . ولم لا ، أبليس مروضك هو الشيطان الرجيم .

ياللتلون العجيب ، ياللحرباء الماكرة التى تريد أن تكتسب لون الأوكار التى تعيش فيها لتخدع الفرائس ، إنها الخرقة الصوفية تريد أن تكتسب لون الظروف المحيطة بها لتخفى حقيقتها ولتميل مع كل ريح .

الصوفية التى اتخذت من الإسلام ستارا وراحت خلفه تحطم كل قيم جاء بها الإسلام ، هى نفسها الصوفية التى تريد أن تتخذ من الاشتراكية ستارا تهدم خلفه كل مبادىء الاشتراكية .

أنسيت ياصاحب السماحة يوم أن قال شيخ الصوفية للملك السابق ردا على الكسوة التى خلعها عليه « . . . ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى » صحف ١٩٤٧/٣/٢٥

وهكذا الصوفية التى استمدت من الملك السابق الإلهام والهدى ، هى الصوفية التى تأتى اليوم بشيوخها ومريديها لتكون كتائب اشتراكية ! ! !

بالأمس ياصاحب السماحة طبول تدق لتبارك النسب الجديد لفاروق ، واليوم كتائب

اشتراكية . وما بين الأمس واليوم إلا رغبة الحياة فى كل عصر وزمان ، ورغبة الوجود فى كل مجتمع جديد .

لعلك ياصاحب السماحة لم تعرف معنى الاشتراكية بعد ، حتى تصف شيوخك وأتباعهم ومريديهم بأنهم كتائب إشتراكية .

الاشتراكية ياصاحب السماحة كفاح وعمل وعرق وجهد ، فأى كفاح لشيوخك وأتباعهم إن لم يكن الصخب الصوفى والحضرات التى تسمى أذكاراً ؟ ؟ ؟

وأى عمل لشيوخك وأتباعهم ومريديهم إن لم يكن الهجوم على الضحايا الأبرياء السذج من أهل الريف ، فيملأون البطون والجيوب باسم الدين وإحياء الليالى وتوزيع البركات على خلق الله ! !

وأى عرق لشيوخك وأتباعهم ومريديهم إن لم يكن عرق الأبخرة المتصاعدة من الأمعاء التى امتلأت بذبائح الضحايا التى يستدينون ثمنها فى أغلب الأحيان إن لم تكن من أموال اليتامى والأرامل ، إرضاء لأصحاب العمائم الخضراء ؟

وأى جهد يبذله شيوخك وأتباعهم فى بيع صكوك الغفران وخلع الألقاب فى مقابل معلوم ؟

وهكذا ياصاحب السماحة إننا لو أردنا أن نطبق الاشتراكية فإن الخطوة الأولى هى القضاء على الصوفية لأنها سلبية ، إنتهازية ، تقاعدية ، تواكلية ، والاشتراكية كفاح وعمل وعرق وجهد .

* * *

لقد طال لقاؤنا ياصاحب السماحة فأردت أن يكون هذا هو الأخير ، ولا شك أن الدنيا شىء يفتن ويغرى ، ولا شك أن ألقاب الدنيا شىء يستهوى ويجذب ، ولا شك أن الرياسات فى الدنيا شىء تميل القلوب ، ولكن ألست معى ياصاحب السماحة أن العمر

مهما طال سوف ينقضى حتما ، وأنه عند باب القبر تزول الألقاب والرياسات ويبدأ السؤال ؟

السؤال عن هذه الجموع التى تدق طبولها فى أعياد الشيطان المسماة موالد . السؤال عن العبث والسخرية التى تأتى فى صورة ذكر ، السؤال عن الفرق والطرق التى أطاعت سادتها وكبراءها فأضلوها السبيل .

ماذا عساك قائل ياصاحب السماحة وقد تعلقت هذه الجموع كلها برقبة شيخ المشايخ .

مازلت ياصاحب السماحة أدعو الله مخلصا أن يجعل منك رجلا يخدم الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنت صاحب الكلمة فى الطوائف والطرق والأتباع والمريدين ، وما دفعنى إلى الكتابة إليك إلا شىء عزيز علينا ، سالت من أجله دماء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، هذا الشىء اسمه الإسلام جاءت معالمه فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفى سنة الذى لا ينطق عن الهوى . هذا هو الدين الذى ندعوك إليه يا صاحب السماحة لا دين المجاذيب .

ألا هل بلغت . . . اللهم فاشهد .

وإلى غير لقاء آخر . والسلام على من اتبع الهدى

مصطفى عبد اللطيف درويش
رئيس مأمورية الشهر العقارى — سوهاج

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ماتذكرون) .

سورة الأعراف

٨ ــ دراسات إسلامية :

المعجزات في القرآن

ابراهيم وأهل بابل : عاش أهل بابل فى رغد من العيش . ونعيم ظليل ، وتمتعوا بخير وارف شجره . دان ثمره . لـكن حياتهم كان يشوبها الفساد والجهل والظلام . ورثوا عن آبائهم عقائد وثنية . ودين خرافة ، فقدسوا الأصنام وجعلوها أربابا يقصدونها كلما أحسوا بضائقة وشعروا بأزمة .

وفى غمرة انصرافهم إلى معبوداتهم . وفى ضجيج حياة الرفاهية والترف والنعيم . نسوا الله الذى خلقهم ، وأسبغ عليهم نعمه . وأعطاهم كل مايرفلون فيه من خير وسـعادة .

وفى وسط هـذه البيئة المترفة الفاسدة من أهل بابل عاش إبراهيم الخليل « عليه السلام » فظل على فطرته الطاهرة . وجبلته النبيلة . لا تدنس عقيدته شوائب شرك . أو يختلط بفـكره السليم شىء من الباطل الذى شب عليه قومه . فآتاه الله الرشد . وهداه إلى الحق . فعرف أن للـكون ربا واحدا هو المهيمن عليه ، المسيطر على كل مافيه من مخلوقات . وأن البشر ينبغى عليهم أن يخلصوا له العبودية . وأن يفردوه بالألوهية . كما أدرك أن التماثيل التى يصنعونها بأيديهم لا تنفع ولا تضر . وقد قال الله تعالى عنه (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) الآية ٥١ : الأنبياء .

دعوته لعبادة الله وحده : لذلك قام إبراهيم يخلص قومه من وهدة الشرك . وحمأة الضلال وتأليه الأوثان . ويدعوهم إلى عبادة الله وحده . ونجده يخاطبهم بما معناه : إن الله تعالى هو الذى خلقـكم ويرزقـكم ، ويمدكم بكل أسباب البقاء والقوة والتمـكين ويهبكم هذا النعيم ، ولا يبخل عليكم بشىء يسعدكم . وتقر به أعينكم . . هذا الإله

الكريم صاحب هذا الفضل والنعيم ، هو الذى ينبغى أن توجهو إليه وحده عبادتكم . وتفردوه بالتقوى والخشية والرجاء . فإن فعلتم ذلك حصل لكم الخير فى الدنيا والآخرة ويدفع عنكم الشر فى الدنيا والآخرة . أما الأوثان التى تعطونها مالا تستحق من العبادة والتقديس والخوف . واختلقتم لها أسماء سميتموها بها فهى مخلوقة مثلكم ، وليس فى مقدورها أن تمنحكم ذرة من رزق تبتغونه . . فإذا كانت هذه أدلة عجزها عن تحقيق شىء لكم . فيتعين عليكم أن تطلبوا الرزق عند من يملكه ويمكنه هبته . . ألا وهو الله ربكم . فاطلبوا عنده الرزق . واعبدوه شكراً له على ما أنعم به عليكم . وهاك مقالة إبراهيم لقومه كما يحكيها القرآن (وإبراهيم إذ قال لقومه : اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) الآيات ١٦ ، ١٨ : العنكبوت .

إبراهيم مع أبيه وقومه : وكان آزر والد إبراهيم يعيش مع القوم فى فساد عقائدهم . وعبادة آلهتهم . فجعل إبراهيم يخاطب أباه وقومه . ويسألهم — فى تعجب ودهشة ، ما هذه التماثيل التى تعكفون على عبادتها . وتنصرفون إليها لتقديسها ؟ ولكن الجهل الذى أورثهم التقليد الأعمى لآبائهم ملك عليهم كل مشاعرهم . ومسَّ كل ذرة من كيانهم جعلهم يردون عليه بأنهم : إنما يقلدون آباءهم فيما يدينون به من خرافات وأوهام .

ويقص علينا القرآن هذا الجانب من الحوار فيقول (إذ قال لأبيه[1] وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) الآيات ٥٢ ، ٥٤ : الأنبياء .

إبراهيم يفحم أباه وقومه : وفق الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن يكون ملهماً فى

---

(١) راجع خطاب إبراهيم لابيه أيضاً فى سياق الآية ٧٤ : الانعام .

سؤاله . لبقاً فى استفساره . فقد أراد أن يستدرج قومه إلى مجادلته . ويجرهم إلى محاورته ليحملهم على الإقرار . بما يتعلقون به من سفه الاعتقاد . وباطل التدين . وكأنه يريد أن يحصر دائرة الجدل . ويُضيِّق شقة الخلاف فى عبارات لا تستغرق وقتاً طويلا ، ثم يُحسم النزاع . فإذا ما تبين لهم بطلال مايعتقدون ألزمهم الحجة فلا يجدون مناصاً بعد ذلك من اتباعه فى دينه أو مفراً من طاعته .

سألهم إبراهيم أسئلة تتمثل فى الآتى : ماذا تعبدون ؟ ماهذه التماثيل التى تصنعونها بأيديكم ثم تعكفون على عبادتها ؟ فيضطرهم واقع حالهم إلى أن ينطقوا بالحقيقة : إنها أصنام نقيم على عبادتها ودعائها .

ويعود إبراهيم فيسألهم بعبارات تفحمهم . وتبين زيف آرائهم : هل لها آذان تسمع بها حين تتوجهون اليها بالدعاء والسؤال لينفعوكم ؟ هل لها أعين تبصر بها عندما تهرعون إلى ساحتهم بالشكوى والضراعة . فيزيلون مابكم من ضر .

الحقيقة أنها لا تسمع دعاءهم ، ولا تبصر ذواتهم حتى تلبي طلباتهم .

تقليد الآباء : وعلى ضوء هذه الحقيقة . المؤسفة يجيب المعاندون المشركون بنفى ما ادَّعوه من أن أصنامهم تنفع وتضر . ولكنهم يقرون بمجاراة أسلافهم فيما كانوا يفعلونه من عبادة الأصنام . وتأليه المخلوق : لقد وجدنا آباءنا قائمين على عبادة هذه الأوثان وسؤالها وتقديسها . والتمرغ على أعتابها . وتقديم القرابين لها . . هكذا أعلنوا فى عبارة واهنة . وكلمة واهية . فقد جعلوا مادرج عليه أسلافهم من الباطل دليلا على إقبالهم على الشرك . وإعراضهم عن التوحيد .. فما أوهن مانطقوا به .. وما أقبح التقليد وعاقبته ! ! !

وإلى القارىء ما سجله القرآن عن هذه المجادلة (واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون . قالوا : نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال : هل يسمعونكم

إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) الآية ٦٩ ، ٧٤ : الشعراء .

إبراهيم يتحدى الأصنام : وعند ما سمع إبراهيم - عليه السلام - مقالتهم الواهية المتداعية تبريراً لعبادة أصنامهم ، واجههم بحقيقة أخرى ليقنعهم بأن هذه الأصنام حقيرة الشأن . ولاتساوى ما وضعوه عليها من هالة التقدير والتقديس . فهو يقول لهم ، كما حكى القرآن الكريم (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) الايات ٧٥ ، ٧٧ : الشعراء . ثم أظهر لهم أن الله وحده هو صاحب الفضل فى نعمة الهداية والإطعام والرزق بما سخر له من أسباب . ونعمة الشفاء حين المرض . وأنه وحده الذى يقبضه اليه ثم يحييه . وبيده وحده غفران الذنوب فى الدنيا والآخرة . . أظهر لهم إبراهيم كل ذلك ليدلل على أثر فضل الله عليه وعلى الناس جميعاً . وليثبت لهم الفرق الواضح بين ربه — الذى بيده زمام كل شىء فى الوجود ، والذى يعبده هو ويدعوهم إلى عبادته وبين مايعبدون هم من أصنام صماء لاتغنى عنهم شيئاً . بل وأعجز من أن تحقق لهم رجاء أو تجيب لهم طلباً . وفى هذا يقول الله على لسان خليله إبراهيم - عليه السلام - قال :(أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدولى إلا رب العالمين[1] الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) الآيات ٨٢ ، ٨٥ : الشعراء .

إبراهيم يتلطف مع أبيه : لم يبادر إبراهيم — عليه السلام — بتسفيه معبودات

(١) لزم تكرار هذه الثلاث آيات لان المقام هنا يتطلب أن يقف القارىء على بداية خطاب إبراهيم (عليه السلام) لقومه .

أبيه لكى لايشعر بالنفور . فيتهمه بالعقوق . بل خاطبه بأدب البنوة الرحيمة . ومراعاة حقوق الأبوة فرتب الكلام معه فى لين وأدب جميل . : بدأ حديثه معه بذكر بنوته له ليحرك فى قلبه عطفه ومن نفسه حبه . ثم سأله عما يجعله يتشبث بعبادة الأصنام . ويدعو إلى الحرص على دعائها بينما هى لاتسمع رجاء طالب . أو ثناء مادح شاكر . ولا تملك أن تنفعه أو تضره بشىء .

ثم خشى إبراهيم أن يستصغره أبوه . أو يمتهن رأيه . ويسفه فكره ، فقال له ما معناه : يا أبت إنه وإن كنت أنا ولدك . ولم أشارف سنك . إلا إنه قد جاءنى من العلم مالم تعلمه أنت ولا جاءك . فلا تتخلف عن متابعتى . ولا تستكبر عن مسايرتى . ففى اتباعك لخطواتى . وسلوكك سبيلى هداية لك إلى الصراط المستقيم . والطريق القويم . ومنجاة لك من غضب الله ، ثم رجاه وهو يواصل مخاطبته — باسم البنوة الرحيمة الحانية أن يبتعد عن طريق الأوثان ، وأن يكف عن عبادة الشيطان، والانقياد لما يزينه له من باطل القول وسيىء العمل ، فانه عدو لايرشد إلى خير . ولا يبتغى إلا إيقاع الناس فى الشر وإهلاكهم . فقد عصى ربه فطرده وأبعده عن رحمته . فتوعد الناس بالإغواء والضلالة . فلا تتبعه ، .. ثم أبان إبراهيم لأبيه — مخوفاً منذراً — ماينتظره من سوء العاقبة وشر المصير باعراضه عن طريق الله واتخاذه الشيطان ولياً له ونصيراً من دون الله تعالى .

لكن أباه آزر كبر عليه أن يتابع ابنه ، وأصر على عناده . وصمم على كفره . وتجاهل بنوته وأنكر إشفاقه به ، ونصحه له .. وبفظاظة العناد والغطرسة ، وغلظة الكفر والجحود ، أقبل آزر على ابنه إبراهيم بوجه متجهم ، وخاطبه فى تعجب واحتقار إن كنت راغباً يا إبراهيم عن آلهتى ، كارهاً لها . حاقداً عليها ، فارجع عن سبها وعيبها فانك إن لم تكف عن هذا وتثوب إلى رشدك ، لأرجمنك بالحجارة ، فابتعد يا إبراهيم عنى واحذر سخطى ، وتجنب اثارة غضبى واهجرنى قبل أن يصيبك شىء من عقوبتى .

فلن تجد فى قلبي بعد الآن بقية من عطف ، أو أثارة من حب وإحسان .

ورغم كل ما بدا من آزر من إصرار وعناد وتجهم ، فقد قابل إبراهيم تهديد أبيه بصدر رحب ، بنفس مطمئنة . . ثم نجده — يجيبه بما يعبر عن بر البنوة الحانية ، وأنه سيسأل الله له الهداية والغفران من ذنبه ، وأنه سيعتزله وقومه ، ويتبرأ منهم ، ويتجنب معبوداتهم التي أحبوها من دون الله ، ويتجه إلى ربه وخالقه وحده بالدعاء والعبادة الخالصة التى لا تخالطها شوائب شرك لئلا يكون مظاهراً لهم على الكفر ، مشايعاً لهم فى الباطل ، ثم ودّع أباه وهو حزين الفؤاد ، كسير الخاطر ، كاسف البال على دعوته التى لم تجد عند أبيه أذناً مصغية ولا قلباً ملبياً .

إبراهيم يحطم الأصنام : كان قوم إبراهيم قد اعتادوا أن يقيموا عيداً لهم كل عام خارج المدينة ، فيقضون هناك أياماً بعد أن يضعوا الأطعمة فى بيت العبادة لتباركها الآلهة ، وتفيض عليها الخير — بزعمهم — حتى إذا رجعوا مغتبطين من عيدهم أكلوه مباركا .

ولما حان وقت العيد وهموا بالخروج إليه طلب آزر وقومه من ابرهيم أن يرافقهم فى الخروج إلى عيدهم ليشاركهم أفراحهم فأبى أن يصحبهم متظاهراً بالمرض ـ وما كان معلولاً ولا به مرض ـ ولكنه كان عليل النفس ؛ ، حزين الفؤاد على إشراك قومه ، وإصرارهم على عبادة آلهتهم ، وعدم الانصياع إلى دعوته ، فتركوه لعلته وانصرفوا .

« للبحث بقية »

سعد صادق محمد

باب الفتاوى

أسـئلة وأجوبة

حضرة فضيلة الشيخ الـكريم الأستاذ محمد خليل هراس .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيدكم الله بروح منه وبعد :

س ١ — يوجد فى بلدنا من يفعل اذا مرض له أحد أن يذبح له شاة ويغسله بدم هذه الشاة ويقول إن هذا شفاء من جميع الأمراض البدنية والشيطانية .

س ٢ — وأيضاً يوجد عندنا من يحرم ما أكل السبع ولو ذكيت .

س ٣ — يوجد عندنا من يقول إن الجن خلقوا قبل آدم بأربعمائة ألف سنة ولذلك يجعلون للجن نصيباً من الأرض المزروعة ، وقد يعتقدون أن الأرض كلها للجن لأنهم خلقوا قبلهم .

س ٤ — يوجد عندنا من إذا ذبح شاة أول ما يذكر اسم الله ، ثم بعد ذلك اسم الولى عبد القادر الجيلانى ويقول صدقة أتقرب بها إلى الله بواسطة الولى عبد القادر الجيلانى وغيره من الأولياء فهل يجوز هذا ؟ .

س ٥ — يوجد عندنا من يعمل إذا وجدت له ماشية من الغنم أو البقر أن ينذر منها بما يتيسر ، ثم يشلت أذن الغنم أو البقر المنذور بها للولى حتى تكون معلومة فلا يتعدى عليها أحد من الناس لأنها للولى عبد القادر ؟ .

أرجو الجواب . الشافى ليكون لى تبصرة وذكرى والسلام عليكم ورحمة الله

محمد عمر اسماعيل — من أريتريا

ج ١ — تلويث المريض بدم الشاة بعد ذبحها مع اعتقاد أن ذلك يشفى من جميع الأمراض عادة جاهلية وثنية يبرأ منها الإسلام وهى خرافة لا يليق أن يرتكبها عاقل فإن الله عز وجل خلق الداء والدواء وجعل لكل داء ما يناسبه من الأدوية . وأمرنا

النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوى وقال « ياعباد الله تداووا فإن الله ما خلق داءاً إلا خلق له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله » .

وليس فى تلويث جسم المريض بالدم ما يصح أن يكون دواء إلا فى عقول الدجالين والمخرفين .

ج ٢ — إذا أكل السبع من بهيمة ثم أدركت حية وذكيت جاز الأكل منها باتفاق لقوله تعالى « وما أكل السبع إلا ماذكيتم » فمن حرم ذلك فقد افترى على الله الكذب وقال فى دينه بغير علم ، والله عز وجل يقول : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

وقال « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » .

ج ٣ — نحن نعلم أن الجن خلقوا قبل آدم لقوله تعالى « والجان خلقناه من قبل نار السموم » ولكننا لا نعرف المدة التى سبق بها الجن آدم إذ ليس فى الكتاب ولا فى السنة تحديد تلك المدة .

أما من يجعل من أرضه المزروعة أو مما رزقه الله من الأنعام نصيباً للجن ، فهو مشرك عابد للجن فهو يريد بفعله هذا التقرب إليهم واتقاء سخطهم ، كتلك النذور التى يتقرب بها القبوريون إلى أصحاب الأضرحة ، يعتقدون أنها تجاب لهم الرزق والبركة وتدفع عنهم الأذى ، قال الله تعالى من سورة النحل « ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون » .

أما من يزعم أن الأرض كلها للجن لأنهم خلقوا قبلنا فعليه أن يرحل منها وليبحث له عن أرض أخرى . مع أن الأرض خلقت أصلا لآدم وذريته كما قال تعالى « ولقد مكنا كم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش» .

ج ٤ — من ذبح شاة أو غيرها فذكر اسم غير الله عليها عند الذبح حتى ولو مع ذكر اسم الله فهى فسق أهل لغير الله فلا يجوز الأكل منها ، وإذا زعم أن شاته هذه صدقة يتقرب بها إلى الله ، ثم جعل بينه وبين الله عز وجل واسطة فى قبول صدقة كعبد القادر وخيره ، فهو من جنس عمل المشركين الذين قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » .

ج ٥ — من نذر من ماشيته شيئاً لغير الله وجعل لها من ذلك نصيباً معلوماً فهى كالسائبة التى كان ينذرها المشركون لآلهتهم فيسيبونها ترعى حيث شاءت لا يتعرض لها أحد فهذا شرك صريح يخرج صاحبه من الإسلام والعياذ بالله . قال تعالى « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » . نسأل الله العافية .

س ١ — ما حكم الإسلام فى بعض تجار الماشية الذين يتفقون سراً على شراء كمية منها لعدم الدخول فى منافسة للتقليل من سعرها ويوزعون تلك الكمية فيما بينهم ؟ .

س ٢ — ماحكم الدين فى رجل أتاح لزوجته أو ابنته بالذهاب لحفلات الأعراس التى تجمع عادة بين الجنسين فى صعيد واحد وفى بعض الحالات يركبون عدداً العربات حتى تمتلىء من الجنسين ، وهم جميعاً ينشدون بعض الأغانى ويصيحون بإعلاء أصواتهم علماً بأن ولى أمرها يدرك هذا لكثرة انتشاره .

س ٣ — ماحكم الإسلام على الطوائف المشعوذة الأسماء كالصوفية وغيرهم ، وهل هناك ما يسندها من القرآن أو أحاديث الرسول ، ومن الذى بدءها ؟ .

س ٤ — ما حكم الإسلام فى زواج المرأة التى تساهم مادياً مع خطيبها فى نفقات الزواج بدفع مبالغ مساوية للمهر والصداق ؟ .

حسب الرسول عبد القادر
— النهود — سودان

ج ١ — هؤلاء التجار يعتبرون بعملهم هذا محتكرين فإن اتفاقهم فيما بينهم على الشراء بسعر معين والناس مضطرون إلى البيع لهم لعدم وجود منافس يزاحمهم على السلعة يعيد احتكاراً لما من شأنه أن يؤثر فى السوق ويضر بالمنتجين وقد جاء فى الحديث « لا يحتكر إلا خاطىء » وفى الحديث الآخر « من احتكر طعام المسلمين أربعين يوماً ضربه الله بالجذام والإفلاس » .

ج ٢ — إذا علم المسلم أن حفلات الزواج تقوم على الصخب والمجون ويختلط فيها أحد الجنسين بالآخر فالواجب أن يكف زوجته أو ابنته عن الذهاب إليها فإنه بسماحه لها أن تغشى مثل هذه الحفلات يعرضها للفتنة ، والناس كلهم الآن إلا من عصم الله مرضى بالشهوات فلا يأمن الرجل حريمه من أن يتعرض لهن واحد من هؤلاء الدعار لا سيما إذا ركبوا العربات والتصقت الأجسام وتصايحوا بالتهريج والغناء فإن الفرصة تكون أكبر ، فليتق الله كل مسلم فيمن جعله الله قواماً عليهن فلا يسمح لهن حضور مثل هذه الحفلات التى يفقدن فيها الحياء والكرامة ويتعرضن لما لا يليق ، ولا يصح أن تكون المجاملة للأهل والأصدقاء على حساب الدين .

ج ٣ — لست أدرى ما الذى يعنيه السائل بكلمة « الطوائف » فإن كان يعنى بها جماعات الصوفية التى تنتسب كل جماعة منها إلى رئيس لها يقال له « شيخ الطريقة » فهذه كلها طرق وضعها الشيطان ليصرف الناس عن صراط الله المستقيم الذى أمرهم باتباعه ، والذى جعل الكتاب والسنة دليلاً عليه ، وليحدث الفرقة والخلاف بين صفوف الأمة الواحدة ، والله عز وجل يقول (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ويقول محذراً لنا أن نتبع سنن من كان قبلنا فى التفرق والاختلاف (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وليس فى كتاب الله ولا فى أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقر وجود مثل هذه الطوائف ، بل فيهما ما يشهد عليها جميعاً بالضلال والابتداع لمخالفتها السنة والكتاب .

ج ٤ — يجب على من يريد الزواج من امرأة أن يعطيها صداقها « مهرها » لقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) أو على الأقل يسمى لها مهراً يكون ديناً فى ذمته لها ، فالصداق هو حق المرأة تتصرف فيه كما تشاء ولا يجب على الزوجة أن تشارك الرجل فى تأثيث بيت الزوجية وإعداده بل هذا واجب الزوج أن يوفر لها المسكن اللائق والمتاع المناسب ، ولكن ما تعارف عليه الناس من مشاركة المرأة للرجل فى نفقات الزواج هو تعاون محمود وتبرع منها مشكور . والله أعلم .

محمد خليل هراس

نداء إلى الشباب

دعوتك يا أخى فاسمع ندائى صريحاً خالصاً دون التواء
أتيتك ناصحاً — أرعى إخائى لحقق رغبتى وأجب رجائى

تتوق اليوم نفسى للخطاب وأهدى ما أقول إلى الشباب
عسى يوماً يسير على الصواب فيحظى بالمسرة والهناء

بغير الدين لا يرجى الصلاح ولا يأتى الفلاح ولا النجاح
أقول — وإنه الحق الصُّراح لَدِينُ الله أحرى بالبقاء

ذر التقليد ولتك مستنيرا فسيح الأفق لماحاً بصيرا
وكن للحق معواناً نصيرا فعهد الله أولى بالوفاء

تمسك بالكتاب تكن رشيدا وتحيا دائماً أبداً سعيدا
وإن تنطق تقل قولا سديدا ينم عن الكياسة والذكاء

وَسنة خاتم الرسل الكرام تقود المؤمنين إلى التسامى
فيحيوا هانئين على الدوام ويبقى الدين خفاق اللواء

فلا تعمد إلى ترك الصلاة فتغدو كافراً — لا كالعصاة !
وما لك من سبيل للنجاة ولو أمضيت دهراً فى البكاء

تمسك بالفضيلة — كن عفيفاً شديد الحرص مفضالا شريفاً

تمثل للزنا شبحاً مخيفاً   ترايله وتمعن فى التدانى

تجمل بالتقى تحيا تقياً   وكن للمؤمنين أخاً وفياً
وصاحب مخلصاً عفاً نقياً   سديد الرأى موفور الحياء

تأدب فى مجالسة الكبير   كذلك كن رفيقاً بالصغير
وقل خيراً — تدم حَيَّ الضمير   تفيض عليك آيات الثناء

تقدم للكفاح ولا تبالى   فدين الله يدعو للمعالى
ولا تأمن إلى مر الليالى   فإن العمر يسرع بالفناء

تحمل يافتى عبئاً جسيما   وشيد يافتى وطناً عظيما
فإن تعمل تعش حراً كريماً   وجهد يديك يعلو بالبناء

أتطلب جنة من دون جهد ؟   وترجو راحة من غير كد ؟
فلا ـ والله ـ ما الإهمال يجدى   وترك السعى مفتاح الشقاء

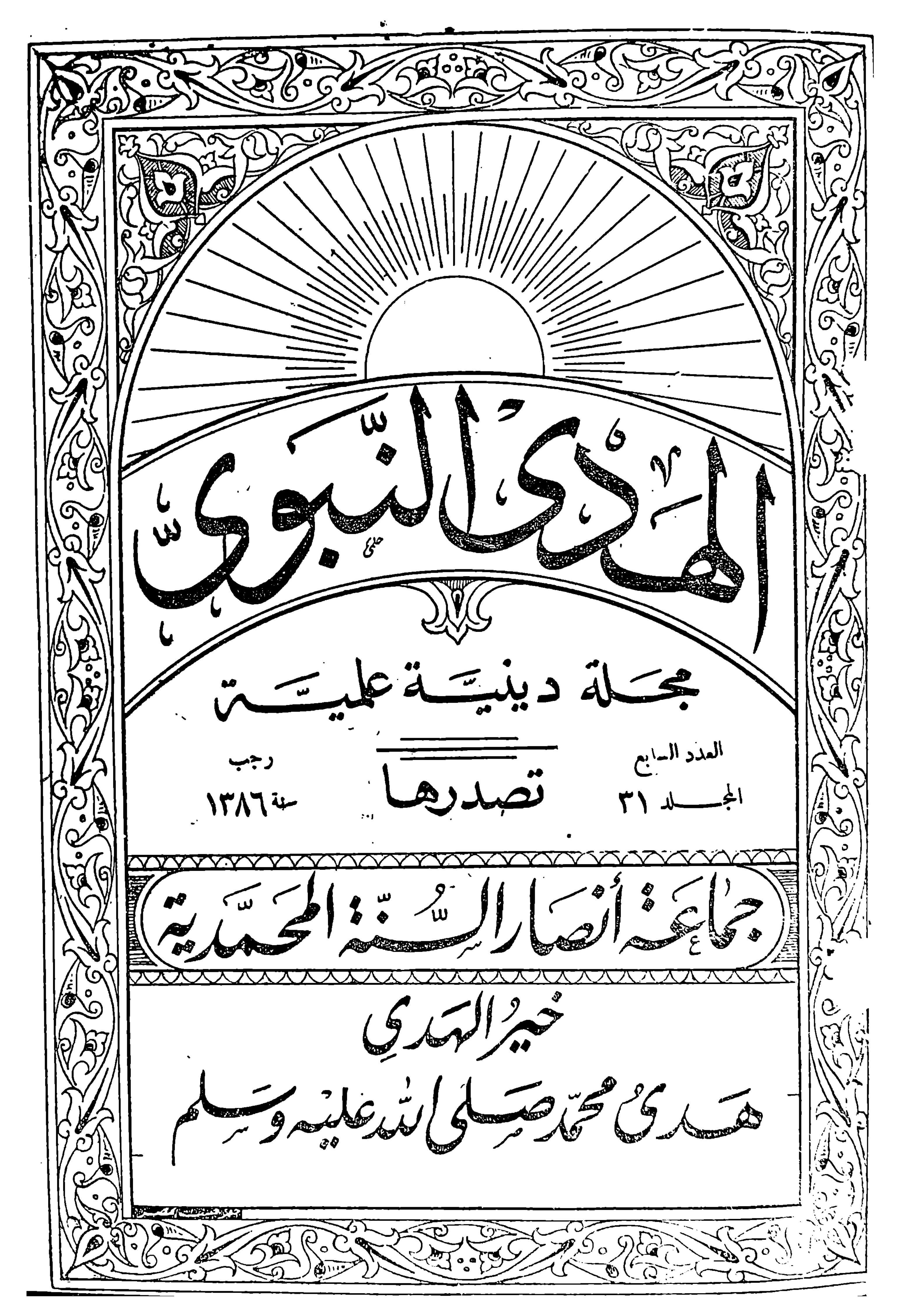
بربك وحده كن مستعيناً   تنل توفيقه ـ دنيا وديناً
وسَله يهبك إيماناً متيناً   فإن الله يسخو فى العطاء

سأزهو إذ أراك تكون ذخراً   لدين الله تدعو مستمراً
تروم لأمة الإسلام خيراً   وترجو الفوز من رب السماء

محرم بك ـ اسكندرية   محمد عبد الكريم أحمد



مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧
الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد السابع
المجلد ٣١
تصدرها
رجب
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صدرت :

المجموعة الأولى من كتاب

« نور من القرآن »

صفحات مشرقة مضيئة منتقاة من محاضرات وتفسيرات

أستاذنا الراحل الشيخ محمد حامد الفقى

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

رحمه الله

جمعها : محمد رشدى خليل

الثمن ١٥ خمسة عشر قرشا وأجرة البريد المسجل ٥ خمسة قروش

وترسل باسم محمد رشدى خليل

٨ شارع قوله — عابدين — القاهرة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان حسونة
الاشتراك السنوى
٤٠ ـ قرشاً فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ٧ رجب سنة ١٣٨٦ المجـلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : جل ذكره : (فاختلف الأحزابُ من بينهم ، فَوَيْلٌ للذين كفروا من مَشْهَدِ يومٍ عظيم . أَسْمِعْ بهم وأَبصرْ يومَ يأتُونَنَا لكنِ الظالمون اليومَ فى ضلالٍ مبين . وأنذِرْهُمْ يوم الحسرة إذ قُضِى الأمر ، وهم فى غَفْلةٍ ، وهم لا يُؤْمِنون. إنا نحن نرث الارضَ ومن عليها ، وإلينا يُرْجَعُون) مريم : ٣٧ : ٤٠ .

المعـــنى

كتبت فى العدد السابق موجزاً عما ذكره المسيحيون عن مولد عيسى عليه السلام ومصيره . ثم ذكَّرت بالآية القرآنية التى فى سورة النساء والتى تزهق باطل الزاعمين أن عيسى قد صُلب .

وفى هذا العدد أذكر ما اختلفت فيه الأحزاب من بين النصارى تفسيراً لقوله ـ جل شأنه ـ « فاختلف الأحزاب من بينهم » .

التوحيد فى العهد القديم : إن ما بأيدى النصارى من أسفار ينسبونها إلى وحى الله يسمونها : الكتاب المقدس . وهم يعرفونه بقولهم « إن الكتاب المقدس يُطلق على مجموع الأسفار المتضمنة ما كتبه الناس الأطهار الذين ألهمهم الله بكتابتها فى أزمنة مختلفة[1] » وهو ينقسم قسمين أحدهما : العهد القديم وهو مكون من ثلاثة أقسام : أولها : الناموس وهى كتب موسى الخمسة المسماة بالتوراة ، وهى : سفر التكوين ، وسفر الخروج وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية .

القسم الثانى من العهد القديم : أسفار الأنبياء ، منها أسفار الأوائل مثل سفر يشوع والقضاة وسفرى صموئيل ، وسفرى الملوك ، ومنها أسفار الأواخر ، مثل نبوءة أشعياء وأرميا وحزقيال والنبوات الأثنتا عشرة الصغيرة من هو شع إلى ملاخى .

القسم الثالث من العهد القديم : يسمى المكتوبات المقدسة وهى : الزبور والأمثال وأيوب ونشيد سليمان وراعوث ومراثى أرميا والجامعة وأستير ودانيال ، وعزرا ونحميا وسفرا الأيام . وقد أضيفت إليها أسفار أخرى تسمى الأبوكريفا .

والجزء الثانى من كتابهم المقدس يسمونه : العهد الجديد ، وهو سبعة وعشرون سِفرا . تنقسم إلى ثلاثة أقسام (١) تاريخية وهى الأناجيل المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا وأعمال الرسل (٢) تعليمية وهى عبارة عن إحدى وعشرين رسالة وجهها رسلهم إلى الكنائس أو إلى أفراد من المسيحيين (٣) النبوئية : وهى رؤيا يوحنا .

وكثير من أسفار العهدين القديم والجديد فيه ضلالات ، بل غثاء ضلالات لم يكن العقل يتصور أن يدين بها إنسان لولا الواقع الذى يؤكد أن هذه الضلالات دين ألوف ألوف من البشر ! ! غير أنه ورد فى بعضها حق مقدس تسطع منه نفحات نبوة ، وتفيض أنوار هداية ، ولا سيما فى أسفار العهد القديم الذى يعتبر هو المصدر الأول لشريعة النصارى ، وعليه يعتمدون فى أحكام دينهم ، لأن عيسى ـ كما ذكر فى إنجيل متى ـ

---

(١) ص ١ مرشد الطالبين ج ٦ .

ما جاء لينقض الناموس - أى الشريعة - وإنما جاء ليكمل . . . وإليك ما ورد فى الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج وما بعده حينما كان الله يكلم موسى فى ميقاته:

(أنا الرب إلهك الذى أخرجك من الأرض مصر من بيت العبودية[١] . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورةً مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ، ولا تعبد هن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبْغِضِيَّ ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من مُحِبِّيَّ وحافظى وصاياى ، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ؛ لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا . أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لا تقتل ، لا تَزْنِ ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئاً مما لقريبك[٢] . . . . لا تدع ساحرة تعيش . كل من اضطجع مع بهيمة يقتل قتلا ، من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك . . . لا تسب الله[٣] . . . ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ، ولا يسمع من فمك . . . لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم ، بل تبيدهم ، وتكسر أنصابهم ، وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك . وماءك وأزيل المرض من بينكم[٤] » .

---

(١) كان أيام فرعون . ومع هذا قال بنو إسرائيل لموسى (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) الأعراف : ١٢٩ أو كما جاء فى الإصحاح السابع عشر من سفر الخروج إذ قالوا لموسى : (ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور الله نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذ الجمور بالجوع).

(٢) من الإصحاح المتمم للعشرين سفر الخروج .

(٣) من الإصحاح الثانى عشر والعشرين .

(٤) من الإصحاح الثالث والعشرين من السفر السابق .

وفى العهد الجديد : وفى خطبة الجبل المشهورة المنسوبة إلى عيسى ورد ما يأتى فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لانقض بل لأكمل » والقاعدة الأولى فى الإسلام الذى هودين الرسل جميعاً هى الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، عبادة الله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، عبادة الله الأحد الصمد الذى لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وهذا أساس الناموس وروحه وقوامه وملاكه ، فكيف ينقضه عيسى ؛ ويدعوهم إلى عبادة رب تجسد فى بطن امرأة ؛ خرج منها بشراً يجوع ويأكل ويشرب ويمرض ويضرب ويهان ؛ ويصلب كما يفترون فى هذه ؟ .

من أسباب ضلالة النصارى : يقول الإمام الصبار الشكور ابن تيمية فى كتابه الكبير الجواب الصحيح[1] : « ومما ينبغى أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة أشياء . أحدها : ألفاظ متشابهة مشكلة منقولة عن الأنبياء ، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة ، وتمسكوا بها ، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به ، وحملوه على مذهبهم ، وإن لم يكن دليلا على ذلك . والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها ، وإما أن يتأولوها ، كما يصنع أهل الضلال يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ، ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين.

والثانى : خوارق ظنوها من الآيات ، وهى من أحوال الشياطين ، وهذا مما ضل به كثير من الضلال والمشركين .

والثالث أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقا وهى كذب ، وإلا فليس مع النصارى ، ولا غيرهم من أهل الضلال على باطلهم لامعقول صريح ، ولا منقول صحيح ، ولا آية من آيات الأنبياء ، إن تكلموا بمعقول ، تكلموا بألفاظ متشابهة مجملة ، فإذا استفسروا عن معانى تلك الكلمات ، وفُرق بين حقها وباطلها تبين مافيها من التلبيس والاشتباه ، وإن تكلموا بمنقول ، فإما أن يكون صحيحاً لايدل على باطلهم ، وإما أن يكون غير ثابت بل مكذوب ، وكذلك مايذكرونه من خوارق العادات »

---

(١) « لمن بدل دين المسيح » .

وكانت أكثر الكلمات اشتباهاً هى كلمة « ابن » و كلمة « آب » ، وبهاتين اللفظتين استطاع بولس أو اليهودى شاول — كما كان يسمى — أن يفسد على المسلمين فى ذلك العصر دينهم العظيم الذى جاء به موسى وعيسى عليهما السلام يقول شيخ الإسلام فى تفسير قل هو الله أحد : « وقد قيل منشأ ضلال القوم أنه كان فى لغة من قبلنا يعبر عن الرب بالآب ، وبالإبن عن العبد المربى الذى يربه الله ويربيه ، فقال المسيح : عَمِّدُوا الناس باسم الأب والإبن وروح القدس ، فأمرهم أن يؤمنوا بالله ، ويؤمنوا بعبده ورسوله المسيح ، ويؤمنوا بروح القدس جبريل ، فكانت هذه الأسماء لله ولرسوله الملكى ، ورسوله البشرى . . . ومما يبين ذلك أن لفظ الإبن فى لغتهم ليس مختصاً بالمسيح بل عندهم أن الله تعالى قال فى التوراة لإسرائيل : أنت ابنى بكرى . والمسيح كان يقول : أبى وأبوكم ، فيجعله أباً للجميع ، ويسمى غيره ابناً له ، كما يسمى هو ابناً لله ، فعلم أنه لا اختصاص للمسيح بذلك . ولكن النصارى يقولون : هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع ، فيفرقون تفريقاً لادليل عليه ، ثم قولهم ؛ هو ابنه بالطبع يلزم عليه منه من المحالات عقلا وسمعاً مايبين بطلانه »(١)

ويذكر الدكتور بوست فى قاموسه أن كلمة أب تفيد معنى مشير أو مرشد وكثيراً ماتستعمل كلمة أب بهذا المعنى فى الشرق ، وتستعمل أيضاً لتفيد معانى مختلفة مثل المبدىء والمعلِّم ، وتطلق على كل سلف من الأسلاف وعلى المكرمين كالملائكة والأنبياء والكهنة ، وعلى الوصى وعلى مبدىء شىء من الأشياء ، وعلى الذات الإلٰهية كما يقول عن : أبناء الله . ظن البعض أنه يراد بلفظة أبناء الله إما ملائكته أو أرواح طاهرة إلا أن من قرأ الإصحاح — رقم ٦ — من أوله ونظر بعين التأمل إلى مابين العدد الثانى

---

(١) ص ٣٢٦ جـ ١ سنة ١٣٧٩ هـ ، ص ٤٨ وما بعدها تفسير سورة الإخلاص جـ ١ سنة ١٣٥٢ هـ وقد ورد فى الأناجيل نفسها إطلاق الابن على غير عيسى . ففى الإصحاح الرابع « طوبى لصانعى السلام أبناء الله يدعون » .

والأول من الملاقة على أن المراد بأبناء الله أمراء أو رجال عظام بناء أناس كرام اشتهروا بتقواهم وطهارتهم ومحبتهم .

بعد رفع عيسى : اضطرب أمر المسلمين بعد رفع عيسى الذى بينه الله فى القرآن — لا الذى تحدثت عنه أساطير النصارى — وأوقع بهم الحكام والولاة أشد اضطهاد ، ولا سيما فى عهد القيصرين اللذين جاءا بعد القيصر المعاصر لعيسى : كما أوقع بهم اليهود النكايات الدنيئة . وكان أشد مانزل بهم من بلاء وكوارث هو ما ابتلاهم الله به فى عهد الطاغية نيرون (سنة ٦٤ م) وتراجان سنة ١٠٦ م ، وديسيوس ٢٤٩ م وغيرهم .

وكان مما يفعله بهم نيرون وأشياعه . وضع المسلمين من أتباع عيسى فى جلود الحيوانات ، ثم يدعون الكلاب لتنهشهم ، وأيضاً صلب بعضهم ، وإلباس آخرين ثياباً مطلية بالقار وجعلهم مشاعل للاضاءة . حتى كان نيرون الطاغية نفسه يسير فى ضوء هذه المشاعل البشرية ! ! وقد ظل الاضطهاد آخذاً بخناقهم حتى جاء قسطنطين . فى خلال هذه الإضطهادات وضعت الأناجيل بما فيها من زيف وتحريف ، وصبر من صبر ، وارتد من ارتد ، وزاغ من زاغ . وظهر من لا يرضيه سوى القضاء على أصل الدين كله . مثل :(١)

بولس أوشاول : هو من يهود الرومان وأحد الفريسيين الذين أنذرهم عيسى كثيرا بالويل ، ودمغهم بالرياء ، وقدعاش يأكل قلبه الحقد على عيسى ودينه وإنجيله . فمضى ينفس عن أحقاده باضطهادهم ، وإيذائهم بالقتل والتعذيب ، فلم يجد إلا صبرا كريماً من المسلمين ، فدبر فى نفسه كيدا وحيلة . إنه رأى قوة هؤلاء تشرق من عقيدتهم السامية ، فإذا استطاع أن يقضى على هذه العقيدة استطاع بالتالى القضاء عليهم — وهذا عين تدبير

---

(١) من أشد الشناعات أن نقول : المسيحيين ، وأن نتحدث أن دين عيسى مسمى بالمسيحية ! ! ولهذا يحزننا أن يقال : المسيحية فى القرآن . ثم نضيف إلى هذه المسيحية مايضاف إلى الإسلام . وكلمة مسيحى لم تظهر إلا فى القرن الثالث الميلادى فى مجلس مدينة نيس .

أعداء الإسلام فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم — وأمته . فزعم أنه آمن وبهذا الزعم استطاع أن يجمع حوله كثيرا من القلوب . واستطاع بالتالى أن يقضى على نور الحق فيها بظلام باطله .

يقول بولس[1] عن نفسه « أنا فريسى بن فريسى » إصحاح ٢٣ سفر أعمال ، وكان كما جاء فى الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل « أما شاول — وهو اسمه الأول — فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب » .

ثم يذكر هو بعض ما كان يوقعه بالمسلمين « أنا ارتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى[2] ، وفعلت ذلك أيضاً فى أورشليم ، فحبست فى سجون كثيرين من القدِّيسين آخذاً السلطان من قبل رؤساء الكهنة ، ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة ، وأضطرهم إلى التجديف — يعنى النطق بكلمات الكفر وشتم الله وعيسى — وإذ أفرط حنقى عليهم ، كنت أطردهم إلى المدن الأخرى التى فى الخارج » إصحاح ٢٦ أعمال ومع هذا بقى المسلمون مسلمين فدبر ماقدَّمته . ويقص علينا شاول قصة إيمانه ، وهى أسطورة تَشْدَهُ العقل إذ يجد ملايين ملايين يصدقونها ! ! « ولما كنت ذاهباً فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة[3] رأيت فى نصف النهار فى الطريق نوراً من السماء أفضل

---

(١) يقول بوست إنه ولد فى طرسوس فى ولاية كيليكية من أعمال المملكة الرومانية وكان اسمه العبرانى شاول ، واسمه الرومانى بولس .

(٢) ولهذا انتخبه اليهود قائداً لمضطهدى المسلمين ، وكان من جملة شهود رجم استفانوس وبعد رجمه فر كثير من المسلمين إلى دمشق الشام ، فتبعهم شاول بأمر من رؤساء الكهنة يخوله جر المسلمين رجالا ونساء إلى أورشليم .

(٣) هو الذى تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ليسوق المسلمين من هناك أنظر إصحاح رقم ٩ أعمال .

من لمعان الشمس ، قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمنى ، ويقول باللغة العبرانية : شاول شاول ! ! لماذا تضطهدنى . فقلت : من أنت ياسيد ؟ ، فقال : أنا يسوع الذى أنت تضطهد ، ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادما وشاهداً بما رأيت ، وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ، ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله »(١) . وفى مكان قبل هذا « فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهد » وحينما دخل دمشق حاول الالتصاق بالمسلمين الهاربين واستطاع أن يخدع برنابا ، ويقنعه بأنه آمن . ومضى بولس شيئاً فشيئاً يعظ فى الجامع بأن عيسى ماهو إلا ابن الله . وكان يداهن كل فئة ، ليحشدهم حوله يقول هو بلسانه « فإنى إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين ، فضربت لليهود كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ؛ لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس « شريعة ودين » مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء »(٢) وليس هذا من خلق القديسين ولا حتى الذين بهم مسٌ كريم من رجولة وخلق ، إنما هو خلق نعرفه من نفاق اليهود الدنىء . وللنبوة اعتزاز وكبرياء وسمو وصفاء خلق نبيل لا يمكن مطلقاً أن ينتسب إلى مثل مايقول اليهودى بولس .

المسيح لعنة : وقد تسفّل حقدهُ فحكم بلعن عيسى . تأمل قوله : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس : إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة » أى صلب(٣) ! !

---

(١) إصحاح ٢٦ أعمال .
(٢) ص١ إصحاح ٩ كورنثوس الأولى .
(٣) إصحاح :

التفرقة المنصرية : وأبى الرجل إلا أن تظل يهوديته الحقود مستملئة البغى حتى وهو يزعم أنه انتمى إلى المسيح الذى كان يبشر بأن الناس جميعاً إخوة ، فأبى بولس أن ينافق فى هذه ، فقرر ما يأتى « كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية ، والآخر من الحرة ، لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد ، وأما الذى من الحرة فبالموعد ! . . ماذا يقول الكتاب ؟ أطردوا الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد الحرة »[١] أرأيتم إلى يهودية بولس ؟ ؟ إنه يأبى التقاء البشرية . ويقيم وزناً للشيطان ! !

أثر بولس : وقد استطاع بولس أن يحيل ماجاء به المسيح شيئاً آخر . أو أن يجعل أسماع الألوف وأفكارهم وأبصارهم عدواً للحق والهدى والنور . ولن نرمى الرجل بغير مافيه ، ولن نتكلم هنا بلساننا إنما سننقل عمن لايمكن أن يتهموا بأنهم متعصبون ضد بولس وإنما هم من دينه ، ومن المتعصبين له . وهو الكاتب المؤرخ الإنجليزى الكبير (هـ . ج . ولز) فى كتابه « معالم تاريخ الإنسانية » :

« وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقى للمسيحية ، وهو شاءول الطرسوسى أو بولس . ثم يقول : « ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لاتبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن عيسى من أقوال وتعليم . ألا وهى فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشر به عيسى كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية ، أما ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة للكاهن وللذبح وسفك الدماء طلباً للاسترضاء . . أمد بولس الناصريين بقوة جارفة لأنه أتاهم بتفسيره المقنع تماماً عن كارثة الصلب . . وانتشار المسيحية السريع مدين ولا مراء لبولس أكثر منه لأى رجل آخر بمفرده . . كان عيسى يسمى نفسه ابن الله[٢] وابن الإنسان أيضا . بيد أنه لم يهتم

---

(١) إصحاح رقم ٣ غلاطية .

(٢) بمعنى أنه عبد الله . أما الأخرى فالبنوة الحقيقية .

إلا قليلا بشأن من كان هو ، أو ما كانت ماهيته ، وإن اشتد اهتمامه كثيرا بتعاليم للملكة . وقد فتح بولس وأتباعه الشقوق بإعلامهم أنه أكثر من إنسان ، وأنه قدسي ، ميدانا فسيحا من الجدل . أكان عيسى ربا ؟ أم خلقه الرب ؟ هل هو والرب سواء ، أو هو منفصل عن الرب ؟ إنا لنجد إذعان المسيحية بأجمعها عندما وافى القرن الرابع من الحقبة للمسيحية فى حالة كانت من الإضطراب والإعنات بسبب الجدل المؤلم الملتوى حول طبيعة الله »[1] ويقول ول ديورانت فى كتابه الكبير قصة الحضارة (ولقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح ، وكانت العوامل التى أوحت إليه بالأسس التى أقام عليها ذلك اللاهوت هى انقباض نفسه وندمه والصورة التى استحال إليها المسيح فى خياله ، ولعله تأثر بنبذ الافلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا ، ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس . أما هذه الأسس ، فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم وألا شيء ينجيه من العذاب الأبدى إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته . . ولقد كانت مصر وآسية الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد ، تؤمن بأوزريس وأتيس وديونيشس التى ماتت ، لتفتدى بموتها بنى الإنسان ، وكانت ألقاب مثل سوتر « المنقذ » والبوتريوس « المنجى » تطلق على هذه الآلهة . وكان لفظ كريوس « الرب » الذى سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية السورية على يونيشس الميت المفتدى ولم يكن فى وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين ، ولهذا ناداهم بولس بقوله : « هوذا سر أقوله لكم » . . . وأضاف بولس إلى هذه اللاهوت الشعبى المدرسى بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة وفلسفة فيلون ، من ذلك قول بولس : المسيح هو حكمة الله ،

---

(١) ص ٥٦٠ وما بعدها جـ ٣ معالم تاريخ الإنسانية .

وابن الله الأول بكر كل خليفة فإنه فيه خلق الكل . والكل به وله قد خلق الذى هو قبل كل شىء وفيه يقوم الكل . وليس هو المسيح المنتظر « إليا » اليهودى الذى سينجى إسرائيل من الأمر ، بل هو الكلمة الذى سينجى الناس كلهم بموته ، وقد استطاع بولس بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عن حياة يسوع الواقعية ، وعن أقواله التى لم يسمعها منه مباشرة . . وكان فى وسعه فوق هذا أن يجيب عن الأسئلة المربكة أسئلة الذين قالوا : إنه إذا كان المسيح إلٰها حقا فلم رضى أن يُقتَل ، فقال : إن المسيح قد قتل ليفتدى بموته العالم الذى استحوذ عليه الشيطان بسبب خطيئة آدم ، فكان لابد أن يموت ؛ ليحطم أغلال الموت ، ويفتح أبواب السماء لكل من نالوا رضوان الله » . ثم يختم كلامه بقوله : « وكان الاعتقاد بأن النجاة إنما تكون بالإيمان والعقيدة نصراً لبولس على المسيح(١) » هذان صليبيان أحدهما إنجليزى والآخر أمريكى . يشهدان بأن المسيحية ـ لا الإسلام الذى جاء به عيسى ـ إنما هى من عمل بولس . ولنتدبر كلام دبورانت جيداً لنعرف حقيقة بولس التى استنبطها الرجل من رسائل بولس ، ولم يظلمه طبعاً ، لأنه يحب بولس ! ! .

ويقول نفس المؤرخ المعاصر « نشأت المسيحية من الإيحاء الغامض العجيب الخاص بحلول الملكوت ، واستمدت دوافعها من شخصية المسيح نفسه وتخيلاته ، كما استمدت قوتها من عقيدة البعث والحساب والوعد بحياة الخلود واتخذت صورة العقائد الثابتة فى لاهوت بولس ، ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية(٢) » ولم يبق لنا ما نقوله بعد أن قالوها هم . غير أن ما أريد أن أقوله: ليستح هؤلاء الذين ينشرون رسائل زاعمين فيها أن القرآن يؤيد المسيحية التى افتراها بولس ومن جاء بعده وليؤمنوا عن يقين وبينة وواقع أنهم لا يدينون بما دعاهم إليه عبد الله ورسوله عيسى بن مريم ، وإنما يؤمنون بما استمده بولس من وثنيات سابقة .

(١) ج ١١ قصة الحضارة ص ٢٦٣ وما بعدها .
(٢) ص ٢٤١ المصدر السابق .

عقائد مختلفة : وبما فعله بولس ، وبتأثير من البيئات وبما يأتى به الذين يبتعدون بأفكارهم الدينية عن الكتاب المنزل أصبحت المسيحية أشكالا مختلفة وفنوناً متباينة يقول ول ديورانت : «إن أتباع المسيح قد انقسموا فى الثلاثة القرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة » .

وظهر بين المسيحيين اللا أدريون الذين يطلبون العلم الربانى عن طريق التصوف المبشرون بوجود المنقذ قبل ميلاد المسيح ، وظهر جماعة آخرون مزجوا الأرفية بالفيثاغورية بالأفلاطونية بفلسفة فيلون . وكونوا منها أنظمة عجيبة من «الفيض الربانى» .

كما ظهر غيرهم وغيرهم من الذين ساروا سيرة بولس فى العمل ضد الإسلام الحق الذى جاء به عيسى من عند ربه . كما كان يظهر آخرون يريدون العودة بالدين إلى ما كان عليه أيام المسيح مثل بولس الشمشاطى الذى يقول عنه ابن حزم أن قوله كان التوحيد المجرد ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلهية فيه وكان يقول : لاأدرى ما الكلمة ولاروح القدس» .

كما ظهر آريوس الذى ظهر فى مصر حرباً على كنيسة الإسكندرية التى كانت تدين بألوهية المسيح . وإليك نحلته التى شرحها المؤرخ المسيحى ابن البطريق : « كان يقول : إن الأب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الأبن» وشايع آريوس على دينه الكثيرون منهم بطريرك القسطنطينية وغيره من البطارقة وكثيرون فى مصر والشام ومقدونية ، وجد الشيطان يغلو فى كيده حتى عقد مجمع « نيقية » الذى قاده الشيطان . ونصب فيه للوثنية الخرقاء نصباً معبوداً .

وسنكتب فى العدد القادم - إن شاء الله - عنه وعن غيره تفسيراً لقوله سبحانه (فاختلف الأحزاب من بينهم) .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين ؟

عبد الرحمن الوكيل

ركن السنة

مثل القائم على حدود الله

عن النعمان بن بشير رضى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثل القائم على حدود الله والواقع فيهـا كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فـكان الذين فى أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلـكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »(١)

شرح المفردات

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها : المثل بفتح أوله وثانيه هو الحال والصفة العجيبة وقد كثر ضرب الأمثال فى القرآن الـكريم وفى السنة المطهرة لمالها من أثر بالغ فى إبراز خفيات المعانى وتقريبها للأذهان ، وذلك لتصويرها بصورة الشىء الملموس المحسوس . والقائم على حدود الله هو من وسد إليه أمرها وجعل له الولاية عليها والقيام بحفظها ورعايتها: من الولاة والقضاة ومن يعينهم فى ذلك من المسترشدين والدعاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنـكر . والحدود جمع حد وهو فى اللغة الحاجز بين الشيئين ونهاية الشىء أيضاً تقول حد الدار يحدها حداً وحددها ويطلق الحد كذلك على المنع ومنه أخذت المرأة تحد فهى محدة إذا امتنعت عن الزينة بعد وفاة زوجها .

والمراد بحدود الله هنا كل ماحده الله لعباده ونهاهم عن تعديه وتجاوزه من أحكام الشريعة الغراء، ومناسبة هذا المعنى للغة أن هذه الأحكام فيها المنع من الشر والفساد .

وأما الواقع فيها فهو المنتهك لتلك الحدود والخارج عليها من الدعار والفساق .

---

(١) رواه البخارى

استهموا على سفينة : السهم الواحد من النبل وقيل نفس النصل ويطلق على النصيب ومنه السهم فى الغنيمة وفى الميراث وتجمع على أسهم وسهام وسهمان :

وسام غيره قارعه فقرعه عليه فى المساهمة والمقارعة، والمغلوب يقال له مسهوم ومقروع

فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها : الأعلى ضد الأسفل والعلو بضم العين وكسرها مع سكون اللام يقابله السفل بضم السين وكسرها والعلو بتشديد الواو يقابله السفول والسفال بفتح السين والسفالة بضمها يقابلها العلاء والعلاوة وعلية الناس بكسر العين وسكون اللام ضد سفلتهم والسفالة بفتح السين النذالة وبابه ظرف ومعنى أصاب بعضهم الخ وقع نصيبه الذى خرج له بالقرعة .

وإن أخذوا على أيديهم : يقال أخذ على يديه أو ضرب على يديه كفه ومنعه من فعل ماعزم عليه والمعنى حالوا بينهم وبين ما يريدون من خرق السفينة .

المعنى الإجمالى للحديث

إذا كان الإسلام من الناحية الإيجابية قد وضع من القواعد والنظم والشرائع والآداب ما يكفل قيام أرقى المجتمعات وأوفرها عدالة وطمأنينة وأشدها تماسكا وتضامنا وأكثرها رحمة وأبعدها عن عوامل القلق ومظاهر الفساد والتحلل ، فإنه من الناحية الأخرى يوصى بصيانة هذا المجتمع وبقائه سليما ويحذر من التهاون فى دفع ما قد يطرأ عليه من الخرافات التى لا تلبث إن أهملت أن تتسع ويستطير شرها فتهدد بناء المجتمع كله ويصبح علاجها من أعسر الأشياء .

وفى هذا الحديث البالغ حد الروعة والدانى من مرتبة الإعجاز يرشدنا النبى صلى الله عليه وسلم إلى وحدة الأمة وتضامنها ومسئولية بعضها تجاه بعض وأنها كالجسم الواحد إذا أصاب أى عضو منه فساد فإنه لا يلبث أن يسرى إلى الجسم كله

ويبين الحديث كذلك مسئولية الطبقة العليا من العلماء والولاة والحكام نحو من

دونهم من العامة والدهماء، وأن الواجب عليهم أن يحسنوا قيادهم وتوجيههم وأن يأخذوهم بآداب الشريعة وأحكامها، فيأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ولا يسمحوا للفاحشة أن تشيع فيهم ولا للفساد أن يستشرى بينهم فإن فعلوا ذلك وكفوا هؤلاء عن العبث فى الأرض بالفساد ومنعوهم من السير فى سبيل الغواية والضلال أنجوا أنفسهم بل وأنجوا هؤلاء الذين نصحوا لهم وفى ذلك، نجاة الأمة كلها من خطر التدهور والضلال.

وكانوا بذلك قد قاموا بالواجب عليهم من الدعوة إلى الخير ونصرة الفضيلة وشد أزر الدين. وكان مثلهم فى ذلك مثل من فى أعلى السفينة إذا أخذوا على أيدى من فى أسفلها، وقد هموا أن يخرقوا فيها خرقاً ليصيبوا الماء من أقرب طريق دون أن يؤذوا غيرهم فى زعمهم وهم لا يدركون ما يترتب على هذا الخرق من هلاك من فى السفينة جميعا.

وأما إذا لم يقم الراشدون بما افترض الله عليهم من المحافظة على حدوده وألقوا حبل العابثين على غاربهم وتركوهم ينغمسون فى حمأة الرذيلة ويخوضون فى الباطل خوضاً، فإنهم بذلك يعرضون أمتهم لخطر ماحق حيث يستشرى الفساد وتمتد موجة التحلل حتى تعم المجتمع كله، فتتفكك الروابط وتنتشر الأخلاق الانهزامية من الأثرة والجشع والغدر والخيانة والتهرب من المسئولية ومحاولة تبرير الخطأ وإلقاء التبعة على الغير، وتشيع كذلك ظاهرة النفاق والمداهنة والملق والرياء إلى غير ذلك مما يؤذن بفناء المجتمع وانهياره. وصدق الشاعر حيث يقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وحينئذ لا ينفع الندم ولا يغنى التلوم فقد فات الوقت وضاعت الفرصة، وصدق الله العظيم إذ يقول: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة).

وصدق نبيه الكريم حيث يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعذاب».

وقد تضمن هذا الحديث الكريم ثلاث تشبيهات، فقد شبهت فيه أحكام الشريعة الغراء فى حفظها لسلامة المجتمع وكفالتها لأمنه وطمأنينته بالسفينة التى تمخر عباب اليم وتقطع براكبيها أجواز البحار فى أمن ودعة وسلامة من المخاطر متى سددوا قيادها وأحسنوا تصريفها ، فكذلك الشريعة السمحة يخوض القائمون على حدودها معترك الحياة ويجتازون مضايقها وهم فى أمن من الأخطار ومنجاة من الزلق والعثار .

وفى الحديث أيضاً تشبيه القائمين على حدود الله وهم الذين يحلون الحلال ويحرمون الحرام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتولون قيادة الأمة وتوجيهها بمن يركبون أعلى السفينة ، وفى ذلك إشارة إلى علو مراتبهم وعظيم مكانتهم كما أن الراكبين فى أعلى السفينة لهم العلو الحسى والمكان الرفيع ، كما أن فيه تشبيه الواقعين فى الحدود والمنتهكين لها بمن أصابوا أسفل السفينة إشارة إلى انحطاط مراتبهم .

والحديث بعد ذلك من قبيل تشبيه التمثيل الذى يراد فيه تشبيه هيئة بهيئة ، ففيه تشبيه الأمة كلها وما يكون من بعض أفرادها من حفاظ على أحكام الشريعة وحدودها ، وما يكون من البعض الآخر من انتهاك لتلك الحدود والأحكام وما يترتب على ردع هؤلاء المجرمين والضرب على أيديهم من النجاة لجميع الأمة ، أو على إهمالهم والسكوت عنهم من الهلاك لسائرها بجماعة ركبوا سفينة الخ .

وبعد ، فهل لمست أيها القارىء الكريم ما فى هذا الحديث من جلال وروعة ؟ وهل أحسست إشراق النبوة يأتلق فى كل عبارة منه بل فى كل لفظة ؟ وهل أدركت سمو تلك الوصاة الحكيمة التى يوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم القائمين على أمر تلك الأمة بعده حتى تظل كما كانت شامخة البناء وطيدة الأركان ؟ .

محمد خليل هراس

٣ — واجبنا نحو الشباب

الشباب وقابلية الاستهواء

بقلم الاستاذ محمد عبد الكريم أحمد

من القواعد المقررة والمقطوع بها فى أصول التربية وعلم النفس أن الشباب على وجه الخصوص أكثر خضوعاً واستجابة للنظرية المسماة بـ « قابلية الاستهواء » . ومن خلال هذه النظرية يمكن توجيه ميول الشباب الوجهة الصالحة — مع تقبلهم وارتياحهم للنتائج التى تسفر عنها هذه الوجهة . والوسيلة التربوية المثلى فى ذلك هى استثارة انتباههم إلى مقصود المربى مع استخدام عناصر التشويق استخداماً طبيعياً من غير تصنع أو افتعال ، وإفساح المجال أمامه بعدئذ للتنافس الشريف . والشباب — كما هو معروف — يميل إلى كل جميل يقع من عينه — لاعقله — موقع القبول ، ولهذا فهو يتهافت ويتهالك ويرتمى بكل ثقة متحمساً ومنقباً عما يمتع حواسه دون ضابط أو رابط — غير عابىء بالنتائج ولا مبال بالعواقب ، وكثيراً ماينحرف الشباب من جراء مغالاته تلك — دون أن يجد من يصحح له انحرافه أو يقوم اعوجاجه ، فقد شُغل الآباء بأنفسهم وانهمكوا فى ملذاتهم وانكبوا على اشباع رغباتهم ، فلم يعد لديهم الوقت الكافى للتفرغ لمهمتهم التربوية النبيلة ، أو على الأقل لمجرد الإشراف والتوجيه ، وتركوا لأبنائهم الحبل على الغارب ، فأضحى الأبناء ولسان حالهم يقول : —

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

فمن أين للشباب إذن أن يعرف دينه ؟ ومن أين له أن يجد فى دينه مايستهويه ويثير انتباهه وتحمسه ، ويحظى بإعجابه ورضاه ؟ وماذا قدمنا له من النماذج الطيبة التى يمكنه أن يحاكيها وينسج على منوالها ؟ اللهم لا شىء ... والحال لايختلف كثيراً عن ذلك فى محيط

المربين وللمشرفين ، فهذه المهمة لاتعدو فى نظر غالبيتهم إلا سويعات عمل يمضونها كيفما اتفق ، ثم يتعجلون الانصراف ، ولا يعنيهم بعدئذ أأثمر غرسهم أم لم يثمر ؛ وهكذا يضيع الشباب بين الآباء والمربين ، ويظل أثر الدين فى نفوسهم يتضاءل ويضعف شيئاً فشيئاً حتى يذوى ثم يتلاشى نهائياً ؛ وإذ ذاك تعلو موجة الإلحاد ، وحينئذ فقط نرفع عقيرتنا صارخين متحسرين بعد أن فات الأوان وخسرنا كل شىء ، ونظل نشكوا ونشكوا دون جدوى . والإسلام دين اجتماعى ، له اليد الطولى فى كل مايحتويه هذا الكون ، فهو يتدخل فى المجتمع فيطبعه بطابعه ، ويلفظ التقاليد السمجة المبتذلة البالية وينبذها ، أما التقاليد المستقيمة نسبياً فإنه يهذبها تهذيبا إسلاميا كريما يرفع من قيمتها وينقيها مما قد يشوبها من شوائب ثم يقرها بعد إذ تسامت إلى مرتبته العليا .

وفى مجتمعنا — ويا للأسف — تعود الشباب أن يرى الجانب القاتم المظلم — لا أقول من الدين — فليس فى الدين بحمد الله سوى الجانب الوضاء المشرق — ولكن أقول إنه يرى الجانب القاتم المظلم من تطبيقنا السيىء الدين إما عن جهل منا ، وإما عن عناد أو تقليد ومحاكاة ، والدهر قُلَّب ، والحياة مملوءة بالصفو والكدر ، والفرح والترح ، فكيف يتصرف مسلمو اليوم فى كلتا الحالتين ؟ وماذا يرى الشباب من تصرفات أولياء أمورهم فيما له علاقة وارتباط بالدين ؟ الحق إنه لايرى سوى نماذج سيئة وتصرفات خرقاء حمقاء ، يحسبها الشباب — لفرط جهله بالدين — من الدين — والدين منها براء . وقد يكون للشباب بعض العذر من جراء تقصير أولياء الأمور والمربين فى أداء واجبهم من تصحيح للقيم المخلة والتقاليد الرثة البالية والعادات الخاطئة المتوطنة . ولسنا ننكر أن مهمة المربى غاية فى الدقة والحساسية ، وعلى حكمته وذكائه وحسن تصرفه يتوقف الكثير من نجاحه فى هذه المهمة ، والناس متباينون ، يعسر إيجاد قاعدة واحدة تسرى على الشاذ منهم كما تسرى على المستقيم المعتدل ، فمن الشباب من تستهويه بساطة الفكرة ومنهم من يستهويه الأسلوب المؤثر الرقيق الحزين ، ومنهم من لايؤثر فيه غير الشدة والعنف والزجر والوعيد ؛ ومثل المربى فى ذلك كمثل الطبيب النطاسى الذى يصف الدواء على قدر

الداء . فتعال يا أخى المسلم نجيل الطرف معا فى عاداتنا وتقاليدنا حتى نحدد موقفنا على ضوء ما نجده — من الإسلام ، ولنر بعدئذ إذا ما كنا حقا مسلمين أم هو مجرد إسلام بالاسم فقط ؟

* * *

ففى المناسبات السارة كالأفراح وحفلات الزفاف يبدأ الزوجان حياتهما الجديدة بمعصية الله ، إذ تبدو الإباحية سافرة بأجل معانيها ،والخمور تراق على الموائد والمخدرات تتعاطى ولا حرج ، والعقائر ترتفع بالغناء الماجن ، والأجساد تهتز وتتمايل بالرقص الخليع الفاضح ، وتتبادل الكلمات البذيئة والنكات الوقحة دون خجل أو حياء ، ويصر أهل العروس إصرارا حتميا على ذهابها إلى مصفف الشعور « الكوافير » يتحسس جسدها ويعبث فيه بيديه ويلتهمها بنظراته النهمة الشرهة ، ثم يحيلها فى النهاية إلى دمية ملوثة بالأصباغ والمساحيق والدهون ، ولو نوقش أبوها — الذى يدعى الإسلام — لقال : ـ إنها مجرد ليلة وتمر ثم يعود كل شىء إلى طبيعته ؛ يقولها باستهتار واستخفاف وكأنه لم يأت أمراً إدًّا ، ناهيك بالتعضيد والتأييد ممن هم على شاكلته من الرجال ، ولا تسل عن النساء وعما يحبذنه فى هذا السبيل .

وتعتاد الفتاة منذ هذه الليلة التردد على هذا المكان الموبوء — الكوافير ـ ولم لا مادام أولياء الأمور من ذويها قد ضربوا بتعاليم دينهم عرض الحائط ، وأصبحوا لا يعنيهم إلا ما يرضيهم ، ولو كان فى ذلك إغضاب رب العالمين .

وتتعدد الليالى بعد ذلك وتتكرر بتعدد المناسبات وتكرارها وتكثر بؤر الفساد فينتشر ويتوغل فى جسم المجتمع الإسلامى ويوطد فيه دعائمه وتصبح له سوق رائجة ، بينما تموت الفضيلة حسرة وألمًا دون أن يجد من يبكى عليها أو يأسى لأجلها ، كل هذه أفعال تتنافى وتتنافر وتتصادم مع كمال الإسلام وسموه ، وفاعلها ولاشك ليس من الإسلام فى شىء .

بعد هذا كله لا نستحى فى النهاية أن نسمى أنفسنا مسلمين مؤمنين ، ولكى ندلل

على هذا نتبارى فى النطق بالشهادتين بلسان زلق فصيح — نتـكلم فقط — دون أن نعمل ما يوجبه علينا إسلامنا وإيماننا ، ولماذا العمل مادام الأمر لا يعدو سوى ترديد لـكلمات قليلة وبعدها فالجنة بين أيدينا لأننا . . . مسلمون .

* * *

هذه ناحية ، وفى المناسبات الأخرى المؤلمة ، كحالات الوفاة مثلا تعود الشباب أن يرى أقبح ما تزدريه الأعين فى الجنائز من مناظر مستهجنة . فالنسوة متشحات بالسواد . . تتبارى كل منهن فى رفع صوتها بعويل وصراخ منـكر محاولة بذلك مجاملة جارتها أو صديقاتها من قريبات الميت ولو على حساب الدين ، لا تفـكر فيما إذا كان هذا التصرف البشع يغضب ربها أم لا .

ولو تأمل الشباب لعرف أن الدين ينهى عن ذلك ويحرمه أشد التحريم حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر النسوة بالرجوع وعدم اتباع الجنائز قائلا : « أرجعن مأزورات غير مأجورات » كما توعدت الأحاديث النائحة ومن لف لفها بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم تتب وتقلع عن فعلها المزرى المشين .

أما الرجال فيا أسفى على الرجال . . . إنهم يسيرون أمام الجنائز وخلفها ويحيطون بها من كل جانب ، وأكثرهم يتفـكهون ويتندرون ويتحدثون فى أمورهم الخاصة والعامة ولا يكادون يعيرون الموت انتباها . . . وهذا كله ليس من الدين فى شيء . بل إن تعاليم الإسلام توجب أن يسير المشيعون خلف الجنـازة خاشعين معتبرين ، مقدرين للموقف رهبته ، تمس العظة بالموت شغاف قلوبهم ، موقنين أنه ولا بد سيأتى يومهم الذين يكونون فيـه كهذا المدرج فى أكفانه والمحمول على الأعناق لا حراك به ، وهو الذى كان بالأمس يمـلأ محيطه بالضجيج والحركة والنشاط ، فيرتدعون وينزجرون ويمسكون عن الشر ويقبلون على الخير ، فلو أنعم الشباب النظر إلى دينه وعرفه عن قرب — لهالته هذه الفظائع المهلـكة المدمرة .

تعود الشباب أن يرى فى فتيات مجتمعه الفتنة الرائقة والجمال المصطنع ، ولكنه - وهو يعلم أن هذا سراب خادع وبرق خُلَّبٌ - ينساق بدافع الطيش والحماقة وتقليد المجتمع إلى التمادى والاسترسال حتى لا يوصف - كما قد يظن - بالجمود والتأخر وبلادة الحس وعدم التذوق .

أيها الشباب : — ألا يستهوينك رضوان الله ؟ ألا تستهوينك طاعته ؟ أتخشى أن يصفك الناس بما لا تحب أن توصف به ، فتتفادى ذلك بإغضاب ربك وتخشى ألسنة الناس والله أحق أن تخشاه؟

أنسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو بالمؤمنين رءوف رحيم يحرص على أمته ويرجو لها الخير ويمحضها النصح رأفة بها ومخافة عليها وتحذيراً لها - « إياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله فقال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء »(١)

لو أحسن الشباب صنعاً لكان أحرى باستهوائه والفوز بإعجابه الفتاة المسلمة المؤمنة المتدينة التى تعتز بإسلامها وتلتزم بتعاليمه وتحرص على دينها وتغار عليه ، وتعلم أن سعادتها لا تكتمل إلا إذا طبقت أحكام هذا الدين القويم .

ما أجملها تلك الفتاة المحتشمة وقد تسربلت برداء الطهر وتوشحت بوشاح العفة واكتست ثوب الأدب وتحلت بحلية الدين وازدانت بالعلم والجلال والكمال .

ما أجملها هذه الزوجة التى تعرف من دينها أن عليها واجبات حيال ربها فتؤديها بنفس راضية سعيدة ، وتعرف كذلك واجبها حيال زوجها فتؤديه حقه ويفيها حقها بدوره فتحلو الحياة وتخلو من المنغصات فيرتشف الجميع كؤوس السعادة مترعة .

ما أحلاها وهى تحنو على من حولها وتشيع بينهم البهجة والمرح بكلمتها الطيبة وبسمتها الرقيقة ويدها الحانية .

---

(١) رواه الدار قطنى عن أبى سعيد الخدرى :

ما أعلا قدرها وقد شرفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالتفضيل والاختيار وآثرها على مثيلاتها من الفتيات وزكاها دون غيرها من النساء فقال : « تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين ترتب يداك[(١)] »

وقال : «خير متاع الرجل المرأة الصالحة[(٢)] » .. إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها أطاعته .

وما أحلى الأسرة السعيدة الناجحة الموفقة التى يعمل أفرادها جميعاً متضافرين لإعلاء كلمة الله ، فيحيوا فى سعادة وارفة الظلال فى الدنيا ، مؤملين فى نعيم مقيم فى الآخرة .

أما كان أحرى بالشباب أن يتخذ من مثل هذه الفتاة زوجة له ورفيقة لعمره وشريكة لحياته وسكناً لنفسه وزميلة لكفاحه فى حياته ، وأماً لأبنائه ومعيناً له على مجالدة هذه الحياة الشاقة من أجل مستقبل أفضل وحياة أجمل وذرية أكمل ؟ .

ما أحلى الحياة وما أبهجها إلى جوار زوجة مثالية عفيفة كهذه يطمئن الإنسان إليها على هنائه واستقراره وتقر عينه إذ يراها تنشىء أبناءه النشأة القويمة التى ترضى رب العالمين .

* * *

وقابلية الاستهواء تتعدد بتعدد الموضوعات ، فالشباب تستهويه القصة ، ولكن مجتمعه يجنى عليه وهو يقدم له القصة فى صورة جنسية مثيرة ، بينما نجد أرفع الأهداف وأنبلها تتمثل فى قصص القرآن الكريم ، مثلما قص عن موسى فى أكثر من موضع وبأساليب متنوعة تأخذ بالألباب ، وما قصه عن داود وسليمان وأيوب ونوح ولوط ، صلوات الله عليهم وهناك قصة كاملة تحكى عن يوسف وما كابده من سجن وألم وغيره بسبب عدم انقياده للفتنة . . . الخ ، وتتمثل القصة كذلك فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيما قصه علينا من وقائع بنى إسرائيل ، بل وفى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يمتع النفس الصافية وروح الشباب المتوثبة ، والشباب تستهويه الألوان الجميلة الجذابة

(١) متفق عليه عن أبى هريرة (٢) رواه مسلم

ولا لوم عليه فى ذلك ولا تثريب ، ولـكن ويا للأسف . . إن مجتمعه يشبع رغبته فى ذلك مما يقدم له من صور عارية خليعة يزين بها جدران بيته ، وتعضده فى ذلك الصحافة الخليعة ، بينما يقدم الدين للشباب أروع الصور ، إذ يضع تحت ناظريه العالم كله يجيل فيه الطرف فيرى من جمال صنع الله بديع السموات والأرض ما يجعله يخر ساجداً لعظمة الله ، ويشعر بتضاؤله فيتصاغر ويعلم أنه ماخلق إلا ليكون عبداً طائعاً لربه لا مجال له للعصيان أو التمرد ، وهذا قليل من كثير

* * *

وأعود فأكرر : يا أيهذا الشباب : لا تستهويك الأقنعة الزائفة ولا تخدعنك القشور البراقة ولا تفتننك المظاهر الـكاذبة ، وكن صورة حية مشرقة للإسلام ، وكن عنواناً طيباً لدينك القيم ، يرى الناس من خلال تصرفاتك الحـكيمة نقاء هذا الدين ويرون من خلال خصالك الحميدة ثمرة طيبة من ثمار غراسه .

أما أنتم معشر الآباء والمربين . . فلا لوم على الشباب إذا أنتم قصرتم . . لأن تجارب الحياة قد عركتـكم ولـكنـكم ما استفدتم منها ولا أفدتم ، وقد اكتملت لديكم مرحلة النضج ، وحباكم الله بالعقل الراجح ، ولـكنـكم أهملتموه وتركتموه جانباً فأصبحت المسئولية عليـكم جسيمة والتبعة ثقيلة ، والذنب لديكم أقبح والعذر منـكم أوقح والحساب لـكم شديد والعذاب أكيد .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » .

أيها الآباء والمربون المفرطون المتهاونون لا تلوموا الشباب بعد تهاونـكم وتفريطكم ولـكن لوموا أنفسـكم . إن كنتم حقاً منصفين ، وتداركوا الأمور قبل أن يفلت من أيديكم الزمام ، وسلوا الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنه أكرم مسئول

محرم بك اسكندرية — محمد عبد الـكريم أحمد

٤٦ - نظرات في التصوف

المملكة الباطنيـــة

« كتبنا من قبل عن القطب ومن معه من الأوتاد وغيرهم وعن الحكمة الباطنية في العدد قبل الماضي . وفي هذا المقـال أتابع القول عن أساطير هذه الباطنية الخفية العجيبة الشأن » .

النقبـاء : وعددهم ثلثمائة وقيل خمسمائة ، وقيل أربعون ، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض ، وقلوبهم على قلب آدم(١) .

الضنا والذخائر : بالنقباء تقفل الدائرة التي تبـدأ بالقطب وتنتهي إليه أيضاً وهناك غير هؤلاء من ليسوا من أهل هذه الدائرة ، وهم عامة الأولياء ، وهم طوائف كل طائفة لها عدد لا ينقص ، فإذا مات الواحد منهم خلفه غيره في مرتبته ومنهم طائفة تسمى الضنا وعددهم أربعة آلاف وأخرى تسمى الذخائر ، وعددهم أيضاً أربعة آلاف ، ومرتبة هاتين الطائفتين أنهم يعتقدون وجود الـكون ، ولا يرونه لأنهم غرقى في بحـار الألوهية(٢) .

أصحاب النوبة : وهم جماعة من الأولياء منبثون في الأرض لقضاء مصالح الناس وحفظهم ورعايتهم ، ولا يجوز لمن هو دونهم من الأولياء أن يتصرف في شيء إلا بعد أن يستأذنهم بقلبه . ومن خالفهم ، أو عارضهم، أو تصرف بغير إذنهم قتلوه ، كما حدث للخوّاص لما كثرت منه الشفاعات ، فأغضب منه ذلك أصحاب النوبة بمصر ، وكانوا عجماً ، فطعنوه بخنجر لم يتلقه عنه أحد من الأولياء سوى الشريف المجذوب ، ولـكنهم

(١) ص ٣٣٥ مشتهى الخارف الجاني ، ص ٤٩ بغية المستفيد ٢٢٩ نور الأبصار .
(٢) ص ٤٩ بغية المستفيد .

طمنوه مرة أخرى بخنجر فى مشعره ، فقضوا عليه(١) . ويوجد فى كل مدينة عدد منهم ، وتحت إمرة كل واحد منهم عدد من الملائكة يبلغ السبعين يعينونه فى تصرفاته . وهؤلاء الملائكة المعينون لأهل التصرف كما يقول الدباغ يكونون على هيئة بنى آدم ، فنهم من يلقاك فى صورة خواجة ، ومنهم من يلقاك فى صورة فقير ، ومنهم من يلقاك فى صورة طفل ، وهم منغمسون فى الناس ، ولكن الناس لا يشعرون(٢) .

---

(١) انظر صفحتى ١٢٩ — ١٣٥ ج ٢ الطبقات للشعرانى .

(٢) ص ٤ ج ٢ الإبريز للدباغ وقارن بين هذه المملكة الباطنية وبين ما تقوله الغنوصية من أن « الذات الإلهية يصدر عنها العقل ثم النوس ثم اللوغوس ثم الأنترويوس ويتلوها مقدار كبير من الكائنات الروحية أو الأيونات فى تدرج تنازلى حتى تصل إلى المادة » والنوس هو النفس ، واللوغوس هو الكلمة ،والأنترويوس هو الإنسان الكامل . والمشابهة واضحة ، والحقيقة المحمدية أو القطب القديم هى العقل والأيونات هم هذه السلسلة من صغار الأقطاب ومن الأوتاد ومن بعدهم . وقارن ما يقوله هؤلاء الشيوخ ، وبين مايقوله الفيلسوف اليهودى « فيلون » عن اللوغوس : « هو رباط الكائنات جميعاً . إنه يحوى أجزاءها جميعاً ، ويؤلف بينها ويمنعها من التفكك والانفصال بدونها تصير الكائنات غدة أفواهها إنه يملأ كل ثنايا المادة ، ويكون نسيج كل كائن . وإنه منتشر فى كل مكان ومحتو وغير قابل للقسمة . إنه يحكم الكون وهو منه بمثابة الربان » ويقول الأستاذ « اميل بريهييه » المؤرخ الفرنسى الكبير للفلسفة عن الوسطاء عند فيلون : « إن اللوغوس وسيط بين الإله والإنسان . وفيلون يقبل بجانبه »وجود سلسلة أخرى من كائنات لها وظائف مشابهة . . . ولا يوجد تقريبا خاصة لهذه الكائنات لا تنسب إلى اللوغوس الإلهى ، ومع هذا ، فإن فيلون يميل غالباً إلى إثبات ترتيب بينها تجعل بينها وبين اللوغوس علاقة علو ودونية » انظر التراث اليونانى ص ٨ ونشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ٤٦ والآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندرى لبريهييه ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار ص ١٢٣ ، ص ١٥٨ . هل نقول عن الصوفية إنها فيلونية أو نقول عن فيلون : إنه صوفى ؟! .

وقد ذكر بعض الصوفية طائفة أخرى وهم الأخيار وهم سبعة ،والعمد وهم أربعة ثم قال : ومسكن النقباء المغرب ، والنجباء مصر ، والأبدال الشام ، والأخيار سياحون فى الأرض ، والعمد فى زوايا الأرض ، ويزعم أول من تقلد القطبانية من يد المصطفى فاطمة الزهراء مدة =

وهذا الإفك الأسطورى لا هـدف له إلا القضاء على توحيد الله ، والقضاء على القرآن ، والقضاء على الإسلام . لا هدف له إلا أن يصبح المسلمون إمعات تسخرهم الصهيونية الكامنة وراء هؤلاء الدعاة لما شاءت . أى مسلم يشعر بالأمان والطمأنينة والعزة والكرامة وهو يشعر أن أقداره يصرفها هؤلاء البُلْهُ القذرون الدنسون « الخواجات » وأى عالم تتصوره وقد تخلى الله عنه ، وتركه لجماعة منهم الخواجة والأشل وبائع الفول والطفل يعثر بخراءته ؟ ! ألا يد فعنا هذا ـ إن آمنا به ـ إلى السجود لأى « خواجة » نراه ؟ ولم لا ؟ ونحن نظنه بابتسامة منه ملكا يعين وليا فى تصرفه ، أو قطبا فى صورة قسيس ؟ ! .

وهل نستطيع بمثل هذه الأساطير بناء مجد وحضارة وبعث أمة ؟ أوجه هذا السؤال لمن ينقمون منا حرب هذه الخرافات التى أعتقد أنها أشد ضُرًّا من المبادىء الهدامة التى نحاربها . فعداوة هذه المبادىء للإسلام سافرة صريحة ، وتكتب ضد الإسلام فى صراحة . أما تلك الخرافات الصوفية ، فتقدم باسم الدين ، ويقوم بالدعوة إليها شيوخ كبار خدعوا الناس بأسمائهم الطنانة ومناصبهم الضخمة ، وتاريخهم المزيف المضمخ بالجلالة الزائفة أمثال ابن عربى وابن الفارض وغيرهما !! هات كتاباً منسوباً إلى صهيونى وفيه دينه الصهيونى ، وضعه أمام أى مسلم ، وانظر ماذا يحدث . إنك ستراه يبصق عليه ، ويدوسه بقدمه . وهات فصوص الحكم لابن عربى ـ والذى فيها والله شر من دين الصهيونية ـ وانظر ماذا

= حياتها ، ثم انتقلت إلى أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم الحسن . أما أبو العباس المرسى ، فيؤكد أن أول الأقطاب الحسن بن على !! .

هكذا تصور الصوفية عالمها الأسطورى ، إنه عالم الشيطان لا عالم الرحمن ! ! ونعوذ بالله أن نتهم هولاء الأخيار من الصحابة والتابعين بما تتهمهم به الصوفية . والغزالى فى حديثه عن مراتب التوحيد يقول عن المرتبة الرابعة « ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء ، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء » ص ١٣١ الإملاء بهامش ج ١ الإحياء . وهكذا أثبت وجودهم وحدد مراتبهم فى التوحيد ، والمرتبة الرابعة هى الإيمان بأن الخلق عين الخالق . والثالثة هى الإيمان بأن الفاعل لكل شىء هو الله .

يحدث . ستجد هذا المسلم - إن لم يكن على بينة من ابن عربى - يرفع الفصوص فوق رأسه ويقبله ، وما درى أن الفصوص صهيونية خبيثة ، وزندقة طاغية .

وأذكر قولا أسطوريا جامعاً لكل أطراف الأسطورة فقد سئل بن حجر الهيتمى عن عدة رجال الغيب . وعن الدليل على وجودهم ، فأجاب :

رجال الغيب سموا بذلك لعدم معرفة أكثرهم . رأسهم القطب الغوث الفرد الجامع جعله الله دائراً فى الآفاق الأربعة أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء ، وقد ستر الله أحواله عن الخاصة والعامة غيرة عليه ، غير أنه يرى عالماً كجاهل وأبله وتاركا آخذا قريباً بعيداً سهلا عسراً آمناً حذراً ، ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها . به يقع صلاح العالم .

والأوتاد وهم أربعة لا يطلع عليهم إلا الخاصة واحد باليمن ، وواحد بالشام ، وواحد بالمشرق ، وواحد بالمغرب .

والأبدال وهم سبعة على الأصح ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعة عشر . وسيأتى حديث أنهم أربعون ، وحديث أنهم ثلاثون .

والنقباء وهم أربعون . والنجباء ، وهم ثلثمائة فإذا مات القطب أبدل بخيار الأربعة أو أحد الأربعة أبدل بخيار السبعة أو أحد السبعة أبدل بخيار الأربعين ، أو أحد الأربعين أبدل بخيار الثلاثمائة أو أحد الثلثمائة أبدل بخيار الصالحين ، فإذا أراد الله قيام الساعة أماتهم أجمعين ، وفى ذلك أن الله يدفع عن عباده البلاء بهم ، وينزل بهم قطر السماء .

وروى بعضهم عن الخضر أنه قال : ثلثمائة هم الأولياء وسبعون هم النجباء ، وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء ، وسبعة هم العرفاء ، وثلاثة هم المختارون وواحد هو الغوث .

وجاء عن علي أنه قال : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان . والأوتاد بسائر الأرض ، والخضر عليه السلام سيد القوم . وفي حديث الإمام الرافعي أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن لله في الأرض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم ، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى ، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل . وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل . وواحــد قلبه على قلب إسرافيل . فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة . وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة . وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الثلاثمائة . وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة » انتهى كلام الهيتمي بنصه .

ويقول الهيتمي في مكان آخر عن الخطيب البغدادي عن المكناسي أنه قال : النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربع والغوث واحد فسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشــام ، والأخيار سياحون في الأرض . والعمد زوايات الأرض ، ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء . ثم الأبدال ثم الأخيار ، ثم العمد فإن أجيبوا . وإلا ابتهل الغوث . فلا يتم مسألته حتى تجاب دعوته » ويقول : « وقد اتفقوا على أن الشافعي كان من الأوتاد ، وفي رواية أنه تقطب قبل موته [1] » .

رأي ابن تيمية : يقول الإمام الجليل : « وأما لأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة . فهذه الأسماء ليست مدروجة في كتاب الله . ولا هي أيضاً عن النبي صــلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل

---

(١) ص ٢٢٦ وما بعدها الفتاوى الحديثية .

إلا لفظ الأبدال ، فقد روى فيهم حديث شامى منقطع الإسناد [١] عن على بن أبى طالب مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ... ولا توجد هذه الأسماء فى كلام السلف كما هى على هذا الترتيب ، ولا هى مأثورة على هذا الترتيب والمعانى عن المشايخ المقبولين عند الأمة . قبولا عاما ، وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ » ثم قال : « وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى، فهو غياث المستغيثين لا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبى مرسل ، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التى يطلبون بها كشف الضر ونزول الرحمة بهم إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعين إلى الأربعين والأربعين إلى السبعة . والسبعة إلى الأربعة . والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك ، فقد كان المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله : (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء) فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب [٢] ؟ وهو القائل تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب . أجيب دعوة الداع إذا دعانى ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) [٣]

---

(١) تأمل عدالة ابن تيمية فى النقد وتحريه أبعد غايات النزاهة . وقد ذكر ابن تيمية قيمة الحديث بقوله « منقطع الإسناد مرفوع » ، وحديث هذا شأن لا يصلح أن يكون حجة دليلا على شىء ! ! وقد جاء فى الوجيز : « حديث الأبدال أورده عن ابن مسعود وابن عمر وأبى هريرة والكل لا تخلو عن مجهول وضعيف وواضع » وفى المقاصد : « حديث الأبدال له طرق عن أنس بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة » .

(٢) يعنى إذا كان هذا هو حال المشركين ، وهو أنهم كانوا يلجأون إلى الله تعالى وحده فى الضر ، فيستجيب لهم ، ويرفع عنهم ضرهم جزاء إخلاصهم الدعاء فى تلك اللحظة . إذا كان كذلك . فكيف يكون المؤمنون الذين معهم القرآن أقل من هذه الدرجة الشركية ؟ .

(٣) انظر ص٤٦ وما بعدها الرسالة الأولى من مجموعة الرسائل والمسائل وص١١ من الفرقان .

والشيعة الاثنا عشرية تزعم أن إمامها الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى — والثابت أن الحسين لم يخلف وراءه ذرية — قد اختفى . وسنه ثلاث أو خمس أو سبع سنوات فى سنة ٢٦٠ . وما زال مختفياً حتى الآن . ولكنه حى . وسيظهر فيما بعد ، ويحاجون أهل السنة بما يعتقد الصوفية فى الخضر والقطب فهم يدينون ببقاء واحد واحد فقط . أما الصوفية ، فيدينون ببقاء كثيرين .

وقد رد الإمام ابن تيمية على هذا بقوله :

قال فإن هؤلاء الرافضة : إيمانهم بهذا المنتظر المعصوم ، مثل إيمان كثير من شيوخ الزهد والدين بإلياس والخضر والغوث والقطب ورجال الغيب ، ونحو ذلك من الأشخاص الذين لا يعرفون وجودهم ، ولا بماذا يأمرون ، ولا بماذا ينهون ، فكيف يسوغ لمن يوافق هؤلاء أن ينكر ماتدعيه .

قيل الجواب من وجوه :

أحدها : أن الإيمان بوجود هؤلاء ليس واجباً عند أحد من علماء المسلمين وطوائفهم المعروفين ، وإذا كان بعض الغلاة يوجب على أصحابه الإيمان بوجود هؤلاء ، ويقول : إنه لا يكون مؤمناً ولياً لله إلا من يؤمن بوجود هؤلاء فى هذه الأزمان ، كان قوله مردوداً كقول الرافضة . فإن من قال من هؤلاء الغلاة . إنه لا يكون ولياً لله إن لم يعتقد له الخضر ، ونحو ذلك ، كان قوله مردوداً كقول الرافضة .

الوجه الثانى : أن يقال : من الناس من يظن أن التصديق بهؤلاء يزداد الرجل به إيماناً وخيراً وموالاة لله ، وأن المصدق بوجود هؤلاء أكمل وأشرف وأفضل عند الله ممن لم يصدق بوجود هؤلاء .

وهذا القول ليس مثل قول الرافضة من كل وجه ، بل هو مشابه له من بعض الوجوه ، لكونهم جعلوا كمال الدين موقوفاً على ذلك . وحينئذ فيقال : هذا القول أيضاً باطل باتفاق علماء المسلمين وأئمتهم . فإن العلم بالواجبات والمستحبات ، وفعل

الواجبات والمستحبات كلها ليس موقوفاً على التصديق بوجود أحد من هؤلاء ، ومن ظن من أهل النسك والزهد والعامة أن شيئاً من الدين واجبا أو مستحبا موقوف على التصديق بوجود هؤلاء ، فهذا الجاهل ضال باتفاق أهل العلم والإيمان العالمين بالكتاب والسنة ، إذ قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته التصديق بوجود هؤلاء ولا أصحابه كانوا يجعلون ذلك من الدين ولا أئمة المسلمين .

وأيضاً ، فجميع هذه الألفاظ : لفظ الغوث والقطب والأوتاد والنجباء . وغيرها لم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد معدود أنه تكلم بشيء منها ولا أصحابه . ولكن لفظ الأبدال تكلم به بعض السلف ، ويروى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث ضعيف ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع .

الوجه الثالث : أن يقال : القائلون بهذه الأمور منهم من ينسب إلى أحد هؤلاء مالا تجوز نسبته إلى أحد من البشر ، مثل دعوى بعضهم أن الغوث أو القطب هو الذى يمد أهل الأرض فى هداهم ونصرهم ورزقهم ، فإن هذا لايصل إلى أحد إلا بواسطة نزوله على ذلك الشخص وهذا باطل بإجماع المسلمين وهو من جنس قول النصارى فى الباب .

وكذلك مايدعيه بعضهم من أن الواحد من هؤلاء يعلم كل ولى لله كان أو يكون اسمه واسم أبيه ، ومنزلته من الله ، ونحو ذلك من المقالات الباطلة التى تتضمن أن الواحد من البشر يشارك الله فى بعض خصائصه ، مثل أنه بكل شىء عليم أو على كل شىء قدير ونحو ذلك . كما يقول بعضهم فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى شيوخه : إن علم أحدهم ينطبق على علم الله ، وقدرته منطبقة على قدرة الله ، فيعلم مايعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه فهذه المقالات وما يشبهها من جنس قول النصارى والغالية فى على وهى باطلة بإجماع علماء المسلمين .

ثم يقول — رضى الله عنه ، وأجزل مثوبته :

الوجه الرابع : أن يقال : الصواب الذى عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا ،

وأنه ليس أحد من البشر واسطة بين الله وبين خلقه فى رزقه وخلقه وهداه ونصره . وإنما الرسل وسط فى تبليغ رسالاته ، لاسبيل لأحد إلى السعادة إلا بطاعة الرسل . وأما خلقه وهداه ، ونصره ورزقه ، فلا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فهذا لايتوقف على حياة الرسل وبقائهم . بل ولا يتوقف نصر الخلق ورزقهم على وجود الرسل أصلا ، بل قد يخلق الله ذلك بما شاء من الأسباب بواسطة الملائكة أو غيرهم ، وقد يكون لبعض البشر فى ذلك من الأسباب ماهو معروف فى البشر .

وأما كون ذلك لا يكون إلا بواسطة البشر أو أن أحداً من البشر يتولى ذلك كله ونحو ذلك فهذا كله باطل، وحينئذ فيقال للرافضة : إذا احتجوا بضلال الضلال : (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون)[1] . سورة الزخرف : ٣٩) وللعز ابن عبد السلام رسالة مطبوعة فى حلب عن الابدال والغوث به يقرر فيها أن هذه الأسماء ليس لها أصل فى الدين الإسلامى ولم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح ولاضعيف[2] ؟ لها بقايا إن شاء الله عبد الرحمن الوكيل

(١) ص ٦ ح ٢ منهاج السنة ص ٢.

(٢) ص ٢٦ هامش من المنتقى تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب :

٩ – دراسات إسلامية :

المعجزات فى القرآن .

فى حديثنا السابق عن موقف قوم إبراهيم – عليه السلام – من دعوته إلى عبادة الله وحده وقفنا عند رفضه مرافقتهم إلى عيدهم الذى كانوا يقيمونه كل عام خارج المدينة . وذلك بسبب علته النفسية التى أصابته من موقفهم العنيد المعادى إزاء دعوته .

إبراهيم يحطم الأصنام : ما كاد إبراهيم يتأكد من أن القوم قد مضوا إلى عيدهم حتى عقد العزم على أن يهدم صرح آلهتهم ويقوض عرش معبوداتهم .

خلت المدينة من أهلها وسكانها . فقد خرجوا جميعاً إلى عيدهم . ولم يتخلف منهم أحد وبيت العبادة مقفر من كهنته وسدنته .

ولما خلا الجو ووجد إبراهيم الفرصة سانحة متهيئة دلف إلى بيت عبادتهم فوجد الأصنام منتشرة فى أرجائه . والطعام تحت أقدامهم . والمكان يلفه سكون قاتم موحش . فوقف أمامها ناظراً إليها ونفسه تفيض احتقاراً لشأنها وامتهانا لها . وأسفا على تفاهة عقول عابديها . فيخاطبها بكلمات تعبر عما يكمن فى نفسه : أيتها الآلهة ؟ ! ألا تأكلون ؟ ! . لماذا لا تنطقون . . لكنه – بطبيعة الحال – لم ينتظر منها أن تعطه جوابا . . وأنى للحجارة أن تنطق . وللخشب المسندة أن تفقه !! ثم لا يلبث أن تستولى على نفس إبراهيم سورة الغضب لدينه . والحمية لربه . فيتناول فأساً . ويهوى به على الأصنام . فيكسرها . ويستمر فى تكسيرها حتى يجعلها جذاذا « حطاما » ماعدا كبيرهم . فقد أبقى عليه . وكان يقصد بذلك أن يجعل للغضب والسؤال مجالا داخل صومعة عبادتهم . إذا رجعوا من عيدهم . فيسألوا كبيرهم عمن اعتدى على حرمة بيتهم . وامتهن مقدساتهم . حتى إذا لم يجبهم على سؤال واستبان لهم أنه لا يفعل . ولا يملك

أن يدفع عن نفسه ولا عن غيره العدوان شعروا بعدم جدية مايعبدون. وعادوا إلى صوت الحق يلبونه .

محاكمة إبراهيم : انتهى إبراهيم الخليل من تحطيم الأصنام . وتركها مبعثرة . وانصرف عنها وهو مرتاح البال . مطمئن القلب لعمله الذى استأصل به جذور الشرك . وطمس معالم الشر .. انصرف يترقب أثر فعلته فى نفوس القوم . وينتظر ما تسفر عنه ثورتهم العارمة من سب وأذى له . . ويذكر القرآن مقالة إبراهيم فى تكسير الأصنام بقوله تعالى (وتا الله لأ كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) الآيتان ٥٧ / ٥٨ : الأنبياء . وعاد القوم من عيدهم . وشاهدوا ماحل بمعبوداتهم . فذهلوا . وجمدت عيونهم على حطام أصنامهم . ثم ما لبثوا أن أفاقوا من ذهولهم . وتساءلوا عمن اعتدى على آلهتهم . ودمرها . فأجاب قائل منهم : أنهم سمعوا من يدعى : بإبراهيم يعيب الآلهة ويحتقرها وليس لأحد مصلحة فى تحطيمها إلا إبراهيم . ذلك العدو اللدود لهم ولأصنامهم ولعقيدتهم (قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له : إبراهيم) الآيتان ٥٩ / ٦٠ : الأنبياء .

عرفوا إذن من المجترىء على آلهتهم . المتطاول على مقام معبوداتهم . فاعتزموا أن ينزلوا به عقابا صارما يعادل ما ارتكب من وزر . . وثار القوم وزمجروا ونادوا أن يؤتوا به على مشهد من الناس . ليشهدوا اعترافه بذنبه . وإقراره بجرمه . وليروا بأعينهم ما يحل به من قصاص رادع (قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) الآية ٦١ : الأنبياء .

وما لبث الناس أن سمعوا النداء . حتى تقاطرت وفودهم . وتكاثرت جموعهم . وفى نفس كل منهم رغبة ملحة متأججة لمشاهدة القصاص من ذلك الذى يذم

معبوداتهم . ويشذ عن تقاليد القوم وما ألفوها من عادات موروثة . فلعل ذلك يرضى نفوسهم المتعطشة إلى الثأر منه والفتك به .

لاشك أن إبراهيم لم يكن أقل منهم رغبة فى عقد هذا المشهد . فهى أمنية حبيبة لديه أن يحتشد هذا الجمع الغفير . ليقيم الحجة عليهم جميعاً على بطلان ما ورثوا من عقائد زائفة . وليؤكد لهم فساد ما نشأوا عليه من دين .

وجيء بإبراهيم الخليل وسط هذا الجمع الزاخر الحاشد . وابتدأت المحاكمة . وسألوه عما إذا كان هو الذى حطم آلهتهم بهذه الصورة البشعة . كما ذكر القرآن على لسانهم (قالوا : ءأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم) ؟ . الآية ٦٢ : الأنبياء .

وكان إبراهيم قد ترك كبير الأصنام - كما أسلفنا - سالماً دون تحطيم . ليضطرهم إلى الإقرار بتفاهه اعتقاداتهم . وسفاهة تفكيرهم عن طريق واقعى محسوس . فرد عليهم رداً حاسماً ليجرهم إلى أمر يقصده (قال : بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون) الآية ٦٣ : الأنبياء .

خزى قوم إبراهيم : وحدث ما توقعه إبراهيم - عليه السلام - من نتيجة . ووصل إلى ما كان يقصده لقد صفعهم صفعة نبهتهم من غفلتهم . وعندما شعروا بمرارة الباطل الذى يتشبثون به أقبلوا يتحدث بعضهم إلى بعض بلسان الندم . وأخذوا يتلاومون على عدم إحترازهم . واتهم بعضهم بعضا بالظلم والإهمال فى ترك الآلهة بلا رقيب ولا حافظ . (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : إنكم أنتم الظالمون) الآية ٦٤ : الأنبياء .

ثم كانت الحيرة التى أدركتهم . وكان العجز الذى عقدلسانهم . فأطرقوا إلى الأرض يفكرون فى منفذ للخروج من حيرتهم وعجزهم . ثم أفاقوا مما أصابهم وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) الآية ٦٥ : الأنبياء . . لقد علمت ياإبراهيم أن هذه الأصنام لا تقوى على أن ترد سؤالا : فكيف تطلب منا أن نسألها . ونستشهد بكبيرها . . هكذا اعترفوا بعجزها عن الإصغاء إلى سؤالهم . وأقروا بعدم إدراكها ما يجرى حولها من الإساءة . وبعدم قدرتها على رد من ينالها بضرر .

وعندئذ أخذ ابراهيم فى تبـكيتهم على قصور أصنامهم على الإتيان بنفع أو ضر . ويظهر تأففه من إصرارهم على الباطل بعد أن استبان لهم الحق أبلج واضحاً ، وتأففه مما يعبدون من أصنام بعد أن اتضح وتأكد لعابديها تفاهتها وعجزها . وسخف الاعتقاد فى تأثيرها . (قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لـكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) الآيتان ٦٦ ، ٦٧ .

فلما غُلبَ القومُ على أمرهم . وخشوا افتضاح ما أعوج من حالهم . .وتبددت كل حجة لهم ومحيت آثار كل شبهة لديهم . اتجهوا إلى قوتهم وجاههم يسترون بها هزيمتهم ويحجبون بها معالم باطلهم .

لقد استبد الجهل بالقوم حتى أعماهم وأصمهم . وأغلق قلوبهم . وحال بينهم وبين أن يروا الحق . بعد أن وضحت أركانه . وظهرت معالمه .

لقد أراد القوم أن ينصروا عقيدتهم . ويجعلوا أنفسهم الأقوياء . فاستكبروا عن قبول الحق . وأبو الاستسلام للهزيمة بعد أن خاب باطلهم فى حلبة المناظرة . وولىّ مهزوماً جريحاً .

حرقوه وانصروا آلهتـكم : رأى القوم أن قبولهم دعوة التوحيد سيعمل على كشف أراجيفهم . وافتضاح باطلهم . وسينفض الناس من حولهم . ويتخلصون من ربقة استعبادهم . ويذهب بذلك سلطانهم على الناس . . لقد أرادوا أن يزيلوا من الوجود ذلك الذى يقول : ربى الله وينـكر عليهم عبادة الأوثان ، ويكشف للناس باطلهم ، ليظل لهم السلطان الظاهر . والحـكم المطلق على القوم فيجبرونهم على تقديس زعامتهم الزائفة . ويضطرونهم إلى خدمة شهواتهم وأهوائهم .

ولقد رأوا أن خير وسيلة للقضاء على هذا العدو اللدود . هى : الحرق . فقالوا (حرقوه وانصروا آلهتـكم إن كنتم فاعلين) الآية ٦٨ : الأنبياء .

وأخذ القوم يجمعون الحطب من هنا وهناك وأن تـكون هذه النار حامية

هائلة تطفىء لظى الحقد المتأجج فى نفوسهم ، وتشفى غليل صدورهم ، وقد جعلوا جمع الحطب قرباناً لآلهتهم ليكون ذلك دافعاً لكل فرد منهم على جمع أكبر كمية من الحطب ، حتى أن المرأة كانت إذا ألمّ بها مرض نذرت : إن عوفيت أن تحمل حطبا للحريق المعد لإبراهيم . فمكثوا مدة يجمعون الحطب . فتراكمت أعواده ، ثم بنوا حظيرة كبيرة وأشعلوا فيها النيران. فاضطرمت واندلع لسانها . وسطع ضوءها . واحمرت جمراتها حتى عقد اللهب سحابة فوق رؤوسهم . ثم جاءوا بإبراهيم أمام الملأ وقيدوه وألقوا به . ووقفوا يشهدون عذاب عدوهم وخصمهم فى ساعة الخلاص منه . وهم مغتبطون مسرورون . لكن إبراهيم كان قلبه مفعماً بالإيمان . شديد الثقة بالله . شديد الأمل فى النجاة . لذلك لم تروعه النار المستعرة . ولم تزلزله النكبة . بل أقبل على النار بصدر رحب . وقلب مطمئن ونفس راضية بالمحنة .

النار تتأجج . وإبراهيم فى وسطها . فتحرق منه وثاقه وتمزقه . أما هو فيقف طليقا دون قيد . وبقدرة العلى القدير تذهب عن النار حدتها . وتخمد منها حرارتها . فيحفظ الله نبيه إبراهيم من لظاها . وينقذه من سعيرها . ويجعلها على بدنه الطاهر بردا وسلاما .

تلك كانت المعجزة الإلهية الكبرى التى امتحن الله بها خليله ابراهيم . فنجاه من كيد الكائدين وتدبير المعاندين (قلنا : يانار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم) الآية ٦٩ : الأنبياء .

ولما خبت النار . وسكت أوارها . وجدوه حراً طليقاً سليما . وكأنه لم يلق فى أتون النار التى أشعلوها سعيراً لتجعله عدماً . فتملكتهم دهشة . وتعجبوا من نجاته . لكنهم عجزوا عن التصرف ضده بعد ماراأوا من دلائل صدقه . وبراهين دعوته . . وبعد أن تأكد لهم هزيمة باطلهم ودحض حجتهم . . وبعد أن رد الله كيدهم إلى نحورهم فلم يسعهم إلا أن ينصرفوا عنه ناقمين . ويختفوا عن أعين الناس مهزومين خاسرين (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) الآية ٧٠ : الأنبياء .

وانبهر الناس من آية النجاة . فآمن به قليل منهم واتبعوه . أما الأكثرون فقد آثروا حياة الترف والنعيم والعيش تحت ظلال السلطان . فساروا حيث سار المعاندون وحيث رضى الضالون .

إبراهيم والملك نمروذ . وكان بين المعاندين المتكبرين عن قبول الإيمان بالله ملك بابل « نمروذ بن كنعان » من أحفاد نوح ـ عليه السلام ـ فقد آتاه الله ملكا كبيراً . وجاهاً عريضاً . وسلطاناً واسعاً فحمله طول مكثه فى الملك[1] والجاه والسلطان على الكفر الغليظ . والعناد الشديد . والجحود الطاغى . حتى ادعى لنفسه الألوهية[2] . فلما ترامى إليه نبأ دعوة إبراهيم بإخلاص العبادة لله وحده ، وترك دعوة ماسواه ثارت ثائرته . وزاد طغيانه . وكبر عليه أن يترك ملكه الواسع ، وجاهه العريض لدعوة تحد من شهواته وطغيانه « فدعى إليه إبراهيم ، فلما جاءه أنكر عليه دعوته . واستكبر على عبادة رب العالمين .

وجاءه إبراهيم . فطلب منه الملك أن يدلل على وجود ربه الذى يدعو الناس إلى عبادته . وخاطبه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالمعنى الآتى : إن ربى يحيى الناس من العدم بعد وجودها إلى الحياة . ثم يميتها بعد أن تكون موجودة حية ترزق . فكونه يحدث شيئاً من العدم . ثم يعيده ثانية إلى الفناء دليل على وجوده . وأحقيته فى إفراده بالعبادة .

فادعى الملك أنه يتساوى مع الله فى الإحياء والإماتة : إننى أعفو عمن يستحق القتل ، فأجعله يتذوق طعم الحياة بعد أن يكون قد بات منقطع النفس حسرة على فقد

---

(١) يقال أنه مكث فى ملكه أربعمائة عاما . ولهذا جاء وصفه فى القرآن بقوله تعالى (أن آتاه الله الملك) :

(٢) وقال به من بعده فرعون لملئه (ما علمت لكم من إله غيرى)

حياته .. ثم يأتى آخر مسيء فآمر بقتله . فتزهق روحه . وأقضى بحرمانه من متاع الحياة ولذتها .. وهكذا أنا أحيي وأميت وإذن فإن ربك لم يأت بدعا . ولم يفعل عجباً

ولا شك أن هذا الادعاء من نمروذ لم يكن رداً على قول إبراهيم . لأنه لم يثبت صنعه للشيء من العدم . وإنما أراد — مكابرة وعناداً — أن يضع نفسه فى مقام الذى « يحيي ويميت » .

فلما سمع إبراهيم منه هذا الادعاء ، ساق له حجة أخرى دامغة حتى لا يدع له سبيلا إلى العناد والمراوغة : إذا كنت تدعى أنك تحيي وتميت . فإن ربى قد سخر الشمس والكواكب ، وجعل لها نظاماً ثابتاً لا تحيد عنه .

فهذه الشمس تأتى كل يوم من المشرق تبعاً لهذا النظام المحكم : فان كنت إلهاً حقاً كما ادعيت الإحياء والإماتة ، فاعمل على تغيير هذا النظام الذى جرت به سنة الله ، وأت بالشمس من المغرب .

لكن الجاهل لم يستطع الثبات أمام عزم النبوة الباهر ، إذ قرعته الحجة البالغة وصدمته الآية البينة . فظهر ضلاله . وانكشف كذبه . وبهت وخرس . ولم يقو على المجادلة والحوار ، وعجز عن مواصلة التحدى والمواجهة .

ويحكى القرآن الحوار الذى دار بين إبراهيم وملك بابل (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم . ربى الذى يحيي ويميت قال : أنا أحيي وأميت قال إبراهيم : فان الله يأتى الشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) الآية ٢٥٨ : البقرة .

للحديث بقية

سعد صادق محمد

الخطبـــــة الأولى

الحمد لله الذى يجزى الصادقين بصدقهم أكرم الجزاء ، وينزلهم منازل الأبرار الأتقياء ، وأعد للمتقين منهم جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وهو الذى لعن الكاذبين وأعد لهم أشد العذاب ، وضرب عليهم الذلة والصغار فى الدنيا والآخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، صدق وعده ،ونصرعبده، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، ينصر الصادقين ويعزهم ويكرمهم ، ويهزم الكاذبين ويخزلهم ويذلهم .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، الصادق الأمين ، الذى لم يجرب عليه أحد منذ طفولته كذبة واحدة حتى لقبوه بالصادق من قبل أن يبعث إليهم رسولا . تولاه الله من يوم ولادته فصنعه على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، ثم أرسله بالصدق . فصدق به المؤمنون ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أما بعد : فيا أيها المسلمون ، مدح الله سبحانه وتعالى الصدق والصادقين فى كتابه الكريم ، وذم الكذب والكاذبين . فالصدق أكرم خلق يتحلى به الإنسان ، وأناط الله به سعادة الدنيا والآخرة ، وهو الدليل على الإيمان لأن المؤمن لا يكذب أبداً ، قال تعالى : (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيمانًا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبـــه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيما) .

صدق هؤلاء المؤمنون وصدقوا وعد الله لهم بالنصر ، فأمدهم بنصره المبين فى الدنيا ، ووعدهم رضوانه ومغفرته ، والفوز بنعيم جناته فى الآخرة . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة . وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإن الكذب يهدى إلى الفجور . وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . فما أسعد من يكتب عند الله صديقاً . وما أشقى من يكتب عنده كذابا .

وإن من أشنع الكذب وأقبحه وأسوئه عاقبة الكذب على الله ، فإن من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان لا يمكن أن يجرؤ على الكذب على الله فيسميه بغير ماسمى به نفسه ، ويصفه بغير ما وصف به نفسه ، ويحرف كلمه عن مواضعه . أو يزعم كاذبا مفتريا أنه يتلقى عن الله ، ويطلع فى اللوح المحفوظ . يقول ربنا تبارك وتعالى : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) لقد تكبر وتعاظم أن يكون مع عامة الناس وجمهور الأمة فيأخذ دينه من كتاب الله وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب يفترى على الله وعلى رسوله وعلى الناس ويقول فى صلف وكبرياء ، أنه اختص بفهم حقيقة كلام الله وباطنه ، وأن غيره لم يفهم منه إلا الظواهر والقشور . فكان تكبره سبباً فى كذبه ، وكذبه سبباً فى خلوده فى النار . ألا لعنة الله على الكاذبين .

ومن أقبح الكذب وأضله الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكم تعمد كثير من أعداء الإسلام ، الذين لبسوا ثوب الإسلام زوراً وبهتاناً ، من اليهود والمجوس وغيرهم فوضعوا أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليضلوا المسلمين عن دينهم ، ويفرقوا شملهم ، ويغروا العداوة بينهم . ولكن الله الذى وعد بحفظ دينه قيض للمسلمين من يبصرهم بمكائد هؤلاء الفجرة ، ويميز لهم بين الصحيح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمكذوب المدسوس عليه من

هؤلاء. ومما يؤسف له أنه لا يزال فى المسلمين من لا يفرق بين الحق والباطل والصحيح والكذب والطيب والخبيث، رغم ما بذل علماؤهم المخلصون، وأفنوا فيه أعمارهم أمثال البخارى ومسلم وغيرهما رضى الله عنهم. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم محذراً من الكذب عليه: « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكذابين » ويقول: « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وفى رواية « من قال، قال رسول الله ولم يقل فليتبوأ مقعده من النار »!.

أيها المسلمون. كثيراً ما يجعل القرآن الصدق قرين الإيمان، أو يجعل الكذب قرين الكفر والنفاق. مثل قوله تعالى. (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون). وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان. وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ». ويقول: « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر » ويقول: « اضمنوا لى ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم ».

هكذا أيها المسلمون ترون من كلام الله وكلام رسوله أن نعم خصال ابن آدم الصدق ففيه النجاة والسعادة، وبئس خلاله الكذب ففيه الهلاك والشقاء. نسأل الله أن يجعلنا مع الصادقين.

يحب الله لعباده أن يكونوا صادقين ، فهو سبحانه يحثهم عليه كثيراً فى كتابه مثل قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ويصف المؤمنين بقوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من صفات المؤمن أن لا يكذب ، قال : « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب » : وقيل له : « يارسول الله ، أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم ، فقيل أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا » فشر ما يوصف به الإنسان : الكذب . تصوروا إنساناً عرف بين الناس بهذه الصفة الذميمة ، هل يثق به أحد ؟ هل يضع أحد كلامه موضع الاعتبار ؟ هل يتعامل معه أحد ؟ إنه يكون بينهم منبوذاً حقيراً . كفى بهذا عقابا له ، فما بالكم بما يناله من الخزى والنكال والعذاب يوم القيامة .

وإن من خير ما يتفضل به الله على عبده أن يجعله صادقا مصدقا ، ويضع له بذلك القبول عند الناس . يقول الله فى فضائل رسله الكرام . (ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عليا) ويقول : (واذكر فى الكتاب إسماعيل ، إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا) . ويقول (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ، ليسأل الصادقين عن صدقهم ، وأعد للكافرين عذابا أليما) . فالكاذب كافر ، لأنه يَكْذب ويُكَذِّب كما قال تعالى : (بل الذين كفروا يكذبون . والله أعلم بما يوعون . فبشرهم بعذاب أليم)

ويقول : (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) : ويقول : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به » ويقول « أفرى الفرى أن يُرى الرجل عينيه مالم تريا » ويقول « كبرت خيانة أن تحدث

أخاك حديثاً هو لك به مصدق ، وأنت به كاذب » هذه الآيات وهـــذه الاحاديث معروفة متداولة بين المسلمين ولـكن للأسف الشديد أنك قلما تجد من يتحرى الصدق فى قوله أو نقله للشائعات ، وهذا من علامة خذلان الله لهم ، ومن يُهن الله فما له من مُكرم .

أيها المسلمون : إن أعمالنا وأقوالنا تسجل علينا فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، لماذا لا نفكر ولو قليلا فى هذا الكتاب وفيما يسجل فيه ؟ هل يستوى كتاب يسجل فيه الصدق والإخلاص ، وآخر لا يحوى إلا الكذب والزور والبهتان ؟ إنهما لا يستويان فمآل صاحب الكتاب الأول الجنة ، وعاقبة صاحب الكتاب الآخر النار ، والعياذ بالله . ألم يقل الله تعالى : (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ! ألم يقل : (ولا تقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) ؟ أفق ياأخى ، وراجع نفسك وموقفك من الله يوم القيامة ، واعزم على إصلاح ما أفسدت ، وإدراك ما فرطت ، عسى الله أن يتوب علينا إنه هو التواب الرحيم . فإنه لن ينفعنا إلا الصدق . كما قال تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم)

أما الكذبة فياسوء مآلهم وعذابهم ، كما قال تعالى (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) : قص رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أصحابه رؤيا رآها ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ : « إنه أتانى الليلة آتيان وإنهما قالا لى إنطلق ، وإنى انطلقت معهما ، وإنا آتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتى على شق وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل مافعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة

الأولى . قال قلت سبحان الله ماهذا ، فقيل لى : إنه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيُصنع به ما يصنع حتى يوم القيامة » . ثم ذكر بعض الآثام والذنوب الأخرى وما يحل بأصحابها من العقاب والعذاب .

أيها الإخوة : ليس أجدى على الإنسان فى الدنيا ، ولا أنجى له فى الآخرة من الصدق . وليس أخزى له فى الدنيا ، وأخوف عليه فى الآخرة من الكذب . قال سفيان بن عبد الله الثقفى قلت : « يارسول الله ، ما أخوف ما تخاف على ، قال : فأخذ بلسان نفسه وقال : « هذا » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أصبح ابن آدم فإن الإعضاء تتذلل إلى اللسان وتقول له : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » وقال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع » فنعم المطية اللسان إذا صنته وعودته الصدق والخير وذكر الله ، فإنه يبلغك إلى رضوان الله وجنته ، وبئس المطية اللسان إذا لم تحفظه وعودته الكذب والزور والبهتان والشتم والفحش ، فأنه يرديك فى النار وغضب الجبار .

اللهم إنا نسألك لسانا صادقا . وقلباً خاشعاً ، ونفساً راضية مطمئنة ، تبلغنا إلى رضاك ورحمتك وجنتك ، ياخير مسئول وأكرم مجيب . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله .

الخطبة الثانية

الحمد لله الغفور الرحيم ، العفو الكريم ، غافر الذنب ، وقابل التوب . لا نحصى ثناء على ربنا هو كما أثنى على نفسه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد . فإن ربنا الرحمن الرحيم وصف عباده فكان من صفتهم . (والذين لا يشهدون

الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما) وأمرنا سبحانه وتعالى وقال . (واجتنبوا قول الزور) ذلك لأن قول الزور وشهادة الزور هو أحط وأسفل ما ينحدر إليه من تعود الكذب وصار له خلقاً . فهو يتحول من متحدث بالكذب ، ملفق للأخبار إلى شاهد للزور يضيِّع الحقوق ، ويهدر الدماء ، ويخرب البيوت ، ويعطل الحدود . فما أشنع جرمه وما أشد عذابه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ، قالوا : بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين . وكان متكئاً فجلس وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت » فهو يبين بهذا شديد مقته وكراهيه لهذه الخلة الذميمة ، عافانى الله وإياكم منها .

ومن الزور والبهتان الذى يكرهه ويمقته أن يحاول الإنسان الظهور أمام الناس على غير حقيقته ، فيبدو غنياً وهو فقير ، أو تقياً صالحاً ورعاً ، وهو منافق مراء ، أو عالما وهو جاهل . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » ذلك لأنه يكذب على نفسه وعلى الناس .

ومن الزور والكذب أن تزعم للناس أنك رأيت كذا وكذا فى المنام ترجو بذلك أن تكسب ودهم وعطفهم من غير أن تكون قد رأيت شيئاً وهذا فى الناس كثير ، وفى مثل هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «من تَحَلَّمَ بحلم لم يره كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين ولن يفْعل ، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب فى أذنيه الآنك يوم القيامة ، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ»

ومن الكذب الذى يردى صاحبه أن يختلق الرجل الحوادث والأخبار الكاذبة ليضحك بها الناس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ويل لمن يحدث فيكذب ليُضحك به القوم ، ويل له ، ويل له »

فاتقوا الله أيها الناس وارحموا أنفسكم من حصائد ألسنتكم ، فإنها أكثر مايكب الناس على وجوههم فى النار .

إن مع الصدق الطمأنينة والأمن والسلامة ، ومع الكذب الريبة والخوف والهلاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبك إلى ما يريبك » فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » وإن الرجل الصالح المؤمن يسأل الله دائما أن يرزقه الصدق ويوفقه إليه ، وكان من دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام : (رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) . والصدق يكون سبباً للبركة ، والكذب سبباً للمحق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » . وليس أفضل من الصدق سبيلا ، ولا أقرب منه طريقاً إلى بلوغ الدرجات العلى عند الله سبحانه وتعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق ، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » فإذا صدق المسلم وأخلص فى عمله لله تعالى أناله مطلوبه ولو لم يستطع هو إدراكه بعمله وجهده ، لأنه قد علم منه الصدق .

ولقد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء من الكذب لمن أراد به أن يسعى بين اثنين بصلح ، كأن يقول لكل منهما : إن فلانا يحبك ولا يضمر لك أى سوء ، ولا يذكرك إلا بخير ، ويعرف لك فضلك وكريم خلقك ، وغير ذلك من أمثال هذا الكلام حتى يلين قلبه ، ويخرج منه الكراهية والغضب عليه .قال عليه الصلاة والسلام : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، فينمى خيراً أو يقول خيراً » .

ومن هذا القبيل ما يكون بين الزوجين من ثناء أو مدح قد لا يكون كله صدقا ، وإنما هو مما يزرع المودة والحب بينهما .

ومن هذا ماروى فى الصحيحين أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث : اثنتين فى ذات الله ، وهما قوله : (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله (إنى سقيم) وكانت

هاتان الكذبتان ليحطم أصنامهم ، ويحملهم على الإقرار بضلالهم بعبادة من لا يستطيع أن يدفع عن نفسه التكسير والتحطيم . وكانت الكذبة الثالثة حين قال عن زوجه سارة إنها أخته ، وكانا قد دخلا أرض جبار من الجبابرة وهما مهاجران بعد أن خرجا من وطنهما فارين بدينهما فأراد ذلك الجبار أن يستحوذ عليها فان قال إنها زوجه فإنه يقتله ، فلما قال إنها أخته — ولم يكن فى الأرض مؤمن غيرهما — أخذها وتركه ، ثم خلصها الله منه من غير أن يمسها بسوء . وليس فى مثل هذا شىء من الكذب لأنه إنما أراد النجاة من الجبار وهو موقن بأن الله سيجعل له من ضيقه مخرجا ومن همه فرجا

ونختم كلامنا بقصة ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان كان الصدق سببا فى توبة الله عليهم وقد وردت قصتهم فى الصحيحين ونذكرها ملخصا :

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك تخلف عنه نيف وثمانون رجلا وكان فيهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذر إليه كل واحد بما انتحله من عذر فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله ، إلا هؤلاء الثلاثة فانهم آثروا الصدق ، ولم يرتضوا أن يكونوا من الكاذبين ، وقالوا والله ما كان لنا عذر ، ما كنا قط أقوى ولا أيسر منا حين تخلفنا عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أما هؤلاء فقد صدقوا ، ثم تركهم حتى يقضى الله فيهم . وقاطعهم وأمر المسلمين أن يقاطعوهم ، فلم يكونوا يعاملونهم ولا يكلمونهم ولا حتى يردون عليهم السلام ، وما زالوا كذلك قرابة خمسين يوما حتى نالهم بلاء وكرب شديد كما وصف الله ذلك فى سورة التوبة ثم أنزل الله توبته عليهم بقوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب الله عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم . ياأيها

الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فدعاهم رسول الله وبشرهم بتوبة الله عليهم يقول : كعب بن مالك قلت ، يارسول الله : إنما أنجانى الله تعالى بالصدق ، وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا ماحييت ، فما تعمدت كذبة بعد ، ثم يقول والله ما أنعم الله على نعمة قط بعد إذ هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ماقال لأحد فقال الله تعالى : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم ، إنهم رجس ، ومأواهم جهنم جزاءاً بما كانوا يكسبون) . وهكذا أيها الأخوة تكون عاقبة الصدق توبة الله ومغفرته ورضوانه ، ومآل الكذب سخط الله وعذابه ومقته ونكاله .

فاللهم نسألك الصدق فى القول والعمل ، وكلمة الحق فى الرضى والغضب . كما نسألك يارينا أن تؤتينا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وتقينا عذاب النار . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

سليمان رشاد محمد

تحت ظل الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله » .

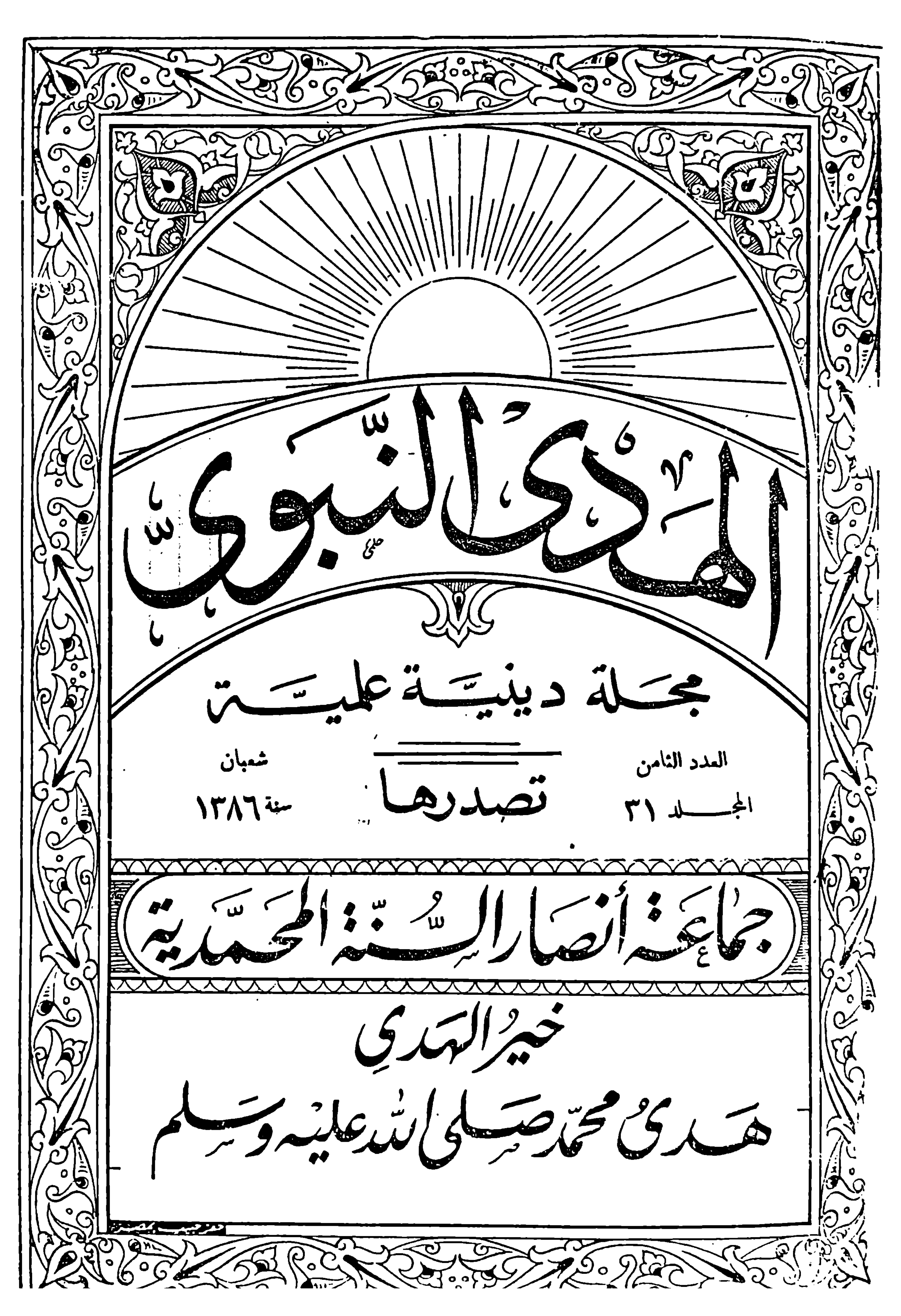
رواه البخارى عن أم سلمة

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثامن
المجلد ٣١
تصدرها
شعبان
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان حسونه

الاشتراك السنوى
٤٠ قرشًا في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ قرشًا في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ٨ — شعبان سنة ١٣٨٦ — المجلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : جل ذكره : (فاختلف الأحزابُ من بينهم ، فَوَيْلٌ للذين كفروا من مَشْهَدِ يومٍ عظيم) مريم : ٣٧ .

تكلمت فى أعداد سالفة عن اختلاف الأحزاب فى شأن عيسى عليه الصلاة والسلام . وقد وصل بى الحديث إلى المجمع الذى عقده النصارى فى مدينة نيقية . وعن هذا المجمع وما حدث بعده حديث اليوم .

مجمع نيقية : احتد أوار الشقاق بين المسيحيين ، فقوم يغلون فيه غلواً ينزع بهم إلى تأليهه ، وقوم يرونه بشراً رسولاً ، وقوم يرونه أنه أكبر من رسول ، وأنه من الله بمنزلة الابن ولكنه مع هذا : مخلوق . وظهر فى هذا المعترك « أريوس » الذى تحدثت عنه من قبل ، واستطاع أن يزلزل فرائص المؤلهة ، وأن يثير فى جماعتهم الرعب والهلع من انتشار رأيه وقوة فصاحته وبلاغته وحجته ، حتى أجَّ رأيه أجيج النار فى الهشيم ، وقد ظهر قبل « أريوس » جماعة كانت تقول بما أخذه عنهم « أريوس »

جاء فى تاريخ الأمة القبطية : « الذنب ليس على أريوس ، بل على فئات أخرى سبقته فى إيجاد هذه البدع فأخذ هو عنها » لـكنه كان أشدهم جرأة ، وأقوام حجة حتى لم يستطع أن يحاربه بطريرك الإسكندرية إلا بادعاء الأحلام ، فزعم أنه رأى المسيح مشقوق الثياب ، وأنه أخبره أن « أريوس » هو الذى شق ثوبه ، وكان هـذا فى زمن قسطنطين أمبراطور الرومان ، فتدخل هذا ، وجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية[1] سنة ٣٢٥ م ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة . ويقول ابن البطريق عنهم : «وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان . فمنهم من كان يقول : إن المسيح وأمه إلٰهان من دون الله ، ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار . ومنهم من كان يقول : لم تحمل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مَرَّ فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ؛ لأن الـكلمة دخلت فى أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعته ، ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليـكون مخلصاً للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلٰهية . . ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة آلهة لم تزل : طالح وصالح وعدل بينهما » .

وقسطنطين ـ كما وصفه ديورانت فى قصة الحضارة ـ : « هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً فى عمله هـذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب . . وقد أحاط نفسه فى بلاطه ببلاد غالة بالعلماء والفلاسفة الوثنيين ، وقلما كان بعد اعتناق دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس . . . ولو أنه كان مسيحياً حقاً ، لـكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ ، ولـكن

(١) لأول مرة نرى أمة تحتاج — مع وجود كتاب ربهم — إلى مجمع هو أمشاج وفرق يضع لها عقيدتها فى ربها . وهـذا يدلنا على أن المسيحيين لم يكونوا على صلة بإنجيل عيسى الحق .

الآية انعكست فى حال قسطنطين ، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية » ص ٣٧٨ ج ١١ قصة الحضارة .

هذا هو قسطنطين الذى هداه شيطانه الوثنى إلى أن يُسَخِّر المسيحية ورجالها له ، أو كان يجعل الدين تحت أمر الدولة ، أو كان يجعل هواه السياسى ، فوق كل شىء ، ولهذا لم يستبقِ ممَّن اجتمعوا سوى ثمانية عشر وثلثمائة ، وأبعد عنه أكثر من سبعمائة وألف . لقد اختار الذين يستطيع تسخيرهم لهواه ، وشراء ضمائرهم . وانتهى المجمع إلى القول بألوهية المسيح ، والأمر بتحريق كل كتاب يخالف هذا ، وهكذا انتصر قسطنطين لوثنيته ، فجعل المسيحية أختاً لها . وقد انتهى أمر ما اتخذه المجمع من قرارات إلى ما يسمونه اليوم الأمانة وهى : « نؤمن بإله واحد أبٍ واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض ، كل ما يرى ، وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور نور من نور ، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للأب فى الجوهر الذى كان كل شىء ، والذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنَّس وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وتألم وقُبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث على ما فى الكتب ، وصعد إلى السماء ، وجلس على يمين الرب ، وأيضاً يأتى بمجد ليدينَ الأحياء والأموات الذى لا فناء لملكه وبالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب الذى هو مع الأب والابن يُسجَد له ، ويمجد الناطق بالأنبياء ، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد آمين[1] » . وكل الكنائس تدين بهذا ، ومن الأولى أن تسمى هذه : خيانة

---

(١) هذه الأمانة عمل مجمع نيقية ، ثم المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١ الذى قرر صراحة أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم — أصول — وثلاثة وجوه وثلاث خواص وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية . كيان واحد فى ثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة . وهذا المجمع الأخير هو الذى قرر ألوهية الروح القدس .

قسطنطين . وأن تسمى هذه الديانة القسطنطينية لا المسيحية فما للمسيح — صلى الله عليه وسلم — صلة بهذه الحماقات .

فرق مسيحية : يقول الإمام ابن تيمية : « إن مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه ، فإن قولهم ليس مأخوذاً عن كتاب منزل ولا نبي مرسل ، ولا هو موافق لعقول العقلاء[1] » .

ولم يستطع قسطنطين ومجمعه أن يقضى على حدة التناقض بين المسيحيين ، وهذا ديدن كل أمة تنسى كتاب الله وتهجره ، وقد ظلت طبيعة المسيح الإنسانية والإلهية فى زعمهم هى مصدر الخلاف ! ! .

النسطورية : تنسب هـذه الفرقة إلى نسطور الذى كان بطريركا للقسطنطينية . كان يرى أن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان ، ثم اتحد هذا الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثانى ، اتحاداً مجازياً لا حقيقياً ، فطرد من منصبه وعاش فى أخميم حتى مات .

اليعقوبية : نسبة إلى يعقوب البراذعى ، الذى كان راهباً بالقسطنطينية .

وخلاصة رأى هذه الفرقة القول بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت امتزاج الماء باللبن ، وبسبب هذا انعقد مجمع خلكدونية الذى قرر أن المسيح له طبيعتان لا طبيعة واحدة ، فانفصلت عن الكنيسة الرومانية بسبب هـذا القرار الكنيسة المصرية التى تدين بأن المسيح ذو طبيعة واحدة .

الملكانيـة : نسبة إلى ملكا الذى ظهر بالروم . واستولى عليها . وهى تدين بأن المسيح جوهر واحد له مشيئتان وطبيعتان أو فعلان كالنار والحديد وتدين بأن اتحاد الله بعيسى كان باقياً حال صلبه فعيسى إله تام ، وإنسان تام . والإنسان منه هو الذى صلب

---

(١) ص ٤١ تفسير سورة الإخلاص .

وقتل وأن الإلٰه منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد هو ابن الله تعالى .

المارونية : أتباع يوحنا مارون الذى قرر أن المسيح ذو طبيعتين ولكن له إرادة أو مشيئة واحدة فاجتمع المجمع العام السادس بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ م وقرر لعن مارون وتكفيره . ولهذه الطائفة بطريرك خاص مقره لبنان .

أسماء حديثة : تسببت المجامع فى انقسام الكنيسة إلى يونانية شرقية ولاتينية غربية ، وقد آل إلى كنيسة القسطنطينية رياسة الكنيسة اليونانية . وإلى كنيسة رومة آلت رياسة الكنيسة الغربية اللاتينية . وأساس الخلاف يتعلق بالاعتقاد وغيره فالكنيسة الشرقية وهم الأرثوذكس تقول بأن المسيح طبيعة واحدة . ومشيئة واحدة . والغربية وهم الكاثوليك تقول بأن له طبيعتين ومشيئتين . قال الأرثوذكس إن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معاً : قال الأرثوذكس بأفضلية الإلٰه الأب على الإلٰه الابن وقال الكاثوليك بالمساواة التامة بين الاثنين .

البروتستنت : وتسمى الإنجيلية إشارة إلى أنهم يتبعون الإنجيل فحسب . وقد حمل أتباع هذه الكنيسة على بدع الكاثوليك والأرثوذكس معاً ولا سيما فى مسألة العشاء الربانى والغفران . فمن شعائر المسيحية أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزاً ويشربون خمراً ، وببعض تلاوات خاصة يقوم بها رجل الدين يستحيل الخبز إلى جسد المسيح ، ويستحيل الخمر إلى دم المسيح ، فإذا أكل المسيحى هذا الخبز ، وشرب هذا الخمر ، فإنه بهذا يأكل لحم المسيح كله بلحمه ودمه ، فيصير مسيحاً آخر تحرم عليه النار . ولقد علق المؤرخ المسيحى الكبير ول ديورانت على هذا بقوله : « وبهذه الطريقة تعظم الحضارة الأمريكية والأوروبية شعيرة من أقدم الشعائر ، وهى أكل الآلهة » ص ٢٠ جـ ١٦ قصة الحضارة .

وقد استندت الكنيسة فى هذا إلى ما ورد فى إنجيل متى وغيره من أن يسوع

تناول العشاء الأخير مع تلاميذه « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا . هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس ، وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى » ، وتسمى الكنيسة هذا بسر القربان المقدس ، أو سر تناول القربان أو العشاء الربانى ، أو الأفخارستيا .

أما صكوك الغفران ، فكانت تتمثل عادة فى مبلغ من المال يدفعه المسيحى الذى جاء للتوبة ، فيعطيه القسيس صك غفران لذنوبه كلها مقابل هذا المبلغ . وكان أول صك صدر من البابا « إربان الثانى سنة ١٠٩٥ م » وقد منحه لكل مسيحى يشترك فى الحرب الصليبية الاولى ، ثم صارت هذه الصكوك مصدر ثراء فاحش للرهبان . بل إنها صارت ولها سوق كالأسهم والسندات . هذا لأن الكنيسة قررت فى المجمع الثانى عشر أن يسوع المسيح قلد كنيسته سلطان منح الغفرانات ، ومن ينكر عليها ذلك لعن وطرد وحرم . وكان مما يكتب فى صك الغفران « ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة » .

وتوجب الكنيسة البروتستنتية على أتباعها العمل بما فى الإنجيل وحده ، أما الكاثوليك . والأرثوذكس فيرجعون إلى التقاليد الموروثة مع الإنجيل ، كما تقرر أنه ليس لكنائسهم رئاسة عامة وأنه ليس لأحد أن يغفر الذنوب سوى يسوع كما تنكر الكنيسة البروتستنتية تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه . كما أنها قررت أن الرهبنة ليست أمراً مفروضاً ، وأن اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس والسجود لها كفر أثيم ، وليت البرتسنت ساروا وراء هداية الفطرة ، إذن لرأوا أن ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس إنما اتخذا بقرار من المجمع النيقى والمجمع القسطنطينى . لا بكتاب من الله .

وحسب القارىء عبرة ، وحسبي وحسبهم ما ذكرت عن اختلاف الأحزاب فى شأن عيسى بن مريم عليه السلام ولعل الذين يقرءون من غير المسلمين يتدبرون قصة الشيطان معهم لعلهم يرجعون إلى فطرتهم قبل فسادها ، فيبدو لهم ألَقُ الحق مشرقاً . يبدو لهم أن الله سبحانه لا يمكن أن يحتويه رحم امرأة وهو الخالق لكل مخلوق .

ونحيل القارىء إلى دين الصوفية فى محمد صلى الله عليه وسلم ، ليتبين أن شر المسيحية فى إلحادها كان أقل ضراوة ، وأقل نتناً وخبثا .

ثم نحيله إلى القرآن ليتألَّقَ النور فى قلبه وفكره ويرى السبيل الحق فى إشراقه الأعظم وهداه البيِّن يقوده إلى الغاية ، أو إلى قدس الخلود .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

الاعتدال فى الحب

« أى بُنيَّ : لا تؤاخ امرءاً حتى تعاشره ، وتتفقد موارده ، ومصادره ، أى بنى : إذا أحببت فلا تُفْرِط ، وإذا أبغضت فلا تُشطط ، فإنه قد كان يقال :

أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

« من نصائح عبد الله بن شداد لابنه »

ركن السنة

تحويل القبـــلة

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة » متفق عليه .

« شرح الحديث »

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يبعث على الناس فى عهد النبوة بين الفينة والفينة ريح فتنة يبتلى بها ما فى النفوس ليظهر الصادق فى إيمانه الذى لا تزلزله الفتن ولا تنال منه الزعازع ، من المنافق الذى لا يلبث أن يتكشف ما فى نفسه من ظلمات الشكوك وعوامل الهزيمة فيذوب فى الفتنة كما يذوب الملح فى الماء .

ولقد كان حادث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أحد هذه الابتلاءات الكبرى التى أراد الله بها هز المجتمع الإسلامى لتتساقط عن شجرته المباركة الأوراق اليابسة والثمرات العفنة ، ولا يبقى إلا القوى الجيد الذى له من صلابة الإيمان وقوة اليقين ونور البصيرة ما يرد عنه مضلات الفتن وينجيه من بوائقها .

كان صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة يصلى مستقبلا الكعبة بيت الله

الحرام . وقيل إنه كان مع ذلك يستقبل صخرة بيت المقدس فكان يصلى بين الركنين اليمانيين لتقع صلاته إلى القبلتين معاً . فلما هاجر إلى المدينة تعذر عليه ذلك فأمره الله عز وجل أن يستقبل صخرة بيت المقدس تألفاً لليهود من سكان[1] المدينة لعلهم إذا رأوه يصلى إلى قبلتهم حملهم ذلك على الإنصاف والإذعان للحق وترك ماهم عليه من الجحد والمكابرة ، فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً . وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأول ووقع تحويل القبلة فى شعبان من السنة الثانية للهجرة فتكون المدة التى قضاها فى التوجه إلى بيت المقدس هى سنة وأربعة أشهر أو خمسة .

روى ابن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس فى سبب نزول قوله تعالى « فأينما تولوا فَثَمَّ وجه الله » . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم ، فلما صرفه الله تعالى إليها ارتاب من ذلك اليهود وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ فأنزل الله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) .

وروى الكلبى عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : وددت أن الله صرفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها ، وكان يريد الكعبة لأنها قبلة إبراهيم ، فقال له جبريل : إنما أنا عبد مثلك لا أملك لك شيئاً ، فسل ربك يحولك عنها إلى قبلة إبراهيم ، ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ولما كان شأن ذلك التحويل عظيما حيث اتخذ منه أعداء الإسلام فرصة للطعن وإثارة الشكوك كقولهم : إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركها ، وإن كانت الثانية

هى الحق فقد كان على باطل ، وكقولهم : إن محمداً مضطرب فى أمره ينقض اليوم ما أبرم بالأمس ، يصلى كل يوم إلى قبلة ، إلى غير ذلك من العبارات التى كانوا يريدون بها بلبلة الأفكار والتأثير على ضعفاء الإيمان من المسلمين ، وقد بلغوا من ذلك بعض ما أرادوا فارتد الناس من ضعفة الإيمان عن دينهم .

أقول : لما كان شأن ذلك التحويل عظيما وطأ الله عز وجل قبله بآيات كثيرة وأنزل فى شأن التحويل طائفة كبيرة من الآيات من سورة البقرة تثبيتاً لقلوب المؤمنين ورداً على المطاعن والمفتريات التى كان يشغب بها أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين .

فالآيات من قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) إلى قوله سبحانه (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) كلها فى شأن تحويل القبلة ، فذكر سبحانه أولا أمر النسخ الذى كانت تنكره اليهود وبين قدرته عليه وأنه مهما ينسخ من آية يأت بخير من المنسوخ أو مثله ، ثم أعقب ذلك بالمعاتبة لمن يتعنت على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينقاد لأمره وحكمه .

ثم أخبر عن تمنى أهل الكتاب أن يردوا المؤمنين كفاراً مثلهم من بعد ما تبين لهم الحق ، وأمرهم بالعفو عنهم حتى يأتى الله بأمره فيهم .

ثم ذكر اختلاف اليهود والنصارى وشهادة بعضهم على بعض بأنهم ليسوا على شىء وهم يتلون الكتاب . ثم ذكر شركهم بنسبتهم الولد إلى الله . ثم أخبر أن المشرق والمغرب لله فأينما ولى عباده وجوههم فثم وجه الله . ثم أخبر رسوله بأن أهل الكتاب لا يرضون عنه حتى يتبع ملتهم ويصلى إلى قبلتهم ، وحذره من اتباع أهوائهم .

ثم ذكر خليله إبراهيم بانى البيت الحرام ، وكيف أنه جعله للناس إماماً وقدوة فى الدين لما وَفَّى بكلمات الله .

ثم نوه بشأن البيت وأنه جعله مثابة للناس وأمناً ، وأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .

ثم ذكر ما قام به إبراهيم من رفع قواعد البيت الحرام بمعونة ولده إسماعيل عليهما السلام ودعائهما بعد الفراغ من ذلك بأن يتقبل الله عملهما ، وأن يجعل ذريتهما أمة مسلمة له ، وأن يريهما مناسكهما ويتوب عليهما ، وأن يبعث فى هذه الأمة المسلمة رسولاً منها يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

ثم أخبر أن ملة إبراهيم وهى الإسلام الذى يقوم على التوحيد الخالص من كل شائبة لا يرغب عنها إلا كل سفيه أحمق ، وإن إبراهيم وصى بها بنيه وكذلك يعقوب عليهما السلام ، وبين أنها الدين الحق وليست اليهودية أو النصرانية كما تزعم اليهود والنصارى .

ثم أمر عباده المؤمنين أن يتمسكوا بها وأن يقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .

وبين أن تلك هى صبغة الله التى لا صبغة أحسن منها ، وأن اليهود والنصارى لن يكونوا مهتدين حتى يؤمنوا بها .

ثم أخبر عن مقالة السفهاء فى القبلة وقولهم (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) ورد عليهم بأن المشرق والمغرب له وحده ، فهو الذى يأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء ، وأنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ثم نوه بشأن هذه الأمة وأنها الأمة الوسط المزكاة بالعلم والعمل ، وأنها من أجل ذلك تكون شهيدة على سائر الأمم ويكون الرسول شهيداً عليها .

ثم ذكر الحكمة فى تحويل القبلة وأنه أراد بها الابتلاء والامتحان ليتميز الصادق من الكاذب ويظهر من يتبع الرسول عن طاعة وإذعان ممن يتمرد عليه فينقلب إلى الكفر بعد الإيمان .

ثم أخبر عن تمنى نبيه صلى الله عليه وسلم أن تكون قبلته الكعبة وتقليبه وجهه فى السماء ينتظر الأمر له بذلك ، ثم أمره أن يصرف وجهه إلى الكعبة ، وأمر الأمة

جميعاً بمثل ما أمره به ، وبين أن هذا هو الحق الذى يعلمه أهل الكتاب ولكنهم يكتمونه . ثم كرر الأمر بتلك التولية مرة بعد مرة إزالة لكل تردد . ثم أخبر أنه فعل ذلك لئلا يكون لأحد من الناس عليهم حجة ، وأنهم ماتحولوا إلا بأمر الله عز وجل ، ثم ذكرهم بنعمته عليهم فى إرسال الرسول الخاتم وإنزال الكتاب ، وأمره من أجل ذلك بذكره وشكره ورغبهم فى ذلك بأنه يذكر من ذكره ويشكر من شكره .

ثم أمرهم بما لا يتم كل ذلك إلا به وهو الاستعانة بالصبر والصلاة وأخبرهم أنه مع الصابرين .

ولنرجع إلى شرح بقية الحديث من قول البراء رضى الله عنه : فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، ولم يعرف اسم ذلك الرجل ولا القوم الذين مر بهم وهم يصلون فى مسجدهم ، ولكنهم على كل حال ليسوا أهل قباء فإن أهل قباء لم يعلموا بتحويل القبلة إلا فى صلاة الصبح ، كما جاء فى حديث ابن عمر قال : « بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح ، إذ جاءهم آت فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الناس الكعبة فاستقبلوه ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

وقد اختلف فى أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة بعد التحويل ، فحديث البراء هنا يفيد أنها العصر ، وروى عن أبى سعيد بن المعلى أنها الظهر وأنه هو وصاحب له كانا أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى القبلة الجديدة ، وروى كذلك أن الأمر بالتحويل نزل بعد ما صلى النبى عليه السلام ركعتين من الظهر ، فاستدار فى الصلاة ، وكان ذلك فى مسجد بنى سلمة ، فسمى المسجد ذا القبلتين ، ويؤخذ من هذا الحديث جملة من الأحكام الأصولية والفرعية ، ذكرها العلامة ابن دقيق العيد فى شرحه على « عمدة الأحكام » عند الكلام على حديث ابن عمر المتقدم ، ونحن نجملها فيما يأتى :

١ — قبول خبر الواحد ، وعادة الصحابة فى ذلك اعتداد بعضهم بنقل بعض ،

وورد عنهم فى ذلك ما لا يحصى ، ومعنى ذلك أن خبر الواحد العدل يفيد العلم بمضمونه ويجب العمل به خلافاً للمتكلمين من المعتزلة وغيرهم .

٢ — استدل الظاهرية بهذا الحديث على جواز نسخ الكتاب والسنة المتواترة بخبر الواحد لأن القوم عملوا به ولم ينكر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ — جواز نسخ السنة بالكتاب فإن الصلاة إلى بيت المقدس إنما كان بالسنة إذ لا نص فى القرآن على ذلك ، وتحويل القبلة إلى الكعبة إنما كان بالكتاب ، والمنقول عن الشافعى رحمه الله خلاف ذلك .

٤ — دل الحديث على أن حكم الناسخ لا يثبت فى حق المكلف قبل بلوغ الخطاب له ، فإنهم بنوا على ما فعلوه من الصلاة جهة بيت المقدس ، ولو ثبت الحكم فى حقهم قبل بلوغ الخبر إليهم لكانت صلاتهم إلى بيت المقدس باطلة فلا يجوز البناء عليها بل كان يجب استئنافها .

٥ — قد يؤخذ منه أيضاً جواز الاجتهاد فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو بالقرب منه لأنه كان يمكنهم أن يقطعوا الصلاة ويستأنفوها أو أن يبنوا على ما صلوا فرجحوا البناء .

٦ — وفى الحديث أيضاً دليل على جواز مطلق النسخ لأن ما دل على جواز الأخص دل على جواز الأعم .

٧ — فيه دليل على جواز تنبيه من ليس فى الصلاة لمن هو فيها وأن يفتح عليه القراءة .

٨ — قال الطحاوى فى هذا دليل على أن من لم يعلم بفرض الله تعالى ولم تبلغه الدعوة ولا أمكنه استعلام ذلك من غيره فالفرض غير لازم له والحجة غير قائمة عليه ، فمن أسلم فى دار الحرب أو أطراف بلاد الإسلام بحيث لا يجد من يستعلمه عن شرائع الإسلام لا يجب عليه قضاء ما مر من صلاة وصيام لم يعلم وجوبهما ، والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

٤ — واجبنا نحو الشباب

الشباب وأوقات الفراغ

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد

لست أدرى متى يثوب هـذا الفريق المنحل — من الشباب — إلى رشده ؟ ومتى يُقلع عن غَيِّه ؟ . لقد أصبح هذا الشباب الرقيع الخليع الماجن سبة فى جبين المسلمين ، ووصمة عارٍ تشينهم وتزرى بهم ، وما ذاك إلا بما يأتيه هؤلاء النفر من الشباب من أفعال لا يرضى عنها الله ، ولا يسيغها خلق ولا عرف ولا ضمير ، وأكثر ما يؤلم النفس ويعكر الصفو ما نراه جميعاً من إساءة الشباب لاستغلال أوقات الفراغ ، وما أكثر أوقات الفراغ عند شبابنا ، وما أضيع الوقت عند الشباب وما أرخصه ! ! ! وما دمنا قد أخذنا على عاتقنا ، التصدى للنصح والإرشاد ـ جهدنا ـ فما أحرانا أن نجابه الواقع الأليم فى شجاعة وجرأة ، نعرضُ للعيب والخطأ ثم نتبع النقد بالعلاج ، وليأخذ به من شاء ، وليرفضه من أراد ، وبذلك نكون قد أعفينا أنفسنا من التثريب واللام . أما أن نتستر على الجرم خشية المعايرة أو ندفن رءوسنا فى الرمال كالنعام . . . فأقل ما يوصف به هـذا . . هو الهروب من الواقع والتخاذل أمام الداء ، وهذه هى قمة الحماقة .

* * *

المثال الأول : — انتهاك الشباب لحرمة الأعراض :

فكثيراً ما يتجمع الشباب فى مجموعات ، وهم فى العادة أتراب من سن واحدة ، يقفون على ناصيات الشوارع وفى مفترق الطرق . . يؤازر بعضهم بعضاً فى التفنن فى المنكرات . . ويتصيدون الفرائس ، وأغلبهن — للأسف — من الفتيات

الكاسيات العاريات المتبرجات ، فيرشقونهن بالكلمات النابية والألفاظ البذيئة المشينة التى يحمر لها وجه الفضيلة خجلاً وحياء ، ولقد رأيت بعينى رأسى من تجرأ ومد يده إلى فتاة أوربية فى الطريق العام — فى صحبة زوجها وأولادها — محاولاً العبث بموضع العفة من جسدها ، ولولا أن هذه المحاولة لم تتم — رغماً عن إرادة العابث القذر — لساءت العقبى . ولقد أصابنى هذا المرأى الخاطف لهذه الفعلة النكراء بذهول وأسى عميق ، مازال ماثلا أمام عينى رغم مرور سنوات من حدوثه ، ولا يزال الامتعاض يعرونى كلما تذكرته وما فتئت أشعر بالأسف والأسى لما تردى فيه شبابنا من مهاوى الفساد والدمار .

ما من سيدة إلا وسلقوها بألسنة حداد . . كاسية كانت أم عارية . . شابة كانت أم مسنة . . معروفة لديهم ام مجهولة ، ولم لا ؟ أليس لديهم الوقت الضائع والفراغ الكافى ؟ حقاً :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

المثال الثانى : ما أكثر ما تتعثر النسوة المسنات خلال ركوبهن المركبات العامة ، — بسبب الوهن والضعف والشيخوخة ، وكذلك بسبب الازدحام الشديد فى المواصلات — وإذ ذاك تحدث الكارثة وتكون الطامة الكبرى . إذ تتسابق النظرات وتجاجل الضحكات وتنبرى الألسنة من كل صوب وحدب . . تستحث وتصرخ وتسخر وتتهكم ، والمرأة المسكينة تزداد ارتباكاً ، وبينا هى تستمع إلى التهكم المرير منها لا تجد هى ما تقوله ، وكثيراً ما تكون عرضة للسقوط تحت العجلات ، كل هذا بسبب الطيش والرعونة والحماقة التى تفشت فى الشباب ، بل وفى كثير من الكبار ، ومثل هذا يحدث كذلك للمسنين من الرجال ، وكأن هذا الشباب الساخر قد أضحى فى مأمن من الشيخوخة فأعمل فى المسنين سخريته واستهزاءه .

المثال الثالث : — وهو عنوان بارز لانحلال الشباب يتكرر كل يوم عدة مرات أمام الأعين ، فى الطرقات والمركبات ، وهو فعل الحثالة الأوباش ، يتبادلون الكلمات

المستقبحة بصوت مرتفع وخاصة فى وجود السيدات دون مراعاة للآداب الإسلامية والخلقية العامة ، وكثيراً ما يسير الشباب فى تجمعات وهو يغنى بأغان خليعة رافعاً بها عقيرته مصفقاً بيديه غير عابىء باستهجان الناس لما يفعل ، ولا مبالٍ بما يرمقونه بالنظر الشزر ، وكأن الأمر لا يعنيه ، وما أكثر ما يحدث ذلك فى هدأة الليل وسكونه ، إذ الأجساد متعبة مكدودة ، والأبدان مرهقة وفى حاجة إلى مزيد من الراحة . لقد أصبحنا نعيش فى مجتمع لا يُرحم الصغير ولا يُوقر الكبير ، ولا يأسى لانتشار الرذيلة ولا يعض على الفضيلة بالنواجذ ، ولا يأبه بالقيم ولا يراعى آداب الطريق التى علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « إياكم والجلوس على الطرقات ، فقالوا : ما لنا منها بد ، إنما هى مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر[1] » .

هم يفعلون العكس تماماً مما يطلبه الحديث الشريف .

فالرسول يوصينا بغض البصر ، وهم يصوبون البصر فى وقاحة ونذالة وخسة وضعة ، يوصيهم الرسول بكف الأذى وهم لا يتورعون عن إيذاء رواد الطريق لا من الآدميين فحسب بل ومن الحيوانات ، ويطالبهم الحديث برد السلام بالأسلوب الشرعى المهذب ، ولكنهم يستبدلون تينك الكلمات الطيبة بكلمات بذيئة يخدعون بها المستمع من بُعدٍ باسم التحية والسلام ، وما هى إلا تهكم بشع مقيت ، ويطالبهم الحديث كذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكنهم لشديد الأسف هم الذين يقترفون المنكر ويسخرون ممن يأمرهم بالمعروف، ولهذا فلن يفلح مثل هؤلاء أبدا . إن لم يرجعوا عماهم فيه

والحديث الآخر : ينذر ويحذر فيقول « كلُ المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه[2] » وهم لا يتعدون عن السطو على عرض أختهم المسلمة ولو ببذىء القول

---

(١) رواه البخارى . (٢) رواه مسلم .

وفاحشة ، ولو تيسر لهم ما هو أبعد من ذلك مثالاً لهرعوا وأسرعوا بالتردى والانغماس فى حمأة الإثم وغرقوا فى الخطيئة إلى آذانهم .

وما هكذا شأن المسلمين الذين حملوا على أكتافهم أمانة الدعوة لدين الله فى الأقطار والأمصار ، فتحلّوا بالفضائل وتخلقوا بالكمالات حتى سارت بذكرهم الركبان وشهد لهم أعداؤهم بالفضل . أهؤلاء هم أحفاد أولئك ؟ شتان بين الثرى والثريا ، ولو عاد الأجداد إلى الحياة لتبرأوا من دنس هؤلاء الأحفاد . وهذا قُلٌّ من كُثر . ولو تركنا لأنفسنا المجال لأعيانا حصر هذه المفاسد والشرور ، وأحسَبُ أن هذا كله نتيجة للفراغ القاتل الذى يحيا فيه الشباب ، فراح يقتل الوقت ويبدده ، ويقتل كذلك المثل العليا ويقبرها . وهكذا تمضى الحياة بالشباب ! طاقات معطلة ، عبث مستمر ، قلق متزايد ، وقت مبدّد ، ضياع فى ضياع .

أين منا الشباب المفكر المجدِّد المبتكر ؟ لا مجيب .

أين منا من يعرف للوقت قيمته وأهميته ؟ لا أحد .

هذا ما عرفه الغربيون — الذين دب فيهم دبيب الانحلال — فبذلوا وقتهم فيما يفيد ، وأصبحنا نعيش على فتات أفكارهم وثمار جهودهم ، جاريناهم فى الانحلال . . . ثم بززناهم وتخطيناهم وتفوقنا عليهم فيه . أما أن نجاريهم فى الجد وبذل الجهد فلا .

العـــلاج

والعلاج فى رأيى هين ميسور ، لو رغب المريض حقًّا فى الشفاء ، ولن يخرج العلاج بالطبع من سياج الدين ولا يتخطاه بحال ، فمهدنا بديننا : الواقعية والفعلية والحسم والعلاج .

أولا : — العناية بالصحة وذلك عن طريق ممارسة الرياضة البدنية بمزاولة الألعاب السويدية الخفيفة فى البيت ، ثم إعطاء الجسد حقه من الراحة والغذاء — كلٌّ على قدر ما يسر الله له من رزقه . وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم « إن لبدنك عليك

حقاً ولأهلك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه » . وفى انشغال الشباب بصحتهم والعناية بأجسامهم ما يلهيهم عن كثير من الآفات ، والتى تودى بغيرهم . فضلًا عما يعود على الأمة من ذلك من الخير العميم .

ثانياً : — الحد من انتشار المقاهى ودور اللهو التى تتيح الفرصة لإضاعة الوقت بدداً بلا طائل ، ونحن فى حاجة إلى كل سويعة نفيد بها الدين والوطن . وما أحسب أن هناك بلداناً تزخر بهذه الكثرة الفظيعة من المقاهى من بلادنا الإسلامية دون استثناء ، وهذه المقاهى أصبحت ملاذاً للمتعطلين ومجالا لإشباع نهم الفضوليين المتطلعين بأنظارهم الجائعة إلى الفتنة العارية لدى الغاديات الرائحات ، رغم تحذيره صلى الله عليه وسلم فى قوله : « العينان تزنيان وزناهما النظر » . وقوله « لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك الأولى وعليك الآخرة » . ورغم تحذيره من مهاترات اللسان فى مواضع كثيرة ، منها : « من يضمن لى ما بين لحييه (أى اللسان) وما بين رجليه (أى الفرج) أضمن له الجنة » . رغم هذا كله فليس هناك من يرعوى أو يبالى بما قال تعالى فى كتابه أو بما قال صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه .

وبمناسبة الحديث عن المقاهى تستوقفنى ظاهرتان ملموستان .

أولاهما : لدينا الآن محطة إذاعية خاصة وقفاً على إذاعة القرآن الكريم ، ومع هذا فلم أسمع أو أر خلال مرورى وتطوافى ، وأكاد أؤكد كذلك أن غيرى لم يسمع أن هناك مقهى واحداً وجّه موجات إذاعته تجاه هذه المحطة ولو مرة واحدة ، وما ذلك إلا حرصاً على إرضاء رغبات عملائهم المتحللين بإسماعهم خليع الغناء . أما إرضاء الله فقلما يحرص عليه أحد ، فالكسب المادى هو أكبر همهم والدنيا هى مبلغ علمهم ، ولهذا حذّر تعالى فى قوله (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقال جل وعلا : (إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا) .

والظاهرة الثانية : هى امتلاء المقاهى على سعتها وكثرتها ، واكتظاظها بالرواد ، بينما نرى المساجد تكاد فى معظم الأوقات تكون خاوية على عروشها . اللهم إلا من

نفر قليل ممن أراد الله بهم خيراً إذ أتاح لهم معرفته وحبه ، وذلك لصفاء معدنهم ونقاء جوهرهم ، وبالمقارنة نرى أن رواد المقاهى تضيع أوقاتهم وتتبدد أموالهم وما لهم فى الحسنات من نصيب ، على حين أن رواد المساجد تبقى عليهم أموالهم وتتضاعف حسناتهم ولا تتبدد أوقاتهم فلن يعدموا درس علم ينتفعون به أو توجيهاً يفيدهم فى دنياهم وأخراهم ، كما يزدادون عن الخطايا بعداً ويزدادون بالتالى قرباً وتوفيقاً من رب العالمين . ونعود إلى العلاج فنقول :

ثالثاً : العناية بالعقل : وذلك بتحبيب الشباب فى العلم والمطالعة والبحث والدرس سعياً وراء المعرفة واتساع المدارك والأفهام ، وحباً فى الحكمة وإفادة المجتمع الإسلامى ، وتسخير كافة الجهود العلمية لخدمته والارتقاء به ودفع عجلته إلى الأمام ، وتيسير السبل أمام الأميين مادياً وأدبياً عن طريق الإكثار من المعاهد العلمية الليلية ، وتبسيط مصروفاتها حتى يجد الراغب بغيته فى العلم دون ما عقبات تعوقه وتصرفه عن ارتياد ذلك الطريق القويم ، والإكثار كذلك من المكتبات العامة وتسهيل الاستعارة الخارجية ، فالمكتبات الآن وخاصة مكتبات المساجد صارت أشبه بالمتاحف منها إلى تزويد النشء بالعلم ، وأصبحت من مستلزمات الزينة فى المساجد أن ترى الكتب مجلدة تجليداً فاخراً ولكن لا يراها أحد إلا من خلال زجاج الدواليب ، أما إن طلبها أحد للتفقه والتعلم فليس هناك من ردٍ سوى الصد والنهر والزجر والإعراض .

رابعاً : — العناية بالعقيدة ، وذلك عن طريق ربط الدين بشتى مناحى الحياة ، صغير الأمور منها وكبيرها ، وإفهام الشباب أن ليس هناك أى انفصال أو انفصام مطلقاً بين الدين والدنيا ، فعلى الإنسان أن يأخذ من دينه ما ينفعه فى دنياه وآخرته ، كما يجب القضاء على ما رسخ فى أذهان البعض من أن هناك رجال دين ورجال دنيا ، فهذا زعم خاطىء ، فكلنا رجال دين ودنيا . وإن لنا فى نبينا الكريم ثم صحابته من بعده لخير أسوة ، فما كانوا قط رهباناً ، وليس الدين قاصراً على فئة دون أخرى كما هو الحال فى بعض الشرائع الأخرى .

خامساً : — الترويح عن النفس : ولا يحسب البعض أن في الدين هذا التزمت المقيت الذي ألصقوه به زوراً وبهتاناً ، فلا مانع مطلقاً من أن يمارس المسلم ألواناً من الترفيه المشروع المباح حتى لا يدب الكلال والسأم إلى نفسه ، على شرط أن يبتعد عن أماكن الفساد ويتجنب صحبة الأشرار وينأى بنفسه عن مواطن الزلل ، ولا ينسى أن هناك رباً يراقبه ولسوف يحاسبه على ما قدم من عمل ، وأن يحذر كل الحذر أن يغضب الله ، وإلا حقت عليه كلمة العذاب . ولهذا فقد قال صلى الله عليه وسلم : « روحوا القلوب ساعة وساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت[1] » .

(كلمة ختامية)

والآن وبعد أن عرضتُ النماذج السابقة ، لست أزعم أنني قد أحطت بكل جوانب الموضوع ، فما زال هناك الكثير ، ولعل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في مقال قادم للكشف عن بقية الجوانب الأخرى ، غير أنني في هذه العجالة أطالب المسؤولين وهم – ولا شك – يعتزون بدينهم ويغارون على إسلامهم بسن القوانين الرادعة الزاجرة ، والعمل على تطبيقها بكل حزم وشدة ، وهذا هو الأهم ، كي نلقن المنحرفين دروساً في الفضيلة لا تنسى ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع[2] بالقرآن ، فلكم سمعنا وقرأنا في الصحف مثلاً عن قص شعور الشباب الماجن أو حبسه لمدة تطول أو تقصر – تأديباً – ، ولكن لما هدأت العاصفة وسكن الدوي . . عاد كل شيء سيرته الأولى ، ولقد قرأنا في العاصمة عن الغرامة التي فرضتها الدولة عند تنظيم سير المشاة في الشوارع الرئيسية ، وما أحرى بالدولة أن تفرض مثلها على كل متبرجة متهتكة ، يضطر زوجها أو أبوها أو ولي أمرها إلى دفع الغرامة صاغراً عقاباً له على تهاونه وتفريطه ، ودفعاً له إلى الرجولة والغيرة على العرض ، وتضطره بذلك للحفاظ على عرضه وصيانة عفاف أسرته . وأطالب كذلك بإحكام الرقابة على الشواطيء والمصايف التي كانت فيما مضى نعمة سابغة من نعم الله علينا بما امتازت به من هواء نقي وطبيعة جميلة من صنع

(١) رواه الديلمي عن أنس (٢) كما يقول الحديث الشريف .

بديع السموات والأرض ومجالا للاستشفاء والاستجمام والراحة — ولكنها الآن أصبحت حراماً على كل مسلم يغار على دينه وشرفه ويعمل حساباً لآخرته ، وذلك بما يقترف فيها من مهازل وفسقٍ وفجور بلغ الذروة وأصبح يمارس علانية بلا حياء .

كما أناشد المسؤولين الضرب بيد من حديد على كل منحرف ومستهتر بدين الله وبالأخلاق الفاضلة حتى يتطهر مجتمعنا الإسلامي العظيم من الأدناس والأرجاس ، ويعود إلى سابق مجده المؤثل ويظل درة في جبين الدهر .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى . محمد عبد الكريم أحمد

إياكم والكذب

« عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة . وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . «حديث شريف» متفق عليه .

المعجزات في القرآن

قوم لوط : خرج لوط مع عمه إبراهيم الخليل — عليهما السلام — من أرض الكلدانيين فى العراق إلى أرض الكنعانيين ، ثم ضاقت تلك البقعة المقدسة بأغنامهما وأنعامهما ، نخشيا ما سينجم عن ضيق تلك الأرض برعيانهما من اختلاف بينهما ، فنزح لوط حيث استقر بمدينة سدوم[١] مدن من الأردن[٢] .

وكان أهل سدوم قبل أن يأتى إليهم لوط — عليه السلام — يقترفون السيئات ، ويأتون المنكر ويمارسون أفظع الفواحش ، وأقبح الأعمال التى لم يأتها أحد من قبلهم إذ كانت أعمالاً تنفر منها الفطر البشرية ، وتأباها الشرائع الإلهية ، بل ولا تقرها شرائع البشرية الموضوعة ، لقد تجردوا من كل عفة ، وانسلخوا عن كل فضيلة . . كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء التى أحلها الله لهم ، ويجاهرون بذلك فى أنديتهم ، وكأن هذا الفعل القبيح فضيلة يسارعون إليها ، ويتبارون فى التفاخر بها ، وكانوا يقطعون الطريق على الناس ، ويغدرون بالرفيق ، فيجتمعون عليه ويسلبونه ما معه ، ثم يتركونه يبكى حاله ، ويتوجع على ماله .

هكذا كان القوم . . وكأن قلوبهم المريضة لم تبرئها من علتها ما هم منغمسون فيه

---

(١) وكان أول سدوم ببلاد الغور ، متاخمة لجبال بيت المقدس ، وقد حلت محلها — بعد هلاك القوم — بحيرة منتنة . راجع : تفسير ابن كثير . ج ٣ ص ٣٤٤ ط الحلبى .

(٢) راجع قصة لوط — عليه السلام — فى تفسير المنار للشيخ رشيد رضا — رحمه الله — فى سياق تفسير سورة هود ج ٢ ص ١٣٣ ط المنار .

من فاحشة ، ونفوسهم الظامئة لم يروها ما يعيشون فيه من قبح العمل ، وحياتهم الضالة لا يشبعها ما يحيط بهم من منكر وفساد .

ولم تقتصر حياة الفاحشة والمنكر والقبح على أنفسهم فحسب ، بل كانوا يشيعونها بين الناس ويدعونهم إلى اقترافها حتى فشت بذلك المنكرات ، وزادت الموبقات ، وأشربت قلوبهم حب الفاحشة وعشق الفساد .

لوط يرشد قومه : عندئذ أرسل الله إليهم لوطاً ، فدعاهم إلى الله عز وجل ليعبدوه وحده دون اتخاذ شريك له من المخلوقين ، كما دعاهم أن يطيعوه فيما ينهاهم عنه من اقتراف الجرائم ونبذ ما يأتونه من غشيان الذكور ، وقد حكى القرآن دعوة لوط لهم بقوله تعالى : (كذبت قوم لوط المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) الآيات الشعراء .

(ولوطاً[1] إذ قال لقومه : إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر[2]) الآيتان ٢٨ ، ٢٩ : العنكبوت .

هكذا دعاهم أخوهم لوط أن يستقيموا على الجادة والصواب ، وأن يتركوا حياة اللهو والضلال ، ليستقيم حالهم ، وينعموا بالخير والسعادة فى الدنيا ورضوان الله فى الآخرة .

---

(١) وراجع حديثه معهم أيضاً فى هذا الشأن فى سياق الآيتين ٥٤ / ٥٥ : النمل والآيتين ٨٠/٨١ : الأعراف .

(٢) وروى عن أم هانىء — رضى الله عنها — قالت : سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن قوله تعالى : (وتأتون فى ناديكم المنكر) قال : « يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم وذلك المنكر الذى كانوا يفعلونه » رواه أحمد .

لـكن القوم استحبوا الضلالة على الهدى ، وآثروا طريق الغواية على طريق الرشد ، ففى آذانهم وقر ، وعلى عيونهم غشاوة الجهل والانقياد للضـلال ، واندفعوا فى طريق الشر والشهوات ، وتمادوا فى فجورهم ، ومضوا فى طغيانهم ، وأبوا أن يرتدعوا ، ويرجعوا إلى سُبُل الحق والهدى . . لقد بلغ من سوء تقديرهم وعدم المبالاة التى نشأوا عليها أن سولت لهم عقولهم التى أفسدها العبث ، وتحكم فيها الشر أن يخرجوا رسولهم من بين أظهرهم ، وأن ينبذوه من مجتمعهم وقريتهم لا لشىء إلا أنه انتقد مساوئهم ، وعاب قبائحهم ، ودعاهم إلى الطهر والعفة ، وإليك مقالتهم إلى لوط — عليه السلام — (قالوا : لئن لم تنته يا لوط لتـكونَنَّ من المخرجين) الآية ١٦٧ : الشعراء . (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا : أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) الآية ٥٦ : النمل .

لوط يستنصر ربه : لَجَّ القوم فى الجَدل ، وأمعنوا فى المراوغة والزيغ ، تخوَّفهم لوط بأس الله ونقمته ، وحذرهم من عواقب سفههم ولهوهم ، وألح عليهم بالعظات ، وكرر عليهم الإرشادات ، لـكنهم استخفوا بنصـائحه ، وقابلوا تخويفه لهم بالرفض والسخرية ، وتلقوا عظاته بالتهكم والاستكبار وأعلنوا تحديهم له أن يأتيهم بالعذاب إن كان ثمة عذاب سيحل بهم ، وأن ينزل عليهم ما يريد من العقاب إن كان صادقاً فى وعيده . (فمـا كان جواب قومه إلا أن قالوا : إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) الآية ٢٩ : العنكبوت .

عندئذ استيقن لوط كل الاستيقان أنهم لن يذعنوا لما يدعوهم إليه ، وأنه لا سبيل إلى هدايتهم ، ولا جدوى من الاستمرار فى دعوتهم ، ولا خير يرجى منهم ، فتوجه إلى الله سائلاً أن ينصره على هؤلاء المفسدين . طالباً أن ينزل عليهم ما يستحقونه من العقاب ، وماهم جديرون به من العذاب وذلك حتى يستأصل داءهم فلا ينتشر ،ويقضى على جرثومة فسادهم ، فلا تقوى على الحياة لتعيث فى الأرض فساداً ،

قال لوط — عليه السلام — (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) الآية ٣٠ : العنكبوت .

الملائكة وإبراهيم : عندئذ استجاب الله دعاء لوط ، وحقق له ما طلب ، فبعث ملائكته إلى أهل تلك القرية التى أفسدت حياتها ، ودمرت إنسانيتها بمسلكها الشائن ، وخصالها القبيحة ، بعث الله ملائكته إليهم لينزلوا بهم ماهم أهل له من العقاب ، فنزلوا أولا بدار إبراهيم — عليه السلام — على هيئة أضياف ، فجاءهم بما ينبغى أن يقدم للضيف ، لكنه رأى أنه لا قابلية لهم إلى طعام ، وأنهم لا يتناولونه كعادة الضيف حين يأخذ مما يجود به كرم المضيف ، فطمأنته الملائكة ، وأخذوا فى مؤانسته ، ثم ساقوا إليه بشرى إنجابه ولداً من امرأته سارة ، وكانت حاضرة ، فتعجبت من البشرى ، وذلك كما حكى القرآن عنها (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . قالت : يا ويلتى أألدُ وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشىء عجيب . قالوا : أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) الآيات : هود[1] .

سكن قلب إبراهيم وهدأت نفسه من الروع ببشرى الملائكة ، ثم عرف منهم ما أنيط بهم من مهمة سحق قوم لوط ، وتدميرهم ، فروّعه الأمر وحزن للخطب ، فأخبرهم أن لوطاً يقيم بقربة هؤلاء القوم ، وأخذ يجادلهم فى أمر قومه ، ويرجو الملائكة تأخير البلاء عنهم ، وإرجاء وقوع العذاب عليهم .. ولعل الأمل كان يحدوه فى إنابة منهم إلى الله ، وتوبة مما يرتكبونه من آثام ، ويقترفونه من الفواحش . ولعله أيضاً قد أحس بما بينه وبين لوط من صلة رحم ، ووشائج قربى ، فدفعه ذلك إلى أن يطلب من الملائكة المكلفين بإهلاك قوم لوط تأجيل العذاب عليهم ، فقد ظن أنه لامناص فى أن لوطاً سيصيبه ما يصيب القوم من الأذى والمحق ،

---

(١) وراجع الآيات ٥١ ، ٥٥ : الحجر .

وهو المؤمن بالله ، المنكر لما يأتونه من الفواحش الساخطة على ما هم منغمسون فيه من خطايا وذنوب .

ولكن الملائكة أمرته ألا يحزن ولا يفزع ، وأن يترك أمر هؤلاء المسرفين فى العصيان والدنايا والفواحش إلى الله وحده ، فهو عليم بنواياهم فى عدم الإنابة إليه ، خبير بطوايا نفوسهم التى أصرت على انغماسهم فى الفواحش ، واستمساكهم بالباطل وفساد الحال ، كما أنبأته أن لوطاً لن يصيبه مسٌّ من أذى ، أو شىء من عذاب ، وكذلك أهله سيكونون بمنعزل من الدمار ، لكن امرأته فقط هى التى سيصيبها ما يصيب القوم ، فقد رضيت أن تتبع هواهم ، واختارت معهم حياة اللهو والفساد والمنكر .

وإلى القارى الكريم ما دار من حديث بين إبراهيم — عليه السلام — والملائكة كما ورد فى القرآن (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ، قال : إن فيها لوطاً ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها لننجينَّه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) الآيات ٣١ ، ٣٢ العنكبوت . (قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ، إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين ، إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين) الآيات ٥٧ ، ٦٠ : الحجر .

إلى لوط :

ثم ترك الملائكة إبراهيم وساروا إلى أرض سدوم — حيث يقيم لوط — عليه السلام — فدخلوا[1] عليه فى صورة شبان ، قد كسا الجمال وجوههم . . وعلت محياهم نضرة الحسن ، فلما رآهم لوط على هذه الهيئة الجميلة اغتم بأمرهم ، وخشى إن هو استضافهم أن يعلم قومه باستضافته لهم ، فيعترضوا طريقه ، ويحولوا بينه وبين

---

(١) يقال : إن ابنة لوط هى التى قابلتهم وهى تستقى ، فسألوها عن منزل يأويهم ، فأمهلتهم قليلا ثم أتت أباها وأخبرته بأمرهم . وبما هم عليه من نضارة وجمال ، فخرج إليهم لوط . راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٣ .

الوصول إليهم ، فقد نبهوا عليه ألا يأوى إليه ضيفاً أو طارقاً[١] خشية أن يمنعهم من إتيان الفاحشة مع الضيف خاصة .

لوط يجاهد قومه :

ولكن شعوره بالواجب والمروءة والكرم هزه من أعماقه ، فدفعه ذلك إلى أن يخرج إليهم خفية متوارياً عن عيون القوم خشية أن يروه وهو فى طريقه إلى ضيفه ، ثم وصل لوط إلى الملائكة والتقى بهم ، ودعاهم إلى مصاحبته . وبينما هو متقدم نحو بيته لعبت الأفكار المخيفة برأسه ، فضاق بهم ذرعاً) (فلما جاء آل لوط المرسلون ، قال إنكم قوم منكرون) الآيتان ٦١ ، ٦٢ : الحجر[٢] .

لكنه وصل بهم إلى بيته ، حتى إذا وصل إليه علم القوم بعود الملائكة عنده فهموا باقتحام البيت لإتيان المنكر مع ضيفه من الملائكة فأرشدهم لوط إلى تقوى الله ، ودعاهم إلى الكف عن مخازيهم ، وأن يتقوا الله فى ضيفه كما حكى القرآن عنهم ذلك بقوله تعالى (وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون ، واتقوا الله ولا تخزون ، قالوا : أو لم ننهك عن العالمين ، قال[٣] هؤلاء بناتى[٤] إن كنتم فاعلين) الآيات ٦٧ ، ٧١ : الحجر .

---

(١) وذلك كما أشارت الآية الكريمة إلى قولهم (قالوا : أو لم ننهك عن العالمين ؟) الآية ٧٠ : الحجر .

(٢) وراجع الآية ٧٧ : هود .

(٣) وراجع الآية : ٧٨ .

(٤) قيل : أراد بناته من صلبه ، وأنه سمح بتزويجهم بهن بعد امتناع لصرفهم عن أضيافه . وقيل : أراد بنات قومه فى جملتهم لأن النبى فى قومه كالوالد فى عشيرته . راجع تفسير المنار : ج ١٢ ص ١٣٤ فى تفسير سورة هود .

ومع أنه حال بينهم وبين أضيافه ، وأرشدهم إلى الطهر والعفة إلا أنهم لم ينتهوا ، بل ازدادوا تمسكا بما شغفت به نفوسهم الدنيئة ، وتعلقاً بما عزموا عليه من الاستمتاع بالذكران وردوا عليه فى عبارة تكشف عن روح السخرية والفجور التى طبعت عليها نفوسهم (قالوا : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) الآية ٧٩ : هود .

لوط يفقد الأمل فى قومه : فقد لوط الأمل فى إقناع قومه بالكف عما يبتغونه من اعتداء بالفاحشة على أضيافه ، فراح يتلهف على تخليصهم من شر ما يريد قومه ، ويرجو أن يجد قوة تناصره ، وتقف إلى جانبه ، وتقاتل هؤلاء الأشرار المفسدين . . تمنى لوط أن يجد هذه القوة التى ينشدها فى تلك الساعة بفارغ الصبر . لكنه لم يجد هذا التصبر فى لحظة الحرج ، فضاقت به السبل ، وأوصدت أمامه أبواب الرجاء ، وأخذ منه الكرب كل مأخذ ، واشتد به الأمر إلى درجة لا يقوى على احتمالها أشد الرجال صلابة وصبراً وإيماناً . . وعندئذ اشتد كيانه ، وانتفض وصاح فيهم (قال : لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) ؟ ! الآية ٨٠ : هود .

وبينما هو فى محاولاته لصد هؤلاء الغاوين ، ومنعهم من ارتكاب ما يبتغون إذا بهم يقتحمون عليه منزله ويقهرونه ويهجمون على أضيافه لينالوهم قسرا .

عندئذ غشيت لوطاً سحابة من كرب وحزن وأصابه الإعياء والكدر والملل .

الملائكة تنقذ لوطاً : ورأى الملائكة ما أصاب لوطاً من الحزن والهم والوُجْد ، فأسرعوا إلى نجاته ، وكشفوا له عن حقيقتهم ، وخاطبوه معلنين عن العمل الذى أنيط بهم ، والمهمة التى جاءوا من أجلها ، فهدأت نفسه ، وردت إليه سكينته .

ولما ذهب عن لوط الحزن . وانقشعت عن نفسه غياهب الهم والغم أمرته الملائكة

أن يخرج هو وأهله من هذه القرية بطائفة من الليل[1] تكون كافية لتجاوزه حدود منازل القوم ، كما أمره ألا يلتفت هو أو أحد من أهله وراءه لئلا يرى العذاب فيصيبه ، لكنهم استثنوا من الالتفات « امرأته » فإن العذاب واقع عليها ، واللعنة لا بد مصيبها ، فقد كانت امرأة خائنة تساند قوم لوط فى فى كفرهم ، وتشايعهم فى فاحشتهم ، وقد جاء خطاب الملائكة للوط — عليه السلام — كما يلى (قالوا : يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم ، إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب) الآية ٨١ : هود (وقالوا : لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ، إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) الآيتان ٣٣ ، ٣٤ : العنكبوت :

خروج لوط . . وهلاك قومه : خرج لوط — عليه السلام — وأهله وغادر تلك القرية دون أن تحدثه نفسه بأسف على أهلها ، حتى إذا قطع مسافة أبعدته عن ديارهم جاءها أمر الله ، فحل بها عذابه ونزلت على أركانها نقمته ، فزلزلت الأرض بهم زلزالا ، حتى صار عاليها سافلها — كما أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود — أى متراكب بعضه فى إثر بعض ، ويقع طائفة بعد طائفة ، وقد كانت هذه الحجارة مسومة بحيث لا تصيب غير أهلها .

وقد جاء قول الله تعالى فيما نزل على قوم لوط من العذاب (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك

---

(١) جاء تعليل الإسراء بقية من الليل ، لأن موعد عذاب قومه لم يبق له إلا ليلة واحدة ينجو فيها هو وأهله ، فقد تحتم أن يقع العذاب على المعاندين ابتداء من طلوع الشمس حتى انتهاء مشرقها وقد عبرت الآيتين الكريمتين بذلك بقول الله تعالى (فأخذتهم الصيحة مشرقين) الآية ٧٣ : الحجر (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) الآية ٨١ : هود .

وما هى من الظالمين ببعيد) الآيتان ١٢ ، ٨٣ : هود (فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا[1] عليهم حجارة من سجيل) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ : الحجر (وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الآية ٨٤ : الأعراف .

هكذا هلك القوم . . وهكذا فنوا ، وذهب أثرهم ، ودمرت بيوتهم ، وباتت دورهم خاوية ، نخسروا الدنيا وخسروا الآخرة (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الآية ١٧٤ : الشعراء .

أما لوط — عليه السلام — فقد نجاه الله مع أهله المؤمنين به وبدعوته ، وأحاطه بعنايته وحماه برحمته . وذلك كما حكى القرآن عنه قول الله تعالى (ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين . وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين) الآيتان ٧٤ ، ٧٥ : الأنبياء (فنجيناه وأهله أجمعين ، إلا عجوزاً فى الغابرين) الآيتان ١٧٠ ، ١٧١ : الشعراء .

للحديث بقية

سعد صادق محمد

المنفرون

« أيها الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة » .

« حديث شريف » رواه البخارى عن أبى مسعود الأنصارى .

---

(١) راجع الآيات ١٧٢ ، ١٧٤ : الشعراء .

باب الفتاوى

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس .

١ — أرجو الإفادة عن هذا الحديث الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » ما هذه الحدود التى تدرء بالشبهات ؟ .

٢ — وعن تقبيل اليد هل جائز لمن يصح تقبيل يده ؟ .

عبد البصير حسن بنك مصر ـ الفيوم

ج ١ — حديث « ادرءوا الحدود بالشبهات » لا أعرف له أصلا[1] ولكن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاط فى إقامة الحد ، فكان إذا أقر عنده إنسان بالزنا يرده المرة بعد المرة ويقول له : لعلك قبلت أو لمست ، حتى اشترط بعض الفقهاء أن يقر على نفسه أربع مرات لتقوم مقام شهود الزنا .

وكذلك إذا وجدت شبهة فى السرقة فإنها تمنع من القطع كسرقة الولد من أبيه أو أحد أقاربه أو سرقته طعاما فى زمن مجاعة ونحو ذلك .

فالواجب هو التثبت والتحرى حتى لا يقام الحد إلا على مستحقه .

جـ ٢ — وأما تقبيل الأيدى فقد وردت آثار تفيد جواز ذلك ، ولكن بشرط أن لا يصاحب ذلك ذلة ولا خضوع ، وأن يكون صاحب اليد أهلا لذلك بأن يكون داعية إلى التوحيد والسنة معروفا بالصلاح والغيرة على دين الله عز وجل ، وصاحب فقه وورع وأنى لنا بهؤلاء فقد مضى زمنهم وإلى الله الشكوى .

---

(١) قال عنه ابن الديبع الشيبانى فى « تمييز الطيب من الخبيث » : له طرق كلها ضعيفة ، لكن روى ابن أبى شيبة من حديث إبراهيم النخعى عن عمر قال « لأن أخطىء فى ترك الحدود بالشبهات أحب إلىّ من أن أقيمها بالشبهات » وكذا أخرجه ابن حزم فى الاتصال له بسند صحيح .

س – ١ اعلم أيها الشيخ الفاضل أنى اتهم بشتى الاتهامات لأنى لا أقر صلاة الظهر بعد الجمعة : ولذا فانى أرجو من فضيلتكم البيان الشافى المدعم بالأدلة من السنة لأننى اتهمت بأننى متجن على المذهب الذى يجيز صلاة الظهر بعد الجمعة ، وفضيلتكم أعرف منى ومن غيرى بما فى المذهب وغير المذهب .

استاذى الفاضل أنا هنا فى قضاء الحويجة انتظار جوابكم الشافى وفقكم الله .

السيد عشم حمد الدورى

إمام وخطيب جامع الحويجة من لواء كركوك

ج ١ — صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة ضلالة لا أصل لها وهى داخلة فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » فمن وجبت عليه الجمعة من الرجال المقيمين الأصحاء تعين عليه السعى إليها وأداؤها جماعة فى المسجد ، وتعتبر الجمعة هى فرض الوقت بالنسبة إليه ، ويصلى بعدها أربع ركعات من غير الفريضة لقوله عليه السلام « إذا أتى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا » ولا يجوز له أن يصلى ظهرا بعدها فإن الله لم يفرض على العباد فرضين فى وقت واحد ، وليست الصلوات ستا ، هن خمس كل يوم وليلة . وأما من لم يجب عليه السعى إلى الجمعة كالمرأة والمريض والمسافر فهؤلاء يعتبر فرض الوقت بالنسبة إليهم هو الظهر ، ولكنهم إذا شهدوا الجمعة فى المسجد أجزأتهم وسقطت عنهم صلاة الظهر . وأما حديث « الجمعة لمن سبق » وهو الذى يتمسك به المبتدعة فى هذا الباب فهو حديث غير صحيح وإنما تؤثر هذه العبارة عن بعض الأئمة وأظنه الشافعى رحمه الله ولكنه لا يقصد بها ذلك المعنى الذى فهموه وإنما يقصد بها أن فضيلة الجمعة إنما تحصل للسابق فى السعى إليها كما ورد به الحديث[1] والله أعلم .

---

(١) هو حديث « من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة » إلى آخر الحديث .

س ١ — جاء على لسان فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون فى جواب له على سؤال للسيد / على أحمد حجازى بعدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ من مجلة (منبر الإسلام) يسأل عن الذى يقوله بعض أنصار السنة من أنه لا يجوز تلاوة القرآن الكريم فى المساجد قبل صلاة الجمعة ، لأنها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار. فأجاب فضيلة الشيخ الإمام الأكبر بإجابة منها هذه الجملة .

« إلا ما أحدثه المسلمون فيه خير وهو عبادة الله رب العالمين .ولا نقول بمنعه استناداً إلى الحديث أنه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ، لأن البدع المنهى عنها هى ما يكون فيه ضرر للأمة أو مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة » .

لذا نرجوا من فضيلتكم التكرم بإيضاح جملة « إلا ما أحدثه المسلمون فيه خير الخ » ؟

محمد الصغير أحمد على ـ سوهاج

ج ١ — لقد اعترف فضيلة الأستاذ الأكبر فى صدر الفتوى بأن قراءة القرآن فى المسجد بتلك الكيفية التى عليها الناس اليوم أمر محدث ، لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته ولا التابعين بعدهم ، ولا قال به إمام من أئمة المسلمين. وقد حكم الرسول بأن كل محدثة كل بدعة وكل بدعة ضلالة ، والدين هو ما شرعه الله ورسوله ، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما شرع وهو ما أمر به الله ورسوله أمر إيجاب أو استحباب . وما وراء ذلك مما زاده الناس فى العبادات وكيفياتها فهو بدع ليست من دين الله فى شيء . وقد أخبر الله عز وجل أنه أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها نعمته ورضى لها الإسلام ديناً فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، ومن استحسن فقد شرع، والله عز وجل يقول (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) .

ومعلوم أن رفع الصوت فى المسجد ولو بقراءة القرآن غير جائز لما فيه من التشويش على المصلين ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج على أصحابه فيقول لهم « لا يجهر

بعضكم على بعض فى القراءة لا يؤذ أحدكم أخاه » . نسأل الله أن يزيدنا وإخواننا حرصاً على التمسك بالسنة ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه كريم وهاب .

س ١ — تقدم شاب للزواج من ابنتى ، وكان من المترددين على المسجد ويقوم إماماً للمصلين ، وقد تذكرت الحديث القائل : « إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » ولم يكن يملك شيئاً ، فعقدت له عقدة النكاح ، وكتب فى العقد أننى تسلمت مقدم الصداق ، والآن وبعد مضى عام كامل لم يدفع شيئاً ، وهو يعد ويخلف ويختلق للمعاذير ، فطلبت منه تحديد موقفه فأمهلنى لمدة خمسة سنوات ، والآن الفتاة بلغت سن ١٦ عاماً ، فكيف ننتظر إلى أن تبلغ ٢١ عاماً ، فماذا أفعل ؟ .

م . ح . ع بالسد العالى

جـ ١ — ما دمت قد ارتضيته زوجًا لابنتك وعقدت له عليها وكتبت فى العقد أنك قبضت مقدم الصداق فلا حق لك فى مطالبته بشىء ، وتأخره فى الدفع قد يكون عن ضيق ذات يده فلا يدل على انحراف فى سلوكه أو اعوجاج فى خلقه ، والمسألة ترجع إليك ، فإذا كنت ترى منه صحة فى دينه وسلامة فى عقيدته فبادر بإدخال ابنتك عليه فهى زوجته شرعًا الآن ، وله الحق فى أن يضمها إليه ، فاتفق معه على أن يهيىء لها المسكن اللائق ويؤثثه بما يستطيع من أثاث ثم يبنى بها فذلك أفضل من الانتظار الذى لا نتيجة له إلا القيل والقال . والله الموفق .

س ١ — هل يجوز الحلف بالقرآن كقول : وكتابِ الله ، والقرآنِ ؟ .

س ٢ — إذا توضأت ، ثم جُرحت ونزفت دمًا ، وسال الدم على ثيابى . فهل أعيد وضوئى ، وهل أغسل الثياب ؟ .

س ٣ — إذا نسيت صلاة أو نمت عنها ولتكن الظهر مثلا وذهبت إلى المسجد ووجدت رجلا آخر لم يصل الظهر — وكان ذلك فى وقت العصر — فهل يجوز أن نصلى الظهر جماعة ؟ .

س ٤ — هل يجوز صلاة الصبح جماعة بعد شروق الشمس إذا تعذرت صلاتها في ميقاتها ؟ .

س ٥ — إذا صليت ونسيت قراءة شيء من القرآن في الركعة الأولى أو الثانية ، فهل يجوز أن أسجد سجدتي السهو ؟ .

س ٦ — هل تجوز الصلاة وراء مبتدع أو ملحد في أسماء الله ؟ وهل يقبل الله سبحانه وتعالى صلاة وأعمال مثل هذا المبتدع ؟ .

س ٧ — ما هو التفسير الصحيح لقوله تعالى : الرحمن على العرش استوى ؟ .

جابر محمد أحمد شخرور
بسوهاج الثانوية بنين

ج ١ — يجوز الحلف بالقرآن فإنه كلام الله عز وجل ، وكلامه صفة له غير مخلوقة ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بكلمات الله كما يستعيذ بعزته وقدرته ، فالحلف بالقرآن ليس حلفاً بمخلوق ، بل هو كما أجمع السلف رضى الله عنهم كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وقد حكموا بكفر من قال إنه مخلوق .

ج ٢ — إذا توضأت ثم نزف جرحك لا يجب عليك إعادة الوضوء ، فقد كان السلف يصلون في جراحاتهم ، وصلى عمر رضى الله عنه حين طُعن وجرحه يثعب دماً ، بل عليك فقط أن تغسل ما أصاب الدم من ثيابك .

ج ٣ — يجوز لكما أن تصليا الظهر جماعة في وقت العصر إذا كان تأخير الظهر عن نوم أو نسيان ، ثم تصليا العصر بعد ذلك ، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم شغل يوم الخندق عن الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلى بأصحابه الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء .

ج ٤ — لا بأس بصلاة الصبح في جماعة بعد طلوع الشمس لمن ناموا عنها ولم يجدوا من يوقظهم للصلاة ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم نام هو وأصحابه عن صلاة الصبح حتى ضربتهم الشمس ، فأمرهم أن يرتحلوا من ذلك المكان ، ثم أمر بلالاً فأذن وصلى بهم ، ثم قال لهم : « إنه ليس في النوم تفريط ، فمن نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك » .

ج ٥ — كان النبي صلى الله عليه وسلم يواظب على قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة فى الركعتين الأوليين من كل فريضة حتى قال بعض العلماء بوجوب ذلك ، فمن نسى أن يضم شيئاً من القرآن إلى الفاتحة فى الركعة الأولى أو الثانية فعليه أن يسجد للسهو قبل السلام . والله تعالى أعلم .

ج ٦ — لا تجوز الصلاة وراء مبتدع أو ملحد فى أسماء الله عز وجل ، بل يجب هجره واجتنابه ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا حتى ينزع عن بدعته .

ج ٧ — لا تفسير لقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) إلا أنه علا وارتفع[1] ، وكل ما قيل بخلاف ذلك فهو تفسير باطل وتحريف لكلام الله عز وجل .

س ١ — هل تصح إمامة من له طريقة مثلًا : إسماعيلى أو التيجانى أو قادرى ، والكل يفسر الخلاف فى الذكر فقط ، وهل يعتبرون مرتكبين بدعة ، وطبعاً لا تصح الصلاة خلف صاحب بدعة ، والسودان جميعه قائم على الطرق إلاّ القليل ، فكيف الخلاص من الذين فرقوا دينهم . هل تطبق عليهم الآية القرآنية ؟ فيدونا وفقكم الله .

حمد محمد نعمان — النهود سودان

ج ١ — قال الله تعالى من سورة الأنعام : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

وقال بعد ذلك من نفس السورة (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

فكل من اخترع طريقة فى الدين مخالفة للكتاب والسنة ، ودعا الناس إليها فهو مبتدع ضال ، لا تجوز الصلاة خلفه . بل يجب هجره ومفارقته حتى يتوب ويعود إلى التزام الكتاب والسنة . كما لا يجوز غشيان المساجد التى تقام فيها هذه البدع ولا الصلاة فيها فإنها مساجد ضرار يحارب فيها دين الله عز وجل . والله أعلم .

محمد خليل هراس

---

(١) كما فى البخارى فى كتاب التوحيد .

البـــدعة

كما فهمها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فقد جاء فى مجلة منبر الإسلام العدد الخامس — السنة ٢٤ فى باب « أنت تسأل والمفتى يجيب » السؤال الآتى :

من السيد على أحمد حجازى محمد معاون محطة حلوان — يسأل عن الذى يقوله بعض أنصار أهل السنة من أنه لا يجوز تلاوة القرآن الكريم فى المساجد قبل صلاة الجمعة لأنها بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ؟ .

وجاء الجواب من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون كالآتى :

إنه حقيقية لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته أن واحداً منهم كان يتلو القرآن الكريم يوم الجمعة ، وغيره من المصلين ينصتون إليه . .

« ثم جاءت خلاصة الإجابة كالآتى :

إلا أن ما أحدثه المسلمون فيه خير ، وهو عبادة الله رب العالمين ، ولا نقول بدعه استناداً إلى الحديث بأنه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار — لأن البدع المنهى عنها هى ما يكون فيها ضرر للأمة أو مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة .

وهكذا أثبت فضيلة الإمام الأكبر أنه لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو صحابته أن واحداً منهم كان يتلو القرآن الكريم يوم الجمعة وغيره من المصلين ينصتون إليه ، وإذا كان الأمر كذلك فالنص صريح لا يحتمل شيئاً آخر . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى .

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل بدعة ضلالة ، إلا إذا كان فيها ضرر للأمة أو مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة ؟ ؟ ؟ ! ! ! وهو الذى أوتى جوامع الكلم ؟ .

وإذا كانت القراءة بهذه الكيفية — كما فى المساجد العامة الآن — لم تؤثر عن صحابة محمد صلى الله عليه وسلم ، أفليسوا كالنجوم يقتدى ويهتدى بهم ؟ ؟ أليسوا خير القرون بشهادة القرآن الكريم والرسول الأمين ؟ .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالا » .

ترى هل يمكن للقرون المتأخرة أن تأتى فى الدين بخير غاب عن خير القرون ؟ .

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشرع يأتى كلامه غاية فى الإحكام حتى لا يحمل على غير وجهه ، فهو لم يقل مثلا — إياكم ومحدثات الأمور إلا ما كان عبادة لله ، وليس فيه ضرر للأمة ، ولا يخالف أحكام الشريعة الثابتة — ولا شك أن قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد بهذه الكيفية محدثة ، فهى بدعة ، وهى ضلالة .

ويقول عليه الصلاة والسلام « ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويبعدكم عن النار إلا أمرتكم به » الحديث .

وقوله صلى الله عليه وسلم « شيئاً » نكرة فى سياق النفى فهى تعم .

فهل كانت قراءة القرآن يوم الجمعة بصوت مرتفع فى المسجد شيئاً يقربنا من الجنة ويبعدنا عن النار ولم يأمرنا به ؟ ؟ ؟ .

وكيف يحمل قوله صلى الله عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » على البدعة التى يكون فيها ضرر للأمة أو مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة ، كل هذا منهى عنه بنصوص

كثيرة فى الكتاب والسنة ، فإذا قلنا أن البدعة المنهى عنها هى التى تضر الأمة وتخالف الأحكام الثابتة نكون بهذا قد عطلنا فائدة الأحاديث الكثيرة التى تنهى عن البدع .

وقد قال فضيلة الإمام الأكبر فى إجابته :

« ما أحدثه المسلمون فهو خير ما دام يقصد به العبادة » .

وهل تحدث بدعة فى الدين إلا ويقصد بها العبادة وزيادة التقرب إلى الله تعالى ؟ ؟

فهل أحدث الناس الأضرحة فى المساجد وتفننوا فى زخرفتها إلا بقصد تكريم الأولياء والتقرب إلى الله ؟ .

وهل أحدث الناس « الحضرات » وما فيها من صخب ومكاء وتصدية إلا بقصد الذكر والتقرب إلى الله ؟ .

وهل أحدث الناس تقديم القرابين للأضرحة والمقاصير إلا تحت اسم النذر لله والثواب للشيخ ؟ .

وهل أحدث الناس الصوفية بما فيها من ضلال إلا بقصد الزهد والورع وزيادة التقرب إلى الله ؟ .

وهل أحدث الناس الموالد إلا بقصد تكريم الأولياء والتقرب إلى الله ؟ .

وهل أحدث الناس الزيادة فى الأذان إلا بقصد الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقرب بهذا إلى الله ؟ .

وهكذا ما من بدعة إلا وقصد مبتدعوها ومتبعوها التقرب إلى الله . فهل قصد الناس للعبادة والتقرب إلى الله يشفع فى إحداث هذه البدع ؟ ؟ .

إن البدعة عموماً تتضمن الوقوف من التشريع موقف من يفقد فيه النقص وعدم التمام، وهكذا باستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصاً على التقرب إلى الله تعالى . فهل يمكن للقرون المتأخرة أن تأتى بعمل فى الإسلام فيه خير وتقرب إلى الله تعالى غفلت عنه القرون الفاضلة التى قال الله تعالى فيها :

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » الحديث .

ونحن نعلم أن من السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التنفل قبل الجمعة ما لم يخرج الإمام إلا تحية المسجد فإنها تصلى حتى أثناء الخطابة .

عن جابر رضى الله عنه قال : دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال « صليت ؟ » قال : لا ، قال : « فصل ركعتين » رواه الجماعة .

وفى رواية « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » رواه أحمد مسلم وأبو داود .

وفى رواية « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين » متفق عليه .

فالركعتان لمن يدخل المسجد يوم الجمعة سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنع منها حتى الخطبة ، فكيف يتسنى أداء هذه السنة الثابتة ، وقرآن يقرأ بصوت مرتفع ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المصلى يناجى ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن » رواه مالك .

فهل الذى منع جهر البعض على البعض بالقرآن لأن المصلى يناجى ربه لا يمنع الجهر على جميع من فى المسجد ؟ .

إننا أمام أمرين لا ثالث لهما :

إما أن نتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الركعتين ونمنع بدعة الجهر بالقراءة ، وإما أن نتمسك ببدعة القراءة ونترك سنة الركعتين .

فهل نترك البدعة للسنة ، أم نترك السنة للبدعة ؟ .

هذا والعمل لا يسمى عبادة إلا إذا جاء كما يريد المعبود جل شأنه ، هـذه الإرادة وصلتنا عن طريق رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقراءة القرآن عبادة والاستماع إلى القرآن عبادة ، ولـكنها عند ما تأتى على وجه مخصوص وبكيفية لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمر بها ولا أقرها فإنها تخرج من جانب العبادة إلى جانب البدعة ، والبدعة مهما كان ظاهرها التعبد فإنها لا تأتى إلا بالشر ، فبدعة قراءة القرآن بصوت مسموع فى المساجد تقام بل من السامعين بالصياح والصخب ، وطلب الإعادة مما يدخل فى نفس القارىء الغرور ، فيعيد الآية الواحدة من القرآن بقراءات متعددة فينقلب مجلس القرآن وساحة المسجد إلى ما يشبه الحفلة الراقصة ، فكيف يتسنى لمسلم أن يؤدى سنة الركعتين مع ملاحظة « إن فى الصلاة لشغلا ؟ » .

ولقد قال فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، رحمه الله ، فى رسالته « البدعة أسبابها ومضارها » ، « تترتب البدعة أيضاً على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب للمنكر الصريح ، ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعاً — كما يقولون — لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز » .

ولماذا نذهب بعيداً ، لنعد إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف فهموا معنى البدعة ؟ .

لقد توقف أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى جمع القرآن وكتبه فى المصاحف فقد خافوا أن يكون ذلك حدثاً أحدثوه بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، مع ما فى هذا الجمع من نفع عظيم للمسلمين .

ألم يكن جمع القرآن عبادة ؟ .

أكان فى جمع القرآن ضرر للأمة أو مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة ؟ ! ومع ذلك توقفت فى هذا العمل العظيم خير القرون وخشوا أن يكون فيه بدعة ، أتراهم مع ذلك موافقون على بدعة القراءة بهذه الكيفية يوم الجمعة ، أم تراه خيراً غفلوا عنه ؟ .

ولقد قال عبد الله بن مغفل رضى الله عنه : سمعنى أبى وأنا أقول : بسم الله الرحمن الرحيم (يعنى فى الصلاة) فقال يا بنى : إياك والحدث ، فإنى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر ، فلم أسمع أحداً منهم يقولها ، فلا تقلها إذا أنت قرأت (يعنى لا تجهر بها) وقل : الحمد لله رب العالمين » قال : ولم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً أبغض إليه حدثاً فى الإسلام منه . اه .

وهكذا اعتبر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة حدثاً ، فهل يمكن أن نقول لهم : إنها عبادة ، وليس فيها ضرر للأمة أو مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة ؟ .

ولقد فتح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأمصار ، وأقاموا فيها المساجد ، وصلوا فيها الجمعة ولم يفعلوا بدعة القراءة يوم الجمعة بصوت مرتفع والناس يسمعون ، رغم أن الغالبية العظمى من المسلمين من أهل هذه الأمصار حتى بداية فتحها كانوا فى حاجة إلى سماع القرآن وتعلمه .

ولقد قال الإمام محمد بن وضاح : حدثنا أسد عن جرير بن حازم عن الصلت بن برهام ، قال : مر ابن مسعود بامرأة تسبح به (يقصد بالخرز) فقطعه وألقاه ، ثم مر برجل يسبح بحصى فضربه برجله ، ثم قال : لقد جئتم ببدعة ظلماً ، أو لقد فقتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علماً .

لا شك أن التسبيح عبادة ، ألم يكن يشفع عند ابن مسعود أنهم كانوا يسبحون الله تعالى بالخرز والحصى حتى يسميه بدعة وظلما ؟ ، فأى ضرر للأمة فى هذا ؟ وأى مخالفة لأحكام الشريعة الثابتة ؟ .

هكذا فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى البدعة وتجنبوها ، فأولى لأصحاب القرون المتأخرة أن يتبعوا ما كان عليه خير القرون .

هدانا الله وإياكم سواء السبيل .

مصطفى عبد اللطيف درويش
رئيس مأمورية الشهر العقارى بسوهاج

خطبـــة منبرية

الحمد لله فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا . أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شىء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له مافى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، المبعوث رحمة للعالمين ، وهادياً إلى الله بإذنه وإلى صراط مستقيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفورٍ رحيم . ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌّ حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه هو السميع العليم) .

أيها المسلمون : إن الله قد أنزل هذا القرآن شفاء لما فى الصدور من الشهوات والشبهات والهوى والجهل والضلال ، وهدًى ورحمة للمؤمنين ، أنزله ربنا الرحمٰن الرحيم ، يهدى به للتى هى أقوم فى الدين والدنيا والآخرة ، فالدين الحق الصحيح فى كتاب الله تعالى ، وفى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم له ، وهما المنبع الصافى الوحيد للعلم والإيمان والعمل الصالح ، وهما الطريق المستقيم الوحيد للحياة الطيبة السعيدة فى

الدنيا ، والفوز والنجاة فى الآخرة ، وكل من ينتكت طريقهما ، والتمس الهدى فى غيرهما ، فإنه يضل فى دينه ، ويشقى فى دنياه وآخرته ، ويتحتم على كل من أراد لنفسه الهدى والفلاح أن يتلو كتاب الله حق تلاوته ، ويتدبره حق تدبره ، وما حق تلاوته وتدبره إلا بفهمه والعمل بأحكامه ، وتقديمه على كل ما سواه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وقبول ما شرع الله وأنزله فيه ، عن رضى وطيب نفس وانقياد تام ، من غير تحريف ولا تأويل باطل ، مع التسليم بأن ظاهره هو عين باطنه ، وباطنه هو عين ظاهره ، فليس للقرآن باطن يخالف الظاهر ، ولا حقيقة تضاد الشريعة كما يزعم الضالون ، فحذار ثم حذار ألف مرة أن تسمع لهؤلاء الأفاكين فتضل معهم وتشقى فى دنياك وآخرتك ، عافانى الله وإياكم .

يقول ربنا تبارك وتعالى : (إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا) وليس المقصود أن تقول بلسانك ربى الله وكفى ، بل المقصود العمل ، وإخلاصه لله رب العالمين ، وطاعته سبحانه فى كل ما شرع فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه الصلاة والسلام تلا هذه الآية وقال : « قد قالها ناس ثم كفروا ، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها » فما أكثر من يقول بلسانه ربى الله ، ولا يستقيم فى عمله لله ، وما أكثر من يقولها ولا يخلص فى عمله لله ، وما أكثر من يقولها وقلبه موزع مشتت بين مئات الطواغيت من الموتى والأحياء ، وما أكثر من يقولها وهو يقدم مرضاة الناس على مرضاة الله ، قال خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضى الله عنه : إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً ، ولم يلتفتوا إلى إله غيره بدعاء أو رجاء أو خوف . وقال الخليفة الثانى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : هم الذين استقاموا فى طاعة الله ، ولم يروغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هم الذين أدوا الفرائض وأخلصوا لله الدين والعمل ، وكان الحسن البصرى يقول : اللهم أنت ربنا ، فارزقنا الاستقامة . وروى أن رجلا قال :قل لى يا رسول الله : فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك ،

فقال له : « قل : آمنت بالله ثم استقم ». والاستقامة فعل الواجبات وترك المنهيات ، وإخلاص الدين والعمل لله وحد لا شريك له .

ثم يقول ربنا (تتنزل عليهم الملائكة ، ألاّ تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) .

ذكر بعض المفسرين أن الملائكة تنزل على المؤمن عند موته ، قائلين له : لا تخف مما تَقَدَّم عليه من أمر الآخرة ، ولا تحزن على ما خلفت من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال ، أو دَيْن فإنا نخلفك فيه ، ثم يبشرونه بالجنة التي وعدها الله المؤمنين ، فيفرح المؤمن ويطمئن قلبه ، وتستريح نفسه ، ويقبل على الآخرة فرحاً مسروراً مستبشراً ، وروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة تقول لروح المؤمن : اخرجى أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنتِ تعمرينه ، أخرجى إلى رَوْح وريحان ، ورب غير غضبان » . وقيل : إن الملائكة تنزل على المؤمن يوم خروجه من القبر فيتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا ، فيقولان له : لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة ، فيؤمِّن الله خوفه ويقر عينه ، فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيامة إلا وهى للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ، ولما كان يعمل فى الدنيا . وقيل إنهم يبشرونه عند موته وفى قبره وحين يبعث ، وهذا القول هو أحسن الأقوال وأجمعها لكل ما قيل ، وهو أصحها لأنه مطابق للآية التي بعدها .

إن المؤمن لم يبلغ هذه الدرجة الرفيعة والمنزلة العالية والكرامة العظيمة عند الله حتى يُنَزِّل عليه ملائكة الرحمة تطمئنه وتبشره إلا بالإيمان والطاعة والثبات والاستقامة عليهما حتى يلقى الله ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاب الذى ينشأ فى طاعة الله ، فى االسبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، جعلنى الله وإياكم منهم .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى فى تمام بشارة الملائكة للمؤمنين : (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون .

نزلاً من غفور رحيم) تقول الملائكة للمؤمن عند موته وفى قبره يوم يبعث : نحن أولياؤك فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، فقد كنا أولياءك فى الدنيا بحفظك ، وطرد الشيطان عنك وتطهير قلبك من وساوسه ونزغاته ، وتثبيتك على الطاعة ولزوم الأمر وعمل الصالحات ، ونحثك على فعل الخيرات ومكارم الأخلاق ، ونكون أولياءك فى القبر نؤنسك ونهيىء لك فيه أهلاً خيراً من أهلك وداراً خيراً من دارك ، ونثبتك ونسددك فى سؤال القبر ، ونكون أولياءك حين تبعث حتى نأخذ بيدك وندخلك الجنة بأمر الله ، فما أعظمها من بشارة ، وما أكرمها من حفاوة ، وما أجلها من نعمة يتفضل بها الرب التواب الرحيم على عبده المؤمن الذى صدق وأخلص دينه وقلبه وعمله لله رب العالمين ، ولم يتخذ من دونه ولياً ولا شفيعاً ولا شريكا يدعوه أو يسأله و يرجوه . ثم تقول الملائكة للمؤمن بعد أن يدخل الجنة : إن لك فيها ما تشتهى نفسك وما تطلب وما تختار من صنوف النعيم وألوان السعادة والسرور ، فأى شيء منها طلبت أو اخترت أو حتى خطر على بالك وجدته مهيأ حاضراً بين يديك خيراً مما اشتهيت وطلبت ، عطاء وإنعاماً من رب غفور رحيم ، رحمك الله ولطف بك وستر عيبك ، وغفر ذنبك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن إذا حُضِر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه ، فليس شيء أَحَبَّ إليه من أن يكون قد لقِيَ الله تعالى ، فأحب الله لقاءه ، وإن الفاجر إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله ، فكره الله لقاءه » .

ثم قال الله تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إننى من المسلمين ؟) .

ليس أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ، ولا أحد أحسن عملاً ممن عمل الصالحات ، ولا أحد أحسن ديناً ممن اتبع دين الإسلام . إن هذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من الكمال ، وأعلا ما يبلغه البشر من كريم الخصال ، وأسمى ما يدركه

ابن آدم من جميل الفعال . روى أن الحسن البصرى تلا هذه الآية ثم قال : هذا حبيب الله ، هذا ولى الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً فى إجابته ، وقال إننى من المسلمين ، هذا خليفة الله ، ذلك لأنه دعا عباد الله إلى الله ، وهو فى نفسه مهتد بما يقول ، فنفعه لنفسه ولغيره ، إنه ليس من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل هو يأمر بالخير ويأتمر به ، ورسل الله وأنبياؤه هم أولى الناس بهذه الصفات الكريمة ، ثم هى لمن بعدهم من خلفائهم وأصحابهم وأبنائهم الذين ساروا على أقدامهم واتبعوا سبيلهم ، ونهجوا على طريقهم ، فجاهدوا فى الله حق جهاده ، وحملوا رسالات رسلهم ، وهدى أنبيائهم إلى الناس . وذهب كثير من المفسرين إلى أن الآية خاصة بالمؤذنين الصالحاء ، وذلك لما ورد فى الأحاديث النبوية من فضل التأذين وفضائل المؤذنين ، والصحيح أن الآية عامة فى المؤذنين وفى غيرهم ممن يتصف بالصفات التى ذكرتها الآية ، خصوصاً إذا علمنا أن الآية مكية ، ولم يكن الأذان مشروعاً بمكة ، فإنه إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة .

ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) ما أعظم الفرق بين الحسنة والسيئة إن الله سبحانه وتعالى يحب الحسنة ويحب المحسنين ، ويكره السيئة ويمقت المسيئين . إن الحسنة تجمع النفوس وتؤلف بين القلوب ، وتزرع المودة والمحبة بين الناس . أما السيئة فإنها تفرق بين الناس ، وتزرع العداوة والحقد والبغضاء فى القلوب ، والحسنة تهدى إلى الجنة ، والسيئة تقود إلى النار ، فما أبعد الفرق بينهما وبين نتائجهما . ثم أمرنا الله أن لا نقابل الإساءة بمثلها بل ندفعها بالتى هى أحسن ، فلا يكفى أن تعرض عن المسىء إليك ولكن تحسن إليه بالقول والعمل لتنال الدرجات العالية عند الله . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . فإذا فعلت ذلك حول الله هذا العدو المسىء إليك إلى صديق حميم يحبك ويحسن إليك .

ثم قال تعـالى : (وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) لا يقبل هذه الوصايا ويعمل بها إلا ذو نصيب وافر من الإيمان والتقوى ، وعلى جانب كبير من الصبر ومكارم الإخلاق لأن ذلك ممـا يشق على النفوس . إذ من ذا الذى يستطيع أن يكبح جماح نفسه ، ويمسكها عن الأنفة والاعتزاز ، ويرد رغبتها فى فى الانتقام ويقهرها على الصبر ومقابلة الإساءة بالإحسان ، إنه لا يفعل ذلك إلا من يؤثر طاعة الله ورضوانه على طاعة الشيطان وهوى النفس . قال ابن عباس رضى الله عنهما : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك ، عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم .

ثم قال تعالى بعد ذلك : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه هو السميع العليم) يوسوس الشيطان ليوقع العداوة والبغضاء بين النـاس ، فيقول لك : ـ مثلا ـ إذا سكت على هذه الإهانة فإنه سيتمادى إلى أكثر منها ، إن الناس سينظرون إليك شذرا ، إنهم سيرمونك بالضعف والجبن ، إنهم سيحتقرونك .فإذا استمعت إلى نزغه ووسوسته عصيت ربك وحرمت نفسك من خير كثير ، فلا تنصت إليه ولا تتبع إغواءه بل استعذ بالله منه ، موقنا أنه سبحانه يسمع كل كلمة تقولها ، ويعلم علانيتك وسريرتك وهو معك يؤيدك بنصره إذا أطعته وقابلت الاساءة بالإحسان . قد يلين شيطان الإنس بالعفو والإحسان ، أما شيطان الجن فلا حيلة فيه إلا بالاستعاذة بالله واللجأ إليه ، فإن فعلت ذلك حفظك الله منه ورد كيده عنك وكف أذاه منك . ولهذه الآية نظائر فى القرآن ، كقوله تعـالى : (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) وقوله تعـالى : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى

رجلا يغلي من الغضب : « إذا قال هذا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه مابه من الغضب »

أيها المسلمون : أنزل الله كتابه الكريم ليخرجنا به من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان ، ومن الأعمال والأخلاق السيئة إلى الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة ، ومن العداوة والتفرق إلى التعاون على البر والتقوى فاستمسكوا بكتاب ربكم واعتصموا بحبله واتبعوا مواعظه ووصاياه تكونوا من المفلحين .

اللهم إنا نسألك أن توفقنا إلى ذلك ، كما نسألك الهدى والعفاف والتقى ، ونعوذ بك من الشيطان ، ومن الفواحش ما ظهر منها وما بطن . وصلى الله وسلم بارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سليمان رشاد محمد

جماعة غرباء أهل الحديث

بباكستان

جاءنا ما يلي :

توفي إلى رحمة الله تعالى بباكستان فضيلة العلامة الشيخ عبد الستار الدهلوى رئيس الجماعة في يوم الاثنين ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ الموافق ٢٩ من أغسطس سنة ١٩٦٦ م .

وبعد وفاته اختارت اللجنة التنفيذية والشعب الباكستاني الشيخ الحاج عبد الغفار السلفي رئيساً للجماعة باتفاق الآراء ، وهو عالم جليل ، تقي صالح . ندعوا الله أن يوفقه لخدمة الإسلام .

وقد درس الشيخ عبد الستار — رحمه الله — العلوم الدينية ، فنشأ شيخاً جليلا ، واشتغل بالإرشاد والمواعظ الدينية ، ومكث رئيساً لجماعة غرباء أهل الحديث مدة خمسة وثلاثين عاماً .

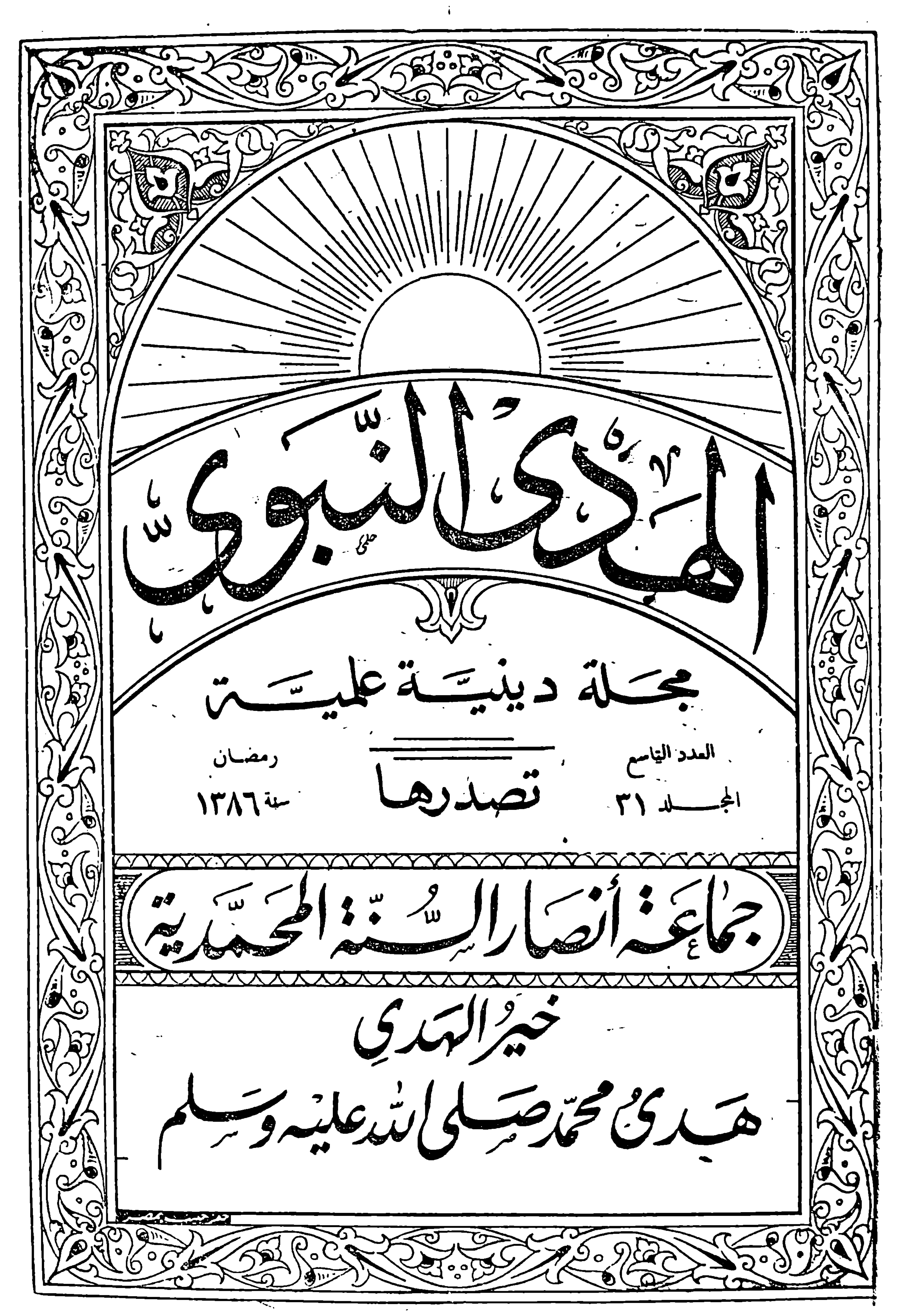
غفر الله له وجعل مأواه الجنة ، آمين .

عبد القهار السلفي
الأمين العام للجماعة ، كراتشي — باكستان

مطبعة السنة المحمدية

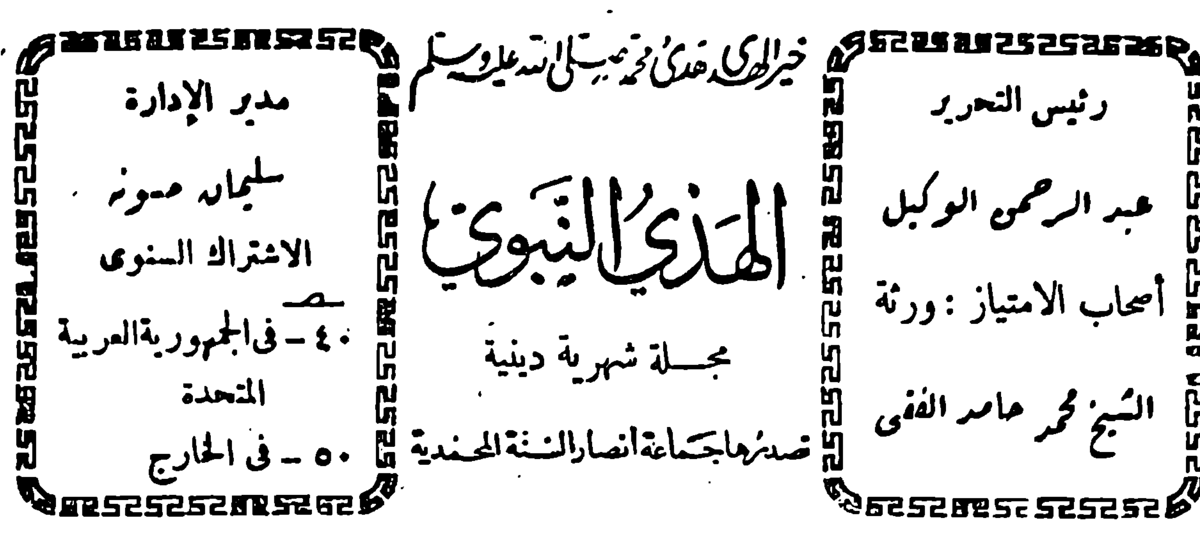
شارع شريف باشا الكبير

الثمن ٣٠ مليما



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد التاسع
المجلد ٣١
تصدرها
رمضان
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهـرس



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـدد ٩ رمضان سنة ١٣٨٦ المجـلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : جل ذكره : (واذكُرْ فى الكتابِ إبراهيمَ إنه كان صِدِّيقاً نَبيًّا . إِذْ قال لأبيهِ : يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسْمَعُ ، ولا يُبْصِرُ ، ولا يُغْنِى عنك شَيْئاً . يا أبَتِ إنى قد جاءنى من العلمِ ما لم يأتك ، فاتبِعْنِى أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا . يا أَبَتِ لا تعبُدِ الشيطان إنَّ الشيطان كانَ للرحْمٰنِ عَصِيًّا . يا أَبَتِ إنى أخافُ أن يَمَسَّكَ عذابٌ من الرَّحْمٰنِ ، فتكون للشيطان ولياً) مريم ٤١ — ٤٥

معـــانى المفردات

اذكر : الذكر : الشرف والفَخر ، وكل قول يقال له : ذكر .

صِدِّيقاً : الصِّدْق : مطابقة القول الضميرَ والمخبرَ عنه حقًّا ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا . والصـديق : مَن كثر منه الصدق ، وقيل : بل يقال لمن لا يكذب قط ، وقيل : بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصـدق . وقيل : لمن صدق بقوله واعتقاده ، وحقق صدقَه بفعله .

أَبَتِ : الأب : الوالد . ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره : أباً ، ويُسَمى العم مع الأب : أبوين ، وكذلك الأم مع الأب ، وكذلك الجد مع الأب .

والتاء عوض عن ياء الإضافة[1] ، ولهذا يقال : يا أبتا ، ولا يقال : يا أبتى ، وإنما تذكر للاستعطاف .

شيئاً : تقال على كل ما يصح أن يُعْلَم ، ويُخْبَر عنه ، ولهذا كانت أعم كلمة في اللغة العربية .

صراطاً : الطريق المستقيم المستسهل . أصله : من سرطت الطعام وزردته . تُصُوِّر أنه يبتلعه سالكه ، أو يبتلع سالكه .

سَوِيًّا : السوى : يقال فيما يصان عن الإفراط والتفريط من حيث القدر والكيفية . : فالصراط السوى : المستوى المعتدل الذى لا إفراط فيه ولا تفريط ، ولا شذوذ فيه .

المعـــنى

يقول سبحانه : (وكُلاً نَقُصُّ عليك من أنباء الرسل ما نُثَبِّتُ به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحقُّ وموعظةٌ وذِكْرَى المؤمنين) هود : ١٢٠ .

بهذه الآية نهتدى إلى الحكمة التى بين الله من قصص القرآن ، إنها تثبت فؤاد خاتم النبيين ؛ ليستقيم على الدعوة كما أمر الله ؛ وليصمد لأولئك الذين ينقمون منه الدعوةَ إلى الله، فى المعركة التى يخوضها الباطل الحقود ، ضد الحق الوَدُود ، حتى يشرق النصر الأكبر ، وتصير كلمة الله هى العليا .

وفى قصة إبراهيم المثلُ الأعلى للفتى القوى المؤمن المعتز بالله الذى ترجف من حوله

---

(١) دارت حولها آراء كثيرة . وحسبنا ما ذكرت .

الدنيا بالهول ، وتضطرم بنيران الحقد ، وعلى فمه ابتسامة تشع من روحه المؤمنة لتقول لأعدائه : إنه مع لله وحده ، والله مع أوليائه .

وفى قصته أيضاً المثل الأعلى للبُنُوَّة البارة التى تبذل كل ما تملك فى سبيل تحقيق الخير للأب الشَّرُودِ الآبق عن دعوة الحق النبيل .

وفى قصته أيضًا يتجلى هذا الصمود القوى الذى لا ينال منه بغىُ طاغ ولا وعيد عاتية ظلُوم .

هذا بعض ما فى قصة إبراهيم الخليل — صلوات الله وسلامه عليه — الذى لم يصف القرآن سواه بأنه لله خليل .

ولقد أمر الله سبحانه النبى — صلى الله عليه وسلم — بذكر إبراهيم فى الكتاب تشريفاً لإبراهيم ، وليكون من ذكره الموعظة الحسنة للرسل وأتباع الرسل ، وحسب إبراهيم سمو مكانة ، وبقاء ذكر شريف على الدنيا أن الله أمر بذكره فى أعظم كتبه .

وقد وصف الله إبراهيم هنا بأهم صفتين بهما استحق أن يُذْكر فى القرآن ، وأن يأمر الله بذكره فى القرآن . الصفة الأولى الصِّدِّيق ، أى الرجل الذى صارت كل حياته للصدق . صدق القول ، وصدق العمل ، وصدق العقيدة ، وصدق الشعور ، وتصديق ظاهره لباطنه ، وباطنه لظاهره ، إنه فى سلوكه وقوله وخلقه واعتقاده تعبير كاملٌ حَىٌّ عظيم عن الصدق فى أشرف وأسمى معانيه .

وأهمُّ صفات الصِّدِّيق ، أن يكون صادقاً مع الله ، ومع الناس ، ومع نفسه ، وأن يصير هذا له خلقاً لازمًا . والصادق بهذا المعنى لا تجد فى حياته تناقضاً ، ولا تجد بين قوله وعمله واعتقاده سوى التطابق التام الذى يؤكد أنه يقول ويعمل بما يعتقده ، وهو اعتقاد صادق لا تمس كِذْبةٌ ما قُدْسَه الطهور ، تغنيك كلمته عن البحث فى حقيقته ، لأنه بالكلمة التى يقولها يعطيك حقيقته ، ويبين لك عن باطنه وظاهره لأن كلمته تنبع عن الصدق الذى هو مبتدأ حياته ومنتهاها . وصفة الصديق صفة اكتسابية ، يكسبها صاحبها بجهاده القوى المتين .

أما الصفة الأخرى فهى صفة وَهْبِية ، وهبها له الله ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهى صفة النبوة . ولعلها من جزاء الصفة الأولى مع فضل من الله سبحانه ، وقد تكلمت من قبل عن النبوة والرسالة .

والصديقية من صفات النبوة ، إذ لا يُعْقل أن يكون النبى إلا صديقاً ، فكل نبى صِدِّيق ، وليس كل صديق نبياً . والصديق بصيغتها هذه ، أى بكسر الصاد وتشديد الدال تدل على المبالغة فى الوصف بصفة الصدق ، فهو صاحبها لا ينفك عنها ، بل إنه ليبالغ — فى غير زهو ولا خيلاء — فى صدقه . بل أقول : إنه لو أراد أن يكذب فلن يستطيع ، كأنما أصبح الصدق له جِبِلّة وفطرة .

الموصوفون بالصدِّيقية : وقد وصف الله سبحانه بعض عباده بصفة الصديقية .

فقال — سبحانه — واذكُر فى الكتاب إدريسَ إنه كان صدِّيقًا نبيًّا) مريم : ٥٦ . (إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات ، وأقرضوا الله قَرْضًا حسنًا يُضَاعَفُ لهم ، ولهم أجر كريم . والذين آمنوا بالله ورُسُلِه أولٰئك هم الصِّدِّيقون . والشهداء عند رَبِّهِمْ ، لهم أجرُهم ونورُهم ، والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا أُولٰئك أصحابُ الجحيم) الحديد : ١٩ (ومَنْ يُطِـع الله والرسولَ ، فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً) النساء ٦٩ (ما المسيح ابن مَرْيَمَ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ ، وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ) المائدة : ٧٢ .

وبهذا التذكير بالذكر الحكيم نعلم أنه وصف بها الرسل وغير الرسل : وصف بها إبراهيم ، وإدريس ، ويوسف ، ثم وصف بها الذين آمنوا بالله ورسله .

على أنا نلحظ أن القرآن أتى بكلمة الصديقين لتدل على فريق من أوليائه غير رسله . وعد معهم النبيين والشهداء والصالحين . وما وجدنا القرآن يأتى بسبب به يستحق الإنسان هذه الصفة سوى كثرة التصدق ، وإقراض الله قرضاً حسنًا ، والإيمان بالله ورسله . بهذا يستحق الإنسان أن يوصف بالصديقية ، وأن يكون صِدِّيقاً .

على أنى أذكِّرُ بأنه لم توصف امرأة فى القرآن بهذه الصفة سوى مريم أم المسيح ، وأكرم بها من صفة وُصفتْ بها أم طهور بهتهـا اليهود بأسوء ما تُبهت به المرأةَ الشريفة المؤمنة ، ومع ذلك تحنو الصليبية على من بهتوا أم إلههم بالزنا ! ! تحنو على اليهود وتعينهم على مَن وصف كتابُهم أمَّ عيسى بأنها صديقة .

الذين أمر الله بذكرهم فى الكتاب : وقد أمر الله سبحانه بذكر بعض رسله وأنبيائه فى الكتاب ، وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وموسى وإدريس ، وهود وأيوب ، وداود واليسع وذو الكِفل ، كما أمر بذكر مريم ، وقد جاء القرآن بالأمر بذكرهم ، وجاء بعده بأهم الصفات التى يتصف بها أُولئك الذين أمر الله بذكرهم ، وإليك هذه الآيات .

(واذكُرْ فى الكتابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ من أهلها مكاناً شَرْقياً) مريم : ١٦ .

(واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صِدِّيقاً نبيا) مريم : ٤١ .

(واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مُخْلَصاً وكان رسولا نبيا) مريم : ٥١ .

(واذكر فى الكتاب إسماعيلَ إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهلَه بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مَرْضيًّا) مريم : ٥٤ ، ٥٥ .

(واذكُرْ فى الكتابِ إدريسَ إنه كان صِدِّيقاً نبيا) مريم : ٥٦ .

(واذكر عبدنا داودَ ذا الأَيْدِ إنه أوَّاب) ص ١٧ .

(واذكر عبدنا أيوب إذ نادى رَبَّهُ أنى مَسَّنِيَ الشيطان بنُصْبٍ وعَذاب)ص ٤١

(واذكر عبادنا إبراهيمَ وإسْحَاقَ ويعقوبَ أُولى الأَيْدِى والأبصار)ص : ٤٥ .

(واذكُرْ إسماعيلَ والْيَسَعَ وذا الكِفْلِ ، وَكُلٌّ من الأخْيَار)ص : ٤٨ .

(واذكر أخا عاد إذ أنذرَ قومه بالأحقاف) الأحقاف : ٢١ .

على أن القرآن ذكر غير هؤلاء من النبيين والرسل ، غير أنه جاء بالأمر بذكر

أولئك صراحة ليهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر قصصهم أكثر مما يهتم بقصص غيرهم . لأن العبرة فيها أشمل أو أبرز .

(إذ قال لأبيه : يا أبت لم تعبدُ ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا) . أما أبوه فهو آزر كما بين القرآن لا تارح كما ذكرت الكتب القديمة التى عبثت بها الأهواء .

و إن تعجب فعجب هنا أن يزعم بعض المفسرين أن آزر صفة أو اسم عمه ، يقترف هذا ليوافق كتب اليهود والنصارى التى ذكرت أن اسم والد إبراهيم هو « تارح » لا آزر كما أكد بيان القرآن . وقد جاء إبراهيم بقوله « يا أبت » قبل كل شىء ليستميل قلب أبيه إليه ، إذ ناداه بالصفة التى يستحق بها إبراهيم أن ينال سمع أبيه وقلبه وبالصفة التى تفرض على آزر خصائصها ، وهى الحنان والرحمة والعناية بالإبن .

وجاء بالنهى فى صورة الاستفهام تلطفاً مع أبيه ، فالاستفهام فيه احترام لمن تتوجه إليه به ، ودعوة له ليشاركك الرأى فيما تتكلم به . أما النهى ففيه استِعْلَاء . . ولكلٍّ مقامُه ، وقد نفى إبراهيم أهم صفتين بهما يحق للعابد أن يدافع عن معبوده وأن يلجأ إليه . فالعابد يضرع ويدعو ويبتهل بالذكر ، وكل هذا يتوجه به إلى رب يوقن أنه يسمع الضراعة والدعاء والذكر .

والعابد يتراءى بما أضره ، ويظهر على جسمه أثر ضره ، ثم هو فى مكان ما من دنياه ، وهو فى كل هذا يوقن أن ربه يراه ، العابد فى حاجة إلى سمع ربه ليسمعه ، وفى حاجة إلى بصر ربه ليراه ، ولولا يقينه أن ربه يسمع ويبصر ما عبده ، أو ما توجه إليه بدعاء أو خشوع فى صلاة ! ! وكيف يدعو أصم ، ويستجير بمن لا يراه ولا يرى مكانه من الوجود ؟ ؟ .

وهاتان الصفتان اللتان نفاهما إبراهيم عن الآلهة التى كان يعبدها أبوه يَثْبُتان بهذا النفى لله سبحانه . أعنى أن هذا النفى يؤكد إيمان إبراهيم بأن الله له سمع ، وله بصر

ولم يجادله الوالد فيما نفاه عن آلهته ، بل لم يجادله قومُه ، إذ نكسوا على رءوسهم . وقالوا : (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) . فأين هذا من مكابرة مشركى اليوم الذى يقسمون بكل يمين أن الموتى يسمعون ويبصرون ويتكلمون .

أو أن العظام النخرة تسمع وترى وتتكلم .

أو أن الحجارة الصُّم لها سمع وبصر وكلام ! ! .

ثم جاء إبراهيم بالنفى الشامل فقال (ولا يغنى عنك شيئاً) إن هذه تستوجب أنه لا يسمع ولا يبصر ، ولكن اهتم بذكر نفى السمع والبصر ، أو لا ليدك قواعد الطاغوت دكة قوية ترجف بها قوائمه ، وفرائصه وقبابه وأضرحته .

ثم جاء بما هو لازم لنفى السمع والبصر ولغيره ، وهو نفى غناء شيئاً عنه نفى أية منفعة له (يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأْتِكَ) تدبر تكرار يا أبت وفكر وصوِّر إبراهيمَ الفتى النبيل البار القوى الثقة فى الله الشديد الحب لأبيه .

صور حال إبراهيم وانظر كيف تراه فى بره هذا ، إذ يستفتح كل قول بقوله : « يا أبت » ألا يثير فى نفسك وعينك الدموع ؟ .

ثم تدبر أدبَه العظيم إذ يصف أباه فى الجهل . أنت لا تشك فى أن قولك لإنسان : أنت لا تعلم أقل وقعاً ومرارة من قولك له : أنت تجهل ثم هو لم ينف عنه العلم كلية ، ولم يصفه بالجهل العام ، إنما أثبت أنه قد جاءه من العلم ما لم يأت أباه . نوعٌ من العلم . لا كل العلم . ثم قوله : « جاءنى » بدلاً من علمت ، فيه برٌّ بالأب واحترام له ، وكسر لسورة الغضب من أبيه حين يظن التعالى فى إبراهيم ، وإيحاء قوى بأنه لا يتكلم إلا عن علم أتاه لا عن شىء اخترعه . أمور متعددة تظهر ذكاءه وزكاته وأريحيته العاطفة وسماحة الشعور وبر البنوة وفطنتها وحكمته الداعية الذى يحرص على هداية من يدعوه ، تظهر كل هذا وأسمى منه عند إبراهيم — عليه السلام —

« جاءنى » وهذه تنفى عن إبراهيم صفة التعالى بعلمه ، لأنه جاءه العلم من عند

غيره . وقوله « من العلم » لا تثير فى نفس الوالد شعوراً بأن ابنه يحقره .

مع عدم التصريح بوصف أبيه بالجهل الذى يقتضيه نفى العلم عنه .

(فاتبعنى أهدك صراطاً سويا) هذا القوة والصراحة التى لا يصح أن ينال من وضوحها شىء ما من ملاطفة أو مداهنة . هنا أمر الرسالة والنُّبوة ، وهو لا يتعلق تعلق الشىء بمالكه ، وإنما يتعلق به تعلق الأمانة بمن فُرض عليه أداءها ، فيؤديها كما أُمِر . لم يقل : هَلاَّ اتبعتنى . بل قال : اتبعنى ؛ لأن الأمر هنا يحتاج إلى ذكر الأمر صراحة . أى إلى أن يتوجه إليه بالأمر مباشرة ؛ فهكذا أُمِر من الله ، وهكذا يجب أن يكون البلاغ .

والهداية هنا البيان الذى يكتبه الله لأنبيائه . أما الهداية التى نفاها الله عن محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله سبحانه : (إنك لا تهدى مَنْ أحببت) فهى غير الهداية المثبتة . الهداية المنفية هى التوفيق ، هى الاتباع ، فهذه لا يقدر عليها أحد غير الله . أما الهداية بمعنى البيان فهذه أثبتها الله سبحانه لأنبيائه وأوليائه (وجعلنا منهم أئمة يَهْدُون بأمرنا) السجدة : ٢٤ (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) الشورى : ٥٢ (ومِنْ قَوْمِ موسى أمةٌ يَهْدُون بالحق وبه يَعْدِلون) الأعراف ١٥٩ .

(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات) الأنبياء : ٧٣ .

(وممَّن خلقنا أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون) ١٨١ : الأعراف . بهذا المعنى ذكر إبراهيم الهداية لأبيه . ولو قارنا بين بداية الآية ونهايتها لوجدنا بدايتها تدل على بُنُوَّة ، ونهايتها تدل على نُبُوَّة . فى بدايتها ، حنان واستعطاف وتلطف ، وفى نهايتها قوة وصراحة وأمر جازم لا يقبل ترددا فى طاعته والانصياع له .. بدايتها ابنٌ يتكلم وفى نهايتها نبى يدعو بأمر الله . فلا يكون إلا صريحاً بيِّن الصراحة ،

واضحاً مشرق الوضوح ، قوياً عزيز القوة لا تحنو على مُداهنة ، ولا تميل إلى استخذاء، والآية توجب على المسلم ألا يقتدى فى دينه إلا بنبيه وألا يأخذ فى دينه إلا بما أوحى الله .

فإبراهيم لم يطلب ـ بأمر الله ـ من أبيه اتباعه إلا لأنه يعلم من أمر الدين بالوحى ما لا يعلم أبوه . أو بمعنى آخر إلا لأنه يوحىٰ إليه .

وتؤكد الآية أن الصراط السوى فى الدين هو صراط الوحى ، صراط الله سبحانه ، وأنه ليس لله إلا صراط واحد لا صراط متباينة « بدوية أو رفاعية أو نقشبندية » وسواها مما ابتدع سدنة الشيطان وعَبَدُ الطاغوت .

« يا أبت لا تعبد الشيطان » أكان أبوه يعترف للشيطان بالربوبية والألوهية ؟ أكان يقول بلسانه عن الشيطان إنه إله ، على حين أنه لا يوجد إلا مَنْ يلعن الشيطان بلسانه ؟ إنما كان أبوه طَيِّعاً للشيطان فيما وسوس به إليه ، وأوحاه إليه وزينه له من عبادة الأصنام .

فأطاعه فى الشرك والكفر ، وعصى الله فى التوحيد والإيمان . وبهذا استحق أن يُنْعَت بأنه عابد للشيطان . وجاء قول إبراهيم مؤكداً لأبيه أن لا يعبد إلهاً ولا صنماً ، وإنما هو فى الحقيقة يعبد شيطاناً لأنه أذعن لهوى الشيطان . فهل يعتبر أولئك الذين يطيعون الشيوخ بمعصية الله ، ويسمعون للشيوخ ويسدون آذانهم وقلوبهم عن وحى الله ؟ . هذا هو والد إبراهيم لم تنفعه أبوته لخليل الرحمن ، ويُنْعَت بأنه عابد للشيطان دون أن يقول عنه إنه رب أو إله . فهل يتعظ مرة أخرى أولئك الذين يزعمون أن المشركين ما كانوا مشركين إلا لأنهم كانوا يسمون أصنامهم آلهة . أما هم ، فيسمونهم أولياء ! ! كأنما الشرك وَقْفٌ على من يُسَمِّى ، ولا يُنْعَت به من رضخ الشركُ قلبَه ! ! . ولم يقل إبراهيم : لا تطع الشيطان ، ليصدعَ بالحق فى جَهْر صوته ودعوته واستعلاء سلطانه ، وليبين لأبيه ولمن هم على شاكلته أن مطيع الشيطان

فى الـكفر والشرك إنما هو عابد للشيطان ، وأن طاعة الشيطان فى هذا عبادة . بل طاعته فى المعصية مع السرور بطاعته هى أيضاً عبادة له .

(إن الشيطانَ كان للرحمن عَصِيًّا) هذا بيان لسبب النهى . وعصى: تفيد ملازمته للمعصية حتى صارت وكأنما هى جبلته التى عنها يصدر سلوكُه .

والإتيان فى أول الآية بالعبادة ، وفى آخرها بالعصيان يؤكد أن مفهوم طاعة المرء للشيطان هو نفس مفهوم العبادة له .

والذى يقرأ اسم الله « الرحمن » ويذكر معصية الشيطان له يدرك دناءة المعصية وسفاهتها ووقاحتها وجحودها ، فهى معصية لله الموصوف بأوسع صفاته التى بهـا يرحم حتى عدوه . أفَمَنْ هذه صفتُه يستحق أن يعصيه خلقُه ؟ ؟ وما تعمد إبراهيم ذكر اسم الرحمن إلا ليدفع الشيطانَ بسوء وقبح معصيته التى ما كانت إلا لأن الله رحمٰن .

(يا أبت إنى أخاف أنْ يَمَسَّك عذابٌ من الرَّحْمٰن) هنا يرق قلب إبراهيم ، فيعبر بقوله (أخاف أن يَمَسَّك) والمس شىء يسير ، وذكر الخوف أيضاً وهو يظهر إبراهيم فى مظهر غير الموقن بتعذيب أبيه مع ذكر العذاب نَـكِرةً تفيد القِلَّة . ذِكْر ذلك بهذه الصورة فيه رقة وحنان وأدب وبر ، أمور تتعاون كلهـا فى سبيل أن ينفتح القلب المغلَق ليدخل فيه النور . قلب والد إبراهيم . وفى ذكرها أيضاً هكذا تعطينا صورة رائعة من أدب النبوة ، فهو لا يقطع بتعذيبه هنا ، لأنه لم يمت بعد على كفره ولأن إبراهيم لا يعرف حقيقة مصير أبيه ، فربما أناب وتاب .

ثم هو يذكر اسم الرحمٰن ، ويذكر العذاب أنه من الرحمٰن حتى لا يظن أبوه أن الرحمن يعذب من يشاء ، وأن كونه رحماناً لا يمنع من أن يعذِّب من يسـتحق العذاب بمشيئة الله سبحانه ، ثم إنه دمغ الشيطان بأنه عصى فقط لأن المعصية هى باب الـكفر والشرك وغيرهما من الموبقات فهى تشمل ذلك كله .

(فتكون للشطان ولياً) جاء بنتيجة قد تحسب سبباً من أسباب العذاب وهى ولاية الشيطان . ليبين أن هذه الولاية أشد من العذاب نفسه . وأن دمغ الله للعبد بها أشد على النفس من نفس العذاب .

وهكذا علمنا خليل الرحمن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تعليماً ما أعظمه من تعليم وحسبنا أن الله ذكره مفصلاً فى القرآن . نضرع إلى الله سبحانه أن يهب لنا من آلاء هدايته ونعماء بركاته إنه هو السميع العليم .

وصلى الله على محمد وآل محمد أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

إعلان هام جداً

من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

نرجو من كل فرع من فروع الجماعة إفادتنا بمجرد إعادة إشهاره مع إيضاح رقم وتاريخ الشهر، سواء تم الشهر باعتباره فرعاً تابعاً للمركز العام أو باعتباره فرعاً مستقلاً يحمل اسم الجماعة .

محاضرات المركز العام

تقام محاضرات المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة مساء السبت والأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة العشاء

ركن السنة

المؤمن القوى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم .

شرح المفردات

المؤمن القوى : المراد به القائم بما يوجبه الإيمان الصحيح من السعى فى الخير والنهوض بجلائل الأعمال فى غير تخاذل ولا تردد .

خير وأحب إلى الله : خير هنا ، أفعل تفضيل ، بمعنى أَخْيَر ، والمراد به أنه أكثر نفعاً وأقدر على تحقيق الخير ودفع الشر . وقوله « وأحب إلى الله » بالعطف على خير وهو أيضاً أفعل تفضيل من اسم المفعول بمعنى أشد محبوبية والمراد أنه أقرب إلى الله عز وجل بسبب قوة إيمانه وإيجابيته فإن كان حب الله له أكثر كان قربه من الله أشد وثوابه أعظم .

من المؤمن الضعيف : المراد به الذى وهن عزمه وضعفت إرادته فهو لا يقدر على القيام بما يوجبه الإيمان من نصرة الحق ودفع الباطل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ بأسباب الحياة الجادة فى غير تخاذل ولا استكانة .

احرص على ما ينفعك : هذا بيان لما يجب أن يكون عليه المؤمن القوى من الحرص على كل نافع مفيد ، فيأخذ فى تحصيل أسبابه ويوفر جميع الوسائل المؤدية إليه .

واستعن بالله ولا تعجز : يعنى اطلب العون من الله وأنت بسبيل التحصيل والطلب

معتقداً أنه لا يتم لك مقصودك إلا بتيسير الله ومعونته ، فإن من يمنه الله عز وجل يجد الأسباب مواتية قد ذال منها كل صعب وقرب كل بعيد ، ومن تخلى الله عنه لا يمكن أن يتم له نجح أو يتحقق له ظفر كما قال الشاعر :

إذا كان عون الله للمرء مُسعفا تهيــــا له في كل أمر مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهـــــاده

ومعنى لا تعجز : لا تتخذ العجز مطية فتقعد عن النهوض بالأعمال الخطيرة حباً للسلامة وإيثاراً للدعة والراحة .

وإن أصابك شيء الخ : يعنى إذا لحقك أثناء سعيك فشل ولم تصب نجاحاً فلا تندم على ذلك ولا تعقب بلو ، بل يجب أن تعتقد أنه قدر الله ومشيئته فإن لو من شأنها أن تعين عليك الشيطان وأن تفتح الباب لهواجسه ووساوسه .

« المعنى الإجمالى للحديث »

يتفاوت الناس فى إيمانهم قوة وضعفاً كما يتفاوتون فى أجسامهم وسائر صفاتهم وشئونهم ، والمقارنة هنا فى الحديث الشريف بين المؤمن القوى والمؤمن الضعيف ، وفيه أن الأول خير وأحب إلى الله من الثانى . ومرد ذلك إلى أن قوة الإيمان تدفع صاحبها إلى خوض غمار الحياة فى قوة وثقة ، وتحمله على الصبر والاستبسال فى ميادين الجهاد .

فهو دائب السعى فيما يعود على نفسه وأمته بالخير ، لا يتطرق إليه الوهن ولا يستولى عليه اليأس يجابه الخطوب مهما جلت ويركب الأهوال وإن عظمت ، قد اتخذ من إيمانه مجنًا منيعاً ودرعاً حصينة ترد عنه عوامل الهزيمة والاستسلام لليأس والقنوط ، ولا ينبغى أن يتبادر إلى الوهم أن المفاضلة بين قوى الجسم وضعيفه من المؤمنين ، فإن تلك موازنة خاطئة وإن راقت للناظر فى بادىء الرأى ، فكم من فتى قوىّ الجسم شديد الأسر ضخم الجثة وهو كالصنم الأجوف ، تطير نفسه شعاعاً من أقل صيحة ،

وكأين من ضعيف فى جسمه نحيف فى بدنه يقوم فى الأمة مقام الجيش اللجب ويغنى غناء الألوف من الرجال .

ولما كان ترجيح المؤمن القوى على المؤمن الضعيف قد يدخل فى الروع أن المؤمن الضعيف الإيمان لا خير فيه أصلا ولا جدوى منه ، استدرك النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : « وفى كل خير » فأفاد أن كُلاًّ من الصنفين من المؤمنين فيه خير ، وإن كانت الدرجات جد متباعدة .

ثم أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عوامل تقوية الإيمان ليتمثلها الراغبون فى الترقى إلى الدرجات العلى فى سلم الإيمان فقال « إحرص على ما ينفعك الخ » .

وتتلخص هذه العوامل فيما يأتى :

١ — الحرص على المنافع . ٢ — الاستعانة بالله عز وجل . ٣ — ترك الاستكانة والاستسلام للخطوب . ٤ — ترك الندم والتعلل بما لا يفيد .

١ — فأما الحرص على المنافع : فآية العقل وأمارة الحزم ، ويتجلى أثره فى الاستباق إلى الخير وتلبية داعى الحق والوطن والدين ، والمنافسة فى أعمال البر والعمل على ما فيه رقى الفرد والجماعة فى الدين والدنيا ، ولكن ينبغى أن يكون حرصًا قائمًا على العقل ، لا يطلب إلا ما ثبتت منفعته وتأكدت فائدته ، ولا يجرى وراء سراب خادع وأمانى كاذبة ، كما ينبغى أن يأتى كل مطلب من بابه ، وأن يوفر له جميع أسبابه وأن يذلل العقبات التى تعترض طريقه ، وأن يتوقى أسباب الفشل التى تعوقه فى سيره حتى يتم له ما أراد .

٢ — وأما الاستعانة بالله : فهى آية الإيمان الصادق وديدن المثقف الرشيد البصير بحقائق الأمور ، فهو يستخير الله فى جميع شئونه ويستلهمه الرشد والتوفيق فيما يضطلع به من جسام الأمور وفوادح الأعباء ، لأنه يعلم أن مصائر الأمور كلها بيد الله وحده . فلا يتم شىء منها إلا بإذنه وتيسيره ، ولا يدرك مطلب إلا بمعونته وتوفيقه .

٣ — وأما ترك الاستسلام للخطوب : فهو يثمر الصبر ويفتق الحيلة ويوسع آفاق الفكر ويشحذ العزيمة ويحفظ توازن النفس ويمهد بالإنسان فى طريق الأمل والنجاة ويباعد بينه وبين الارتطام بصخرة اليأس والقنوط ، فالذى يصمد فى وجه الخطوب ويقابلها برباطة جأش وقوة نفس حتى تنجلى غاشيتها وتهدأ سَوْرَتها يخرج منها كالمعدن النفيس فُتن على النار حتى صفت جوهره وأزالت أوضاره .

وأما من يستسلم لها وينهار عند وقوعها ، فإنها تشل عقله عن التفكير فى المخرج منها وتعطل إرادته عن العمل فى مقاومتها حتى يصير كأنه شبح لا روح فيه .

٤ — وأما ترك الندم على ما فات وعدم التعلل بالأمانى فهو كالثمرة لما قبله ، فإن من حرص على ما ينفعه واستعان بالله فى أموره ، لا يمكن أن يقف أمام الكوارث جامداً متبلداً ولا أن يلتفت إلى الوراء باكيا نادماً يقول : لو كنت أتيت بكذا أو لو كنت تركت كذا لما وقع الذى وقع ، ولكنه سرعان ما يرد الأمر إلى الله عز وجل ، ويقول قدر الله وما شاء فعل ، فينزل هذا القول على نفسه برداً وسلاماً ، ويكون لها عزاء وسلوى عما أصيبت به ، فتجدد عزمها على استئناف العمل ومواصلة السير لا تذكر من ماضيها إلا ما ينفعها فى حاضرها فتتجنب الأخطاء وتتدارك وجوه النقص حتى تصل إلى بغيتها ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم سر النهى عن التمسك بخيوط « لو » الواهنة بقوله « فإن لو تفتح عمل الشيطان » وذلك بالاستنامة إلى الكسل والرضى بالجمود واليأس من رَوْح الله والسخط على قضائه ، وتلك خطوات الشيطان منها إلى النفوس الواهنة والعزائم الفاترة فيصيبها فى إيمانها وإرادتها .

وخير من « لو » فى هذه الحالة أن يتعزى الإنسان بقدر الله وأن يعلم « أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه » وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » وأن يذكر قول الله عز وجل (ما أصاب من من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) .

محمد خليل هراس

الإسلام دين المحبـــة

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد

ما أروع أن تسود المحبـة المجتمع الإسلامى ، فتشع أضواء السعادة فى أرجائه وجنباته ، بدلاً من التباغض والشحناء التى تؤرقه الآن وتقض مضجعه ، وتقوض آماله فى بناء حياة هانئة مستقرة ، وتقضى على مثله العليا . فالإسلام كما علمناه يدعو إلى المحبة فى كل صورها وضروبها . وليس ما نعنيه هنا ـ ما هو فى مفهوم البعض أو ما قد يتبادر إلى أذهان الشباب المنحل ـ أى الحب والهوى والغرام ـ فرسالة الإســلام أسمى من ذلك وأجلّ . . وإنما المراد هو ذلك الحب الدافق الفياض الذى يسمو على الغايات الدنيا . . متخذاً له صوراً متعددة الجوانب ، ويُبْتغى بها كلها وجه الله سبحانه وتعالى . فأول صور هذا الحب وأعلاها وأسماها على الإطلاق هو حب العبـد لربه عز وجل ، ولا يكون هذا الحب إلا الثمرة الأولى والمثلى للإيمـان بالله والإقرار بفضله وشكر أنعمه التى هى أجل من أن تحصى ، ثم تتبع آثار رحمة الله على عباده فى كل أطوارهم وأحيانهم ، والنظر إليهـا بعين الرضا والقبول والشـكر والامتنان ، مادام الإنسان قد أحس فى صدره برد اليقين ـ بربطه بين الإيمان والعمل الصالح ـ فقد أصبح بفضله تعالى من المحبين، وما أحرانا أن نـكون كلنا مؤمنين محبين ! فهذه هى صفة المؤمنين . وصفهم بها ربهم بقوله : (والذين آمنوا أشد حبّا لله) البقرة :

ثم تأتى بعد ذلك صورة أخرى من صور الحب الرفيع تلى ما سبق ، وهى حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإيمان برسالته وبنبوته وبدعوته والتمسك بسنته وتقدير جهـاده العظيم وكفاحه الدامى المستميت من أجل تثبيت دعائم هذه الدعوة الحقة ، وتجشمه المشاق حتى انتشر هذا الدين القيم ، والتأمل والنظر إلى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من كمال خلق جعله مضرب المثل فى السمو والرفعة ، وجعله موضع

التجلة والاحترام حتى من خصومه وممن ناصبوه العداء . وقد حفل القرآن الكريم بتعداد مكارمه والثناء عليه ، كما قال هو صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله ووالده وولده والناس أجمعين » . ومع هذا فلم ينس صلى الله عليه وسلم أن يحذر أمته من المبالغة فى تقديسه فتقع الأمة فيما وقع فيه النصارى من تقديسهم للمسيح عليه السلام حتى أدى بهم ذلك إلى عبادته من دون الله . فالتقديس لا يكون إلا لله وحده ، والرسول لفرط حرصه على المسلمين ولأنه ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[1] قال كلمته المدوية « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » والعجب أن يتهمنا جهلة المتصوفة بعدم حبنا له صلى الله عليه وسلم رغم تمسكنا بهديه وسنته ، ورغم حبنا له بوعى وعلى أساس صحيح سليم يرضاه رب العالمين .

ثم يلى هذا : حب المؤمنين بعضهم لبعض بصفة إجمالية عامة . ومن هذا الحب تتفرع فروع كثيرة تتلاقى جميعاً عند ناحية اعتبارهم مؤمنين . ولكن هل التزمنا الآن بهذا النهج القويم ؟ كلا . . .

فقد غلبت علينا الأنانية والأثرة وحلتا محل التضحية والإيثار ، وأصبحنا نطبق مبدأ الفردية ، وأمسى الشعار السائد لكل فرد منا هو : « نفسى ، ومن بعدى الطوفان » لا يرى كل منا إلا مصلحته الذاتية والشخصية الفردية ، كل هذا من انعدام القيم فى النفوس ، ولهذا ماتت الضمائر وضاع الحياء ، وانفلت الإيمان مولياً وخارجاً من القلوب ، وضعفت قوة التماسك بين أفراد المجتمع ، فبرز الحقد واشتعلت نيران الحسد ، وأصبحنا يهدم بعضنا بعضاً على عكس ما قاله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ولو أنعمنا النظر فيما يقع تحت أبصارنا وأسماعنا من تصرفات المجتمع اليومية المتكررة . . لهالنا وراعنا ما نحن فيه الآن من أنانية مرذولة

---

(١) كما قال عنه القرآن الكريم فى آخر سورة التوبة .

وفردية مقيتة مفرطة. وأكثر ما يستوقف الإنسان هو ما يحدث باستمرار فى المركبات العامة «كالترام أو الأوتوبيس» فهنا تختلف وجهات النظر بين الراكب والواقف فى المحطة. فالراكب يتمنى ألا يقف السائق فى المحطات ليحمل معه ركاباً آخرين حرصاً من الراكب على ألا يزاحمه أحد من جهة، ومن جهة أخرى كى يصل إلى غايته فى أقرب وقت مستطاع — غير عابئ ولا مبالٍ بغيره . . . وقد يكون بين المنتظرين من هو فى أمس الحاجة إلى الوصول بسرعة . . ربما لإنقاذ مريض وإسعافه بالدواء، أو الإسراع بالقوت إلى أبنائه الجياع الذين هم فى انتظاره . . . وغير ذلك من شتى الأعذار، فى حين أن نفس هذا الراكب لو كان ضمن المنتظرين ومرت به مركبة عامة ولم يقف السائق ليصطحبه معه لاستاء وتذمر وأرغى وأزبد، وتأفف وتقزز وانبرى يسب السائق بل يلعن جميع السائقين الذين تجردوا من الذوق ومن كذا وكذا . . . إذن فلماذا يكون هذا التصرف المتناقض؟ لأن الشخص ينظر إلى هذا الأمر. أو ذلك نظرةً ذاتية وفقاً لمصلحته الشخصية الفردية المجردة، إنه لا يريد أن يوسع لأخيه أو يفسح له فى المجلس، بينما تحث الآية الكريمة[1] على التفسح فى المجالس. يبالغ فى حب ذاته بينما يدعو الإسلام إلى محبة الجميع ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ولهذا فالنبي ينفى صفة الإيمان عمن كان هذا فعله ويقول: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». ويثنى على الإنسان الباذل المضحى بقوله: «خير الناس أنفعهم للناس» وكم كان للأنصار — رضوان الله عليهم — منزلة سابقة إذ آووا ونصروا وقاسموا إخوانهم أموالهم وأزواجهم وكل ما كان تحت يدهم، بروح سمحة ونفس طيبة وإخاء عميق الجذور، وكيف أشار الله بالمؤثرين فى قوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

---

(١) هى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) الآية من سورة المجادلة.

يسمع الأنانى كل هذا وكأن فى أذنيه وقراً ، إنه يقدم مصلحته حتى ولو كانت على أنقاض الغير وعلى حساب سعادتهم ، إنه يحطم ويدمر كل ما يقف فى طريق إرواء ظمئه وغلته وإشباع نهمه وشراهته ؛ بينما نرى رابع الخلفاء الراشدين علياً ينصح ابنه الحسن (رضى الله عنهما) فيقول ضمناً : ـ « يا بنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ماتكرهه لها .. . ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك . ويختتم نصحه بقوله « وقد قيل : ثلاثة تبقى لك الود فى صدر أخيك : « أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الأسماء إليه » . وهكذا يمضى الإسلام قدماً إلى الإمام واضعاً نصب عينيه سعادة المجتمع ورفاهيته ، متوخياً فى ذلك أكرم السبل وأقوم الوسائل وأيسرها .

ويتجلى الحب والإيثار والتضحية فى أجمل صورة وأرقها ، فيما يقدمه الوالدان إلى الأبناء من حب ورعاية وعطف وحنان ، ولما كانت هذه الصفات السالفة الذكر لدى الآباء والأمهات صفات فطرية غرائزية ، فلم يعودوا إذن فى حاجة إلى توجيه . . . لأن هذه الغرائز تسير فى طريقها الطبيعى المرسوم وتؤدى دورها دون ما حاجة إلى لفت الأنظار ، ولهذا فقد انصبّ توجيه القرآن الكريم على الأبناء وحدهم فأوصاهم كثيراً بالإحسان إلى الوالدين عرفاناً لجميلهما وتقديراً لجهودهما ، وهذا لون آخر من ألوان المحبة وهو حب الإخوة الأشقاء . . . تدفع إليه رابطة الدم ووشيجة القرابة وصلة الرحم — وإن كان الإخاء فى الله أقوى بكثير وأمتن من رابطة الدم — لو تخللت رابطة الدم صفات العداء والجحود والتنافر ، وما أحلى أن تجتمع فى المسلم رابطة الإخاء فى الله ورابطة الدم . ونحن نرى الرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن سلمان الفارسى « سلمان منا آل البيت » وما ذلك إلا لإيمانه الخالص وحسن إخائه ، بينما تبرأ النبى صلى الله عليه وسلم من المشركين والكافرين رغم قرابتهم مثل عمه أبى طالب ، وعمه عبد العزى أبى لهب مثلا .

وأخيراً وليس آخراً : تلك المحبة التى تكون بين الزوجين ، والتحنان وخالص الود والترابط القوى المتين الذى دعا إليه القرآن الكريم فى قوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الآية ، أضف إلى ذلك الوصايا الحكيمة الرائعة التى وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كل من الزوجين حفظاً لحقوق كليهما وضماناً أكيداً لسعادتهما ، حتى يكوّنا معاً أسرة مسلمة مؤمنة سعيدة موفقة ، تحيل عشهما المادىء إلى جنة وارفة الظلال .

أفبعد هذا كله نتنكر للتعاليم الإسلامية السامية ونركب متن الشطط وننزع إلى عنجهية الجاهلية ، ونجرى وراء التقاليد الغربية التافهة ؟ .

إننا إن فعلنا ذلك كنا كمن يجرى وراء السراب ، وما لم نعض على إسلامنا بالنواجز ، فقل على الدنيا العفاء .

والله أسأل أن يسدد خطانا فنثوب جميعاً إلى حظيرة الإسلام مطبقين لتعاليمه منفذين لأحكامه عسى أن نكون من المفلحين .

محمد عبد الكريم أحمد

٥ — نظرات فى المجتمع والشريعة :

الهــــوى

— ١ —

معنى الهوى :

اسم مقصور آخره ألف منقلبة عن ياء ، وهو مصدر هوِى يهوَى كسمع يسمع بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بمعنى الحب الجارف ، وإذا أضيف الهوى إلى النفس أو أطلق بدون إضافة أريد به شهوات النفس ونوازعها التى تنساق إليها بحكم بشريتها وماديتها قبل أن تزكوَ بدين الله وتتسامى بشرعته .

وإذا غيرنا قليلا فى ضبط مادة (هوى) وتصريفها فى لغة العرب ، فقلنا : هوَى يَهوِى كضرب يضرب بفتح العين للماضى وكسر العين للمضارع ، انتقلنا إلى معنى آخر هو التردى والسقوط ، لكن لا نظن البون شاسعاً بين المعنيين ، فمن خصائص لغتنا العربية تقارب المعانى بسبب تقارب الألفاظ ، ولا شك أن مجاراة النفس فيما تنزع إليه ، ومتابعتها فيما تهواه هبوط عن المستوى الرفيع الذى خلق الله الإنسان ليسمو إليه .

والإنسان يهتدى لذلك المستوى بما آتاه الله من آيات ، وبما عليه من دين ، ثم يميل بعد ذلك مع النفس ، وما تشتهى ، إنه يتردى فى هوة عميقة مالها من قرار . وهذا هو المثل الذى يضربه الله فى القرآن لهذا الإنسان وأمثاله . يقول تعالى فى سورة الأعراف (واتلُ عليهم نبأ الذى آتيناهُ آياتنا ، فانسلخ منها فأتبعه الشيطانُ فكان من الغاوين . ولو شِئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب : إنْ تحمل عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ ، ذلك مثلُ القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصُصِ القصصَ لعلهم يتفكرون) .

الإنسانُ بين مخلوقات الله :

والإنسان مخلوق ممتاز ، برغم أنه من نفس المادة التى منها كثير من المخلوقات ، ولا تشرُف مادته عن المادة التى خلق منها غيره إن لم تكن دونها ، ومع ذلك يسجل القرآن الكريم امتياز الجنس البشرى ، وتفضيله فى سورة الإسراء إذ يقول تعالى : (ولقد كرَّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضَّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ولم يكن من قبيل المصادفة أن تأتى الآية الدالة على تكريم الله للبشر فى سورة الإسراء . هذه السورة التى تحمل فى صدرها آية رائعة لتكريم واحدٍ من بنى الإنسان شُرف بالعبودية الخالصة ، فزاده الله يقينا ، وأراه بعض آياته حتى يمضى فى طريق الدعوة إلى الله ليس للنفس أو هواها عليه من سلطان .

أما مظاهر هذا التكريم فكثيرة :

خلق الله الإنسان بيديه وفى هذا تشريف له يقول تعالى فى استجواب إبليس الذى أضله هواه ، وأطغاه حقده ، ففسق عن أمر ربه : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدَىَّ ؟) .

ونفخ فيه من روحه[1] وهذا تكريم آخر لذلك المخلوق : (إنى خالُقٌ بشر من صلصال من حَمأٍ مَسْنُون . فإذا سوَّيتهُ ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

ثم ماذا ؟ أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا تنفيذاً لأمر الله إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، ودفعه الهوى الضال لأن يجادل ربه ، ويتحدّى أمر الله بأباطيل صاغها هواه ، فكان بعناده الذى تردى فيه إماماً للضالين ، وقائداً للمنحرفين السادرين .

ثم كرمه العقل بما وراءه من عمليات مختلفة : إرادة ، وتفكير ، وتصور وتخيل ،

---

(١) أى الروح التى خلقها الله ليحيا بها الإنسان .

وذاكرة وشعور . كل أولئك تكريم آخر لذلك المخلوق الفذ الذى أكرمه الله واصطفاه .

ثم رسالة الإنسان التى من أجلها خلقه الله على ظهر البسيطة مظهر تكريم وشارة فضل وسمو ، تجد كل ذلك وراء قوله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة) وبالرغم أن ملائكة الله فى حياة من الطهر والعبادة يحيونها ، لم يرتاحوا لمثل ذلك المخلوق الجديد وقالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ؟ .

ولكن إرادة الله وراءها حكمة سامية تسمو عن مدارك المخلوقين ، ولو كانوا ملائكة مقربين (قال : إنى أعلم ما لا تعلمون) .

ثم يعلّم الله الإنسان ، وبتعليمه إياه يتحدى ملائكته ، حتى يتضح لهم خطأ تقديرهم ، وقصور إدراكهم : (وعلَّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمْتَنَا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أَقُلْ لكم : إنى أعلم غيبَ السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) ؟ .

هذه منزلة الإنسان بين المخلوقات كما صورها القرآن .

فهل بعد هذا المستوى أمل يطمح إليه البشر ؟ .

وهل بعد هذه المنزلة التى وضع الله فيها الإنسان منزلة ؟ .

يتبع

السيد رزق الطويل

الحلاج ، والتصوف ، والاستعمار

فى الـكلمة القيمة التى كتبها الأستاذ اسماعيل المهدوى ، فى الجمهورية يوم الخميس ، هجوم على العناية بدراسة التصوف ، وتصريح بأن الحلاج كان مجوسياً مشعوذاً ، حين ادعى وحدة الوجود ، فى نفسه ، وأنه إنما كان يبغى بشعوذاته ، وأفاعيله هدم الدولة الإسلامية .

وهذا كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل ، فإن التصوف فى تاريخ الإسلام ، له طابعان ، طابع إسلامى صحيح يمتاز بالبساطة ، وعدم وجود المراسيم ، والطقوس الخاصة فيه ويتجه بأصحابه إلى العمل الصالح وإخلاص النية لله وصحة التوحيد ، وليس فيه مراتب ، ولا مقامات ولا شيخ ، ولا مريدون بالأوصاف الإصطلاحية المعروفة لدى القوم ، ولا خرقة ، ولا شعار ، ولا أسرار تحجب عن العامة ، ويختص بمعرفتها الشيوخ ، وليس فيه تقسيم الشريعة إلى باطن ، وظاهر ، وبين الظاهر ، والباطن ، مسافات من التأويل ، واغتصاب النصوص تهدم حكم العقل والشريعة معاً ، وإنما هو يتمثل فيما كان عليه النبى ، وأصحابه الصادقون ، من الزهد فى الدنيا ، والإقبال على طلب الآخرة ، بغير إسراف ، ولا هوس ، أو كما قال الشاطبى — فى كتابه الاعتصام — عن بعضهم هو التزام العفاف ، والرضا بالكفاف ، والقدوة بالنبى فى سائر الأوصاف » .

فهذا النوع من التصوف لا يجوز الاعتراض عليه ، بل ولا يمكن الاعتراض عليه ، لأنه لا يتخذ لنفسه موضوعاً غير ما دل عليه الكتاب والسنة ، فليس له تشخيص فلسفى معين ، ومركبات فكرية معينة ، غير ما عهد المسلمون فى سلفهم ، وخلفهم ، من تصورات تعاليم إسلامهم .

وطابع آخر ، أساسه القول بوحدة الوجود ، امتزجت فيه أمشاج من فلسفات معقدة أجنبية عن بساطة الإسلام وفطرية تعاليمه هى مزيج من فلسفات ، وتصورات الهنود ، والفرس ، والرومانيين من الإغريق ، وأزيد من ذلك من كل فكر شارد ، وأسطورة ضالة ، وشعوذة ماهرة التقت كل هذه التيارات العكرة ، ومن ورائها

أغراض السياسة ، ومكايدها ، فى بحر الظلمات المسمى بالتصوف ، ليغرق فى ظلماته المتكاثفة وأمواجه المكدرة المشبوهة الفكر الإسلامى، والمعتقد الإسلامى ليعانيا من متاهات الضلال ، والجهل ، والخطيئة ، ما كان سبباً أصيلا ، وجوهرياً ، وحاسماً فى ضعف المسلمين ، أمام أعدائهم ، وتأخرهم عنهم ، فى سباق العلم والعقل ، والصناعة ، حتى راحوا ضحية الاستعمار .

وقد لاحظ شيخ الإسلام ابن تيمية — وذلك فى رسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنبجى — أواخر القرن السابع الهجرى ، وهو أحد تلاميذ ابن عربى ، حامل لواء فكرة وحدة الوجود فى العالم الإسلامى — لاحظ — هذا الفقيه العظيم ، أن انتشار التصوف المؤسس على عقيدة « وحدة الوجود » بين الشعوب الإسلامية ، كان من الأسباب التى أدت إلى هجوم التتار والصليبيين على بلاد المسلمين .

وهو يشير بهذا إلى أن هذا النوع من التصوف القائم على وحدة الخالق بالمخلوق — وأن الرب عبد ، والعبد رب — كما قال قائلهم ، كان من مقدمات الغزو الفكرى ، الصليبى ، والتترى ، الذى قصد به ، صرف نفوس المسلمين عن طريق العقل ، والعلم ، والعمل ، ليسهل الهجوم عليهم .

ولا شك أن تصوف ابن عربى المبنى على وحدة الوجود ، أعظم قوة إيحائية للأشخاص ، قادرة على امتصاص ثورية القرآن المشتملة التى هى أساس عنصر المقاومة الخالد فى تكوين المسلمين الروحى والأخلاقى .

ومن هنا يجب أن نفهم — بحق — العلاقة الأكيدة بين انتشار هذا النوع من التصوف ، وبين مقاصد الاستعمار ، وعناية المستشرقين بابن عربى ، والحلاج .

أما الحلاج — وهو سلف ابن عربى — فى نفس الفكرة ، فهو كما قال الأستاذ المهدوى ، وشر مما قال — خروجاً عن الإسلام ، وكيداً لدولة المسلمين ، وقد صرح بذلك غير واحد من أهل العلم ، نذكر منهم الأستاذ الجليل أحمد أمين فى كتابه « المهدى ، والمهدوية » .

د . محمد سعاد جلال

تعقيب

— الهدى النبوى — هذه الكلمة القيمة عن التصوف والاستعمار نشرتها جريدة « الجمهورية » الغراء بعددها الصادر فى ١٦ رجب سنة ١٣٨٦ — ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦٦ لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال أحد علماء الأزهر .

ونحن ننشرها هنا ليرى القراء الكرام ، وليعلموا تمام العلم أن ما تنشره « الهدى النبوى » تباعاً فى باب « نظرات فى التصوف » لفضيلة الأستاذ رئيس الجماعة ، هو من واقع الصوفية فى أمسهم البعيد وحاضرهم القريب . فليس هناك ما يسمى بالصوفية الإسلامية الصحيحة وغير الصحيحة ـ كما يقول الدكتور سعاد جلال ـ بعد أن وصم أئمتهم بالكفر والضلال ، لاعتناقهم عقيدة وحدة الوجود — بل إننا نقول : إن لفظة « التصوف — أو الصوفية » ليست إسلامية أصلا ، وإنما هى بدعة فى دين الله لم يأن بها الله . « وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » كما يحددها رسولنا الكريم — صلى الله عليه وسلم —

ويشير الدكتور سعاد جلال فى مستهل كلمته إلى أن أحد الكتاب أثار هجوماً على دراسة التصوف ، ونحن نقول : إن « الهدى النبوى » كانت أسبق من ذلك الكاتب فى هجومها على دراسة التصوف والصوفيين ، حين نشرت منذ ست سنوات تقريباً ما يأتى بالحرف الواحد[1] :

« إننا لا ندرى لماذا وقف بعض الكتاب والأدباء أقلامهم للكلام على الصوفية والصوفيين والدفاع عنهم ، ويخصونهم بالبحث والدراسة دون غيرهم ، وهناك من هم أحق بدرستهم ، وأولى بالبحث والتقصى عنهم وعن حياتهم الخاصة والعامة ، وأعنى بهم الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فإن كثيراً من الصحابة من غير الخلفاء الراشدين

(١) عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ بعنوان « حول دراسات فى التصوف فى مجلة الأزهر » .

من لم تعرف سيرهم ، ولم تدرس حياتهم ، وكتب السير المعتبرة ملآى بالكثير عنهم وعن مآثرهم ، فدراسة هؤلاء أولى وأحق من دراسة غيرهم » .

* * *

هذا ما نشرته « الهدى النبوى » منذ سنوات داعية الكتاب والأدباء وغيرهم إلى الكف عن دراسة الصوفية - رؤوس الضلال - والبحث والتقصى عن تاريخ وسير أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم من الكثرة - رضوان الله عليهم - بحيث كان الذين بايعوا منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت الشجرة ، بيعة الرضوان ، كانوا أكثر من ألف وأربعمائة . هذا فضلاً عمن كانوا فى غزوة بدر الكبرى ، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ، وهم كانوا شموس المعارف ونجوم الهدى .

* * *

إننا نعود فنقول : إن دراسة تاريخ وسير أصحاب رسول الله - صلى الله على وسلم - أحق وأولى من البحث والتقصى عن الصوفية فى ضلالاتهم .

وبهذه المناسبة يؤسفنا أن نقول : إن ما تنشره إحد المجلات الإسلامية تباعا تحت عنوان (الصوفية فى إلهامهم) كله تمجيد لبعض الإمعات من الصوفية المعاصرين ممن يعتقد فيهم ذلك الكاتب الوحى والإلهام ، ولولا أن يطول بنا القول لنقلنا للقارىء الكريم بعض تلك الإلهامات الضالة .

وإن فيما ينشره فضيلة الأستاذ رئيس الجماعة فى (الهدى) فى « نظرات فى التصوف » الكفاية فى الرد — بل هو أبلغ رد — على أمثال ذلك الكاتب المشار إليه ، ومن نحا نحوه من دعاة التصوف .

المعجزات في القرآن

قوم شعيب : نشأت مدين ـ قرية قوم شعيب[١] ـ كغيرها من الأقوام الضالة ـ على حياة الانحراف والفساد في العقيدة والأخلاق والمعاملات . فاتجهوا إلى غير الله من المخلوقين . يبتغون عندهم الأمل . ويرجون منهم الخير . ويتوسلون بهم في دفع الملمات ، كما أنهم اعتادوا أن يستوفوا لأنفسهم الكيل والوزن إذا اكتالوا على الناس واشتروا منهم فإذا كالوا هم للناس أو وزنوا لهم مالوا إلى نقص الميزان . وبخسوهم حقوقهم . وطففوا الكيل والميزان . . وإلى جانب ذلك كانوا يصدون مَنْ يريد الإيمان بالله من الناس . وذلك بأن يقعدوا في طريقهم ويشوهون دعوة شعيب ـ عليه السلام ـ لهم ، على أنها دعوة كذب وافتراء . ويحذرون الناس من أن يفتنهم شعيب عن دينهم وعاداتهم وتقاليدهم ، بل كانوا يتوعدون الناس بالقتل إن هم آمنوا بشعيب . واعتنقوا دعوته . فكان هذا من عوامل إشاعة الفساد . وتثبيت جذور الخرافات والعقائد الباطلة .

إرسال شعيب إلى مدين : لذلك بعث الله فيهم شعيباً رسولاً ، وآزره بالمعجزات ، وأيده بالبينات التي تقطع عليهم كل شك . أو ريبة في صحة دعوته . فدعاهم أخوهم شعيب ـ عليه السلام ـ إلى عبادة الله وحده دون سواه ، وهذا ما كان يدعو إليه جميع الرسل ـ ثم انتقل شعيب إلى ما هو خاص بهم من الأحكام ، فأمرهم بالعدل في الميزان والكيل ، والتزام الحق في البيع والشراء ، وأمرهم بالحسنى والرحمة في معاملة الناس ، وحذرهم عواقب الظلم والتعسف والخيانة ، والبغي وذكرهم نِعَم الله

---

(١) هو من أنبياء العرب المرسلين واسمه مرتجل . وقيل في اسمه غير ذلك ـ راجع تفسير المنار ص ٥٢٣ ج ٢ ط المنار .

عليهم . إذ كثَّرهم بعد قلة ، وأغناهم بعد فقر . . وبعد أن بين لهم شعيب طريق الرشد والصواب ، إذا هم ـ خالفوه فيما أرشدهم إليه ودلهم عليه ـ عذاب الله وغضبه ونقمته .

وفى الآيات الآتية تقرأ قول شعيب فى دعوته لهم (وإلى مدين أخاهم شعيباً . قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، ذٰلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين . ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً ، واذكروا إذ كنتم قليلًا فكثركم ، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) الآيتان : ٨٥ ، ٨٦ الأعراف .

(وإلىٰ مدين أخاهم شعيباً ، قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان إنىَ أراكم بخير ، وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . بقية[1] الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ[2]) الآيات ٨٤ ، ٨٦ : هود .

موقف مدين من الدعوة : قابل قوم شعيب دعوته بالمعارضة والتكذيب ، وتلقوها بالاستخفاف والعداوة ، ونسبوا إليه الشعوذة والسحر ، وردوا عليه : ماهذا الذى تدعونا إليه ؟ ! . لقد دهمت الشعوذة والسحر عقلك . فذهبت تهذى بهذا الكذب والافتراء ، وتطلب منا أن نتخلى ـ ببساطة ـ عن عقائد عزيزة علينا ، راسخة فى قلوبنا

---

(١) أى ما تبقى لكم بعد أن تزنوا للناس بالكيل الحلال ، وتبيعوا لهم أشياءهم كاملة . خير لكم وأحسن مما تأخذونه من الناس عن طريق التطفيف والظلم والبخس . . وربما تكون المراد : الأعمال الصالحة التى يكون لها أثر حسن فى الدنيا وثواب فى الآخرة .

(٢) راجع دعوته لهم أيضا فى سياق الآية ٣٦ : العنكبوت . والآيات ١٧٦ ـ ١٨٤ الشعراء .

لم يسبق أن تخلى عنها أحد من أبائنا أو شيوخنا . ثم أية رسالة هذه التى جاءتك من الله ؟ وأنت لا تعدو أن تكون بشراً مثلنا ، ولا تمتاز عنا بشىء يؤهلك لهذه الدعوة (قالوا إنما أنت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين) الآيتان ١٨٥/١٨٦ : الشعراء .

ثم عاد القوم نخاطبوه مستهزئين به ، مستكبرين عن قبول دعوته ، وردوا عليه فى استعلاء وتهكم : كيف تُؤَثِّر عليك صلاتك يا شعيب . فتأمرك بأن تحملنا على ترك ما درجنا عليه من تقاليد وما نشأنا على أساسه من عبادات ورثناها عن أبائنا حيث كانوا يعبدونها تقرباً إلى الله . وتشفعا عنده بجاهها . . وكيف ترجونا أن نتصرف فى أموالنا بما تمليه أنت علينا . إن ذلك هو قيد لحريتنا ، وتحكم فى سبيل بيعنا وشرائنا ؟ ! . إن دعوتك هذه لنا لدليل على الجهالة وسفه الرأى (قالوا : يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد[1]) الآية ٨٧ : هود

شعيب يتودد إليهم : ورد عليهم شعيب مستعملا معهم اللين والرفق ، مخاطباً إياهم باسم القومية ليشعرهم بأنه منهم وأنهم منه : يا قومى الذين أحب أن يصيبهم ما يصيب نفسى من الخير والسعادة والنفع إننى مرسل إليكم بحجة واضحة من ربى فيما أدعوكم به . وأنهاكم عنه وأن ما جئت به إنما هو وحى من الله لا رأى منى . وقد رزقنى ربى رزقاً كثيراً من الكسب الطيب الحلال ولست أقول لكم شيئاً ، وأخالفه أنا فى السر فآتيه خفية مؤثرا نفسى عليكم بل أنا مستمسك به قبلكم ، جاعلا نفسى قدوة لكم . أرأيتم يا قوم والأمر هكذا بماذا أدعوكم . . إن ما أدعوا إليه هو أمر إلهى ، ولن أجرؤ على كتمان شىء منه أو تأخير بيانه . .

---

(١) وصفوه بهذه الصفات لا اعترافا منهم بوجودها فيه . وإنما أرادوا وصفه بها استهزاء وسخرية .

يا قوم . ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا الاصلاح ما دمت استطيع الدعوة إليه ، وليس لى فيما أقول هوًى أو منفعة ذاتية . تعود بالخير علىّ . . وفى إصابة الحق الذى أقوله لكم أرجو من الله توفيقا ومعونة . وإنى لمتوكل على الله خالقى فى أداء الرسالة التى شرفنى بإبلاغها

ويا قوم : لا تحملنكم عداوتكم لى على الإصرار على ما رضيتموه لأنفسكم من الفساد والمنكر . وعلى التمادى فى الكفر والباطل . فيصيبكم . مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من النقمة والسخط والعذاب . وما خبر عذاب قوم لوط منكم ببعيد . فقد علمتم أنهم هلكوا بالأمس بسبب استكبارهم على نبيهم . وموقفهم المدانى من دعوته . . . ثم دفع شعيب اشفاقه عليهم إلى أن يطالب منهم أن يتجهوا إلى الله بالمغفرة مما هم فيه من شرك وضلالة . وأن يتوبوا إليه . فالله تعالى رحيم يقبل توبة عبده النادم على ما ارتكب . ودود يصل عبده بالإحسان والنعم والفضل .

وفى خطاب شعيب لهم نقرأ قول الله تعالى (قال يا قوم : أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . ويا قوم لا يجرمنكم شقاق أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود) الآيات ٨٨/٩٠ : هود .

<u>مراوغة القوم وتهديدهم لشعيب</u> : ورأى القوم أن شعيبا قد غلبهم بالحجة ، وقهرهم بالبيان . وعزهم فى الخطاب . فبين لهم فساد اعتقادهم . وباطل أعمالهم . فالجأوا إلى المراوغة فى القول . لم يجدوا سبيلاً إلى مواجهته ومجادلته بغير الشتم والتهديد . فادعوا أنهم لم يفقهوا قوله له . . وأنه لا سبيل له إلى قلوبهم ولا منفذ له إلى عقولهم . وبما أنه مستضعف فيهم ولا قوة . فإنه فى استطاعتهم رجمه والتخلص منه . ولكن يمنعهم

من إتيان هذا توقيرهم لعشيرته ورهطه . أما هو فليس بذى منعة منهم ولا هو عزيز عليهم (قالوا : يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجماك وما أنت علينا بعزيز) الآية ٩١ : هود .

لكن شعيبا لم تهن عزيمته أمام تهديدهم . بل هب يدفع باطلهم مبيناً لهم أن رهطه ليسوا بأعز من الله . ولا أشد قوة منه . وليس من الحق أن يتركوه إعظاماً لرهطه . بل إعظاماً لله الذى خلقهم . وأفاض عليهم بما يتقلبون فيه من عز ، وقوة وسلطان . وكان عليهم أن يقدروه قدره . ويعظموا جانبه . لكنهم بجهلهم وغبائهم نبذوه وراءهم . أخبرهم أن ثقته بالله قوية . ونصره قريب . فهو أعلم بما يعملون . محيط بما يصنعون .

ثم هددهم شعيب بأن يعملوا هم على طريقتهم التى هم فيها ما استطاعوا إلى ذلك من اعتماد على الجهد والعصبية . وهو على مكانته التى أعطاها الله إياه من الدعوة إلى التوحيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . غير هيّاب من قوتهم ولا متخوف من تهديدهم له .

ثم توعدهم بأن ينتظروا معه عواقب الأمور . فسيعلمون من هو الكاذب ومن هو الصادق وعلى من منهما سيقع الخزى والعذاب فى النهاية (قال : يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربى بما تعملون محيط . ويا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه من هو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب) الآيتان ٩٢/٩٣ : هود .

تهديدهم لشعيب والمؤمنين به : لم يثن تهديد الملأ من القوم شعيباً عن مواصلة الدعوة إلى الله . ولم يفل عزمه تهديدهم . فمضى جاهدا يدعو إلى توحيد الله . وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المحرمات والتزام العدل والرحمة فى معاملة الناس . وتحرى تقوى الله فى مصالحهم . فوجد من بعض قومه آذاناً صاغية أرادت الخير . فشرح الله بالهدى

والحق صدرها ، وآمنت وحسن إيمانها ، وبدأ مؤيدوه يكثرون ، عندئذ رأى المستكبرون من قومه أن إيمان هؤلاء النفر منهم بدعوة شعيب سيكون نواة لإيمان الأكثرين ، فهلعت لذلك قلوبهم ، وطار صوابهم ، واضطرب أمرهم خشية أن يكثر أتباعه ، ويشتد جانبه ، وينتشر دينه ، فأرادوا وقف تيار الدعوة الزاحف ، والقضاء على مؤيديه قبل أن يشكل جمعهم قوة تهددهم ، فتوعدوا شعيباً وهذا النفر القليل بالإيذاء وبإخراجهم من قريتهم ، وتشريدهم ، إذاهم لم يعلنوا البراءة من دينهم الجديد ، ويعودوا إلى ملتهم التي ورثوها عن آبائهم وشيوخهم .

ورد عليهم المؤمنون : كيف يمكن أن نعود إلى الملة التي كفرنا بها ونبذناها ، بعد أن ملأ الإيمان قلوبنا ، وملكت عقيدة الخير مشاعرنا ؟ أتريدون أن نرجع إلى ملتكم أو نفينا من ديارنا ونحن كارهون لكلا الأمرين . . إننا لو عدنا إلى ملتكم ، ورجعنا إلى عهد ارتكاب المعاصي والمنكر ، والتردي في حماة الرذيلة ، وتأليه غير الله ، فإننا نكون قد افترينا على الله كذباً ، إن ذلك محال أن يحدث منا بعد أن نجانا الله من الشرك والضلال والمعاصي ، وطَهَّرَ قلوبنا منها ، وزكّى نفوسنا ، ولو شاء الله أن نعود إلى ملتكم لعدنا ، لأنه وحده المتصرف في جميع شئوننا ، وهو القادر على ذلك دون سواه ، وهو المحيط بكل شيء علما ، لقد توكلنا على الله ربنا .

ثم دعا المؤمنون الذين آمنوا بشعيب الله أن يحكم بينهم وبين قومهم من مكذبي شعيب بالحق ، وأن يجعل النصر حليفهم ، فهو وحده خير الحاكمين .

يأس أهل مدين من شعب وأتباعه : يئس الملأ من شعيب ومن المؤمنين به من إصرارهم على موقفهم ، فقد تبين الملأ ثباتهم على عقيدتهم الجديدة ، والتمسك بالفضيلة ، ووضح لهم أنهم لن يعودوا إلى ملتهم ، فخافوا من كثرتهم ، وانتصار دعوتهم ، فأوحى إليهم عتوهم وشدة تمردهم أن يأتوا لأتباع شعيب من طريق آخر ليصدوهم عن متابعته فخاطبوهم محذرين : أن من مصلحتهم أن يتركوا شعيباً لأنهم إذا

استمروا فى معاصرته واتباع دينه فهم الخاسرون لثروتهم ومجدهم الذى يأتيهم من تطفيف الكيل والميزان ، وخاسرون لملة آبائهم وأجدادهم ، وما ورثوه من عز وشرف .

وفيما يلى خطاب الملأ لأتباع شعيب ، كما قصه القرآن (وقال الملأ الذين كفروا من قومه : لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون) الآية : ٩ : الأعراف .

نزول العذاب بمدين : تمادى قوم شعيب فى ظلم النـاس ، والقسوة فى معاملتهم وأصروا على عدم التخلى عن عقيدتهم الشركية ، بل تحدوه أن يأتيهم بالعذاب الذى حذرهم من وقوعه عليهم ، إن كان صادقاً فى قوله ، فقالوا له — كما حكى القرآن — (فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) الآية ١٨٧ : الشعراء ، فابتلاهم الله بحر شديد استمر سبعة أيام ، فكان لا يَروى ظمأهم ماء ، ولا تقيهم منازل ، ففروا هاربين من ديارهم يلتمسون النجاة مما أصابهم ، فقد رأوا سحابة مقبلة عليهم ، فراحوا يستظلون بها من وهج الشمس ، واجتمعوا تحتها لتحميهم من قيظ الحر ، وما كاد عددهم يتكامل تحت ظلها حتى رمتهم السحابة بشرر من نار ولهب ، وعقيب ذلك رجفت بهم الأرض فزلزلت أقدامهم ،وما كادوا يشعرون بالزلزلة والاضطراب حتى جاءتهم صيحة عظيمة من السماء أزهقت أرواحهم ، وأهلكت نفوسهم ، فأصبحوا أثراً بعد عين ، وقد قص القرآن ما كان من شأن عذابهم بقوله تعالى (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم . إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الآيتان ١٨٩ ، ١٩٠ : الشعراء . (وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها ، ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) الآيتان ١٩٤ ، ١٩٥ : هود . (فكذبوه فأخذتهم الرجفة[1] فأصبحوا فى دارهم جاثمين) الآية ٣٧ : العنكبوت .

---

(١) وراجع ما ورد أيضاً فى القرآن من آيات العذاب فى سياق الآيتين ٩٠ : ٩١ : الأعراف .

نجاة شعيب وأتباعه : أهلك الله الملأ الذين استكبروا من قوم شعيب ، فراحوا جزاء كفرهم وعتوهم وإصرارهم على الكفر . أما شعيب فقد رأى ما حلّ بقومه ، فأعرض عنهم وجعل يخاطب نفسه : لقد أعذرت إليهم ، وأبلغتهم رسالة الله التي أرسلني بها ، وبذلت جهدي في سبيل إقناعهم ، وهدايتهم ، ولم أدخر وسعًا في نصحهم ليختاروا سبيل النجاة والفوز ، لكنهم خالفوني وكذبوني ، واختاروا ما فيه هلاكهم وعذابهم . (فتولى عنهم وقال : ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين) الآية ٩٣ : الأعراف . (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا) الآية ٩٤ : هود .

« للحديث بقية »

سعد صادق محمد

محمد محمد الدسوقي

رحمه الله

في فجر يوم الجمعة ٢٦ من شعبان سنة ١٣٨٦ توفى إلى رحمه الله الأخ محمد محمد الدسوقي رئيس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية ببور سعيد .

وقد كان رحمه الله من دعاة التوحيد الخالص والحريصين على إحياء السنة النبوية الغراء . أجزل الله مثوبته ورحمه رحمة واسعة وألحقنا به على الإيمان .

باب الفتاوى

أسـئلة وأجوبة

س ١ — مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية هل تجوز شرعاً ؟ وما حكم تقبيل اليد عند المصافحة ؟ .

س ٢ — الغسل يوم الجمعة لصلاة الجمعة هل يجب ؟ وما معنى حديث « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » ؟ .

س ٣ — الصلاة بدون وضع اليد على الصدر هل تكون صحيحة ؟ وهل كان مالك رحمه الله يصلي وهو مرسل يديه كما يقال عنه ؟ .

أرجو الإجابة على صفحات مجلتكم الغراء والله يجزيكم خير الجزاء .

محمد إسماعيل خليفة — جزيرة نكلا

ج ١ — روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تمس يده يد امرأة أجنبية قط وأنه لما جاء النساء يبايعنه عام الفتح بايعهن بالكلام فقط ، ولم يضع يده في يد واحدة منهن .

ومعلوم أنه لا يجوز مس بشرة المرأة الأجنبية في أي موضع منها ولا شك أن المصافحة فيها ذلك ، وأما تقبيل اليد عند المصافحة فقد تكلمنا عنه في فتوى سابقة بأنه قد وردت بعض آثار تدل على جوازه بالنسبة لبعض الناس بشرط أن لا يصحبه ذلة ولا انحناء .

ج ٢ — وردت أحاديث كثيرة تدل بظاهرها على وجوب الغسل يوم الجمعة منها : هذا الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري ، فهو مصرح فيه بلفظ الوجوب .

ومنها : حديث ابن عمر : « من جاء منكم الجمعة فليغتسل » أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه .

وقد روى فى الموطأ عن سالم بن عبد الله أنه قال « دخل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب ، فقال عمر : أية ساعة هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضاً ، وقد علمت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يأمر بالغسل » .

فهذه أحاديث وغيرها تدل على وجوب الغسل قبل السعى إلى الجمعة ، ومع ذلك فقد ذهب الأكثرون إلى أن الغسل يوم الجمعة مستحب ، وليس بواجب محتجين بحديث « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن أغتسل فهو أفضل » ولكن سنده لا يقاوم سند أحاديث الوجوب، وتأولوا أحاديث الوجوب بأن معنى ذلك أنه واجب فى السنة أو فى المروءة أو فى الأخلاق الجميلة ، كما تقول العرب وجب حقك ، ومعلوم أن هذه التأويلات كلها لا تقوى على مقاومة ظواهر هذه الأحاديث . والله أعلم .

ج ٣ — أحاديث وضع اليدين فى الصلاة رواها العدد الكثير من الصحابة ، وهى متفق عليها ، وقد روى مالك فى الموطأ عن سهل بن سعد أنه قال : كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة .

وأما ما روى عن مالك رحمه الله : أنه كان يصلى ، وهو مرسل يديه ، فإن ذلك من رواية بعض أصحابه عنه — ولكن مالكا — لم يكن ليخالف تلك السنة ، وهو قادر على فعلها ، فإذا صح ما نقل عنه من ذلك ، فلعله كان به عذر يمنعه من وضع يديه وقد علم من سيرة مالك أنه كان قد ضرب ومدت يده حتى انخلعت كتفه حين أفتى بأن بيعة الخليفة العباسى ليست بشى ، وعلى كل حال ، فالمعول على صحة الحديث فإذا صح لا يلتفت إلى غيره . والله أعلم .

س ١ — كم عدد التكبيرات على الميت فى الصلاة ؟ وماذا نقول بعد كل تكبيرة منها ؟ .

س ٢ — لماذا أباح الدين قصر الصلاة الرباعية للمسافر ولم يبحها للمريض الكهل ؟

س ٣ — كيف يصلى راكب الباخرة وهى غير ثابتة ؟ وكيف يتوجه إلى القبلة ؟ .

س ٤ — فى أى سن يبدأ محاسبة الله للإنسان على الصلاة خاصة ؟ .

س ٥ — قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى . . .) الآية .

س ٦ — ما موقف الحكم من جماعة كبيرة قتلت غلاماً ؟ .

س ٧ — هل على أهل المقتول الحق فى أن يقتصوا بأنفسهم ؟

صلاح الدين فهمى الغزاوى
مدرسة : أحمد لطفى السيد الثانوية بنين ـ بالهرم — الجيزة

ج ١ — عدد التكبيرات فى صلاة الجنازة أربع تكبيرات ، فقد روى مالك فى الموطأ عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى للناس فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات .

ويقرأ المصلى بعد التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب ، وبعد الثانية يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصيغة الإبراهيمية المعروفة ، وبعد الثالثة يدعو للميت بالأدعية المأثورة ، كقوله : اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واجعل قبره روضة من رياض الجنة ولا تجعله حفرة من حفر النار ، اللهم أبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، واغسله من خطاياه بالماء والثلج والبرد ، وباعد بينه وبين خطاياه كما باعدت بين المشرق والمغرب .

وقد روى مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبيه أنه سأل أبا هريرة ، كيف تصلى على الجنازة ؟ فقال أبو هريرة : أنا لعمر الله أخبرك أتبعها من أهلها ، فإذا وضعت كبرت وحمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : « اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت أعلم به ، اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » .

ج ٢ — قصر الصلاة الرباعية فى السفر ليس على جهة الإباحة كما يفهم من كلام السائل ، ولكنه واجب حتم ، فلا يجوز لمسافر أن يتم الصلاة ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما « فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ، فى الحضر أربعاً وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة » .

وورد عنه كذلك أن من صلى فى السفر أربعاً كمن صلى فى الحضر ركعتين .

وفى الصحيح عن عمر رضى الله عنه أنه قال : الجمعة ركعتان ، والفطر ركعتان ، والأضحى ركعتان والسفر ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افترى .

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فأقرت فى السفر وزيد فى صلاة الحضر » والمفهوم من هذه الأحاديث كلها أن فرض المسافر ركعتان لا أكثر ، وإنما خص المسافر بقصر الصلاة دون غيره من ذوى الأعذار لأن التطويل يضره لاشتغاله بمهمات السفر ومعاناته المشقات ، أما المريض فليس بحاجة إلى قصر الصلاة لكنه ربما عجز عن الصلاة قائماً ، فرخص له أن يصلى جالساً أو مضطجعاً أو يومىء إيماء . كما جاء فى الحديث .

ج ٣ — يجب على المصلى فى السفينة أن يستقبل القبلة عند تكبيرة الإحرام ، ثم يصلى حيث اتجهت به ولا يجب عليه أن يدور معها .

ج ٤ — لا يحاسب الإنسان على الصلاة ولا غيرها من الفرائض الإسلامية إلا بعد

أن يبلغ الحلم ، ولكن يسن أمر الصبي بالصلاة وهو ابن سبع سنين ليعتادها ويضرب عليها وهو ابن عشر سنين كما في الحديث .

ج ٥ — أما عن الشق الأول من السؤال فإذا اشتركوا جميعاً في قتله بأن أمسكه بعضهم وضربه بعضهم قتلوا به جميعاً ، فقد روى سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة ، وقال عمر : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا .

وأما عن الشق الثاني فقد سبق الجواب عنه في فتوى سابقة والله أعلم .

محمد خليل هراس

فضيلة الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم. والذي نفس محمد بيده لَخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره . وإذا لقي ربه فرح بصومه » متفق عليه .

وفي رواية « كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف » قال الله تعالى « إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي » .

الوســـيلة

بين الوثنية والتوحيـــد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فيقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية » .

وهكذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، فوقع فيها ونقض عرى الإسلام عروة عروة ... كيف بدأ شرك الجاهلية ؟ .

بدأ شرك الجاهلية باتخاذ الأقوام الصالحين وسيلة عند الله تعالى يشفعون بهم عنده ويتقربون بهم إليه زلفى .

قرأ ابن عباس (اللاتّ)(١) بتشديد التاء وقال : كان رجلاً صالحاً يلت للحجيج السويق فى الجاهلية ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه . وحكى مثل هذا عن مجاهد والربيع بن أنس ، وقال ابن عباس فى « ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر » هى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت » .

وقال ابن إسحٰق فى السيرة :

« وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب ، وتُهدى لها كما يهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها » .

---

(١) فى قوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) سورة النجم .

ولذلك يقول تعالى : (أولئك الذين يَدْعُون يبتغون إلى ربهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ) . فالذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة هم من صنعت لهم الحجارة والنصب ، واتجه إليها المشركون بالدعاء وهم الأقوام الصالحون ، ولذا فإن الله تعالى يقول : (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فليست الحجارة والنصب عباداً أمثالكم ولكن هم من صنعت لهم الحجارة والنصب .

ويقول تعالى : (والذين يدعون من دون الله لا يَخْلُقون شيئاً وهم يُخْلَقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيَّانَ يبعثون) فالله تعالى لا يصف الحجارة بأنها أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ، وإنما هذا وصف لمن صنعت لهم النصب والحجارة والبيوت ، واتجه إليها الناس بالعبادة ، من طواف وعكوف ودعاء وذبح وغيرها من أنواع العبادات .

ويقول الله تعالى : (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم) فالذين يكفرون بشرك الناس يوم القيامة ليست هى الحجارة والنصب إنما هم من صنعت لهم النصب .

هذه هى الأدلة القاطعة التى تثبت أن أصل الشرك عند العرب هو التوجه إلى قبور الصالحين : بالدعاء والطواف والعكوف وتقديم القرابين ، وكانت حجتهم فى ذلك أمرين ذكرهما القرآن الكريم : (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) و (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى) .

أما عن الأولى فيقول تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) فلا تطلب إلا من الله تعالى .

ويقول : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) فتطلب من الذى يأذن لا من المأذون له بها .

ويقول (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فالعبد لابد أولا أن يسلك السبيل الذى يرضى الله تعالى حتى يستحق الشفاعة . هذه هى قيود الشفاعة فى الإسلام .

ما عن الأمر الثاني وهو (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

فقد بين القرآن الكريم كما بينت السنة المطهرة كيف يتقرب العبد إلى ربه ، وأن السبيل الأوحد إلى ذلك هو الأعمال الصالحة كما تواترت الآيات والأحاديث على أن العبد مهما بلغ من التقوى والقرب من الله تعالى لا يملك لنفسه ولا للناس من الله شيئاً ، وأن العبد مهما بلغت منزلته عند الله تعالى لا يغني عن غيره من الله من شيء .

* * *

هذا ولما كان أصل الإشرك عند العرب الافتتان بقبور الموتى الصالحين ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام عن زيارة القبور ، ولما استقر التوحيد في القلوب صرح بزيارتها ، واشترط عليه الصلاة والسلام شروطاً للزيارة ، وشروطاً للقبور ، تتلخص في عدم تعليتها وكسوتها واتخاذها أعياداً ، والذبح عندها والصلاة إليها وعندها ، وشد الرحال إليها ، واتخاذ المساجد عليها ، وما إلى ذلك مما يعد ذرائع إلى الشرك والوثنية .

هذا هو أصل الشرك عند العرب ، وهذا هو ما فعله الإسلام ؛ ليستأصل جذور الشرك والوثنية . فماذا فعل هؤلاء الذين نشئوا في الإسلام ولم يعرفوا الجاهلية ، فوقعوا فيها ، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة ؟ .

ما ذا أوحى الشيطان إلى أوليائه ، ليجادلوا أهل الحق ؟ .

لقد تركز وحي الشيطان إلى أوليائه في مواقع ثلاثة :

أولها : تأويل محرف لآية في كتاب الله .

ثانيها : فهم مخطىء لقول صحابي جليل .

ثالثها : رواية مختلفة على إمام فاضل .

أما الآية فهي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) .

أجمعت قواميس اللغة وأقوال أئمة التفسير على أن ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى هي ما يتوسل به ويتقرب إلى الله عز وجل : من فعل الطاعات وترك المعاصي ، « راجع لسان العرب والقاموس المحيط والراغب فى مفردات القرآن ، وابن الأثير فى النهاية ، والزمخشرى والألوسى ، والبيضاوى ، وابن الأنبارى وغيره عن ابن عباس وابن جرير الطبرى ، وما جاء عن مجاهد » .

وهذه الآية الكريمة تخاطب المؤمنين جميعاً ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

فكيف نفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية عملًا ، وتوسل إلى الله تعالى ؟ .

هل كان يبحث عن ضريح نبي من الأنبياء ، يتوسل به إلى الله تعالى منفذاً لأمره جل شأنه ؟ كلا ، ثم كلا ، فما بعث عليه الصلاة والسلام إلا ليهدم هذه الوثنية ويحطم ذرائعها .

وكيف كان يتوسل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

لقد قال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه « اتقوا الله ، فإن تقواه جُنّة من بأسه ، ووسيلة عنده ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا » .

* * *

هذه هى الوسيلة كما عرفها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تُرى يا أصحاب التأويل الشيطانى ، والوحى الإبليسى ، هل أنتم أكثر فهماً لكتاب الله ممن نزله عليه ، أم هل أنتم أكثر علماً وعملًا بكتاب الله من الذين عاصروا الوحى وهو ينزل من عند الله تعالى ؟ .

هكذا عرف أولياء الشيطان التأويل ، وتحريف التأويل لا يقل فى خطورته عن تحريف التنزيل . فالذى يحرف معنى الكلم عن مواضعه لا يقل فى خطورته عن الذى يحرف الكلم عن مواضعه ، لأن الهدف والغاية واحدة وهى الإضلال . فإذا كان

أهل الكتاب قد حرفوا أصل النصوص وأزالوها عن مواضعها ، فإن أصحاب وثنية ما بعد الرسالة وإن لم يقدروا على إزالة النصوص لوعد الله تعالى بحفظها ، إلا أنهم حرفوا تأويلها فوقعوا فى الضلال وأوقعوا الناس فيه ، فاتفقوا مع أهل الكتاب فى غاية التحريف وإن اختلفوا فى الوسيلة ، فقالوا : إن الله تعالى يقول فى كتابه : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابحثوا لكم عن ضريح ولى من الأولياء يوصلكم إليه ، وجاهدوا فى سبيله . . . لعلكم تفلحون ! ! .

هكذا فهمت القرون المتأخرة هذا النص فهل غاب عن خير القرون ؟ وهكذا فسرت القرون المتأخرة كتاب الله تفسيراً غاب عن القرون التى شهد لها وحى الله بالخير .

مسكين هذا الذى يقطن فى بلد ليس فيه ضريح ولى من الأولياء ، لأنه سوف لا يصيبه الفلاح الذى جملته الآية نتيجة من نتائج ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى . وإلا فإن عليه أن يجمع القروش حتى لو استدان ويحمل ذبيحته ويشد رحاله إلى مقامات الأولياء لينفذ ما هو مطلوب من الآية الكريمة ، كما أوحت الشياطين إلى أوليائها .

والنص كما تأوله المضلون يصبح من المتعذر على سيد المرسلين أن ينفذ ما جاء به لأنه سيد ولد آدم ، ولأنه أول المؤمنين ولأنه إمام الأنبياء وسيد الأولياء . فأين ضريح من يعلوه إيماناً ويفوقه قرباً إلى الله تعالى حتى يتوسل به ! ! ! ! ؟ ؟ ؟

وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حل من تنفيذ هذه الآية فى نظر أصحاب التأويل الخاطىء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن فى حجرة السيدة عائشة رضى الله عنها ، ولم يبرز قبره فى الصحراء ، والحجرة ليست مكاناً مطروقاً للجميع .

فهل كان ينبغى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نظر هؤلاء المضلين أن يوصى بدفنه فى الصحراء ليسهل تنفيذ الآية على أصحابه ! ! ! ؟ ؟ ؟ .

والحديث المتفق عليه الذى ذكر الثلاثة الذين دخلوا الغار فسدته عليهم صخرة ،

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث « إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فانفرجت الصخرة » ترى هل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرواية للعبث والتسلية بقصص الأقدمين ؟ أم ذكرها للعظة والاعتبار ، وبيان كيفية التوسل إلى الله تعالى وهو « صالح أعمالكم » ؟ .

لعل رد أنصار التوسلات الوثنية على هذه الرواية أنه : لو كان البدوى ظهر فى عصر هؤلاء الثلاثة لتوسلوا به إلى الله تعالى ! ! .

ثم إذا كان التوسل فى نظركم بالأولياء ، فمعنى هذا أن النص مطلوب تنفيذه من غير الأولياء .

يا للوثنية اللعوب ، ياللشرك الماكر الخبيث ، ياللجاهلية التى تريد أن تطل برأسها من جديد ، يا للات والعزى ومناة التى يريدون أن يكشفوا عنها القناع من جديد ، أتدعون أن الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله .

واصنعوا للأولياء توابيت وأضرحة .

وطوفوا حولها واعكفوا عليها .

وقدموا لها القرابين وادعوها من دون الله .

وتمسحوا بها وقبلوا أعتابها .

واجعلوا لها الأعياد والموالد والمواسم .

واستغيثوا بها .

أهكذا تدعون أن الله تعالى يريد من عباده المؤمنين .

هذا هو التأويل الخاطىء للآية الكريمة .

أما الثانية التى تركز فيها وحى الشيطان ، فهى الفهم الخاطىء لقول صحابى جليل .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » وذلك إذا أمسكت السماء عن المطر وأجدبت الأرض .

هؤلاء القوم يرمون هذا الصحابي الجليل بالجهل والجحود ، لماذا ؟ .

لأنه كان ينبغي عليه ألا يترك التوسل بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتجه إلى عمه العباس رضى الله عنه فيتوسل به ! ! . . .

يا قوم : لو كان القبر وساكنه عليه الصلاة والسلام يصلح لأن يتوسل به بعد موته فإن تركه يعد جحوداً من هذا الصحابي الحريص الذى لا يفعل شيئاً لم يتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعودوا إلى صلاة وأحاديث الاستسقاء تعلموا جيداً منها معنى التوسل فى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو التوسل بالصلاة والدعاء وهو شيء يملكه الأحياء ولا يملكه الموتى .

أما الثالثة التى تركز فيها وحى الشيطان إلى أوليائه ، فهى رواية مختلقة على إمام فاضل .

قالوا : إن أبا جعفر أمير المؤمنين قال : يا أبا عبد الله[1] أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام .

هذه الرواية مفتراة على هذا الإمام الفاضل لأسباب ثلاثة :

الأول : قال مالك فيما ذكره إسماعيل بن إسحٰق فى المبسوط ، والقاضى عياض وغيرهما: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ، ولكن يسلم ويمضى .

ولما قيل لمالك : إن ناساً يقفون عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك .

الثانى : هذه الرواية عن الإمام مالك تشتمل على من يتهم بالكذب ، ومن يجهل حاله . « هذه الرواية حكيت عن محمد بن حميد الرازى » « راجع ما قاله فيه البخارى والنسائى وإبراهيم بن يعقوب » .

(١) هو الإمام مالك .

الثالث : لا يعقل أن يسأل أبو جعفر المنصور الإمام مالكا عن هذا الأمر إلا إذا كان مشكوكاً فى صحته أولا ، وغريباً فى نظره ، ثانياً لا يرى الناس يفعلونه ، وإلا فلماذا يسأل عن صحته ؟ ؟ .

شيء واحد نقوله فى النهاية لأصحاب التوسلات الوثنية :

هل كان الصحابة مقصرين فى نظركم فى حق أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، لأنهم لم يتوسلوا بقبورهم ولم يصنعوا لهم مولدا ؟ ؟ .

إن الحق واضح فى الكتاب والسنة ، ولكن الأقفال على القلوب ، فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، واجعلنا مخلصين لك الدين حنفاء ولو كره القبوريون .

مصطفى عبد اللطيف درويش
رئيس مأمورية الشهر العقارى — بسوهاج

صيام الجنب فى رمضان

عن عائشة رضى الله عنها : أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف على الباب وأنا أسمع ، يارسول الله : إنى أصبح جنباً وأنا أريد الصيام . فقال صلى الله عليه وسلم : « وأنا أصبح جنباً وأنا أريد الصيام ، فأغتسلُ وأصوم » فقال الرجل : يارسول الله إنك لست مثلنا قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما اتقى » .

رواه مالك فى الموطأ .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

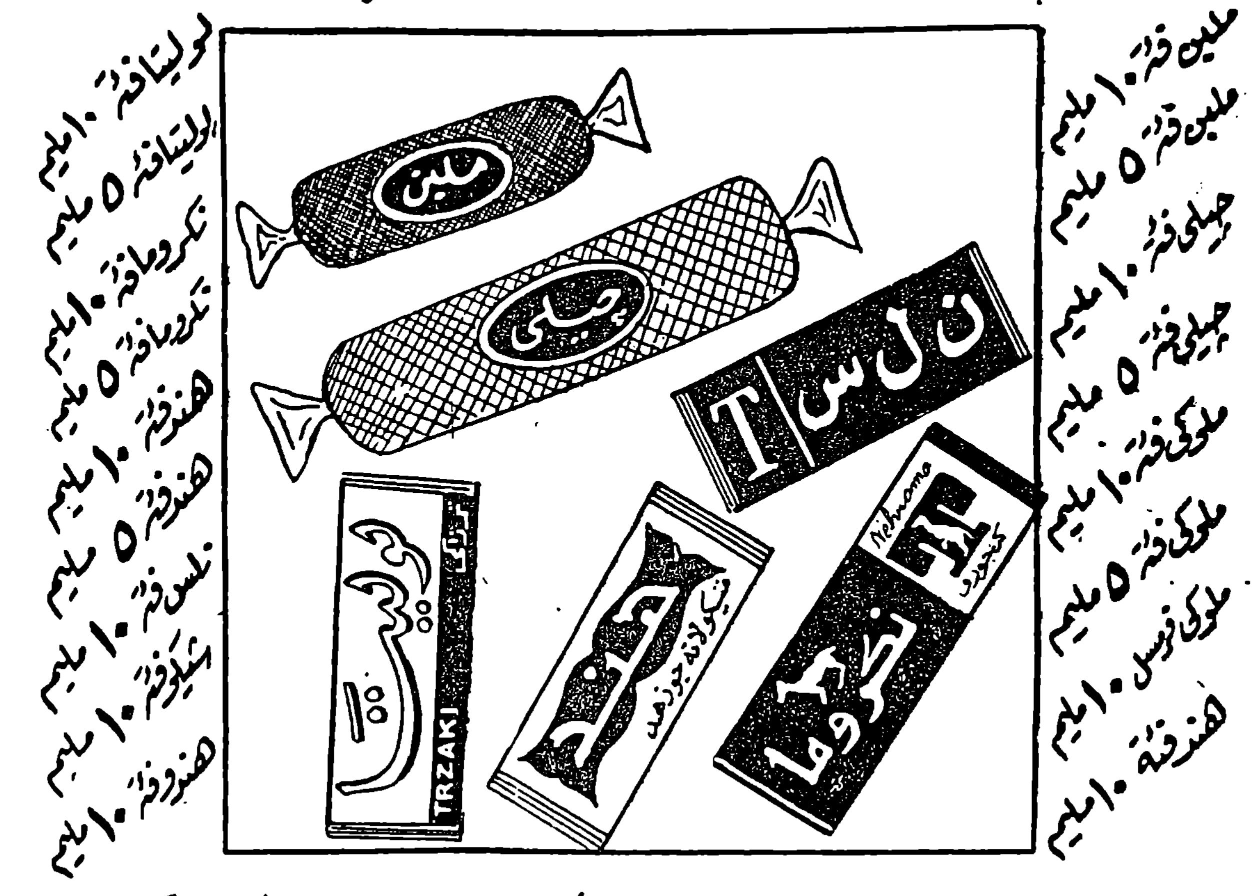
ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما

مصنع حلويات

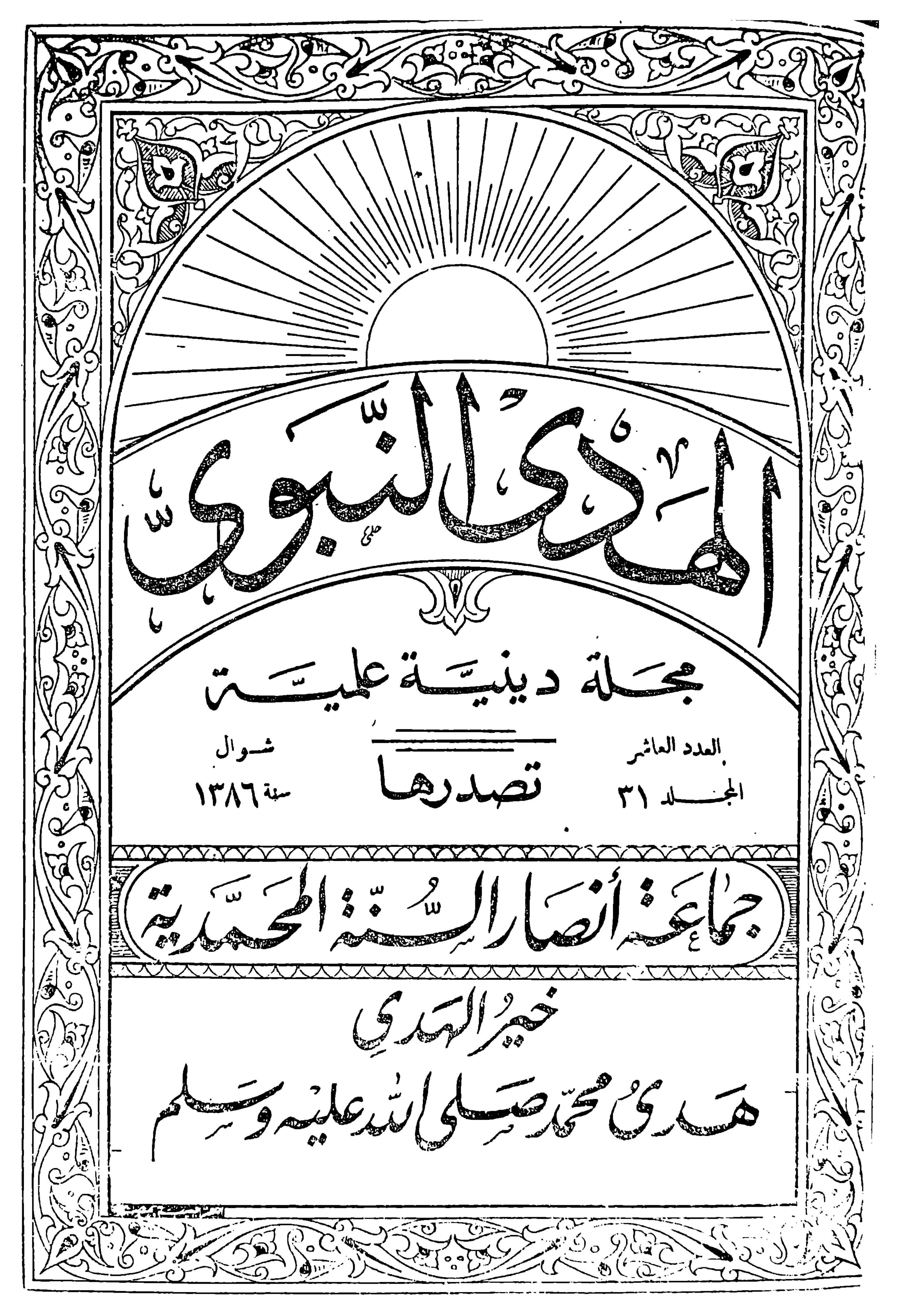
علي مصطفى ترزاكي وأولاده

٥ ش الترجمان (ممر الشامي) أول ش القلعة بالعتبة ت ٩١٩٦٧٥



منتجاتنا مصنوعة بعناية تامة ومن أجود الخامات المصرية
من سكر. وجليكوز. وكاكاو. ونشا. وأسنس. وفانيليا.
ومصنوعة بأيد مصرية صميمة صناعة ج. ع. م
والإدارة مستعدة لتلبية طلبات زبائنها الكرام تليفونيا أو بريديا
وتوصيل طلباتهم حتى محلاتهم

المدير المسئول
علي مصطفى ترزاكي


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد العاشر
المجلد ٣١
تصدرها
شوال
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان حسونه
الاشتراك السنوى
٤٠ صـ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ١٠ | شـوال سنة ١٣٨٦ | المجلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — [قال : أراغبٌ أنتَ عن آلهتى يا إبراهيمُ . لَئِنْ لم تَنْتَهِ لأرْجُمَنَّكَ ، واهجُرْنى مَلِيًّا . قال : سلامٌ عليك ، سَأَسْتَغْفِر لك رَبى إنه كان بى حَفِيًّا . وأَعْتَزِلُكُمْ ، وما تَدْعونَ مِن دُونِ الله ، وأَدْعو ربى عَسى ألا أكونَ بدعاءِ رَبِّى شَقِيًّا . فلما اعْتَزَلَهمْ ، وما يَعْبدون مِنْ دُون اللهِ ، وَهَبْنا له إسْحٰقَ وَيعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِن رحمتِنا وجَعَلْنا لهم لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا] مريم : ٤٦ : ٥٠ .

معانى المفردات

« أراغب » : فى الراغب : « أصل الرغبة : السعة فى الشيء . يقال . رغب الشيء اتسع . والرغبة : السعة فى الإرادة . . فإذا قيل : رغب فيه وإليه يقتضى الحرص عليه ، وإذا قيل : رغب عنه : اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه » وفى النهاية لابن الأثير : « رغبت بفلان عن هذا الأمر : إذا كرهته له ، وزهدت له فيه .

لأرجمنك : فى الراغب : الرجام : الحجارة ، والرجم : الرمى بالرجام . واستعمار الرجم للرمى بالظن والتوهم والشتم والطرد نحو : رجما بالغيب . . وقوله . لأرجمنك = لأقولن فيك ماتكره » وفى القاموس : « الرجم : القتل والقذف والغيب والظن والخليل والنديم واللعن والشتم والهجران والطرد ورمى بالحجارة واسم مايرجم به » .

واهجرنى : فى الراغب : « الهجرة والهجران : مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب .

مليًّا : فى الراغب : « الإملاء . الإمداد ، ومنه قيل المدة الطويلة : ملاوة الدهر » وعند ابن الأثير فى النهاية : « الإملاء : الإمهال والتأخير وإطالة العمر والمِلِيُّ الطائفة من الزمان لاحد لها .

حفيا : فى النهاية لابن الأثير « يقال أحفى فلان بصاحبه ، وحفى به ، وتحفى أى : بالغ فى بره والسؤال عن حاله » وفى المعجم الوسيط : « الحفى : العالم المستقصى » وعند الراغب : « الحفى : البَرُّ اللطيف .. والعالم بالشىء » فمادة الكلمة — إذَنْ — تفيد العلم والبر واللطف . والله عليم بَرٌّ لطيف بعباده . وبهذا دان إبراهيم عليه السلام .

أعتزلكم : فى الراغب : « الاعتزال : تجنب الشىء عمالة كانت أو براءة أوغيرهما بالبدن كان ذلك أو بالقلب .

عسى : عند الراغب « عسى : طمع وترج . وكثير من المفسرين فسروا لعل وعسى فى القرآن باللازم . وقال : إن الطمع والرجاء لايصح من الله ، وفى هذا منهم قصور نظر ، وذاك أن الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ، ليكون الإنسان منه راجياً لا لأن يكون هو تعالى يرجو » .

« المعنى »

فى هذه الآيات البينات ، وفيما سبقها بيانٌ هادٍ وحكمة بالغة وعبرة شافية ، بنُوة فى رَوْح النبوة وبرها . وحرصها القوى النبيل على هداية البشر ، ولاسيما من جعله الله سبباً

فى وجوده ، وهو الوالد ، ثم أبوَّة فى غلظ الوثنية وجفوتها وجحودها وحقدها على الخير وواهب الخير جل جلاله .

كان إبراهيم ــ عليه السلام ــ فى دعوته لأبيه عطوفاً ودوداً يقدم قلبه الحنون فى كلمات ترف إشفاقاً وخوفاً ومرحمة ، وعلى وجهه النبيل ما فى قلبه من أسى ولوعة . فهو ــ أى إبراهيم ــ إنسان يشف ظاهره عن باطنه ، ويرسم باطنه على ظاهره ما استكن فى أعماقه ، دون مَسٍّ ما من مداهنة أو مخادعة: والمتدبر للآيات يملؤه اليقين بأن إبراهيم كان ملىء القلب والنفس والعاطفة بالحرص على هداية أبيه ، ولهذا بذل خير ما يبذل من استعطاف وتلطف ووداعة ورقة لم تلق من الأب إلا فظاظة وغلظة وجهامة عناد ، وعُتو جحود منعه من أن ينادى إبراهيم بالبنوة . فلم يقل أراغب أنت عن آلهتى يا ابنى أو يابُنَىَّ . كما فعل لقمان ، وإنما ناداه باسمه المجرد على حين كان إبراهيم يبدأ كل دعوة له بقوله يا أبت ، ويبرز الحق الجليل فى القول الجميل ، فى كلمات طيبات نديَّة بالريحان والرَّوْح والصدق العظيم . وتدبر كيف قدم والد إبراهيم استنكاره لرغبة إبراهيم عن آلهته ، وآخر كلمة « أنت »[1] ، وجاء باسم إبراهيم بعد ذلك ، إن هذا التدبر يكشف لنا جانباً من الخلق الوثنى الحاقد الجاحد الجامد الذى لا يحنو على بنوة ولا أخوة ولا صداقة ، ألم تر إلى آزر كيف خاطب إبراهيم الذى كان يدعوه بأرق وأجمل وأندى كلمات لداعية كريم ، فقال — كما يقص الله —

(أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم) صدر كلامه بهذه الهمزة التى تفيد الإنكار والتعجب ليفصح لإبراهيم أنه ينكر نفس الرغبة التى بدت من إبراهيم ، وليشعره بأن عبادة هذه الآلهة شىء لا يصح أن يرغب عنها إنسان .

(إن لم تنته لأرجمنك) وعقب هذا بتهديد ووعيد يكشف جلياً عما كان يعتمل فى نفس آزر من غل وضغن وحقد مسعور جعله هكذا فى الصورة الكريهة البغيضة ،

---

(١) هى مبتدأ من حقه التقديم .

صورة الأب الذى يحقد على ابنه ، ويتمنى أن يقضى عليه ، ويجوز أن يكون مراد آزر من الرجم كل ماذكرت له من معنى فى المفردات ، وقد جاء بالرجم فى أسلوب من التوكيد يفصح عن رغبة آزر فى هذا العمل الشنيع ، رجم أب لابنه البار الطيب الرحيم به . ولم يجىء آزر بما يريد أن ينتهى عنه إبراهيم لأنه يريد أن ينتهى إبراهيم عن كل شىء فيه مساس ما بآلهته ، وأن ينتهى عن اعتزال آلهته ، وأن ينتهى عن الرغبة عن دين أبيه . وهكذا .

(واهجرنى مليًّا) أبٌ جعلته الوثنية مُغلَق القلب أغلفه ، فلا يأذن له الكفر أن يحنو على خير أو أن يشع منه حنان ، ألا تراه هنا — بعد هذا كله — يأمر ابنه بأن يهجره زماناً طويلا . لقد صار بكفره شيئاً آخر جعل منه كارها لابنه حاقداً عليه ، بل كارهاً لوقوع نظره عليه .

وأستطيع أن أقول إن آزر حاول أن يخدع إبراهيم بوعد من وعود الوثنية التى يُقصد بها صرف الداعية عن دعوته . ولعله وعد بأنه سيفكر فيما دعاه إليه ، لأن الله يقول سبحانه (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيَّاه)[1] .

قال : سلام عليك ، سأستغفر لك ربى) البنوة البارة أريحية بارة ، برها وحنانها تتجلى واضحة من قول إبراهيم : سلام عليك . بعد أن سمع من أبيه ماسمع من تهديد ووعيد . لقد نسى هذا كله ، ولم يذكر إلا أنه أمام أب يحرص هو كل الحرص على هداه ، وقد طمع فى أن يصدق أبوه فى موعدته فقال : سلام عليك : توديعاً له ، وإشعاراً له بأنه لايحمل فى قلبه لأبيه كراهية ، ولا يذكر له ماأساء به إليه ، ووعد له بأنه لن يفعل أو يقول مايؤذى أباه ، وإفصاح عن أنه لايريد لأبيه إلا السلام ، ثم ثنى هذا الاستفتاح الجميل بقوله : (سأستغفر لك ربى) سأطلب لك من الله سبحانه توفيقك إلى ماتستحق به مغفرته . والإتيان بالسين بدلا من سوف يبين لنا أن إبراهيم لم يتأخر زمان استغفاره طويلا . ثم قوله « ربى » بهذه الإضافة إلى الياء يكشف عن حب قوى ويقين قوى

---

(١) الآية - ١١٤ - من سورة التوبة .

فى الله سبحانه ، وإشعار لأبيه بأن من صفات الرب الذى يدعو إليه هو الغفران ، وبأنه لايجوز أن يدعى إلا رب إبراهيم .

(إنه كان بى حفيا) بهذه يشعر إبراهيم أباه بأنه قوى الرجاء فى أن يغفر الله له ، وفى هذا استدراج لطيف لوالده إلى الإسلام ، وكل مسلم يجب أن يؤمن بأن الله به حفى غير أن تقديم الجار والمجرور « بى » يعطينا أن إبراهيم كان يوقن أن الله كان يخصه بهذا فى هذه الأمة التى كانت تعبد مانحتت من أصنام . وقد ظل إبراهيم — عليه السلام — يستغفر لأبيه زمانا طويلا ، ويدعو له حتى بعد بناء البيت (رَبّنا اغفر لى ولوالدىَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) إبراهيم : ٤١ .

وكذلك فعل الذين آمنوا مع إبراهيم (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم : إنا بُرَآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرنَّ لك ، وما أملك لك مِن الله من شىء[1] . ربنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنَا وإليك المصير) هكذا يأمرنا الله أن نأتسى بإبراهيم وبمن آمن معه فيما بين الله إلا فى استغفار إبراهيم لأبيه . فإنه لايجوز لنا أن نأتسى به فيه كما بين الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إيّاه فلما تَبَيّن له أنه عدُوٌّ لله تبرأ منه . إن إبراهيم لأوّاهٌ حليم (التوبة : ١١٤ .

وقد حرم الله الاستغفار لمشرك ، لأن الله لايغفر أن يشرك به . وقد امتنع المسلمون عن الاستغفار لآبائهم المشركين بعد هذا النهى .

---

(١) ليت دعاة الوثنية يتدبرون هذا من إبراهيم ـ عليه السلام ـ حيث يؤكد لأبيه أنه لايملك له من اللهمن شىء ، وشىء أعم كلمة فى لغة العرب ثم هى واردة فى سياق النفى فتفيد العموم ، ثم هى مسبوقة بحرف الجر الزائدة وهى من لتؤكد نفى أى شىء مهما يكن .

(وأعتزلكم ، وما تدعون[1] من دون الله) . إخبار من إبراهيم بأنه سيقوم بهذا بعد أن بذل ما بذل وهو اعتزال القوم ، واعتزال أوثانهم .

وبتدبر قوله (وما تدعون) يتبين لنا أن وثنية هؤلاء كانت تتمثل فى دعائهم لهذه الأصنام ، بل يتبين لنا أيضاً أن دعاء غير الله وثنية وشرك صراح .

(وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً) فرقان بَيِّن ، بين ربه وآلهة قومه ، وبين دعاء الباطل ، ودعاء الحق ، وبيان أن الرب وحده هو الذى يُدعى لا سواه ، لأنه بالربوبية استحق هذا ، وجاء بعسى التى تدك الخيلاء والكبرياء ، وتبرز رجاء الفقير فى الغنى ، وتؤكد لكل مسلم أن الثواب من الله والاستجابة منه تعالى لدعاء الداعين ما هو إلا فضل منه سبحانه ، كما تؤكد أن العبرة بخاتمة الإنسان ، وهى غيب لا يعلمه إلا الله ، فأين من هذا إفك الذين يتخايلون بأنهم أولياء لهم عند الله جنات الفردوس ؟! . هذا إبراهيم يرجو — وهو خليل الله — ألا يكون خائباً ضائع المسعى عند الله سبحانه .

(فلما اعتزلهم ، وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحٰق ويعقوب) تحقق ما أخبر به إبراهيم فاعتزل قومه فجوزى على هذا بثواب عظيم فى الدنيا . إنه أجمل ثواب يطمع فيه بشر ، ابن يكون نبياً ، وحفيد يكون كذلك نبياً .

ولنتدبر هنا وضع قوله « وما يعبدون » . وهو الذى قال من قبل « وأعتزلكم

---

(١) ذكرت من قبل أن القرآن يأتى بكلمة « ما » وهى التى تستعمل كثيرة مع مالا يعقل ويأتى بكلمة « مَن » وهى التى تستعمل مع من يعقل فى القصة الواحدة، وذكرت أن الحكمة من هذا ـ والله أعلم ـ الإشارة إلى أن هؤلاء يدعون أولياء كما يتصورون أو يزعمون ، فيؤتى بمن . ولكنهم فى الواقع ونظر الحق يدعون أوثاناً فيؤتى بكلمة ما ، فمن يدعو البدوى مثلا . فهو يدعو إنساناً . فتستعمل معه كلمة من . وفى الواقع هو يدعو ضريحه فتستعمل كلمة ما، لأن البدوى قد أفضى إلى ربه ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عن الداعين له شيئا .

وما تدعون » أليس يفيد التسوية التامة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ، ويؤكد أن دعاء غير الله هى عبادة لغيره ، فلا يغرنك من يزعم أن شرك الجاهلية ما كان إلا لأنهم كانوا يعبدون غير الله . أما من يدعو غير الله فليس بشرك ! ! من ينادى : أغثنا أدركنا يا رسول الله ، من ينادى مدد يا بدوى ، من ينادى أنا فى جاهك يادسوقى ، من ينادى : يا حامى الحمى يا سيد ، كل هذا ليس بشرك ! ! وإذا لم يكن هذا شركا فأين هو الشرك ؟ ؟ .

لقد علمنا الله سبحانه بما قال إبراهيم أن الدعاء عبادة ، وأن من دعا غير الله ، فقد عبد غير الله . فماذا يقول الناعقون بغير هذا ؟ وماذا يقول الشيوخ الذين يزينون للناس شركهم بأنه جهل فقط ، والجهل مجرد خطأ لا شرك ! ! .

ثم فى الآية توكيد لنا بأن ثواب العبادة يكون فى الدنيا وفى الآخرة ، وأن اعتزال الشرك له مثل هذا ، لكن لما ذكر الله سبحانه إسحاق هنا ثم يعقوب دون ذكر إسماعيل وحده ، وهذا تخصيص له بتكريم أعظم ، فيكون قد ذكر إسحاق الذى منه إسرائيل وأنبياء بنى إسرائيل ، وذكر إسماعيل الذى منه خاتم النبيين .

(ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً) نأخذ الرحمة بمعناها الشامل ، فنصدق على أن الله أعطاهم النبوة والأموال والأولاد ، وكذلك كان إسحاق ويعقوب ، كما أنعم عليهم بالذكر الحسن العظيم العلى بين البشر ، ووصف اللسان بصفتين عظيمتين . الأولى : الصدق . الأخرى : العلو . وهذا يؤكد أنه ذكر حسن يصدق عليهم فعلا ، وأنهم به جديرون .

وصدق الله ، فبقى ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب بين الملل كذلك ، ووصفه بالعلو يفيد أنه ذكر بصفات عالية ومحامد سامية لا تخفى على أحد .

شىء عن إبراهيم : ولقد مجد الله ذكر إبراهيم[1] فى القرآن تمجيداً عظيما يدل على

---

(١) ذكر اسمه فى القرآن تسعاً وستين مرة .

حب الله لخليله إبراهيم ، والله لم يصف أحداً فى القرآن بأنه خليله سوى إبراهيم عليه السلام (واتخذ الله إبراهيم خليلا) النساء : ١٢٥ .

وقد وصف بأنه أمة (إن إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً ، ولم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) النحل : ١٢٠ ، ١٢١ .

والإخبار عنه بأنه كان أمة يكشف عن حقيقة إبراهيم فى عقيدته وخلقه وجهاده .

وقد خصه الله سبحانه ، ونوحاً بأن جعل فى ذريتهما النبوة والكتاب (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) الحديد : ٢٦ .

وقد فرض الله علينا اتباع ملة إبراهيم (قل : صدق الله ، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين) آل عمران : ٩٥ (ثم أوحينا إليك أنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حنيفاً) النحل : ١٢٣ .

وكان إبراهيم مسلماً على دين الإسلام . لأن دينه الذى دعا إليه هو الإسلام .. (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) آل عمران : ٦٧ .

ولهذا يجب أن نتدبر كل ما قصه الله عن إبراهيم ، لأن الله فرض على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته اتباع ملة[1] إبراهيم .

---

(١) الملة — كما عرفها الراغب — كالدين وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ؛ ليتوصلوا به إلى جوار الله ، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبى عليه السلام الذى تسند إليه . . ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ، ولا إلى آحاد أمة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا تستعمل إلا فى جملة الشرائع دون آحادها . لا يقال : ملة الله ، ولا يقال : ملتى وملة زيد . كما يقال : دين الله ودين زيد . ولا يقال : الصلاة ملة الله ، وأصل الملة من أمللت الكتاب ، وعرفها ابن الأثير « معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل » .

وأقول : يبدو من كلام أهل اللغة أن الملة هى الشريعة مرتبطة بتطبيق صاحبها لها ، وطريقته فى الدعوة إليها . فالأمر باتباع ملة إبراهيم أمر باتباع ما أمره الله به ، وباتباع طريقة إبراهيم عليه السلام فى الدعوة .

عمله مع قومه ، مع أبيه ، مع الملك الطاغية فى طاعة الله ، حتى فى الرؤيا التى رأى فيها أن يذبح ابنه ، فى الحلم ، فى اليقين الثابت ، فى الشجاعة الرائعة وهو يجابه الشرك وطواغيته ، وبيدهم النار المسعرة المسعورة ، فى التدبر فى ملكوت السموات والأرض ، والنظر العقلى الصحيح الذى يستهدف الوصول إلى الحقيقة .

أضرع إلى الله أن يوفقنا إلى اتباع ملة إبراهيم إنه سميع قريب مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

---

٤٧ – نظرات فى التصوف

كتبت عن المملكة الباطنية ومحكمتها عند الصوفية ، ثم عما يفتريه الصوفية من أن الدين ظاهر وباطن ، أو أنه حقيقة وشريعة بالمعنى الذى يقصدون ، وأتابع هنا الكلام عن فريتهم الأخيرة :

وكما فعل اليهود فعل الصوفية ، فزعموا كما زعم صوفية اليهود وغيرهم أن الدين شريعة وحقيقة ، أو ظاهر وباطن ، يقول ابن عجيبة عن علم التصوف : « وأما واضع هذا العلم ، فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشريعة ، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه سيدنا على[1] » .

أما الهيثمى ، فيقول : « الحقيقة هى مشاهدة أسرار الربوبية ، ولها طريقة هى عزائم الشريعة ، ونهاية الشىء غير مخالفته له على ما يأتى ، فالشريعة هى الأصل ، ومن ثم شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة ، والحقيقة هى الفرع المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شبهت بالدرر والتبر والزُّبَد والثمرة .

نعم ، هنا شيئان . أحدهما : علم صفات القلب ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام وجد وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديل صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ، ويتهاونون به مع كونه فرض عين فى الشريعة والحقيقة بلا خلاف[2] » .

ثم تكلم عن الأمر الثانى وهو الرخص وبين أن أهل الحقيقة يأخذون بالعزائم . وكلام البيهقى فيه رائحة جُبْن عن الجهر بحقيقة ما يعتقد ، وفيه تناقض ملحوظ ،

---

(١) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى ط ٢ سنة ١٣٢١ القاهرة

(٢) ص ٢٢٧ وما بعدها .

وفيه عدوان باغ . وهذا فى قوله عن الحقيقة : إنها مشاهدة أسرار الربوبية ! ! لو قال آيات الربوبية ، لأصاب ، لكنه تعمد ذكر كلمة أسرار ! ! ومن ذا الذى يشهد هذه الأسرار ، وما تلك الأسرار ؟ إنها كما تزعم الصوفية مشاهدة الذات ، ومكاشفتها ! ! .

وكان ابن عجيبة صوفياً شجاعًا ! ! نعم ، لأنه أفصح فعلاً عن عقيدة الصوفية دون محاورة أو مداورة أو مداهنة . وهذه الصوفية من القول بالظاهر والباطن التحلل من أحكام الشريعة ، وانتهاك محارم الله جهرة ! ! .

ولهذا يحتجون بقصة موسى والخضر زاعمين أن الخضر كان على بينة من الحقيقة أو الباطن ، ولهذا قتل ، وخرق السفينة . وكذلك يجوز للولى أن يفعل ! ! وقد رددت على هذه الفرية فى كتابى « مصرع الصوفية » وخلاصة الرد أن الخضر فعل ما فعل بوحى من الله ، فالله يقص عنه قوله : « وما فعلته عن أمرى » فهل يوحي إلى الولى ؟ .

إن ما فعله الخضر لم يكن مخالفًا للشريعة بدليل أنه حين بَيَّن لموسى أقرّه على ما فعل واعتذر عن اعتراضه الأول .

إن ما فعله الخضر كان بالنسبة له شريعة وحقيقة وظاهراً وباطناً ، فهو لم يفعل ما يخالف الظاهر أو الشريعة بالنسبة إلى ما أوحاه الله إليه .

ونسأل : أين الشريعة والحقيقة ؟ أهما فى كتاب الله أم لا ؟ لا يستطيع أحد سوى الكفار أن تبهت القرآن بأنه خلى من الحقيقة ، إذن لا حاجة بنا إلى أن نتصوف ، بل نحن فى حاجة دائماً إلى أن نكون مسلمين ، وكتاب الإسلام كتاب الله سبحانه

ويطيب لى أن أنقل هنا ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن القرآن بعد أن تكلم عن بعض الكتب السماوية : « وأما القرآن ، فإنه مستقل بنفسه لم يُحوج أصحابَه إلى كتاب آخر ، بل اشتمل على جميع ما فى الكتب من المحاسن ، وعلى زيادات كثيرة لا توجد فى الكتب ، فلهذا كان مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمناً عليه يقرر ما فيها من الحق ، ويبطل ما حرف منها ، وينسخ ما نسخه الله[1] ، فيقر الدين

(١) يعنى ما نسخه الله من الشرائع السابقة .

الحق ، وهو جمهور ما فيها ، ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها ، والقليل الذى نسخ فيها ؛ فإن المنسوخ قليل جداً بالنسبة إلى المحكم المقرر ، والأنبياء كلهم دينهم واحد[١] ، وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم . . . ولهذا كان من صدق محمداً ، فقد صدق كل نبي ، ومن أطاعه ، فقد أطاع كل نبى ، ومن كذبه فقد كذب كل نبى ، ومن عصاه ، فقد عصى كل نبى . قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً) .

وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعناً فى جنس الرسل بأن يزعم أنهم لم يعلموا الحق ، أو لم يبينوه ، فهو مكذب لجميع الرسل كالذين قال الله فيهم : (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ، فسوف يعلمون . إذِ الأغلالُ فى أعناقهم والسلاسلُ . يُسْحَبُون فى الحيم ثم فى النار يُسْجَرُون) .

ثم يقول : « وكثير من أهل الكلام والتصوف لا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة ، بل يقر بفضلهم فى الجملة مع كونه يقول : إن غيرهم أعلم منهم ، أو أنهم لم يبينوا الحق ، أو لبَّسوه ، أو أن النبوة هى فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال . . فهؤلاء يقرون ببعض صفات الأنبياء دون بعض ، وهؤلاء يكون أحدهم شراً من اليهود والنصارى[٢] » .

وصوفية ابن عربى وابن الفارض والحلاج والبسطامى والشبلى لا تؤمن بأن القرآن فيه الحقيقة . كلهم يعتقدون أن نصوص ابن عربى ، أو تائية ابن الفارض هى خير من القرآن ، ولهذا صرح التلمسانى بقوله : « القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد فى كلامنا » .

---

(١) هو دين الإسلام .

(٢) ص ٢٠٣ وما بعدها ج ١ مجموعة الرسائل الكبرى .

ولو أنهم كانوا على غير هذا الدين لرأينا منهم الحفاوة البالغة بتدبر القرآن والدعوة إليه ، وتذكر الناسى به . ولـكنهم فيما يؤلفون ويذكرون ويدعون إنما يحاولون تحدى القرآن بالتراث الصوفى .

أما الغزالى ، فيقول فى الإحياء ردا على من قال له : « ليس الشرع ظاهر وباطن وسر وعلن ، بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيهم : رد الغزالى بقوله :

« فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة ، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيئاً ، وجمدوا عليه ، فلم يكن لهم ترقّ إلى شأو العَلاء ، ومقامات العلماء والأولياء ، وذلك ظاهر من أدلة الشرع . اقال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهراً وباطنًا وحَدًّا ومَطْلَعاً[1] » ثم مضى يأتى بأحاديث ما تـكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى بعض منها ولـكنها لا تشهد لما يقول . ثم قال : « قال سهل التسترى : للعالِم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله ، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر ، وقال بعضهم : للربوبية سر ، لو أظهر لعطلت النبوة ، وللنبوة سر لو انـكشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سرٌّ لو أظهروه لبطلت الأحكام » .

ثم يقول عن أصحاب المـكاشفات : « إذا انـكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى

---

(١) رواه ابن حبان من حديث ابن مسعود بنحوه ، وحديث مثل هذا لا تثبت به حقيقة دينية . وقد جاء به الشعرانى مفصلا : « إن لكل آية ظاهراً وباطناً . وحداً ومطلعاً إلى سبعة أبطن إلى سبعين » فالظاهر هو المعقول والمقبول من العلوم النافعة التى تـكون بها لأعمال الصالحة . والباطن هو المعـارف الإلهية . والمطلع هو معنى ما يتحد فيه الظاهر والباطن . والحد يكون طريقاً إلى الشهود الـكلى الذاتى » ص ٦ الطبقات . أى يشهد ذات الله .

عليه فظهروا الى السمع — أى إلى كلام الله ورسوله — والألفاظ الواردة ، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أوّلوه ، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرّد ، فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف .

ويتكلم عن علوم الآخرة فيقول : إنها قسمان : علم معاملة ، وعلم مكاشفة .

ثم يقول: « فالقسم الأول علم المكاشفة . وهو علم الباطن ، وذلك غاية العلوم[١] ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . . وأقل عقوبة لمن ينكره أنه لا يذوق منه شيئاً . وهو علم الصديقين والمقربين » ثم يقول : وهو أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور[٢] أتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه . . وهذه هى العلوم التى لا تُسَطَّر فى الكتب ولا يتحدث بها من أتم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله ، وهولوا المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار ، وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله : إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، فإذا انطلقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى[٣] » .

ثم يقول : « وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن

---

(١) ولهذا يزعم أن هذه العلوم ذكرت بالإشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات . وأن لوارث رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم المعاملات وأشار مما وراءها مما لا يفهمه إلا المتخصصون ص ١٧٩ الإملاء للغزالى بهامش جـ ١ الإحياء .

(٢) منها نزول الله والقرب منه والنظر إلى وجهه ، ومعرفة ملكوت السموات والأرض كما ذكر الغزالى .

(٣) رواه الصوفى أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف بإسناد ضعيف . وهكذا يعتمد الغزالى على الصوفيات الكاذبة ! ! .

وأرباب القلوب ، كان الإمام الشافعى يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ، ويسأله ، فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى ، فيقول : هذا وفق لما أغفلناه ، وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ، ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما ، وكانا يسألان . . ولذلك قيل : علماء الظاهر زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت[1] » . ولو ذهبنا نستقصى

---

(١) النصوص الغزالية عن الجزء الأول من الإحياء ص ٨٨ وما بعدها ثم ص ١٨ وما بعدها . ويقول ابن الجوزى : « ولم يتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جارى المتصوفة ، فجاءوا بوضع أهل الخلاعة ، فأول ما وصفوا أسماء ، وقالوا حقيقة وشريعة . وهذا قبيح ؛ لأن الشريعة ما وصفه الحق لمصالح الخلق ، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع » ص ٣٧٣ تلبيس — قسم الصوفية أعمال التصوف إلى ثلاثة أقسام : عمل الشريعة . وعمل الطريقة وعمل الحقيقة . فالشريعة : أن تعبده . والطريقة أن تقصده . والحقيقة أن تشهده ص ١٠ شرح ابن عجيبة . والقصد تتضمنه العبادة فلا حاجة إلى الطريقة . والشهود الذاتى محال . فلا حقيقة للصوفية .

ويقول ابن الفارض :

ولا تك ممن طيشته دروسه   بحيث استقلت عقله واستفزت

فثم وراء النقل علم يدق عن   مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته منى ، وعنى أخذته   ونفسى كانت من عطائى ممدتى

ويعنى بالدروس : العلوم النقلية . يحذر ابن الفارض من السير وراء النقل . أى القرآن والسنة . ويفرض علينا أن نأخذ ديننا عن الكشف الصوفى الذى وصفه بأنه يدق عن مدارك غايات العقول السليمة ، وهذا معناه أن ما أنزل الله على خاتم أنبيائه لا يمثل الحقيقة ، إذ الحقيقة ذوق وجدانى صوفى عرفه ابن الفارض وأضرابه فحسب . ثم هو يسير وراء الزعم بأنه هو الله . واقرأ البيت الثالث . فهو قد أخذ الحقيقة عن نفسه . لأنه هو المعطى الوهاب ! ! .

النصوص من الإحياء وغيره ، لكتبنا عشرات الصفحات ، فحسبك هذا من الغزالى الذى يهدف — كما ترى — إلى تحقير علم الشريعة وأئمته ، ويوجه قلوبنا إلى الصوفية بما فيها من ضلالة وحقد ، وبهتان ، ويوجب إخضاع آيات القرآن لما ينكشف للصوفى ، أو لهوى الصوفى ، نعوذ بالله .

عبد الرحمن الوكيل

صلاة العيد

تقيم جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ـ كعادتها كل عام ـ صلاة عيد الفطر المبارك بميدان الجمهورية .

وإننا نقدم خالص تهنئتنا بعيد الفطر المبارك إلى جميع الأمم الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها سائلين الله تعالى أن يعيد عليهم أمثال أمثاله باليمن والبركات .

٥ – واجبنا نحو الشـــباب :

جناية المجتمع على الشباب

لعل مما يبعث على الأسى والأسف أن يكون المجتمع سببا فى تقويض صروح الفضائل والقيم ، والمثل العليا لدى الشباب ، إنها المعادلة الصعبة — كما يعبر الرياضيون — التى أعيانى حلها ؛ كما أعيا الـكثيرين من قبلى . فبقدر مانسمع أن المجتمع يسعى جاهداً — لخلق شباب مثالى — فإننا نرى المجتمع يهدم باليد الأخرى مايبنيه باليد الأولى . وشتان بين القول والفعل ، وبين المسمع والمرأى . ولو أنا عرضنا هذه المسألة على بساط البحث لتبين لنا أن للمجتمع نظرة خاصة حيال الفرد تختلف وتتشكل باختلاف مظهره يساراً أو إعساراً . وجرى العرف على تركيز الأهمية فى ناحيتين هما : — مدى الثراء ، والمنصب الاجتماعى ، وما يستتبع ذلك من نفوذ وجاه .

وفى المجتمعات غير المتحضرة كانت ومازالت السيادة للقبيلة ؛ أما المجتمعات المتحضرة فقد استبدلت بالقبيلة الأسرة ، فعلى قدر نفوذ الأسرة وسطوتها ووجاهتها تـكون نظرة المجتمع إليها وإلى كل من ينتمى إليها أو يلوذ بها ، هذا إذا كان الفرد معروفا فى بيئة . أما خارج البيئة فليس هناك اعتبار إلا لحالة الفرد الظاهرية أى لمظهره العام .

ذلك هو تقييم المجتمع للفرد ، وتلك ظاهرة تتجلى بوضوح فى مجتمعنا المعاصر .

فقد يكون الفرد على جانب غير يسير من العلم أو الدين أو حسن الخلق ، ولـكنه فقير خاوى الوفاض ، تقصر يده عن الحصول على أسباب الترف وبحبوحة العيش كغيره فلهذا نراه يحظى من المجتمع بالإهمال والإعراض ، فلا قيمة لعلمه ؛ ولا اعتبار لدينه ، ولا وزن لحسن خلقه ، وما أكثر مايفضل المجتمع عليه جهولا أحمق أو تاركا للصلاة أو شرساً ، وما ذاك إلا لغناه أو جاهه أو لمكانة أسرته .

وما كان الإعسار وصمة عار تشين المعسر أبداً ، مادام يسعى لتحصيل معاشه من أوجه الرزق الحلال المشروعة ؛ إنه — وهو الفقير الشريف — لم يذنب ولم يأت بفقره أمراً نكراً ؛ وقد لا يكون للموسر أى فضل فيما ملكت يداه ؛ وما كان الإسلام ليضع فى اعتباره تقييم البشر بحسب ثرائهم أو على قدر غناهم .وإنما نص الإسلام على أن التفاضل بين البشر إنما يكون بالعلم والتقوى وكلاهما مرتبط بالآخر أيما ارتباط . لقد نسى المجتمع قول الله تعالى : —

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب) الزمر : ٩ تغافل المجتمع عن قوله سبحانه : — (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت : ٤٣ تجاهل المجتمع قوله عزوجل : — (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة : ١١ .

أو لم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب المزيد من العلم فى قوله : (وقل رب زدنى علماً) طه : ١١٤ .

لقد أصم المجتمع آذانه عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الكثيرة التى أشاد فيها بفضل العلم والعلماء . وما عاد المجتمع يأبه إلا بالمال والرواء والرونق .

وناهيك بالتقوى التى هى جماع كل الخير والفلاح ، والتى لها المنزلة الأولى عند رب العالمين وذلك فى قوله : — (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ثم فى قول رسوله صلى الله عليه وسلم « لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ،كلكم لآدم وآدم من تراب » نسى المجتمع أن الله يعطى الدنيا لمن أحب ولمن لم يحب ولكنه لا يعطى الدين إلا لمن أحب ، كما جاء فى الحديث الشريف . فقد يشترك الفقير والغنى فى الإحسان والتصدق وقد يكون مبعث الإحسان لدى كليهما هو التقوى ولكن شتان بين من يبذل القليل على قلة وبين من يبذل القليل على كثرة .

إن نظرة المجتمع تلك ... إنما هى صورة مقنعة من شريعة الغاب .

* * *

جاءنى يقص قصته — كما اعتاد أن يفعل — إذ كان يجد لدى من التسرية والمواساة ما يخفف من ضيقه ولوعته .

جاءنى هذه المرة بوجه مكفهر وبأعين يطل منها الألم ، وطفق يتحدث إلى بصوت يقطر أسى ومرارة . إنه شاب على جانب كبير من الأدب والحياء ودماثة الخلق — يشتغل بالميكانيكا — بينما يعمل أخوه الأكبر طبيباً ناجحاً : تاقت نفسه إلى تعلم لغة أجنبية واختار مَدْرَسة أجنبية بعينها وبعث بأخيه الآخر — وهو غير الطبيب — ليتولى نيابة عنه تقديم طلب الإلتحاق ودفع الرسوم وما إلى ذلك ، والتقى الأخ بمدير المدرسة — وهو أجنبي كذلك . وشرع المدير يسأل عن البيانات المطلوبة ويكتبها من إملاء الأخ فى ورقة أمامه وما كاد المدير يسأله عن مهنة أخيه ويذكر له أنه ميكانيكى حتى توقف عن الكتابة وقال للأخ :—آسف .. ليس فى وسعنا قبول أخيك حرصاً على مظهر المدرسة ، قالها بصراحة يحسد عليها ، وبعد جدال طويل حاول الأخ إفهامه فيه أن أخاه ليس بالصورة التى يظن من قزارة الملبس وإهمال النظافة ، فطلب إليه أن يبعث بأخيه ليراه قبل إصدار قراره بالرفض أو القبول . وعاد الأخ إلى أخيه دون أن يخبره بما حدث ، ولكنه أبلغه أن الأسلوب المتبع هو أن يتقدم الطالب بنفسه إلى المدرسة — وذلك حتى يتفادى إيذاء شعوره .

ذهب « الميكانيكى » للقاء المدير وهو كعادته حسن الهندام أنيق الملبس فقدم إليه نفسه فذهل المدير ودعاه إلى الجلوس مرحباً ، وهو لا يصدق أنه الميكانيكى الذى رفض من قبل ، وأخذ يبدى له من ضروب المجاملة والتكريم والاحترام ما أدهشه ثم اعتذر إليه عما قال لأخيه وهو يحسب أن أخاه قد أبلغه ، كما بادر بإلحاقه بالمدرسة على الفور ، وأضحى بعدئذ موضع تقديره واحترامه لا لشىء إلا لمظهره فقط .

قص على هذه القصة التى حاولت جهدى إيجازها وهو ناقم ساخط على نظرة المجتمع

إلى المظهر[1] دون الجوهر ثم انثنى راجعاً وفى نفسه حسرات على حظه العاثر الذى جعله كثيراً مايستحى من أن يقول عن نفسه فى مثل هذه المجتمعات أنه ميكانيكى .

إن مجتمع المظاهر الكاذبة هذا يجنى على الشباب جنايات لاتغتفر . إنه يحملهم على الكذب والغش والخديعة ويرى الشباب نفسه وهو يتردى فى سلسلة من الأكاذيب حول مركزه الاجتماعى ومستوى معيشته ويتظاهر بما ليس فيه حتى يحظى باحترام مجتمعه الختال المتلون .

ولو ألقى هؤلاء بأنظارهم إلى كمال الدين الإسلامى لكان لهم أن : يفخروا — لابالثراء أو الجاه — ولكن بأنهم مسلمون — عملاً وفعلا لا قولا .

فالإسلام دين النظافة ، ولا يقبل العبادة من المسلم إلا إذا سبقتها الطهارة — البدنية والروحية — وليست النظافة — أو الطهارة بالأمر الذى يشق على الفقير أو الغنى فالكل فى ذلك سواء .

وهذا رسول الإسلام والسلام صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس سواسية كأسنان المشط » . وليس العمل مهما تضاءل خطره بالذى يزرى بصاحبه المكافح الشريف ، فكلٌ له جهده الذى يحتاج إليه المجتمع ، وكلٌ يضع لبنة فى البناء لايستغنى عنها المجتمع ، وإن الشنار والعار كل العار فى فقدان الشرف والكرامة والمروءة .

إننى أحترم كل الاحترام ذلك المكافح البسيط الذى يحمل فى يده صندوقاً يقفز به من ترام إلى مركبة إلى غير ذلك طلباً للقمة الحلال وهو يتصبب عرقا — بينما كان فى وسعه أن يسرق كما يفعل المتهاونون المجرمون ، ولكنه عرف أن له رباً سوف يحاسبه فيثيبه أو يعاقبه ، إنه أحس بقيمة الشرف والفضيلة والكرامة فتشبث بها لايبغى بذلك بديلا. إنه علم — أنه رغم قلة نصيبه من العلم — أن الله يقول : (والله فضَّل بعضكم على بعض

---

(١) وقد تغيرت هذه النظرة عند الكثير من الناس بعد تقليم أظافر أمثال هؤلاء .

فى الرزق) . وأنه يقول كذلك : (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيرا .)

والإسلام يحبذ الطموح والارتقاء بالمستوى العام للأمة الإسلامية ، ولـكن ماذا يفعل هذا وله من الجهد والطاقة المحدودة مالا يمكنه من أن يفعل المزيد .

إننى أُجِلُ مثل هذا الفقير الشريف بنفس القدر الذى به احتقر الغنى ذا الجاه والمنصب والمظهر المهيب ، وهو الذى لايتورع عن السرقة والاختلاس فى الظلام أو اعتماداً على أن منصبه الخطير سوف يكفل له المهابة فلن يجرؤ أحد على كشف إجرامه وتلاعبه . وكم تطالعنا الصحف بين الفينة والفينة بمثل هذه المخازى والمهازل ، وكم نتمنى لو قطعت هذه الأيدى الأثيمة ؛ إذن لـكانت عبرة لمن اعتبر ولشعر الناس بالأمن على أقواتهم والطمأنينة فى معاشهم .

ألا فليستمع الناس إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم « لأنْ يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيـكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس . . أعطوه أو منعوه » .

وإذا كنا ننعى على المجتمعات الأخرى التى تمارس التفرقة العنصرية على أساس اللون ، أفليس مايمارسه بعض الناس من ألوان التفرقة التى ذكرتها آنفاً مايقتل الفضائل ويحطم القيم ويفتك بعزيمة الشباب فتكا ذريعاً ؟

ونحن لم ننس أن الصحابى الجليل بلالا الحبشى والذى كان فيما مضى عبداً رقيقاً حرره الإسلام وأعتقه الصديق (رضى الله عنه) أصبح بمدئذ والياً على المدينة المنورة ، وكان فيها من فاقةً غنى ويساراً .

ولعله لم يغب عن الأذهان كذلك موقف « جبلة بن الأيهم » وهو أحد ملوك الشام الغساسنة ، من الأعرابى الذى داس عفواً طرف ردائه وهو يطوف بالـكعبة من خلفه وما كان من جبلة إلا أن صفعه ، فشكاه الأعرابى إلى أمير المؤمنين آنذاك عمر (رضى الله عنه)

فاستحضره عمر وأمر الأعرابي برد الصفعة إليه فاحتج جبلة بقوله : كيف ذلك وأنا ملك، وهو سوقة ، فقال عمر : — إن الإسلام قد سوى بينكما . فطلب جبلة إمهاله إلى الغد ثم فر فى جنح الليل مع حاشيته إلى ملك الروم فتنصر ، وكان منه ما كان مما روته كتب التاريخ .

فهذا بلال اعتز بالإسلام فرفع الإسلام مكانته وأعلى قدره ، وذاك جبلة تنكر للإسلام فخاب وخسر .

والمجتمع الضال بمسلكه هذا حيال الشباب هو الخاسر والغارم لا الشباب وحده ، بل وخسارة المجتمع ولاشك أفدح ، فكم جرت المظاهر الكاذبة من نكبات مالية وأدبية وخلقية على أصحابها وعلى من يتصلون بهم، كمن تقوم بينهم صلات نسب مثلا ، فنراهم يتكلفون ماليس فى وسعهم إرضاء لنزعة التظاهر لدى المجتمع ، أو صلات الصداقة المزيفة وما إلى ذلك ، وكم تكون الفاجعة أليمة إذ تتهادى حلقات الأكاذيب والخداع وتسقط الأقنعة عن الوجوه وتبدو الحقيقة سافرة ، ولا يملك المجتمع إزاء هذا إلا أن يحرق الأرَم ندماً وأسفاً جزاء ما اقترف .

والإسلام فى الحقيقة دين لايعمل فى الظلام أو الخفاء ، وإنما تتمثل فيه وضوح الرؤية بصورة مذهلة .

فرفقاً بالشباب أيها المجتمع ، أعد إليه الثقة بنفسه ولا تتسبب فى مروقه من آدابه الإسلامية فيرتد السهم إلى نحرك ، لاتكلفه شططاً ولا تحمله عنتاً ، دعه يتصرف بطبيعته ومن وحى إسلامه ثم ضميره دون زيف ولاغش ، ولا خداع ولا كذب ، ولا تظاهر ولا رياء ، ولا مداهنة ولا نفاق ، حتى تصفو نفس الشباب من تينك الأكدار ، ويخلص من هذه الرواسب ، فيعود بدوره إلى مجتمعه يأخذ بيده ويرقى به إلى أسمى الغايات وأشرف المنازل . وإذ ذاك يتجلى فينا قوله جل وعلا (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفقنا الله جميعاً إلى مافيه الخير والسداد والهدى والرشاد والله ذو الفضل العظيم .

محمد عبد الكريم أحمد — محرم بك الاسكندرية

٥ — نظرات فى المجتمع والشريعة :

« الهــــوى »

— ٢ —

نواصل القول فى تكريم الله للإنسان ، وتسخير جميع المخلوقات له ، وان شئت اقرأ معى آيات التسخير ، والتذليل ، وآيات الإنعام والامتنان .

« وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها » «وهو الذى خلق الأزواج كلها ، وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »

وعندما يدل الإنسان بما أوتيه من فضل ، ويتيه بما أسبغه عليه ربه من كرم ، حتى ينسى صاحب الفضل ويفسد فى الأرض ، ويخاصم من خلقه وسواه . عند ذاك يذكره الله بأصله ، ويحكى له نشأته التى ما كانت لتميزه عن غيره لولا أن ميزه الله بفضله .

يقول الله تعالى فى سورة الانفطار « يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك .فى أى صورة ماشاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين » .

وفى سورة النحل يقول تعالى عن مخلوقه الذى كرمه فخاصمه : « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون .وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » .

وفى استفهام تقريرى يحمل معنى التوبيخ والتأنيب، يقول تعالى فى سورة (يس) تقريعاً

لأبى بن خلف : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال : من يحيى العظام وهو رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة. وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أوَ ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ».

عجيب أمر هذا الإنسان جعله الله سيد هذا الكون ، وسخر له ما فيه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، يغوص فى الأعماق ، ويحلق فى الفضاء ، ويستخرج الكنوز والثروات ويبتكر أسباب التعمير والتدمير ، وشأنه بعد هذا التمكين وتلك القوى المتاحة يحكيه القرآن الكريم ، إذ يقول تعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله بغير علم ، له فى الدنيا خزى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد »

ولكن ما السر وراء انحراف الانسان ؟ أهو مفطور على الشر فالشر طبيعة فيه كما قالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟ أم أنه هكذا تتجاذبه قوى مختلفة فيه ، ليس له عليها من سلطان ؟ ليس هذا ولا ذاك ، إذ الانسان خرج إلى الحياة والخير فيه موجود ، والشر مجرد استعداد ، فإذا برز الشر من منطقة الاستعداد إلى خير الوجود ، فذلك لسبب خارجى هو الذى نناقشه فى هذا البحث .

الانسان بين الفطرة والهوى :

فالإنسان خلقه الله وفطره على الحق ، وهداه إليه ، وأعطاه وسائله وأسبابه . والدين الحنيف هو دين الفطرة فى بساطتها وطهرها ، وسر حنيفيته أنه يمضى بالإنسان سريعاً إلى الحق الذى عرفه بفطرته فى سهولة ويسر . وهو ملة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام. يقول تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » كما يقول الله تعالى فى سورة الروم « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » .

وفى الحديث الذى رواه البخارى يشرح الرسول عليه الصلاة والسلام هذه القضية ، قضية الفطرة التى فطر الله الناس عليها فيقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء ؟ فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » .

إذن الإنسان على الحق مفطور ، وإذا ضل عن هدى الفطرة فالمسئول الأول عن ذلك بيئته التى نشأ فيها ، فهى التى تحول أسباب الهداية إلى عوامل ضلال وغواية ، وإذا هوى الإنسان إلى ذلك الدرك . وحرم من نور الفطرة ، وران على قلبه أستار التقليد وحجب التعصب ، فقد هبط من قمة الإنسانية الكريمة التى صورناها آنفا وأوغل فى مادية دنسة كشأن الأنعام أو أقل شأناً .

وهذا هو الإنسان إذا ضل عن الفطرة وعطل أسبابها يقول تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

والإنسان فى خسران عظيم مالم يعتصم بالله ويحرص على هداه . استمع إلى قسم الرحمن فى أقصر سورة من القرآن ، يقول تعالى فى سورة العصر : « والعصر . إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

أجل : الإنسان فى خسارة كبيرة حين يضل عن الفطرة ، إذ يخسر إنسانيته ويفقد فضله وكرامته ، ويصبح جسداً يتحرك على وجه الأرض ، يرتع ويمرح كما تفعل سائر الأنعام ، والنار هى مثواه كما هى مثوى كل مادة حرمت من شرف الروح ، وجلال الفطرة .

وللفطرة تاريخ عريق وعميق ، موغل فى ضمير الأزل ، عهد أخذه الله على أرواح البشر قبل أن يوجد البشر يقول تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم

وأشهدهم على أنفسهم. ألست بربكم ؟ قالوا . بلى شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة : إنّا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون » . فذلك العهد هو أصل الفطرة ورسل الله وأنبياؤه إنما بعثهم الله ليذكروا البشر بذلك الميثاق حتى لا يضلوا عن فطرتهم. يقول تعالى فى سورة المائدة :

« واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا » .

وبعد ذلك عندما يجحد الإنسان فطرة فطر عليها ، وتأتيه آيات الله فينسلخ منها ، أى أنه ينسى الفطرة ، ولا تنفعه الذكرى فيتردى فى حمأة من الضلال تجعله قميناً بأن يكون إماماً للشيطان لا مأموماً له ، فماذا تقول فيمن أعطاه الله أسباب الرفعة فأخلد إلى الأرض واتبع هواه ؟ !

وهذا هو حديث القرآن عن ذلك الإنسان بالتفصيل يقول تعالى مخاطباً رسوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » . [يتبع]

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

هداية القرآن

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً عظيما . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما)

لكى تتحطم اغلال التقليد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فيقول الله تعالى فى محكم تنزيله « فلاوَرَبِّكَ لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » .

هذه الآية الكريمة حكم جاء بعد حيثيات ومقدمات وتمهيد ، ثم بعد ذلك ينتهى كل هذا إلى النتيجة الحاسمة التى قدرتها الآية الكريمة .

أما الحيثيات والمقدمات فهى تتلخص فى أمرين :

أولهما الإيمان وعلاماته ونتائجه ، وثانيهما النفاق وأماراته ونتائجه .

أما عن الأمر الأول فيقول جل شأنه :

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

فرقت هذه المقدمة بين الطاعة وبين رد الشىء عند التنازع .

أما عن الطاعة فقد أوجب الله تعالى على المؤمنين طاعته جل شأنه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وطاعة أولى الأمر من المؤمنين ، وقد جعل الله تعالى طاعة أولى الأمر من المؤمنين الثالثة فى الترتيب لأنها فرع من الأصل ، وهو طاعة الله ورسوله ، بحيث إذا حدث التعارض بينهما فإن الغلبة تكون للأصل ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

أما عن رد الشىء عند التنازع فهو أمر يختلف عن الطاعة فى أنه لايرد إلا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لا إلى أولى الأمر من المؤمنين . لأن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى الكتاب الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والرد إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم هو الرد إلى الذى لاينطق عن الهوى — أى إلى سنته من بعده — أما الرد إلى أولى الأمر من المؤمنين فهو رد إلى الذين قد يصيبون وقد يخطئون ، والرد كشف وبيان عن الحكم (إن الحكم إلا الله) .

هذا هو الإيمان وعلاماته ، أما نتائجه فهى : « ذلك خير وأحسن تأويلا » .

أما عن الأمر الثانى وهو النفاق وأماراته ونتائجه فيقول الله تعالى : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » .

ثم بعد ذلك تأتى التجربة التى تبين النفاق وعلاماته ، وتكشف حقيقة الزعم الباطل .

« وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » .

زعم باطل بالإيمان بما أنزل الله يقترن بإرادة التحاكم إلى الطاغوت ، وعند الدعوة إلى ما أنزل الله ينكشف الزعم الباطل ويكون الصدود .

يامن تزعمون أنكم آمنتم بما أنزل الله ، تعالوا إلى الله ورسوله ، تعالوا إلى الكتاب والسنة فسرعان ما ينكشف هذا الزعم الباطل وتراهم « يصدون عنك صدودا » ويتحاكمون إلى العرف والتقليد والوراثة وما جاء عن الآباء والاجداد ، وكل هذا تحاكم إلى الطاغوت .

ثم بعد ذلك تأتى النتيجة الحتمية ، للنفاق وهى :

« فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً » .

وهكذا إيمان يدفع إلى الاحتكام إلى الله ورسوله فينتهى إلى الخير وأحسن التأويل ، ونفاق يصد عن حكم الله صدوداً فينتهى إلى المصيبة .

تلك هى المقدمات والحيثيات أما الحكم فهو :

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وصدر الحكم فيه خطورة تشعر بهول النتيجة .

هذا الصدر ابتدأ « بالفاء » التى تربط ما بين الحيثيات والحكم ثم « لا » التى تؤكد القسم وتنفى ماقبله ، والأخطر من ذلك أن صَدْر الحكم قَسَمٌ بذات الله تعالى وبربوبيته ، وهو قسم لوتعلمون عظيم ، وفيه خطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلاوربك . . » ثم بعد ذلك تعليق للايمان على شروط ثلاثة لايتحقق الإيمان إذا تخلف شرط منها .

أولا : أمر يتعلق بالبحث عن الحكم « حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

وثانيها : أمر يتعلق بالنفس « ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت » .

وثالثها : أمر يتعلق بالعمل والتنفيذ « ويسلموا تسليما » .

الشرط الاول : « حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

حتى يحكموك وأنت رسول رب العالمين المبلغ عن الله جل شأنه ، حتى يحكموك لايحكمون الهوى ، فإذا احتكموا إلى الهوى فقد وصلوا إلى أحط دركات الضلال ، لانهم بهذا يذنبون ولا يستغفرون ، لأنهم قد فقدوا حتى مجرد الإحساس بالذنب فقد أضلهم الهوى وأعمى أبصارهم ، وصاروا بهذا من « الأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

حتى يحكموك ، لايحكمون الآباء والاجداد ، لان الهدى والدين ليس تركة تصلح لأن يتلقاها الأبناء عن الآباء ، إنما هو منة من رب العالمين ، فماذا فعل نوح عليه السلام لولده ، وماذا فعل إبراهيم خليل الرحمن لأبيه ؟

إن التعصب لما تلقاه الإنسان عن آبائه وأجداده يضع على العين غشاوة تحجب حقيقة النور ، وتجعل الإنسان يتخبط فى ظلمات تركة الضلال الموروث ، فهى الحجة الملعونة التى أدلى بها الشيطان إلى أو ليائه فواجهوا بها دعوة الأنبياء جميعاً ، بل وكل دعوة إلى التوحيد ، بل هى الحجة الخبيثة المنتنة التى تمسك بها أبو طالب وعض عليها بالنواجذ ، وهو يعانى سكرات الموت ورفض دعوة ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يشفق عليه ويحرص على إنقاذه من براثن الجحيم الأبدى . فكان آخر ماقاله أبو طالب « هو على ملة عبد المطلب » وهكذا ينتهى التعصب للتركة الملعونة بالإنسان إلى قاع الجحيم ، ويحجب عنه طريق الهدى والنور والنعيم .

«حتى يحكموك فيما شجر بينهم » لايحكمون العرف والتقاليد وما عليه الناس ، لأن الاحتكام إلى كل هذا يجرد الإنسان من شرف الإنسانية ويضعه فى مصاف القطعان من الماشــية التى تتبع المقدمة فتنقاد وهى لاتدرى عن الطريق شيئاً « أولئك كالانعام بل هم أضل » .

ولأن الاحتكام إلى كل هذا أغلال تكبل الإنسان وتجعله أسير التقليد ، بل تضع فى جيده حبلا من مسد ، ينتهى طرفه فى يد الشيطان يجره كيف يشاء فى دروب الضلال حتى ينتهى به إلى الهاوية .

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، لايحتكمون إلى الشيوخ ورؤساء الطوائف وأصحاب الزى الكهنوتى ، لأن الاحتكام إلى كل هؤلاء هو اتخاذهم أربابا من دون الله ، لأنه خلع لصفة التشريع عليهم وهو حق لله تعالى .

وهكذا فالناس طوائف ثلاث :

طائفة الفلاح والنجاح التى اتجهت إلى الخير وأحسن التأويل .

« إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » .

هؤلاء إذا قلت لهم قال الله تعالى فى كتابه كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنته كذا قابلوا القول بالسمع والحكم بالطاعة .

وطائفة الضياع والتخبط وهم الكافرون .

« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . . . » .

وطائفة الدرك الأسفل من النار وهم المنافقون .

« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » .

الشرط الثانى : « ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت »

لايكفى مجرد التحاكم وبيان الحكم ، إنما يجب أن يقابل الحكم بالرضى ، ويجد فى الصدر انشراحاً ، وأن لا يجد الإنسان حرجا من تحكيم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والانخلاع من ربقة تقليد الأباء والعرف والشيوخ .

فإذا وجد الإنسان حكم السنة فى أمر من الأمور ، ولكن ضاق صدره عنه وأحاطت به التقاليد والعادات وتعاليم الشيوخ ورؤساء الطوائف ، فشعر بالحرج للتحلل من كل هذا ، فهو لم يستكمل بعد الشرط الثانى من شروط الإيمان .

الشرط الثالث : « ويسلموا تسليما » هذا هو دور العمل والتنفيذ والمظهر الخارجى .

شروط ثلاثة أولها يتعلق ببيان الحكم وثانيها يتعلق بالنفس وثالثها يتعلق بالعمل والتنفيذ .

« يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم » ؟

أتجعل لأحد من خلقه سلطاناً فوق سلطانه ؟

أتجعل لأحد من خلقه حكما يعلو على حكمه ؟

أتجعل لأحد من خلقه تشريعاً يعلو على تشريعه ؟

أليس هو الذى خلقك ، ويعلم من أين تأتى سعادتك « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟

ألا يكفيك مابعثه إليك وهو الملك الجبار المستوى فوق عرشه « أليس الله بكاف عبده » .

هل وجدت فى شرعه نقصاً وفى حكمه قصوراً ، فرحت تستكمل هذاالنقص فتعبده بغير ماجاء من عنده ، بما تلقيته عن الآباء والأجداد والعرف والتقاليد وشيوخ الطرق ورؤساء الطوائف .

كلا . . إن الله عظيم ومن عظمته وكبريائه أنه لايُعْبَد إلا بما يريد . وما أراده وحكم به ، هو كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهو جل شأنه الذى أقسم بذاته أنه لاإيمان بغير هـذا .

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

لعل فى هذه الآية الـكريمة ما يمزق عنك ثوب التبعية ويخلع عليك ثوب الإيمان السندسى الأخضر .

ولعل فيها ما يحطم عنك أغلال التقليد فتستبدل بها « أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا » .

اللهم خذ بيدنا إلى الحق كله ، واجعل لنا فى قلوبنا ضياء وفرقاناً ونوراً .

جاءتنى رسالة منها :

. . . وما حكم الاسلام فى التختم بالذهب وهل دبلة الخطوبة تدخل فى هذا الحـكم لأن بعض العلماء يفرق بين الخاتم والدبلة ؟

م ع س
من قراء المجلة

وأقـــول :

عن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أحل الذهب والحرير للإناث من أمتى وحرم على ذكورها » رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه .

وعن أبى داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان « أخذ النبى صلى الله عليه وسلم حريراً فجعله فى يمينه وأخذ ذهباً فجعله فى شماله ثم قال إن هذين حرام على ذكور أمتى » زاد ابن ماجه « حل لإناثهم » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده . . » رواه مسلم .

والدبلة نوع من التختم وما يقوله بعض العلماء من التفرقة بين الدبلة والخاتم لا يعد اجتهاداً بل خروجاً على النصوص فلا يكون لهذا ولا للعرف والتقاليد سلطان على نصوص صريحة جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصطفى عبد اللطيف درويش

رئيس مأمورية الشهر العقارى بسوهاج

من الأدب النبوى

« إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله . فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم »

رواه البخارى فى كتاب الأدب عن أبى هريرة

ركن السنة :

الهــــدى والعلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعَلِمَ وعَلَّمَ ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » متفق عليه .

« شرح مفردات الحديث »

مثل — المثل بفتحتين معناه الحال والصفة العجيبة كقوله تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها » وكقوله عليه السلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » . فالمراد أن صفتهم كصفته .

وأما المثل بكسر فسكون وكذا المثل فهو الشبيه والنظير كما تقول : الولد مثل أبيه تعنى أنه مشابه له .

مابعثنى الله به — مادة بعث تدور حول الإثارة والتحريك ومنه بعث النائم إذا أيقظه وبعث الجيش سيره وبعث الله الموتى أخرجهم من قبورهم أحياء .

من الهدى — من للبيان والهدى ، يأتى لعدة معان فهو يطلق على الإلهام الغريزى الذى يهدى به الله كل مخلوق إلى ماقدر له ، وإليه الإشارة بقوله تعالى « الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » وقوله على لسان موسى عليه السلام يخاطب فرعون « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

ويطلق بمعنى الدلالة الموصلة والبيان والإرشاد وهو أكثر استعماله ، يقال هداه الطريق أرشده ومنه قوله تعالى « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وقوله من سورة الدهر « إنا هديناه السبيل . إما شاكراً وإما كفورا » والمراد بالهدى فى الحديث الدليل الموصل إلى الحق وهو القرآن .

والعلم — كلمة العلم قد تستعمل فى مطلق الإدراك سواء تعلق بمفرد وهو التصور أو تعلق بخبر وهو التصديق وقد يخصها البعض بالاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل .

والمراد بالعلم هنا متعلقه وهو المعلوم الذى يشمل جميع الأحكام الشرعية سواء كانت أصولا اعتقادية أو فروعا عملية مأخوذة من أدلتها التفصيلية .

كمثل الغيث الكثير — الغيث المطر وسمى بذلك لأنه يغيث الناس إذا أجدبوا كما فى قول الصديق يوسف عليه السلام « ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

وربما استعمل الغيث فى النبات فيقال رعينا الغيث من باب إطلاق اسم السبب على المسبب .

أصاب أرضاً — يعنى وقع عليها ونزل بها ، ومنه قولهم أصاب السهم الغرض إذا وافقه .

فكان منها نقية قبلت الماء — نقية صفة لمحذوف أى طائفة نقية والمراد بنقاوتها خصوبتها وخلوها من المواد الضارة بالنبات ، ومعنى قبلت الماء تشربته فربت وانتفخت وأنبتت من كل زوج بهيج .

وكان منها أجادب — جمع جَدْب على غير قياس وقيل جمع أَجْدُب الذى هو جمع جدب كأعبد وأعابد والجدب انقطاع المطر ويبس الأرض والمراد بالأجادب هنا الأرض الصلبة التى لا تتشرب الماء ولكنها تمسكه وتمنعه من الضياع .

قيعان — جمع قاع وهى الأرض المستوية الملساء قد انفرجت عنها الآكام والجبال .

فَقُهَ — الفقه فهم الشيء والعلم به وإنما قال فقه بضم العين ليدل على أن الفقه صار له سجية وملكة ، كما فى شرف وكرم .

ومثل من لم يرفع بذلك رأساً — هو كناية عن الإعراض والتكبر عن اتباع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسره بقوله « ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »

« المعنى الاجمالى للحديث »

اقتضت حكمة الله تعالى أن لايجعل الناس بدرجة واحدة فيما قسم لهم من الحظوظ بل جعلهم جد مختلفين فى طبائعهم وأخلاقهم ومدى تفكيرهم ومختلفين فى نياتهم ومقاصدهم، فهم أشبه شيء بتربة الأرض التى منها الخصب الجيد ومنها الجديب الصلد ومنها السبخ الردىء .

والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث العظيم يضرب المثل لشريعته الغراء الجامعة لكل خير ، وتفاوت الناس فى الانتفاع بهذا الخير تبعاً لاختلافهم فى درجات الفهم والرغبة فى قبول ماجاء به من الهدى والعلم بحال الغيث مع الأرض بجامع أن كلا منهما مصدر للخير العام وسبب للحياة ، فكما أن المطر تحيا به الأرض بعد موتها فكذلك لاحياة للقلوب إلا بنور العلم والحكمة ، وكما أن الأرض تختلف فى قبولها المطر الذى جعله الله حياة لها تبعا لاختلاف معادنها ، فيتفاوت انتفاعها بالمطر ويتفاوت تأثيره فيها تبعاً لتفاوتها فى قبوله ، فكذلك الشريعة خير كلها فهى كالغيث فى عموم نفعه ولكن الناس ليسوا سواء أمام هذا الخير . وذلك بسبب تفاوتهم فى وسائل الانتفاع به فمنهم من قبل الحق وانطبع به فاهتدى فى نفسه ودعا إليه فهو كالأرض الطيبة التى إذا نزل عليها الماء هشت له وتشربته فيثير فيها كامن الحياة فتصبح مخضرة حافلة بالمرعى الجيد الذى تأكل منه الأنعام فتسمن ويكثر درها ويعظم خيرها .

ومنهم من هو غبى العقل متبلد الفكر لايحسن الفهم والاستنباط ولكنه وعاء

للنصوص يحفظها ويرويها لغيره ممن يحسنون فهمها والانتفاع بما فيها، فهو كالأجادب من الأرض التي وظيفتها إمساك الماء فقط لكي يستقي منه الناس ويسقوا زروعهم ودوابهم.

ومنهم من أعرض ونأى بجانبه وتكبر عن قبول الحق واتباعه، ففاته الخير كله فكان كالقاع الأملس فلا هو ينتفع بالماء في نفسه ولا هو يمسكه لينتفع به الناس.

فما أروع هذا المثل النبوي الكريم الذي يأخذ بمجامع القلوب وما أحرانا أن نحرص على أن نكون من الفريق الأول الذي سعد بهذا الخير وأسعد به الناس نسأل الله أن يفقهنا في ديننا وأن يلهمنا رشدنا وأن يجعلنا هداة مهتدين.

محمد خليل هراس

فضل أبي بكر الصديق وفقهه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله ، قال . فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ[1] إن يكن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال : ياأبا بكر لا تبك : إنَّ أمنَّ الناس على في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا باب أبي بكر » متفق عليه

---

(١) هو أبو سعيد الخدري راوي الحديث .

١١ — دراسات إسلامية :

المعجزات في القرآن

فرعون(١) وبنوا إسرائيل : أعطى الله فرعون مُلك مصر . ومكّن له فى أرضها ، فوجد نفسه فى ملك واسع ، وجاه عريض ، وحكم فردى مطلق ، فسولت له نفسه المغرورة والأمارة بالسوء ، أن يميل إلى الجبروت والتعالى ، فانحرف عن الجادة ، ولم يدرك واجبات المُلك ، ولم يرع حقوق الرعية ، فأفسد وطغى وتكبر . . وتمادى فى غيِّه وعلا فى الأرض ، وأعلن نفسه إلهاً ، ورباً للوجود ، وأنكر أن يكون لهذا الكون إله ودعى بنى إسرائيل — وكانوا من خيار الناس لذلك العصر — أن يعبدوه هو وحده ، ويتخذوا إلهاً لهم ، فاستبد بهم ، واستعبدهم ، وتوعدهم إن هم عصوا أمره ، أو عارضوا حكمه ، فعاشت بنوا إسرائيل تحت حكمه عيشة البلاء والنكد .

وكان لفرعون أعوان من وزرائه ، ورجال دولته ، استخف عقولهم ، ووجد فيهم استعداداً للانقياد له ، فدعاهم إلى الضلالة ، فأطاعوه وأعانوه على الظلم والاستكبار والاستبداد ، بل إنهم فرضوا على السوقة جبروتهم ، وسخروهم لشهواتهم ، وعذبوهم فى الأعمال الشاقة .

وقد حكى القرآن عن هؤلاء فقال تعالى : « فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين » الآية ٥٤ : الزخرف . كما حكى القرآن عن فرعون أنه وقف فى قومه ليعلن لهم — فى تفاخر — عن ملكه ويؤكد لهم — فى مباهاة — عن سلطانه وعظمته

---

(١) فرعون هو لقب لملوك مصر القدماء كلقب قيصر لملوك الروم ، وكسرى لملوك الفرس .

﴿ونادى فرعون فى قومه قال : ياقوم أليس لى مُلك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون» الآية ٥١ : الزخرف .

وبينما بنوا إسرائيل على هذه الحال من الذل والعبودية . . وفرعون سادر فى غيِّه ، مسترسل فى ظلمه وتألهه وجبروته ، جاءه من يحمل إليه نبأ مجيىء مولود من بنى إسرائيل يذهب ملكُه على يديه وتسقط دولته بسببه . ولن يبقى له وجود بعد ذلك . . فثارت ثورة فرعون . وزمجر وهاج ، وأصابه الفزع ، وأمعن فى غيِّه فأمر بذبح أبناء رعيته من بنى إسرائيل واستحياء نساءهم ، وأوغل فى ظلمهم والتنكيل بهم ، وقد فعل ذلك خوفاً من السوء الذى يترقبه ، وتخلصاً من هذا المولود الذى جاء ليخلص بنى إسرائيل من الظلم والاستعباد ، ويضع حداً لفرعون وجبروته وفساده ، وفى هذا يقول المولى عزوجل « نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا فى الأرض ، وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحيى نساءهم ، إنه كان من المفسدين » الآيتان ٣ — ٤ : القصص .

نشأة موسى فى بيت فرعون : نشأ موسى — عليه السلام — فى هذا الجو الذى يضطرم بظلم فرعون وملئه .

وشاءت إرادة الله النافذة ، والتى تعلو كل إرادة أن يحفظ موسى من الذبح الذى تعرض له أقرانه من أطفال بنى إسرائيل وأن يتربى فى بيت فرعون نفسه ، وينال من خاصة الرعاية والعطف والمحبة الشيء الكثير ، وفى وسع القارىء أن يراجع تفصيل ماحدث لأم موسى حين بلغها قرار فرعون بذبح الأبناء ، وكيف تصرفت لإنقاذ ولدها من الموت بوحى من الله .. فتراجع الآيات ٧ ـ ١٣ : القصص .

ولما كبر موسى — عليه السلام — فى بيت فرعون ، واشتد عوده ، وقوى ساعده وعلم أنه من بنى إسرائيل قرر فى نفسه أن يكون ظهيراً لهم . . وعندئذ اتجهت أنظار

المستضعفين من بني جنسه إليه لينقذهم من الظلم والتعسف والاستبداد الذى فرضه عليهم فرعون وقومه .

وبينما هو خارج من العاصمة الفرعونية ، رأى شجاراً يدور بين مصرى وعبرانى وقد احتدم الخلاف بينهما وتطور إلى عراك ، فهتف به العبرانى أن يساعده وينصره ، فاستجاب له موسى وضرب الغريم المصرى فأرداه قتيلا ، وثار القبط ضد موسى وشيعته ثم اتسعت ثورة المصريين ضد موسى عندما استصرخه[1] ، عبرى آخر على قبطى فى الطريق مرة أخرى ، فذهب القبطى ، ثم نقل الخبر إلى فرعون الذى أرسل يطلب موسى ليقتله .

وجاء موسى رجل من المدينة ينبئه أن القوم يأتمرون به ليقتلوه ونصحه بالخروج[2] من ديار فرعون فلم يجد موسى بداً من الخروج هرباً مما يحاك ضده من الشر . فاتجه إلى الشرق حيث حط عصا الترحال بمدين — مقر نبى الله « شعيب » — وهناك وجد امرأتين[3] تقفان على ماء لمدين ، ولاتستطيعان التزود منه لما حوله من زحام شديد ، فلما خف حدة الزحام سقى لهما ، ثم انصرفا ، وأخبرتا أباهما بأمره ، فلم يلبث أن عادت إليه إحداهما تدعوه إلى أبيهما — وكان شيخاً كبيراً[4] ،فقص عليه أمره ، فطمأنه الشيخ ، ثم زوجه بأحدى بناته ، وكان صداقه أن يقوم موسى برعى غنم الشيخ ثمانى سنين .

(١ — ٢) راجع ما جاء فى كتاب الله العزيز بشأن هذه الحادثة بالآيات ١٥ — ٢١ : القصص .

(٣) راجع قصته مع المرأتين وأبيهما . وقصة زواجه باحداهما بالآيات ٢٢ — ٢٨ : القصص .

(٤) اختلف المفسرون فى حقيقة هذا الشيخ . فقيل إنه « شعيب » نبى الله الذى أرسل إلى مدين وقال آخرون بل هو « ابن أخى شعيب » وقيل « شعيب رجل مؤمن » راجع ما جاء فى شأن هذا الشيخ من آراء فى تفسير بن كثير ج ٣ ص ٣٨٤ ط الحلبى وغيره من كتب تفسير القرآن .

وبعد أن أتم موسى — عليه السلام — مدة الخدمة — الثمانى حجج — فكر فى العودة إلى مصر، آملا أن يكون القوم قد نسوا خطيئته، ليعيش بجانب بنى إسرائيل.

وترك موسى مدين، وسار مع زوجته فى طريق عودته إلى مصر، حتى وصل إلى طور سيناء، وهنالك ظن أنه ضلَّ الطريق، فوقف متحيراً متردداً، ولكنه مالبث أن أبصر ناراً تشتعل فى جانب الطور الأيمن، فأمر أهله أن يمكثوا حيث هم ليأتيهم بخبر هذه النار أو بقبس منها.

الأمر بالذهاب إلى فرعون: فلما أتى إلى النار التى رآها ناداه ربه فقال « وهل أتاك حديث موسى، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى، فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى، وماتلك بيمينك ياموسى، قال: هى عصاى[1] أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى، قال: ألقها ياموسى، فألقاها فإذا هى حية تسعى، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى، واضمم يدك[2] إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى، لنريك من آياتنا الكبرى، اذهب إلى فرعون إنه طغى[3] » الآيات ٨ — ٢٤ : طه.

اطمأن موسى — عليه السلام — حين ناداه ربه، وهدأت نفسه، وسكن قلبه، بعد أن فزع وخاف من تغير شكل عصاه إلى حيَّة تسعى.

(١ - ٢) العصا واليد من الايات التسع التى ورد ذكرها فى القرآن برهاناً على صحة دعوى موسى راجع الايه ١٠١ : الأسراء.

(٣) وفى هذا أيضاً يقص علينا كتاب الله الآيات ٢٩ — ٣٢ : القصص.

تلقى موسى — الرسول — الأمر من الله بالتوجه إلى فرعون ، ليخرجه وملأه من الظلمات إلى النور وليرفع علم الحق خفاقاً فى البلاد ، فينبلج نور الرشاد والهدى على رباها ، ويتوارى غلس الضلال وأعطاه ربه برهانين هما : انقلاب العصا إلى حية تسعى ، ويده التى أدخلها فى جيبه ، فأخرجها بيضاء من غير سوء . . فهما إذن — برهانان من الله له يعزز بهما كلمته ، ويعلى بها دليله أمام خصمه وعدوه فرعون العنيد .

رب إنى أخاف أن يقتلون : ولئن كان موسى قد ربط الله قلبه بالإيمان ، ووثق بالبراهين دعوته . فأشهده حجتين تعضدانه وتسندانه ، ليقف كالطود أمام فرعون وملئه وما جمعوا فيساجل ويناضل ، ويقرع الحجة بالحجة ، ويدفع الباطل المظلم بالحق الواضح . لئن كان ذلك كله فإن موسى يشعر بثأر قديم بينه وبين فرعون ، فقد طلبوه منذ أمد بعيد ليثأروا منه[1] فهرب وفارق الأهل والوطن لينجو بنفسه من غائلة فرعون وقومه ، ومن شر مابيتوا له .

ومع هذا الخوف الذى يدعوه إلى الإحجام والحذر من دخول المدينة الفرعونية تنفيذاً للأمر الإلهى . فإن الشوق يتحرك فى قلبه حنيناً إلى الوطن ، فكيف يحقق مطلبه هذا ؟ ! إذن فليعلن عما يجيش فى نفسه من أمل ومطلب ، بدل أن تظل حبيسة فى صدره لذلك فاض قلبه بالضراعة إلى ربه الذى كلفه وشرفه بالمهمة الشاقة لعله يجد فى رحابه تعالى مخرجاً مما يخاف ، ومأمناً مما يحذر ، فهتف « قال رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ، وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رِدْأً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون ، قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » الآيات ٣٣ — ٣٥ : القصص . « قال رب اشرح لى صدرى ، ويسرلى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى » الآيات ٢٥ — ٣٢ : طه .

---

(١) راجع قصة اقتتال الرجلين المصرى والعبرى . وانتصار موسى للاخير بالاية ١٥ : القصص .

إلى فرعون : « قال : قد أوتيت سؤلك ياموسى » الآية ٣٦ : طه ، أجاب الله دعاء نبيه موسى تكريماً له ، وتدعيما لرسالته ، وتوضيحاً لشأن الحق ، فألهم أخاه هارون أن يذهب إليه حيث يقيم ليعضده ويحمل معه أعباء الرسالة . فلبى هارون نداء الحق وسار إلى موسى حيث التقيا بجانب الطور الأيمن .

بهذا اطمأن فؤاد موسى ، وامتلأت نفسه قوة وسنداً ، فتهيأ للذهاب إلى فرعون ، ودعوته إلى عبادة ربه ، والإذعان لشريعته . . وفيما يلى قول الله تعالى فى شأن إرسال موسى وهارون « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ، إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد » الآيتان ٧٦ — ٩٧ : هود . « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين » الآية ٤٦ : الزخرف[1] « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » الآية ٧٥ : يونس « ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين ، إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين » الآيتان ٤٥ — ٤٦ : المؤمنون[2] .

[للحديث بقية]

سعد صادق محمد

(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين) قرآن كريم

---

(١) وراجع فى هذا أيضاً الآيات ١٥ — ١٩ : النازعات .

(٢) وراجع فى هذا أيضا الآية ٤٨ : الأنبياء .

خطبـــة منبرية

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير . يعلم ما يلج فى الأرض : وما يخرج منها . وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو الرحيم الغفور .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه . أفلا تتذكرون . إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، ومصطفاه ومختاره من خلقه ، أنزل عليه كتابه تبياناً لكل شيء ، فبلغه أتم إبلاغ ، وأداه أحسن أداء صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

وبعد فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن الله سبحانه وتعالى يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزو أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأ كل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه . واتقوا الله إن الله تواب رحيم . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير) .

أيها المسلمون ، بدأ الله سورة الحجرات بدعوة المؤمنين أن لا يقدموا شيئاً على شرع الله وأمره ، وأن لا يقدموا شيئاً على سنة رسوله وهديه ، ثم ذكر بعد ذلك الآداب التي يجب عليهم أن يعاملوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام ، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ، وأن غض

الأصوات بين يديه من علامات الإيمان والتقوى ، ويجب علينا نحن الآن أن نتبع هذه الآداب ، فنغض أصواتنا ونصمت منصتين إذا سمعنا تالياً يتلو القرآن ، أو محدثا يقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عقب على ذلك ببيان الأخوة الإيمانية التى تربط بين المسلمين ، وأن نسعى بالصلح بينهم إذا اشتجر بينهم خلاف أو قتال ، وأن نعادى من لا يقبل الصلح ويتمادى فى البغى والعدوان حتى يفىء ويعود إلى أمر الله من المصالحة والإخاء ، مع تحرى العدل التام فى كل ما نفعل لرأب الصدع وجمع الشمل . ثم عقب بالآيات التى تلوناها عليكم ببيان الأخلاق الكريمة والآداب السامية التى يجب أن يتحلى بها المؤمن ، والتى تكون سبباً للتآلف والتحاب ، ونبذ الأخلاق الذميمة التى تكون سبباً للتفرق والخصام .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) يوجه ربنا إلينا الخطاب بأجمل الصفات وأحبها إلينا ، تنبيها لنا بأن نفعل نحن كذلك مع إخواننا من المسلمين ، فلا يليق بنا بعد ذلك أن نسخر من أحد أو نحتقره أو نستهزىء به ، فقد يكون هذا الذى تتعالى عليه وتستصغره خيراً منك وأكبر درجة عند الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب إمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، وقال « الكبر بطر الحق وغمط الناس » أى احتقارهم ، وليس أسوأ من هذا خلقا ، ولا أدنأ منه نفسا ، ولا أحط منه عقلا . ثم أردف : (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) وخصهن بالذكر فى هذا الموضع مع أنهن مندرجات فى الفقرة السابقة بالتبع لأنهن أكثر تباهياً وأكثر تيها على بنات جنسهن اللاتى دونهن جاها أو ثراء أو منزلة

ثم قال تعالى : (ولا تلمزوا أنفسكم) لا يعب بعضكم بعضا ، ولا يطعن بعضكم على بعض ، فاللمز بالقول ، والهمز بالإشارة والفعل ، وفى التعبير كلمة (أنفسكم) إشارة لطيفة إلى أن الذى يلمز غيره إنما هو فى الحقيقة يلمز نفسه ، لأنه يغير نفوس أهل الصلاح والمروءة عليه ، ولأنه يكون قدوة بفتحه لهذا الباب وقد ينقلب عليه ، ولأنه يضر نفسه بغضب الله عليه والله سبحانه وتعالى يقول : (ويل لكل همزة لمزة) . وزيادة على ذلك فأن لكلمة

(أنفسكم) وقما يحمل الإنسان على التفكير قبل أن يخرج من فمه كلمة لمز أو سب . ثم قال الله (ولا تنابزوا بالألقاب) والتنابز بالألقاب أن يسمى الرجل الرجل باسم أو لقب يسوءه سماعه ويناديه به سخرية واحتقاراً له ، وكان الناس فى الجاهلية ينقبون عن هفوات الرجل ومثالبه فيصوغون له منها لقباً يغيظه ويحنقه سماعه ، وكم كانت تثور بينهم العداوات بسبب ذلك ، فجاء الإسلام ونهى عنه ، ولا زال فى الناس ممن لا خلاق لهم من يفعل ذلك وهو يزعم أنه مسلم ويخرق أذنيه قول الله تعالى . (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) بئس العمل أن تسمى المؤمن فاسقاً ، وبئس العقل أن تفسق عن أمر الله بعد الإيمان به : فبادر يا أخى إلى التوبة إلى الله من كل عمل سىء ، ومن كل فعل ردىء ، ومن كل خلق ذميم. فإنه سبحانه يدعوك إلى التوبة ويقول : (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الظالمون لأنفسهم بمعصية الله ، والظالمون لغيرهم بالسخرية منهم ولمزهم ونبذهم بالألقاب .

ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : (ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يجتنبوا كثيرا من الظن وهو الاتهام بالشك من غير سبب حقيقى يحمل على الاتهام ، أو عمل يقينى يدعو إلى الريبة ، ويقول إن بعض الظن إثم لأنه ظلم وباطل ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » فليس من الإيمان ولا حتى من العقل السليم أن تتهم أخاك المسلم بمجرد ما حاك فى صدرك من الظنون السيئة والأوهام الكاذبة ! وليس من العدل ولا من الحق أن تخون من كان لك به صلة من صلات القربى أو الجيرة أو العمل أو صلة الإنسانية المطلقة بسبب كلمة قالها أو عمل أتاه عن غير عمد ولا نية سيئة .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه : لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد له فى الخير محملا ، إن سوء ظنك بالناس لا يضر غيرك ، ولا يفوت شيئاً من الخير إلا عليك ، فأنت دائماً فى قلق وريبة وتخوف من الناس ، فكيف يمكنك أن تخالطهم وتتعامل معهم وتطمئن إليهم مع هذا الشك وسوء الظن بهم ؟ وأنت لا يمكنك أن تستغنى بنفسك عن الناس ، فخير لك أن تحسن الظن

بالناس لتعيش معهم على وفاق وحب وتعاون ، ولا تسيء الظن ولا تحذر إلا ممن جربت عليه الغدر أو الكذب أو الخيانة ، وأنت فى هذه الحالة لا تكون آثماً ولا ظالماً ولا متتبعاً لعورات الناس ، بل جربت وأيقنت .

ثم قال الله : (ولا تجسسوا) التجسس : محاولة الاطلاع على أسرار الناس وخافى أمورهم ، وقد نهى الله عنه لما فيه من المفسدة ، وتتبع عورات الناس والاشتغال بما لا يعنيك ، والتجسس يطلق غالباً فى الشر ومنه الجاسوس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » والتجسس كما ذكرنا البحث عن أسرار الناس ، أما التحسس فهو الاستماع إلى حديث قوم وهم له كارهون ، والتباغض : أن يبغض المسلمان كل منهما الآخر ، والتدابر : تقاطعهما وتخاصمهما وتهاجرهما ، وكل ذلك محرم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » . ثم قال تعالى : (ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) . والغيبة أن تذكر أخاك فى غيبته بما يكره . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة . فقال : « ذكرك أخاك بما يكره ، فقيل : يا رسول الله ، أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ، قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » . وقد شبه الله سبحانه وتعالى المغتاب بآكل لحم أخيه ، وليته يأكل لحمه حيًّا ماثلا أمامه ، بل يأكل لحمه وهو ميت لا يشعر به ، وليته يأكل لحم إنسان غريب عنه ، بل إنه يأكل لحم أخيه ، فما أبشع هذه الصورة ، وما أشنع هذا العمل ، وقد أراد الله أن ينبهنا بهذه الصورة التى تنفر منها الطباع السليمة ، وتكرهها الفطر المستقيمة إلى قبح الغيبة وسوء عاقبتها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة له : « يا معشر من آمن بلسانه : لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو فى جوف بيته » وقال : « لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء

يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » .

ثم قال تعالى : (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) راقبوا الله واخشوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ، وتوبوا إليه من الغيبة والنميمة ، وأكل لحوم إخوانكم وتتبع عوراتهم ليتوب الله عليكم ويغفر لكم ، وإن من تمام التوبة أن تقلع عن هذه العادة القبيحة ، وتعزم أن لا تعود إليها أبداً ، وليس من شرطها أن تتحلل منها ممن اغتبت ، وتذكر له ما كنت تقوله فيه ، فإن ذلك قد يكون سبباً فى تأذيه وتألمه أكثر مما لو لم يعلم ، إنما يجب عليك أن تذكره بخير وتثنى عليه فى المجالس التى كنت تغتابه فيها ، عسى الله أن يتوب عليك ويغفر لك .

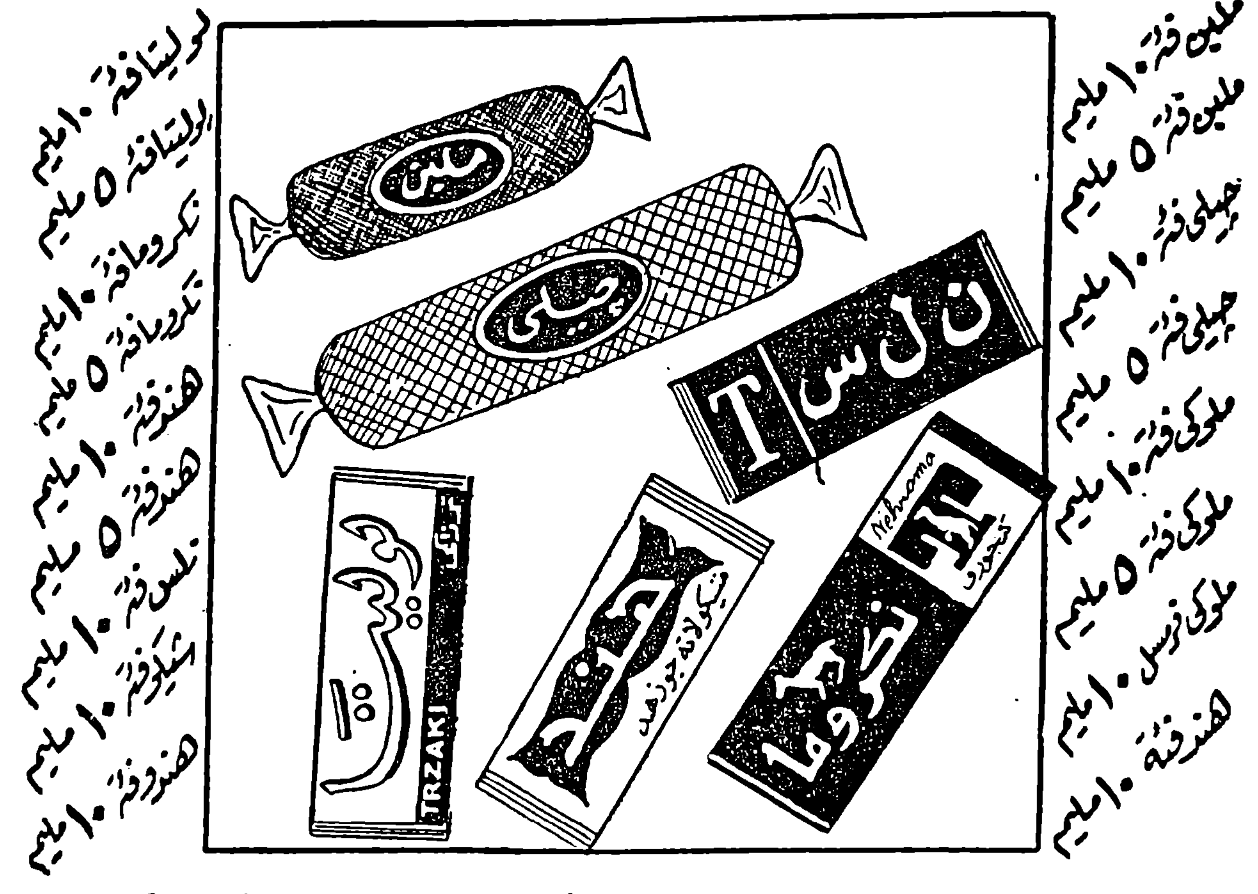
ومما يجب على المسلم أن يرد الغيبة عن أخيه المسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله تعالى ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنًا بشىء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » وقال رسول الله : « ما من امرىء يخذل امرءا مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه إلا خذله الله تعالى فى مواطن يحب فيها نصرته ، وما من امرىء ينصر امرءا مسلمًا فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله عز وجل فى مواطن يحب فيها نصرته » .

ثم قال الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر أنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) يخاطب الله سبحانه وتعالى هنا الناس جميعًا مسلمهم وكافرهم مذكراً إياهم أنه خلقهم من ذكر وأنثى ، أى آدم وحواء ، فجميع البشر أبيضهم وأحمرهم وأسودهم وأصفرهم يعودون إلى أصل واحد وهو التراب الذى خُلق منه آدم وجعل له من نفسه زوجة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم لآدم وآدم من تراب » فلماذا يظن بعض الناس أنهم أفضل من غيرهم وأكرم منهم محتداً وأنقى منهم عنصراً ؟ إن الحقيقة فى أصل البشرية تكذب هذه الدعاوى الباطلة وتبطلها من أساسها لو عقل الناس .

« لها بقية »

مصنع حلويات
علي مصطفى ترزاكي وأولاده

٥ ش الترجمان (ممر الشامي) أول ش القلعة بالعتبة ت ٩١٩٦٧٥



منتجاتنا مصنوعة بعناية تامة ومن أجود الخامات المصرية
من سكر. وجليكوز. وكاكاو. ونشا. وأسنس. وفانيليا.
ومصنوعة بأيد مصرية صميمة صناعة ج. ع. م
والإدارة مستعدة لتلبية طلبات زبائنها الكرام تليفونيا أو بريديا
وتوصيل طلباتهم حتى محلاتهم

المدير المسئول
علي مصطفى ترزاكي

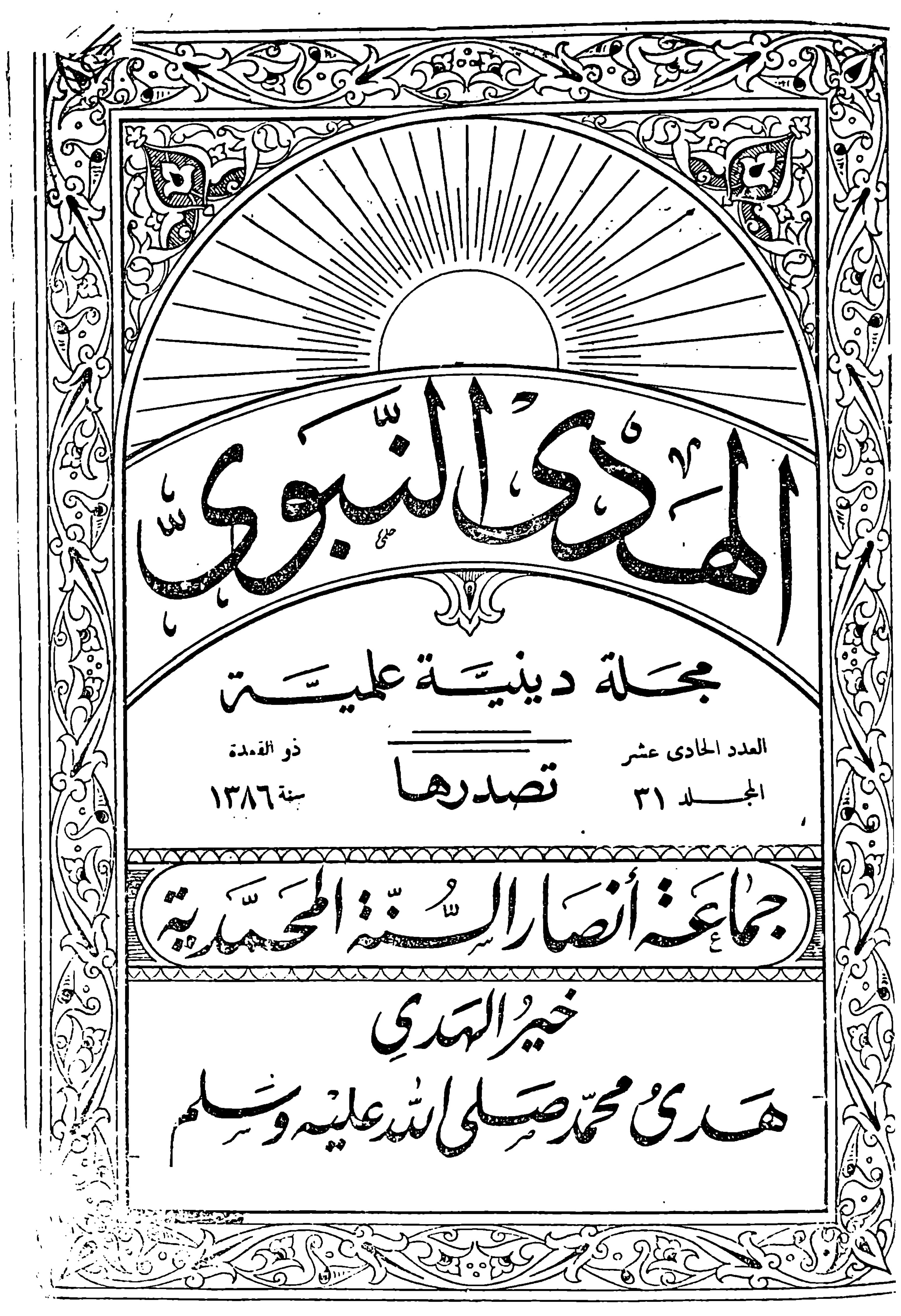


مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الحادى عشر
المجلد ٣١
تصدرها
ذو القعدة
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

لاحَظَّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

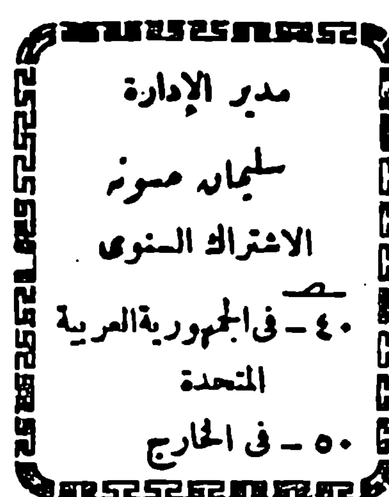
« إن أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة عن عمله : صلاته ، فإن تُقُبِّلت منه صلاته تُقُبِّل منه سائر عمله وإن رُدت صلاته رد سائر عمله »

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية


مدير الإدارة
سليمان حسونة
الاشتراك السنوي
٤٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ١١ | ذو القعدة سنة ١٣٨٦ | المجلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلَّ ذكره : ﴿ واذكُر في الكتابِ موسى . إنه كان مُخلَصًا وكان رسولاً نَبيًّا . وناديْناه مِن جانبِ الطُّورِ الأيْمَنِ ، وقرّبْناه نَجِيًّا . وَوَهَبْنَا له من رَحْمَتِنَا أخاه هٰرُونَ نبيا ﴾ مريم : ٥١ — ٥٣ .

« معانى المفردات »

« مُخلَصًا » عند الراغب : « الخالص كالصافى إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، والصافى قد يقال لما لاشوب فيه . . وقال : إنه كان مخلصاً لحقيقة الإخلاص : التبرى من دون الله تعالى » . ويقول ابن الأثير عن سبب تسمية سورة : « قل : هو الله أحد » بسورة الإخلاص : لأنهـا خالصة فى صفة الله تعالى خاصة ، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله تعالى .

« الطور » قيل : اسم جبل مخصوص » وقيل : اسم لكل جبل . وفى مراصد الاطلاع [1] « يقال لجميع الشام : طور ، وقيل : الطور : هوالجبل المشرف على نابلس ـ مدينة فى فلسطين ـ يحجه السامرة « فرقة يهودية » ولليهود فيه اعتقاد عظيم يزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسحاق فيه ، وأنه مذكور فى التوراة ، وبالقرب من مدين جبل يسمى الطور ، وهو الذى كلم الله عليه موسى ، والطور جبل مطل على طبرية الأردن .. والطور : جبل بأرض مصر عند كورة تشتمل على عدة قرى قبليها وبالقرب منها جبل فازان « لعلها فاران » . . وطور زيتا وطور سَيْنَاء جبل بقرب أيلة وهو جبل أضيف إلى سينين ، وسينين شجر فطور عبدين » وفى القاموس : الطور الجبل ، وجبل قرب أيلة يضاف إلى سيناء وسينين ، وجبل بالشام . وقيل : هو المضاف إلى سيناء وجبل بالقدس عن يمين المسجد وآخر عن قبليه ، وجبل برأس الصين ، وآخر مطل على طبرية وكورة « مدينة » بمصر من القبلية .

وفى قاموس الدكتور « جورج بوست » كلام مطول عن سيناء ، وقد بدأ كلامه بقوله : « سيناء جبل فى شبه جزيرة طورسيناء أعلن الله من قمته شريعته لبنى إسرائيل » ثم يقول : أما جبل طور سيناء الذى كان جبل سيناء إحدى قممه فواقع فى وسط شبه الجزيرة بين خليجى السويس وعقبة .

الطور فى القرآن : هذا وقد تكرر ذكر كلمة « الطور » فى القرآن الكريم عشر مرات منهن ثلاث خاصة بميثاق الله مع بنى إسرائيل ورفع الطور فوقهم . تدبر ما يأتى : (وإذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطورَ خذوا ما آتَيْنَاكُمْ بقوة ، واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) البقرة ٦٣ .

---

(١) هو مختصر لكتاب معجم البلدان لياقوت . ومختصره هو : صفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق البغدادى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . وسمى مختصره « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » طبعة الحلبى فى ثلاثة أجزاء .

«وإذ أخذنا ميثاقكم، ورفعنا فوقكم الطور . خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا : سمعنا وعَصَيْنَا ، وأشربُوا فى قلوبهم العجلَ بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به إيمانُكم إن كنتم مؤمنين) البقرة ٩٣ (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم : لا تعدوا فى السبت ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)[1] النساء:١٥٤ .

فى هذه الآيات يأتى ذكر الطور مقترناً برفعه وأخذ ميثاق الله على بنى إسرائيل ، وهو ـ ولا ريب ـ كتاب الله الذي أنزله على موسى .

كما يذكر الطور مقترناً بالجانب الأيمن فى قوله سبحانه : (وناديناه من جانب الطور الأيمن ، وقربناه نَجِيًّا) مريم : ٥٢ (يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب ـ الطور الأيمن ـ ونزّلنا عليكم المَنَّ والسَّلْوى) طه : ٨٠ ، هكذا يوصف جانب الطور بالأيمن ، إما لأنه عن يمين موسى أو من اليُمن : الخير والبركة . يوصف بهذا حين يتكلم الله عن ندائه لموسى ومواعدته له ولبنى إسرائيل . فكان فى الكلام ألفاظ رفق ولين ومرحمة . أما عند أخذ الميثاق ، فتدبر ، فستجد الفرق بيناه هناك كلام قوة ، وهنا فى النداء كلام رحمة . تدبر قول الله سبحانه: (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكنْ رحمةً من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلك يتذكرون) القصص: ٤٦ .

وتدبر أيضاً : (فلما قضى موسى الأجلَ ، وسار بأهلِه ، آنسَ من جانب الطور نارا) ثم تدبر بعدها : (فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشجرة . أنْ يا موسى : إنى أنا الله رب العالمين) القصص : ٢٩ : ٣٠ ويتم الآية

---

(١) ذكر الطور مع الميثاق والعهد باسم الجبل فقط (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة ، واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) الأعراف : ١٧١ كلمات القوة أيضاً كزميلاتها فى الآيات التى ذكرت بها . وذكر باسم الجبل فقط أيضاً حينما تكلم الله سبحانه عن وعد موسى وطلبه الرؤية

أو يؤيدها قوله جل شأنه في سورة النمل عن النار التي تراءت لموسى : (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين) النمل ٨ . لكننا لا نجد مع كلام الله لموسى ذكرا لكلمة سيناء . ما ثم إلا قول الله (وشجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) المؤمنون ٢٠ وقوله سبحانه : (والتين والزيتون ، وطور سينين) أول التين . ويذكر الله عن المكان الذى كلم فيه موسى غير ما مضى مثل هذه الآية (وما كنت بجانب الغَرْبِيِّ إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين) القصص : ٤٤ إنه نفس الجبل المذكور في الآيات السابقة . غير أنه وصف هنا بأنه غربى . (فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة : أنْ يا موسى إنى أنا الله رب العالمين) القصص : ٣٠ .

كما ورد قوله سبحانه : (فاخْلَعْ نعْلَيْك إنك بالواد المقدَّسِ طوى) طه : ١٢ . (وهَلْ أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدَّسِ طُوى) النازعات : ١٦ وطوى اسم للوادى على الأصح . بهذه الآيات يتبين لنا شيء كثير من صفات المكان الذى كلم الله سبحانه فيه موسى بنفسه جل شأنه ، وأقول بنفسه نقضاً لمن يزعمون غير ذلك مثل زعم بعضهم أن الله خلق قوة في الشجرة ، فكلمت موسى فكان المكلِّم الشجرة لا الله . لم هذا التحريف اليهودى للكلم عن مواضعه ، وهل ينال اللهَ عابٌ أن يكلم بنفسه عبده ، وهو الرحمن الرحيم ؟ .

ونستخلص من هذا كله أن الطور جبل في واد مبارك مقدس اسمه طوى ، وأنه كانت هنالك عند الطور شجرة ونار . غير أن هذا الطور لم يضف إلى سيناء في أية آية تتعلق بكلام الله لموسى .

« نَجِيًّا » : لم يوصف أحد من النبيين في القرآن بها سوى موسى ، أما « خلصوا نجياً » فهى عن إخوة يوسف ، وهى شيء آخر غير التى هنا ويقول الراغب عن أصل الكلمة : ناجيته ، ساررته ، وأصله تخلو به في نجوة من الأرض ، « أى مكان مرتفع »

وقيل أصله : من النجاة ، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه ، وأن ينجو بسرك من يطلع عليك والنجى المناجى ، ويقال للواحد والجمع . وفى ابن الأثير : الناجى المخاطب للإنسان والمحدث له والنجى فعيل منه . أقول : وهذه الصيغة تدل على الملازمة أو الكثرة .

« المعنى »

التذكير بالخير دعوة إلى القيام بعمل الخير ، والتذكير بالحق إيحاء قوى بالقيام بالحق ، وتحقيقه فى العقيدة والأخلاق والسلوك . والتذكير بالمثل العليا للبشرية المؤمنة ، وهى تسلك السبيل القويم ، مستهدية بالوحى الإلهى ، وأضواء النبوة إنما هو دعوة إلى أن نجعل هؤلاء لنا قدوة وأسوة ، لأنهم ببشريتهم التى استهدت بوحى الله استطاعوا أن يكونوا نجوما درية وضيئة فى أفق الإنسانية تشير إلى السُّراة : أن استهدوا بنا فى عبور الطريق .

ولقد ذكَّرنا الله ــ سبحانه ــ فى سورة مريم ، ببعض أنبيائه ورسله : زكريا فى شيخوخته الواهنة لا يدفعه الواقع الذى يفرض على الفكر الإذعان لمقدراته إلى اليأس مما يرجوه من الله ، فدعا ، وهو الشيخ الذى وهن عظمه ، وامرأته عاقر أن يهب له الله وليا . وهذا هو الإيمان الذى لا يدفعه الواقع بالخنوع له ، وإنما يتعالى بإشراقه ويقينه فى الله إلى أرفع أفق ترتفع إليه البشرية فى إيمانها بالله وأملها ورجائها فى رحمته ، وهذه صفة من صفات النبوة والولاية . فالنبيون لم يفرض عليهم الواقع المرير يأساً أو مرارة تقعد بهم عن العمل والرجاء .

يونس فى الظلمات لم ييئس ، موسى والبحر أمامه ، وفرعون الكنود الحقود الجحود من خلفه لم ييئس ، إبراهيم فى النار تتأجج لم ييئس، محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو عائد من الطائف لم يفتح له قلب ولا بيت ولم تنسم عليه منها نسمة حنان ، ومكة التى طفت عليها سفاهة قريش تترقب عودته ، وهى تتميز من الغيظ تريد أن تفتك به ، بل وهو فى بدر يرى ما يؤكد واقعه أن نتيجة المعركة فى صف الشرك . كل هذا

لم يبل من يقينه ولا رجائه ، ولم يغش قدسيته بلوثة يأس ، ومريم البتول الصديقة فى كبرياء الإيمان وسموه لا ترعشها هذه العواءات من الذئاب الضاريات من يهود الأحقاد والعدوات الخائنة ، وعيسى فى صفاء روحانيته ونقاء طهره ووداعته لم يرهب ما يضطرم حوله من مؤامرات وكيود ، ولا ما يصل إلى سمعه من نباح اليهود ونعاقهم الملعون ! اهـ .

وفى هذه الآيات يذكرنا الله سبحانه بنبي من أولى العزم لقى فرعون ولقى اليهود وقاوم وصبر وجالد وجاهد فى صدق الإيمان .

(واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً) يذكر الله بموسى فى صفة من أعظم صفاته التى بها أحبه الله ، هى أنه كان مخلصاً . كان قلبه لله وكان وجهه لله ، فلم يك فيه شىء ينال من فطرته الخالصة الصافية . ووصفه بأنه « مخلص » بفتح اللام ، لا « مخلص » بكسر اللام يوحى إليك بجلال العناية الإلهية الرحيمة بهذا الإنسان النبى ، فقد فعلت به هذه ما فعلت منذ ولادته حتى نبوته وبعدها ما ذكر الله فى القرآن مما سنعرض له ـ إن شاء الله ، ويمتد بنا العمر فى طاعته سبحانه ـ وتستطيع أن تقرأ مثلاً ما ذكر الله من قصته فى سورة القصص ، لتفقه سر التعبير بمخلص « بفتح اللام » ثم وصفه الله سبحانه بصفتين لا كسب للإنسان فيهما ، وهى أنه كان رسولاً نبياً . كسب الإنسان يأتى قبلهما ، ثم يمن سبحانه بهما عليه من عنده . تستطع أن تكتسب الولاية . ولكنك لا تستطع اكتساب النبوة أو الرسالة ، والله يذكرك بهؤلاء ، لتقتدى بهم فيما تستطع البشرية أن تقتدى بهم فيه ، وهو الإيمان والعمل والأخلاق . وقد ختم الله التذكير بهم بذكر أهم صفة تجمعهم وهى فى قوله سبحانه فى نفس السورة (إذا تُتلى عليهم آيات الرحمٰن خروا سُجَّداً وبُكِيًّا) مريم ٥٨ .

هذا ما نستطع أن نقتدى بهم فيه ، وما أعطانا الله أسباب القدرة عليه ، والتمكن من القيام به .

فلنضرع إلى الله سبحانه أن يوفقنا إلى العمل بما يحبه ويرضاه .

(وناديناه من جانب الطور الأيمن ، وقربناه نجيا) هما أمران : نداء ، مناجاة . وهما مترتبان ترتيبا يوحي بمعناها . فالنداء للبعيد والمناجاة للقريب .

ولعلنا نسأل كيف ناداه الله وكيف ناجاه ، الذي يجب أن ندين به هو الإيمان بأن ما أخبر به الله هو حق فالله ناداه ، وناجاه ، وكلمه تكليما . لكن كيف ؟ هذا ما لا يستطيع أحد من البشر وغيرهم أن يجيب عنه ، والقرآن لم يأت بالكيفية . ولكن ذكر المكان الذي ناجي عنده عبده موسى ، إنه الطور .

وتدبر جيداً هذه الكلمات المذكورة في الآية (نودي من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) . النداء كان وموسى في البقعة المباركة التي في شاطيء الوادي الأيمن ، وكان النداء آتياً من الشجرة ، من الله سبحانه . ثم تدبر قول الله ، واحذر أن تضرب كلام الله بترهات الفلسفة وحماقة علم الكلام وتمويهات الصوفية المخمورة بالأوهام : (فلما جاءها نودي : أن بُورك من في النار ومن حولها) النمل : ٨ .

قال ابن عباس وغيره : لم تكن ناراً ، وإنما كانت نوراً يتوهج ، وفي رواية عن ابن عباس : نور رب العالمين . وقال ابن عباس عن قوله سبحانه : « من في النار » تقدّس . ثم تدبر الحديث الذي في مسلم : « حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقرأ أبو عبيدة عقب ذكر هذا الحديث « أن بورك من في النار ومن حولها » وأقول : اللهم ما رميتك ببهتان ولكني قلت يا رب بعض ما قلته أنت في كتابك لتهدينا ، لا لتضلنا . ولكن أبى الملحدون في أسمائك إلا أن يدينوا بكذب الفلسفة ونفاق علم الكلام ، وزندقة الصوفية ، وأن يكفروا بالحق الذي بينت في جمال البيان وجلال الصدق .

ثم تدبر قول الله « وقربناه » فكر فيها جيداً وأنت مؤمن أن الله لا يقول سوى الحق . أتراه سبحانه يقول ما ليس له معنى عنده ؟ ؟ فكر ثم احكم على شطط وزيغ المحرفين والمعطلين والمبطلين . هذا قُرْبٌ وتقريب ، ومقرِّب ومُقَرَّب ومكان فيه كان التقريب ! !

فأين من هذا المدى المشرق باطل المؤولة المظلم ؟ ؟ ثم كلمة « نجيا » تعطى القرب ، وطول النجوى ، وتؤكد الغيرية بين المناجى والمناجى[1]. إن قول الله « قربناه » وقوله « نجيا » نوران وضيئان متألقان يهديان إلى الحق من صفات الله وأسمائه ، غير أنى أبيح لنفسى أن آخذ باللوازم البشرية للكلمات اللهم إلا إن رأيت الله يذكرها ، وحينئذ أومن بأنه يجوز إطلاق هذه اللوازم ـ لا ببشريتها ـ على الله بما يليق وذاته وجلاله . تسألنى أين كان الله وهو يكلم موسى؟ لن أجيبك إلا بأن أذكرك بقول الله ـ حتى لا تزيغ ـ المذكور فى سورة النمل وقد ذكرتك به (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها) صدق ربنا سبحانه . وتسألنى : كيف كلم ؟ وكيف كان يصل الكلام ؟ جواب هذا لم يذكر فى قرآن أو سنة ، فلنؤمن بأن الله كلمه ، وأن موسى فقه كلام ربه . وكان يسمع كلام ربه ولا يراه .

(ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) قد تكون : من أجل رحمتنا ، إن هذا يكشف لنا جانباً من خلق موسى العظيم وحبه لله وللإسلام ولأخيه . فإننا سنقرأ فى سورة طه قول الله سبحانه يقص ما قال موسى (واحْلُلْ عُقْدَةً من لِسانى يَفْقَهُوا قولى[2]، واجعل لى وزيراً من أهلى، هٰرونَ أخى ، اشدد به أَزْرِى، وأشركه فى أمرى ، كى نُسَبِّحَكَ كثيراً ، ونذكرَكَ كثيراً ، إنك كُنْتَ بنا بَصِيراً . قال : قد أُوتيتَ

---

(١) أقول هذا لأن الصوفية تزعم أن المناجى بكسر الجيم عين المناجى بفتح الجيم ، وأنهما واحد لا اثنان ! !

(٢) هذا يفيد أنه لم يكن فى فصاحة هرون . أما مسألة أنه كان ألثغ من الجمرة التى وضعها على لسانه عند فرعون . فلم ترو بسند صحيح ، ولا رويت رواية يطمئن إليها قلب المؤمن .

سُؤْلَكَ يا موسى) طه : ٢٧ ، ٣٦ . لم يكن ذا أثرة وإنما كان يستهدف صالح الدعوة فدعا الله أن يجعل له ما ذكرت الآيات ، واستجاب الله دعاء موسى الذى استفتحه بقوله : (رب اشرح لى صدرى ،ويَسِّرى لى أمرى » فبلغ ما أراد بفضل الله ، وتدبر دعاء موسى ، لعلك تدرك منه خيراً مما كان يمكن أن أذكرك به من إدراكى .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين ؟

عبد الرحمن الوكيل

من هداية القرآن

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة مَيْتاً ، كذلك الخروج) سورة ق

(الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تَعُدُّوا نعمة الله لاتحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار)

(سورة إبراهيم)

واجبنا نحو الشباب :

دروس عملية للشباب

من حيـاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أيهـا الشباب المسلم : هذا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم تعرّف إليه عن قرب ، واعرف له قدره ومكانته ، وأحببه ـ لا بمجرد عاطفة قد تـكون متوارثة كما يفعل الدهماء من المخرفين ـ ولـكن بوعى وعلم وتفهم وإدراك ونفاذ بصيرة ، واتبعه وترسّمْ خطاه قدر ماوسعك الجهد ، فهذا هو أسمى ما يراد من محبته صلى الله عليه وسلم . وسوف أعرض عليك لمحات ونماذج من سلوكه الـكريم فى مناسبات متنوعة تـكشف لك عن مكان العظمة البشرية فى أعماق نفسه الطاهرة ، وتدلك على بعض ما تحلت وتميزت به هذه النفس الزكية من شرف وسمو وكمال وجلال . ولـكن ، أحب قبل أن أسترسل فى هذا الموضوع الهام ، ألا يفوتك أنه صلى الله عليه وسلم بشر اصطفاه ربه عز وجل وطهره وجعله أهلا لتحمل أعباء هذه الرسالة الضخمة والمهمة الشاقة حتى أوفى بها على الغاية ، وفى هذا قال سبحانه (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

إنه بشر ـ لا كما قال المتغالون والمنحرفون من أنه صلى الله عليه وسلم خلق من نور ـ غير عابئين بالآيات القرآنية التى تؤكد هذا المعنى العظيم ـ معنى البشرية . ومن ثم فمنهم من يتأولون الآيات حسب أهوائهم وإلى أى مدى طوعته لهم رغباتهم .

يحتج هذا الفريق المخالف بقوله تعالى مخاطباً أهل الـكتاب : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) الآيات ١٥ ، ١٦ المائدة . وغاب عن هؤلاء أن النور والـكتاب فى هذه الآية إنما هو شىء واحد وهو الـكتاب . وذكر النور فى هذا الموضوع جاء لمجرد التوكيد لأن الـكتاب نور وهدى وبهدى هذا الـكتاب يخرج الناس من الظلمات والـكفر إلى أنوار الإيمان .

والدليل على أنها شيء واحد هو قوله تعالى : (يهدى به الله) وذلك بصيغة الإفراد ، ولو كان المراد شيئين لقال تعالى : يهدى بهما الله ، بصيغة التثنية . وهذه مسألة يدركها حتى تلاميذ المراحل الابتدائية من التعليم لأنها من مبادىء اللغة العربية . والله تعالى كما وصف نفسه « لا يضل ربى ولا ينسى » وإذن فهى حجة داحضة واهية لا أساس لها من الصحة .

واحتج المتأولون بقوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) . والحق أن بلاغة القرآن لا تقف عند حد ، وهذا هو وجه الإعجاز فى استعماله للمجازات والكنايات وفى غيرها فى أسلوب جميل أخاذ يخلب اللب ويدعو إلى التأمل وإعمال الفكر ، دون السطحية التى تميزت بها الغالبية من الناس . والحقيقة كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نور معنوى لا حسى ولا مادى ، كما توهم المخالفون ، إنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وباتباع هديه يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور . فهذا هو المعنى المراد ، وهذا هو لب السنة الذى يتجلى فى هذا المعنى العظيم « قال الله وقال رسول الله » فقط وهكذا يطيش سهم المتأولين للمرة الثانية .

ثم احتجوا أخيراً بحديث زعموا فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل جابراً بن عبد الله الصحابى عن أول ما خلق الله وأنه أجابه صلى الله عليه وسلم بقوله «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر » . وهو حديث زائف باطل غاية فى الضعف لامكان له عند علماء الحديث الثقات . وهكذا نرى أنها كلها حجج ضعيفة واهية لا ثبوت لها ولا استقرار .

ومنهم من أصر على المكابرة فقال : إنما هو بشر لأنه ذو بشرة ولكنه خلق فى الأصل من نور . إن هذا إلا إمعان فى العناد حرى بنا إذن ألا نأبه له ولا لقائليه الذين أشرب فى نفوسهم حب الجدل لذاته و للظهور بمظهر العلماء المدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما تلك الطائفة الرشيدة التى وفقها الله إلى السداد فوقفت عند حدود شريعته لا تجاوزها بحال ، فإنما آمنت ببشريته صلى الله عليه وسلم على ما جاء ذكره فى ذلك فى الكتاب والسنة . وها هى ذى الأدلة على صحة هذا المسلك ، وهى أدلة لا يمكن أن ينكرها إلا كافر جاحد معاند : —

(١) قوله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلٰهكم إله واحد) . ١١٠ الكهف .

(٢) قوله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد) . ٦ فصلت .

(٣) قو تعالى : (قل سبحانه ربى هل كنت إلا بشراً رسولا ؟) . ٩٥ الإسراء .

(٤) قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ـ إلى قوله : رءوف رحيم) . ١٢٨ التوبة .

(٥) قوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ـ إلى قوله : ترجعون) ٣٤ ، ٣٥ الأنبياء .

(٦) المعروف أن الأنبياء كلهم بشر ، فلماذا يستثنى هؤلاء النفر المخالف ـ الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفة البشرية ، ولماذا يحاولون تجريده من الصفة ؟ وقد قال تعالى فى ذلك : (قل ما كنت بدعاً من الرسول ـ إلى قوله ـ نذير مبين) . ٩ الأحقاف .

(٧) كما قال تعالى مؤكداً نفس المعنى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ـ إلى قوله : وسيجزى الله شاكرين) ١٤٤ آل عمران .

(٨) الثابت إن كل كائن حى يتزوج من نفس جنسه كأن يتزوج الإنسى إنسية وهكذا، ومصداق ذلك قوله سبحانه : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ـ إلى قوله : وجعل بينكم مودة ورحمة) ٢١ الروم . والرسول صلى الله عليه وسلم تزوج بخديجة وعائشة وأم سلمة وسودة بنت زمعة وحفصة بنت عمر وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحارث وجويرية بنت الحارث وزينب بنت جحش وهند ورملة بنت أبي سفيان

وزينب بنت خزيمة ، وتسرى بمارية القبطية وريحانة وجميلة ؛ فهل كل هؤلاء خلقن من نور ؟ وكلنا نعرف أنه صلى الله عليه وسلم خلق من نطفة وأنه من سلالة آدم عليه السلام، وآدم خلق من طين . فلو أنه صلى الله عليه وسلم خلق من نور لتزوج ممن خلقن من نور مثله ـ وهذا هو منطق القرآن الكريم ـ حتى يتحقق السكن والمودة والرحمة ولن تتحقق هذه الأمور الأساسية إلا بالتجانس التام بين الزوجين ؛ وحتى بين الإنس أنفسهم يصبح عدم التجانس أمراً عسيراً يحس به أى عربى تزوج من سيدة أجنبية ، أى من جنس أجنبى غير عربى ، رغم أنهما معاً فى الحقيقة من الإنس . فأين التبصر والإدراك والوعى أيها المعاندون ، بل إن الكفار لم يسلم صلى الله عليه وسلم من اعتراضهم عليه بحجة أنه ليس ملكاً أو ليس معه ملك يشد من أزره ، كما فى قوله تعالى : (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً) ٧ ، ٨ الفرقان ثم إنه صلى الله عليه وسلم لو كان ملكاً لاتخذ اعتراضهم عليه وجهاً آخر هو أنه لا طاقة لهم بمحاكاته فى جهوده وأسلوب عبادته ـ لأنهم بشر ـ يعتبرون دون مستوى الملك ، ولقد حسم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بقوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى وضعنى أبوى ، لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

كما قال صلى الله عليه عندما احتكم إليه الخصمان : « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، ولعل أحدكم يكون ألحن بالحجة من غيره فأقضى له ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما هى جمرة من نار فليأخذها أو ليتركها » .

وعندما رآهم يؤبرون النخل (أى يلقحونه) قال لهم « هلا تركتموه » ففعلوا فأثمر النخل شيصاً ، فشكوا إليه ذلك ، فقال : « أنتم أعلم بشئون دنياكم ، غير أنى لا أكذب على الله » ولقد عوتب صلى الله عليه وسلم فى شأن الصحابى الضرير ، عبد الله بن أم مكتوم ، وذلك فى مستهل سورة (عبس) فكان يلقاه بعدئذ هاشاً باشاً مرحبا ويقول له « مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى » .

ثم إنه صلى الله عليه وسلم كان يجوع ويشبع ويمرض ويشفى ويجرح فى الغزوات ويصاب . . . الخ وهذه كلها من صفات البشر . إنه بشر ولكنه متميز عن سائر البشر بالوحى . والمعاندون يقولون : إنه مخلوق من نور ، ونحن مع أننا ننفى هذا القول نقرر أنه صلى الله عليه وسلم خير وأكمل وأفضل من هذا النور الذى يزعمون ، فصفة البشرية لا تنقص من قدره بحال ، بل إنها تكون إلى جانبه تدعم مركزه بقدر ما تهدم من ادعاءات المتأولين ، إذ تدلنا سيرته العطرة على مدى سموه ببشريته هذه إلى القمة وأنه بلغ بها الذروة ، وكيف لا وجبريل ــ كبير الملائكة ورئيسهم ــ عليه السلام هو معلمه ومبلغه عن رب العالمين ! وفى معرض الثناء عليه من ربه نذكر قوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) ، وهو ثناء انفرد به صلى الله عليه وسلم دون سائر الخليقة . وقوله تعالى : (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر) ٤٩ الحاقة وقوله أيضاً إنه : (رحمة للعالمين) ــ وأنه : (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) ولقد كان صلى الله عليه وسلم قبل بعثته مضرب المثل فى حسن الخلق وحميد الخصال ، وكان محبوباً من الجميع يجلونه ويحترمونه ويعرفون له قدره العظيم ، حتى لقد لقبوه بالصادق الأمين ، وكان يحكى عن نفسه فيقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وكانت عائشة رضى الله عنها تقول عنه : كان خلقه القرآن ، يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، والحقيقة أنه يعتبر القرآن العملى التنفيذ التطبيقى حرفيا ــ إن صح هذا التعبير ــ وما أحسبنا نجانب الصواب إذا ما قلنا : من أراد أن يرى القرآن وهو ينفذ عمليا فلينظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان قرآنا عملياً متحركاً . ورب قائل يقول : ولماذا التصدى ــ يا أنصار السنة ــ دائماً لتلك المسائل الخلافية بالذات ؟ أو لم يكن من الأولى أن نتركها تمر دون ما إثارة مشاكل ؟ .

ونرد عليهم بنقاط ثلاث : ــ

أولا : إن التصدى لحسم الخلاف وإحقاق الحق مهما كلف الإنسان من جهد وعناء ، أفضل من ترك الخرافة تفشو وتستشرى وتنتشر ، فيجتاح المجتمع كله ، ولو تركنا

الحق جانباً طلباً للسلامة والأمن فى كنف الأخطاء والضلالات والخرافات لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا فى حاجة إلى جهاد الكفار ، ولآثر السلامة ، ولما تحمل فى سبيل ذلك ما عانى حتى أيده الله بنصره .

ثانياً : إن أمانة العلم تحتم علينا تبيانه وعدم كتمانه ، وإلا فالويل لمن يكتمه وقد كان فى وسعه أن يبينه للناس ، والآيات والأحاديث فى هذا الشأن أشهر من أن تخفى على أحد .

ثالثاً : تحذيره صلى الله عليه وسلم من المبالغة فى إطرائه ونهيه عن الغلو فى تقديس الأشخاص ، حتى لا يؤدى فى النهاية إلى الكفر ، كما فعل السابقون من الأمم ، فقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ثم عبدوهما تلقائياً من دون الله ، ولكن الله فى كتابه العزيز رد كيدهم إلى نحورهم فى مواضع كثيرة منها قوله : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) .

وقوله : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) . وهذا على سبيل المثال . وما كان الرسول الكريم ليرضى لأمته وهو الحريص عليها والساهر على سلامة توحيدها وعبادتها أن تسقط مثل هذا السقوط الشنيع .

أفبعد هذا كله تكون هنالك مكابرة أو عناد ؟ .

والآن أيها الشباب المؤمن . . إلى رحاب السيرة الطيبة الزكية ـ نتعلم وندرس ونقتبس ونتأسى – لنعمل ونطبق ، لا لنتحكى ونتسامر ونتفكه ، ولا لنجعل منها حديث نعطر به المجالس ثم نغدوا منصرفين وكأن لم يكن شىء ؛ وإنما لنجعل منها نبراساً نهتدى بضيائه الوهاج من أجل بناء أمة مسلمة مؤمنة ناهضة فتية قوية عادلة رحيمة متكاملة ، يتطلع إليها العالم كله بأنظاره فى إجلال وإكبار ، فذلك هو عين ما أراده لنا الله وما تمناه لنا رسوله صلى الله عليه وسلم

(الدرس الأول)

كانت الدعوة الإسلامية فى أول الأمر سرًّا خشية إيذاء قريش ومقاومتها وعنادها ، فلما أُمر صلى الله عليه وسلم بأن يجهر بالدعوة صعد على الصفا وأخذ ينادى بطون قريش :

يا بنى فهر ، يا بنى عدى . . . الخ . فخرجوا ، ومن لم يستطع الخروج يرسل من ينظر له الخبر ، وجاءت قريش وجاء عمه أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب فقال لهم صلى الله عليه وسلم « أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقىّ ؟ فقالوا نعم ماجربنا عليك كذباً قط . فقال « فإنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب : تباً لك ! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله فى شأنه وشأن امرأته التى كانت شديدة الإيذاء للنبى صلى الله عليه وسلم سورة (المسد) وفيها توعدهما بالنكال والوبال .

ومن هذا الدرس نتعلم منه صلى الله عليه وسلم كيف أنه كان يتطلف فى الدعوة إلى ربه متخيراً الأسلوب المناسب ، مستعملاً الحكمة والموعظة الحسنة التى تثمر فى القلوب المستنيرة التى لديها الاستعداد الطيب لتلقى الخير وتقبُّله ؟

« للمقال بقية » محمد عبد الكريم أحمد

ألوذ بالله

قال الشاعر :

ألوذ بالله لا أبغى به بــدلا ومن يلذ بجـــلال الله يسعده
أخلى فؤادى له من كل شائبة إن عشت أو مت أعضائى توحده
وكيف أرضى بغير الله متجهاً والكل والجزء والأعضاء تعبده
إذا مددت يدى لله أسأله أعطانى الله فضلا لا أعدده

١٩

٥ـ نظرات فى المجتمع والشريعة :

٣ــ الهوى

صراع ثنائى :

إذن الإنسان فى صراع ثنائى بين مادية أساسها نشأته من طين ثم من ماء مهين، ويمثل هذه الناحية فى جانب الفكر والسلوك ما يعرف بالنفس وهواها. وجانب روحى أساسه مانفخه الله فى الإنسان من أسباب الفضل والكرامة، ويمثل هـذا الجانب فى ناحية الفكر والسلوك والاتجاه إلى القيم السامية والمثل العليا. وانتصار جانب آخر رهن بما يمده ويؤيده من عوامل خارجية، فالتدين قوة فى جانب الروح، والإلحاد قوة فى جانب المادية.

وإذا انتصرت الروح كانت النفس وهواها تابعين لسلطان الروح.

وهذا هو الإيمان الذى يصفه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به). والنفوس أمام الهوى ثلاثة:

والنفس المطمئنة نفس انتصرت على هواها، وصدقت كلمات ربها وكتبه، وأعرضت عن النوازع والبواعث المادية، يقول تعالى فى شأنها (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية. فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وهذه أمثل النفوس وأصفاها.

والنفس اللوامة إن كان للهوى عليها بعض السلطان، لـكن للروح سلطان أقوى وأعظم فسرعان مايتبع الذنب بالندم، والخطيئة بالألم. ولا تظن أيها القارىء أن هذه النفس ضعيفة الشأن عند الله، بل إنها ذات شأن عظيم!!.

ألم يقسم بها رب العالمين فى القرآن الكريم بقوله تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) .

إنها هى نفس المتقين ، وحسبك التقوى منزلة رفيعة إذ يقول الله تعالى فى وصفهم (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) وكما يقول تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) .

وإذا انتصر الهوى تقلص سلطان الدين ، لأن الدين حق ومبعثه من الله وهو وحده الحق ، والهوى باطل وضلال ، وأنى يايلتقيان أو يصطحبان ؟

وهذا هو شأن من انتصر عليه سلطان هواه. إنه يهوى فى مادية سحيقة ، ويصير معها ذليلا لما يهوى وما يشتهى، وهنا يعطل عليه هواه منافذ الفكر والإدراك الصحيح فيه، يقول تعالى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟) ويقول تعالى : (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) .

وهذا أوضح بيان لخضوع الإنسان فى ذلة وامتهان لهواه . . . . . وهل هناك أحقر من موقف العبودية لغير الله ؟ يقول تعالى فى سورة الجاثية : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله ؟)

فماذا يبقى للإنسان بعد هذا من آدميته وكرامته وفضله ؟ وهل يجد منفذاً وطريقاً للخلاص من التردى فى هذه الحمأة إلا إذا كان هواه تبعاً لدين ربه ولما جاء به رسول الله.

وماذا نقول فى النفس الأمارة بالسوء ؟ عاقبتها وبال ، ونهايتها خسران مالم تنقذها رحمة الله بنعمة الهداية والتوفيق يقول تعالى: مسجلا اعتراف زوجة العزيز بما اكتسبت،

وببراءة يوسف تقول معقبة على هذا وذاك : (وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم) .

الهوى ويقين النبوة :

والهوى ميل النفس ورغبتها فيما ترى بحسب إدراكها الظاهر ، ونظرها القاصر أنه فى صالحها ، وفى واقع الأمر أنه غير ذلك ، ووراء الهوى شيطان لدود يغوى الإنسان ويطغيه ويعد له فى حبل الأمانى ويدنيه ، حتى الأنبياء كان لهم ذلك الشيطان إلا أنهم أعينوا عليه فأسلم القياد أمام إيمان النبوة الصادق ، ولم يعد لهم هوى إلا رسالتهم التى بعثهم الله بها .

قال الرسول عليه الصلاة والسلام لزوجته عائشة وقد ذكر أمامها زوجته خديجة فبدت عليها آثار الغيرة قال لها : «أغرت ؟ أجاءك شيطانك؟قالت : أو معى شيطان يارسول الله؟ قال : وما من إنسان إلا ومعه شيطان . قالت : حتى أنت يارسول الله ؟ .

قال : حتى أنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم » .

وهذه هى العصمة التى منحها الله للأنبياء . . . . . عصمة من سلطان الهوى ومن التأثر بأهواء الناس وميولهم إذ يقول تعالى : (والله يعصمك من الناس) وماذا يخشى على الرسل من الناس إلا الأهواء الضالة والميول المنحرفة ؟ .. وهذا هو ماحذر الله تعالى رسوله منه إذ يقول تعالى فى سورة الجاثية : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) .

أى ليكن هواك شريعة الله التى حملتها ، وإذا حاول هؤلاء الذين لايعلمون أن يصرفوك عنها بأهوائهم الضالة فلا تتبعهم فما هم بمغنين عنك من الله شيئاً .

ومن هم الذين لايعلمون ، هم أهل الكتاب الذين حاولوا أن يملوا على رسول الله

شرائع من هواهم لامن كتبهم التى يدينون بها ، ظناً منهم أنهم أهل علم وأهل كتاب . ومن حقهم أن يشرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله .

وتتجه آيات القرآن على هذا النحو الحاسم فى تحذيرها لرسول الله من أهواء هؤلاء مما سنتحدث عنه فى مقالنا التالى بعنوان (الرسول وأهواء أهل الكتاب) إن شاء الله؟

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

حكمة عبد الملك بن مروان

طلب الحجاج رجلا فلجأ إلى عبد الملك . فكتب إليه الحجاج : هذا فساد لعملى . فرد عليه عبد الملك :لاينبغى لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة ، فيكون مقامنا مقام رجل واحد . ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة ، فيستريح الناس .

بدأ الإسلام غريباً

وسيعود غريباً كما بدأ

« أَجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أنِ امْشُوا واصبِروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إنْ هذا إلا اختلاق»

كان كل شيء للاّت والعزى ومناة وغيرها . الذبائح والنـذور والقرابين والأيام والأعياد والدعاء ، لاشيء لله تعالى إلا كلمة عابرة ينطق بهااللسان بين حين وآخر ، وأحياناً تنطلق من القلب عندما تشتد الـكربات ويعم الخطب ، وتصبح الأوثان والأنصاب شيئاً لايغنى ولايفلح ولايسمع ولا يجيب، فإذا ماانفرجت الـكربات وانقشعت سحابة الأهوال اختفت كلمة الله تعالى من اللسان والقلب، وعادت اللات والعزى ومناة وغيرها سـيرتها الأولى وعاد لها كل شيء .

وحتى مناسـك الحج والعمرة لم يعد منها فى الجاهلية الأولى إلا بقايا متوارثة عن الحنيفية التى جاء بها إبراهيم عليه السلام بعد أن أدخل عليهـا التبديل والتغيير وأصبح للأوثان فيهـا نصيب . ذلك هو ميراث الآباء الجاهلى الوثنى الذى ارتبط بالعصبية والـكرامة والحفاظ على دين القبيلة والأجداد .

ولم يعد على الحنيفية الحقيقية إلا بقايا غريبة وسـط الجموع ، تائهة فى زحام وثنية الألوف .

وعجيب أمر هؤلاء الذين جعلوا كل شيء للاّت والعزى ومناة وغيرها .

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله ... »

« قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ... سيقولون لله ... »

« قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . . . . سيقولون لله .... »

ومع هذا الاعتراف الصريح يأبى الإنسان إلا أن يضع العقل تحت الأقدام وهو الذى يميزه عن البهائم ، ويرفع راية التعصب لما عليه الآباء والأجداد والقبيلة فيجعل كل شيء للات والعزى ومناة وغيرها .

ووسط هـذا الجو الوثنى العفن ووسط هذا التيار الجاهلى الجارف جاءت الدعوة تبلغ رسالة الله «لا إله إلا الله» لا لاتَ ولا عزى ولا مناة ولا غيرها، لا شيء إلا الله وحده له الملك ومنه البركة وله دعوة الحق ،وإليه ترتفع الأيدى وترغب وترهب القلوب ولاسمه تقدم القرابين والنسك والنذور .

وبدأت الدعوة غريبة «... إن هذا لشيء عجاب» « ... ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » .

وبدأ الشيطان يوحى إلى أوليائه ليحارب وحى الله تعالى . وبدأ الشرك يجادل عن نفسه « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » و « مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .

ولم يفلح هذا المنطق مع دعوة الحق فما أمر الله تعالى أن يستشفع عنـده هكذا وما أراد الله تعالى أن يتقرب إليه بمثل هذا .

واعتقدت الجاهلية الأولى أن الحسب والهدى فيما وجدت عليـه الآباء وإن خالف صريح العقل .

« حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا .. »

« .. إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون »

وبدأ الإسلام غريباً . غريباً على الإنسان رغم مافيه من رفع لمستواه عن الحجارة والنصب التى أذل نفسه لها،ورغم مافيه من ارتفاعه بكرامة الإنسان عن الخشوع والخضوع

فلأحجار والأنصاب التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً .

أغريب أن تكون الرغبة والرهبة والدعاء والنذر لملك جبار مستو على عرشه ؟ ولا تكون لحجارة صماء صنعها الإنسان بيده واتجه إليها داعيا عابدا مستغيثاً مستعيذا ؟

أغريب حقا على بني الإنسان دعوة فيها تكريم له ورفعة لشأنه فيمضي يحاربها ويأبى إلا الذل والعبودية للحجارة والنصب .

يأبى الشركة في ماله ويجعل لله تعالى شريكا في الملك .

ويأبى أن يتصرف غيره في ملكه ويجعل لغير الله تعالى التصرف في الملكوت وينزه الراهب الكبير عن الولد ويجعل لله تعالى ولدا .

وينهشه الجوع ويفترسه بأنيابه ويدفع به إلى الهلاك وتمرح حوله الأبقار التي سخرها له الله تعالى فيأبى إلا أن يجعلها آلهة تعبد !!!

حقاً (إن الإنسان لربه لكنود) .

يريد الله تعالى له الكرامة والعزة والرفعة والسمو فلا تخضع نفسه إلا لخالقها خضوعا فيه عزة للنفس وكرامة ، فيأبى الإنسان إلا أن يذل نفسه ويخضعها للحجارة والتوابيت والقبور والأضرحة والمقاصير ، والبهائم ، فيجعلها آلهة تعبد من دون الله.

جاء الآسلام غريباً على مجتمع جاهلي وثني وراثي تقليدي لم يكن يقدس اللات والعزى ومناة وغيرها لذاتها ، فإنه عندما يشتد الكرب يتركها ويتجه إلى السماء ، إنما كان يقدس هذه الأوثان لأنها عناصر تركة عفنة دنسة ارتبطت بشرف القبيلة وكرامتها ولابد من الحفاظ عليها ، لاشيء إلا لأنها دين الآباء والأجداد . ولهذا لم يقل أبو جهل لعبد المطلب وهو على فراش الموت أترغب عن اللات والعزى ومناة . . ؟ بل قال أترغب عن ملة عبد المطلب !! ؟؟

مجتمع كالقطيع يدب في طريق الضلال خلف المقدمة التي تحمل لوائها الآباء والأجداد ، ووسط هذا الجو الجاهلي الوثني يولد الناس وتتفتح أعينهم على تراث الآباء الدنس

فيرسخ فى القلوب والأذهان فتصطدم دعوة الحق بالحجة الملعونة « . . . إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » من أجل هذا بدأ الإسلام غريباً .

غريباً فى تنقية القلوب من الرغبة والرهبة إلى غير الله تعالى .

غريباً فى تنقية البيت العتيق من النصب والأوثان وجعله خالصاً لله تعالى .

غريباًفى إراقة دماءالقرابين لاسم اللهتعالىوالتى كانت تراقلاسم الطواغيت والأوثان.

والأغرب من هذا أن أصحاب هـذا المجتمع الوثنى الجاهلى يصرون فى فجر واضح أنهم على ملة إبراهيم عليـه السلام فأنزل رب إبراهيم عليه السلام مايبرئه من الجاهلية فقال تعالى عنه « . . . . ولـكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » .

وسقط منطق الجاهليـة ولم يستطع وحى الشيطان أن يواجه وحى الرحمن . وبدأ منطق السيف وجند الحق ، وسقط الباطل أخيراً وكان لابد له أن يسقط ، واندحرت الجاهلية الأولى وكان لابد لها أن تندحر ، وسقطت اللات والعزى ومناة وغيرها تحت أقدام جحافل التوحيد وهى تقتحم معقل الشركوموطن الضلاللتجردالبيت العتيق من باطل الأوثان والأنصاب وضلالها ، وتجعله خالصاً لله تعالى . وانتصر جند الرحمن على الشيطان وأوليائه وجاء الحق وزهق الباطل .

وبدأ الشىء العجاب يعدو مألوفاً مقبولا يقره العقل و يقبله القلب ، وأصبح كل شىء خالصاً لله تعالى بعد أن كان للات والعزى ومناة وغيرها ، وولى الشيطان يبكى ويجر أذيال الخيبة يبحث له عن موطن جديد وميدان آخر لمعركة الغواية .

ومرت الأيام وعاد غريباً كما بدأ ...

كل شىء للبدوى والدسوقى والقناوى وغيرهم من الذين أقيمت باسمهم الأنصاب وشيدت القباب . الأيام والموالد والأعياد والذبائح والنذور والدعاء ... لاشىء لله تعالى .

وعاد الإسلام غريباً على الذين ولدوا وتفتحت أعينهم على نصب سموها : البدوى.

والدسوقى والقناوى وغيرها، فكانت لها فى قلوبهم رغبة ورهبة فطافوا بها وتمسحوا سائلين خاشعين ضارعين طالبين مالا يطلب إلا من الله تعالى .

عاد الإسلام غريباً فى تنقية القلوب من الرهبة والرغبة إلى غير الله تعالى إلى التوابيت والأضرحة والمقاصير .

غريباً فى تنقية بيوت الله تعالى من النصب وجعلها خالصة لله .

غريباً فى إراقة الدماء لاسم الله الواحد القهار والتى تراق لاسم البدوى والدسوقى والقناوى وغيرها من الأنصاب.

هذه الجموع التى زحفت إلى مسجد البدوى تؤمن أن الصلاة فى المساجد الخالصة لله تعالى أنقص فى قيمتها وأجرها عند الله من مسجد البدوى ، فقد أكسب نصب البدوى فى عقيدتهم الصلاة قيمة وقدسية وأجراً، ولذلك تراها تسرع فى لهفة وشوق تلهف نحو النصب فتطوف به وتتمسح وتدعوا وتلوذ وتقبل .

المولد والعيد للسيد ... وعجل السيد ... وفول السيد ... ونذر السيد ... وبركة السيد ... فماذا لله !!!؟؟؟

وحتى سدنة الضريح لا يغضبون إذا وجدوا عبداً لا يحسن الصلاة لله وينقرها نقراً... ولكنهم يغضبون إذا وجدوا عبداً لا يحسن الطواف والتمسح ودعوة النصب !!! .

وخلف كل هذا أخطبوط مفزع مخيف يمتص النور وينشر الظلمة ، ويعيش على حصيلة الأوثان وسدانة التوابيت ، ويتمرغ فى أوصال الجاهلية التى تنتهى إلى البطون والجيوب واصطنع لنفسه الألقاب والخلافة ، واحترف بيع صكوك الغفران فى صورة عهود . هذا الأخطبوط المخيف اصطنع للضحايا دروباً وطرقاً ومتاهات تبدأ فى صورة الزهد والورع وتنتهى إلى الهاوية ، وهذه المتاهات سماها طرقاً ووضع على رأس كل طريقة منها شيطاناً فى صورة شيخ وخليفة ونقيب ، وأصبحت الألقاب جزءاً من عناصر التركة

التى تنتقل إلى الأبناء مع الخرقة الكهنوتية ، وكأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كأنهم كانوا فى غفلة فلم يعرفوا هذه الدروب والمتاهات التى أحدثت فى الإسلام تحت اسم الطرق — والزهد — والصفاء وأصبح لهم طواف حول التوابيت والمقاصير يضاهئون به الطواف حول بيت الله العتيق ، وأصبح لهم موالد وأعياد يضاهئون به أعياد الله .

وأصبح لهم عكوف وتجمعات ومواقف فى ساحات النصب والأضرحة ، يضاهئون به عرفة ومنى والمشعر الحرام .

وأصبح لهم حجر أسود فى بيت البدوى يضاهئون به الحجر الأسـود فى بيت الله الحرام . .

وصنعوا ماصنعته الفرعونية فى معابدها والمجوسية فى بيوت نيرانها والصابيية فى أديرتها والتلمودية فى بيعها ، كل هذا تحت ستار التوسل والتقرب والتماس البركات ! ! !

أرأيت الشياطين فى وشاحها الكهنوتى وهى تحتفل بأعياد القبور التى تسميها موالد ؟ ! !

أسمعت الشياطين وهى تدق طبولها فى أعياد التوابيت والمقاصير .

أرأيت الجموع وهى تلهث طائفة حول النحاس والمقاصير ، تصرخ وتلوذ وتستنجد وكل شىء لله جعلته للبدوى وغيره ؟ ؟ ؟

أسمعت الصخب والمكاء والتصدية والتواشيح والترانيم ورأيت الرقص والتمايل والحضرات كل ذلك تحت اسم الذكر والتعبد ؟ ؟ ؟

أرأيت كسوة القبور التى صنعوها بأيديهم ثم مسحوا بها الوجه والأيدى طلباً للبركة والشفاء ؟ ؟ ؟

أرأيت الشموع والقناديل التى اتخذت على القبور تقرباً إلى أصحابها وهم يزعمون أنه تقرب إلى الملك الجبار ؟ ؟ ؟

أرأيت الجداء والخراف وهى تساق لتقدم قربانا على مذبح الشيطان تقربا إلى التوابيت والمقاصير والأضرحة ؟؟؟

يا للبلهاء السذج . . . ويقولون : لم يحن بعد الوقت ليعود الإسلام غريبا . ماذا تركت كل هذه التعبدات المصطنعة من الفرعونية والمجوسية والصليبية والجاهلية والوثنية ؟ ؟ لاشيء سوى بيانا يكتب فى شهادة الميلاد فى خانة الديانة يقول « مسلم » وعند الأضرحة والنصب أضاعت كل ماجاء به الإسلام ! ! ،

وإذا قلت هذه النصب يجب أن تزال من بيوت الله لتكون خالصة له قالوا أقيمت بأمر عظيم .

وإذا قلت إن من يدعون هذه النصب مشركون قالوا : فرقت بهذا الأمر جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وكفرت من مضى من آبائهم وإذا قلت هذه الأضرحة لاتضر ولا تنفع ، فلا تُدعى ولا ينذر لها قالوا : عيب دينهم .

عند ذلك ينتقل بك الفكر عبر أجيال طويلة وتعود إلى الأمس البعيد فتعلم أن مايقال لك من عبدة التوابيت والمقاصير إن هو إلا صدى لمقالة أبى الوليد عتبه بن ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم «. . . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم » :

وهكذا يعود النور غريبا كما بدأ غريبا على الذين ألفوا العيش فى الظلمة وما بين اليوم والأمس إلا شيطان مارد يريد الغواية لبنى الإنسان يصورها لكل جيل فى صورة تناسبه ، والإنسان هو الإنسان ، والغواية هى الغواية والشيطان هو الشيطان ، وإن هى إلا أسماء اختلفت وقلوب تشابهت والتقت جميعا فى بؤرة الشرك والضلال .

إن الذى حرم دعاء اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وغيرها ، لم يكن ليحل دعاء البدوى والدسوقى والقناوى والحسين وغيره . اتفاق فى المصدر واتفاق فى العمل واتفاق فى الحجة واتفاق فى الغاية ، واختلاف فى الأسماء مصدرها جميعا دعاء الأقوام الصالحين .

وعملها التمسح والطواف والعكوف والدعاء وتقديم القرابين ، وحجتها الشفاعة والتقرب إلى الله والأنفاس الطاهرة . . . والمدد وغايتها الشرك والضلال والوثنية . ولا فرق بين عبدة التوابيت وعبدة الطواغيت . وتصر الجاهلية الثانية أنها على ملة محمد صلى الله عليه وسلم كما أصرت الجاهلية الأولى أنها على ملة إبراهيم .

وأصبح الصوت الذى يريد أن ينتزع كل شيء من حوزة البدوى والدسوقى والقناوى ويجعله خالصا لله تعالى أصبح غريباً يشبه فى غربته صوتا أراد منذ أجيال أن ينتزع كل شيء من حوزة اللات والعزى ومناة ويجعله خالصا لله فيا أسفا على الإسلام . . فقد عاد غريبا كما بدأ . . فطوبى للغرباء .

نـــــداء

جماعة أنصار السنة المحمدية بكينيا فى حاجة إلى عون وتأييد بالمراسلات وإرسال كتب السنة لتتمكن من الوقوف أمام أنصار البدع والخرافات والقاديانية التى يعاونها المستعمرون وعنوانها كالآتى :

جماعة أنصار السنة المحمدية — ممباسة — كينيا صندوق رقم ١٥٦١ .

رئيس الجماعة سالمين عوض كرتم العامرى .

ودعوتها تنتشر بسرعة مبشرة وسط البيئة الإفريقيه التى تعيش على الفطرة .

مصطفى عبد اللطيف درويش

رئيس مأمورية الشهر العقارى بسوهاج

نرجو من الإخوة الذين يكتبون لنا أن يكتبوا على وجه واحد من الورقة

باب الفتاوى

سؤال وجواب

س ١ — ماحكم الشرع فى تحديد النسل ، هل جائز شرعاً أم لا .

س ٢ — ماحكم الشرع فى قراءة القرآن للميت وإهداء ثوابها أو ثواب قارئها له ، هل جائز شرعاً أم لا ، وخصوصاً سورة الفاتحة ، لأن البعض يقول : إن سر ثواب قارئها هو الذى يصل وكذلك سورة الإخلاص ويس ، وتبارك ؟

قارىء من اسكندرية

ج ١ — موضوع تحديد النسل أو تنظيمه كتبنا فيه فى عدد سابق وقلنا إن هذا أمر يترك تقديره للشخص نفسه تبعاً لظروف الزوجين الصحية والاجتماعية مع التنبيه على أن الاتجاه العام للشريعة الإسلامية هو الإكثار من النسل لاتقليله .

ج ٢ — مسألة قراءة القرآن للميت يعنى إهداء ثواب القراءة له محل خلاف بين الأئمة ، وقد ذهب إلى جواز ذلك الإمام أحمد وأئمة الحنابلة ومنع ذلك الإمام الشافعى رحمه الله . والحق إنه لايوجد دليل من الكتاب أو السنة أو فعل الصحابة والتابعين على ذلك ، وقياس القراءة على غيرها مما ورد فيه النص كالدعاء والصدقة استعمال للقياس فى موضع النص وهو غير جائز .

وأما حديث « اقرءوا على موتاكم يس » فهو حديث غير صحيح ، ولو صح فالمراد بالميت فى الحديث هو المحتضر لامن مات بالفعل وقيل ذلك باتفاق العلماء .

ونرشد القارىء إلى رسالة الشيخ محمد عبد السلام فى حكم القراءة على الأموات والله أعلم .

س ١ — مسلم لم يكن يؤدى فريضة الصلاة ثم صلى فما الحكم فى الأعوام التى

لم يكن يصليها هل يصليها أو يصلى نوافل سننا ؟

س ٢ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين .

هل يفيد هذا الحديث بمساواة المسلم غير المؤدى فريضة الصلاة بالكافر ؟ وما حكم الشرع فيه ؟ .

محمد خليل محمود السلك

أسوان — السيل الريفى

ج ١ — ينبغى أن يعلم أنه لاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة فتسمية تارك الصلاة مسلماً هو ظلم لهذا الإسم الكريم ووضع له فى غير موضعه ، لأن الإسلام مأخوذ من الاستسلام وهو الانقياد والإذعان لأمر الله تعالى بأداء فرائضه واجتناب نواهيه . فتارك الصلاة أولى أن يسمى مجرماً كما قال الله تعالى من سورة المدثر « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين » فجعل الله سبحانه أول خصلة للمجرمين أنهم لم يكونوا من المصلين .

وعلى هذا فلو بدأ هذا المجرم يصلى بعد ما كان تاركاً للصلاة فإنه يحكم له بالإسلام من يوم أن صلى فحكمه حكم الكافر إذا أسلم ولا ينفعه قضاء مافاته من الصلاة فإن الصلاة التى تركت عمداً لاقضاء لها ولكن عليه أن يكثر من الندم والاستغفار ويحافظ على صلاته فيما بقى ويكثر من نوافل الطاعات من صلاة وصيام وصدقة عسى أن يتوب الله عليه ويرحمه ويغفر له ماأسلف فيما سلف من أيامه .

ج ٢ — هذا الحديث يشهد لما قلناه من أنه لاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة وهناك أحاديث أخرى صحيحة صرحت بكفر تارك الصلاة كقوله عليه السلام « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وكقوله مامعناه « فرق مابين المسلم والكافر ترك الصلاة ».

وعلى هذا فيجوز تسمية تارك الصلاة كافراً تبعاً لهذه الأحاديث ولكنه كفر نعمة وعمل لا كفر اعتقاد . وأما حكمه فقد اتفق الأئمة إلا أبا حنيفة على أنه يقتل إذا أصر على الترك إلا أنهم اختلفوا هل يقتل حداً أو يقتل ردة فقال أحمد رحمه الله أنه يقتل ردة لأنه ارتد عن الإسلام بترك الصلاة ،

وقال الشافعى رحمه الله يقتل حداً والله أعلم .

س ١ — قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه صور أو فيه كلب » هل المقصود بالصور التماثيل فقط وهل ينفذ هذا الحديث على لعب الأطفال أيضاً وهل هذا الحديث ينفذ فى هذا العصر ؟

س ٢ — إنى أستعين بزوجتى لصب الماء لى حتى أتوضأ ، فهل هناك كراهية فى صبها الماء على قدمى ؟

س ٣ — عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » .

فإذا كنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثم نقابل بالأذى وبشتى الإتهامات ، فما الحكم ، هل علينا أنفسنا كما قال الله سبحانه وتعالى أو هل يعمنا الله بعقاب هذه المنكرات التى يرتكبها هؤلاء ؟

٤ س — نرجو الإفادة عن كيفية الإشتراك السنوى . بالهدى النبوى ؟

عيد عبد المنعم عليوه

قطاع المعدات الفنية ــ السد العالى بأسوان

ج ١ — الحديث رواه مالك فى الموطأ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه تحت عنوان « ما جاء فى الصوو والتماثيل ، قال حدثنى مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة أن رافع بن إسحق مولى الشفاء أخبره قال « دخلت أنا وعبد الله بن أبى طلحة على أبى سعيد الخدرى نعوده فقال لنا أبوسعيد أخبرنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم أن الملائـكة لاتدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير شك إسحاق لايدرى أيتهما قال أبوسعيد » قال ابن عبد البر هذا أصح حديث فى هذا الباب وأحسنه إسناداً .

وروى مالك أيضا عن أبى النضر عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود أنه دخل على أبى طلحة الأنصارى يعوده قال فوجد عنده سهل بن حنيف فدعا أبو طلحة إنساناً فنزع نمطاً من تحته فقال له سهل بن حنيف لم تنزعه ؟ قال لأن فيه تصاوير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ماقد علمت ، فقال سهل ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان رقما فى ثوب ؟ قال بلى، ولـكنه أطيب لنفسى.

والذى يؤخذ من هذه الأحاديث أن الذى يحرم اقتناؤه فى البيوت هو ما كان من قبيل الصور المجسدة أعنى التماثيل ، وأما ما كان رقما فى ثوب أو كان من قبيل الصور الظلية فلا يحرم وإن كان التنزه عنه أولى كما فعل أبو طلحة. وأما لعب الأطفال فلا تدخل فى هذا النهي وقد روى أن عائشة رضى الله عنها كان لها أفراس تلعب بها وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يداعبها ويقول مافعلت أفراسك ؟ وذلك لأنه بنى بها صغيرة بنت تسع سنين فـكان عندها غريزة حب اللعب . حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدس لها الجوارى يلعبن معها .

ج ٢ — لابأس أن يستعين الإنسان بغيره فى الوضوء كله لافرق بين غسل الوجه وغسل القدمين وقد كان المغيرة بن شعبة يسكب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضوءه وكذلك أنس بن مالك وغيرهما ، ولم يرد فى كراهة ذلك حديث أصلا . وفى حديث كبشة بنت كعب بن مالك أنها سكبت لأبى قتادة وضوءه وكانت كبشة تحت ابن أبى قتادة .

وأما كراهة الناس الاستعانة بالغير فى صب الماء على القدمين فهو من قبيل الأدب ، لأن القدم عضو ممتهن فظنوا أن فى ذلك إهانة لمن يصب الماء عليهما . وأما شرعاً فلا شيء فيه إن شاء الله .

ج ٣ — كان أبو بكر رضى الله عنه يخشى أن يترك الناس فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اعتماداً على ظاهر هذه الآية الكريمة فروى لهم هذا الحديث الشريف الذى يهدد الأمة كلها بالعقاب إن هى تهاونت فى ردع الظالم والأخذ على أيدى السفهاء .

على أن الآية لاتدل على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإنما تفيد أنه بعد القيام بواجب هذه الفريضة من النصح والإرشاد وبيان الحق لايضرنا ضلال من ضل ولا نحمل من إثم ضلاله شيئاً .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : « مر بالمعروف وانه عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك » .

ج ٤ — الاشتراك السنوى للمجلة ٤٠ قرشا ترسل باسم مدير المجلة الأستاذ محمد رشدى خليل .

من شطحات الصـــــوفية

يقال شطح فى القول أو فى السير : تباعد واسترسل . وقد صدرت عن الصوفيـة تعبيرات لا يقولها مسلم ، فسماها الصوفية شطحات معتذرين عن أصحابها بأنهم قالوها فى حال سكر من لذة المشاهدة ! ! وسنرى أنها ليست شطحات ، وإنما هى معتقدات تبرز فى صورة كلامية واضحة جلية . غير أن الصوفية — خشية من ثورة الجماعـة الإسلامية عليهم — حاولوا أن يخدعوا المسلمين ، فأطلقوا عليها شطحات تراثيا منهم بأنهـا لا ترضيهم جميل الرضا .

والغزالى يعرف الشطح بقوله : « كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معرفة مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه محفوظاً »[1] وقد عرفت قيمة الوجد عند الغزالى ؛ فهو معراج الروح إلى الملأ الأعلى .

من شطحات البسطامى[2] أو معتقداته : وأبو يزيد البسطامى صوفى يقدسه كل صوفى ، وكانت به إثارات من مجوسية لم يستطع أن يكبتها . يقول عنـه الصوفية : «أشهر من أن يذكر ، وأعرف من أن يعرف ، وكان نادرة زمانه مالا وأنفاسا وورعا » . وهاك بعض ما قال :

أريدك لا أريـــــدك للثواب ولـكنى أريـــدك للعقـــاب
وكل مآربى قـــد نلت منهـا سوى ملذوذ وجدى بالعـــذاب

---

(١) ص ١٣ الإملاء للغزالى بهامش ص ١ الإحياء .

(٢) طيفور بن عيسى مات سنة ٢٦١ أو ٢٣٤

وقوله : « سبحانى ما أعظم شأنى[١] . ما الجنة إلا لعبة صبيان » ودق رجل بابه فقال : من تطلب . فقال الطارق : أبا يزيد ، فقال أبو يزيد : ليس فى البيت غير الله !! . وقوله: « قال لى الحق : أخرج إلى خلقى بصفتى ، فمن رآك رآنى » وفسر بن عربى قوله هـذا بقوله : « فمن ظهور صفات الربوبية عليه ، ألا ترى خلفاء الحق فى العباد لهم الأمر والنهى والحكم والتحكم ، وهذه صفة الإله[٢] » وقوله عن الله سبحانه « رفعنى مرة ، فأقامنى بين يديه ، وقال لى : يا أبا يزيد إن خلقى يحبون أن يروك . فقلت : زينى بوحدانيتك . وألبسنى أنانيتك[٣] ، وارفعنى إلى أحديتك ، حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا » وقوله : أول ماصرت إلى وحدانيته ، فصرت طيراً جسمه من الأحدية وجناحاه من الديمومية ، فلم أزل أطير فى هواء الكيفية عشر سنين حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف ألف مرة ، فلم أزل أطير إلى أن صرت فى ميدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرة الأحدية ، ثم وصف أرضها وأصلها وفرعها وثمارها، ثم قال : فنظرت أن هذا كله خدعة » .

وقد اجتاز بمقبرة اليهود ، فقال : مغرورون ، ومر بمقبرة المسلمين ، فقال : مغرورون!! وقوله : ضربت خيمتى بإزاء العرش[٤] .

---

(١) قال بن سالم : « فرعون لم يقل ماقال أبو يزيد ، لأن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، والرب يسمى به المخلوق فيقال فلان رب الدار . وقال أبو يزيد : سبحانى سبحانى

(٢) الكواكب الدرية جـ ١ للمناوى ص ٢٤٤.

(٣) فى بن الجوزى « ربانيتك » .

(٤) فى كتاب بن الجوزى : « هناك » وتمام الشطحة عن بن الجوزى : «ففعل بى ذلك ، وأقامنى ، وزينى ، ورفعنى ، ثم قال : أخرج إلى خلقى ، فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً . فلما كان من الخطوة الثانية غشى على فنادى : ردوا حبيبى ، فإنه لايصبر عنى ساعة » ص ٣٤٥ تلبيس إبليس .

وقال أبو تراب النخشبي لتلميذه « لو رأيت أبا يزيد ؟ فقال التلميذ : من يتجلى له الحق كل يوم مرات مايصنع بأبي يزيد . فلم يزل أبو تراب يشوقه حتى ارتحل التلميذ إلى أبي يزيد ، فقيل له إنه في الغيضة مع السباع ، وكان يأوى إليها ، فقعد على طريقه ، فعندما وقع بصر الفتى عليه خر ميتاً، فتعجب أبو تراب من ثبوته لتجلى الحق دون رؤية أبي يزيد ، فقال أبو يزيد : كان الحق يتجلى له كل يوم على حسب ماعنده ، فلما رآنى تجلى له الحق على قدرى ، فلم يطق ، فلا عجب . » أفيقول هذه مسلم ؟ وهل نعقل أن الخلق هو الذى يقوم ذات الخالق ومكانته ! لايقدر على هـذه الملحدة سوى صوفى !! . وقد روى هذه القصة الغزالى ، وقد تقدم ذكرها . والغزالى ممن يمجدون أبا يزيد حتى ليقول : « أبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقـامات ، وأقصى الدرجات » وقال أبو يزيد : « وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم ، فسأله رجل : ولم ذاك ياأبا يزيد ؟ فقال : إنى أعلم أن جهنم إذا رأتنى تخمد ، فأكون رحمة للخلق » وقال : « إذا كان يوم القيامة ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فأسأله أن يدخلنى النار ، فقيل له : لم ؟ قال : حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النـار مع أوليائه » وقال : « حججت أول حجة ، فرأيت البيت ، وحججت الثانية ، فرأيت صاحب البيت ، ولم أر البيت ، وحججت الثالثة ، فلم أر البيت ولا صاحب البيت » وسئل عن اللوح المحفوظ ، فقال : أنا اللوح المحفوظ » وقال تعقيباً على قوله سبحانه : « إن بطش ربك لشديد » : « وحياتى إن بطشى أشد من بطشه » وقيل له : إنك من السبعة . فقال : أنا كل السبعة » وقيل له : إن الخلق كلهم تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم . فقال : و لله إن لوائى أعظم من لواء محمد ، لوائى من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين » وقال : « ليس مثلى فى السماء يوجد ، ولا مثلى صفة فى الأرض يعرف . أنا هو ، وهو أنا ، وهو هو » وقال : أراد موسى أن يرى الله ، وأنا ما أردت أن أرى الله تعـالى . هو أراد أن يرانى » ولا تعجبوا أن يقولها أبو يزيد ، فهو صوفى !! ومع هذا تقول الصوفية : « تسلم له حاله ،

ولعله بها تكلم على حد غلبة وحال سكر[١] » .

شطحات الشبلي[٢] : هو أبو بكر دلف بن حجر الشبلي يقول عنه الصوفية : « كان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما : من شطحاته « إن محمداً يشفع فى أمته ، وأنا أشفع بعده فى النار حتى لايبقى فيها أحد » ومنها : « أمر إلى مالا وراء ، فلا أرى إلاوراء ، وأمر يميناً وشمالا إلى مالا وراء ، أفلا أرى إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله شعرة من خنصرى » سمع قارئا يقرأ هذه الآية . « إخسأوا فيها ولاتكلمون » فقال : ليتنى كنت واحداً منهم « وقال : إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفوها » وقال : « لوخطر ببالى أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعرة لكنت مشركا » وقال : « أيش أعمل بلظى وسقر » .

خرج من عنده بعض ضيوفه فقال لهم : « مروا أنا معكم حيث ماكنتم . أنتم فى رعايتى ، وكلاءتى » وقال : « لو التفت سرى إلى العرش والكرسى لاحترق » . وحكى بعض المشايخ « وقفت على الشبلي عشرين سنة ماسمعت منه كلمة فى التوحيد . كان كلامه كله فى الأحوال والمقامات[٣] » .

شطحات الدسوقى[٤] : كان يقول : « أنا موسى فى مناجاته ، أنا على فى حملاته أنا كل

(١) ص ٤٥٩ اللمع ط دار الكتب الحديثة ، ص ٦٦ جـ ١ الطبقات ، ص ٢٣ الكواكب الدرية ، ص ٢٢٧ جـ ٤ الإحياء ، ص ٣٤١ وما بعدها تلبيس إبليس ص ١٥٦ شرح الحكم لابن عجيبة وأرجو أن تلحظ أنها مصادر صوفية إلا التلبيس .

(٢) توفى سنة ٣٣٤ هـ .

(٣) ص ٤٧٨ اللمع ، ص ٣٤٨ تلبيس إبليس

(٤) يقول عنه الشعرانى : هو أحد من أظهره الله عز وجل إلى الوجود فأبرزه رحمة للحق ، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام ، وصرفه فى العالم ومكنه فى أحكام الولاية ، وقلب له الأعيان ، وخرق له العادات ، وأنطقه بالمغيبات ، وأظهر على يديه العجائب ، وصومه فى المهد » جـ ص ٣٤ الطبقات وأقرأ قول الله لخاتم أنبيائه وأشرف خلقه « ليس لك من الأمر شىء » ثم انظر كيف يزهق حقها القاهر باطل الشعرانى الفاجر

ولى فى الأرض خلقته بيدى ، ألبس منهم من شئت ، أنا فى السماء مشاهدت ربى ، وعلى الكرسى خاطبته . أنا بيدى أبواب النار غلقتها ، وبيدى جنة الفردوس فتحتها . من زارنى أسكنته جنة الفردوس ، واعلم ياولدى أن أولياء الله تعالى متصلون بالله ، وما كان ولى متصل بالله تعالى إلا وهو يناجى ربه كما كان موسى عليه السلام يناجى ربه ، وقد كنت أنا وأولياء الله تعالى أشياخا فى الأزل بين يدى قديم الأزل ، وبين يدى رسول الله ، وأن الله عزوجل خلقنى من نور رسول الله ، وأمرنى أن أخلع على جميع الأولياء بيدى ، فخلعت عليهم بيدى ، وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا إبراهيم أنت نقيب عليهم ، فكنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأخى عبد القادر خلفى وابن الرفاعى خلف عبد القادر ، ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لى : يا إبراهيم سر إلى مالك وقل له يغلق النيران ، وسر إلى رضوان ، وقل له يفتح الجنان ففعل مالك ما أمر به ، ورضوان ما أمر به » ثم يعقب الشعرانى بقوله . « وهذا الكلام من مقام الاستطالة تعطى الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق ، وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلانى » ويتبجح الشعرانى ، أو يتوقح فى تحديه ، فيقول عن هذا الشطط الوثنى « لاينبغى مخالفته إلا بنص صريح » وهو يعلم أن نصوص القرآن كلها تهدم هذا الباطل الأحمق ! ! ثم ينقل الشعرانى عن الدسوقى هذا الشعر :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم ... وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد ... على الدرة البيضاء فى خلوتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه ... بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا ... وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا ... وأعطيت داوداً حلاوة نغمة

---

(١) أما عبد القادر الجيلانى ،فيقول : قدمى هذه على رقبة كل ولى لله » ص٢٣١ الفتاوى الحديثية للهيتمى . فماذا تقول الصوفية ؟ ؟ .

أنـا كنت مع نوح بما شهد الورى   بحارا وطوفانا على كف قـدرة
أنا القطب شيخ الوقت فى كل حالة   أنـا العبـد إبرهيم شيخ الطريقـة

وهى زندقات الوحدة تبدو واضحة السمات ، فلقد قال من قبل :

فأنت منائى بل : أنـا أنت دائما   إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
وما شهدت عينى سوى عين ذاتهـا   وإن سـواها لا يلم بفـكرتى

الإلهية — فى دين الصوفية — وجهان أو مظهران . وجه الخالقية ووجه الخلقية أو مظهر الربوبية ، ومظهر العبودية ، فيقال عن الحقيقة الإلهيـة إنها ربٌّ باعتبار باطنهـا وإنها عبد باعتبار ظاهرها ، فباطنها ربوبية ، وظاهرها عبودية . ولهذا يزعم الدسوقى أنه رب ، وأنه عبد ! !

شطحة أخرى : يقول : « أشهدنى الله تعالى مافى العلى ، وأنا ابن ست سنين ، ونظرت فى اللوح المحفوظ ، وأنا ابن ثمان سنين ، وفـككت طلسم السماء ، وأنا ابن تسع سنين ورأيت فى السبع المثانى حرفا معجما حار فيه الجن والإنس . ففهمته ، وحمدت الله تعالى على معرفته ، وحركت ماسكن ، وسكنت ماتحرك بإذن الله تعالى ، وأنا ابن أربع عشرة سنة والحمد لله » ثم يقول الشعرانى : هذا ما لخصته من كتاب الجواهر له رضى الله عنه وهو مجلد ضخم[1] » فالشعرانى — إذن — ينقل عن الدسوقى نفسه ، ويسعده مانقل ، فهو شريك الدسوقى فى جنايته ! !

فهل يجوز لمسلم أن يعد صاحب هذا القول من بين المسلمين فضلا عن إقامة مولد كبير له كل عام ؟

بماذا يدافع الصوفية عن الدسوقى ؟

قولوها صريحة مرة : نحن فى جانب ، والقرآن فى جانب آخر ! ! وبيننا وبينه بعد المشارق والمغارب .

---

(١) ص ١٥٧ وما بعدها جـ ١ الطبقات

شطحة التسترى[١] : كان يقول : « أعرف تلامذتى من يوم : ألست بربكم ؟ وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمنى . ومن كان عن شمالى ، ولم أزل من ذلك اليوم أربى تلامذتى ، وهم فى الأصلاب لم يحجبوا عنى إلى وقتى هذا »[٢] .

وحسبنا هذا من شطحات الصوفية ، أو معتقداتهم .

ولا يجوز لمسلم أن يعتذر عن هذا الشطح بأنه صدر فى حال سكر ! ! فالسكران يهذى ، ويخرف ، ولا يقول كلاماً يرتبط أوله بآخره ، أو مبتدؤه بخبره ، أو فعله بفاعله ! ! . ولكنك تجد فى كل ما نقلنا كلاما وراءه إرادة وقصد وعزيمة ، ووراءه فكر يوجه ، ويختار جيداً الكلمات التى تعبر عن مضمونه ، ويوحى إليك بأنه يجب أن تفهم عنه هذا ! ! بل يأتى بعدة مؤكدات ، منها تكرار معانيه فى جمل مختلفة الصور ، ولكنها متفقة فى المعنى ، فهل يوصف فاعل هذا بأنه سكران ؟ . ثم أقول : ما الذى أسكره ؟ .

يقولون : رؤية الجمال الإلٰهى . فهل يصيب جمال الله بالذهول والسكر ؟ أو هو يوحى إلى المؤمن بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ويشعره تمام الشعور بعظمة الله وجلاله وكبريائه ، وبأنه عبد ذليل ـ وفى ذلته عزته ـ بين يدى الله .

إننا نرى آيات الله فى مظاهر الوجود كله ، وكل آية تدل على قدرة وحكمة وقيومية وجلال وجمال . فهل فى رؤية هذه الآيات ما يصيب من يراها بالسكر ؟ .

الحقيقة أن الصوفية لا يقولون بما أقول ، وإنما يزعمون أنه سكر حين رأى الله ،

---

(١) هو سهل بن عبد الله المتوفى سنة ٢٨٣ .

(٢) ص ١٥٨ جـ ١ الطبقات . وكان أبو حمزة الصوفى إذا سمع هبوب الرياح وخرير المياه ، وصياح الطيور ، ورغاء الشاه . يصيح قائلا : لبيك يريد أن ما يسمع هو صوت الله ، ولهذا نسب إلى الحلول ص ٤٩٨ اللمع .

ورأى أن كل شيء هو الله ، ففنت إنيّةُ العبد فى هوية الرب ، فتحدث المريد عن نفسه باعتبار أنه هو الله ! ! .

فهل يصدق هذا مسلم ؟ .

من يقول هذا البهتان الزنديق يصفونهم أقطاب القديسين ، وإذا أنكر عليهم رجل كابن تيمية نعتوه بأنه ضال مضل ، أرأيت كيف قلب الصوفية الموازين ؟ .

هذا ما مَنَّ به الله علىّ من نظرات فى غيابات التصوف وضلالاته ولكنه التصوف العملى . أما النظرى أو الإشراقى فأضرع إلى الله سبحان أن يمد فى الأجل حتى نكشف الكثير من جوانبه غير ما كشفت فى الكتب التى أصدرتها(١) ونحن لا نهاجم التراث البغيض الملعون الذى صرف الناس عن القرآن . وكان أخطر من قرب التصوف فى صورة سنة أبو حامد الغزّالى ، وقد لمح هذه الحقيقة المستشرق جولدزيهر ، فقال ما يحضرنى معناه الآن (كان التصوف قبل الغزالى سما أو بدعة غير معترف به من أهل السنة ، فلما جاء الغزالى صالح بين السنة والتصوف) لو قال صالح بين التصوف وقلوب المخدعين لكان أوفق ، فإن السنة لا تصالح تصوفا . فى عهد الثورة فى عهد القوة ، فى العهد الحرية والكرامة الإنسانية لا يجوز أن يكون تصوف لأنه خمول وضعف وذلة واستكانة وخنوع الألوف من الناس تحت إمرة إنسان قد لا يفقه من دينه شيئاً ، وقد يكون شارب خمر وشارب « حشيش » . وإننا لنضرع إلى الله أن يوفق إلى الخير الذى يحبه الله ويرضاه إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) صدرت ضدها بعض رسائل تافهة فى السودان والعراق ولم أجد فيها رداً علىّ فى الحقيقة إنما رأيتها اعترافاً بما دمغتهم به مثل « نسف الصوفيات » و « الجياد الصافنات فى الرد على صوفيات » ، وفى الطرق « نصير السنة يخالف السنة » وليس فى رسالة منها ما يستحق ردا منى ، فقارئها أيا كان سيعرف أنها لا تعرف شيئاً من الحق .

١٢ – دراسات إسلامية :

المعجزات في القرآن

تكلمنا فى حديثنا السابق من هذه الدراسات عن موسى — عليه السلام— وفرعون ثم أنهينا الحديث بالكلام عن تلقى موسى الأمر من ربه بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى الله.. وفى هذا الحديث نتابع الكلام عن موقف فرعون وملئه من موسى عليه السلام .

الدعوة فى رفق : إن صاحب النفس المغرورة . والقلب الغليظ . والمتعاظم بأبهة الملك وسلطانه المتفاخر بعظمة السطوة والتحكم والاستعداد . . هذا الذى يحمل بين جنبيه مثل هذه الخلال المذمومة . لاتنفع معه دعوة بعنف . أو خطاب بغلظة من شأنه أن يحمله على العناد.. ويزيده مكابرة وصلفاً .

ولقد كانت الوسائل الأولى لدعوات الرسل والأنبياء تقوم على أساس : القول اللين والعبارة المهذبة . والحلم فى الخطاب . والإقناع بالحجة .. فهى - إذن - وسائل تجذب ولا تنفر وتقرب ولا تبعد . (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) الآية ١٢٥ : النحل

ومَنْ أَوْلى من رب السموات والأرض والناس بأن يعلم رسله : الأدب . ورقة العبارة . وحسن المعاملة . وجمال الأسلوب . وهم الذين أرسلوا لأقوام تشبعت نفوسهم بعقائد باطلة وتحجرت قلوبهم من طول تمسكهم بتلك العقائد الباطلة :

كذلك أمر الله تعالى نبيه موسى حين أرسله إلى فرعون . أن يترفق به فى الدعوة . وأن يلين له الخطاب . ليسد أمامه منافذ التمحل والاعتذار . ولعله أن يلين من قسوته . وتخشع سطوته . وينزل من عليائه (إذهب أنت وأخوك بآياتى ولاتنيافى ذكرى . إذهبا

إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى) الآيتان ٤٣/٤٢ : طه (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين .قوم فرعون ألا يتقون) الآيتان ١١/١٠ الشعراء .

خوف .. واطمئنان : وخشى موسى وهارون أن يبادرهما فرعون بالعدوان وهما ضعيفان : ولأنه فى ذروة سطوته وجبروته . لكن الله تعالى طمأنهما . وآمن خوفهما وأن لا يخافا من فرعون . لأنه معهما يسمع كلامهما . وهو معهما بنصره وتأييده وحفظه : (قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال : لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى) الآيتان ٤٦/٤٥ : طه (قال : كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) الآية ١٥ : الشعراء .

واطمأن موسى وهارون إلى المعية الإلهية : والنصرة الربانية . فمضيا إلى فرعون ـ عزيز مصر ـ ليبلغاه دعوة الله الهادية الخيرة . وليخلصا بنى إسرائيل مما يرزحون تحته من ظلم وعذاب . وإلى القارىء ماقصه القرآن من خطاب موسى وهارون لفرعون : (وقال موسى : يافرعون إنى رسول من رب العالمين . حقيق على أن لاأقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل) الآيتان ١٠٥/١٠٤ الأعراف . (فأتياه فقولا : إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولاتعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على اتبع الهدى . إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) الآيتان ٤٨/٤٧ : طه (فأتيا فرعون فقولا : إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى إسرائيل) الآيتان ١٧/١٦ : الشعراء .

مكابرة فرعون واستهانته بالدعوة : وما كاد فرعون يسمع من موسى دعوته إلى الله حتى استهان بها . واستخف بمضمونها . وأنكر دعوته . وبادره بالتعبير : ألست أنت الذى ربيناه فى بيتنا وأنشأناه على فراشنا . وأحطناه برعايتنا . وأسبغنا عليه من نعمنا مدة من السنين . ثم تبلغ بك الجرأة أن تقابل إحساننا بتلك الفعلة التى فعلتها . حين قتلت

بنا رجلا[١] ثم جحدت نعمتنا عليك . وذهبت تدعونا إلى عبادة إله آخر (قال : ألم نر بك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) الآيتان ١٨/١٩ : الشعراء .

ورد موسى على فرعون : إننى فعلت فعلتى تلك وأنا جاهل . لم يوح إلى بعد . ولم أحمل عبء الرسالة . وإننى لما خفت منكم البطش والفتك . اضطررت إلى الفرار . ثم أصابتنى نعمة الله ورحمته . فوهب لى علماً وحكمة . وجعلنى من المرسلين .

وهاك مارد به موسى على فرعون عن تلك الفعلة كما يقصه الكتاب العزيز (قال : فعلتها إذاً وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حُكْماً وجعلنى من المرسلين) الآيتان ٢٠/٢١ : الشعراء .

فرعون يهدد موسى : ولما أعوزته الحجة . عمد إلى باب آخر ينفذ منه إلى موسى واهما أن ذلك سيجلب له النصر على عدوه . ويفحمه . ويخرسه ، فدار بينهما النقاش التالى كما يقصه علينا القرآن (قال فرعون : ومارب العالمين ؟ . قال : رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله : ألا تستمعون) أى ألا تعجبون من زعمه بوجود إله غيرى — (قال : ربكم ورب آبائكم الأولين . قال : إن رسولكم الذى أُرسل إليكم لمجنون . قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) الآيات ٢٣ ، ٢٨ : الشعراء[٢] .

ورأى فرعون أن موسى عليه السلام قد رجحت كفته . وقويت حجته . وأفحمه بيانه . وغلبه فى الخطاب . . وعندئذ ثار واضطربت نفسه . ولج فى غضبه . وحين عجزت حجته فلجأ إلى سلطانه . يريد أن يقهر بذلك موسى . ليرغمه على العدول عن دعوته (قال : لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) الآية ٢٩ : الشعراء .

---

(١) راجع قصة قتله لهذا الرجل بالآية ١٥ : ١ .

(٢) وراجع أيضا ماورد فى القرآن فى هذا الحوار بين موسى وفرعون ٤٩ ، ٥١ : طه .

لـكن موسى لم يبال بتهديد فرعون . بل اطمأن إلى دعوته . فانطلق لسانه يعلن له فى ثقة وأمل وقوة أنه سيأتى له بحجة دامغة . ومعجزة ناطقة . تزيل عنه ماعاق بذهنه من الريب والشكوك . (قال : أو لوجئتك بشىء مبين ؟) الآية ٣٠ : الشعراء . ورد عليه فرعون (قال : فأت بها إن كنت من الصادقين) الآية ٣١ : الشعراء .

السحر . . ومعجزة موسى : كان السحر فناً ذاع فى مصر أمره . واشتهر شأنه فيهم فخرج منهم سحرة حتى أنه لم يكن هناك من يبار بهم فى مجاله سابق . ولم يبلـغ من الفهم مثاهم فى مضماره لاحق .

وشاءت إرادة الله — الذى لايعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض — أن يعجز القوم من هذه الناحية التى نبغوا فيها .

فقد أجرى الله على يد نبيه موسى معجزة تحاكى هـذا النوع من الفن الذى برع فيه القوم .

ألقى موسى عصاه التى أودع الله فيها قوة خارقة . فما لبثت أن صارت — بأمر الله — ثعباناً مبيناً . . واهتز كيان الطاغية فرعون . كمن أُخذ على حين غِرة . وتملـكه مزيج من حيرة وكبرياء . . ثم طلب من موسى أن يأتيه بشىء غير هذا . ظاناً أن موسى سيعجز بعد ذلك عن مواصلة التحدى . فأدخل موسى — عليه السلام — يده فى جيبه . ثم نزعها . فإذا بشعاع متلألىء ينبعث منها . ويكاد سناه يخطف الأبصار ويذهل العقول (فألقى عصاه فإذا هى ثعبانٌ مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين)الآيتان ٣٢ ، ٣٣ : الشعراء :

مناجزة موسى بالسحرة : ورأى فرعون ذلك . فضاقت أمامه المسالك . وغشيته روح الخجل والاكتئاب . وبهره سلطان المعجزة . فأراد أن يواجه الحقيقة بصورة أخرى . وبنفسية غير التى صدمت فى أعماقها . فعمد إلى التمسح فى أذيال قومـه . ومداهنتهم . فأشركهم فى الأمر . وأخذ يقلب معهم وجهات النظر . فانتهى تفـكيره

إلى تنفيرهم من موسى . مستعملا الخديعة والتدليس والكذب . ملبساً الباطل ثوب الحق . وقال لهم ياقوم : إن موسى وهارون لساحران يريدان أن يكثرا من أتباعهما وأنصارهما فيغلبانكم على دولتكم . ويأخذان منكم بلادكم . لتكون لهما السيطرة والرياسة والملك . وينفردان بفن السحر . ويقضيان على طريقتكم[1] المثلى التى لكم فيها أرزاق وأموال . فأشيروا علىَّ بما ترون . . قال أنصاره : إحبسهما وابعث رجالك فى مدائن مملكتك . وأقاليم دولتك يجيئون لك منها بكل ساحر عليم . . ويقص القرآن ما قاله لأنصاره بقوله تعالى (قال للملأ حوله : إن هذا الساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون . قالوا : أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) الآيات ٣٤ ، ٣٧ : الشعراء .

وما كاد فرعون يسمع هذا الاقتراح حتى صادف هوى فى نفسه المتعلقة بخيوط واهنة المستمسكة بالأمل الكاذب . لعله يجد فيما اقترحه أنصاره خلاصاً مما يواجه . ونجاة مما يجابه . وبادر موسى بقوله (قال : أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى . فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) الايتان ٥٧ ، ٥٨ : طه .

وجَدَّ فرعون فى جمع السحرة من كل مكان . بينما الوساوس والأفكار السوداء تدور برأسه . وتتصارع خوفا من هزيمة لاحقة . وفرقا على دولته الزائلة . ولكن أنَّى له أن يطمئن قلبه من الهلع والاضطراب والجزع . إنه لايدرى أنه أمام إله قوى . خالق . قادر . معز مذل . بيده ملكوت كل شىء . . إنه أمام رب الأرباب . . صانع تلك القوة الخارقة التى أجراها على يد موسى . فهزت كيانه وعرشه وملكه .

موعدكم يوم الزينة : كان موسى عليه السلام . مسدد الخطى متأكداً من نصرة الله العلى الكبير له . . لذلك . قبل التحدى . وقلبه مفعم بالإيمان والطمأنينة .

---

(١) راجع مقالة الملأ لقومهم بالآية ٦١ ، : طه .

فضرب لفرعون موعد للناجزة وهو : يوم الزينة . ليشع الحق . وينبلج مع انبلاج نهار ذلك اليوم الأغر (قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) الآية ٥٩ : طه .

واجتهد فرعون فى جمع السحرة . وأتى بهم فى الزمان والمكان . يدفعه إلى ذلك الأمل الواهن لمساجلة موسى . والقضاء على دعوته . والإجهاز على عقيدته . لكن . . هيهات أن يحجب الشمس غبارٌ ثائرٌ دنس . وأن يطمس معالم الحق إفك الباطل وبهتانه وحقده .

فلما جاء السحرة قالوا لفرعون : أن لهم منه الأجر والقربى والحظوة إن هم تمكنوا من مغالبة غريمهم موسى . وأجابهم فرعون بمنيهم ويعدهم بأخص مايطلبونه . وأعز مايملك وهو : أن يجعلهم من المقربين عنده . ومن جلسائه . (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون : أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين . قال : نعم وإنكم إذاً لمن المقربين) الآيتان ٤١ ، ٤٢ : الشعراء . [للحديث بقية]

سعد صادق محمد

آيات الله فى الآفاق

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون) . البقرة .

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) فصلت .

الرد على أهل الكلام[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى رده على المتكلمين :

أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوى . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم ، هم فى الغالب فى قول مؤتفك ، يؤفك عنه من أفك . يعلم الذكى العاقل منهم أنه هو ليس فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست ببينة ، وإنما هى كما قيل :

حجج تهافتُ كالزجاج تخالها حقـا وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قال الشافعى ـ رضى الله عنه ـ حيث قال « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » .

ومن وجه آخر : إذا نظرت إليهم بعين القدر ، والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم ، رحمتهم ورفقت عليهم ، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء ، وأعطوا علوماً وما أعطوا فهوماً ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة : (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون).

ومن كان عليماً بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم ، حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى فى غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بُعْدًا .

فنسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . آمين .

---

(١) من العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

مصنع حلويات

علي مصطفى ترزاكي وأولاده

٥ ش الترجمان (ممر الشامي) أول ش القلعة بالعتبة ت ٩١٩٦٧٥

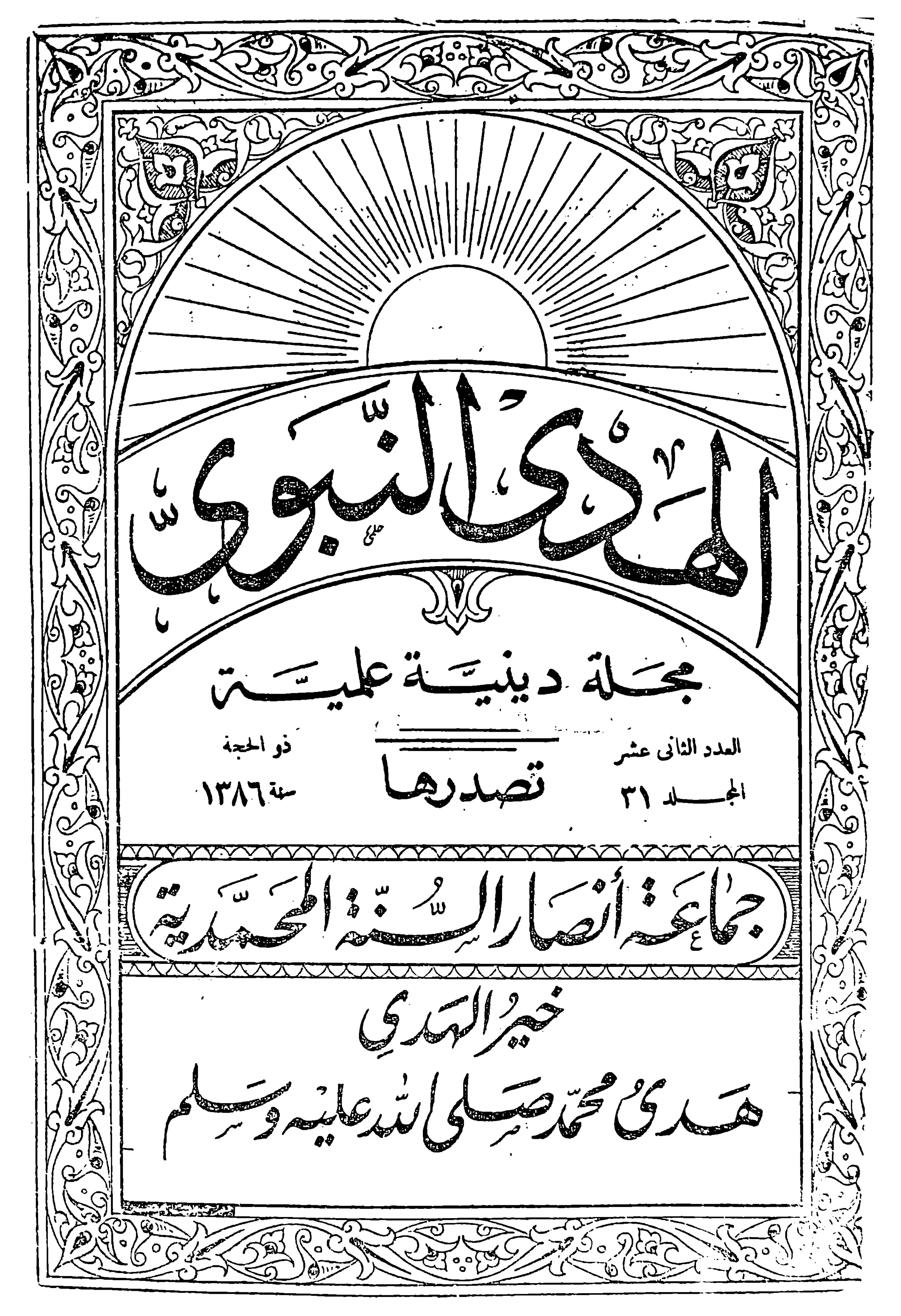


منتجاتنا مصنوعة بعناية تامة ومن أجود الخامات المصرية
من سكر . وجليكوز . وكاكاو . ونشا . وأسنس . وڤانيليا .
ومصنوعة بأيد مصرية صميمة صناعة ج . ع . م
والإدارة مستعدة لتلبية طلبات زبائنها الكرام تليفونيًا أو بريديًا
وتوصيل طلباتهم حتى محلاتهم

المدير المسئول
علي مصطفى ترزاكي



مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧
الثمن ٣٠



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثانى عشر
المجلد ٣١
تصدرها
ذو الحجة
سنة ١٣٨٦
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

لَاحَظَّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة عن عمله : صلاته ، فإن تُقُبِّلت منه صلاته تُقُبِّل منه سائر عمله وإن رُدت صلاته رد سائر عمله »

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان صونه
الاشتراك السنوى
٤٠ ــ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ــ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العــدد ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٨٦ المجــلد ٣١

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ــ جَلَّ ذِكرُه ــ ﴿ واذْكُرْ في الـكِتابِ إسماعِيلَ إنه كان صادِقَ الْوَعْدِ ، وكان رَسُولاً نَبِيًّا . وكان يأمُر أهْلَه بالصَّلاةِ والزكاةِ ، وكان عِنْدَ رَبِّه مَرْضِيًّا ﴾ مريم : ٥٤

« معانى المفردات »

« إسماعيل » اسم أصله غير عربى ، ولهذا يُمنع من التنوين . ويقول عنه الدكتور بوست فى قاموسه : « الذى يسمعه الله » وفى سفر التكوين أنه سمى بهذا لأن الله سمع لمذلة أمه هاجر .

« الوعد » يكون فى الخير وفى الشر ، أما الوعيد فيكون فى الشر فقط ولتتدبر معاً قوله سبحانه : (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) التوبة ٦٨ .

وقوله جل شأنه : (النار وعدها اللهُ الذين كفروا وبئس المصير) الحج : ٧٢ - الآيتان وغيرهما تؤكد المعنى الذى ذكرته . ثم لنتدبر معاً أيضاً قوله سبحانه (وعد اللهُ المؤمنين والمؤمنات جَنَّاتٍ تجرى من تحتها الأنهار) هذا وعد برحمة وخير - وذاك وعد بعذاب وعقاب ، وبهذا نوقن أن الوعد يستعمل فيما قلت .

« المعـــنى »

ذكَّرنا الله سبحانه فى الآيات التى فسرتها فى العدد السالف بأنه جل شأنه جازى إبراهيم خير ما يجزى به النبى الرسول الصِّدِّيق الأواه الحليم المنيب. لقد اعتزل إبراهيم أباه واعتزل قومه ، وأوى إلى الله سبحانه ، فآواه الله إلى رحمته ورضوانه وخلته ، ولنتدبر ما ذكره الله فى القرآن عن هذا : (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوبَ ، وكُلاًّ جعلنا نبياً ، ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عَلِيّا) ولم يذكر الله إسماعيل ، لأنه أراد - سبحانه - أن يخصه بالذكر وحده فهدانا بهذه الآية التى أفسرها فى هذا العدد إلى ما امتاز به إسماعيل - صلى الله عليه وسلم - إلى صفة كانت بمثابة العَلَمِ على إسماعيل ، صفة تتوهج نوراً وطيباً وسمواً فى خلق إسماعيل ، هى صدق الوعد[1] . ونحن نبحث فى القرآن عن وعد وعد به إسماعيل غيره ، وصدَق فيه، وفى غيره . هذا الصدق الجليل الذى وصفه به الله ، وأثنى عليه به . تدبر قول الله سبحانه عن إبراهيم (رَبِّ هَبْ لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السَّعْىَ قال : يا بُنَىَّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظُرْ ماذا ترى . قال : يا أَبَتِ افعل ما تُؤْمَرُ ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أَسْلَمَا ، وتَلَّه للجبين ، وناديناه

---

(١) نسبة هذه الصفات إليه وهى الصدق فى الوعد ، وأمره أهله بالصلاة والزكاة ، وأنه مرضى عند الله لا تنفى هذه الصفات عن غيره من الرسل ، ولكنها كانت صفات بارزة فيه ، والرسل جميعاً يشتركون فى أصول الصفات غير أن بعضهم يفضل بعضاً فى صفات تظهر دلائلها ولوازمها عليه أكثر مما تظهر على غيره .

أنْ يا إبراهيم قد صَدَّقتَ الرُّؤْيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البَلَاءُ المُبينُ وفديناه بذبح عظيم) الصافات ٢٠٠ ـ ٢٠٧ لقد وعد أباه أنه سيجده الصابر ، الكريم الصبر على البلاء المبين . وأى بلاء أعظم من أن تمتد يد الوالد الحبيب الطيب الودود على الكبر ليذبح ابناً حبيباً خَيِّرًا حليماً صالحاً ؟ ! وصدق إسماعيل وعده . فكان صبره ـ ولا شك ـ رحمة كان لها أثر بالغ فى نفسِ إبراهيم آست منه بعض لوعته وأساه

والذبيح ـ ولا شك ـ هو إسماعيل ، فإننا نجد هنا فى نفس هذه السورة قوله سبحانه (وبَشَّرْناه بإسحاق نبياً من الصالحين) بعد أن قص ما كان من رؤيا إبراهيم . أما أهل الكتاب ، فيزعمون أن الذبيح هو إسحاق[1] .

---

(١) فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين ورد هذا : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له : يا إبراهيم . فقال : هأَنَذَا ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المُرِيَّا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . فبكر إبراهيم صباحاً ، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه ، وشقق حطبا لمحرقة ، وقام وذهب إلى الموضع الذى قال له الله وفى اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد ، فقال إبرهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام ، فنذهب إلى هناك ونسجد ، ثم نرجع إليكما ، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ، ووضعه على إسحاق ابنه ، وأخذ بيده النار والسكين ، فذهبا كلاهما معاً ، وكلم إسحاق إبراهيم أباه وقال له يا أبى ، فقال : هأنذا يا ابنى ، فقال : هو ذا النار والحطب ، ولكن أين الخروف للمحرقة ، فقال إبراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى فذهبا كلاهما معا . ثم يذكر أن إبراهيم وضع ابنه على المحرقة وهم بذبح إسحاق ، فناداه ملاك الرب : لا تمد يدك إلى الغلام . وأتاه بكبش عظيم » هذا وفى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين نفسه نجده يقول : إن إسماعيل هو البكر ، فكيف يقال عن إسحاق إنه ابن إبراهيم الوحيد ونحن لو رفعنا اسم إسحاق ووضعنا إسماعيل لانسجم القول ووافق حتى ما فى كتبهم هم .

جاء على كبر : ولقد من الله سبحانه على إبراهيم بإسماعيل ، وإسحاق على الكبر . فالله سبحانه يذكر حمد إبراهيم فى القرآن فيقول : (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء) . وفى سفر التكوين أن إبراهيم كان ابن ست وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسماعيل . وفيه أيضاً أن الله وهب له إسحاق وهو ابن مائة سنة وكانت سارة فى التسعين ، فكيف يكون إسحاق هو الذبيح ؟ وكيف يمكن أن يقال عنه إنه ابن إبراهيم الوحيد ؟ الذى كان وحيده هو إسماعيل فهو بحسابهم المذكور فى سفر التكوين كان أكبر من إسحاق بأربعة عشر عاماً ، فكان يصدق عليه أنه وحيد أبيه طيلة هذه الأعوام .

إسماعيل عند اليهود والصليبيين : ينكرون جميعاً ذهابه إلى مكة ، ففى سفر التكوين (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمرح ، فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى إسحاق ، فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه ، فقال الله لإبراهيم لايقبح فى عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك فى كل ماتقول لك ساره اسمع لقولها ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك ، فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاها لهاجر واضعا إياها على كتفها والولد وصرفها ، فمضت وتاهت فى برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد ، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك ياهاجر ، لاتخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها ، فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر)

فى النص أشياء كثيرة جداً توجد فى الأحاديث التى تقص رحلة إبراهيم بهاجر وإسماعيل ولكن المحرف تعمد ذكر بئر سبع حتى ينفى ذهابه إلى مكة بينما ذكر أنه سكن برية فاران ، وفاران جبال بمكة وإن كانوا هم ينكرون ذلك . ثم ذكر أنه كان رامى قوس . وقد وصف بهذا فى بعض الأحاديث . ومنها ماهو فى البخارى .

كما تذكر نصوص هؤلاء أن عهد الله كان مع إسحاق ، لامع إسماعيل « فقال الله . بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق ، وأقيم عهدى معه عهداً أبديا لنسله من بعده » سفر التكوين الإصحاح السابع عشر ويقول ناعق اليهودية « بولس » وهو يؤرث الأحقاد ضد إسماعيل ونسله (كان لإبراهيم ابنان : واحد من الجارية ، والآخر من الحرة ؛ لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد ، وأما الذى من الحرة فبالموعد). ثم يقول : « اطرد الجارية وابنها لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد الحرة » الإصحاح الرابع من رسالة بولس إلى أهل غلاطية . وقد وصفوا إسماعيل بالوحشية ، فيذكرون فى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين عن هاجر « لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون إنسانا وحشيا » فلنتطهر بالقرآن الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولنؤمن عن يقين وسكينة أن ما يقصه هو الحق .

من ذكر إسماعيل فى القرآن :

تكرر ذكره اثنتى عشرة مرة فى القرآن . ومن الأعمال التى شارك فيها ، واستحقت ثناء الله عليه ما ذكره الله فى هذه الآيات : (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طَهِّرا بَيْتِيَ للطائفين والعاكفين والرُّكَّعِ السُّجُود) البقرة : ١٢٥ (وإذْ يَرْفع إبراهيمُ القواعِدَ من البيت وإسماعيلُ ربنا تقبل منا إنك أنت السميعُ العليم ، ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْنِ لك ، ومن ذُرِّيَّتنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا

إنك أنت التواب الرحيم . رَبَّنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويُزَكِّيهم . إنك أنت العزيزُ الحكيم) البقره ؛ ١٢٧ — ١٢٩ .

وقد وصفه الله سبحانه بصفات هي خير ما يتصف به العبد الصالح من صفات . ولتتدبر معاً قوله سبحانه (واذكر إسماعيلَ وَالْيَسَعَ وذا الْكِفْلِ ، وَكُلٌّ من الأخيار ص : ٤٨) (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كُلٌّ من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا ، إنهم من الصالحين) الأنبياء : ٨٥ . إقامة لقواعد البيت وتطهير له ، وضراعة إلى الله أن يمن عليه بالتوبة . إنه يشعر أن فضل الله عليه أعظم مما يقوم به بين يدي الله وفي سبيله ، ولهذا يضرع إليه بالتوبة مما يشعر به من تقصير لا تقصده منه إرادة ، ولا يتوجه إليه منه عزم . ثم هذا الدعاء الذي دعا به مع إبراهيم أن يرسل الله رسولا من قومه يكون كما وصفا ودعوا . ألا يدل هذا على حب كبير لقومه وصدق شعور ، وهكذا المسلم يفيض قلبه بحب الخير للناس .

ولو لم يكن لإسماعيل سوى موقفه من رؤيا أبيه لكفاه برهاناً على أنه إنسان تشرق إنسانيته بأسمى وأنبل المثل العليا ، بل على أنه إنسان يتسامى بذكره الخلق الإنساني الأسمى ، فما باله ، والقرآن يصفه بكل هذه الصفات ، وينسب إليه نسبة الصدق والحق هذه الأعمال الجيدة الرائعة .

وتدبر وصف الله سبحانه له بأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، ونفهم من هذا أنه كان يقيمها ، ويأمر بالزكاة ، ونوقن أنه كان يتقرب بهما ، ولهذا جزاه الله برضاه ، فقال جل شأنه : (وكان عند ربه مرضيا) وحسب إسماعيل هذا سعادة وكرامة وتكريما من به عليه رب العالمين .

إسماعيل في الأحاديث : ولإتمام الفائدة رأيت التذكير ببعض ما ذكرت الأحاديث عن إسماعيل عليه السلام ؛ لنقارن بين ما فيها ، وبين ما جاء في أسفار أهل الكتاب ، لنميز بين الطيب والخبيث .

خدثنا عبدُ الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر عن أيوب السَّخْتِيَانِيِّ ، وكثيرُ بن كثيرِ بن المطلب بن أبى وَدَاعةَ يزيد أحدُهما على الآخر عن سعيد بن جُبَيْر قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء الْمِنْطَقَ[(١)] من قِبَلِ أم إسماعيل : اتخذت لِتُعَفِّيَ[(٢)] أثرَها على سارَةَ ، ثم جاء بها إبراهيمُ وبابنها إسماعيل ، وهى تُرْضِعه حتى وضعهما عند البيت عند دَوْحة[(٣)] فوق الزمزمِ[(٤)] فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جِراباً فيه تمر ، وسِقاء[(٥)] فيه ماء ، ثم قَفَّى إبراهيم مُنْطلقاً[(٦)] ، فتبعته أم إسماعيل[(٧)] ، فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء ؟ ! ، فقالت له ذلك

---

(١) ما يشد به الوسط ، وفى رواية : النُّطُق بضم النون والطاء جمع منطق . وكان السبب فى ذلك أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم ، فحملت منه بإسماعيل . فلما ولدته غارت منها ، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء ، فاتخذت هاجر منطقاً ، فشدت به وسطها ، وهربت ، وجرت ذيلها ، لتخفى أثرها على سارة ويقال إن إبراهيم شفع فيها ، وقال لسارة: حللى يمينك بأن تثقبى أذنيها وتخفضيها ، وكانت أول من فعل ذلك ، ويقال إن سارة اشتدت بها الغيرة ، فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة لذلك . ص ٣٠٧ ج ٦ فتح البارى . وأقول : يجب أن نؤمن أن إبراهيم لم يذهب إلى مكة إلا بأمر الله مصداقا لقوله سبحانه « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » .

(٢) لتزيل أثرها على الأرض .

(٣) الشجرة الكبيرة .

(٤) فى رواية زمزم ، وهو المعروف .

(٥) قربة عتيقة ، وفى رواية : شنة بفتح الشين وتشديد النون وهى القربة العتيقة .

(٦) أى ولى راجعاً إلى الشام .

(٧) فى رواية فأدركته بكَدَاء بفتح الكاف الموضع الذى دخل منه النبى مكة.

مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آللهُ الذى أمرك بهذا[١] ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يُضَيِّعُنَا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ، حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه ، فقال : (رَبَّنَا إنى أسكنت من ذُرِّيَّتِي بوادٍ غير ذى زَرْعٍ عند بيتك المحرَّم ، رَبَّنَا ليقيموا الصلاة ، فاجْعَلْ أَفْئِدَةً من الناسِ تَهْوِي إليهم وَارْزُقْهُمْ من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أُم إسماعيل تُرْضِعُ إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نَفِدَ ما فى السِّقاء[٢] عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُها ، وجعلت تنظر إليه يَتَلَوَّى — أو قال : يَتَلَبَّط[٣] ، فانطلقت كراهيةَ أن تَنْظُرَ إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر : هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادِي رفعت طَرَفَ درعها ، ثم سعت سَعْيَ الإنسانِ المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المَرْوَة ، فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مراتٍ[٤] — قال ابن

---

(١) فى رواية أنها قالت له ثلاث مرات وأنه أجابها فى الثالثة . وقولها هذا وجوابه يؤكد ما ذكرته من قبل ، وهو أن إبراهيم ما فعل هـذا إلا بأمر الله لا إرضاء لسارة فى غيرتها .

(٢) زاد الفاكهى من حديث أبى جهم : فانقطع لبنها ، وفى رواية ، كان إسماعيل حينئذ ابن سنتين .

(٣) يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض ، ويقرب منها ، وفى رواية ابن السائب ، فلما ظمىء إسماعيل جعل يضرب الأرض بعقبه ، وفى رواية إبراهيم بن نافع : كأنه يَنْشَغ بفتح وسكون وفتح أى يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذى ينازع .

(٤) فى حديث أبى جهم ، وكان ذلك : أول ما سعى بين الصفا والمروة ، وفى رواية إبراهيم بن نافع : أنها كانت فى كل مرة تتفقد إسماعيل وتنظر ما حدث له بعدها =

عباس : قال النبي : صلى الله عليه وسلم : فذلك سعى الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه — تريد نفسها — ثم تسمّعت ، فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت ، إن كان عندك غَوَاثٌ[١] ، فإذا هى بالملك[٢] عند موضعِ زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال : بجناحِه[٣] ، حتى إذا ظهر الماء ، فجعلت تُحَوِّطُهُ ، وتقول بيدها : هَـكَذَا[٤] ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أم إسماعيل : لو تركَتْ — أو قال — لو لم تغرف من زمزم ، لـكانت زمزمُ عَيْناً مَعِيناً[٥] » قال : فشرب ، وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضَّيْعَة ،

=وفى رواية فلم تقَرها نفسُها ، « بفتح التاء وكسر القاف ورفع كلة نفسها » أى لم تتركها نفسها مستقرة ، فتشاهده فى حال الموت ، فرجعت وهذا فى المرة الأخيرة .

(١) ليس فيما يدل على الأصوات ما هو بفتح أوله غيره ، وحكى ابن الأثير فى مفرداته ضم الغين ، وحكى ابن قرقول كسر أوله أيضـاً ، وجواب شرط إن محذوف تقديره : فأَغِث أو أغثنى .

(٢) فى حديث على عند الطبرى بإسناد حسن : فناداها جبريل ، فقال : من أنتِ ، قال : أنا هاجر أم ولد إبراهيم ، قال : فإلى من وكلـكما ؟ قالت : إلى الله تعـالى . قال : وكلـكما إلى كافٍ .

(٣) أو : شك من الراوى ، وفى رواية إبراهيم بن نافع : فقال بعقبه هكذا — وغمز عقبه على الأرض ، وفى رواية ابن جريج : فركض جبريل برجله ، وفى حديث على : ففحص الأرض بأصبعه ، فنبعت زمزم ، وقال ابن إسحاق : فزعم العلماء أنهم لم يزالوا يسمعون أنها همزة جبريل .

(٤) هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل ، وفى حديث على : فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه فإنها رواء .

(٥) ظاهراً جارياً على وجه الأرض .

فإن هـذا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهلَه ، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيولُ ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مَرَّت بهم جُرْهُم[1] . أو أهلُ بيتٍ من جرهم مقبلين من طريق كَدَاء ، فنزلوا فى أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً[2] ، فقالوا : إن هذا الطائر لَيَدُورُ على ماء . لَعَهْدُنا بهذا الوادى ، وما فيه ماء . فأرسلوا جَرِيًّا[3] أو جَرِيَّيْن ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا ، فأخبرهم بالماء ، فأقبلوا ـ قال ـ وأم إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذَنِين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : ولكن لا حق لكم فى الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فألفى ذلك أمَّ إسماعيل ، وهى تحب الأُنسَ ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم ، وشب الغلامُ وتعلم العربية منهم أَنْفَسَهُمْ ، وأعجبهم[4] حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أمُّ إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك ، فاقرِئى عليه السلام ، وقولى له : يغيِّر عَتَبة بابه ، فلما جاء إسماعيل ، كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ ! قالت نعم ، جاءنا شيخٌ كذا وكذا ، فسألَنا عنك ،

---

(١) كان جرهم وأخوه قطوراً أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن ، وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة وفى نسبهم خلاف .

(٢) حائماً حول الماء .

(٣) رسولا ويطلق على الوكيل والأجير .

(٤) فى مستدرك الحاكم أن أول من نطق بالعربية إسماعيل ، وروى ابن بكار : أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ، وبهذا القيد يجمع بين الخبرين ، فتكون أولية فى ذلك بحسب الزيادة فى البيان لا الأولية المطلقة ، فتكون بعد تعلمه أصل العربية ، ومعنى أنفسهم : أى كثرت رغبتهم فيه لنفاسته .

فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنّا في جَهْدٍ ، وشدة ، قال : فهل أوصاكِ بشيء ، قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غَيِّر عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك ، فطلقها وتزوج امرأة منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيمُ ما شاء اللهُ ، ثم أتاهم بعدُ ، فلم يجده ، فدخل على امرأته ، فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسَعَة ، وأثنت على الله — عز وجل — فقال : ما طعامُكم ؟ قالت : اللحمُ ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك في اللحم والماء ، قال النبي : ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يَخْلُوَا[1] عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك ، فاقرئي عليه السلام ، ومُرِيه يُثَبِّتْ عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حَسَنُ الهيئة وأثنت عليه ، فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا ، فأخبرته أنّا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تُثبِتَ عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبري نَبْلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، قال : يا إسماعيل : إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ، فوضعه ، فقام عليه ، وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : « ربنا

(١) خلوت بالشيء ، واختليت إذا لم أخلط به غيره ، ويقال : أخلى الرجل اللبن إذا لم يشرب غيره ، وفي حديث أبي جهم : ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه .

تَقَبَّل منا إنك أنت السميع العليم » وانتهت هذه الرواية التى نقلناها عن البخارى وشرحتها بكثير مما شرحها به الحافظ ابن حجر فى فتح البارى .

إسماعيل والرماية : فى البخارى حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم عن يزيد ابن أبى عُبَيد عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يَنْتَضِلونَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع ابن فلان ، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : يا رسول الله نرمى وأنت معهم ؟! قال : ارموا وأنا معكم كلكم » .

ولعلنا قد وعينا فى قلوبنا وعقولنا قصة إسماعيل لعلنا نتخذ منها لأنفسنا عبرة نهتدى بها إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين .

عبد الرحمن الوكيل

الأيام العشر

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أيام العمل فيهن أحب إلى الله عزوجل منه فى هذه الأيام العشر يعنى عشر ذى الحجة فقال رجل ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشىء » :

شرح الحديث

روى هذا الحديث كذلك عن جابر رضى الله عنه بألفاظ تختلف قليلا عما هنا رواه عنه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان ولفظه عند ابن حبان « مامن أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة فقال رجل هن أفضل أم عدتهن جهاداً فى سبيل الله ؟ قال هن أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله » وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على فضل الأيام العشر الأولى من ذى الحجة وأن العمل فيهن أفضل عند الله وأكثر ثوابا وأعظم مضاعفة من مثله إذا عمل فى غيرهن كما أن الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه وفى مسجد المدينة بألف وفى بيت المقدس بخمسمائة والله يضاعف لمن يشاء ولم يستثن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعمال شيئاً إلا الصوم فإنه فى رمضان أفضل منه فى هذه الأيام قطعاً لأنه صوم فريضة وصوم هذه الأيام نافلة ولا يعقل أن تعدل النافلة الفريضة ولما سمع الصحابة رضى الله عنهم ذلك عجبوا أشد العجب وكانوا يرون الجهاد أفضل الأعمال فإنه ذروة سنام الإسلام فسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك العموم الذى فى الحديث هل هو بالنسبة للجهاد أيضاً فقال : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ يعنى ولو كان العمل الذى يعمل فى غير هذه الأيام جهاداً فى سبيل الله يكون العمل فيها أفضل منه أيضاً ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : نعم ولا الجهاد فى سبيل الله ثم استثنى من ذلك حالة واحدة يكون الجهاد فيها أفضل أو مساويا وهى حالة نادرة وهى أن يخرج الرجل

مجاهداً بنفسه وماله فلا يرجع من ذلك كله بشيء بأن يقتل ويؤخذ ماله فمثل هذا الذى ضحى بكل مايملك من نفس ومال وصدق ماعاهد الله عليـه وبذل فى ذاته أعز مالديه لايعقل أن يكون هناك عمل أفضل من عمله وهو ممن صدق عليهم قول الله عزوجل « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

والحاصل أن هذه الأيام العشر هى عند الله عزوجل — بالمكان الذى لايعدل به فهى أفضل أيام الدنيا كما ورد بذلك الحديث وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الليـالى العشر التى أقسم الله بها فى أول سورة الفجر هى ليالى عشر ذى الحجة .

ولا غرو أن تـكون هذه الأيام بتلك المنزلة من الفضل والشرف وأن تـكون الأعمال فيها أحب إلى الله من غيرها فإن فيها تقع معظم أعمال الحج حيث يذهب الناس إلى منى يوم الثامن من ذى الحجة وهو يوم التروية فيصلون بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيتون بها ليلة التاسع ثم يذهبون إلى عرفات فيقفون بها فى ذلك المجمع العظيم الذى لايتهيأ لهم مثله فى يوم آخر ولا فى مكان غير عرفة يعجون بالتلبية ويدعون الله عزوجل على اختلاف لهجاتهم ولهذا يدنو الرب منهم ويباهى بهم ملائكته . وما رؤى الشيطان أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وهو يرى تلك الوفود الحاشدة التى جاءت من كل فج عميق قد وقفوا فى صعيد واحد متجردين من كل زينة شعثاً غبراً قد محضوا الله العبودية وجأروا إليه بألسنة الفقر والإضطرار واستشعروا بين يديه الذلة والانـكسار وقد امحت بينهم الفوارق واختفت الألقاب والمظاهر فلا فرق بين سيد ومسود ولا بين حاكم ومحكوم ولا بين أمير وسوقه بل كلهم فى حكم العبودية سواء ثم يفيضون من عرفات بعد الغروب إلى المزدلفة فيصلون بها المغرب والعشاء ويبيتون بها ليلة النحر فإذا صلوا الفجر وقفوا بالمشعر الحرام يدعون ويتضرعون فإذا أسفر الصبح ذهبوا إلى منى لرمى الجمرة الـكبرى ثم يرجعون إلى رحالهم فينحرون هداياهم ويحلقون أو

يقصرون ثم يذهبون إلى مكة ليطوفوا بالبيت طواف الركن وهو مايسمى بطواف الإفاضة أو الزيارة .

فهذه الأعمال كلها وهى الحج كله تقريباً تقع فى هذه الأيام العشر بل فى الأيام الثلاثة الأخيرة منها فهى أعياد متصلة كما قال صلى الله عليه وسلم « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب وقد اختلف الناس أيهما أفضل يوم عرفة أم يوم النحر فذهب البعض إلى تفضيل يوم عرفة استناداً إلى أحاديث وردت فى فضله كقوله عليه السلام « صوم يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده » وكقوله فيما رواه مسلم وغيره عن عائشة رضى الله عنها « مامن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنوا عزوجل منهم يباهى بهم ملائكته فيقول ما أراد هؤلاء . وكقوله عليه السلام فيما رواه أبو الدرداء رضى الله عنه « ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة إلا ما أرى يوم بدر ، قيل وما رأى يوم بدر يارسول الله ؟ قال أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة » .

وذهب كثير من المحققين إلى أن يوم النحر أفضل من يوم عرفة ومن سائر أيام السنة كلها وذلك لكثرة مايقع فيه من أعمال العبادة بالنسبة للحجاج وغيرهم وما يراق فيه من دماء الهدايا والأضاحى على اسم الله عزوجل .

وقد رجح ابن القيم رحمه الله هذا الرأى الثانى فى كتابه الزاد ونصره وطول فى الاحتجاج عليه وهو الرأى الذى نختاره ونطمئن إليه إن شاء الله .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الحديث العظيم يحثنا أعظم الحث على أن نستقبل هذه الأيام العشر بما ينبغى من نشاط وهمة وأن نجرد لها العزائم الصادقة وأن ننتهز فرصتها حتى لاتضيع منا هباء فنملأها من أعمال البر التى يحبها الله عز وجل من صلاة وصيام

وصدقة وأن نـكثر فيها من تهليل الله وتـكبيره ومن قراءة القرآن والدعاء وصلة الرحم وعون المحتاج وبذل النصح وغير ذلك من أنواع القربات كما ينبغى على إخواننا من أولى السعة أن يحرصوا على شراء أضحياتهم وأن يحسنوا اختيارها فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال « من وجد سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا » وفى حديث آخر ولو انه ضعيف « ماعبد الله يوم النحر بشىء أحب إليه من إهراق دم وأن دم الأضحية يقع عند الله بمكان قبل أن يقع على الأرض » ومن كان عنده شىء يريد أن يضحى به ودخل العشر من ذى الحجة فلا يحل له أن يأخذ من شعره ولا من بشره شيئاً نسأل الله جلت قدرته أن يجعل هذه الأيام المباركة أيام خير ويمن وأن يعيد للاسلام عزه ومجده إنه ولى كريم .

محمد خليل هراس

تنبيهان هامان

(١) الفتاوى التى نشرت بعددى رمضان وذى القعدة سنة ١٣٨٦ هى لفضيلة الأستاذ محمد خليل هراس وليست للاستاذ سليمان رشاد محمد كما جاء بفهرس العددين المذكورين خطأ .

(٢) نـكرر ماسبق أن طلبناه من جميع فروع الجماعة للافادة عما إذا كان قد تم إعادة شهرها مع إيضاح رقم وتاريخ الشهر . وذلك لامكان عقد الجمعية العمومية للمركز العام ودعوتهم لحضورها .

كتاب الحرب النفسية

للسيد صلاح نصر مدير عام المخابرات

ألوان زائفة من المعتقدات

فى الصفحة ٣٨٧ من الجزء الثانى من كتاب الحرب النفسية ، وتحت هذا العنوان سرد الباحث الكبير مؤلف الكتاب كثيراً من العادات والبدع والخرافات التى دسها أعداء العرب والإسلام عمداً لإضعاف الهمم ، وقتل روح النهضة ونشر الوهن والضعف فى الأمم .

وركز المؤلف فى هذا الباب بحثه فى ما ألصق بالعقائد والتقاليد الدينية من بدع ليست من الإسلام فى قليل ولا كثير واستنهض الهمم لمحاربة تلك الألوان الزائفة من الأعمال والعقائد وتحرير الناس من آثارها الهدامة .

قال سيادته : (ومما يدعو إلى الأسف أنه رغم ما وصلنا إليه من رقى وتقدم فكرى علمى لا يزال بعضنا أسير كثير من المعتقدات والتقاليد والعادات البالية ، وثمة من لا يعرف خطورة ما أدخله علينا المستعمر من عادات لشغلنا عن قضايا التحرر .

هذا بالإضافة إلى خرافات ابتدعها قوم أفاقون عملوا على تقويض دعائم الإيمان وبلبلة أفكار الناس لتحقيق سيطرة سياسية أو ابتزاز أموال السذج . . .) وقال سيادته

(فالشعوذة وقراءة الطالع والزار ، والتوسل إلى الأولياء ، والموالد ، وحلقات الذكر والإدمان على المخدرات ليست فى الواقع إلا بعض الصور التى لا تزال نقطة سوداء تلطخ جبين ثقافتنا) .

واختار المؤلف الدقيق البحث ثلاثة نماذج من العقائد والعادات التى أشار إليها واستنكرها ، وهى الاعتقاد فى الولاية والزار ، وإدمان المخدرات . . وتكلم عن كل نموذج باسهاب وشرح كاف .

ومما قال سيادة المؤلف :

(وقد جاء الاعتقاد فى الأولياء نتيجة لاعتقاد بعضهم أن هناك طبقة من الأفراد تتميز عن باقى البشر لأنهم وهبوا أنفسهم لله ، ولهم إيمان غير عادى به يمنحون القدرة على القيام بما هو من مرتبة المعجزات . . . وأن أكبرهم درجة هو القطب . . . ويزعم بعضهم أن الأقطاب أربعة ، هم مؤسسوا طرق الرفاعية ، والقادرية ، والأحمدية ، والبرهامية ، ويعتقد كثير من البسطاء والسذج أن هؤلاء الأولياء وسطاء بينهم وبين الله) .

وتوسع سيادته فى بيان أحوال أتباع هذه الطرق وما يحدثونه فى حلقات تهريجهم التى يسمونها ذكراً ، وما هى من الذكر فى شىء ، إنما هى من نوع المكاء والتصدية .

واحتج المؤلف البارع بفقرة من كتاب « هذه هى الصوفية » لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، إلى أن انتهى فى صفحة ٤٠١ بقوله :

والواقع أن ذكر الصوفية بدعة يهودية ، فقد جاء فى المزمور ١٤٩ « ليبتهج بنو صهيون بملكهم ، يسبحوا اسمه برقص ، بدف ، وعود ، ليرنموا . . . هللوا سبحوا الله فى قدسه ، سبحوه برباب وعود ، سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج الهتاف » .

وقد أهاب المؤلف الفاضل بالعلماء والاتحاد الاشتراكى والهيئات العلمية للعمل على إرشاد الناس وإفهامهم مخالفة هذه البدع للدين وبعدها عن روح الإسلام .

(الهدى)

مسيح تاريخي ومسيح عقيدي

للدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الإسكندرية

تحت عنوان « مؤامرة الصلب » نشرت مجلة « نيوزويك » في باب « الدين » من عددها الصادر في الثامن من أغسطس سنة ١٩٦٦ (المجلد ٦٨ العدد ٦) نبذة تاريخية صغيرة في حجمها ، كبيرة في معناها ، وفيها من المعلومات الدقيقة مايدعونا إلى تعريبها حتى تعم الفائدة ، وحتى يذكر أولوا الألباب .

التعريب

في المسيحية مسائل يتعذب من يفكر فيها لأن الحقيقة فيها تظل دائماً بعيدة المنال . ومن بعد الأناجيل فإن أهم مسألة تتصف بهذا الوصف هي الغموض الذي يخيم على موت أهم شخصية في المسيحية بل الشخصية المركزية التي تدور حولها كل عقائد المسيحيين ومناسكهم . نعم ، إن أحداً لم يرتب قط في « مسيح العقيدة » . ولكن الحال يختلف كثيراً فيما يتعلق « بمسيح التاريخ » وقد ظهرت في السنوات الأخيرة عدة محاولات من قبل العلماء والمؤرخين لتحديد طريقة موت يسوع بدقة ، والظروف التي أحاطت به . وكانت كل فكرة جديدة تنتج جدالا عنيفاً تزداد حدته حتى تغطي على قيمة الفكرة نفسها .

وعلى سبيل المثال نذكر أن رجال الطب يختلفون اختلافاً تاماً بالنسبة للطريقة التي مات بها يسوع على الصليب . فالجراح الكندي جيمس ليل كامرون أبدى اعتقاده

عام ١٩٤٧ بأن يسوع مات من صدمة . وقد نشر الطبيب الفرنسي جاك بريهان فى العام الماضى سلسلة من المقالات فى مجلة « لابريس ميديكال » وجزم فيها بأن الموت لايمكن أن يكون قد حدث إلا بالاختناق . ففى رأيه أن المصلوب كان يجاهد للتنفس وهو يحمل وزن جسمة على يديه تارة وعلى قدميه تارة أخرى . فإذا ماتهالك الجسم فى النهاية من الإجهاد فإنه يصبح عسيراً أن يطرد الجسم ثانى أوكسيد الكربون من الرئتين فيموت المصلوب . وقد أعادت جريدة « لوموند » الذائعة الصيت نشر مقالات بريهان . فتصدت لها « جمعية أرنست رينان » المسماة على اسم البحاثة أرنست رينان الذى اشتهر فى القرن التاسع عشر بأبحاثه فى « الكتاب المقدس » . ومهمة هذه الجمعية البحث التاريخى فى المسيحية . وكان رأى الجمعية أن يسوع كان قد شنق أو خنق قبل صلبه . وكانت هذه هى عادة القوم فى ذلك الوقت . واستطردت المجلة تحت عنوان «تخليط» تقول : وكثيراً مايقع الباحثون فى « الكتاب المقدس » فى جدل مخاط مماثل لما سبق بيانه عند خوضهم فى تفسير « الكتاب المقدس » . وبعض الباحثين يرون أن بعض الاكتشافات السلبية قد تؤدي إلى تفسيرات خاطئة وسيئة . ومثال ذلك المخطوط الناصرى المكتشف حديثاً في استامبول والذى يدرس الآن فى الجامعة العبرية فى القدس .

ويقول هذا المخطوط أن يهوذا الأسخريوطى رفض فى بادىء الأمر أن يدل على يسوع . إلا أنه بعد ذلك قال لليهود أنه سيقبل رأس يسوع في ميدان السوق . وقد دل يهوذا بعد ذلك على رجل أنكر أنه يسوع لما مثل أمام هيرود بونشيوس ببلات . وقد قبض اليهود على هذا الرجل وصلبوه مع أن الرجل كان لايزال ينكر أنه يسوع . ولقد أقبل يهوذا جزعاً مرة أخرى وسأل ماذا حدث للرجل ؟ ولما رآه على الصليب تعالت صيحاته قائلاً « هذا الرجل برىء » . ثم انتحر يهوذا .

لأن هذا المخطوط يشير إلى رجل غير يسوع ، فإن جريدة « تايمز » اللندنية وجرائد عديدة أخرى وصفت هذا المخطوط بأنه يؤيد النظريه القائلة بأن الذى صلب رجل آخر غير يسوع . إلا أن الأستاذ دافيد فلوس الذي يدرس المخطوط يقول بكل وضوح وصراحة أن هـذا التأويل خاطىء وغير مبنى على أساس من البراهين . وأن استعمال كلمة « الرجل » بدلا من يسوع إن هو إلا محاولة من قبل مؤلف المخطوط لتأييد العقيدة الإسلامية المأثورة بأن المسيح لم يصلب البتة .

وأخيراً ظهرت نظرية جديدة لابد أنها ستكون موضع نقاش وجدال كبيرين. هذه هى نظرية هيوج . شونفيلد الكاتب البريطانى الذى يبلغ من العمر خمساً وستين سنة أفنى أربعين منهـا فى دراسة « الكتاب المقدس » وقد ألف سبع كتب تشمل ترجمة للعهد الجديد وكتاباً أخيراً اسمه « مؤامرة عيد الفصح » ، وقد نشر هذا الكتاب أولا فى بريطانيـا وانتشر انتشاراً كبيراً . وستوزعه فى الشهر القادم فى الولايات المتحدة شركة برنارد جايس . وهو مؤلف من مائتين وثمان وثمانين صفحة وثمنه أربعة دولارات وخمسة وتسعون سنتاً ..

ولقـد ارتكن شونفيلد فى نظريته على نصوص الإنجيل . ويرى أن قصة الصلب وآلامه إن هى إلا مؤامرة دبر فيها يسوع بنفسه عملية صلبه . وذلك ليحقق النبوءة القائلة بتقدم مسيح والمفصلة فى الكتب القديمة.

ويقول شونفيلد أن هيرود بيلاطى . بل أن السنهدريم (مجلس الأمة اليهودية قديماً) الذىأصدر الحكم على يسوع . كل هؤلاء كانوا يؤدون ماعملوه من غير أن يتحققوا من أنهم كانوا آلات مسيرة . لقد كان من الضرورى تنظيم مؤامرة يكون الشخص المضحى به فيها هو نفسه الشخص الذى حرض عليها بمحض إرادته . لاشك فى أن هـذه المؤامرة كانت مثال الجنام فـكرة وتنفيذاً . ولا شك أن هذه الفـكرة لا يمـكن أن تأتى إلا من عقل سقيم أو عبقرى . ولـكنها على كل حال نفذت ونجحت .

أن شونفيلد يدعى أن يسوع نظم بكل حرص ودقة طريقة دخوله إلى أورشليم كأنها تمثيلية مسرحية . ثم أجبر يهوذا الاسخريوطى على أن يخونه . وقد اختار بكل ثبات الليلة السابقة لعيد الفصح اليهودى للقبض عليه ، مقدراً أن جثته إذا أنزلت من الصليب قبل السبت حسب قوانين اليهود لما مكثت على الصليب أكثر من ثلاث ساعات . ولما صاح يسوع قائلا « أنا عطشان » كما هو وارد فى الإنجيل الرابع أعطى خلا بدلا من الماء . ويقول شونفيلد فى هذا المقام أنه لم يكن عسيراً أن يوضع عقار فى الشراب يجعل يسوع يفقد وعيه . بعد ذلك — وحسب خطة يسوع المحكمة — طالب يوسف الأريماتى بجثمان يسوع كما هو مذكور فى « الكتاب المقدس » . وكانت هذه المطالبة جزءاً من « مؤامرة عيد الفصح » إذ أن مهمة يوسف كانت أن يمرض يسوع تمريضاً حثيثاً حتى يعود إلى الحياة . ويعتقد شونفيلد أن يسوع مات بعد ذلك بقليل ، لا بسبب الصلب ، بل بسبب طعنة الرمح التى أصابته أثناء صلبه .

وتمضى الجريدة فى سردها لهذه المؤامرة تحت عنوان جديد هو «متعصب» فتقول : إلا أن شونفيلد يحاول ببلاغة مدافعاً عن نظريته فى مؤامرة الصلب ويقول إنها لا تهدم العقيدة ولا تصور يسوع فى صورة المتعصب المخدوع . إن يسوع إن هو إلا رجل حاول أن يحقق مثلا نبيلا من المثل العليا . ألا وهو نبوءة مقدم المسيح .

إن أغلب الباحثين فى كتاب « العهد الجديد » يستبعدون كل هذه الأقاصيص المتعلقة « بيسوع التاريخى » فالأب دافيد ستانلى الأستاذ فى جامعة فوردهام بنيويورك وفى كلية ريجيس بتورنتو . يقول إن أغلب هذه القصص إن هى إلا ضرب من ضروب الإثارة الصحفية . ويقول أستاذ آخر فى الفاتيكان : كل ذلك ليس جديداً . فهناك نصوص كثيرة تابعة لمذاهب هرطقية (مرتدة) تدعى أن المسيح لم يصلب أو أن يهوذا قد صلب بدلا منه أو أن كل عملية الصلب هذه لم تكن إلا خيالا بصرياً .

تعليــق

إن قصة اكتشاف المخطوط الناصرى ودراسته وما جاء فيه من أن « الرجل » الذى صلب كان شخصاً آخر غير المسيح عليه السلام . هذه القصة مثيرة حقاً . ويجب أن تسترعى انتباه المسيحيين قبل المسلمين .

إن المسلمين ليسوا فى حاجة إلى إثبات أن المسيح لم يصلب . ولم يقتل . فقرآننا أثبت كتاب فى الوجود . وهو الذى ينبئنا بذلك . يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٤ : ١٥٧ : وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . .) سورة النساء .

أما أن يأتى أحد المسيحيين فيستبعد المخطوط كلية عن الدراسة بحجة أنه يحوى رأياً إسلامياً . فهذا ما ليس من العقل فى شىء . فقد تثبت الدراسة التاريخية أنه مخطوط صحيح . وإذ ذاك ينير لهم الطريق فيه ما تخبطوا فيه قروناً وقروناً .

أقول تخبطوا لأنهم فعلاً تخبطوا .

أدل دليل على تخبطهم هو ما جاء فى قرآننا العزيز سورة النساء (٤ : ١٥٧ ـ ١٥٨ : ... إن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) .

والدليل الثانى هو تذبذب أفكار المسيحيين أنفسهم فى آرائهم عن طريقة الصلب وكيفية الموت وتفاصيل المؤمرة . بل إن منهم من لا يعقل أن المسيح مات صلبا

كما هو مبين فى الإنجيل لأن التفاصيل المذكورة فى الإنجيل ليست كافية للقتل ـ بل إن منهم من يعتقد أن عملية الصلب حدثت فعلاً ولكنها كانت كلهاعبارة عن تمثيلية أخرجها المسيح لتحقيق نبوءة قديمة . وكل ذلك مفصل فى هذا المقال الشامل المعرب آنفاً . وكل هذا الاختلاف والتخبط هو الذى ينبىء به قرآننا العظيم . وهو الذى جعلهم يميزون بين شخصيتين المسيح : شخصية عقيدية وشخصية تاريخية . الأولى لا تناقش . والثانية معرضة المناقشة وهى موضع جدل كثير . أما أبهما الشخصية الحقيقية فهذا ما لا رد عليه عندهم .

عيد الأضحى المبـــــارك

تهانينا القلبية إلى السادة قراء (الهدى النبوى) والمسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها بحلول عيد الأضحى المبـارك أعاده الله علينا وعليهم بالخيرات والبركات .

وستؤدى جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة العيد بميدان الجمهورية كعادتهـا فى كل عيد .

٢٧

« الشجرة »

كانت الشمس ترسل أشعتها فتداعب فى شوق وحرارة رمال الصحراء التى تعكس بريقها فيبدو السراب من بعيد كأنه صفحة من الماء العذب الشفاف يتموج فى بطء وهدوء ولم يكن المكان يسمح بوجود ظلال إلا من شجيرات تبدو بين الحين والحين وتلال ترتفع أحياناً كأنها الجبال . وفى الطريق كانت قافلة الموج البشرى الزاحف التى تدب على أرض الصحراء تثير خلفها الغبار الذى اكتست منه الوجوه بطبقة رقيقة وكان صوت الجموع هدير أمواج تعكس صداه جوانب الجبال التى تبدو أحياناً على جانبى الطريق وكان للصوت دوى هائل يشق سكون الصحراء فيذهب عنها الوحشة وهو ينطلق فى قوة

« لبيك اللهم لبيك » .

« لبيك لاشريك لك لبيك »

« إن الحمد والنعمة لك والملك . لاشريك لك » .

نداء تردد صداه جوانب الجبال فلا يجد له وسط الصحراء طريقاً إلا إلى السماء وكانت الجموع الهائلة تزحف فى ثياب الإحرام البيض التى علاها الغبار وقد تعرت أكتافها . وهى فى طريقها إلى البيت العتيق بعد سنين طوال استبد فيها الحنين إلى البيت بالقلوب بعد أن حال الشرك المتربع فى مكة بينها وبين البيت .

وكانت دورة الزمن تشير إلى ذى القعدة فى آخر سنة ست من الهجرة من مكة بلد البيت العتيق وجموع المهاجرين والأنصار قد خرجت مع القائد تريد زيارة البيت والكل يحاول أن يشق طريقه وسط الزحام ليقترب من القائد ويمتع العين بالنظر إلى وجهه وهو على ناقته القصواء تتهادى به وسط الجموع وقد امتلأ وجهه بالرضا والسرور وهو يرى حوله المدد الزاحف من الموحدين كما تملأ قلبه البهجة لأنه سيرى بلداً حبيباً هجره مكرهاً وبيتاً عتيقاً طال الشوق إلى رؤيته والطواف به .

كان القائد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جموع تحبه أكثر من نفسها ومالها وولدها خرجت معه من المدينة إلى مكة تريد أداء العمرة لا تريد حربا ولا قتالا والبيت مازال بعد فى قبضة الشرك والجاهلية .

كان قرص الشمس قد بدأ يكسوه اللون الأصفر الذهبى وهو يتمهل فى طريقه ليغيب خلف الأفق بعد أن ترك أثراً على رمال الصحراء الدافئة عندما لاحت من بعيد أشباح أشجار متفرقة عند ذلك دوت فى مقدمة الركب صيحات الفرحة . والأيدى تشير بعيداً تلك هى الحديبية . . وهذه هى علاماتها .

وغاب قرص الشمس هنالك بعيداً خلف الأفق يودعه الشفق الأحمر الذى بدأ من بعيد كأنه لهيب نار هائلة وكأن الشمس بقوتها تأبى إلا أن تترك خلفها أثراً يشير إلى مكان غروبها ولكن ظلام ليل الصحراء لم يكن ليرهبه الشفق الأحمر الذى أخذ يختفى رويداً رويداً تاركا المكان لظلام الليل وتاركا السماء لنجوم كانت توصوص فى صفحة السماء عندما خلت من الشفق فأخذ بريقها الخافت يتناثر على صفحة السماء وهناك عند الأفق كأنها تداعب رمال الصحراء .

وسجا الليل وشمل السكون إلا من صوت القافلة وهى تحط رحالها بعد طول مسير وكان ضوء النجوم الباهت يكسو المكان ولكنه لم يستطع أن ينتزع من الليل ظلمته ، وانتشرت ألسنة اللهب وقد اجتمع حولها أفراد القافلة لإعداد الطعام .

ووسط سكون الصحراء الرهيب وظلمة الليل الموحشة انطلق صوت شق السكون صوت ألفته القافلة يبعث فيها الحركة فتستجيب له .

« الله أكبر . . . حى على الصلاة »

وعلى رمال الصحراء وقفت القافلة صفوفا خلف القائد وقد اتجهت إلى البيت الذى تتمثل صورته ولا تراه ويملأ قلبها الأمل للقائه والطواف به بعد فراق سنين وطول مسير فهنالك بعيداً فى مكة يقف البيت العتيق شامخاً لم تستطع حتى هذه الأصنام المتناثرة حوله

أن تنال من عظمته وهو لم يزل بعد تحت سدانة الوثنية الطاغية وسيطرة عبدة الطاغوت والقافلة يراودها الأمل فى أن تحطم يوماً هذه الطواغيت تحت أقدامها وتنتصر للبيت وتعيده كما أراده الذى رفع قواعده من قبل خالصاً لله تعالى لامكان فيه ولا حوله للأصنام والأوثان ولا يرتفع فوقه إلا صوت واحد « الله أكبر ... أشهد ألا إله إلا الله ... » .

ورابطت جموع التوحيد فى الحديبية وهى قرية بينها وبين مكة مرحلة واحدة بعضها فى الحل وبعضها فى الحرم وعلمت قريش بخبر الزحف فاستعدت وخرجت لتحول بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين البيت العتيق وتعاهدت ألا يدخل عليهم مكة . وجرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين مفاوضات ورسل تبلغهم أنه ماجاء يريد حربا وقتالا إنما جاء يريد زيارة البيت وأرسل إليهم عثمان بن عفان يبلغهم ذلك وبلغه أن المشركين قتلوه وهنالك تحت ظلال شجرة من أشجار الحديبية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى البيعة وكان أحد الصحابة يمسك بغصن من أغصان الشجرة ليظلل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بيعة الرضوان . بايعوه على قتال المشركين وألا يفروا مهما كان عدد المشركين وعدتهم وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحدى يديه على الأخرى يبايع لعثمان بن عفان الذى جاء الخبر فيما بعد أنه لم يقتل وانتهت المفاوضات بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين إلى عقد صلح كان فاتحة خير للاسلام والمسلمين وعادت القافلة فى طريقها لم تر البيت ولم تطف به يراودها الأمل من جديد وفى الأيادى الطاهرة التى التقت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل قول الله تعالى .

(لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) .

وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من بايع تحت الشجرة بالجنة .

ومرت الأيام وفتحت مكة وتطهر البيت من الشرك والأوثان كما تطهرت مكة

من المشركين الوثنيين وتوالت الفتوحات وزحف النور فى كل مكان وتقلص الظلام وفى قمة الفتوحات والانتصارات مات القائد وفى كل مكان بكاء ودموع ونحيب بكاء ودموع من العيون التى ستحرم من التطلع إلى وجهه حرماناً يطول حتى اللقاء عند الحوض فى أرض الحشر كما وعدهم ، وتحت الثرى غاب القائد الأمين خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وتلك سنة الله تعالى فى خلقه فهو وحده الملك الحى الباقى .

أحقاً مات رسول الله صاحب خبر السماء ، فانقطع خبرها من بعده .

أحقًا مات صاحب وحى الله تعالى فانقطع الوحى من بعده .

إيه أيتها الأرض الطيبة والأم الحنون ، لقد ثوى فيك جسد تضمينه بين أحضانك ، جسد صاحبه كان أقرب العالمين إلى الملك الحى الباقى ، جسد فرضت عليه السنة أن يهال عليه من ترابك وصاحبه حبيب الرحمن ، ولكنها سنة الله تعالى فالألوهية له وحده سبحانه لا شريك له .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله إنى أشفق على عيون تعودت أن تراك فإذا بك تغيب عنها تحت الثرى ، وأشفق على آذان تعودت أن تسمع صوتك الحبيب فينقطع عنها .

فى كل مكان بكاء ودموع فى المسجد وفى الطرقات وفى البيوت وحول حجرة عائشة التى يرقد فيها الجسد الحبيب وقد احتشدت حولها الجموع احتبست أصواتها وملأت الدموع مآقيها وهى فى دهشة وذهول تكاد لا تصدق حتى لقد وقف صاحب العبقرية التى شهد له الوحىُ الإلهِىّ ، وقف عمر بن الخطاب يتوعد بالسيف من يقول إن محمداً قد مات ، وجاءت حكمة الشيوخ على لسان أبى بكر الصديق تعلن الحق الذى جاء من عند الحق الذى لا يموت ، وتذكر بهدى الله (وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) .

عند ذلك هتفت القلوب قبل الشفاه . . حقا مات القائد ولم تعد تملك إلا الدموع تطلقها من عيون سوف لا تراه بعد اليوم وهى تتزاحم تريد أن تلقى نظرة الوداع على وجه القائد الكريم .

غابت صورته وغاب صوته ولم يبق سوى النور الذى جاء به فراحت تعض عليه بالنواجز حتى لا تحرم من صورته وصوته فى أرض الخلود .

وجاء أبو بكر يتسلم القيادة . . . ومات الخليفة ، ودفن إلى جوار صاحبه .

وجاء عمر بن الخطاب ووجد الناس يحطون رحالهم عند قرية وهم فى طريقهم من مكة أو إليها وتحت ظل شجرة يكثرون الجلوس والصلاة ، فسأل عمر ما هذه ؟ قالوا تلك شجرة البيعة الرضوانية ، فكلما استبد الحنين بقلوبهم إلى ذكرى صاحب البيعة جاءوا تحت ظلالها يستعيدون ذكرى أيام مضت التقت فيها أيديهم بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الذاهبون إلى الشجرة يتخيلون صورته وهو واقف تحت أغصانها وهم يتزاحمون حوله يسارعون إلى مد أيديهم لتلتقى بيده فى بيعة خلدها كتاب رب العالمين ، فيجدون تحت أغصانها الذكرى ، وتجدد قلوبهم البيعة ولكن يدون اليد الكريمة التى التقت بأيديهم فقد غابت هناك فى المدينة تحت الثرى .

وقطع عمر بن الخطاب الشجرة .

يا لشجاعتك العظيمة يابن الخطاب ، أتقطع شجرة خلدها رب العالمين فى كتاب كريم ، ألا يشفع عندك كتاب الله الذى خلد الشجرة فتبقى عليها ؟ . ألا تشفع عندك ذكرى بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فتبقى عليها ، ولكن ألست القائل : « يوشك أن يهدم الإسلام حجراً حجراً من جهل عادات الجاهلية » عادات الجاهلية فى عبادة الأشجار والأحجار .

جيل يذهب إلى الشجرة يدفعه الحنين إلى الذكري وصاحبها .

وجيل يذهب إلى الشجرة يقلد الآباء فى الحفاظ على الذكرى .

وجيل يعكف عليها . . . وجيل يطوف حولها ويتمسح ويقبل . . وجيل يتخذها عيداً . . . وجيل يضع فوقها الأستار ويضع لها النصب والمقاصير ويقدم لها القرابين والنذور فتعبد من دون الله .

لقد خشي عمر بن الخطاب العبقري أن يختفي الشيطان الرجيم بين أغصان الشجرة فيوقع الأمة المحمدية فيما وقعت فيه الجاهلية الأولى فيعبد الشيطان عند الشجرة جاهلية انتزعت من سلطانه وطال شوقه إليها بعد أن وقف يشهد مصرعها تحت ظلال الشجرة.

فيقطع عمر الشجرة وإن كانت البيعة وذكرى صاحبها لم تقطع من القلوب ،

ما ذا كان يقول عنك مسلمو هـذه الأيام يابن الخطاب لو أنهم رأوك تقطع شجرة بويع تحتها رسول رب العالمين ؟ ! ، وماذا كان يقول عنك هؤلاء الذين يقدسون الأحجار والأستار والمقاصير والقبور لمجرد أنها تنتمي في نظرهم إلى أولياء .

ماذا كان يقول عنك يابن الخطاب هؤلاء الذين يقدسون تابوت البدوي ونحاس الحسين وضريح القناوي ؟ ! .

ماذا كان يقول عنك هؤلاء الذين يقدسون حجراً اعتقدوا زوراً أن عليه أثر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! .

ماذا كان يقول عنك هؤلاء لذين يلهثون حول نحاس نسبوه إلى الحسين ؟ ! .

ماذا كان يقول عنك هؤلاء الذين يعتقدون أن قبة البدوي غيرت مجرى القنبلة وضريح أبي الدرداء أبطل مفعول « الطوربيد » وأبى أن يتزحزح من مكانه ليوسع الطريق .

ماذا كان يقول عنك يابن الخطاب هؤلاء الذين يقدسون عجل السيد ويلتمسون البركة من فول السيدة .

ماذا كان يقول عنك أصحاب المدد من الرفاعي والبركة من القطب والحماية من غفيرة مصر ؟ .

ماذا كان يقول عنك هؤلاء الذين يلتمسون البركة من التوابيت والمقاصير والأضرحة وسدنتها الذين يزرعون بذور الشرك والوثنية والضلال لينتهي الحصاد إلى جيوبهم وبطونهم .

ماذا كان يقول عنك يابن الخطاب هؤلاء الذين تقودهم نساؤهم كالخراف الضالة إلى حيث مواقع الأوثان فى صورة أضرحة يلتمسن منها الذرية والشفاء من العقم.

ماذا كان يقول عنك يابن الخطاب وأنت تقطع الشجرة هؤلاء الذين عصب الشيطان أعينهم بخرقة صوفية تحجب عنهم الحقيقة والنور وتركهم يسيرون فى طريق دائرى لا يدرون له بداية ولا يعلمون له نهاية ، وقد شدهم إلى ساقية تنزح من بئر الضلال لتروى حقول الباطل .

ماذا كان يقول عنك يابن الخطاب هؤلاء الذين يسارعون إلى آثار الشيوخ والنقباء فيتبركون بها .

ماذا كان يقول عنك هؤلاء الذين يتهالكون على الخرق البالية تغطى قبراً عتيقاً فيمسحون بها وجوههم وأعينهم طلباً للبركة والشفاء .

لو رآك كل هؤلاء يا عمر وأنت تقطع شجرة بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلد ذكراها القرآن الكريم لقالوا تلك جفوة منك يابن الخطاب بل ولقالوا تلك ردة منك وعدوان على الإسلام وآثاره ومخلفاته . . ! ! ! وقلوبهم فى غفلة لا تدرى أنك بهذا تقيم صرح الإسلام والتوحيد وتسد منافذ الشيطان وتبيد ذرائع الشرك والوثنية .

لقد قطع عمر بن الخطاب شجرة البيعة الرضوانية وهو يطالع فى كتاب الله بين حين وآخر (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . .) لمجرد أن وجد المسلمين يتجهون إليها لا لتقديسها وعبادتها وإنما لمجرد الشوق والحنين إلى الذكرى وصاحبها .

ترى ماذا كان يفعل ابن الخطاب وهو يرى المتمسلمين يرتمون على الأضرحة والتوابيت والمقاصير يتمسحون ويتبركون ويطلبون ما لا يطلب إلا من الله تعالى ويقدمون القرابين ؟ ؟ ؟ .

ترى هل يكون لهذه الأضرحة والمقاصير والمقامات حرمة عند ابن الخطاب وقيمة تعلو على شجرة بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلدها القرآن الكريم .

لم يجد ابن الخطاب عند شجرة البيعة الرضوانية شركا فقطعها إنما وجد مجرد رحال تحط ، فماذا كان يفعل ابن الخطاب وقد وجد عند الأضرحة الشرك المبين ؟ ؟ ؟ .

أجيبوا يا عبدة التوابيت والمقاصير والمقامات والقبور .

لعل ابن الخطاب وهو يقطع شجرة البيعة الرضوانية قد استعاد فى خياله ذكرى شجرة أخرى ، ذكرى ذات الأنواط عند ما خرجوا إلى حنين وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقال الصحابة يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكبر ، إنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . . لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى .

يا للحق الصريح الذى لا يقبل مداهنة أو مجاملة . .

يا للحقيقة الجلية التى لا تقبل التواء أو ميلا .

يا للبيان المحكم الواضح الذى يضع الأمور فى نصابها بغير موارية . . قلتم كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ! ! ؟ . .

قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد طلب شجرة تعلق عليها الأسلحة كما يفعل المشركون وقال هذا لأصحابه الذين خرجوا ليقاتلوا معه المشركين .

لم يقل لهم أنتم تشهدون ألا إله إلا الله وأنى رسول الله والشرك بعيد عنكم .

لم يقل لهم : أنتم تقيمون الصلاة والشرك بعيد عنكم .

لم يقل لهم أنتم تسميتم بالمسلمين والشرك بعيد عنكم .

لم يقل لهم أنتم خرجتم لتقاتلوا فى سبيل الله والشرك بعيد عنكم .

لم يقل لهم إن الذى تطلبونه خطأ ومجرد انحراف وجهل وقعتم فيه بحسن نية ! ! !
بل قالها فى صراحة ووضوح . قلتم كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .

ترى ماذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرى الجداء والخراف تساق لتقدم قرباناً للتوابيت والأضرحة التى يعكف عليها ويطاف بهـا ويلتمس منها البركة والشفاء ؟ ؟ ؟

أجيبوا يا أنصار التوسل والنذر لله والثواب للولى وكل شيخ وله طريقته ؟ ؟ ؟

أجيبوا ياأنصار مدد يارفاعى ونظرة ياست وبركاتك ياسيد ! ! ! تعقلوا وتدبروا لماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « . . قلتم كما قال أصحاب موسى اجعل لنا إلهاً » ولمن قال هذا ؟ ؟

ولنعد إلى شجرة بيعة الرضوان التى بويع تحت ظلالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك قطعها عمر .

أ كان عمر يكره ذكري البيعة؟ ؟ كلا إن حب عمر لله تعالى ولرسول الله ولكتاب الله ولدين الله هو الذى دفعه إلى قطع الشجرة فقد قطعها ليبقى على الإسلام والتوحيد ولكن أصحاب الآفاق الضيقة لايفهمون ذلك . ولكن الذين لايعرفون شيئاً عن الجاهلية فوقعوا فيها لايفهمون ذلك .

لقد قطعت الشجرة وبقيت البيعة ويقيت يد الله فوق أيديهم ألا نفعل بهذه النصب التى لم يخلدها قرآن كريم وما بويع عندها رسول رب العالمين ألا نفعل بها ما فعله عمر بن الخطاب بالشجرة . إن الأمر يحتاج إلى ثقة بالله وفهم لدين الله وامتثال لسنة رسول الله وسلوك فى طريق أصحاب رسول الله فالنصب والإسلام شيئان إذا قام أحدهما هـدم الآخر، وحسبنا أن خليل الرحمن هتف رغم هذه الخلة .

« واجنبنى وَبنىَّ أن نعبد الأصنام . . »

ودعا هو وولده :

« ربنا واجعلنا مسلمين لك »

نعوذ بك ربنا من الزيغ والضلال وعبادة النصب والأوثان والأحجار ودعاء المقاصير والقبور والأستار واحشرنا مع الذين بايعوا رسولك تحت ظلال الشجرة .

مصطفى عبد اللطيف درويش

رئيس مأمورية الشهر العقارى بسوهاج

٦ – نظرات فى المجتمع والشريعة

٤ – الهــــوى

رسـول الله وأهواء أهل الـكتاب :

يقول تعـالى فى سورة الأنعام محذراً الرسول الـكريم من اتباع أهواء الضالين فى مجال التحليل والتحريم فيقول سبحانه : (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) .

وبماذا يحكم القرآن على رسول الله لو اتبع أهواء هؤلاء الضالين من أهل الـكتاب الذين لا يردهم عن باطلهم دليل ولا يصرفهم عن غلوائهم حجة بينة ؟ يقول تعالى فى سورة البقرة : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل أن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير) .

وتعود الآيات لهذا التحذير من أهواء أهل الـكتاب فى موقف كان له جانب كبير من الاثارة وهو تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام وقال اليهود و دلث كثيراً وملأوا مجتمع المدينة بالأراجيف مع حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إرضائهم وهم جيرانه وإقناعهم بالحجة وهم مواطنوه ولـكن ماذا تفعل الحجة مع عناد صلب ومراء موروث ولم يبق إلا أن يتبع هواهم ومن هنا جاء التحذير فى سورة البقرة مرة أخرى إذ يقول تعالى : (ولئن أتيت الذين أوتوا الـكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) .

وتعود الآيات مرة ثالثة لهذا التحذير فى سورة الرعد . إذ يقول تعالى : (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق) .

وهكذا فى تحذير شديد يقول الله تعالى لرسوله لو اتبعت هوى أهل الكتاب لا تجد من الله ولاية ولا نصرة ولا وقاية بل تكون ـ إذا فعلت ذلك ـ من الظالمين .

وتتكرر آيات التحذير من أهواء أهل الكتاب فى سورة المائدة إذ يقول تعالى : (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) .

ثم يقول تعالى فى نفس السياق : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) .

ثم ماذا تكون النتيجة لو اتبع الحق هوى هؤلاء ؟ النتيجة الحتمية ما نراه وراء تصارع النوازع البشرية من سفك للدماء وخراب وتدمير وفتنة فى الأرض وفساد كبير يقول تعالى : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . . .)

فإذا أعرض هؤلاء عن حجتك الواضحة وبرهانك السديد فهم أهل أهواء لاخير فيهم يقول تعالى : (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله ؟) .

ثم يشرح الرسول عليه الصلاة والسلام منهجه : إيمان عميق بالله وعبودية خالصة له وحده لايشرك معه فيها غيره ولايستنزل عن هذا وذاك إغراء خلاب أو وعد معسول كل ذلك هو الله حذره من اتباع الهوى يقول تعالى فى سورة الأنعام : (قل أنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قدضللت إذن وما أنا من المهتدين)

ثم يصف القرآن الكريم فى سورة الشورى منهج الاسلام وأنه دين سائر الأنبياء وبه وصى الله . نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ولكن القوم تفرقوا بغيا بينهم ولولا كلمة قضاها الله بأن هناك يوما للحساب لقضى بين المتفرقين فى دنياهم . ولكون الهوى هو سبب الانحراف يوصى الله تعالى خاتم أنبيائه الذى حمل آخر دعوة للاسلام ويحذره من اتباع أهواء القوم وأن يعتصم بإيمان منزه عن التعصب وعدل بعيد عن الهوى فيقول تعالى : (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير) .

رسول الله وإهواء المشركين

وإذا تركنا أهل الكتاب وجدنا لاهواء المشركين مجال واسع فى ميدان الكفاح النبوى وقد يميل النبى ميلا لتنفيذ بعض ما طلبوا عسى أن يكون فى ذلك نجاح محقق للدعوة الجديدة ولكن الوحى يهبط عاجلا يحذر رسول الله مما مالت إليه نفسه ومما عرضه عليه قومه وما عرضه عليه قومه ليس سوى هوى ممقوت وإن شئت فقل : ليس إلا مساومة فى حق صريح وما كانت دعوته إلا قضية إيمان بالله خالص لوجهه وقضية الإيمان لاتقبل أنصاف الحلول . (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ؟) .

وإليك الأمثلة :

١ — طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن الذى يسخر من آلهتهم وأصنامهم ويندد بتقاليدهم وأعرافهم وهذا مطلب يدل على أمرين : فهم خاطىء منهم بأن القرآن من صنع محمد وأمر آخر هو تمكن الهوى الضال من نفوسهم . ماذا يكون موقف رسول الله ؟ وماذا يكون رده ؟ يفصله القرآن فى سورة يونس يقول تعالى : (وقال الذين لايرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله . قل : مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن أتبع إلا مايوحى إلى انى أخاف أن عصيت ربى

عذاب يوم عظيم » قل : لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ؟) .

٢ — ظنوا الخلاف بينهم وبين رسول الله خلاف أهواء وشهوات قالوا له : أعبد آلهتنا يوما ونعبد إلهك يوما فجاء القرآن بقول مبدوء بلفظ (قل) كشأنه فى هذه المواقف الهامة (قل : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين) .

٣ — ثم حسنت لهم أهواؤهم أن يطلبوا إلى رسول الله غير ذلك . ماذا طلبوا ؟ !

إذا أردت منا يا محمد أن نتبع دينك وأن نكون ممن آمن بك اطرد من مجالسك هؤلاء الفقراء والصعاليك اطرد بلالا الحبشى وصهيبا الرومى وسلمان الفارسى وأمثالهم وما ينبغى أن يجمعنا وإياهم مجلس واحد فنزل القرآن الكريم يحذر رسول الله من هواهم وما يبتغون إذ يقول تعالى فى سورة الكهف : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ويأتى هذا التحذير فى سورة الأنعام بصورة أخرى إذ يقول تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردكم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ؟) .

وإن شاء الله لنا عودة أخرى مع أهواء المشركين والمؤمنين أيضا ؟

السيد رزق الطويل

مدرس ثانوى

قرآن وسنة

ورد فى عدد الجمهورية الصادر يوم ١/٣/١٩٦٧ تحت عنوان « قرآن وسنة » الذى يكتبه الدكتور سعاد جلال مانصه « الله سبحانه منزه عن أن تكون له يد للقطع بمخالفته للحوادث فهذا تعبير مجازى مقصوده بيان محبة الله لتوبة التائب وطلبها كشأن شخص يمد يده مرحباً بطلب شىء وقبوله .

وطلوع الشمس من مغربها تعبير عن فناء العالم وانتكاس نظام أفلاكه لا كما يظن بعض العلماء أن الشمس تعود فتطلع من المغرب حقاً مع استمرار دورة الأفلاك فهذا تصور بعيد » .

وبؤسفنا أن نقول إن فضيلته قد جانب الحق فى كلتا القضيتين وأعرض عن النصوص الجلية من الكتاب والسنة وأركض جواده فى ميدان التأويل الذى لا مسوغ له ولا دليل عليه .

أما عن القضية الأولى وهى إثبات يد لله فالعجب من فضيلته أن ينزه الله عن أن يكون له يد كأن الكمال فى نظره أن يكون ربه أقطع لا يد له والنصوص على إثبات اليد من الكثرة بحيث لا تدع مجالا لمجاز أو تأويل كقوله تعالى لإبليس حين امتنع من السجود لآدم « ما منعك أن تسجد لما خلقت بِيَدَىَّ » واليدان هنا لا يمكن تأويلهما بقدرة ولا غيرها لأن المقصود ببيان الخصيصة التى اختص الله بها آدم وهى أنه باشر خلقه بيده .

أما توهم أن إثبات يد لله يستلزم مماثلته تعالى للحوادث فهو توهم غلط فيه كثير من الناس ونفوا من أجله صفات الكمال التى وردت بها النصوص من الكتاب والسنة والحق أن إثبات اليد أو غيرها من الصفات التى يوجد جنسها فى المخلوق لا يستلزم مماثلته تعالى لشىء من الحوادث أصلا وإلا لوجب أن تنفى عن الله العلم والحياة والقدرة

والإرادة والسمع والبصر لأنها كذلك موجودة فى المخلوق فإذا وسعنا أن نثبت لله هذه الصفات مع نفى المماثلة فليسعنا كذلك أن نثبت له اليد والعين والوجه والنزول والاستواء وغيرها مع نفى المماثلة أيضاً فإن الأمور المتماثلة يجب أن يكون حكمها واحداً وإنما تتأتى المماثلة حين نقول يد كيدى أو عين كعينى .

وأما عن القضية الثانية فقد ثبت بما يشبه القطع أن طلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة وقد أجمع المفسرون أو جمهورهم فى تفسيرقوله تعالى « يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » أنه طلوع الشمس من مغربها .

وقد روى الستة غير الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لاينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية والحديث كذلك رواه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردوية والبيهقى فهو متفق عليه وروى الفرياوى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ عن ابن مسعود فى قوله تعالى « يوم يأتى بعض آيات ربك » قال طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين ثم قرأ « وجمع الشمس والقمر » وقد أخرج ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى كلهم عن عبد الله ابن عمر وقال « حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها والحاصل أن طلوع الشمس من مغربها أمر يكاد يكون معلوما من الدين بالضرورة فلا ينبغى التورط فى نفيه بسهولة جريا وراء جموح عقلى أو شبه فلكية فإن هذا وغيره من السمعيات لاطريق إلى العلم به إلا الخبر الصادق عن الوحى المعصوم ولامجال فيه لرأى أو قياس والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

٢ - دروس عملية للشباب

(الدرس الثـــانى)

لقى الرسول صلى الله عليه وسلم طليعة المشركين وهو فى نفر من أصحابه فقال المشركون : ـ ممن أنتم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ، فنظر المشركون بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ـ أحياء اليمن كثير فلعلهم منهم وانصرفوا ، وكان صلى الله عليه وسلم يهدف بهذه العبارة إلى قوله تعالى : ـ (فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق .

ومن هذا الدرس يتجلى لنا ما يتمتع به الرسول من ذكاء خارق وبراعة فى حسن .

التخلص وحذق فى استعمال المعاريض التى يتضح معناها مما سبق ، وبهذا أفلت من كيدهم وأذاهم ، وحفظه الله حتى أدى رسالته كاملة غير منقوصة .

(الدرس الثالث)

شكت قريش الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عمه أبى طالب المرة بعد المرة طالبين إليه أن يكف ابن أخيه عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم « عقولهم » . وعرضوا عليه إن كان مريضاً أن يعالجوه حتى يشفى مما به من الحال الجديد ، وعرضوا كذلك أن يملكوه عليهم إن شاء أو يجمعوا له من الأموال حتى يكون أغناهم على أن يترك هذا الدين الجديد الذى يبشر به ويدعو إليه ويكف عن مناوءة آلهتهم والانتقاص من مكانتها وقدرها ، فكان أبو طالب يردهم رداً كريماً ، فلما اشتد عليهم الأمر هددوا أبا طالب بإيذائه وإيذاء ابن أخيه فدخل أبو طالب على النبى قائلاً : ـ أى بنى أبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق فقال صلى الله عليه وسلم : ـ يا عم والله

لو وضعوا الشمس فى يمنى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته . ثم بكى وولى ، فدمعت عينا أبى طالب تأثراً وقال : ـ إذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبداً وأنشد أبياتاً كان مطلعها

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

ومن هذا الدرس نتعلم منه صلى الله عليه وسلم الثبات على المبدأ الحق دون أن تلين لنا قناة إزاء المغريات المتعددة التى تكفى الواحدة منها لكى يسيل لها لعاب الكثيرين .

(الدرس الرابع)

لما شج وجه النبى صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعية جعل يمسح الدم الزكى عن وجهه الشريف ويقول : ـ كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم ، فقيل له أدع عليهم يا رسول الله فقال : إنى لم أبعث لعاناً ولكنى بعثت رحمة للعالمين اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ، وفى يوم العقبة عرض الإسلام على بعض المشركين فأبوا فعاد الرسول وهو مهموم فلم يستفق إلا بموضع يسمى « قرن الثعالب » فرفع رأسه بسحابة قد أظلته فنظر فإذا فيها جبريل ، فناداه جبريل فقال ـ إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال : ـ يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك فما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ـ الأخشبان هما الجبلان المحيطان بمكنه ، والأخشب هو الجبل الغليظ » فقال صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ، فقال صدق الله العظيم إذ يقول فيك . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ومن هذا الدرس يبتدى لنا مدى صبره صلى الله عليه وسلم واحتماله الأذى واستبساله فى سبيل هذه الدعوة الحقة التى هى جديرة بكل تضحية وجهاد .

(الدرس الخامس)

كان الصحابة إذا اشتد بهم هول الحرب لاذوا بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمون به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أقربهم للعدو . قال جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع ، فلما قفل الرسول قفلنا معه فأدركنا القائلة « القيلولة » فى وادٍ كثير العضاة « شجر له شوك » فنزل صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون ، فأتينا على شجر ظليلة فتركناها للرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه أى سَلّه وقال للرسول : ـ تخافنى ؟ فقال لا قال فمن يمنعك منى ؟ قال : الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فشهره وقال من يمنعك منى فقال عفوك كن خير آخذ فقال صلى الله عليه وسلم تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال لا ولكنى أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فعفا عنه صلى الله عليه وسلم وخل سبيله فأتى الرجل أصحابه فقال : ـ جئتكم من عند خير الناس ولم يعد لقتال المسلمين مرة ثانية .

ومن هذا الدرس العظيم تبدو شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ورباطة جأشه وفى أحرج الظروف ، وتتجلى ثقته بالله وهو يعاين الموت فيزداد يقينا بربه وحسن الظن به ، كما نلمس بوضوح مدى تسامحه صلى الله عليه وسلم واحترامه للعهد والكلمة إذا تبين الصدق لدى قائلها .

(الدرس السادس)

لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يترك وطنه مكة ويخرج منها مهاجراً فى ظلام الليل إلى المدينة المنورة أطاع الرسول أمر ربه . وما كاد يصل إلى أطراف مكة حتى التفت إليها بنظرة عميقة حزينة لفراقها وقال : والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، والله إنك

لأحب بلاد الله إلىّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت ، وتابع سيره وكان كلما ابتعد عن مكة تفلت إليها ليتزود منها بالنظرات حتى بلغ قرية تسمى « الجحفة » وكان الحنيين قد فاض به حتى بلغ مداه ، فأدركة رحمة ربه فأنزل عليه قوله « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» . فاطمأن صلى الله عليه وسلم لأن ربه وعده برده إلى وطنه بعد أمد معلوم . ولما إن وصل المدينة حتى دعا ربه فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة . ومضت سنوات ثم بعدها فتح مكة وعقب الفتح حسب الأنصار أن الرسول صلى الله عليه وسلم مادام قد عاد إلى أهله ووطنه فسينساهم أو يترك الإقامة معهم فقال بعضهم : لقد لقى محمد أهله فبلغ ذلك مسامعه صلى الله عليه وسلم فقال لهم : المحيا محياكم والممات مماتكم ثم أثنى على الأنصار وعلى مجهوداتهم المثمرة فى ساعات العسرة والشدة حيث آووا ونصروا وجاهدوا وآثروا وقرر أن يقيم معهم تكريما وتقديراً لهم ، ولبث معهم حتى مات ودفن فى الروضة الشريفة بالمدينة المنورة .

ومن هذا الدرس الرائع تتبين لنا ألوان أخرى من البذل والتضحية والجهاد والوفاء وشدة اليقين بأن وعد الله حق إذ وعده بالنصر وبعودته إلى وطنه وحقق له تلك الأمنيات العذاب ، ومدى تقدير الرسول صلى الله عليه وسلم وتكريمه كذلك للمجاهدين المخلصين .

(الدرس السابع)

لما تم فتح مكة دخلها صلى الله عليه وسلم وهو راكب راحلته ومنحن على الرحل تواضعاً وشكراً لله . وبلغ البيت الحرام فطاف سبعاً واستلم الحجر ، وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون صنماً بعدد أيام السنة تقريباً ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول : جاء الحق وزهق الباطل وما يبدىء الباطل ومايعيد ، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فيتكفىء الصنم محطماً . ثم صلى فى مقام إبراهيم وشرب من زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله والعيون تنظر ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأخرجوه من دياره وقاتلوه. فقال صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش : ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً . .

أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . . أقول كما قال أخى يوسف من قبل لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

ومن هذا الدرس يكشف الرسول صلى الله عليه وسلم عن تواضع جم فى صورة رائعة تأخذ بمجامع القلوب كما يبدو العفو والصفح والتسامح بصورة منقطعة النظير .

(الدرس الثامن)

بال أعرابى فى المسجد فقام الناس ليقعوا فيه « ليضربوه » فقال صلى الله عليه وسلم دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين .

والسجل والذنوب : الدلو المثلثة ماء .

والمعروف أن الإنسان إذا طلب إلى أحد شيئاً عليه أن يستأذن برفق حتى ننيله مأربه كأن يقول مثلاً : من فضلك أو أرجوك وما إلى ذلك ، ولكن ما الذى حدث مع الرسول ؟ قال أنس رضى الله عنه كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرُدٌ نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر له بعطاء .

ومن هنا تتجلى لنا رقة حاشيته ومدى رفقه بالناس وشدة رحمته التى حملت أنس ابن مالك على أن يقول : خدمت النبى عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لى لشىء صنعته لم صنعته ولا قال لى لشىء تركته لم تركته .

(الدرس التاسع)

وهو يريك مدى ما كان يتمتع به صلى الله عليه وسلم من تواضع وحب للمساواة رغم رفعة قدره فقد كان فى سفر مع نفر من أصحابه فأتى بعضهم بشاة لهم فقال أحدهم : علىّ ذبحها وقال ثان وأنا علىّ سلخها وقال ثالث وأنا علىّ طبخها فقال صلى الله عليه وسلم

وأنا على جمع الحطب . فقالوا إننا نكفيكه يا رسول الله فقال : إننى أعلم إنكم تكفوننى ذلك ولكنى أكره أن أتميز عليكم . ودخل عليه أعرابى فارتعد من هيبته صلى الله عليه وسلم فقال له مطمئناً هون عليك يا أخى فما أنا بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد « اللحم المجفف فى الشمس » .

(الدرس العاشر)

وهذا مثال يريك كيف كان تقديره وحبه واعتزازه بمكارم الأخلاق التى كثيراً ماحث عليها كانت سفانة بنت حاتم الطائى الذى كان مضرب المثل فى الكرم والجود فى الجاهلية بين السبايا فى إحدى الغزوات وكانت فصيحة اللسان . فلما مر بها (ص) قالت يارسول الله : — هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على مَنَّ الله عليك ثم ذكرت له أباها واستشفعت لدى الرسول بمكارم أخلاق أبيها إدراكا منها لما كان فى الرسول من حب وتقدير لمكارم الأخلاق ، وكان مما قالته عن أبيها : — كان أبى يفك العانى ويكرم الضيف ويعين على المكروه . . الخ فقال صلى الله عليه وسلم لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه أطلقوها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ثم كساها الرسول وأعطاها نفقة وراحلة للسفر حتى صارت إلى موطنها .

(الختـــــام)

وحتى فى مزاحه صلى الله عليه وسلم كان يتحرى الصدق ويتخير المعنى الجميل والحديث الطلى الشيق ولعله لم يغب عن الأذهان مزاحه مع العجوز التى طلبت إليه أن يدعو الله أن يدخلها الجنة فداعبها وأخبرها أنها لن تدخل الجنة عجوزاً ولكن شابة بكراً وجاءته امرأة أخرى تشكو إليه زوجها فسألها عنه فقالت إنه فلان فقال صلى الله أليس هو الذى فى عينيه بياض ؟ فحسبت المرأة أن بزوجها عيباً فقالت لا يارسول الله ، والرسول يقول بل الذى فى عينيه بياض والمرأة تحاول أن تنفى عن زوجها ذلك فلما رأى الرسول حيرتها تبسم وقال : كلنا فى أعيننا بياض . وكان يعنى بالبياض هو ما حول الحدقة .

والآن أيها الشباب . . وبعد أن طفنا معاً فى هذه الجولة السريعة الممتعة ، ولا يسعنى إلا أن أقرر أننا فى الحقيقة ما لمسنا إلا جوانب يسيرة من حياة هذا الإنسان الفريد وسيرة هذا البطل الفذ الذى رفع الله ذكره فى الخافقين .

وآمل أيها الشباب أن تجد فى هذه الكلمة البسيطة حافزاً يدفعك إلى الإحاطة الشاملة الكاملة بسيرته الفاضلة كلها منقاة من مهاترات المصوفية ، وغير الممزوجة بمغالطات العامة ومبالغاتهم التى لاتقوم على أساس سليم . ولقد فاتنى فى كلمتى الماضية إليك أن ألفت نظرك إلى مافى دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم من الأهمية فهأنذا الآن أتدارك مافات محاولا أن أضع إصبعك على الخط المستقيم ، وأحسب أنك سوف تجد بغيتك فى سيرة ابن هشام المعروفة لدقتها أو سيرة ابن إسحاق إن تيسر وجودها ناهيك بكتب السنة الكثيرة التى تتحرى الدقة البالغة فى ذكر الحقائق الكاملة التى تروى الظمأ وتنقع الغلة ، وما أحسبك إلا فاعلا .

فسر أيها الشباب على الجادة محفوفاً بعناية الله محوطاً برعايتـه وليوفقك الله إلى مافيه رضاه .

محمد عبد الكريم
محرم بك اسكندريه

رجاء

نرجو السادة المشتركين المبادرة بإرسال إشتراكاتهم عن السنة الجديدة والإشتراك السنوى كالآتى :

٤٠ ص أربعون قرش بالجمهورية العربية المتحدة

٥٠ ص خمسون قرش بالخارج .

وترسل النقدية بحوالة باسم السيد / محمد رشدى خليل أمين الصندوق ـ ٨ شارع قوله عابدين القاهرة .

كما نرجو السادة المتعهدين إرسال ما بعهدتهم جميعاً الشكر ؟

قدر فهدى

قال الله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى) هنا أربعة أمور : عامة الخلق ، والتسوية ، والتقدير ، والهداية ، وقد جعل التسوية من تمام الخلق ، والهداية من تمام التقدير . قال عطاء (خلق فسوى) أحسن ما خلقه . كقوله تعالى : (الذى أحسن كل شىء خلقه) فإحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال ، فالخلق الايجاد ، والتسوية إتقانه وإحسان خلقه . وهذا شامل لجميع مخلوقاته : (ونفس وما سواها) وقال : (فسواهن سبع سموات) وقال : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) .

أما التقدير والهدية : فقال مقاتل : قدر خلق الذكر والأنثى فهدى الذكر للانثى كيف يأتيها ، وقال ابن عباس والكلبى وعطاء : قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للأنثى على اختلاف صورهما وخلقهما وهيآتهما . وقال مقاتل أيضاً هداه لمعيشته ومرعاه . وقال السدى : قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هدا للخروج . وقال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة .

قال ابن القيم : الآية أعم من هذا كله إذ المراد ها هنا الهداية العامة لمصالح الحيوان فى معاشه ، ليس المراد هداية الإيمان والضلال بمشيئته ، وهو نظير قوله : (ربنا الذي أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) فإعطاء الخلق إيجاده فى الخارج ، والهداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه . فالآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقه وبهيمه ، طيره ودوابه ، فصيحه وأعجمه ، والمتأمل فى حياة بعض الحشرات والدواب والوحوش كالنحل والنمل وغيرها تجدها قد هديت إلى أفعال عجيبة قد يعجز عنها الإنسان نفسه .

(بتصرف قليل من كتاب : شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام العلامة شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية) .

مصنع حلويات
علي مصطفى ترزاكي وأولاده

٥ ش الترجمان (ممر الشامي) أول ش القلعة بالعتبة ت ٩١٩٦٧٥

ملين فئة ١٠ مليم
ملين فئة ٥ مليم
جيلي فئة ١٠ مليم
جيلي فئة ٥ مليم
ملوكي فئة ١٠ مليم
ملوكي فئة ٥ مليم
ملوكي فرسل ١٠ مليم
هندجنة ١٠ مليم



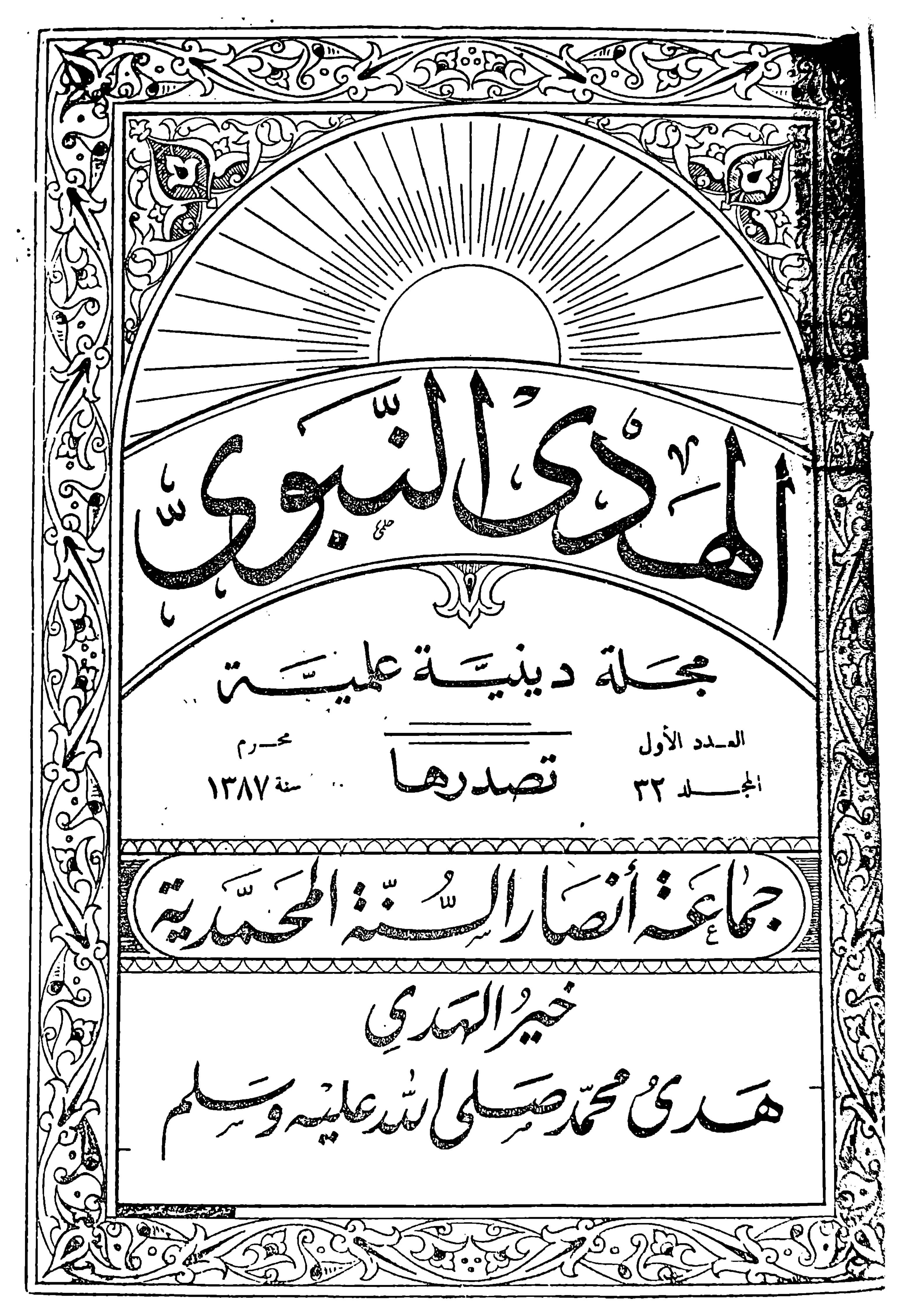
لوليتا فئة ١٠ مليم
لوليتا فئة ٥ مليم
نكروما فئة ١٠ مليم
نكروما فئة ٥ مليم
هند فئة ١٠ مليم
هند فئة ٥ مليم
نلس فئة ١٠ مليم
شيكو فئة ١٠ مليم
هندو فئة ١٠ مليم

منتجاتنا مصنوعة بعناية تامة ومن أجود الخامات المصرية
من سكر. وجليكوز. وكاكاو. ونشا. وأسنس. وڤانيليا.
ومصنوعة بأيد مصرية صميمة صناعة ج. ع. م
والإدارة مستعدة لتلبية طلبات زبائنها الكرام تليفونيا أو بريديا
وتوصيل طلباتهم حتى محلاتهم

المدير المسئول
علي مصطفى ترزاكي



مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧
الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الأول
المجلد ٣٢
تصدرها
محرم
سنة ١٣٨٧
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

لَاحَظَّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة عن عمله : صلاته ، فإن تُقُبِّلت منه صلاته تُقُبِّل منه سائر عمله وإن رُدت صلاته رد سائر عمله »

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الهدى النبوي
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان رشوان
الاشتراك السنوى
٤٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ – في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ١ | محرم سنة ١٣٨٧ | المجـلد ٣٢

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – ﴿ واذكُرْ فى الكتاب إدريسَ إنه كان صِدِّيقًا نَبيًّا وَرَفَعْناهُ مَكَانًا عَلِيًّا . أُولئِكَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ من ذُرِّيَّةِ آدمَ ، ومِمَّن حَمَلْنَا مع نُوحٍ ، ومِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيم وإسرائيل ، ومِمَّن هَدَيْنَا ، واجْتَبَيْنَا ، إذا تُتْلَى عليهم آياتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًّا ﴾ مريم ٥٦ – ٥٨

« معانى المفردات »

« إدريس » فى فتح البارى للحافظ ابن حجر « اختلف فى لفظ إدريس ، فقيل : هو عربى ، واشتقاقه من الدِّراسة ، وقيل له ذلك ، لكثرة درسه الصحف . وقيل : بل هو سريانى ، وفى حديث أبى ذر الطويل الذى صححه ابن حبان أنه كان سريانياً ، ولكن لا يمنع ذلك كون لفظ إدريس عربياً إذا ثبت بأن له اسمين » .

وقد روى البخارى فى باب « وإن إلياس لمن المرسلين » . يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس .

وأقول هو رأى : ولكنه يحتاج إلى قرآن أو حديث صحيح يؤيده ، أما الحديث فلا ، وأما القرآن ، فيثبت غير هذا ، فهو يفصل بين إدريس وإلياس فى الذكر ، ويصف كلا منهما بصفات مما يقطع بأنهما نبيان ، لا نبى واحد له اسمان ! ! وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة التى هذبها ابن هشام فى نسب نوح أنه ابن لَمَك بن مَتُّوشَلَخ ابن خَنُوخ أو أخنوخ ثم قال : وهو إدريس النبى فيما يزعمون ، مشيرا بقوله هذا إلى أن هذا النسب مأخوذ من أسفار أهل الكتاب .

ويرى أبو بكر بن العربى أن إدريس لم يكن جدا لنوح ، وإنما هو من بنى إسرائيل واستدل على هذا بما ورد فى حديث الإسراء من قول النبى صلى الله عليه وسلم : مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح ، ويرى ابن العربى أنه لو كان من آباء نوح لقال النبى : والأب الصالح كما قال عن إبراهيم .

أقول : ورأى ابن العربى[1] أجدر بالقبول ، وسكن النفس إليه ، لكنى لا أستدل بما استدل به ، وإنما نرى القرآن هنا يذكره بعد أن ذكر الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ، مما يوحى بأن إدريس بعد هؤلاء .

وفى سورة الأنبياء يذكر الله إبراهيم ثم إسحاق ويعقوب ، ثم لوطا ، ثم عاد فذكر نوح ، ولكنه يذكر بعده داود وسليمان ، وأيوب وإسماعيل وإدريس وهكذا ، نراه يذكر فى المرتين اللتين ذكر فيهما فى القرآن ــ وهو لم يذكر فى غيرهما عقب ذكر إسماعيل ، ثم إن الله سبحانه وتعالى يذكر أنبياء ورسل ، والقرآن يوحى إلينا بأن أول الرسل هو نوح . وبهذا نستطيع أن نحكم بأنه حين يذكره بنبى ورسول ، فإن هذا النبى ، أو الرسول يكون بعد نوح لا قبله .

---

(١) هو غير ابن عربى الصوفى ، وبينهما ما بين الإسلام والكفر من فروق .

كل هذا يجعلنا نطمئن إلى أن إدريس كان بعد نوح لا قبل نوح . ولـكنى لا أجزم أهو من بنى إسرائيل أم ليس منهم .

هذا وكم من أسطورة نفثها وهب بن منبه حول إدريس ، يحاول بها وضع يهودية مقنعة بقناع تخدع وَضُوَصَتُه ، فتحسب أنه إسلام ، أو منتسب إلى إسلام . فمن قائل إنه رفع إلى السماء حياً ، وأن إدريس سأل صديقاً له من الملائـكة ، فحمله بين جناحيه ثم صعد به ، فلما كان فى السماء الرابعة تلقاه ملك الموت ، فقال له :أريد أن تعلمنى كم بقى من أجَل إدريس ، قال : وأين إدريس ؟ قال هو معى ، فقال : إن هذا الشئ عجيب أمرت أن أقبض روحه فى السماء الرابعة ، فقلت : كيف ذلك ، وهو فى الأرض ، فقبض روحه : والعجب أن يُنسب هذا الخَبَث اليهودى إلى ابن عباس ! ! .

ويزعم ابن قتيبة أن إدريس رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة . مثل هذه الإسرائيليات تؤكد سهر اليهودية كل أيامهـا لتـكيد للإسلام ، فتفسد على المسلم دينه وفـكره ، وتجعله يتخذ من الأوهام الملعونة مُثُلا عليا له ! ويقول ابن حجر فى فى الفتح « وكون إدريس رفع ، وهو حى لم يثبت من طريق مرفوعة قوية » ! .

مثل هذا يؤكد لنـا أن المسلم لا ينبغى له أن يخوض فى قصص لا يشهد له نقل صحيح من القرآن أو السنة .

« إسرائيل » هو لقب يعقوب عليه الســلام ، ويقول أهل الـكتاب فى معنى الـكلمة أنه هو « الأمير المجاهد مع الله » كما يقولون ما يأتى فى سفر التـكوين : فى الإصحاح الخامس والثلاثين رقم ١٠ « وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام ، وباركه ، وقال له الله : اسمك يعقوب ، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل « ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال عشرة الأسباط عن بيت داود وتحيزهم مملـكة . وحدها ، فأطلق عليها اسم مملـكة إسرائيل تمييزا لها عن مملـكة يهودا « انظر قاموس بوست » .

يعقوب فى القرآن ، وفى أسفار اليهود : حين يقرأ الإنسـان عن يعقوب فى القرآن يشعر بأنه يقرأ عن نبى عظيم ، وإنسان صالح طيب خشوع تهده الأحزان النبيلة على أحد بنيه ، ويقف منه أبناؤه موقفا يجافى فى بعض صوره البُنوة الحنون الوديعة التى تتقاطر براً ورحمة بشيخوخة الأب،نشعرأننا أمام أب عظيم لا يهمه عند الموت سوى أمر واحد هو أن يثبت فى قلوب أبنائه كلمة الحق العظمى ، وأن يوصيهم بها ، ويطلب منهم الحفاظ عليها . ولنتدبر معا بعض ما قال الله عن يعقوب ، لنسعد بسكينة الحق وجمال الهدى وصفاء النور من تَلألؤ الحق من القرآن .

يعقوب بشرى من الله : (وامرأته قائمة فضحِكتْ فبشّرْنَاهَا بإِسحاقَ ، ومن ورَاءِ إسحاقَ يعقوب) هود : ٧١ .

هو من الله هِبَةٌ ونافلة : اعتزل إبراهيم الشرك وقومه (فلما اعتزلهم ، وما يَعْبُدُون من دونِ اللهِ ، وهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ) مريم : ٤٩ (ووهبنا له إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نافلةً ، وكُلاًّ جعلنا صالحين) الأنبياء : ٧٢ .

لَيس يهودياً ولا نصرانيًا وإنما كان مسلماً : ويزعم اليهودُ أنه كان على مِلّتِهِمْ الحاقدةِ الجاحدةِ لا الملة التى جاء بها موسى ، كما يزعم الصليبيون أنه كان على فتنتِهِم الضالة التى تقول عن الله أنه عاش فى رحم امرأة ! ! .

أما القرآن ، وهو كتاب الحق ، الذى يشهد له كل منصف بأنه الحق ، وتشهد له بقية الخير التى فى كتب اليهود والنصارى أنه كذلك : أما القرآن فيقول إنه كان مسلماً ، ومات على الإسلام ، ووصى بنيه بالإسلام عند موته ، وعاش يدعو إلى الإسلام .

مما يقصه الله — جلّ شأنه — قول اليهود والنصـارى (وقالوا : كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ، قل : بل مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً ، وما كان من المشركين) . البقرة : ١٣٥ .

ثم بعد هذه الآية بآيات تأتى هذه الآية (أم تقولون : إن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُودًا أو نَصَارَى ، قل أأنتمْ أعلمُ أمِ الله ، وَمَنْ أظلَمُ مِمَّن كتمَ شهادةً عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون) البقرة : ١٤٠ .

وتدبر قول الله سبحانه (وَوَصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ[1] ؛ يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنتم مُسْلِمُون) البقرة : ١٣٢ .

ولنتدبر وَحْدَة الوصية لفظاً ومعنى ، وقد جاء بها القرآن هكذا ليهدينا إلى هذا فنؤمن أن كلمة الحق واحدة ، وأن كل نبي كان يدعو بها وإليها ويوصى بها . .

قال إبراهيم لبنيه : « إن الله اصطفى لكم الدينَ ، فلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون » .

وقال يعقوب لبنيه : « إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون » .

ولنتدبر أيضاً : (أم كُنْتُمْ شُهَدَاء إذ حضر يَعْقُوبَ الموتُ ، إذ قال لبنيه : ما تَعْبُدُون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهكَ ، وَإلَهَ آبائكَ إبراهيمَ وإسماعيل وإسحاقَ إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) البقرة : ١٣٣ .

ولنتدبر أيضاً مماً قول الله سبحانه : (أَفَغَيْر دينِ اللهِ يَبْغُون ، وله أسلم من فى السَّمٰوَاتِ والأرض طَوْعًا وَكَرْهًا وإليه يُرْجعون . قُلْ : آمنا بالله ، وما أُنْزِلَ علينا ، وما أُنزِل على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وما أُوتِيَ موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أَحَدٍ منهم ، ونحن له مسلمون ، ومن يَبْتَغِ غير الإسلام ديناً ، فلن يُقْبَلَ منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) البقرة : ٨٣ - ٨٥ .

هذا بعض ما هدى به الله عن يعقوب ، وفيه الحق والحكمة والإيمان . ومَن مِنَّا لا يحب يعقوب ، والله يتكلم عنه هكذا ؟ ! إننا بهذه القراءة التى تخلط معانيها بمحبة شغاف القلب نشعر عن بينة جَلِيَّة أن يعقوب القرآن — إن صح هذا التعبير — غير يعقوب أسفار اليهود .

---

(١) أى وصى يعقوب بنيه أيضاً بنفس وصية ابراهيم .

إننى حين أقرأ يعقوب فى أسفار اليهود لا أرى نبياً ، ولا مؤمناً طيباً ، ولا صالحاً يشغف القلبَ حبه ، وإنما أرى شيئاً آخر يثير غثيان النفس ، وتقزز الحس ، وتمت تشعر أن هذه الأسفار لا تتحدث عن نبى ، وإنما تتحدث عن يهودى !! وإليك الدليل .

يعقوب فى أسفار اليهود : لماذا سمى يعقوب ؟ يقول سفر التكوين وهو يتحدث عن رفقة بنت بنوئيل الأرامى زوجة إسحاق : « فلما أكملت أيامها لتلد ، إذًا فى بطنها توأمان ، فخرج الأول أحمرَ كفَرْوَةِ شَعْرٍ ، فدعوا اسمه : عيسو ، وبعد ذلك خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعى اسمه : يعقوب » إصحاح ٢٥ : رقم ٢٤ ـ ٢٦ .

ويتحدث الدكتور بوست فى قاموسه عن عيسو ويعقوب هكذا « وقد اختلف ذوق التوأمين فإن عيسو كان صياداً ، ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام ، غير أن يعقوب كان أيضاً على شىء من حب الذات ، فاتخذ فرصة جوع أخيه عيسو ، فاشترى منه بكوريته » . هذا لأن البكر هو الذى كان يُعْهِد إليه بعد أبيه ، وعيسو هو البكر ، لأنه ولد أولًا ، والعجيب أن سفر التكوين يقول إن يعقوب اشترى هذه البكورية من أخيه بخبز وعدس !! .

ثم يتحدث سفر التكوين عن خيانة يعقوب لأخيه عيسو ، فيقول : إن إسحاق لما أحسّ بدنو أجله طلب من عيسو أن يصطاد ، ثم يصنع طعاماً ، ثم يأتى به أباه ليباركه قبل الموت ، فأوحت أم يعقوب إليه أن يأتى أباه بطعام ليباركه أبوه بدلاً من عيسو ، فقال لها إن أخاه ذا شعر غزير فى جسده .

أما يعقوب فكان أملس ، وهو يخشى أن يشعر إسحاق — وكان قد عمى — بهذا وهو يباركه ، فيلعنه .

ولكن الأم تظل بيعقوب حتى يرضى ، فتلبسه ملابس عيسو ، وتضع على يديه وعنقه جلد جَدْيٍ ، حتى يشعر من يمسهما أن يعقوب أشْعَر ، أو حتى ينخدع إسحاق فيظنه عيسو . وتقدم يعقوب إلى أبيه على أنه عيسو .

وقال لأبيه : « أنا عيسو بكرك . . . قم فاجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك . .. فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك أأنت هو عيسو أم لا » فقدم يعقوب لجسه إسحاق ، فقال : الصوت هو صوت ، ولكن اليدين يدا عيسو ، إذ كان جلد الجدى عليهما ! ! فباركه إسحاق وقال مرة أخرى : هل أنت هو ابنى عيسو ؟ ! فقال : أنا هو ! ! وشك إسحاق فى الصوت ، فقال ليعقوب : تقدم وقبلنى يا بنى : وكان يبغى من وراء هذا أن يشم ملابسه ، ـ وكانت أمه قد ألبسته ملابسى عيسو ـ فتقدم يعقوب وقبله إسحاق ، فشم رائحة ثيابه ، ثم باركه والعجيب أن ينسب سفر التكوين إلى إسحاق قوله فى مباركة يعقوب « ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل . كن سيدا لإخوتك ، ويسجد لك بنو أمك » سفر التكوين إصحاح ٢٧ . أرأيتم كيف ينسب اليهود إلى يعقوب الكذب الدنىء . والخداع القذر فى أجل أمر من أمور الدين فى ملتهم ؟ ! .

ولهذا يرى اليهود أن مثل هذا الخلق السفيه الدنىء خلق ممتاز القيم ! ! أليس خلق يعقوب ؟ ! .

يعقوب والأرض : يتكلم القرآن عن الأرض التى ورثها يعقوب ، ولكن سفر التكوين حريص على أن ينسب إلى الله أنه ورث يعقوب ما سيذكره . ليعمل الحقد اليهودى ، والاغتصاب اليهودى ، والبغى اليهودى [1] على أن تظل هذه الأرض تحت نير الجور اليهودى ! ! .

ينسب سفر التكوين إلى الله أنه قال لإبراهيم : « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير بين الفرات القينيين والقتريين ، والقدمونيين ، والحثيين ، والفرزيين والرفائيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والجرجاشيين ، واليبوسيين » .

---

(١) لا فرق بين يهودية وصهيونية ، فاليهودية دين وضعى لا دين إلهى . أما دين موسى الذى دعا إليه قومه فكان هو الإسلام .

ثم يزعم سفر التكوين أن الله جدد هذا العهد مع إسحاق ، ثم من بعده إلى يعقوب ! ! .

ولهذا تحتشد اليهودية والصليبية وراء هذا الزعم المكذوب لتحقيقه ، فليحذر المسلمون .

أما العهد القرآنى فتدبره فى قول الله سبحانه (وإذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ . قال : إنى جاعلك للناس إمامًا ، قال : ومِنْ ذُرِّيَّتى . قال : لا ينالُ عهدى الظالمين) أى لا يتناول ما وعدتك به الظالمين من ذريتك . فأين من هذا الحق الجليل ذلك الباطل العربيد ؟ وهل ثمت على وجه الأرض الآن ـ وكان قبل الآن ـ قوم أظلم من اليهود ، وأشد منهم وقاحة جَوْر وسفهٍ ودنسٍ ولآمة ؟ ! .

فرية ملعونة : وتنحط المفتريات إلى أدنأ ما للمفتريات من خبث فينسب سفر التكوين إلى يعقوب أنه عبر مخاضة يبوق هو وأولاده ، وثمت لقى الله ـ تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ فى صورة إنسان ، فراح يصارعه حتى طلوع الفجر .

وتزادد الفرية قحةً وإثمًا وفجوراً فتزعم أن الله سبحانه لم يقدر على يعقوب ، فضرب حُقَّ فخذه ، ومع هذا لم يستطع أن يفلت من قبضة يعقوب ، فطلب الله من يعقوب أن يطلقه لأنه قد طلع الفجر . فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى ، ويقول السفر أن الله قال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال لايدعى اسمك فيما بعد يعقوباً ، بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ، قائلا : لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ، ونجيت نفسى . . لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على الفخذ إلى اليوم ، لأنه ضرب حُقَّ فخذ يعقوب على عرق النسا » سفر التكوين الإصحاح ٣٢ . والعجيب أن يبهت المستشرقون ـ ومنهم يهود وصليبيون ـ القرآن بأنه ملىء بالتشبيه ! ! .

لنتدبر ما تكلم به الله عن يعقوب فى القرآن .

ولنقرأ ما تقول كتب اليهود والصليبيين عن يعقوب .

بالقراءة وحدها نشعر ونشعر ونشعر أن الله يتكلم ، ونحن نقرأ القرآن .

وأن « حاخاما » هو الذى ينفث أحقاده فى « المَحْرَقة » ونحن نقرأ كلام اليهود عن يعقوب .

ولنكن على حذر . فلا نظن بكتب هؤلاء القوم ظنًا كريمًا . وحسبنا أنهم نسبوا إلى كل نبي - إلا قلة قليلة - ما يشين ، وما يجعله ردغة وثنية وزور وخداع وخطيئة . يحطمون المثل العليا للبشرية ، حتى تكون الدناءات هى المثل الأعلى للبشرية . سليمان عندهم يعبد أصناماً مختلفة ، داود يغتصب زوجة ، فتحمل منه سفاحاً ! ! بنتا لوط تزنيان مع لوط عليه السلام . أستير البغى اليهودية يوضع لها سفر مقدس فى كتاب العهد القديم ، لأنها بغى ، أو لأنها استطاعت بفتنة الجسد أن تجعل ملكا يقتل شعبه الذى كان يريد تدمير اليهود وبغيهم ! ! .

ولقد كتبت هذا فى هذا العدد ليعلم أولئك الذين يسيرون وراء المستعمر الباغى . أنهم يؤيدون مثل هذا الحقد الأسود والضلالة الملطخة بالإثم الدنىء ، وأن مثلنا العليا فى القرآن هى التى يجب أن نجعلها لنا المنار الأعظم .

« اجتبينا » يقال : جبيت الماء فى الحوض جمعته . والاجتباء : الجمْع على طريق الاصطفاء . ويزيد الراغب الكلمة توضيحاً فيقول « واجتباء الله العبدَ : تخصيصه إيَّاه بفيض إلٰهى يتحصل له منه أنواع من النعم ، بلا سعى من العبد وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء » ويعنى بقوله : بلا سعى أن هذا الاجتباء فضل من الله سبحانه ، وإلا فسعى هؤلاء الأبرار فى الحياة هو خير السعى وأكمله وأصلحه وأبره وأعظمه .

« خروا » فى الراغب : « خَرَّ : سقط سقوطاً يُسمع منه خرير ، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو ، وقوله تعالى : خروا له سجداً ،

فاستعمال الخر تنبيه على اجتماع أمرين : السقوط ، وحصول الصوت منهم بالتسبيح[1] » .

« بُكِيًّا » عن الراغب أيضاً : البكاء ـ بالمد أى إثبات الهمزة ـ سيلان الدمع عن حزن وعويل . يقال إذا كان الصوت أغلب . وبالقَصْر ـ أى بحذف الهمزة ـ يقال إذا كان الحزن أغلب ، وجمع الباكى : باكون ، وبُكِى .

وأصل بُكِى : فُعُول . كقولهم : سُجُود فى جمع ساجد ، ورُكُوع فى جمع راكع وقُعود فى جمع قاعد . لكنهم قلبوا الواو فى بُكِى : ياء ، ثم أدغمت الياء فى الياء مثل جاثٍ وجُثِيّ وعاتٍ وعُتى ، والفعل بكى يستعمل فى الحزن وإسالة الدمع معاً وفى كل منهما منفرداً .

المعنى

ذكرنا سبحانه وتعالى فى سورة مريم بصفوة مجتباة من خير عباده ، لنحاول أن نكون مع الله مثل ما كانوا طاعة وتقوى وخشية ، ولنتخذ منهم لنا مثلا عليا فى عبادتنا لله ، وسلوكنا فى الحياة مع كل شىء (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقْتَدِه » .

وقد ذكر مع كل نبى أو ولى صفته أو التى بها أحبه الله ، وأنعم عليه .

أرأيت إلى زكريا وكل شىء حوله وعنده يؤكد له أنه لايجوز له أن يطمع فى ولد ، غير أن إيمان زكريا بالله كان أعظم مما يوحى به إليه الواقع ، وينزع به إلى اليأس ، فلم ييأس ودعا الله ، واستجاب الله له بما يؤكد لنا أن الله هو المهيمن على السُّنن ، وليست السُّنن هى التى تهيمن على الله .

---

(١) كلام يدل على ذكاء الراغب وبصره بلغة القرآن لولا ما فى الراغب من سمة الاعتزال ، وهو حين يتدبر هدى القرآن بلا مذهبية يكون أقوى ما يكون فهماً وأدق وأصدق قولا ، وحين يواجهه بمذهبية يكون أضعف ما يكون فى الشرح .

ثم أرأيت إلى مريم كيف واجهت العواصف والرعود اليهودية ، وتحدت الضراوات المنهومة المتوحشة ، لتطيع أمر الله ؟ .

ثم أرأيت إلى إبراهيم كيف يجادل أباه ، ثم يعتزل الشرك والمشركين فى قوة نفسية لا تحن به إلى معاشرة مشرك مرة أخرى .

ثم إسماعيل الذى أذعن صابراً راضياً مؤمناً فى روعة وطاعة يسجد لها التاريخ فى إجلال ، إنه رضى بأن يُتَلَّ جبينه ليذبح تنفيذاً لرؤيا رآها إبراهيم .

هذه المُثُل العليا ، قد حققت فى الحياة بالجهد البشرى ، والهدى الإلٰهى أروع وأعظم ما تحققه الإنسانية فى تاريخها الطويل ، لم يكونوا ملائكة ، بل كانوا بشراً لهم غرائزنا وعواطفنا وكل خصائصنا البشرية ، وحسبك هذا أن الله يهدينا إلى أن خاتمهم — صلى الله عليه وسلم — هو بشر مثلنا ، وكل منا يعرف ويحس ويشعر ببشريته هذه . وقد استطاعت هذه البشرية التى هى مثل بشريتنا سواء بسواء أن تحقق فى الوجود من الحق والخير والعدل والهدى والسمو ما يحسبه الناس معجزات ، كل هذا بهدى الله ، ذلك يؤكد لنا أن البشرية تستطيع بهدى الله سبحانه أن تحقق هذا كله ، إذا أخلصت وصدقت وجاهدت وآمنت كما فعلت بشرية الرسل .

إنهم أوحى إليهم ليعملوا ولنعمل معهم بما أوحاه الله ، فعملوا هم ، فحققوا ما حققوا ، فكان واحد منهم بأمة كما قال الله عن إبراهيم .

واستطاع محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن معه بهدى الله إقامة أمة وإقامة دولة لن يستطيع التاريخ أن يتحدث عن مثيل لها إلا إذا سلك الناس ما سلكه محمد وصحبه .

الله — سبحانه — يذكرنا إذن بهؤلاء لنعمل ما عملوا ، ولنسلك ما سلكوا ، وليهدينا إلى أن للبشرية قدرة عظيمة تستطيع أن تقيم فى الوجود كل حق وخير وعدل وعظمة ، فقد استطاعت أن تفعل هذا فى كثير من عصور التاريخ بشرط واحد ، هو أن يكون وحى الله رائدها ، وهاديها .

كما يهدينا إلى أن البشرية بفرد واحد مخلص قوى الإيمان يحتشد حوله صحبه — لهم أقباس من إيمانه وهداه — تستطيع أيضاً تحقيق تلك المعجزات الخوالد الذكرى .

« إدريس » ذكره الله فى آيتين ، هذه التى أهتدى بها ، وأتكلم عنها والآية الأخرى (وإسماعيل وإدريسَ ، وذا الكفل كل من الصابرين ، وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين) الأنبياء ٨٥ ، ٨٦ .

وبالتدبر ندرك أن أهم صفات هؤلاء الذين يذكرنا الله بهم : الصبر والصلاح ، وأنهم إذا ما ذكروا بآيات الله خروا سجداً وبكيا .

ومن الآيتين تتجلى لنا صفات إدريس التى من أجلها ذكرنا الله به ، فهو صِدِّيق ، أى كثير التصديق ودائم الصدق ، باطنه يصدق ظاهره ، وظاهرُه يصدق باطنَه .

والوحدة الكاملة بين اعتقاده وقوله وعمله ، وحدة صادقة ، فلا انفصام فى ذاتيته ، ولا مفاضلة بين ما يفكر فيه ، وبين ما يأتى من عمل .

ثم هو صابر ، صالح ، وهما من أعظم صفات البشرية التى بدونهما لا يتحقق للإنسان قيمة ولا مكانة ولا سعادة .

« ورفعناه مكاناً علياً » . وتدبر مع هذه قوله سبحانه : (كل نفس ذائقة الموت) وقوله سبحانه (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أَفَإِنْ مِتَّ ، فهم الخالدون) . بهذا الهدى الإلٰهىّ نؤمن أو يجب أن نؤمن أن إدريس مات ، وأن من يزعم أنه رفع حياً إلى السماء ، فقد أعظم الفرية .

ومن يزعم أنه مات فى السماء ينسى قول الله سبحانه (منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى) وينسى أن الحكم فى أمر من أمور الغيب يجب أن يستند إلى نص صحيح صريح ، وليس فى القرآن ما يفسر هذا الرفع بأنه رفع حيًّا إلى السماء ، وكذلك ليس فى الحديث .

أما ما جاء فى حديث الأسراء ، فأمره إلى الله سبحانه ، وليس دليلاً على ما يقول

هؤلاء ، فما هو إلا آية لنفس الليلة ، وما أجمل ما قاله بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية (ورفعناه مكاناً علياً) يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله ، وقيل الجنة .

« أولئك الذين أنعم الله عليهم » لم يُذكر فى الآية ما أنعم الله به عليهم ، لتعم ويعظم شأن النعمة .

كأنما يراد القول أن هؤلاء هم الذين لهم الإنعام ، كما أن الآية توحى بأن ما ذكره الله عنهم من نبوة وصديقية وغيرها هو من نعم الله عليهم ، وتوحى أيضاً بأن هذه النعم الروحية جلبت لهم نعماً أخرى فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، ولهذا يقول المفسرون : بأنواع النعم الدينية والدنيوية .

« من النبيين » تفسير وبيان للذين .

« من ذرية آدم » أى بعض ذرية آدم .

والمتدبر للآية يجد أن هذا الإنعام العظيم الخاص هو لطائفة واحدة هى الطائفة المؤمنة ، التى يجمع بينها نسب روحى واحد هو الإيمان وإن كانت قد فرقت بينهم أبوات وأنساب بشرية خاصة ، وقد نعتهم الله بأنهم ممن هداهم ، وخذ الهدى بكل معانيه .

وممن اجتباهم واصطفاهم لما هو نعمة وخير لهم كالنبوة والصديقية وغيرهما .

« إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا » لم تنزع بهم خيلاء إلى كبرياء ، ولم يغررهم ماهم عليه من عظمة الإيمان وكمال الذات وسمو النعمة بل جعلهم ذلك كله أشد خوفاً من الله وتقوى له ، ورجاء فيه واستشرافاً إلى رحمة الله ومغفرته .

مم يبكون ؟ .

والبكاء أحزان ودموع .

أهم أحزان لما تقدم منهم ؟ لأنهم يرون ما يعملون ، لا يكافىء الفضل الأعظم ؟ .

أشعورهم ببشريتهم وعبوديتهم ، ثم تفكيرهم فى نعم ربهم وكبريائه وجلاله وجماله جعلهم هكذا .

إن السجود مع البكاء عند تذكر آيات الله دليل أقوى ما تكون الأدلة على أنهم قوم ليلهم ونهارهم خشية وحب لله .

قارن بين البكاء والسجود من هؤلاء وبين عتو وجحود من تذكرهم بآيات الله فيأبون إلا أن يتذكروا ضلالة الشيوخ والتراث الملعون من سفه الماضين ! ! .

اللهم إنا نضرع إليك يارب أن تجعلنا ممن إذا ذكروا بآياتك خروا سُجَّدًا وبكيًا .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

رجاء

نرجو السادة المشتركين المبادرة بإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة الاشتراك السنوى كالآتى :

٤٠ أربعون قرشاً بالجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خمسون قرشا بالخارج .

وترسل النقدية بحوالة بريدية باسم السيد / محمد رشدى خليل أمين الصندوق ٨ شارع قوله عابدين .

كما نرجو السادة المتعهدين بإرسال ما بعهدتهم وشكرا .

الزوجان

للسيدة الجليلة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا

بعد غيبة طويلة طالما سئلنا فيها من الإخوة عن أسبابها — تعود السيدة الجليلة إلى الكتابة ، فتتحفنا بهذا المقال الرائع التى فضلت فيه القول ، وآتت فيه بمعان جديدة يدل الوصول إليها على ألمعية شفافة نادرة .

ونحن نضرع إلى الله أن يمدها بروح منه ، وأن يمتع المسلمين بحياتها الطيبة ، وبيانها الرائع الممتع .

الزوج خلاف الفرد . والأصل فى الزوج الصنف والنوع من كل شىء . وكل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان وكل واحد منهما زوج . وقوله تعالى (أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً) أى يقرنهم ، يجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات فذلك التزويج أى التصنيف ، وقوله تعالى [وأنبتت من كل زوج بهيج] قيل من كل لون أو ضرب حسن من النبات . لسان العرب

وخلق تعالى من كل شىء زوجين اثنين ، وهما الذكر والأنثى . وذلك ليحفظ النوع ، وليبدأ الخلق ثم يعيده ، كما بين تعالى فى قوله [ومِنْ كُلِّ شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون] وقوله [ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين] فلقد خلق تعالى الذكر والأنثى ، فى الإنسان والحيوان والحشرة والنبات .

والزوجان من بنى الإنسان هما جنس الرجال وجنس النساء وأول زوجين من البشر خلقهما الله تعالى فكانا أول والدين على هذه الأرض وكانا سبب عمرانها بما أنجبا من بنين وبنات . هما آدم وحواء .

قال تعالى [يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء] .

أى خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها أى من جنسها زوجاً هو إنسان يساويه فى الإنسانية . فقد خلق تعالى حواء من نفس آدم لا من طينة غير طينته . فهما بهذا تحمل عناصر الطبيعة التى يحملها وتساويه من حيث بشريتها وإنسانيتها وبذلك رفع تعالى من شأن حواء ومن شأن كل أنثى .

وقد جاء مثل هذا فى قوله تعالى [لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم] وقوله [ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمه] .

نعم . وصدق تعالى . فمن آياته الحكيمة ورحمته بعباده . أن خلق للرجل المرأة ، وخلق للمرأة الرجل ، ليسكن كل منهما إلى الآخر .

وما أبلغ وصفه تعالى ما بين الزوجين بالسكون . فالسكون ارتياح واطمئنان . وثقة وائتلاف وانسجام . وينتج من ذلك ولابد . صداقة وإفضاء متبادل كما بين تعالى فى آية أخرى بقوله [وقد أفضى بعضكم إلى بعض] .

فالإفضاء بين الزوجين قلبي لا جسدى وحسب . وذلك لأن التفاهم لا يكون إلا بالإمتزاج الكامل والإنسجام . والمرء فى أشد الحاجة إلى قلب يشكو له ويطمئن إليه وإلى صديق يقدر شعوره وآلامه ويعطف عليه . فلا يستحى من أن يفضى إليه بسره وما يكن فى صدره . إذ لا شيء يربط القلب بالقلب . ويدعو إلى الائتلاف والحب . كإفضاء القلب إلى القلب . وإصغاء القلب إلى القلب .

فإن الإفضاء تعانق روحين . وتفاهم عقلين . وتآلف نفسين . لا اتصال بدنين وحسب . ولا راحة للقلب ولا سعادة . كسعادة الشكوى إلى قلب يفهمه ويشجعه ويهدهد

قلبه ويناجيه . ويقاسمه سروره ويبادله شعوره ويواسيه . ويحنو عليه ويخفف عنه ويعزيه فإن شكوى المتألم تروح عن نفسه وتبدد ألمه أو تخففه . وترنم السعيد بسعادته يزيد سروره ويضاعفه . فلابد المتألم أن يشكو ويتأوه . كما لابد للسعيد أن يبتهج ويترنم .

ولذلك منّ الله تعالى على الإنسان بهذا الفضل العظيم بقوله : [ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة] المودة أو الود فى لسان العرب . الحب وهو من الأمنية . فوددت لو أنك تفعل ذلك . أى تمنيت . فالمودة إذن هى حب وتمنى معاً . والتمنى شوق . فلابد لمن أحب أن يتوق إلى من يحب روحياً وبدنياً لأن الإنسان مكون من روح وبدن . ولاشك فى أن من أحب شخصاً تمناه . وكلما زاد حبه له كلما اشتهاه . ولكن يجب ألا تكون الرغبة الجسدية مبعث الحب . بل يكون الحب هو مبعث الرغبة . فالعلاقة الروحية التى تنشأ عن القلب أقوى وأصدق وأدوم من المادية التى تنشأ عن البدن .

فإن الله تعالى جعل بين الزوجين تجاذبا فطرياً قوياً هو الأساس الأول للعلاقة بينهما لا تحلو بدونه الحياة . وهذا التجاذب ينشأ عن المودة . وهى حنين . وعن الرحمة . وهى حنان . والحنين والحنان هما آيات الحب الذى يربط كلا منهما بالآخر فيسكن كل منهما إلى الآخر .

إن هذا الشعور المقدس لحكمة من الله ورحمة . إذ كثير مايعمى البصر والبصيرة عن العيوب والنقائص ويبالغ فى إبراز المحاسن والمزايا فيدعو إلى الرضا والتوفيق . قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين البغض تبدى المساويا

ولذا لاينفر زوج من عيوب زوجه ويجد كل دميم أو ناقص زوجاً يرضاه بل يتمناه فبالرحمة وحكمة الله .

فإن هذا الشعور الغريزى القوى . أمر إلهى قهرى . لا اختيار عقلى . فكم دفع بالمرء إلى عشق العيوب لا المحاسن وتفضيل نقص الحبيب على كمال وجمال غيره . فيرى عيبه جمالا . ويعتقد نقصه كمالا . ولا يحبه من أجل جماله وصفاته . بل يحب جماله وصفاته من أجله . ومن لايرى إلا مزايا زوجه ولا يحب إلا جماله الموهوم . ولا يحس إلا كماله المزعوم . قصر نظره على زوجه وغض من بصره لحافظ على طهره .

فما أجمل هذا الغرور النافع الذى يَسعد به المرء ويُسعد غيره . وما أكرمك يا ربى وما أرحمك بأن جعلت بين الزوجين مودة ورحمة . وأنعمت على الإنسان بالحب . لأنه يصون المرء ويروض نفسه على الإمتثال والطاعه . ويقتل كبرياءها وزهوها فيدعوها إلى التواضع والوداعه . ويخمد أثرتها وشحها فيدعوها إلى الإيثار والقناعه . ويضرم طموحها وجدها فيدعوها إلى الصبر والشجاعة .

فطوبى لمن روضه الحب وإن عذبه . فصقله وهذبه . وصانه وراقبه .

ونعمة المودة والرحمة تتفاوت فى القلوب وتختلف . فهناك من يحظى بقسط وفير منها . ومن لم يحظ إلا بالقليل منها . وهناك التعس الذى تتلاشى هذه النعمة من قلبه حتى تزول فيشقى ويُشقى . وهناك الشقى الذى لم ينعم بنعمة المودة والرحمة فلكل قاعدة شواذ .

من تأمل هذه الآية الكريمة وجد أنها صغيرة فى حجمها كبيرة فى معناها عظيمة فى مرماها جزيلة فى مغزاها . آية أمرت الزوجين بما يليق بالإنسانية من تراحم وتفاهم . وسمت بالعلاقة بين الجنسين عن المعنى الحيوانى البحت إلا معنى روحى غايته سعادة العقل لا سعادة البدن وحسب . بل وجهت الإنسان إلى ما يسعد الأسرة فتسعد بذلك الإنسانية .

فيالها من آية حوت آيات معجزات . ولذلك اختتم الله تعالى هذه الآية بقوله (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

وقال تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) هذه آية كريمة وكلمة رحيمة ساوت بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات . وأكدت أن المرأة لها ما للرجل وعليها ما عليه : فكل منهما له حقوق كما أن عليه واجبات نحو الآخر . ثم يمتاز الرجل بدرجة . وتلك الدرجة التى للرجال على النساء هى درجة القوامه . فالرجل والمرأة سواء فى كل شىء وهما أكفاء . والحقوق بينهما متبادلة كالواجبات . فلابد لكل منهما أن يقابل الآخر بالمثل أو بما يعبر عن الشكر والتقدير . قال بن عباس رضى الله عنهما : إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى . وقالت السيده عائشة رضى الله عنها : إن النبى كان فى مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

وقال الشيخ رشيد رضا : ما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله له إن لم يكن مثله فى شخصه فهو مثله فى جنسه .

فهما متماثلان فى الحقوق والأعمال كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والعقل . أما تلك الدرجة التى للرجال على النساء فهى درجة الولاية والإنفاق والرعاية والحياطه . لا درجة الاستبداد أو الظلم أو التحكم أو الإهانة . فقد بين تعالى هذه الدرجة بقوله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا (١) انتهى .

(الرجال قوامون على النساء) القيام بمعنى المحافظة والإصلاح وقوله تعالى (إلا ما دمت عليه قائما) أى ملازما محافظا . لسان العرب .

نفهم من هذه الجملة أن الرجل قيم على المرأة . ومن أهم واجبات القيم نحو الطفل ونحو المرأة أن يسهر على مصلحتها ويحافظ على أموالها ويعنى بخلقها ودينها وتهذيبها . فإن هذه القوامة من مصلحة المرأة لأنها رعاية وحماية لها وعناية ورحمة بها.

وهى فريضة على الرجل فهو مسؤول عن العواقب وعن الإنفاق . مسؤول عن سعادة وراحة زوجه وأهله . رقيب على خلقهم ودينهم مأمور بإرشادهم وتربيتهم . فكل راع مسؤول عن رعيته كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم وسبب هذه الرياسة أن الله تعالى فضل الرجل على المرأة فى الخلق وأعطاه مالم يعطها من قوة الجسم وشجاعة القلب . فكان أقدر على الكسب والحماية والدفاع عن أهله ووطنه .

وقد أثبت الله تعالى امتياز الرجل على المرأة بقوله على لسان امرأة عمران (وليس الذكر كالأنثى) وليس بعد قول الله قول ولامرية ولا مراء .

وخص الله تعالى المرأة بالحمل والوضع والرضاع وحضانة الأطفال وتربيتهم والسهر على صحتهم وخلقهم وتدبير المنزل والحرص على مال زوجها ، فلكل منهما ميدانه الذى أعد له . ولكل منهما حرفته التى يصلح لها وخلق لها .

ثم قال تعالى (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .

قال الأستاذ الإمام : الغيب هنا هو ما يستحيا من إظهاره أى حافظات لكل ماهو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شىء مما هو خاص بالزوج .

والباء فى قوله تعالى (بما حفظ الله) هى صنو باء (لاحول ولا قوة إلا بالله) فالمعنى حافظات للغيب بحفظ الله . أى بالحفظ الذى يؤتيهن الله بصلاحهن . فإن الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه مايجعلها محفوظة من الخيانة . قوية على الأمانة .

أو حافظات له بسبب أمر الله بحفظه فهن يطعن ويعصين الهوى . وقال تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) النشوز هو الارتفاع . فالمرأة التى تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت أن تكون

فوق رئيسها . بل ترفعت أيضاً عن طبيعتها فتكون كالناشز من الأرض الذى خرج عن الاستواء . (١) انتهى .

فالموعظة الحسنة هى أول مايعالج به الرجل خلافه مع زوجه .

فإن لم تنجح الموعظة فالهجر فى المضجع لاهجر المضجع ذاته . إذ ربما يكون ذلك سبباً لزيادة الجفوة .

وذلك لأن الاجتماع فى فراش واحد وتكرار هذا الاجتماع كل ليلة يثير حنين كل منهما إلى الآخر . والحنين يخمد الغضب ويدعوا إلى العتاب والتفاهم ، ثم الاعتذار والتسامح ، فيزول مابينهما من جفوة أما إذا لم ينجح الهجر فى المضاجع فالعقوبة البدنية بالضرب . فإن خيف الشقاق فالتحكيم بين الأقربين من الطرفين كما قال تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيراً) .

قد يستنكر بعضنا هذا القصاص البدنى ويعتبره توحشاً . ألا فليعلم كل عاقل أن هذا الضرب بلا إيذاء ولا إيلام . ما هو إلا احتقار وإهانة لمن لايستحى مما يوجب الحياء ولا يخشى غضب الله .

فإن المرأة التى لا ترعوى بالوعظ والنصح ثم لا ترتدع بالهجر والإعراض . فهى امرءة تافهة حقيرة غير جديرة بالاحترام والإعزاز . ومن لا يجدى معه وعظ ولا يخجله هجر لأنه استهانه . حق عليه الضرب واستوجب الإهانة . وما أجدرها بالاستهانة والإهانة .

إن الله تعالى لم يأمر الرجل بهذا القصاص المزرى على توافه الأمور . بل أمر به ممن تخرج على حدود الله وحقوق الزوج .

فما هذا القصاص إلا إصلاح للمرأة ومحاولة لإنقاذها من غضب الله وعقابه . وهو

علاج لنفسها العنيدة ينجيها من شرها ويقودها إلى خير الدنيا والآخرة بطاعة الله وتقواه . والنساء يختلفن ويتفاوتن فى العقل والثقافة والخلق والتقوى . ولذلك يختلف التوجيه والعقاب .

فمنهن الصالحة التى تتعظ بالموعظة الحسنة وتندم وتستغفر لربها . ومنهن من ترعوى بالهجر فى المضجع لأنها تحب زوجها فترجع عن ذنبها . ومنهن الجاهلة الغبية العنيدة التى لاتتعظ بوعظ ولا ترتدع بهجر ولا تبالى بضرب وتصر على ماتعمل وتتبع هواها .

ولذلك قال تعالى فى وصف المرأة المؤمنة الصالحة كيف يجب أن تكون وإلا وجب الوعظ ثم الهجر ثم الضرب . فالصالحات قانتات حافظات للغيب . فالمرأة الصالحة القانتة تقية مطيعة لله ورسوله مخلصة لزوجها حافظة غيبته بما يجب حفظه فى النفس والمال . حافظة لأسراره وحقوقه وعرضه وشرفه . لاتأتى فى غيبته مالا تأتيه فى حضوره . أما إذا لم تكن صالحة قانتة فالرجل مأمور بوعظها وتربيتها لإنقاذها وإنقاذ نفسه وأولاده من شرها .

فواعجباً لرجل يرضى لنفسه أن يقاد ولا يقود . ولا يخجل من أن يساد ولا يسود . رجل يصلى ويصوم ولا يأنف أن تخرج امرأته على حدود الله فتبدو أمام الرجال حاسرة متزينة كاشفة عن صدرها وذراعيها وساقيها وأكثر من ذلك . ويتناسى واجباته . ويتغاضى عن مسؤولياته . ويدعى أنه لايستطيع ردعها ولا إقناعها وهو القيم عليها المسؤول عن أخطائها المأمور بوعظها وهجرها ثم ضربها .

هذا الرجل الناقص الضعيف الذى تسوقه المرأة أينما تشاء وتعبث به كيفما تشاء وتأمره بما يغضب الله فتمنعه عن صلة رحمه وبر أهله فلا يعظها ولا يصر على محاولة إصلاحها بكل الوسائل المستطاعة كما أمره الله فيهجرها فى المضجع . بل هى التى تهجره فى المضجع لضعفه وتقاطعه إذا رفض لها طلباً أو انتقد فيها عيباً أو رأى منها ذنباً . هذا

الرجل التافه ليس جديراً بالزوجية ولا بالرجولة ولا بالأبوة . والإسلام برىء منه لأنه لايطيق غضب حبيبته فلا يكترث لغضب ربه . ولا يستحى بعد ذلك أن يدعى الإسلام والإيمان .

فإن الزوج الذى يحب من تأتى المنكر ولا يزجرها . ويرضى عمن تعصى الله ولا يهجرها . ليس مؤمناً كما أكد سبحانه فى قوله :

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) .

فإن المؤمن الصادق لاينظر إلى أحد من خلال محبته أو عداوته .

بل ينظر إلى نفسه وغيره ببصره وبصيرته . ويجعل العقل بحكمته رائده . كما يجعل الحق ببرهانه قائده المؤمن الحق يحترم مايوجب الاحترام فيمن أبغضه . كما يحتقر ما يوجب الاحتقار فيمن أحبه . ولايتحيز له فيصغر ذنبه .

ولا يغمض عينيه فلا يرى عيبه .

فويل للمرأة من هذا الحب البغيض الذى يفسدها . ومن خطر هذا الزوج البليد الذى يهددها . فهو زوج يضلها بضعفه . ويفسدها بشغفه . ويهلكها بعطفه . فيسعى لحتفها وحتفه .

إن الزوج الذى يحب زوجه حقيقة هو الذى يحاول أن يسمو بها إلى مستوى عقله ودينه وثقافته وتقواه . ليسعد بها ويفضى إليها . إذ كيف ينسجم ويتفاهم ذكى مع غبى وفاجر مع تقى . ومثقف مع جاهل وسفيه مع عاقل . وكيف يتصل العقلان ويتحد القلبان وكل منهما لايفهم الآخر ولايفكر معه . وكيف يعيش سعيداً من يعيش وحيداً ؟ .

وما أجمل وأبلغ ما قال الأستاذ عباس محمود العقاد فى عقوبة ضرب المرأة .

إن المقام مقام عقوبة بل تقام العقوبة بعد بطلان النصيحة وبطلان القطيعه . ولم يخل

العالم الإنسانى رجالا ونساء ممن يعاقبون بما يعاقب به المذنبون . فما دام فى هذا العالم امرأة من ألف امرأة تصلحها العقوبة البدنية فالشريعة التى يفوتها أن تذكرها ناقصة والشريعة التى تؤثر عليها هدم الأسرة مقصرة حنان .

وقد أجازت الشرائع عقوبة الأبدان للجنود ولها مندوحة عنها بقطع الوظيفة وتأخير الترقية والحرمان من الأجازات والحريات . فإذا امتنع العقاب بغيرها لبعض النساء فلا غضاضة على النساء جميعا فى إباحتها . ودعا يقول عاقل إن عقوبة الجناة تغض من الأبرياء وإلا لوجب إسقاط جميع العقوبات من جميع القوانين .

ثم قال تعالى فى آخر الآية (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى أن أطعنكم بواحدة من هذه العقوبات الثلاثة فلا تبغوا بتجاوزها إلى غيرها طريقاً .

إن الله كان عليا كبيرا فاحذروه هذا تهديد للرجال إذا بغوا على النساء بغير سبب فإن الله العلى الكبير ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن .

وبين تعالى للناس أنه لا يجوز للرجل أن يترفع على المرأة كما لا يجوز للمرأة أن تترفع على الرجل فأثبت بذلك أنهما سيان فى الاحترام ولا سيادة لأحدهما على الآخر . وأن كلا منهما يجب أن يحسن معاملة الآخر وإن يحترمه ويتواضع له . قال تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا . والصلح خير) كما قال تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجرهن فى المضاجع واضربوهن) .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم عنى بالرجل وزيادة . وأن الرحمن الرحيم سن قوانين وأمر بأوامر تَسعد بها حياة الزوجين . وأوصى الرجل بالمرأة خيرا وحض الرجل على التمسك بزوجه حتى لو كرهها ورغب عنها بقوله (وعاشرهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

وعاشر زوجك بالمعروف حتى لو كرهتها [فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لـكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لـكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون]

نعم . فلربما تكره زوجا تسعدك بصلاحها لا بجمالها . وتربى أولادك على طاعة الله وتسهر على راحتك وتحفظ مالك وعرضك . وتكون فى شيخوختك او مرضك خادما مخلصة أمينة وممرضة حنونا . ولربما أحببت زوجا جميلة تنغص عيشك وتفسد ولدك وتخرب بيتك وتبدد مالك وتدنس شرفك . الله هو الذى يعلم أين الخير وأين الشر وأنتم لا تعلمون .

فطوبى لمن أطاع أوامر القرآن فسعد وأسعد . وويل لمن أعرض عن آياته ففسد وأفسد . [فهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلـكون إلا أنفسهم وما يشعرون]
صدق الله العظيم

وعد الله

﴿ وعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الذين من قبلهم وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليُبَدِّلَنَّهُمْ من بعد خوفِهِم أمْنًا . يعبدوننى لايشركونَ بى شيئًا . ومن كفر بعـد ذلك ، فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

هذه الآية الـكريمة تضمنت ذكر رب الوعد وذكر الموعودين ومضمون الوعد وشرط تحققه .

أما رب الوعد : فهو الله الملك الجبار المهيمن « ومَنْ أوفى بعهدِهِ من الله » « وعدَ اللهِ لا يُخلف اللهُ وعده ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون » فمن شك فى تنفيذ الوعد إذا تحققت شروطه فقد خرج من حظيرة الإيمان .

أما الموعودون فهم « الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » .

الذين آمنوا بالله تعالى ووحدوه فى ربوبيته وألوهيته وصفاته وأفعاله وأقواله وآمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه وأخذوا ما أتاهم وتحللوا من ربقة التقليد وأغلال التبعية للآباء والعرف وشيوخ الطوائف .

وآمنوا بكتاب الله فتلوه وتدبروه واتبعوا أحكامـه وشرائعه وأوامره ونواهيه وهكذا فالموعودون هم الذين استكملوا كل شروط الإيمان . إيمان بالله وملائـكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . ثم بعد ذلك جمعوا بين الإيمان والثمرة التى لابد أن يؤدى إليها الإيمان الصحيح وهى العمل الصالح .

والله تعالى يقول « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » ولم يقل الذين آمن وعمل الصالحات لأن مضمون الوعد لايتحقق إلا مع الجماعة وفى هذا مايدفع جماعة المؤمنين إلى التماسك والأخوة والترابط وتحطيم الحواجز والفواصل والحدود .

وفى هذا أيضاً مايحبط كل دعوة إلى الفرقة واتخاذ الأسماء والألقاب الزائفة المحدثة المصطنعة من صوفية وطرقها وشيعة وبهائية وقاديانية واسماعلية وغيرها فدين الله لايعرف إلا لقباً واحداً « هو سماكم المسلمين » .

لقد أنزله الله تعالى من السماء وما نبت من الأرض .

لقب يخرج به الإنسان إلى الدنيا فيحاول الشيطان أن يجرده منه فيأتى أبواه فيهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه — أو . . . . . يصوفانه أو يبهآنه أو يقديانه أو يشيعانه .

فماذا عليهم إن كانوا مخلصين لدين الله أن يسموا أنفسهم مسلمين ومسلمين فحسب . لقب فيه جمع الشمل وتوحيد الكلمة لا ألقاب فيها الفرقة والضياع .

أما مضمون الوعد فثلاثة أشياء .

أولا : الإستخلاف فى الأرض « ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » .

استخلف الله تعالى فى الأرض قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه وبنى إسرائيل إذ قال لهم « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض » .

وكلما فقدت أمة من هذه الأمم شروط الإستخلاف كلما شتت الله شملها وفرقها فى الأرض ثم جاءت أمة محمد صلى الله عليه وسلم . جاءت الأمة الوسط فكان أصحابها الشهداء على الناس . جاءت خير أمة أخرجت للناس فاستخلفها الله تعالى فى الأرض وسقطت تحت أقدامها العروش وهوت التيجان والأمبراطوريات وامتدت شرقا وغرباً وشمالا وجنوباً وأنشأت مجداً وحضارة وتاريخاً .

وعُرِّفت البلاد والأمصار لا لشىء إلا للدخول فى لغة الكتاب الذى نزل من السماء وجاء به الإسلام . فكان الباب الذى دخلت منه أمة العرب إلى التاريخ والسيادة هو الإســـلام .

فالأم التى منحت الأمة العربية الوجود هى الإسلام ويوم أن تنكر هذا الوليد لأمه. ويوم أن نسيت الأمة الباب الذى دخلت منه فمنحها الوجود والعزة يوم أن جاءها التفرق وذهاب الريح حتى وصل الأمر إلى أن خفته من المشردين فى الأرض الذين كتبت عليهم الذلة والمسكنة اغتصبوا فلسطين . . من أرض النبوة والوحى والحرم الثالث فى الإسلام .

إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاتستطيع أن تدخل فلسطين مرة أخرى إلا من الباب الذى دخلت منه فى المرة الأولى يوم أن انداح الباطل أمام جحافل الحق وسقط الضلال أمام قوم جاءوا لاعلاء كلمة الله .

فالذين دخلوا ديار بنى إسرائيل من قبل وصفهم الله تعالى بقوله :

« عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار . . . » .

فهم عباد الله يعبدون الله تعالى حق العبادة وأولوا بأس شديد فى الحق .

ثانيها : تمكين الدين .

« وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم » هذا الدين هو الإسلام « ورضيت لكم الإسلام دينا » .

وتمكين الدين أن تكون له القوة والنفوذ والسيادة والتوجيه والكلمة فى العالم وتكون كلمة الإسلام وقواعد الإسلام وتعاليمه هى التى تسود العالم ويتمكن أصحابه من العمل بها ونشرها فى حرية وبغير خوف أو رعب فتسارع الشعوب إلى الارتماء فى أحضانها تنشد العدل والأمن والسلام

أسألوا التاريخ ما الذى جعل الشعوب تستقبل فرحة مهللة جيوش المسلمين ؟ لأنها لم تكن تحمل معها الغزو والعدوان إنما كانت تحمل الأمن والسلام ولأنها كانت تعلم أن هذه الجيوش جاءت لتحمى الحرية لاتعتدى عليها وتقيم الإنسانية لاتحطم قيمها . جاءت لحماية النساء والأطفال والمستضعفين فى الأرض .

هذا منذ أربعة عشر قرناً من الزمان . أما فى القرن العشرين فاسألوا أطلال « هيروشيما » و « نجازاكى » اللتين كانت فيها التجربة الأولى الحية للعدوان الذرى كم عدد الأطفال والشيوخ والنساء والمشوهين الذين راحوا ضحيتها ! !

أما فى القرن العشرين فما زالت أشلاء الأطفال والنساء والشيوخ تتطاير فى « فيتنام » تحت وابل قنابل أصحاب « وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » .

أما فى القرن العشرين فما زال علم اللصوصية يرتفع فى فلسطين يعيش تحت ظلاله الغاصبون وتسنده أيدى الذين ينعقون « باركوا لاعنيكم وأحبوا مبغضيكم » ويصمون أذانهم عن أنين اللاجئين خلف الأسلاك الشائكة .

ويا أسفاه ويقفون فى معابدهم وما زالت أيديهم ملوثة بدماء جريمة قتل الأطفال والنساء والأبرياء وفى عقولهم المزيد من خطط العدوان ومع ذلك تهتف ألسنتهم . . . على الأرض السلام وبالناس المسرة ! ! !

ثالثها : الأمن والسلام :

« وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

لا يعيشون فى رعب من خوف أو عدوان ولا يعيشون فى فزع من ذرة أوصواريخ .

هذه هى الأشياء الثلاثة التى تضمنها وعد الله تعالى ثم يأتى بعد ذلك الشرط الذى يتحقق به الوعد وهو :

« يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » .

ولم يكن ذلك إلا لأن التوحيد يحرر الفرد والأمة من الذل والعبودية والخشوع والخضوع إلا الله تعالى .

كان العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة لا تكاد تستقر فى مكانها ولم تستطع حتى أن تصمد أمام أصحاب الفيل الذين جاءوا ليهدموا أقدس ما لدى العرب وليسلبوا أعز

ما يملكونه وليقوضوا أركان البيت العتيق الذى تشرف وتفخر به على سائر الأمم ومع ذلك لم تعمد هذه القبائل أمام الذين جاءوا ليهدموا التراث المقدس الذى تركه ابراهيم عليه السلام ففرت إلى شعاب الجبال تعتصم بها تاركة البيت للغزاه القادمين ولم يقصد لهم إلا جند الله تعالى فى صورة طير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل .

أما بعد الإسلام فقد استطاع هؤلاء العرب أن يقتحموا على أصحاب الفيل ديارهم ووصلوا إلى إيوان كسرى وتقوض عرش هرقل وسقطت امبراطورية الروم .

إن التغنى فوق أطلال الحضارة والتاريخ شيء لا يجدى ولايفيد مقلى الذين يتباكون فوق الأطلال أن يلتقطوا اللبنات ويعيدوا البناء من جديد ومن رحمة الله تعالى أن جعل عناصر البناء شيئاً لا يفنى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل هو دائم يمنح الوجود والحياة لكل من أراد أن يستجيب لدعوة الحياة .

فتحت ظلال الكتاب الذى نزل من فوق السماء السابعة وجدت الأمة الإسلامية العزة والكرامة وهو ظل لا ينحسر عن الذين يحترمون فيه ولكنهم هم الذين ينحسرون عنه .

هذا هو وعد الله تعالى وتلك هى محتويات الوعد وذلك هو شرط تحققه فهل للأمة المحمدية أن تستجيب لوعد الله مرة أخرى . . . ؟؟؟ إن الباب ما زال مفتوحا يرحب بالداخلين .

« ومن أوفى بعهده من الله » .

لكم دينكم ولى دين

فى جمهورية الخميس ٩ مارس سنة ١٩٦٧ ص ٣ خبر يتلخص فى أن سيمون دى بوفوار خطبت فى نحو ألف طالب وطالبة بمدرج كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وقالت إنها وجدت المرأة المصرية أقل تحررا بكثير مما كانت تتوقع . . . وأنها وجدت

أن قوانين الميراث والأحوال الشخصية مثلا تعطى المرأة حقوقا أقل من الرجل . . . وأن هناك تفرقة جنسية بين الرجل والمرأة .

وذكرت الجريدة أن هذه الفقرة من خطابها قوبلت بالتصفيق .

ما قالته هذه المرأة لايدعو إلى العجب لأنها أتت من بلاد تعترف المرأة بحرية الجسد وعدد المواليد غير الشرعيين فى تنافس وسباق مستمر مع عدد المواليد الشرعيين وأن من مستلزمات المدنية والحضارة فى بلادهم أن تتربس المرأة فى أحضان « البارات » وتحتضن الرجل وترقص معه على مشهد من الزوج والأخ والأب فليس يستغرب ما قالت .

ولكن الذى يدعو إلى العجب أن كلمة هذه المرأة قوبلت بالتصفيق الذى لا يعنى الإقرار بما قالت فحسب بل والإعجاب وبها وهى تنتقد حكم الله تعالى وهو يعطى فى الميراث نصيباً أقل من الرجل .

لو ألقت هذه المرأة كلمتها فى حارة من الحارات لا فى حرم جامعة لوجدت من يفهما أن حكم الله تعالى يجب أن يحترم وأن القائل « وللذكر مثل حظ الأنثيين » هو الله تعالى .

لو وقفت امرأة مسلمة تحاضر فى جامعة أوربية وتقول إن المرأة يجب أن تعطى نصف الرجل فى الميراث . . . ترى هل يصفقوا لها ؟ ؟ ؟

وكنا ننتظر أن تكتب الجريدة تعليقاً يعيد الأمور إلى نصابها ، ألا يوجد من بين المحررين من يعترف أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام . ! ! ! ؟ ؟ !

إن المتسول البائس هو الذى ينقض كالكلاب الضالة على فتات الموائد الفكرية للآخرين يلتمس فيها شبعاً لجوعه الفكرى .

قولوا لهذه الباريسية إن نسبة المطلقات فى شريعتهم التى لا تبيح الطلاق تزيد

بكثير عن نسبة الطلاق فى شريعتنا التى تبيح الطلاق . ونسبة الزوجات غير شرعيات التى تبيح التعدد يفوق بكثير عن نسبة الزوجات الشرعيات فى ظل شريعة تبيح التعدد .

إلى متى سنظل ننظر إلى أوربا على أنها مثل أعلى يقتدى به فى الأزياء والتقاليد والأفكار وننسبها فارقا هاما بيننا وبينهم له دلالة على سمو تفكيرنا وتفاهة عقولهم هو أننا نعبد إلها واحدا قاهرا قويا عظيما حيا . وهم يعبدون إلها تصوروه جنينا يتحرك فى أحشاء الأنثى . ويخرج منها إلى الوجود طفلا يلتقم ثديها فرجلا يأكل الطعام ، ثم تصوروه ذليلا مقتولا بأيديهم يطلب الرحمة ويستنجد من عابديه ! ! ! !

تلك هى الأفكار التى رسخت فى عقولهم فتأتى إحداهن لتحرر المرأة من حكم الله تعالى فى الميراث .

إن الميثاق الوطنى لم ينس فى غمره النصر بالمجتمع الجديد لم ينسى الدين بل تحدث عنه بصورة مشرقه مشرفة والواجب على شبابنا أن يتعلم دينه على الصورة التى بينها الميثاق من السمو والعلو بالقيم .

وإنى أنصح الذين قابلوا كلمة هذه المرأة بالتصفيق أن يتعلموا دينهم ليواجهو به كل من يريد أن يتبادل منه وليعلموا العالم أجمع أن أفكارنا تعلو على أفكارهم بكثير .

مصطفى عبد اللطيف درويش

العام الثانى والثلاثون

بصدور هذا العدد تكون مجلتنا (الهدى النبوى) قد سلخت من عمرها المبارك إحدى وثلاثين سنة ، واستقبلت عامها الثانى والثلاثين فى خدمة السنة النبوية المطهرة ، وإيقاد المشاعل فى طريق الهدى والحق .

ففى تفسير القرآن الكريم ، واستخراج كنوزه ، وتجلية معانى آياته، وربط أحداث الحياة به . وفى شرح الحديث النبوى ، وبيان أحكامه فى العقائد والعبادات . وفى الفتاوى والأجوبة على أسئلة القراء . وفيما تكتبه فى مشاكل الأسرة والشباب والمجتمع، وفيما تتناوله من أبحاث ومناقشة للآراء الباطلة ، والنحل الضالة ، والعقائد الزائفة ، من الإلحاد والتصوف وألوان الفساد ، فإن (الهدى النبوى) لم تنحرف فى كل ذلك من أول عدد صدر منها حتى اليوم عن المحجة البيضاء : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنهما الصراط المستقيم والطريق القويم والنور المبين وحبل الله المتين ، لايزيغ عنهما إلا هالك . نسأل الله أن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه .

وإدارة الهدى النبوى إذ تسأل الله أن يتغمد برحمته الواسعة منشئها ومؤسسها فضيلة الشيخ محمد حامد الفقى وأن يجزيه جزاء المجاهدين بأموالهم وأنفسهم . فإنها لاتنسى أن تسأله تعالى مثل ذلك لمن سبقونا بالإيمان وكانوا خير من قدموا ثمرات قلوبهم وأقلامهم للمسلمين على صفحاتها أمثال أصحاب الفضيلة المشايخ محمد عبد الحليم الرمالى وأحمد محمد شاكر وصادق عرنوس وأبو الوفا درويش ومحمد أحمد عبد السلام وغيرهم رحمهم الله وأجزل مثوبتهم . كما أنها لاتنسى أن تزجى الشكر لمن يسهمون الآن

فى الكتابة فيها ابتغاء وجه الله الكريم ، لا لجاه ولا لدنيا ، إنْ أجرهم إلا على رب العالمين ، ونسأل الله لنا ولهم الصحة والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، والتوفيق والسداد فيما نكتب و يكتبون .

أما القراء الكرام فلهم الفضل بعد الله فى التشجيع والحث على الترقى والتحريض على الإجادة فجزاهم الله خير الجزاء ، ولهم عهدنا أن نكون عند حسن ظنهم وأن نمسكهم دائماً بالعروة الوثقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لانحيد عنهما قيد أنملة ، وأن لانخشى فى قول الحق لومة لائم .

إن أعظم مايتسلح به المسلم ليواجه به الحياة الصاخبة الموارة من حوله فى الغرب والشرق هو العلم ، والعلم الصحيح النافع من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فاحرص أيها القارىء الكريم على أن تتخذ من المجلة - التى عاهدت الله أن لا يسطر فيها إلا الحق النافع - عدة لصد المعتدين على دينك الحق بالباطل والزور والبهتان ، واعمل على نشرها بين كل من تعرفهم ليزيد الانتفاع بها إن شاء الله .

ونسأله تعالى أن يسدد خطانا على طريق الحق والهدى والرشاد .

سليمان رشاد محمد

بحوث فى تفسير القرآن

ركن السنة

إياكم ومحدثات الأمور

عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

« شرح المفردات »

العرباض بن سارية صحابى جليل وهو أحد السبعة الذين عذرهم الله عز وجل فى تخلفهم عن غزوة تبوك وأنزل فيهم قوله من سورة « براءة » « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ماينفقون » .

وكان سبب روايته لهذا الحديث أن نفراً من التابعين زاروه فى بيته ثم رغبوا أن يحدثهم بشىء مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتحفهم بهذا الحديث العظيم الذى يتضمن من الوصايا الجامعة والقواعد النافعة ما لو تمسك به المسلمون بعد نبيهم لما اشتبهت عليهم السبل ولا مزقتهم الخلافات والأهواء .

ويمهد العرباض رضى الله عنه لهذه الوصية فيذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد وعظهم موعظة بلغ من قوة تأثيرها أن وجلت منها القلوب ، يعنى تملكها الفزع والخوف الشديد ، وأن ذرفت منها العيون أى فاضت بالدمع الغزير . فلما سمعوا منه تلك الموعظة ورأوها على غير المألوف من مواعظه أحسوا بدنو أجله وقرب مفارقته إياهم ، فدفعهم

حرصهم على الخير أن يطلبوا منه صلى الله عليه وسلم وصية يعتصمون بها بعده ويجعلونها دستوراً ومنهاجاً لهم يقيهم من ورطات الضلال والانحراف ، فعهد إليهم بتلك النصيحة الغالية التي تدل على عظيم شفقته بأمته وحرصه على خيرها وسعادتها .

١ — فأمرهم أولا بتقوى الله وهي كلمة جامعة يدخل فيها فعل كل مأمور به واجتناب كل منهي عنه، فإن كل ما أمر الله به فقد أحبه ورضيه وكل مانهى عنه فقد كرهه وسخطه . ولا يمكن أن تنال التقوى الكاملة مع فوت شيء من المحبوبات أو فعل شيء من المكروهات فإن ذلك موجب لعذاب الله وسخطه ، ومن عرض نفسه لعذاب الله لا يقال إنه اتقاه . ولهذا كانت التقوى درجات كثيرة ولكل إنسان من التقوى بقدر ما أطاع الله عزوجل فيه امتثالا لأمره واجتنابا لنهيه .

ولهذا يكثر في القرآن العظيم أن تذكر التقوى وحدها ويرتب عليها الفوز بكل مطلوب والنجاة من كل مهروب ، كقوله تعالى من سورة آل عمران « للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله » وكقوله من سورة الأنفال « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم من سيئاتكم ويغفر لكم » وكقوله من سورة النحل « ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين . جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاءون . كذلك يجزى الله المتقين . الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » .

وقد تقرن التقوى بغيرها كما قرنت بالصبر في قوله تعالى « إنه من يتق ويصبر » وبالإحسان في قوله « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وبالصدق في قوله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ولكن ليس معنى هذا أن هذه الأمور خارجة عن التقوى ، بل هو من ذكر الخاص بعد العام اهتماماً بشأنه .

٢ — ثم أمرهم ثانياً بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم ، فإنه كما يجب القيام بحق الله في التقوى يجب القيام للولاة بحقهم في السمع والطاعة ماداموا لا يأمرون بمعصية الله تعالى ، فإنه لاطاعة إلا في معروف ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . قال الله تعالى

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » قال المفسرون هم العلماء والأمراء .

وولى الأمر واجب الطاعة أيا كان جنسه أو لونه حتى ولو كان عبداً مجدع الأطراف كأن رأسه زبيبة ، فإن شق عصا الطاعة والخروج على الجماعة تمزيق للصفوف وتقطيع للأواصر وتمكين لأعداء الإسلام أن يدخلوا بدسائسهم ومكايدهم لإذكاء نار الفرقة والاختلاف حتى يستفيدوا هم من وراء ذلك. نعم يجب على العلماء تبصير الولاة بمواطن الحق والعدل إن خيف منهم جنوح إلى باطل أو ميل إلى جور ، وأن يكون ذلك فى رفق وهوادة رعاية لحرمة الولاية ، فإن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ، ومادخل الرفق فى شىء إلا زانه ومانزع من شىء إلا شانه .

٣ — ثم أوصاهم ثالثا إذا هبت رياح الفتنة وتشعبت بالناس الأهواء ونجمت قرون الضلالة أن يستمسكوا بسنته عليه السلام يعنى بطريقته وهديه وبسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، وأن يحرصوا على ذلك حرصهم على الحياة نفسها . فإن السنة حينئذ هى قارب النجاة الذى يوصل إلى شاطىء الأمان والسلامة ويعصم من الغرق فى لجج الضلال وطوفان الفتنة .

والسنة هى كل ماترك النبى صلى الله عليه وسلم عليه أمته فى الاعتقاد والعمل جميعاً فهى تشمل هَدْيَهُ كله، فنصدق بكل ما أخبر عنه من أسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله . ولا نتجاوز ماحده لنا فى ذلك ، فلا نثبت لله من الأسماء والصفات إلا ما نعلم أنه أثبته، ولا ننفى إلا مانعلم أنه نفاه ، ونصدق كذلك بكل ما أخبر عنه من الحقائق الغيبية التى لانعلم إلا من طريقه ، ولا نعارض شيئاً من أخباره بقياس عقولنا ولا بأقوال شيوخنا ولا بفلسفات أجنبية دخيلة على ديننا ، كما فعله أهل الكلام الباطل فضلوا به وأضلوا . ثم ننظر كيف كان هديه فى صلاته فنصلى كما كان يصلى وهكذا فى سائر العبادات . وكيف كانت معاملته لأهل بيته ولأصحابه ولأعدائه فنجتهد فى أن نتخلق بما كان عليه من خلق عظيم هو المثل الأعلى الذى يجب أن نهدف إلى تطبيقه على كل شئون حياتنا ، كما فعل سلفنا الصالح رضى الله عنهم فى إحياء سنته والتزام طريقته ، وكذلك نأخذ

بما سنه لنا خلفاؤه الراشدون الذين كانوا أعرف الناس بسنته وأشدهم أخذاً بها . فإن طريقتهم وهديهم لا يمكن أن تخالف طريقته وهديه بل لا تكون إلا تكميلا وامتداداً لها .

٤ — وأخيراً حذرهم أشد التحذير من الأمور المحدثة التي ابتدعت بعده على خلاف طريقته وهديه : وبين لهم أن ذلك كله ضلال وخروج عن سواء السبيل . نسأل الله أن يجعلنا ممن أحسن الاتباع لهديه وأن يقينا شر الابتداع بمنه وكرمه .

محمد خليل هراس

صرخة داوية إلى

فتاة اليوم

بقلم محمد عبد الكريم أحمد

١) أراكِ وقد جنحتِ إلى التمادى ومِلْتِ إلى التطاول والعناد
تنكّبت السبيل إلى الرشاد فصحتُ وحسرةٌ تُصحى فؤادى
تُرى ماذا أصابك خبّرينى

٢) أللإسلام تنتسبين حقّا ؟ أشُكُّ ! ! ! فما إدعاؤك كان صدقا
ألا سحقاً لهذا المَيْن سحقا بنفسِكِ — يا فتاة اليوم — رفقا
وكُفّى عن تصرفك المشين

٣) أعَرْتِ اليوم للشيطان سمعا وأسلمتِ الزمام إليه طوعا
وصار النصح لا يجديك نفعا فأذرفت العيون دماً ودمعا
على ما قد عراكِ من الجنون

٤) تخذت الغرب — وابنته مثالا — وكم من أسوة كانت وبالا
وبنت الغرب أشقى الناس حالا فما تدرى حراماً أو حلالا
وما تهوى سوى عيش المجون

(البقية على صفحة ٥٠)

٨ – واجبنا نحو الشباب

الشباب والقدوة الصالحة

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد

ليس من العسير مطلقاً أن يحقق الشباب المسلم القيم الفاضلة والمثل العليا تحقيقاً عمليًا دون أن تظل هذه القيم والمثل – كما هى الآن – مجرد حبر على ورق ، أو تنظر إليها الأكثرية باعتبارها من قبيل التراث الفكرى القديم الذى أضحى دفيناً بين السطور ، حبيساً فى بطون الكتب والمجلدات ، فإن تحدث عنها متحدث سُمِع لها جَرْسٌ خاص له رنين فى الأسماع ؛ وفاح منها شذى وعبير عطر يعبق أرجاء المجالس .

ولقد كثرت المؤلفات التى تناولت هذه القيم والمثل ، وأوسعتها شرحاً وتحليلاً وبحثاً وتمحيصاً ، وتناولها مؤلفون قدماء ومعاصرون شرقيون وغربيون على السواء ، فناقشوها على ضوء وجهات النظر المختلفة ، تناولها الحكماء والفلاسفة تناولاً فلسفيًا ، وأفرد لها السيكيولوجيون دراسات نفسيه تربوية ، وبحثها العقائديون من خلال مِلَلِهم ونِحلِهم وعقائدهم المتباينة . تكلم فيها « أفلاطون » فى جمهوريته – أى فى كتابه « الجمهورية » وناقشها الفارابى – صاحب كتاب « أراء أهل المدينة الفاضلة » فى مدينته ، وتخيلها صاحب « اليوتوپيا » فى مؤلفه ، وقد سبقهم فى ذلك مؤلفون ، وتلاهم من بعدهم مؤلفون ، ورغم أنهم جميعاً – برغم اختلاف أساليبهم ، وتباين وجهات نظرهم – قد استهدفوا إيجاد مجتمعات فاضلة ؛ إلا أنه قد جانب التوفيقُ أكثرهم فيما قدم ؛ فمنهم من غلبت عليه نزعة التعالى والغطرسة ؛ فقسم المجتمع إلى قسمين : – مجتمع القلة وهم السادة ؛ ومجتمع العبيد وهم الكثرة الساحقة التى تقوم على خدمة هؤلاء السادة المترفين ، ولم يؤمن بمبدأ تساوى البشر من حيث المنبت والمنشأ والأصل ؛ فأفسد بذلك عمله وشوّهه ، وأضاع جهده سدى وأفقده بريقه مثلما

فعل « أفلاطون » . ومن هؤلاء الباحثين من غلبت عليه نزعة الشعوبية ؛ فانتصر لشعبه وبنى جنسه دون سائر أجناس البشر ؛ وجعل جنسه الذى ينتمى إليه هو الجنس الأمثل والأرقى ، أما الأجناس الأخرى فهى فى اعتباره وتقييمه من طبقة أخسّ ومن طينة أقل وأحط . ومنهم من تأرجح فى صراعه بين نزعة الخير والشر ، فلما لم ترجح عنده كفة الخير على الشر قعد به جهده فتوقف ، ولم يبلغ بالتالى بتفكيره مستوى الكمال المنشود ، ناهيك بالحشد الهائل والكثرة الكاثرة من علماء النفس والتربية الذين أضافوا آراء جديدة أثْرَوْا بها المكتبة الفكرية للإنسانية .

ولكن هؤلاء وأولئك ؛ برغم كل هذه الجهود المضنية — على حد تعبيرهم — والتى كانت حصيلة قرون وحقب طويلة ، وقفوا عند حدود التفكير لا يتعدونه ، ولبثوا عند مرحلة التحليق فى أجواء الخيال ، وما تجاوزوها إلى مرحلة التطبيق العملى والتنفيذ ، وبهذا ظلت معظم هذه النظريات معطلة وشبه مفقودة وكأنها لم تكن ، وبقيت كما هى مجرد أفكار نظرية يعسر تطبيق أكثرها ، وبسبب هذا لم يفلحوا فى تحويل المجتمعات على اختلاف أنواعها وبكل ما ازدحم فيها وتراكم من صنوف الفساد وألوان الانحلال إلى مجتمعات فاضلة ، على حين نجح الإسلام بيسره المعهود وسلامته الفطرية وأسلوبه الشيق الفريد فى تحقيق ذلك عمليًا وإلى أبعد الحدود ، نجح الإسلام — وحده — حيث فشلت كل هذه الجهود الأخرى — مجتمعة — فشلاً ذريعًا ، وما أحسب أن فشل أولئك إلا راجعاً لفقد الإيمان وضياع الإخلاص ، فبفقدهم للإيمان إنما فقدوا بفقده النور الذى يضىء لهم بتألقه غياهب الظلمات ، فضلُّوا فى متاهات الشك ، وهلكوا فى بوادى الحيرة وضيق الأفق ، وما ضاع منهم الإخلاص إلا لأنهم اتخذوا من أبحاثهم ذريعة لهدم منافسيهم ، وتعلةً للرقى على أكتافهم ، وما كان ديدنهم النصح المحض الخالص ، وما كان رائدهم فى ذلك هو التنافس الشريف الذى يؤدى إلى البناء ، والعمل من أجل سعادة البشرية ؛ فكثيراً ما يأتى

أستاذهم بنظرية ويسعى جاهداً لنشرها على أوسع نطاق ويأتى بالدليل تلو الدليل على صحتها ، ويحاول ما استطاع أن يثبت أركانها ويوطد دعائمها — كما فعل « سيجموند فرويد » . ثم يأتى تلميذه « أدلر » فينقضها من أساسها ويقوض بناءها ويعمل بكل ما وسعه الجهد لإقامة الدليل على خطأ أستاذه بل ويهاجمه فى ضراوة ووحشية ، لا من أجل إحقاق الحق ، ولكن طلباً للشهرة ، وحباً فى الظهور والبروز ، وهكذا يحطم هؤلاء بعضهم بعضاً ، وقلما تستفيد البشرية من جهودهم هذه فائدة محققة ، أما فى محيط الإسلام ، فلئن اختلف المسلمون المخلصون فيما بينهم فى الرأى ، ثم تناقشوا وتولى بعضهم الرد على البعض الآخر ، فإنهم يضعون نصب أعينهم خشية الله وطاعته ، ومن ثم فلن يكون جدالهم ونقاشهم إلا فى سبيل الله طمعاً فى الوصول إلى الحق الذى يرضى عنه الله ، فإن انحرف بعضهم عن الجادة أو تجاوز حدود العدل المفروض ، فإن ذلك لا يكون إلا بدافع من نفسيته لا بدافع من دينه ولا من وحى إسلامه ، فالإسلام لا يدفع إلا إلى كل كمال وخير .

والسر فى نجاح هذا الدين العظيم فى إيجاد مجتمعات فاضلة يرجع إلى إخلاص هذا الدين فى النصح ، وتواؤمه مع مقتضيات الفطرة البشرية وتقديره لنواحى القوة والضعف فى البشر وتخيّره للأسلوب الحازم البليغ المؤثر فى النفوس على اختلاف مشاربها وحرصه الدائم على الحفاظ على معتنقيه أيًا كان لون حياتهم ، ولأنه يجلو لهم الحقائق فإذا هى ناصعة البياض لا لبس فيها ولا غموض ، ومصداق هذا قوله صلى الله عليه وسلم « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » ولأن هذا الدين العظيم يفيض بالحياة والحركة والمرونة ، دينٌ شبابه دائم ، لا تبلى جدته ولا تهن عزيمته ،دين راسخ البنيان وطيد الأركان . دين يخاطب القلوب فتتفتح له ، ويلمس الضمير برفق فيستيقظ كأنما نشط من عقال ، ويجاذب الوجدان والشعور بأطراف الحديث فتنقاد إليه لأنه دين الفطرة . إنه الدين الذى تاقت إليه فما إن وجدته حتى تشبثت به . وليس ذنب الإسلام هذا التحلل البادى والمتفشى بين كثير من الشباب فى هذه

الآونة بصورة تدعو إلى القلق ـ رغم دفاع المتهاونين والمفرطين ـ وإنما الذنب كل الذنب قد اجترحه أولياء أمور الشباب قبل الشباب أنفسهم ، وهم الذين كان الأجدر بهم أن يكونوا لشبابهم خير قدوة صالحة ، لقد قلبوا لدينهم ظهر المجن ، فخرجوا على تعاليمه القويمة وتنصلوا من تطبيق أحكامه السامية على أنفسهم قبل غيرهم ، وأداروا ظهورهم لها استخفافاً بشأنها وجهلاً منهم بقيمتها — دون مبالاة ولا تقدير للعواقب — فجنوا على أنفسهم وعلى ذرياتهم ، وتحملوا بالتالى أمام ربهم تبعة أعمالهم ، وكذلك ما جلبوه على أبنائهم من ذميم الأفعال ، فأضاعوا أنفسهم وأضاعوا غيرهم .

لقد أتاح الإسلام الفرصة للجميع على السواء لتسنم المعالى وبلوغ مدارج الكمال ـ وأقول الجميع ـ لأن الجميع فى نظر الإسلام سواسية ، وليس فى الإسلام سيد ولا مسود وإنما المسلمون هم كما قال صلى الله عليه وسلم : ـ المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . يا للروعة ؛ ويا هنيئاً للمسلمين بدينهم القيم العظيم إن هم قدروه حق قدره . لقد قدم الإسلام للجميع فرصاً متساوية إقتنصها البعض ففاز وربح وأصبح علماً يشار إليه بالبنان ، وأهملها البعض وأفلتها من يده فلم يجن سوى الحسرة والندم . إن الذين اقتنصوا الفرصة أصبحوا فى الإسلام منارات للهدى ، يفخر بهم الإسلام والمسلمون . ولو أننا قلبنا معاً صفحات التاريخ الإسلامى العظيم لبلغ إعجابنا برجالات الإسلام المدى وبقادته فى العصور السوالف لما ازدانت به نفوسهم من أسمى معانى الرفعة وأرفع درجات السمو البشرى الذى غرسه فيهم دين الإسلام ، ولأحسسنا كذلك بأننا فى حاجة ماسة إلى إعادة تقييم الرجال ، ووزن أقدارهم على أساس سليم عادل ، ولتضاءل أمام الماضين ـ من السلف الصالح ـ أكثر من تعاقب بعدهم ممن أقيمت لهم التماثيل فى الميادين وأحرق لهم البخور بغية تخليدهم ، ورغبة فى الإشادة بجهودهم المحدودة التى ما بهرت أنظار الشباب وأسماعه إلا لمعلومات الشباب المحدودة عن تاريخه الإسلامى الجليل ورجالاته الأمجاد وهم الذين بلغوا ما بلغوا

بفهمهم الواعى الحساس لدينهم ، وانفعالهم بكمالهم انفعالاً عمليًا فشرفوا بالإسلام وازدهى الإسلام بهم .

وإنى محدثك أيها الشباب فى سياق حديثى إليك - عن بضع أمثلة ونماذج من الشباب المسلم المؤمن ، بعد إذ تحدثت إليك فى كلمتى السابقة عن الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة الأولى فى كافة البقاع - ألا وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . والذين أحادثك اليوم بشأنهم هم أتباع هذا النبى الكريم ، نسجوا على منواله وساروا فى طريقه القويم المستقيم . وإن شئت بعدها المزيد فإليك الكتب ؛ نقّب فيها وارْوِ ظمأك ، فإنك واجدٌ فيها أكثر مما يشفى الغليل .

المثال الأول : - أسامة بن زيد : ذلك الشاب المجاهد الذى اختاره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ليتولى قيادة جيش المسلمين ، رغم أن الإسلام لم يعدم الكثير من الأبطال الصناديد والفرسان المغاوير ؛ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى بثاقب فكره وصادق فراسته ونافذ بصيرته أن أسامة رغم حداثة سنه جدير بحمل هذا العبء الضخم فكلفه بحمله وأناط به قيادة الجند ، وتقضى مشيئة الله جل وعلا أن ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه قبل إنفاذ الجيش ، ويتولى الصدّيق خلافة المسلمين ، وما يكاد المسلمون يفيقون من هول الصدمة ، ويهم أبو بكر بإنفاذ أسامة ، على رأس الجيش حتى راجعه فى هذا الأمر كثير من الصحابة متعللين بأن فى المسلمين من هو أجدر بقيادة الجند من أسامة ، ومع علم الصديق بذلك إلا أنه ثقة منه فى حسن تقدير نبيه صلى الله عليه وسلم لكفاءة أسامة أصر على تنفيذ رغبته صلى الله عليه وسلم ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل خرج الصديق بنفسه وهو الخليفة والرجل المسن يودع الجيش لا راكباً بل راجلاً على قدميه . ويفيض الحياء بأسامة تقديراً منه لمكانة أبى بكر فى الإسلام واحتراماً لسنّهِ فيدور بينهما هذا الحوار القصير الممتع ، إذ يقول أسامة : - لتركبن أو لأنزلن فيجيبه الصديق الكريم مقسماً : - والله لا نزلتَ ولا ركبتُ ، وما علىّ إلا أن أغبّر قدمى ساعة فى سبيل الله .

ويمضى الجيش بقيادة الشاب المؤمن الفاضل ثم يؤوب مكللا بالفوز والظفر والنصر المؤزر .

أرأيت أيها الشباب كم يعتز الاسلام بالشباب المثالى الكفء فيبوئه مكان الصدارة ويلقى إليه بزمام القياد فى جليل الأمور وعظيمها ؟ وربما تتساءل . . إن كان المدار هنا على الشجاعة والبطولة والحروب ، فالتاريخ زاخر بالأعاجيب والبطولات الخارقة لغزاة فاتحين أبلوا فى الحروب أحسن البلاء . . فأجيبك مهلا ولا تتعجل ، فالحق كما تقول ، ولكن هؤلاء الذين تزعم ليسوا أهلا لأن يكونوا قدوة صالحة ولا نماذج ينتهج نهجها فى مجال المقارنة والقياس ، فمنهم من إن تمتع بخلة أعوزته خلال ، وإن تحلى بصفة فقد حرم من صفات ، وشتان بين من يجاهد لإعلاء كلمة الله وبين من سفكوا الدماء وأزهقوا الأرواح تحقيقا لمآرب دنيوية زائلة وانتصارات زائفة ، وكم ضحوا بملايين الأرواح على مذبح أطماعهم وشهواتهم .

عمن تريد أن تتحدث ؟ أعن « جنكيزخان » سفاح الشعوب الوالغ فى الدماء والغارق فيها إلى آذانه ، ومحطم المدنيات ، الذى خرب الديار بوحشيته وفظاظته ؟ أم عن « هانيال » بضراوته وصرامته وظلمه وغشمه ؟ أم عن نابليون بطغيانه وتجبره وانحلاله ومباذله ؟ أم عن « دارا » الفارسى بحماقته ؟ أم عن « بسمارك » بصلفه وتسلطه أم عن « قمبيز » بغروره وبلاهته ؟ أم عن « هولاكو » بشراسته وخيانته ؟ .

أنعم النظر فى هؤلاء وغيرهم يتبدى لك الفرق واضحاً والبون شاسعاً بينهم وبين أسامة وأمثاله ، فقد طبعهم الإسلام بطابعه، فبجانب الشجاعة النادرة تجد الرحمة والتسامح والعدل والرفق والتواضع والحلم والتقوى والورع ، لايطلب انتصاراً لنفسه ولارفعة لشأنه ولا نباهة لذكره ، وإنما كان كل جهاده العظيم ابتغاء مرضاة رب العالمين .

وهذا مثال ثان لبطل شاب من أبطال الإسلام فى الدولة الأموية ربما لم يسمع به كثير من الشباب، بسبب قصور المؤرخين والكتاب وتقصيرهم فى إيفائه حقه من التقدير،

حتى لقد ظلت سيرته مبعثرة متناثرة بين شتات الكتب هنا وهناك . . ذلكم هو « محمد ابن القاسم الثقفى » فاتح السند الذى ولد فى سنة ٧٢ هـ فى عصر الوليد بن عبد الملك كان قائداً مغواراً واتت له البطولة على صغره ، إذ قاد الجيوش وهو فى السابعة عشرة من عمره فكان القائد المحنك الذى بزعظماء القادة وجمع فى يديه القيادة والسيادة والجاه والسلطان والأمر والنهى .

ورغم هذا كله لم يفتتن ولم يغتر ، لأن الإيمان كان ينبع من أعماق نفسه الصافية ، وكان شعاره الذى لم يفارقه فى وقت من الأوقات ومن أجل هـذا لم تنفلت من يده موازين العدل ولا معايير البذل ، وكان مثال العفة ونبل الخلق ، ولكن الدسائس والمكائد والفتن هى التى أضاعته ، فلم يكد ينعم بثمرة انتصاره بفتح السند ونشر الإسلام فيها ، حتى بدأت ابنة الملك زاهر شاه ملك السند الذى هزمه محمد بن القاسم — بدأت تكيد له أمام الخليفة سليمان بن عبد الملك الذى تولى بعد الوليد ، واتهمته بتهم مفتراة ما كان أبعده عنها ، إذ أعمى الحقد قلبها إثر مصرع أبيها وهزيمته وذهاب ملكه ، ولأنها كذلك قد سعت إلى إغوائه وإغرائه وإيقاعه فى أحابيلها فأخفقت — رغم أنه فى قرارة نفسه تمنى أن يتزوجها زواجا شريفاً ، ولكنه لاعتبارات سياسية كان لها خطرها كتم مشاعره فى نفسه إلى أن يستأذن الخليفة — ولكن سليمان انخدع بدسيستها قبل أن يصل إليه محمد بن القاسم وأمر بإعدامه دون أن يتمكن من الدفاع عن نفسه ، وما يكاد الخبر يصل إلى محمد بن القاسم حتى أنشد بيته المشهور :—

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولكن الحقيقة لابد وأن تنكشف حتى وإن فات الأوان ، فإذا بالظروف المتعاقبة ترغم ابنة الملك زاهر شاه أن تعترف بكذبتها الهائلة المروعة ، وأقرت أخيراً بطهارة ذيل القائد الشاب المؤمن وما استطاعت أن تنكر نفاسة جوهره وعفة نفسه فأعدمت .

ولكم تفطرت القلوب أسى وحزناً على ضياع هذا الشاب المجاهد النادر المثال سدى

إثر فرية دنيئة باطلة ؛ دفعت صاحبتها حياتها ثمناً لها ، وياله من ثمن رخيص إذا ماقورنت بالخسارة الفادحة فى شخص محمد بن القاسم . وإن ماينعم به المسلمون من دين الإسلام ومزاياه القيمة فى الهند وباكستان وما جاورهما ، ماهو إلا ثمرة كفاح وجهاد هذا الشاب المثالى الكريم رحمه الله .

وكيف ننسى فى مجال العلوم وتحصيلها الشافعى تلميذ مالك (رضى الله عنهما) — وبجدر ملاحظة أن الحديث عنهما لا كما يحسب البعض أنهما إماما مذهبين ، فليس فى الإسلام مايسمى بالمذاهب وإنما الإسلام كتاب وسنة — فقد كان الشافعى منذ صغره نابغة الحفظ والذكاء يحفظ الدرس ويعيه وعيا تاماً منذ المرة الأولى حتى لقد حمل مالكا على أن يقول بعد إذ أدهشه : — إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام ، ولم تقعد به همته العالية ونفسه الكبيرة عن الترحال فى الديار والأمصار طلباً للعلم باحثاً ومنقباً ، تلميذاً ومعلماً حتى صار من علماء الإسلام الأجلاء الذين ساهموا فى العلم بجهد مشكور .

أما المثال الأخير الذى أسوقه فهو شاب زنجى معاصر أحس بقيمة الإسلام فاعتنقه وتشبث به باعتباره متنفسه الوحيد وملاذه وملجأه من التفرقة العنصرية البغيضة التى سادت مجتمعه فمزقته وأخذت تسوقه نحو الهاوية . إنه «كاسيوس كلاى» الملاكم الذى أسلم وتسمى باسم «محمد على كلاى» . لقد أعلن هذا الشاب إسلامه على الملأ إثر فوزه الساحق فى إحدى قلاع الكفر على حلبة الملاكمة ، ولم يفت فى عضده حقد الحاقدين ولا غيظ الحنقين ، ولا تفتأ تأتينا أخباره تنبىء عن اعتزازه بدينه وتمسكه بإسلامه وحبه له . لقد وقف فى شجاعة بالغة فى وسط الحلبة وفى قلب لندن قلعة الكفر الثانية يصلى ركعتين لربه طالباً عونه مستلهما توفيقه على مرآى من آلاف الأعين المحملقة المذهولة التى أحنقها فعله وأثارها إيمانه ، ولكنه لم يبال ، فقد اتخذ من إيمانه بربه درعا واقياً كفل له النصر المبين على خصومه ،الواحد تلو الآخر . وأقول للشباب : — إننى رغم نفورى أصلا من مثل هذه الرياضة العنيفة — الملاكمة — نظراً لما تتسم به من شراسة ووحشية — من وجهة نظرى على الأقل — إلا أننى أحس بالفخر كلما انتصر هذا الشاب ، إننى أشعر

ويشاركنى الكثيرون فى هذا الشعور ، أن انتصار هذا الفتى إنما هو انتصار الاسلام فى شخص محمد على كلاى . ولكم أفاد إعلانه لإسلامه فى لفت أنظار العالم إلى هذا الدين الكامل بما لم يفده علماء جهابذة أفنوا أعمارهم فى التأليف والتحبير ، لاقتصار جهودهم على بيئتهم العربية الإسلامية ، أما هذا فقد دوى إسلامه فى الخافقين معربا بتصرفه عن كمال هذا الدين ورفعة شأنه وأحقيته .

أما الشباب المعاصر الذى طالما افتتن بالغرب واعتبر الغربيين مثله الأعلى فقد طاش سهمه إذ تخلى عن طيب عنصره إلى عناصر أكثرها زائف وأقلها أصيل ، وحرى بالشباب أن يتخذ من بنى دينه وقومه الأفذاذ خير قدوة صالحة يحذو حذوها وينسج على منوالها ، ويتيه بها فخراً وإعجابا . وخير للشباب ألا يتطلع إلى مالا يتوام مع بيئته الإسلامية ، من طلاء زائف وظلال باهتة ، وإن كنت فى الحقيقة لا أرى مانعا من أن نتمثل بغيرنا ممن سبقونا فى نواحى العلم ومدارج التقدم فقط ، إلى أن نتدارك مافاتنا يوم أن كنا قبلة أنظار العالم كله : علما وتقدما وازدهاراً . أما فى الخلق والفضائل فما أجدر الشباب أن يتنسم أريج العطر الفواح فى دوحة دينه الإسلامى القيم ، وينشق عبق هذا العبير الزكى من أزهار هؤلاء الأعلام الأماجد الذين تربوا بين أحضان الإسلام وترعرعوا بين أكنافه ، وحملوا مشعل الرقى والحضارة فأناروا به الطريق للعالم أجمع ، وأمسوا أساتذة هذا الكون فى كل خلق فاضل نبيل ، وضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والوفاء والمروءة والسخاء والنجدة والقوة والعفة والكرم والرحمة وشدة البأس . فمن هنا . من بلاد العرب والإسلام ظهرت أنوار الهداية الإسلامية ، وستبقى متألقة وضاءة بمشيئة الله . فإلى الشرق الاسلامى العربى — أيها الشباب — يمم شطره . وخلد ذكره ، معتزاً ومستمسكا بدينك وتاريخك ولسوف تقر عيناك بإذن الله ، والله المستعان .

محرم بك الاسكندرية — محمد عبد الكريم أحمد

٥) كثيراً ما اختلفتِ إلى الملاهى   وسابقت الرجال إلى المقاهى
وأهملت الأوامر والنواهى   كذا استمرأتِ معصية الإلهِ
حذارِ ! ! بدينه لا تستهينى

٦) فَفِى الطرقات تختالين تيها   بكل خلاعةٍ أبدعْتِ فيها
كشفتِ عن المفاتن فاستريها   وَهَاكِ نصائحى فتقبَّليها
وَزُودِى عن حمى العِرض المصون

٧) كساك الله أثواب الجمال   مصوناً — لا لإغراء الرجال
فصار اليوم مهواة ابتذال   بطيشك — إذ ركنت إلى الخيال
وطاب لديك إرضاء العيون

٨) غداً يَذوى الجميلُ مع الزمانِ   ويسرع بالزوال ككل فانى
فيلفظكِ الجميع بلا توانى   ويضنيك الجفا بعد التدانى
وتنتحبين بالدمع الهتون

٩) فإن شئت التجمُّلَ يافتاتى   جمالاً باقياً طول الحياة
فدونكِ والتمسك بالصلاة   كدأب المؤمنات الفُضليات
وَمَن يتزنَ بالعقل الرزين

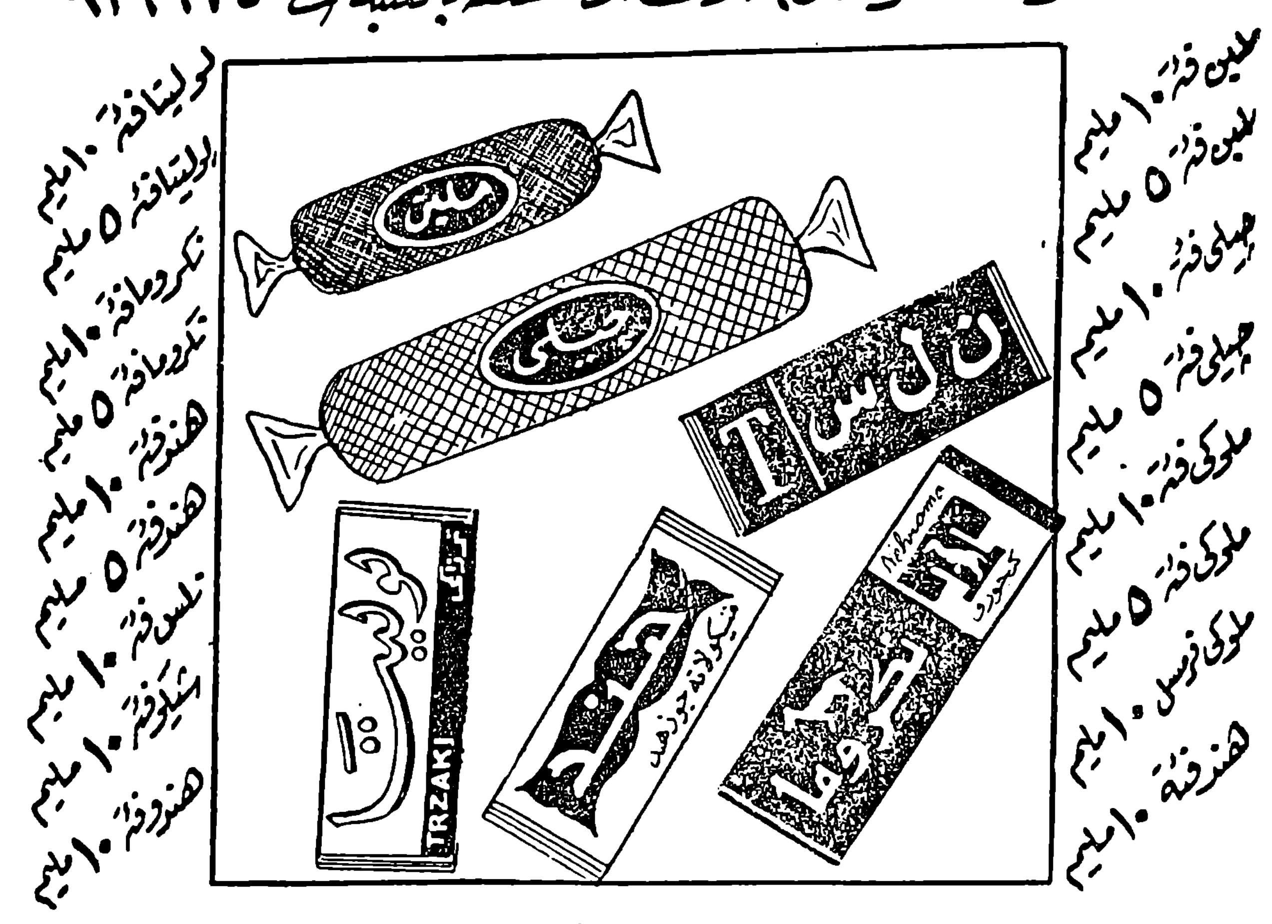
١٠) إليك السلم فاغترفى وَغُبِّى   تجِنْى قطافه قُومِى وَهُبِّى
تكونى ـ فى غد ـ نعم المُرَبِّى   فكم فيما مضى أدميتِ قلبى
بجهلٍ مطبق طول السنين

١١) لِغشيانِ المساجد لا تهابى   فأنت الآن فى شرخ الشباب
وبعوزكِ المزيد من الثواب   فإن تترسمى نهج الصواب
تظلى فى حمى البرِّ المتين

١٢) وإن رُمتِ التعفف — والتسامى   بنفسكِ — كُنتِ أحرى باحترامى
فسيرى فى طريقك باحتشام   وكونى دائماً بين الأنام
مثالاً يحتذى فى كل حين

مصنع حلويات
علي مصطفى ترزاكي وأولاده

٥ ش الترجمان (ممر الشامي) أول ش القلعة بالعتبة ت ٩١٩٦٧٥



منتجاتنا مصنوعة بعناية تامة ومن أجود الخامات المصرية
من سكر. وجليكوز. وكاكاو. ونشا. وأسنس. وفانيليا.
ومصنوعة بأيد مصرية صميمة صناعة ج. ع. م
والإدارة مستعدة لتلبية طلبات زبائنها الكرام تليفونيا أو بريديا
وتوصيل طلباتهم حتى محلاتهم

المدير المسئول
علي مصطفى ترزاكي

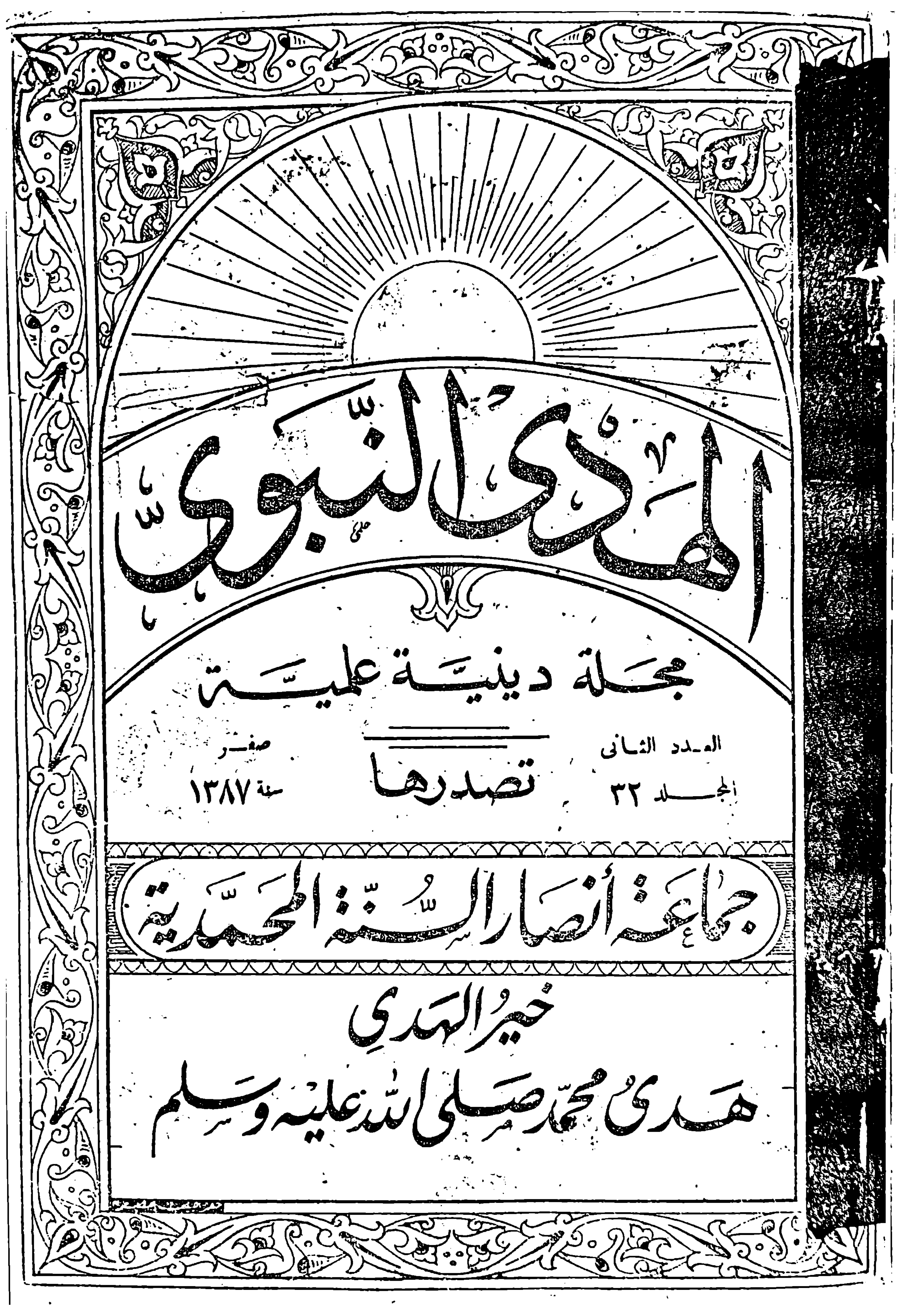


مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثانى
المجلد ٣٢
صفر
سنة ١٣٨٧
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

لاحظّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة عن عمله : صلاته ، فإن تُقُبِّلت منه صلاته تُقُبِّل منه سائر عمله وإن رُدت صلاته رد سائر عمله »

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

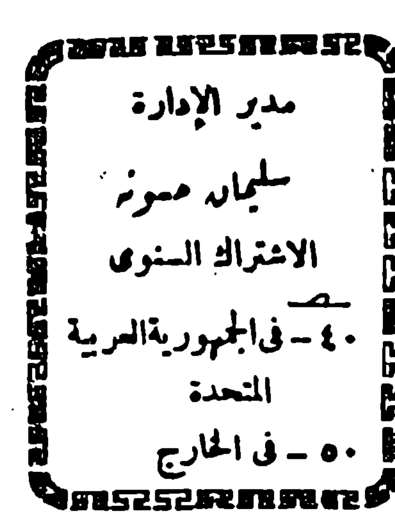
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى



مدير الإدارة

سليمان حسونه

الاشتراك السنوى

٤٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩٢٥٥٧٦

العدد ٢ صفر سنة ١٣٨٧ المجلد ٣٢

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل ذكره ـ ﴿ فَخَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضاعوا الصلاة ، واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فسوف يَلْقَوْنَ غَيًّا . إلاَّ من تاب ، وآمن ، وعمل صالحًا ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، ولا يُظْلَمُون شَيْئًا . جناتِ عَدْنٍ التى وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْب ، إنَّهُ كَانَ وعْدُهُ مَأْتِيًّا . لا يسمعون فيها لَغْوًا إلاَّ سَلاَمًا ، ولهم رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم . الآيات : ٥٩ — ٦١ .

« معانى المفردات »

خلف : فى لسان العرب : خَلَفَه يَخْلُفه خَلَفًا : صار مكانه ، والخَلَفُ : الولدُ الصالحُ يبقى بعد الإنسان ، وَالْخَلْف والخالفة : الطالحُ « عكس الصالح » وفى فلان خَلَفٌ من فلان إذا كان صالحًا أو طالحًا .

الشَّهَوَات : أصل الشهوة — كما يقول الراغب — نزوعُ النفس إلى ما تريده ، وذلك فى الدنيا ضَرْبان : صادقة وكاذبة . فالصادقة ما يُخْتَل البدنُ من دونه كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة مالا يختل البدن من دونه . أقول : والشهوة الفطرية نعمة من أجل نعم الله ، بها استطاع الإنسان أن يحيا ، وأن يرقى .

غَيًّا : فى لسان العرب : الغَىُّ : الضلال والخيبة . غَوَى غَيًّا وَغَوِى غواية : ضَلَّ . والغى : الفساد . وعن ابن عباس أنه الخسران ، وقد قال عن الغى هنا : الشر .

عَدْن : جنات عدن : استقرار وثبات ، وعَدَن يعدُن بمكان كذا : استقر ، ومنه المعدن لمستقر الجواهر وعَدَنْتُ البلد : توطنته .

لغواً : اللَّغْوُ واللَّغَا : السَّقَطُ ، وما لا يُعْتَدُّ به من كلام أو غيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع وعن التهذيب : اللغو واللغا واللَّغْوَى : ما كان من الكلام غير معقود عليه .

وعن الشافعى ، كما فى التهذيب ، ثم قال : وجماع اللغو : هو الخطأ إذا كان اللَّجاجُ والغضب والعجلة . . واللغو فى الأيمان مالا يعقد عليه القلب .

بُكْرَةً : أول النهار ، وجمعها : بُكَر وأبكار ، وإذا أريد بها بُكْرة يومك وغداة يومك لم تنوّنا . أما إذا لم ترد بهما بكرة يوم معين ، نونتهما .

عَشِيًّا : العشى : من زوال الشمس إلى الصباح . يقول أبو الهيثم : إذا زالت الشمس دعى ذلك الوقت : العشى ، فتحول الظل شرقياً وتحولت الشمس غربية . وصلاتا العشى هما : الظهر والعصر . قال الأزهرى : يقع العشى على ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها كل ذلك عشى ، فإذا غابت الشمس فهو العشاء . ويقال لما بين المغرب والعتمة عشاء . وعن الليث أن العشى بغير هاء آخر النهار ، فإذا قلت عشية فهو ليوم واحد . وقيل العَشِىُّ والعَشِيَّة من صلاة المغرب إلى العتمة . وفى اللسان . « وقوله تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) وليس هناك — أى فى

الجنة — بكرة ، ولا عشى ، وإنما أراد : لهم رزقهم فى مقدار ما بين الغداة والعشى. وقد جاء فى التفسير .أن معناه ولهم رزقهم كل ساعة » .

« المعنى »

ذكرنا سبحانه بمن أنعم عليهم من عباده من النبيين ، ومن هداهم ، واجتباهم. ذكرنا بأولئك الذين إذا تليت عليهم آيات الرحمن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ، استكانة له وتذللاً ، ففى استكانتهم له حياة وقوة ، وفى تذللهم له نعمة وعزة ، ذكرنا بزكرياء لا يدفعه الواقع إلى اليأس ، ولا تنزع به الشيخوخة الواهنة إلى تصور ينال من يقينه من أن الله على كل شىء قدير، فيضرع إلى الله فيما يوحى الواقع بأنه مستحيل حصوله ، فمن الله عليه بما تضرع به إليه ، ولقد حدث هذا لغيره من قبل ، حدث مع إبراهيم وزوجه ، فلما قالت : (يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِى شيخًا) قيل لها : (أتعجبين من أمر الله) وأمر الله أن يقول للشىء : كن فيكون

وذكرنا بالصِّدِّيقة التى أحصنت فرجها كيف وقفت — وهى أنثى — فى كبرياء الإيمان ، ورِزَّة اليقين ، وقوة الروح التى تعرج بإيمانها إلى أعظم أفق تسمو إليه إنسانية مؤمنة ، وقفت تتحدى الحقد اليهودى فى سُعاره وسعيره دون أن يجبَّ لها قلب ، وهم يرعدون حولها بالعداوات المصطرمة ، وبعيسى وهو يؤكد عبوديته لله سبحانه ، وبأنه يرجو السلام من الله فى أطوار حياته ، فى ميلاده ، فى موته ، فى قيامته ، فى الآخرة . وبإبراهيم فى صديقيته ونُبُوَّته وبُنُوَّته التى لم تمل به لحظة عن الحق ، والتى وضعت فى الحياة المنار لكل ابن يريد أن يجمع بين البر بما أمره الله به ، والبر بالأب الذى ضاع وزاغ

ثم ذكرنا بولدى إبراهيم اللذين وهبهما الله له : بإسحاق وإسماعيل ، كما ذكرنا بيعقوب وإدريس . . ولكلٍّ صفة تتجلى كقطب النجم بين صفاته الأُخريات .

وما ذكرنا الله بعباده هؤلاء ، إلا لنؤمن أنهم ما كانوا كذلك إلا بما كانوا عليه من عبودية صفت وخلصت من الشوائب ، وفى هذه الآيات يذكر الله حزب

الشيطان بعد أن ذكر حزب الرحمن . وحزب الرحمن إيمانٍ وفلاح ، وحزب الشيطان كفر وخسار ، ولنتبين مماً ما فى الآيات من هدى مبين وما فيها من صفات يبغضها الله سبحانه . لنضرع إليه — جل شأنه — أن يجنبنا برحمته وكرمه ما تردى فيه هؤلاء الذى اجتالتهم الشياطين ، واجتاحتهم ، وتردت بهم فى هاوية سحيقة ما لها من قرار .

(فخلف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة) جاءت الآية بهذه الصفة قبل أن تجىء بصفة أخرى من صفاتهم ، لبيان أنها أول الصفات ضلالة وخساراً ، وأن ضدها هو أول الصفات هداية وفلاحا .

ومن ضيع صلاته ، ضاع له كل شىء ، وضاع منه كل شىء ، ضاع ثوابه ، وضاع إيمانه ، وضاع أمله فى الآخرة .

فماذا يقول سلفنا الصالح عن معنى إضاعة الصلاة ؟ وقبل أن ننقل عنهم ماقالوا أحب أن أشير إلى أن الله سبحانه جعل للصلاة شروطاً وصفات ، فأن انتفت هذه الشروط لم تتحقق لها ما ذكر الله من صفات وآثار فى السمو بالنفس البشرية ، ولنتدبر الآيات التى بين الله فيها الشروط التى بتحققهايتحقق وجود الصلاة. وأول وأهم شروطها : إقامتها بل إقامتها شرط به تتحقق جميع شروطها .

وحسبك هذه الآية (الذين إن مَكَّناهُمْ فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزكاةَ ، وأَمَرُوا بالمعروف ، ونَهَوْا عن المنكرِ . ولِلهِ عاقبةُ الأمور) الحج : ٤٤ .

فلنتدبر (قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وقوله سبحانه : (وهم على صلاتهم يحافظون) الأنعام : ٩٢ (الذين هم على صلاتهم دائمون) المعارج : ٣ .

(ولا تَجْهَرْ بصلاتك ، ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا) الإسراء : ١١٠ (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً مَوْقُوتا) النساء : ١٠٣ . ثم تدبر الآيات التى فرضت الطهارة قبلها . والتى فيها وصف لصلاة المنافقين ، واقرأ ماروى من صحاح الأحاديث عن الصلاة .

إننا بهذا التدبر نعلم أن فقدان شرط من هذه الشروط هو إضاعة للصلاة . وإليك رأى السلف رحمنا الله رب العالمين ، وإياهم .

إضاعة الصلاة : قيل : تركها . وقال الأوزاعى : إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفراً . وقد قيل لابن مسعود : إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) و (على صلاتهم دائمون) و (وعلى صلاتهم يحافظون) فقال ابن مسعود على مواقيتها قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ، قال : ذلك الكفر .

وروى عن عمر بن العزيز قصة ما أجمل العبرة التى فيها ، فقد بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين . فخرج إلى حرسه ، وقد كان تقدم ـ عمر ـ إليهم ألا يقوموا إذا رأوه . فأوسعوا له ، فجلس بينهم ، فقال : أيكم يعرف الرجل الذى بعثناه إلى مصر ؟ فقالوا : كلنا نعرفه ، قال : فليقم أحدثكم سناً ، فليدعه ، فأتاه الرسول ، فقال : لاتعجلنى أشدّ علىّ ثيابى ، فأتاه ـ أى أتى الرسول عمر ـ فقال له عمر : إن اليوم الجمعة ، فلا تبرحنّ حتى تصلى ، وإنا بعثناك فى أمر أعجله للمسلمين ، فلا يعجلنك مابعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها فإنك مصليها لامحالة ، ثم قرأ (فخلف من بعدهم خلف . . . » ثم قال : لم يكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت :

ولعلنا أدركنا من آيات الكتاب المبين أن إضاعة الصلاة أعم مما قالوا . وأن من ترك شرطاً مما ذكرت الآيات ، أو جاء بها ناقصة وصفاً مما وصفها الله به ، فقد ضيع الصـــلاة .

والتعبير بالإضافة يوحى بجهالة الذين ضيعوها ، فكأنهم كانوا يملكون شيئاً عزيزاً غالياً عظيما ، ثم ضيعوه ، وكان لهم سنداً وذخراً وحياة طيبة .

(واتبعوا الشهوات) هذه هى قصة الصفة الثانية التى تترتب على الصفة الأولى ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

ولكنها ضُيِّعت . أضاعوها بحماقتهم ، فضاع منهم ما كان يمكن أن يكون لهم ،

وهو البعد عن الفحشاء والمنكر ، لهذا كانت الشهوات لهم مَلاَذًا ومُرْتاداً ، وكان اتباعهم لها هو سنتهم فى الحياة .

(فسوف يَلْقَوْنَ غيًا) جاء كلمة سوف ، لتوحى بأن العذاب لايحيق بهم فى الآن الذى هم فيه ، وإنما يحيق بهم بعد ، فإن كلمة « سوف » تفيد تأخر زمن الفعل . وفى التعبير بها إيحاء إلى أولئك الذين يضيعون الصلاة بأن ينتهوا عن تضييعها ، فقد منحتهم الآية بفضل الله هذه الفرصة التى يجب عليهم أن ينتهزوها قبل أن يلقوا الْغَيَّ . غى الخلق فيعيشون بأخلاق السفاهة والمجانة والإثم . غَيّ الحياة ، فلا يجدون فى حياتهم سوى الفساد ، غَيّ باطنهم ، غى المصير ، فلا يجدون لهم عند الله ثوابا ، لأنهم ضيعوه .

(إلا من تاب ، وآمن ، وعمل صالحًا) .

يوجب الله التوبة مع الإيمان والعمل الصالح ، التوبة ندم ، وعزم على نبذ الماضى ، وبدء حياة جديدة مع الله سبحانه ، وحسبنا بِرًّا من الله أن يجعل لنا توبة .

واشتراط الإيمان يوحى بأن المضيعين للصلاة لم يكونوا مؤمنين[1] ، وإلا ما اشترط الله مع التوبة الإيمان وكذلك قل عن اشتراط العمل الصالح .

والتوبة مع مابعدها يجعل من الانسان قوة إنسانية رائعة تفرض على الحياة أن تكون بين يديها صالحة . وتحقق وجود الكمال البشرى فى أحب صوره .

وبهذه القوى حين تتجمع فى وحدة ، تقام الأمة ويمكن لها دينها الذى ارتضى لها ، ويجعل الله لها من أبنائها خلفاء الأرض الصالحين .

وتدبر فى آخر سورة الفرقان جزاء التوبة فى الدنيا ، وما يترتب عليه فى الآخرة : (إلا مَنْ تابَ وآمَنَ ، وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فأولئكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ ، وكان

---

(١) قال المعز البيضاوى كلمة دقيقة عقب هذه الآية (وهذا يدل على أن الآية فى الكفرة)

الله غفوراً رحيما) . تدبر هذا التبديل تدبر المؤمن بما يقول الله . وهنالك تعرف عن رحمة الله ما يجعلك سعيداً فى الدنيا وفى الآخرة .

(فأولئك يدخلون الجنة ، ولا يُظلمون شيئاً) إن كلمة أولئك تستعمل فى الإشارة إلى البعيد . والذى يتدبرها هنافى هذه الآية يشعر بسمو منزلة هؤلاء ، وبأنهم فى أفق أعلى يشار إليه بكلمة أولئك . وقد وعدهم الله بثواب هو دخول الجنة ، وبأنه لن ينقصهم من ثوابهم شيئاً ، وفى هذا مايجعل قلوبهم مطمئنة إلى أن ماضيهم الخبيث لن يكون له أثر (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب) توحى هذه الآية بعد تلك، بأن هذه الجنات هى الجنات التى ذكرت فى القرآن بما فيها من طيبات ونعم وبما لها فيه من صفات عاليات رائعات ، توحى بأنها الجنة التى وعد الله بها عباده لاجنة أخرى ، وهذا نفسه يوحي بأن الله سبحانه قد جعل منهم بعد التوبة عباده ، عباد الرحمن الذين قال عنهم القرآن ما قال . ولو أن هذه الآية لم تذكر بعد تلك ، لتوهم الظن أن الجنة التىَ وعد بها أولئك التائبون إنْ هى إلا جنة أخرى غير الجنات التى ذكرت فى القرآن .

والإتيان بكلمة « جنات » جمعاً بعد إفراد فى الآية السابقة يؤكد هذا المعنى أى أنها هى جنات الله التى وعد بها الله عباد الرحمن لاجنة أخرى .

و« بالغيب » إلماعٌ إلى سمو إيمان عباد الرحمن ، إذ يؤمنون بوعد الله بالغيب ، وهذا الإيمان هى أعلى وأعظم درجات الإيمان ، لأنه يرجع إلى أمرين : أولهما : حب الله ، ومعه اليقين الذى لاينال منه شىء ، اليقين بصدق كل قول يقوله ، وإن كانوا لايرون شيئاً مما يقوله .

إنهم لم يروا الله ، ولكنهم آمنوا به ، ولم يروا ماوعدهم به ، ولكنهم آمنوا به فعلى أى شىء يدل هذا ؟

يدل على أنهم تدبروا ، فآمنوا عن حُبٍّ ويقين .

(إنه كان وعده مَأْتِيًّا) إن من صفات الله أن مايعد به لابد وأن يتحقق ، لابد وأن

يؤتيه الذين وعدهم به ، وأن يأتيه الذين وعدوا به ، لأنه جل شأنه القادر المهيمن على كل شىء ، والذى أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن . فيكون .

نحن قد نعد ، ورغم اتصافنا بالوفاء ، وحرصنا الأكيد على الوفاء بما نعد . رغم هذا قد ترغمنا الأحداث على عدم الوفاء ، وهذا من عجز البشرية ، عجز الإرادة والقدرة ، ومن جهلها بالغيب .

فلو أن إرادتها فى القوة التى تقهر إرادة غيرها لاستطاعت أن تحقق وعدها . ولو أنها كانت تعلم الغيب ماوعدت بما تعلم أنها ان تستطيع تحقيقه .

ولكن إرادة الله ومشيئته فوق كل إرادة ومشيئته ، وقدرته جل شأنه قهارة لكل قدرة ، وهو الكريم الغنى فكيف لايفى بوعده .

وما الذى، أوْ من الذى سيحول بينه وبين الوفاء بما وعد ؟ إنه الخلاق، إنه جل شأنه القائل كن فيكون .

(لايسمعون فيها لغواً إلا سلاما) . هم أنفسهم لايقولون إلا كلاماً طيباً لايشينهم بعاب ولانقص ، ولا يثير فى القلوب إلا الحب والخير ، وهم لايسمعون إلا كلاماً شأنه كذلك(١) .

(ولهم رزقهم فيها بكرة وعَشِيًا) الرزق مادى وروحى ، هذا الرزق العظيم رزق دائم لاينقطع ، فالتعبير بأول النهار وآخره يعطى هذا المعنى .

هذا وفى كتاب الله سبحانه آيات محكمات عن الجنة وثوابها العظيم المادى والروحى . الثواب الذى تؤكد آياته أنه الثواب الذى لايعدل شيئا منه ثواب آخر من كل الملوك

---

(١) للبيضاوى تعبير آخر فيه دقة ولمحات للذكاء وهو بصدد بيان معنى الاستثناء هنا (أو على أن معناه الدعاء بالسلامة . وأهلها أغنياء عنه ، فهو من باب اللغو ظاهرا ، وإنما فائدته الإكرام »

البررة مجتمعين . والذى يفرضه الله علينا أن نؤمن بكل كلمة تتكلم عن هذا الثواب دون أن نأتى لها بتأويل هو تحريف للكلم عن مواضعه ، أقول هذا لأن الذين لا يأخذ القرآن ولا يدنو قلوبهم منه بحب أو ثقة ، يزعمون أن كل كلمة عن الجنة يجب أن تؤول بمعنى آخر غير معناها الذى هو لها فى كتاب الله . زعماً منهم أن الله أكبر من أن يعدنا بثواب من طعام وزوجات وفرش وغير هذا مما بين الله سبحانه . . إننا بشر، وللبشرية استمتاع خاص بها ، ونعيم تدرك أنه نعيم ، وتذوق به تشعر أنها فى سعادة أو شقاء . ولهذه البشرية أعد الله ـ وهو العليم الخبير ـ ما أعد من ثواب وصفه لنا . فلنؤمن مخبتين مذعنين بكل كلمة ، بكل وصف ذكره ، حامدين الله على نعمائه ، ضارعين إليه أن يهب لنا ما أعده جل شأنه .

وإليك حديثين ذكر فيهما شيء من حياة أهل الجنة فى الجنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تلج الجنة ، صورُهم على صورة القمر ليلة الْبَدْرِ ، لا يَبْصُقُون فيها ، ولا يَتَمَخَّطُون فيها ، ولا يَتَغَوَّطُون ، آنيتهم وأمشاطُهم : الذهبُ والفِضة ومجامُرهم : الأُلُوَّةُ ، ورَشْحُهُمْ المسكُ ، ولكل واحد منهم زوجتان يُرَى مُخُّ ساقيها من وراء اللحم من الحسن . لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض . قلوبُهم قلبُ رجلٍ واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا » البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه . والألوة بفتح الهمزة وضمها ، وبضم اللام وتشديد الواو وفتحها من أسماء العود الذى يتبخر به ، ويقول الأصمعى : ما أراها إلا فارسية عربت .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة ليتراءوْن أهلَ الغُرفِ من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدُّرِّىَّ الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب، لتفاضل ما بينهم . قالوا : يارسول الله . تلك منازل الأنبياء ، لا يبلغها غيرهم . قال : بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين » البخارى ومسلم. ورواه الترمذى من حديث أبى هريرة بنحوه وصححه ، « إلا أنه قال : إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرفة كما يتراءون الكوكب

الشرق أو الكوكب الغربى الغارب فى الأفق أو الطالع، فى تفاضل الدرجات » والغابر : الذاهب الذى تدلى للغروب ثم تدبر ماذكر الله فى الكثير من سور القرآن ، ولاسيما فى سورة الواقعة ، فقد وصف الله فيها جنات النعيم التى يدخلها السابقون ، وجنات أصحاب اليمين .

وإننا لنضرع إلى الله جل شأنه أن يجعلنا من أصحاب اليمين . وأن يوفقنا إلى العمل الذى به يستحق ثواب أصحاب اليمين إنه سميع قريب مجيب الدعاء »

عبد الرحمن الوكيل

« ثلاثة برزوا بسبقهم »

قال حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما :

ثلاثة بَرّزوا بسبقهم نضَّرهم ربهم إذا نُشروا
عاشوا بلا فُرقة حياتهم واجتمعوا فى الممات إذ قُبروا
فليس من مسلم له بصر يُنكر من فضلهم إذا ذُكروا

وقال اعرابى لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلا محمداً وإلا أبا بكر نروح ونغتدى

« عيون الأخبار »

ركن السنة

الخصال المؤدية لظل العرش

عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه » « متفق عليه » .

« شرح الحديث »

قال ابن عبد البر : هذا أحسن حديث يروى فى فضائل الأعمال وأعمها وأصحها . وقد اختلف فى المراد بظله هنا ، فجنح قوم إلى التأويل بلا موجب ولا دليل ، فمنهم من قال المراد به رحمته . ومنهم من قال حمايته وكرامته . والصحيح الذى عليه الأكثرون أن المراد به ظل عرشه للتصريح به فى كثير من الأحاديث ، ولأن المراد وقوع ذلك فى الموقف حين يحتاج الناس فيه إلى الظل عند ما تدنو الشمس من رءوس الخلق ويلجمهم العرق فيكون هؤلاء السبعة بمنجاة من هذا الكرب الشديد جزاء لهم على اتصافهم بهذه الخصال العظيمة . وقد جزم بهذا القول القرطبى ورجحه ابن حجر وضعف قول من قال المراد به ظل طوبى أو ظل الجنة ، لأن ظلهما إنما يحصل بعد الاستقرار فى الجنة ، ثم إنه مشترك بين جميع من يدخلها مع أن سياق الحديث يدل على امتياز أصحاب الخصال المذكورة .

قال الحافظ ابن حجر : وقد وقع فى صحيح مسلم من حديث أبى اليسر مرفوعاً « من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » وهاتان الخصلتان غير السبعة المذكورة فى الحديث ، فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له .

وقد زعم السيوطى أنه بلغ بتلك الخصال إلى السبعين وألف فيها كتاباً سماه « تمهيد الفرش فى الخصال المؤدية لظل العرش » معتمداً فى ذلك على آثار واهية أو موضوعة .

وعلى كل حال فليس فى الحديث ما يدل على انحصار هذا الوعد فى أصحاب الخصال المذكورة وإن كان يفيد دخولهم فيه دخولاً أولياً .

وإنما استحق هؤلاء أن يمتازوا عن جميع أهل الموقف بهذه المنقبة العظيمة لأن كل واحدة من هذه الخصال تشهد لصاحبها بأنه بلغ فى الإيمان الدرجة التى توجب له محبة الله ، ومن أحبه الله آواه إلى ظله وحماه وحفظه من السوء ووقاه .

* * *

١ — أمّا الصنف الأول وهو الإمام العادل ، فإن العدل هو أساس خصال الخير كلها وهو الميزان الذى توزن به خيرية الرجل وشريته ، فمن كمل عدله كمل خيره ، ومن لا عدل عنده فلا خير فيه . ويكفيك دليلاً على شرف العدل وعظيم خطره أن ضده وهو الظلم : أقبح خصال الشر وأخشها . وهو قطب رحاها الذى تدور حوله وينبوعها الذى تنبع منه .

والعدل مطلوب من كل أحد فى كل حال : أن يعدل مع نفسه فيعطيها حقها من العلم والمعرفة ويزكيها من رجس الشهوات وقبيح العادات ويسمو بها عن الدناءات . وأن يعدل مع أهله وولده فيحوطهم ويرعاهم ويقوم لهم بما يكفيهم ويسوى بينهم ويأخذهم بآداب الشرع من المحافظة على الفرائض واجتناب المآثم ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وقودها الناس والحجارة) وأن يعدل فى قوله فلا يشهد زوراً ولا يقول كذباً ، قال تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا) . وأن يعدل فى حكومته إذا حكم بين متخاصمين ، فلا يجور ولا يحيف . قال تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) .

وأن يعدل فى كل ماوليه من عمل أو وظيفة ، قال عليه السلام : « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

وإذا كان العدل بهذه المنزلة وكان مطلوباً من كل أحد فلا شك أنه من الأئمة الذين يلون أمور الناس ومصالحهم يكون أشد طلباً ، لأن نفعه وخيره يكون عاماً شاملا . وإذا كان الجزاء على العمل إنما يحسب بمقدار ما فيه من خير ونفع ، فلا غرو إذا استحق الإمام العادل أن يكون فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله .

* * *

٢ — وأما الصنف الثانى : فهو شاب نشأ فى عبادة الله ، يعنى أنه قهر دواعى نفسه الأمارة بالسوء وكفكف من غربها ولم يسترسل معها فى غيها ولم يسم سرح اللهو حيث يسيم مثله من الشباب ، بل ألزم نفسه القيام بوظائف العبادة وحصرها فى سجن الطاعة ، وهو فى السن الذى تثور فيه الشهوات على صاحبها وتحاول التفلت والانطلاق من جميع القيود والسدود . فلا عجب إذا كان هذا الشاب الذى نهى نفسه عن هواها ولم يرخ لها فى خطام أحلامها ومناها وحجزها عن كل ما يشينها ويدسيها ، ثم راضها على القيام بالتكاليف رغم كراهتها واستثقالها ، لا عجب أن يكون هو كذلك فى ظل الله عز وجل .

* * *

٣ — وأما هذا الذى قلبه معلق بالمسجد ، فلا يخرج منه بعد أداء الصلاة إلا وفى نيته أن يعود إليه ، فهو يجد فى المسجد راحة قلبه وطمأنة نفسه فيحن إليه كما يحن الطائر إلى وكره والصبى إلى حضن أمه ، فهذا دليل على كمال الإيمان فى قلبه وعلى أنه يرى فى الصلاة قرة عينه . وقد قال عليه السلام « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » وقال « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزُلاً من الجنة كلما غدا أو راح » وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ولا شك أن ذلك

ليس قاصراً على العمارة الحسية بل يشمل العمارة المعنوية بالصلاة وذكر الله ومدارسة العلم ، بل لعل الأخيرة هى الأهم . فمثل هذا الذى قلبه مربوط بالمسجد أينما كان فى بيته أو فى محل عمله وهو طبعاً ما أحب المسجد إلا لما يقوم به فيه من عبادة الله وذكره ، يكون خليقاً بأن يظله الله فى ظله .

* * *

٤ — وأما هذان اللذان تحابا فى الله عز وجل فلا يجتمعان ولا يفترقان إلا على ذلك ، فهو دليل على كمال محبتهما لله فإن الحب فيه وله سبحانه فرع محبته فى نفسه ، فلولا ما امتلأ به قلباهما من محبة الله عز وجل لما أحب كل منهما أخاه من أجله جل شأنه . وقد روى مالك فى الموطأ عن أبى إدريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى وجبت محبتى للمتحابين فىَّ والمتجالسين فىَّ والمتزاورين فىَّ والمتباذلين فىَّ » .

وفى الحديث الآخر : « أين المتحابون فىَّ بجلالى لأظلنهم اليوم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » .

٥ — وأما هذا الذى ذكر الله خالياً ، أى منفرداً عن الناس ، فذكر مقامه بين يدى ربه وموقفه للسؤال والحساب ، ففاضت عيناه بالدمع من خشية الله عز وجل وشوقا إلى لقائه وطمعاً فى جنته وخوفا من ناره ، فقد شهد له ذلك برقة القلب وحياته وقوة إيمانه بوعد الله ووعيده حتى كأنه يرى ذلك رؤيا العين ، فهو يحسب للقاء الله عز وجل ألف حساب ، ولا يدرى ماذا ستكون حاله عند هذا اللقاء فتجود عينه بالدمع الغزير خوفاً من سوء المصير .

وقد شهد له ذلك أيضا بقوة مراقبته لله عزوجل وكمال تقديره للمسئولية ، فمثل هذا لا يظن به أن يفرط فى واجب ولا أن يقدم على قبيح ولا أن يبغى أو يظلم .

وقد جاء فى الحديث « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت

تحرس فى سبيل الله » فهو لاشـك حقيق بأن يكون من السبعة الذين يظلهم الله عزوجل بظله .

* * *

(٦) وأما هذا الذى دعته أى طلبته امرأة ذات حسب وجمال إلى نفسها يعنى أنهـا هى التى راودته عن نفسه ولم يكن هو الذي راودها عن نفسها وهى مع ذلك قد اجتمعت لها كل أسباب الفتنة والإغراء فهى أولا ذات حسب عريق وليست من سوقة النساء ، وهى ثانيا ذات جمال بارع يذهب بالألباب ، ولـكنه رغم إلحاح الفتنة عليه وإحاطتها به من كل جانب لم يتردد حين دعته هذه المرأة إلى نفسها أن يقول لها فى لهجة صارمة وعزيمة صادقة ، إنى أخاف الله ، فمثل هذا الذى بلغ خوفه من الله ومراقبتـه له هذا الحد الذى تحطمت على صخرته أعتى أمواج الشهوة وأقوى دواعى الفتنة قد وصل إلى مقام الصديقية وصار أخا ليوسف بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ حين قال لامرأة العزيز وقد راودته عن نفسه : (معاذ الله إنه ربى احسن مثواى إنه لايفلح الظالمون) .

وصار بذلك أهلا لأن يكون فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله .

* * *

(٧) وأما آخر الأصناف فهو ذلك الرجل الذى يبلغ فى التخفى بصدقته ، بعدا بنفسه عن مظنة الرياء وطلبا لفضيلة الإخلاص ، حتى تقع موقعها من القبول عند الله عزوجل ، فيجتهد فى إخفائها إلى الحد الذى لاتعلم شماله ما أنفقت يمينه .

ولاشك أن ذلك دليل على حرصه على قبول عمله وحياطته من كل مايوجب حبوطه وبطلانه ، ودليل على حبه للخير ورغبته فيه .

فمثله جدير بأن يكون يوم القيامة فى ظل صدقته وفى ظل عرش الله يوم لاظل إلاظله .

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا واخواننا ممن يتخلقون بهذه الأخلاق العالية التى تورث أصحابها الأمن والاهتداء ، إنه سميع الدعاء ؟

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

٩ – واجبنا نحو الشباب

حتى يعلمَ الشباب

مَنْ هُم أنصار السنة

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد

أشهد الله تعالى أنى ما كتبت هذه الكلمة بإيعاز من أحد ، ولا تملّقاً أو تزلفاً لأحد ، وإنما كتبتها خالصة لوجه الله تعالى — على ضوء ما لمسته بنفسى ورأيته بعينى رأسى فى محيط أنصار السنة المحمدية — وذلك وضعاً للحق فى نصابه ، وإنصافاً لفئة كرام أفاضل ؛ أسيء فَهْمُهمْ بدافعٍ من أغراض كان يجب أن تتنزه عنها العقائد ، وتترفع عن المآرب والأهواء .

فمن أجل تعريف الشباب بأنصار السنة وبدعوتهم — وجّهتُ هذه الكلمات إلى الشباب الذى بدأ عوده يخضرّ وأخذ زهرُهُ يتفتح — وأخص بالذات من لم يسمع بعد — ربما لحداثة سنه ، أو لظروف أدّت إلى ابتعاده عن البحوث والمناقشات الدينية البناءة — بأنصار السنة — أو من ربما صافح أذنيه هذا الاسم الحبيب « أنصار السنة المحمدية » للمرة الأولى ، فتاقت نفسه بدافع من حب الاستطلاع إلى السؤال عنهم ومحاولة البحث عن ماهيتهم ، فلقِىَ ممن حوله صدًّا عنهم وتنفيراً منهم زوراً وبهتاناً — لهذا فقد أردت أن أضع الحقائق المجردة أمام أعين الشباب لئلا يؤخذ على غرة أو ينخدع بمعسول القول .

* * *

إننى منذ أن سعدت بتعرفى بأنصار السنة وبإخائى معهم ، وضمتنى وإياهم بيوت الله ؛ ما رأيت فيهم سوى أناسٍ يعملون ويكرسون جهدهم الصادق ابتغاء مرضاة ربهم لرفعة

دينه وإجلاله فى المحل اللائق ، لأنهم فهموا بحق قوله تعالى : (ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لا يعلمون) .

هم قوم عرفوا الحق وذاقوا حلاوته ، فهم بدافع من إيمانهم ووطنيتهم ومحبتهم للمسلمين أرادوا أن يذيقوهم ما ذاقوا حتى تشتفى منهم الصـدور كما اشتفوا ، ويعرف الآخرون قيمة الإسلام كما عرفوا .

آثروا تبيان العلم على كتمانه ، كما طلب إليهم نبيهم صلى الله عليه وسلم حيث يكونون أحرى برضوان ربهم ، فهم بهذا إلى الخير سباقون ، وإلى خدمة دينهم وقومهم مبادرون ، وإن جُوزوا من فئات المضلين جزاء سنمار[1] ـ إلا أن هـذا لم يقعد بهم عن مضاعفة الجهد حتى ثبت الله أقدامهم ، لأنه كما قال تعالى وقوله الحق (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ورغم ماتجشموا من عناء فهم لايحملون لأحد موجدة لذاته ، وإنما هم إن أحبوا فلله وإن أبغضوا فلله .

* * *

تأتى ـ أيها الشباب ـ لمناقشتهم ؛ فيرحبون بك ويسمعون إليك ويمحضونك النصح ، ويقدمون إليك الدليل الذى يدعم قولهم ، وذلك من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم ، ومما صح من أقوال وأفعال السلف الصالح الرشيد الذى اتبع فأحسن الاتباع ـ لامن ابتدع فأساء بالابتداع من حيث أراد الانتفاع . يقدمون لك الدليل الذى لا ينقض قبل أن تسأل أنت عنه أو تطالبهم به ، وما قالوا قولا أو عملوا عملا إلا وقد أرفقوا به الدليل الصحيح الذى يضعونه دواما نصب أعينهم ولا يغفلون عنه قط .

وشتان بينهم وبين من إن سألته عن الدليل فى قوله تجهم وثار وتوعدك بالخسار والبوار ، واتهمك بقلة الذوق ونُضب معين الإحساس لتطاولك عليه واجترائك على مكانته السامقة ، وهو العالم النحرير الذى درس كذا وكذا . . وحصل على كذا وكذا . . ثم لايكتفى بمهاجمتك وحده ، وإنما يبادر بتعضيده من التف حوله من الأتباع والأشياع

---

(١) هو مثل يضرب لمن يفعل الخير فيجازى عليه بالشر .

والحاشية والأذناب والحواريين والمريدين ، فيسلقونك بدورهم بألسنة حداد ويصبون عليك جام سخطهم ويحاولون إغراقك فى متاهات يبعدُ بك عما هدفت إليه وما جئت إليهم لأجله . وليت شعرى والرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ماحصلوا على شهادات علمية ولا دراسية ، وهم الذين أبلوا أحسن البلاء فى نشر هذا الدين المتين وتثبيت دعائمه حتى غزا بكماله كل بقعة فى هذا العالم ، أكانت الشهادات العلمية ـ التى لم يحصلوا عليها تقف حائلا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم وبين إبلاغ دعوة الحق والخير ؟ اللهم لا .

هم ـ بحق ـ أنصار السنة ، وهم كذلك حربٌ على البدعة ـ أعنى كل بدعة ـ جلهم علماء متفقهون ، وأذكياء متبصرون ، يستمعون إلى متحدث وفى أى مكان بقلوب واعية وآذان صاغية وأذهان يقظة متفتحة ، لذا فهم يردونه إلى الصراط السوى إن هو تلاعب بدين الله أو مال أو انحرف . ويسألون الله له المزيد من التوفيق والسداد إن استقام على الجادة فلم يَحِد أو يزغ .

يتميزون بالإخلاص النادر والحرص الدائم والذكاء والذهن المتوقد، فهم كما قال تعالى (يستمعون القول فيتبعون أحسنه) يتساوى فيهم الصغير والبسيط والفقير مع الوجيه ذى المنصب الكبير الخطير ، فلا يجد هذا أى غضاضة فى الجلوس إلى ذاك ـ متحدثاً ومؤنساً ومسامراً ومعلماً أو متعلماً ـ دون أن يشعر بأنه قد أضاع وقته أو جهده سدى ؛ بل إنه ليجد فى ذلك كله سعادة غامرة لاتعد لها سعادة ، وما هذا إلا لأنهم تتمثل فيهم حسن الصحبة وصدق الإخاء ومنتهى الوفاء وحسن الإيناس .

إن أم الناس فى الصلاة ذو المنصب الكبير فى هذه المرة ، فلا عليه مطلقاً أن يصلى مأموماً بنفس الروح الطيبة المثالية السمحة لأخيه البسيط ذى المنصب المتواضع مرة ومرات، بل إنه ليسعده ولاشك أن يدفعه دفعاً للتقدم والاستزادة فى ميدان التفقه والتعلم ، إن أعوزه من ذلك شىء كى يستكمل ماقد ينقصه .

منهم من حصل على أرقى الشهادات العلمية والدرجات العالية ، ومنهم الأمى الذى

لم تتح له ظروفه الفرصة للتعلم فى مدرسة ، ولـكنهم ـ جميعا وبلا استثناء ـ أساتذة متفقهون ، وأئمة فى دينهم بدرجة تثلج الصدور وتبهج النفس ، وهذا ماننتقده فى غيرهم إذ يعتمدون على شيوخهم وأحبارهم فى كل صغيرة وكبيرة .

ـ يذكرك مرآهم فى تمسكهم بدينهم والتفافهم حول رايته بعصور السلف الصالح الزاهرة لفرط حرصهم على انتهاج منهجهم والسير على دربهم ، ولأنهم ليسوا بالأكثرية كغيرهم ، فهم والحق ـ صورة مصغرة من مجتمع السلف العظيم الذى أبداً تشعر بالحنين إليه النفوس ، وتهفو إليه القلوب والأرواح . وما كان فى القلة ما يعيب ، فهذا قوله تعالى مشيدا بالقلة المؤمنة فى أكثر من موضع : (وقليل من عبادى الشكور) . وقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) وقوله عمن آمن من قوم نوح عليه السلام : (وما آمن معه إلا قليل) . وقال تعالى عن الكثرة الزائفة : ـ (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) وقال أيضا : (ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لايعلمون) كما قال صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسـلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء. قالوا ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال ـ ولهذا الحديث نحوا من احدى عشر رواية مختلفة) « قوم صالحون قليل فى ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو حال أنصار السنة فى مختلف الأزمنة ، ما أنصفهم خصومهم الحاقدون المحنقون إذ وصفوهم بالتزمت واتهموهم بالتعصب إفكا وافتراءا ـ وهم فى الحقيقة أبعد ما يكون عن ذلك ، فما كان رائدهم وديدنهم سوى التمسك ـ وهو الذى كثيرا مايغيظ الخصوم ويثير حفيظتهم ، وما كان التمسك إلا السبيل الأمثل للفلاح والنجاح لقوله صلى الله عليه وسلم « المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد » وقوله : « يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر » وكذلك الحديث الذى رواه العرباض بن سارية والذى منه قوله صلى الله عليه وسلم «فإنه من يعش منـكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ». الحديث .

« وسوف نفرد بإذن الله لهذا الموضوع بحثا خاصا لما له من أهمية خاصة » . وشتان بين التعصب والتمسك ـ اللهم إلا إن كان التمسك بالحق الذى جاء به رسول رب العالمين لايرضيهم ، فلهذا شأن آخر وأى شأن .

* * *

أما هؤلاء الخصوم فهم الذين أولى بهم أن يوصفوا بالتشدد ويوصموا بالتزمت لأنهم بفتاواهم الخاطئة إنما يرهقون الناس من أمرهم عسرا . وأسوق لذلك مثالا واحدا هو فتواهم لتارك الصلاة بقضاء الصلوات الفوائت بلا دليل ولا برهان . ولئن شئنا لعددنا الكثير من أمرهم ولأعيانا الحصر والعد .

يتهم البعض أنصار السنة بإطالة الصلاة ، ولست أدرى كيف لايشعر هؤلاء البعض بالخزى لافترائهم لهذا الاتهام المعيب ، ولا يحسون بالخجل من أنفسهم وهم يتعجلون سرعة الفرار من الوقوف بين يدي الله . أما أنصار السنة ، فالحق أن صلاتهم ليست بالطويلة المملة ولا بالقصيرة المخلة .

ولو أنصف الخصوم أنفسهم لأدركوا قيمة الوقوف بين يدى رب العالمين ، ولوضعوا للصلاة الاعتبار الأول من حيث أدائها أداء سليما مستقيما يتفق وشريعة الاسلام وصفة صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى معروفة وثابتة منذ التكبير إلى التسليم ، ولمسوا البون الشاسع بينهم وبين تلك الصلاة إذ يغرقون أنفسهم فى الملاهى الساعات الطوال دون ملل أو سأم ثم يضيقون ذرعا بدقائق قليلة يمضونها فى مناجاة ربهم ، ولتبدى لهم الفرق الواضح بينهم وبين من يؤثرون التمتع بمناجاة أحكم الحاكمين خمس فترات معقولة فى اليوم . . لايحول بينهم وبين ذلك حائل ، ولأحس أولئك الخصوم بالصغار إذ يدمغهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن المسىء صلاته ، وهو حديث أشهر من نار على علم .

إن أنصار السنة — أيها الشباب — ينشدون الكمال فى عبادتهم ويودون ذلك لغيرهم لأن دينهم هو دين الكمال ، وهم إذ يطلبون إليك العمل وفق ما جاء فى الكتاب والسنة والوقوف عند حدودهما ، دون غيرهما فإنهم بذلك يقدمون لك أغلى النصائح التى

تنفعك فى دنياك وأخراك حيث يكشفون لك عن نفيس جوهر هذا الدين فتسعد بذلك السعادة الكبرى . إنهم يخلصون لك الود ويتمنون لك الهدى ، ولسوف تعرف على أيديهم معنى التوحيد الحق فى أكمل صوره ، وستلمس الإخاء الإسلامى فى أرفع درجاته كما عرفوه بدورهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

* * *

يفرحون أيما فرح لكل من اهتدى إلى الحق — لا من أجل أشخاصهم ولا لأنه مبدؤهم — ولكن من أجل الحق وحده لأنه حق . فكما يفرح الله تعالى بتوبة عبده وأوبته إلى رحابه ، كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف فهُم — ولله المثل الأعلى — يفرحون إذ يهدى الله بهم وعلى أيديهم كل من اهتدى ، وذلك لما طبعت عليه نفوسهم وقلوبهم من حب الخير والبذل والبر والإيثار والتضحية . ولكم تفيض قلوبهم إشفاقاً وألماً لمن كابر وعاند وتنكب طريق الحق — يشفقون عليه من مصيره المحتوم — مصير المكابرين — ويتملكهم الأسى والأسف ، إذ يرون الخسار يحيق بأناسٍ كان فى وسعهم أن يتقوه لو أنهم أتاحوا لأنفسهم مزيداً من التعقل والروية وإعمال الفكر وحب الحق ، وإن خالف هذا الحق هواهم ومشربهم الذى طُبعوا على حبه من قبل .

يريد أنصار السنة لمن أوغل فى الضلالة والجهالة أن يتحرر من ذلك كله فيشعر بقيمة عقله ويحسن استخدامه والإفادة منه .

تحملوا من إيذاء ومهاجمة المخرفين والمضللين وتشهيرهم بهم بالباطل ضروباً وأفانين وصنوفاً وألواناً ، فصبروا وصابروا وثبتوا فما لانت لهم قناة ، ولا فَتَّ الأذى فى عضدهم ، وكأنى بهم يستعذبونه مستبسلين ومتمثلين لرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام فى سبيل نعمة الإسلام تلك النعمة الجليلة التى أسبغها الله عليهم وآثرهم بها ويسّرها لهم،وذلك كما قال تعالى(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى).

هم قوم تجمعهم كلمة الله ، ويحرصون على توحيدهم له أكثر من حرصهم على الروح والمال — خشية أن تشوبه شائبة وإن كانت غير مقصودة وعفو الخاطر ، ولقد كانوا

قلة فأعزهم الله بعز دينه وبارك فيهم لأنهم باعوا أنفسهم لله ، فما أخلف الله لهم وعده لأنه تعالى لا يخلف الميعاد .

(كلمة الختـــــام)

وما دمت فى معرض الحديث عن كرام أحبهم بكل وجدانى وروحى ، وتتعشقهم كل ذرة فى كيانى ، ويسعدنى مرآهم ، ويشرفنى تآخىّ معهم وتآخيهم معى فى الله ، وما دام الحديث عن أنصار السنة — ما لهم وما عليهم — فلى إليهم مطلبان .

المطلب الأول : أود أن أهمس فى أذن بعضهم عاتباً عليهم سرعة انفعالهم فى بعض مواقف النقاش مع من لم يتذوقوا حلاوة السنة ، ولم يتنسموا بعدُ أريجها الفواح ، فيأخذونهم خلال توجيههم ببعض الشدة .

ومع أننى أعلم علم اليقين أن الذى يحملهم على ذلك إنما هو فرط الغيرة على دينهم الحق وحرصهم على ألا يعلق به ما يشين — إلا أننى أوثر أن يتمكنوا — رغم غيرتهم المحمودة — من السيطرة على أنفسهم والتحكم فى مشاعرهم فى أمثال هذه المواقف عملًا بقوله تعالى : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) . لأن بعض الذين استغلقت أفهامهم قد يركب رأسه ويتملكه العناد ، فيفضل أن يسترسل فى الخطأ والضـلال على أن يؤوب إلى الصواب الذى يأتيه مشوباً ببعض الشدة التعليمية وإن كانت فى صالحه ، فتكون النتيجة أن يضيع الحق عندهم ، وأولى بنا حينئذ الرفق بهم حتى يلين منهم القياد ، فإنه « لأن يهدى الله بك رجلًا واحداً خير لك من حمر النعم ، وخير لك من الدنيا وما فيها » كما جاء فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن استجابوا للحق والهدى فبها ونعمت ، وإلا تركناهم بعد ذلك وشأنهم ، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، كما أشارت إلى ذلك الآيات القرآنية الكريمة .

أما المطلب الثانى : فإنما هو رجاء أسوقه إلى أساتذتنا الكبار من مجاهدى أنصار

السنة الذين قامت الدعوة على أكتافهم وعلى جهودهم ، وأهيب بهم فيه أن يقدموا خبرتهم وتجاربهم للشباب الذى سوف يأتى دوره ليأخذ نصيبه من تحمل العبء حتى يؤدى رسالته كذلك ، فيسرد الكبار على مسامع الشباب وفى الجملة مختلف المفارقات والمواقف ، وخلاصة التجارب التى خاضوها خلال جهادهم الطويل ويحيطونهم علماً بالعقبات التى اعترضتهم والمآزق التى صادفتهم ، وكيف أمكن لهم التغلب عليها والاستفادة منها .

ولست أقصد أن يكون ذلك على سبيل التفاخر - فهم أعنى أنصار السنة - بحمد الله أبعد ما يكون عن ذلك ، إنما قصدت أن يكون ذلك بمثابة دروس عملية تزود الشباب بذخيرة طيبة من حكمة الكبار الذين صقلتهم التجربة وحنكتهم ؛ وعركتهم الأيام ، فيضاف هذا إلى عزيمة الشباب وتوثبه ، فيمسون ولهم جهد مضاعف مزدوج . فما أبلغ دروس الحياة ! وإنها لخير معلم .

إنهم إن فعلوا ذلك لقدموا لدينهم ولقومهم خدمة جليلة ، وكما قلت ؛ فما قليل سوف يحين دور الشباب المؤمن ليحمل الشعلة و ينير لغيره الطريق ، ويريح الذين سبقوه وتحملوا من قبله العناء والعبء الأكبر ، حتى أصبح للدين الإسلامى هذه البهجة والنضارة ، وهذه الروعة وهذا الإشراق ، وجزى الله الجميع عن دينه خير الجزاء .

* * *

أيها الشباب : هؤلاء هم أنصار السنة كما عرفتُهُمْ ؛ قدّمْتُهُمْ إليك بكل دقة وأمانة ، وإنى لعلى أتم الثقة من أننى سوف أحاسب أمام رب العالمين من أجل كل كلمة قلتها ، وأحمد الله أنى ما ذكرت إلا الحق الذى يحبه الله . . وإنى أيها الشباب إذ أدعوك لتعرفهم بدورك فإنى بذلك أدعوك لتلمس أسباب الخير والسعادة لنفسك ولأمتك ، فأنت إذ تهفو نفسك الصافية إلى عبادة ربك عبادة صادقة نقية وعلى أساس قويم يرضى عنه الله ، فلن تجد منهجاً أسمى من منهجهم الذى نقلوه مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما وساطة المتعالمين أو فلسفة المتحذلقين أو تأويل المخرفين

أو تحريف للضالين . وعساى إذ محضتك النصح أن أكون قد دللتك على السبيل الصحيح .

وآمل في ختام كلمتي إليك أن يأخذ الله بناصرك ويسدد خطاك لتعي ما وعيتُ وتدرك ما أدركت وتتذوق ما تذوقت .

وما أحسن قول الإمام على رضى الله عنه لولده الحسن :

« يا بنيّ إذا رأيت إنساناً ذا تجربة فاستفد منه ولا تضيع قوله ولا فعله ، فإن فيما تلقاه منه فائدة لعقلك وحثاً لك على الاهتداء إلى طرق الخير » . والله يوفقني وإياك .

محرم بك — اسكندرية　　　　محمد عبد الكريم

« الهدى النبوى » : نسأل الله أن يجعل لنا نصيباً مما ذكر الأخ الكريم .

بحوث في تفسير القرآن

جمال الدين عياد يشكر للقراء الكرام حسن استقبالهم للكتاب الأول من سلسلة بحوث في تفسير القرآن وموضوعه تفسير سورة العلق ويقدم لهم — بتوفيق الله تعالى — الكتاب الثاني من السلسلة ، وموضوعه .

تفسير سورة المدثر

يطلب الكتاب من الشيخ كامل الكتبي بدار جماعة أنصار السنة المحمدية ٨ شارع قوله عابدين .

الثمن ٢٥ مـ

خاتم النبيين
ولو كره المستشرقون

﴿ ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسولَ اللهِ وخاتَمَ النبيينَ ، وكان الله بكل شيء عليما ﴾ .

جمعت هذه الآية الكريمة بين الرسالة والنبوة « رسول الله وخاتم النبيين » . ثم بينت أن النبوة اختتمت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الرسالة تكون قد اختتمت به أيضاً ، لأن النبوة مقدمة الرسالة ، والوصول إلى مرتبة النبوة أولاً ، وهذا يعنى أنه لا نبوة ولا رسالة على الأرض بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

من أجل هذا حفظ الله تعالى كتابه الأخير ، وهو القرآن الكريم ، إلى أن تقوم الساعة ، فإرسال نبي بعد هذا عبث يتنزه عنه الملك الحكيم ـ جل شأنه ـ .

ولقد أصبحت الأمة الإسلامية هى المكلفة بتبليغ الإسلام بكتابه وسنة نبيه إلى الناس جميعاً ، وهى بهذا : الأمة الوسط ، والشهداء على الناس ، وهى بهذا خير أمة أخرجت للناس ، ويوم أن تقصر فى هذا يوم يتخلف عنها الخير والوسطية .

والأمر فى غاية الوضوح والبساطة :

دين كمل وكتاب محفوظ إلى قيام الساعة ونبوة انتهت من على الأرض بمعناه الخاص ، ووحى انقطع ولم يبق إلا الأكاذيب ممثلة فى دعوى الإلهامات والمكاشفات والشطحات وغيرها من عناصر الوحى الشيطانى الذى يريد أن ينال به الشيطان من الوحى الحق الذى كمل وحفظ وختم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ولم يعد هناك مجال للأفاق « عبد البهاء » أو مسيلمة القرون الحديثة الذى أرسله الشيطان بدين البهائية أو النبوة الجديدة التى تحمل الخاتم أو الطابع الذى ادعاه ليتخلص من قوة الحق فى قوله تعالى : ﴿ . . ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

ولم يعد هناك مجال للأفاك غلام أحمد الذى أرسله الشيطان بدين القاديانية .

ولم يعد هناك مجال لافتراءات ابن عربى وغيره الذى أرسله الشيطان بدين الصوفية ووحى المكاشفات الذى يريد أن ينال من الوحى الحق الذى اختتم .

ولم يعد هناك مجال لبشر يكون محل كشفه اللوح المحفوظ .

(انظر طبقات الشعرانى فى كرامات الدسوقى) حيث أثبت أن الدسوقى شاهد ربه وخاطبه .

ولم يعد هناك مجال لكذّاب يرى حزباً مسطوراً على صفحة الكون أو أوراداً تروى عن الخضر وسليمانِ الجزولى « اللآلىء السنية من أوراد الخلوتية ص ٧ » .

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

فقد اختتم وحى الرحمن على الأرض ، وبقى وحى الشيطان .

اختتم وحى الله تعالى الذى يقول ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ وبقى وحى الشيطان الذى يقول : بل رضيت لكم الصوفية والبهائية والقاديانية وغيرها دينا .

اختتم وحى الله تعالى الذى يقول ﴿ هو سماكم المسلمين ﴾ وبقى وحى الشيطان الذى يقول : لا بل سماكم المتصوفين والشاذليين والرفاعيين . . . الخ .

واختتم وحى الله تعالى الذى يقول ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ وبقى وحى الشيطان الذى يقول « كل شيخ له طريقة » .

اختتم وحى الله تعالى الذى يقول ﴿ ومَنْ أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إننى من المسلمين ﴾ وبقى وحى الشيطان الذى يقول : ومن أحسن قولاً ممن قال إننى من المتصوفين والخلوتيين والشاذليين .

اختتم وحى الله تعالى الذى يقول ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ وبقى وحى الشيطان الذى يقول لا : بل المدد يارفاعى .

اختتم وحى الله تعالى الذى يقول عن الإنســان ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ . ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ . وبقى وحى الشيطان الذى يقول . . . لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط .

وهكذا انتهى الوحى وانقطع خبر السماء ، واختتمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويأبى الشيطان إلا أن يستمر بوحيه إلى أوليائه ليفسد كل شىء حتى اللقب « المسلمين » فتستبدل به ألقاب أرضية أخرى .

* * *

وهكذا اختتمت النبوة وكمل الدين ، وانقطع الوحى ، ولم يبق إلا وحى الشيطان فى صورة إلهامات ومكاشفات ، وغش وكذب وخداع ، لطمس معالم الحق وإظهار الباطل ولإبادة النور ونشر الظلام .

وتلقف المستشرقون كل هــذا الإفك وأضافوا إليه تصرفات الهمج والرعاع ، أتباع كل ناعق مبتدعى التعبدات الخرافية وصانعى التدين الخبيث ، وأصحاب محدثات الأمور وقالوا : هذا هو الإسلام ! ! ! حتى سمى أحدهم الجماعات الذكرية التى يرأسها شيخ ورث الخلافة عن أبيه سماها « بدعه حسنة » (راجع خطاب المستشرق جولدتسيهر إلى الشيخ طاهر الجزائرى « مجلة الأزهر » الجزء الثانى من المجلد الخامس والعشرين سنة ١٣٧٣) .

ويطعن المستشرقون فى ديننا باسم حرية النشر والبحث العلمى ، وإذا أظهرنا نحن جوانب الحق من الباطل صاحوا . . . تعصب ! !

وقد تابع المستشرقين فى هذا بعضُ من عاشوا بين المسلمين من أهل الـكتاب فألف كاهن كنيسة كتاباً سماه « الحق » طعن فيه عقيدة الإسلام ورسول الإسلام ، وصدّر عميد كلية اللاهوت هذا الـكتاب بتقريظ سمى به الـكتاب « دفاعاً مجيداً جريئاً ومجهوداً قيماً وعملاً عظيماً » . انظر ملخص الـكتاب ونقده لابن الخطيب فى كتابه « هذا هو الحق » .

ويرفض المستشرقون الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بالكتاب الذى أنزل عليه والدين الذى جاء به ، ويصفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مجرد عبقرى من عباقرة التاريخ والسياسة والحكم ! ! ! .

يرفضون الاعتراف بأن القرآن كتاب الله ، ويقولون إنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه قوم آخرون ! ! ! ومع ذلك يعترفون بمذكرات التلاميذ الأربعة المسماة — أناجيل — رغم أن القرآن الكريم صمد أمام الأجيال الطويلة ووقف شامخاً كما نزل بحروفه وألفاظه ، ومذكرات لوقا ويوحنا وبطرس ومرقص ، لم تستطع أن تصمد أمام الأجيال الطويلة فاندثرت لغتها ، وانهارت أمام ضربات الترجمة والتبديل والتغيير والتحريف . . . ! ! ! ومع ذلك فالقرآن فى نظرهم من صنع البشر ، وهذه المذكرات المحرفة نزلت من فوق السماء السابعة ! ! ! .

* * *

الدعوة إلى عبادة إله واحد قوى عزيز قاهر من صنع البشر .

والدعوة إلى عبادة جنين يتحرك فى أحشاء امرأة رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى عبادة إله قاهر قادر لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، من صنع البشر .

والدعوة إلى عبادة طفل يخرج من فرج امرأة رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى عبادة إله قوى لا يموت من صنع البشر .

والدعوة إلى عبادة مصلوب مزعوم يصرخ ويستنجد « . . لماذا تركتنى » رسالة من السماء ! ! .

الدعوة إلى عبادة إله غفور يغفر خطيئة آدم من صنع البشر .

والدعوة إلى عبادة إله يورث البشر خطيئة أبيهم الأول رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى عبادة إله رحمن رحيم من صنع البشر .

والدعوة إلى عبادة أب انتزعت منه عاطفة الأبوة نحو ولده الوحيد رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى غفران الخطيئة من صنع البشر .

والدعوة إلى جعل جريمة القتل تكفر عن خطأ الأكل من الشجرة رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى الإيمان بمسيح أرسله الله تعالى معززاً مكرماً من صنع البشر .

والدعوة إلى معلق مصلوب ، كما زعموا ، رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى عبادة إله ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ و ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ من صنع البشر . والدعوة إلى عبادة الكلمة التى صارت جسداً رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى عبادة إله يقول ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ — يعنى تعب — من صنع البشر .

والدعوة إلى عبادة إله خالق السموات والأرض فى ستة أيام واستراح فى السابع كما جاء فى العهد القديم رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى عبادة مليك مقتدر رفيع الدرجات مستو على عرشه الكريم من صنع البشر . والدعوة إلى عبادة عبد صريع على صليب ، كما زعموا ، محاط بأكليل الشوك بين اللصوص رسالة من السماء ! ! ! .

الدعوة إلى تنزه الله تعالى عن الولد صناعة بشرية ، والدعوة التى تنزه الأحبار والرهبان عن الولد ، ثم هى تجعل لله ولداً رسالة من السماء ! ! .

والدعوة إلى عبادة رب عرش كريم صناعة بشرية ، والدعوة إلى عبادة رب عرش فى وسطه وحوله أربعة حيوانات رسالة من السماء ! ! « أنظر رؤيا يوحنا إصحاح ٤ » .

فإذا كان الأمر كذلك فعلى العقل السلام ! ! ! .

وإذا كان الأمر كذلك فإن السمو بالعقل البشرى وتمجيد الإله صناعة بشرية وإلغاء العقل والعبث والتخريف وحى من السماء ! ! ! .

* * *

وهكذا تتصور العقول الملغاة أن مملكة العالمين يمكن أن تدار من بطن امرأة ! ! !

وإن صحت هذه المقارنات فى عقول المستشرقين فهذا يعنى أن تفكيرهم مازال جنيناً ، بل سقطا لم تدب فيه الحياة .

إن مذكرات التلاميذ الأربعة التى يؤمن بها المستشرقون تصرخ بالحقيقة والمهمة التى جاء من أجلها المسيح عليه السلام .

« قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبى » يوحنا ١٩ ـ ٤ .

« لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه » يوحنا ٤ ـ ٤٤ .

« الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية » يوحنا ٥ ـ ٤٤ .

« فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » يوحنا ٦ ـ ١٤ .

« فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا : هذا بالحقيقة هو النبى » يوحنا ٧ ـ ٤٠ .

« ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » يوحنا ٨ ـ ٤٠ .

« قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك فقال إنه نبى » يوحنا ٩ ـ ١٧ .

« ليؤمنوا أنك أرسلتنى » يوحنا ١١ ـ ٤٢ .

« الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى » يوحنا ١٢ ـ ٤٤ .

« الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله » يوحنا ١٣ ـ ١٦ .

« . . أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » يوحنا ١٧ ـ ٣ .

« فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً » لوقا ١٤ ـ ١٩ .

« يسوع الناصرى رجل قد برهن لكم من قِبَلِ الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده » سفر الأعمال بطرس ٢ ـ ٢٢ .

ويعتقد المستشرقون أن إثبات بر المسيح عليه السلام بأمه صناعة بشرية (وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا) وإثبات عقوق الأم رسالة من السماء « قال لها يسوع مالى ولك يا امرأة لم تأت ساعتى بعد » يوحنا ٢ ـ ٤ .

* * *

وهكذا فى نظر المستشرقين الرحمة للرسالة إلى العالمين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين هذه الرحمة صناعة بشرية والتضحية بالولد الوحيد من أجل خراف بنى إسرائيل الضالة رسالة من السماء ! ! !

« وأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائل الضالة » متى ١٥ : ٢٤ .

« وأوصاهم (يعنى تلاميذه) قائلا إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » متى ١٥ ـ ٢٤ .

إذن المسيح عليه السلام غير مرسل إلا إلى بنى إسرائيل كما صرحت بذلك الكتب التى آمنوا بها . إذن فمن يكون هذا الذى تحدث عنه سفر التكوين اصحاح ٤٩ عدد ١٠ فقال « حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » ومزمور ٤٥ عدد ٢ « . . . تقلد سيفك على فخذك . . اقتحم اركب من أجل الحق . . شعوب تحتك يسقطون » .

ومن يكون هذا الذى تحدث عنه أشعياء اصحاح ٤٢ « ٤٢ . . فيخرج الحق للأمم ليس هو المسيح عليه السلام الذى جاء لخراف بنى إسرائيل والذى أمر تلاميذه « . . إلى طريق أمم لاتمضوا » إنما هو صاحب الرسالة الخاتمة التى خضعت لها الأمم والشعوب » .

ومن هذا الذى تحدث عنه متى إصحاح ١٢ ـ ١٧ « . . فيخبر الأمم بالحق » إن لم يكن الذى أرسل الكتب والرسل إلى الملوك والقياصرة والأكاسرة وهو الذى قال عنه يوحنا إصحاح ١٤ ـ ٢٥ « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم

كل شىء ويذكركم بكل ماقلته لكم » وقد جاءت كلمة المعزى فى النسخة اليونانية واللاتينية بمعنى الحماد أو الكثير الحمد وهو أحمد .

وصدق الله العظيم (. . ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » يعنى بعد المسيح عليه السلام .

وهو الذى ذكره يوحنا إصحاح ١٤ عدد ٣٠ « . . . لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء » .

ورئيس العالم يعنى نبى العالم كما جاء فى أسفارهم وهو غير الذى أرسله إلى خراف بنى إسرائيل . وهو رسول العالمين وصاحب الرسالة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وليس له فىَّ شىء يعنى ليس من نسل بنى إسرائيل ولم يثبت أن المسيح عليه السلام قاتل وحارب الكفار والمعاندين ، إذن فمن يكون هذا الذى جاء ذكره فى اصحاح ٣ عدد ٨ متى واصحاح ١ عدد ٧ مرقس واصحاح ٣ عدد ١٦ لوقا « يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بروح ونار الذى رفشه فى يده وينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ » وهى إشارة إلى الحروب التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الكفار .

وفى يوحنا إصحاح ١٤ عدد ١٥ ، ١٦ « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر (يعنى نبياً غيرى) ليمكث معكم إلى الأبد) يعنى خاتم النبيين .

* * *

ومن أراد من المستشرقين وغيرهم أن يتثبت من نجاة المسيح عليه السلام من الصلب فعليه أن يراجع رسالة العبرانيين إصحاح ٥ عدد ٧ ومزمور ٩١ عدد ١٤ وسفر الأمثال إصحاح ١١ عدد ١٨ ويوحنا إصحاح ١٠ عدد ٣٩ وغيره مما لايتسع المجال لذكره .

والمستشرقون يصفون الاسلام والقرآن الذى كرم الأنبياء صناعة بشرية . أما نسبة السكر والزنا والقتل وعبادة العجل وبناء معابد الأصنام وغيره مما ينسب إلى الأنبياء

المنزهين عن هذا ، كل هذا يؤمنون به ديناً نزل من السماء (راجع سفر التكوين إصحاح ١٩ عدد ٣١ ، ٣٥ وسفر الخروج إصحاح ٣٥ عدد ٢ ، ٦ وسفر صموئيل الثانى إصحاح ١١ عدد ٢ ، ١٦ وسفر الملوك الأول إصحاح ١١ عدد ٤ ، ١١ فى كل هذا إلصاق أبشع التهم بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

ويصف المستشرقون القرآن الكريم الذى ليس فيه اختلاف أو تناقض بأنه صناعة بشرية ، أما الكتب المتناقضة فهى رسالة من السماء ! ! ! وهذا هو الدليل :

ففى متى إصحاح ١١ عدد ١٤ يقول عن يوحنا « هذا هو إيليا المزمع أن يأتى » بينما فى يوحنا إصحاح ١ عدد ٢١ عندما سألوا يوحنا : إيليا أنت فقال لست أنا . . »

وفى متى ٥ ـ ٤٤ « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » .

وفى لوقا ١٩ ـ ٢٧ « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم تحت أقدامى » .

وبينما جاء بكتبهم « على الأرض السلام وبالناس المسرة » .

جاء فى متى إصحاح ١٠ « لاتظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض » .

وفى مرقص إصحاح ١٤ ـ ٢١ « ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان . . » وعلام الويل إذا كان ابن الانسان ماجاء إلا ليقتل وليكون دمه فداء للبشرية ! ! ؟ ؟

وإلى المستشرقين وغير المستشرقين نقول : لقد مرت عشرات القرون وستمر غيرها إن شاء الله حتى تنتهى الحياة من على الأرض ، ومحمد عليه الصلاة والسلام الذى ندعوكم إلى الايمان به هو كما قال عنه ربه « رسول الله وخاتم النبيين » ولو كره المستشرقون .

مصطفى عبد اللطيف درويش

رئيس مأمورية الشهر العقارى بسوهاج

بيان هام جدا

إلى فروع الجماعة

لقد حل موعد اجتماع الجمعية العمومية للمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ولن يدعى للحضور والاشتراك فى انتخاب أعضاء مجلس إدارة المركز العام إلا الفروع التى تم إشهارها .

فنرجوا من جميع الفروع المبادرة بالإفادة عن رقم وتاريخ إشهارها وعن أسماء المندوبين الثلاثة الذين سيمثلون الفرع فى اجتماع الجمعية العمومية للمركز العام .

كما نرجوا موافاتنا بالطلبات التى يقدمها من لهم رغبة فى الترشيح لعضوية مجلس إدارة المركز العام عن طريق فروعهم ، ونرجوا أيضاأن يتضمن طلب الترشيح البيانات الآتية :

١— الاسم بالكامل (ثلاثى) .

٢ — اسم الشهرة (إن وجد) .

٣ — الجنسية .

٤ — الديانة .

٥ — تاريخ وجهة الميلاد .

٦ — المؤهلات الدراسية .(إن وجدت)

٧ — محل الإقامة الحالى والسابق .

٨ — العمل المرشح له .

٩ — العمل السابق وسبب تركه ،

ولن يلتفت إلى أى طلب غير كامل البيانات المذكورة .

لذلك نرجوا أن يتفضل رؤساء جميع الفروع بالإفادة بأسرع ما يمكن حتى نتمكن من دعوة الجمعية العمومية (للمركز العام) للاجتماع فى الموعد القانونى .

السكرتير العام

٦ - نظرات فى المجتمع والشريعة

٥ - الهـــوى

نواصل القول فى عصمة الله تعالى من أهواء المشركين فنقول :

. . . ثم يبعثون الوليد بن المغيرة لرسول الله ليساومه فى الرجوع عن دعوة الإسلام ، ويعرض الوليد على رسول الله عروضاً أملاها الهوى الطائش الذى حجب بصائرهم عن نور الإيمان فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بآيات من القرآن[1] تكتسح فى لحظة ظلمات قلبه ، وتذهب بما ران من هوى على فؤاده حتى يقول : لقد سمعت من من محمد كلاماً ما سمعت مثله قط ، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر .

ثم يمر الوليد بلحظة صراع عنيف بين هوى متسلط مع أعوان وخلان يثيرون هذا الهوى ويشعلونه وبصيص من النور بزغ أمام عينيه فجأة . فماذا كان من الوليد ؟ وكيف انتهى ذلك الصراع ؟ ، يصف القرآن الكريم ذلك وصفاً دقيقاً . فماذا يقول تعالى فى سورة المدثر متحدثاً عن الوليد وعن لحظة الصراع التى عاشها بعد مقابلته لرسول الله ، ثم عن النهاية السيئة التى انتهى إليها صراعه حيث تغلبت ظلمات الهوى على نور الهداية ؟ إنه يقول :

(ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر) .

ثم ينتهى بالمشركين الأمر إلى أن يطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم طلباً يسيراً فى تقديرهم لكنه عظيم عند الله . ماذا طلبوا ؟ كلمة مدح واحدة فى حق آلهتهم ،

(١) الآيات التى قرأها رسول الله من أول فصلت : إلى قوله تعالى (فإن أعرضوا) .

بعدها يؤمنون بالله وحده ، وكادوا أن يفتنوا رسول الله ، لكن الله الذى تعهد بعصمته من الناس عصمه وحماه ، وأنزل عليه يحذره من ذلك فى شدة وينهاه . يقول تعالى فى سورة الإسراء :

(وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ، وإذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) .

وأهواء المسلمين أيضا :

وهوى النفس النابع من البشرية ونوازعها ، ونظرتها للحياة ، وتقديرها للأمور ومقاييسها المادية ، شرٌّ كله وإن كان يهدف إلى الخير أحياناً فى نظر صاحبه . وقد كان للصحابة والمسلمين أهواء من هذا القبيل . لكن الله تعالى كما عصم رسول الله من أهواء أهل الكتاب والمشركين عصمه من أهواء المسلمين . . . وإليك الأمثلة :

١ — قصة الدرع المسروقة :

سرق طعمة بن أبيرق درعاً من بيت جاره قتادة بن النعمان ، ووضعها فى غرار من دقيق ثم ألقى بها فى بيت اليهودى زيد بن السمين . . . حتى يحمله إثم ما ارتكب ويقام عليه الحد . وقد كان عند ما اتهم صاحب الدرع طعمة نفاها عن نفسه وأيده كثير من الصحابة والمسلمين ، واستدلوا بتسرب الدقيق الذى انتهى عند بيت اليهودى على براءة صاحبهم . . وقالوا ها هو قد وضح السارق يا رسول الله ، وهم رسول الله بقطع يده .

ونزل القرآن يكشف الحقيقة ، ويوضح لرسول الله أنها أهواء تبرىء مذنباً ، وتدين بريئاً . يقول تعالى فى سورة النساء : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم

بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما[1] . واستغفر الله ، إن الله كان غفوراً رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ؟) .

ثم تنتهى الآيات إلى حكم حاسم فى هذا الأمر (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا) .

وتفسير الآية بلفظ (برىء) بصورة التنكير دليل على أن الجرم باق ، ولو كان المرمى بالاتهام من غير المسلمين .

وأخيراً تتحدث الآيات عن عصمة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك فيقول تعالى : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شىء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) .

ومن أجل ذلك يبرأ الرسول عليه الصلاة والسلام من تبعة ما يترتب على الأهواء فى ميدان القضاء ، فيقول : « إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض ، فأقضى له بشىء من حق أخيه ، فلا يأخذه ، إنما أقضى له بقطعة من النار » .

ب — والمخزومية التى سرقت :

وهذه المرأة من بنى مخزوم التى سرقت ، وعز على أهواء القوم أن تقطع يدها ، فتكون وصمة عار لكثير من المفاخر والمناقب ، فظنوا أن شفاعة تبعتها الأهواء قد

---

(١) خصيما : معيناً فى الخصومة .

تدرأ عن شريفتهم حداً من حدود الله ، والتمسوا لرسول الله شاباً أثيراً[١] عنده ، حب رسول الله وابن حب رسول الله : أسامة بن زيد ، ولكن المعصوم من أهواء الناس صلى الله عليه وسلم : رأى فى ذلك بادرة خطر فى المجتمع الإسلامى ، وأن الأمر يوشك بهم — لو اتبعوا الأهواء — أن يسيروا على سنن اليهود ؛ ولأجل ذلك لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركها تمر ، حتى يعطى صحابته درساً نافعاً فى الحذر من الأهواء التى تحفز إلى محاباة الأشراف فى حدود الله ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « إنما أهلك من كان قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

« البحث موصول »

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

---

(١) محبباً لديه .

خطبة منبرية

الحمد لله الذى نزّل الفرقان على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيراً . وهو سبحانه له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله النبى الأمى ، الذى بعثه ربنا فى الأميين ليتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السمواتُ والأرضُ أعدت للمتقين . الذين يُنفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، واللهُ يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشةً ، أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤُهم مغفرةٌ من ربهم ، وجناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجرُ العاملين) .

جاءت هذه الآيات الكريمة بعد آية النهى عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة امتثالاً لأمر الله وانقياداً لشرعه وطاعة لله ولرسوله ، فقال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) أى سارعوا فراراً من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته ، ومبادرة إلى فعل الخيرات ، ومسارعة إلى نيل القربات . كقوله تعالى فى سورة الحديد : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) فالكلمتان (سارعوا وسابقوا) بمعنى واحد للحض على النشاط فى الطاعات وعمل الصالحات ، والتنافس فى فعل الخير التماساً لمرضاة الله

وطلبا لمغفرته . وفى قوله تعالى (إلى مغفرة من ربكم) تذكير لنا أن الذى يدعونا هو ربنا الذى خلقنا وسوانا وربانا بنعمه وفضله وأن آلاءه تفيض علينا مع كل طرفة عين ، وكل نبضة قلب وكل نسمة هواء تدخل إلى رئاتنا . ثم هو سبحانه الذى يوفقنا لطاعته ، ويسدد خطانا على صراطه ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ويدعونا إلى جنته التى عرضها السموات والأرض ، ووصفُ الجنة بأن عرضها السموات والأرض إشارةٌ إلى سعتها وعظمتها ، فإنه إذا كان العرض كذلك فالطول أكبر ولا ريب ، لأن الطول أكبر من العرض دائماً .

ثم قال الله تعالى أن هذه الجنة (أعدت للمتقين) كما يقول فى الآية التى قبل هذه الآية : (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) فهذه معدة مهيأة تنتظر أهلها من الكافرين ، وتلك معدة مهيأة تنتظر أهلها من المتقين . والتقوى مداومة مراقبة الله والخشية منه واتقاء غضبه فى السر والعلن ، والتقوى سر بين العبد والرب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيراً إلى صدره : « التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا » . ثم تمضى الآيات معددة صفات المتقين فقالت : (الذين ينفقون فى السراء والضراء) والمال محك الإيمان كما قال رسول الله ، وهو شقيق الروح والنفس ، فمن طاب نفساً ببذله وإنفاقه فى سبيل الله ، فهو إلى غيره من العبادات والطاعات أسرع وأنشط . ويقرن الله كثيراً فى كتابه الكريم بين الصلاة والانفاق كقوله تعالى : (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وقوله تعالى : (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ذلك لأن من يقيم الصلاة على وجهها محافظاً على أركانها وخشوعها ، موثقاً بها صلته بربه ، تهون عليه الدنيا وزينتها فى مرضاة ربه ، ويمتلىء قلبه حباً وتوكلاً عليه ، فلا يبالى ما أنفق ولا ما أبقى لأن المال مال الله ، وهو عبد الله ، والعبد وما ملك مِلْك لسيده ومولاه . أما الجاحد الكنود الذى لا يقيم الصلاة ، فإنه لا يعرف لله حقاً ، ولا للإنفاق فى سبيله طعما ولا مذاقاً ، بل يتكالب

على الدنيا ، ويحرص على المال يجمعه من كل وجه ، لا فرق عنده بين حلال وحرام ، فيصير المال عبداً مهيناً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم » . وأما المتقون فإن المال يكون خادماً وعبداً لهم ينفقونه فى السراء والضراء ، والشدة الرخاء ، والمنشط والمكره ، والصحة والمرض ، والفقر والغنى . لا يستحوذ المال على قلوبهم ، ولا يشغلهم عن طاعة الله تعالى والإنفاق فى سبيله ومراضيه ، والإحسان إلى خلقه ، والبر بقراباتهم وغيرهم .

ثم تذكر الآية من صفات المتقين (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين) كظم الغيظ كتمه وعدم العمل بمقتضاه ، والغيظ الغضب الشديد ، وكظم الغيظ مع القدرة على رد العدوان بمثله أو أكثر منه يدل على درجة كبيرة من الإيمان والتقوى ، ويعطى الله عز وجل عليه الأجر العظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمناً وإيماناً » وقال : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء » وذلك لأنه ملك نفسه عند الغضب ، وكف شره عن الناس ، محتسباً ذلك عند الله عز وجل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد لله » وروى أن رجلا قال : يا رسول الله ، قل لى قولا ينفعنى ، وأقلل علىّ لعلى أعيه : فقال له رسول الله « لا تغضب » فأعاد الرجل ، وأعاد رسول الله لا تغضب » قال الرجل : ففكرت حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله . وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصُّرَعة — أى الذى يصرع الناس — ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وقال عليه الصلاة والسلام فى علاج الغضب ، « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » وأمره فى حديث آخر إذا كان قائماً أن يقعد ، وإذا كان قاعداً أن يضطجع . ثم قال الله : (والعافين عن الناس) فلا يكفى لنيل

الدرجات أن تكظم غيظك حتى تعفو عمن أساء إليك لتكون من المحسنين (والله يحب المحسنين) . فلا يبقى فى قلبك حقد ولا ضغن ولا موجدة على من ظلمك أو أساء إليك ، ويحبب الله عز وجل العفو والصفح إلى المؤمنين ليثيبهم عليه بالمغفرة من عنده ؛ فقال تعالى : (وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث أقسم عليهن ، ما نقص من مال صدقة ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه » وقال « من سره أن يشرف له فى البنيان ، وترفع له فى الدرجات ، فليعف عمن ظلمه ، ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه » وقال : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العافون عن الناس ؟ هلموا إلى ربكم ، وخذوا أجوركم ، وحق على كل امرىء مسلم عفا أن يدخل الجنة » .
فها هى — أيها المسلمون — منازل الذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس ، وإنه ليسير على من وفقه الله ، فامتلأ قلبه هيبة ووقاراً لله عز وجل ، فتواضع وتطامن ولم يشمخ بأنفه إلى السماء تكبراً ، وعلم أنه إذا كان قادراً على البطش بمن يسيء إليه ، فالله أشد بطشاً ، وأنه إذا كان مستطيعاً أن ينكل بعدوه فالله أشد منه تنكيلا .

ثم تمضى الآيات فى تعداد صفات المؤمنين المتقين أهل الجنة فتقول : (والذين إذا فعلوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) يقول الله عز وجل لابد وأن العبد يذنب ، فإن ذلك من طبع ابن آدم وخلقه وجبلته ، ومن ضرورات حياته أن يلم بالفواحش ، ومن لوازم ضربه فى الأرض ، وطلبه للعيش ، واختلاطه ببنى جنسه ، أن يظلم نفسه بالمعاصى . فهل يتركه الرحمن الرحيم يهلك من اليأس والقنوط من رحمة الله ومغفرته ؟ لا يكون ذلك أبداً لأنه سبحانه وصف نفسه فقال : (إن الله بالناس لرءوف رحيم) وقال : (والله رءوف بالعباد) وقال : (إنه هو البر الرحيم) وقال : (وإنى لغفار لمن تاب) وقال : (إنه هو التواب الرحيم) ومثل هذه الآيات كثيرة فى القرآن ، وقد فتح الله بها باب توبته ومغفرته لمن أذنب فندم على المعصية

فاستغفر وتاب وأناب إليه وعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رجلًا أذنب فقال : رب إنى أذنبت ذنبًا فاغفر لى ، فقال الله عز وجل : عبدى عمل ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدى . ثم عمل ذنبًا آخر ، فقال : رب إنى عملت ذنبًا فاغفره ، فقال تبارك وتعالى : علم عبدى أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدى » فلا يزال يذنب ويستغفر ، ويغفر الله له حتى يكون مرضيًا عند الله من كثرة استغفاره ، فيقول الله : « أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء » . إن الاستغفار لا يترك أثرًا للذنب بل يمحوه تمامًا . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار » وفرق كبير بين الإصرار وبين العودة إلى الذنب تقع فيه عفوًا . فالإصرار أن تتمادى فى المعصية والذنب من غير أن تفكر فى استغفار ولا توبة مستهينًا بالشرع والدين وأنت تعلم تمامًا أن الله قد نهى عن هذا العمل أو حرمه ، ولذلك قالت الآية (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) فقد يعذر الجاهل ، ولكن ما عذر الذى يعلم ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » وليس هذا للعابث المتلاعب بالاستغفار ولكن ذلك للذى يستشعر الندم ويخشى الله ، وإنما يوقعه الشيطان والضعف البشرى فى الذنب المرة بعد المرة وهو فى فى كل مرة يتوب وينوى جازمًا ألا يعود ويبكى نادمًا على ما فرّط فى جنب الله ، وروى أن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب فأهلكونى بالاستغفار . وروى أيضًا أن أسيرًا جىء به إلى رسول الله ، فقال : اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله » وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال وهو على المنبر : « أرحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع القول – أى الودَنى – ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » وهم يعلمون أن الله يتوب على من تاب ولا يتوبون ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ ويحسن الوضوء ، ثم يصلى ركعتين ، فيستغفر الله

عز وجل إلا غفر له » : وقال « والله إنى لاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وقال عليه الصلاة والسلام : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ثم قال الله عز وجل : (أُولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين) إن أُولئك المتقين الذين ذكر الله بعض صفاتهم فى هذه الآيات ، يجزيهم الله بغفران ذنوبهم ، وتخليدهم فى جنته التى أعدها لهم ، تجرى من تحتها الأنهار ، لهم فيها من كل الثمرات ، ولهم فيها نعيم مقيم ، وأنعم به من أجر عظيم ، جزاء لعملهم الصالحات ، وفعل الخيرات ، من إنفاق المال ، وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس والإحسان إليهم ، والاستغفار من الذنب وعدم الإصرار عليه ، جعلنى الله وإياكم منهم بمنه وكرمه .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تُهَوِّنُ به علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، اللهم انصر رؤساءنا وعلى رأسهم الزعيم المحبوب الرئيس جمال عبد الناصر بالحق وانصر الحق بهم ، وأيدهم بروح من عندك يا رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد نبى الرحمة وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين .

سليمان رشاد محمد

الدعوة إلى العنصرية ليست من الإسلام

من الدعايات الهدامة للإسلام الدعوة إلى العنصرية ، لأنها ما دست بين المسلمين إلا لتفريق وحدتهم وتشتيت شملهم بوضع الفوارق بينهم ، ثم بتفضيل هذا العنصر على ذاك ، ثم بإغراء كل عنصر بالآخر بدعوى الفضل عليه لميزات اختص بها ؛ فتتقد العداوة بين العناصر المختلفة وتكون القاصمة التي قصمت ظهر الدولة الإسلامية . وهذا الذى حذر الله منه أشد التحذير وأنذر العقوبة به إذا لم يستقم الناس على شرعة الله الواحدة وملته الحنيفية التي رضيها لعباده ، وبعث بها جميع رسله وعلى الأخص خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . إقرأ فى ذلك قوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

وفى القضاء على هذه النزعة الشيطانية وإقامة الجامعة الإسلامية التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس كافة يقول الله (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وفى سورة آل عمران (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وفى معناها كثير . فالقرآن كله يبنى أساس الأمة الإسلامية على وحدة الدين لا على وحدة الجنس والعنصرية والقبيلة بل يحذر من ذلك وينهى عنه .

وقد جاء عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معززاً لهذا المبدأ القويم ، إنهم يعلمون ان نسيان وحدة الإسلام والانصراف عنها إلى غيرها هو أشد المعاول فتكا بالأمة الإسلامية وبالدعوة الإسلامية التى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ليبلغها للأسود والأبيض ، والعربى والعجمى ، إذ الكل فيها سواء كأسنان المشط : فقد روى

البخاري ومسلم عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » وقد فسر سعيد بن جبير من رواية الإمام أحمد « دعوى الجاهلية » بقول القائل : يا لفلان ، يا لفلان ، يا لفلان .

وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم - واللفظ لأحمد - عن جابر قال « كسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار - يعنى ضربه على مؤخرته - فاجتمع قوم ذا وقوم ذا ، وقال هؤلاء : يا للمهاجرين . وقال هؤلاء يا للأنصار . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال « دعوها فانها منتنة . قال : ثم قال : ألا ما بال دعوى الجاهلية ، ألا ما بال دعوى الجاهلية . ألا ما بال دعوى الجاهلية » وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يكرر على أصحابه مايهتم به من الأمور نهياً كان أو أمراً .

ومن هذه النصوص وغيرها من الكتاب والسنة يتضح جليا إن الدعوة إلى العنصرية هى من دعوى الجاهلية ، ومن أخطرها الدعوة إلى العنصرية العربية ، وتفضيل العرب لجنسهم أو وطنهم هو والدعاية للعناصر الأخرى سواء ، لا يجنى المسلمون منها الا زيادة القطيعة وايقادة نار العداوة . وقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصفها بالمنتنة ؛ فإن الإسلام لا يعرف إلا أمة واحدة لا فضل لعربى فيها على عجمى إلا بالتقوى . وفى هذا المعنى يقول تعالى فى سورة الحجرات (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

ثم إن الدعوة للعنصرية — أياً كانت — هى فى الحقيقة تجاهل لعموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بل تجاهل لدعوة الإسلام التى يأمر الله رسوله أن يدعو إليها الناس جميعًا بقوله (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا) وقد بلغها صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، فاجتثت بعد ذلك الفوارق الجنسية من جذورها وصار دستور المسلمين ما جاء بآية الحجرات المتقدمة من أن العمل والمدار على التقوى والعمل الصالح والإنتاج المثمر .

ومن أهم مقاصد الرسل ووظائفهم أن يزيلوا الخلافات ؛ ويقضوا على أسبابها بما يوحى الله إليهم من الدين الذى يوحد بين بنى الإنسان ويجمع كلمتهم على عبادة واحدة وشريعة واحدة ، وكل نبى منهم جاء مصدقاً لما بين يديه من شريعة النبى الذى قبله ؛ فيهدى الله الذين يؤمنون إلى الحق الذى يبعدهم عن أسباب الفرقة والاختلاف : سواء ما كان من جهة الأنساب والعناصر أو من جهة الفروق الاجتماعية ؛ فيكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ، مصلحتهم متحدة ووجهتهم متحدة كما مثلهم الرسول « بالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » أو كما قال « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » فالرسول صلى الله عليه وسلم فى هذين النصين يحدد الجامعة التى تربط بين المسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض وفى أى جنس من أجناس بنى آدم .

ولقد جعل الله هذا المبدأ فى الاتحاد وشعور كل مسلم بأنه عضو فى جسم الإسلام يحس بكل ما يحس به الجزء الآخر فى أى قطر — من أصول الإسلام كالصلاة والزكاة وأن من هدمه كمن هدم إحدى هذه الشعائر إذ يقول سبحانه (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) .

وفى اتجاه المسلمين فى صلاتهم إلى قبلة واحدة ووقوف أدناهم منزلة بجوار أعلاهم واقتدائهم بإمام واحد ـ ما يبين بأتم وضوح أن من أهم مقاصد الإسلام أن يشعر المهتدين بهداه هذا الشعور التوحيدى الذى تمحى فيه كل الفوارق . وتتلاشى معه سائر العناصر . فيكون هذا التفرق آية على الشرك وتباين المقاصد واختلاف الوجهات فينأون جميعاً عن الإسلام والاعتصام بحبله المتين .

على هذا النهج الواضح سار الرعيل الأول من المسلمين الذين أُشربوا روح الإسلام وفهموه على وجهه الصحيح . فكانوا يؤمنون بالكتاب كله ويقفون عند

حدوده جميعاً أفراداً وحكومات فاستحقوا بذلك وصف الله إياهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ولقد انتشر هذا الدين السمح ممثلاً في أولئك السادة في مشارق الأرض ومغاربها فسارع الناس — من جميع الأجناس — إلى الدخول فيه أفواجاً . حيث وجدوه لا يعرف دماً أشرف من دم ولا عنصراً أفضل من عنصر . وإنما يعرف المسلم التقي وإن كان أبوه من ألد أعداء الإسلام . وإنما الكرامة عنده لمن يكرمه إيمانه وعمله وإن كان في الهيئة الاجتماعية ما كان . والحقير كل الحقير من نبذه وحاده وإن كان من ضئضىء معد ابن عدنان . والدين الذي يسوى بين ابن المصرى السوقي في القصاص ، وبين ابن عمرو ابن العاص ابن الأمير الشريف القرشي لهو الدين الذي تذوب العنصريات في حرارة دعوته كما تذوب كرات الثلج في حرارة الشمس .

دخلت الشعوب في الإسلام واستظلت برايته فالخلص منهم نسى شعبه وقبيله ورضى بالإسلام صلة وآصرة ، فوجهوا كل جهودهم للعمل للإسلام وخدمته في كافة ما يعود عليه بالخير والبركة ، وهذه آثارهم باقية على وجه الزمن : فهذا بلال ابن رباح الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وتميم الداري . وهذا الحسن البصري ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وأبو داود السجستاني وغير هؤلاء من ذوي الأصول الأعجمية لهم القدم الصادق في خدمة الإسلام ولم يخطر لهم يوماً من الأيام أن يعملوا لعنصرهم الأول ولجنسهم الذي تفرعوا عنه — ولم يخطر في بال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعيد بن المسيب ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وغيرهم من أئمة الإسلام وأمرائه الذين يمتون إلى أصل عربي أن يغمطوا هؤلاء أو ينكروا عليهم حقهم لسبب جنسهم أو عنصرهم ، ولا أن يجعلوا لأنفسهم شرفاً بسبب هذا العنصر لأن الجميع كانوا بنعمة الله إخواناً .

مصنع حلويات

علي مصطفى ترزاكي وأولاده

٥ ش الترجمان (ممر الشامي) أول ش القلعة بالعتبة ت ٩١٩٦٧٥



منتجاتنا مصنوعة بعناية تامة ومن أجود الخامات المصرية
من سكر . وجليكوز . وكاكاو . ونشا . وأسنس . وفانيليا .
ومصنوعة بأيد مصرية صميمة صناعة ج . ع . م
والإدارة مستعدة لتلبية طلبات زبائنها الكرام تليفونيا أو بريديا
وتوصيل طلباتهم حتى محلاتهم

المدير المسئول
علي مصطفى ترزاكي

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ م